

كليات رسائل النور

اللمعات

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

تحقيق

إحسان قاسم الصالحي

كليات رسائل النور

اللمعات

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة

إحسان قاسم الصّالحي

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) (الأنبياء:87)

(إذ نادى ربه أي مَسْنِي الضُّرُّ وأنت أرحم الراحمين) (الأنبياء:83)

(فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) (التوبة:129)

(حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران:173)

لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيمِ

يا باقي أنت الباقي يا باقي أنت الباقي

(للذين آمنوا هدىً وشفاءً) (فصلت:44)

هذا القسم الاول من المكتوب الحادي والثلاثين يتضمن ست لمعات تبين كل منها نوراً من انوار كثيرة للكلمات المباركة المذكورة التي لقراءتها ثلاثاً وثلاثين مرة في كل وقت فضائل كثيرة ولا سيما بين المغرب والعشاء.

اللمعة الاولى

ان مناجاة سيدنا يونس بن متى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - هي من اعظم انواع المناجاة واروعها، ومن ابلغ الوسائل لإستجابة الدعاء وقبوله.¹

تتلخص قصته المشهورة بأنه - عليه السلام - قد ألقي به الى البحر، فالتقمه الحوت، وغشيته امواج البحر الهائجة، واسدل الليل البهيم ستاره المظلم عليه. فداهمته الرهبة والخوف من كل مكان وانقطعت امامه اسباب الرجاء وانسدت ابواب الامل.. واذا بمناجاته الرقيقة وتضرعه الخالص الزكي:

(لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) (الأنبياء:87) يصبح له في تلك الحالة واسطة نجاة ووسيلة خلاص.

وسر هذه المناجاة العظيم هو:

ان الاسباب المادية قد هوت كلياً في ذلك الوضع المرعب، وسقطت نهائياً فلم تحرك ساكناً ولم تترك أثراً، ذلك لان الذي يستطيع ان ينقذه من تلك الحالة، ليس الا ذلك الذي تنفذ قدرته في الحوت، وتهيمن على البحر وتستولي على الليل وجو السماء؛ حيث أن كلا من الليل الحالك والبحر الهائج والحوت الهائل قد اتفق على

¹ عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "دعوة ذى النون اذ دعا في بطن

الحوت، قال: لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين، فانه لم يدع بها رجل مسلم في شئ إلا استجاب الله له".
حديث صحيح: أخرجه احمد (170/1) والترمذي (3572 - تحفة) والحاكم (505/1 و283/2) وصححه، ووافقه الذهبي،
والحديث عزاه السيوطي في الجامع الصغير للنسائي والبيهقي في شعب الايمان والضياء في المختارة وحسنه الحافظ في
تخريج الاذكار.

#7

الاتقضاض عليه، فلا ينجيه سبب، ولا يخلصه أحد، ولا يوصله الى ساحل السلامة بأمان، إلا من بيده مقاليد
الليل وزمام البحر والحوت معاً، ومن يسخر كل شئ تحت امره.. حتى لو كان الخلق اجمعين تحت خدمته عليه
السلام ورهن اشارته في ذلك الموقف الرهيب، ما كانوا ينفعون به بشئ!.

أجل لاتأثير للاسباب قط.. فما أن رأى عليه السلام بعين اليقين ألا ملجأ له من امره تعالى إلا اللواذ الى كنف
مسبب الاسباب، انكشف له سرُّ الأحدية من خلال نور التوحيد الساطع، حتى سخرت له تلك المناجاة
الخالصة الليل والبحر والحوت معاً، بل تحوّل له بنور التوحيد الخالص بطئ الحوت المظلم الى مايشبه جوف
غواصة أمينة هادئة تسير تحت البحر، واصبح ذلك البحر الهائج بالامواج المتلاطمة مايشبه المتنزه الآمن
الهادئ، وانفشت الغيوم عن وجه السماء - بتلك المناجاة - وكشف القمر عن وجهه المنير كأنه مصباح وضئ
يتدلى فوق رأسه..

وهكذا غدت تلك المخلوقات التي كانت تهدده وترعبه من كل صوب وتضييق عليه الخناق، غدت الآن تسفر
له عن وجه الصداقة، وتتقرب اليه بالود والحنان، حتى خرج الى شاطئ السلامة وشاهد لطف الرب الرحيم
تحت شجرة اليقطين.

فلننظر بنور تلك المناجاة الى انفسنا.. فنحن في وضع مخيف ومرعب أضعاف أضعاف ماكان فيه سيدنا يونس
عليه السلام، حيث ان:

ليلنا الذي يخيم علينا، هو المستقبل.. فمستقبلنا اذا نظرنا اليه بنظر الغفلة يبدو مظلماً مخيفاً، بل هو أحلك
ظلاماً واشد عتامة من الليل الذي كان فيه سيدنا يونس عليه السلام بمائة مرة..

وبجرنا، هو بحر الكرة الارضية، فكل موجة من امواج هذا البحر المتلاطم تحمل آلاف الجنائز، فهو اذن بحر
مرعب رهيب بمائة ضعف رهبة البحر الذي ألقى فيه عليه السلام.

وحوتنا، هو ما نحمله من نفس أمارة بالسوء، فهي حوت يريد ان يلتقم حياتنا الابدية ويمحقها. هذا الحوت
اشد ضراوة من الحوت الذي ابتلع سيدنا يونس عليه السلام؛ اذ كان يمكنه ان يقضي على حياة امدها مائة
سنة، بينما حوتنا نحن يحاول افناء مئات الملايين من سني حياة خالدة هنيئة رغيدة.

#8

فما دامت حقيقة وضعنا هذه، فما علينا إذا إلا الاقتداء بسيدنا يونس عليه السلام والسير على هديه، معرضين عن الاسباب جميعاً، مقبلين كلياً على ربنا الذي هو مسبب الاسباب متوجهين اليه بقلوبنا وجوارحنا، ملتجئين اليه سبحانه قائلين: (لا إله إلا أنت سُبحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظالمين) مدركين بعين اليقين ان قد ائتمر علينا - بسبب غفلتنا وضلالنا - مستقبلنا الذي يرتقبنا، ودياننا التي تضمننا، ونفوسنا الامارة بالسوء التي بين جنبينا، موقنين كذلك انه لا يقدر ان يدفع عنا مخاوف المستقبل واوهامه، ولا يزيل عنا احوال الدنيا ومصائبها، ولا يبعد عنا اضرار النفس الامارة بالسوء ودسائسها، الا من كان المستقبل تحت أمره، والدنيا تحت حكمه، وانفسنا تحت ادارته .

ثرى مَنْ غيرُ خالق السموات والارضين يعرف خلجات قلوبنا، وَمَنْ غيرُه يعلم خفايا صدورنا، وَمَنْ غيرُه قادر على اناة المستقبل لنا بخلق الآخرة، وَمَنْ غيرُه يستطيع ان ينقذنا من بين الوف أمواج الدنيا المتلاطمة بالاحداث؟! حاش لله وكلا ان يكون لنا منجٍ غيره ومخلصٍ سواه، فهو الذي لولا إرادته النافذة ولولا أمره المهين لما تمكن شئ ايما كان وكيفما كان ان يمد يده ليغيث أحداً بشئ!.

فما دامت هذه حقيقة وضعنا فما علينا إلا ان نرفع أكف الضراعة اليه سبحانه متوسلين، مستعطفين نظر رحمته الربانية الينا، اقتداء بسر تلك المناجاة الرائعة التي سحّرت الحوت لسيدنا يونس عليه السلام كأنه غواصة تسير تحت البحر، وحولت البحر متنزها جميلا، وألبست الليل جلاباب النور الوضئ بالبدر الساطع. فنقول: (لا إله إلا أنت سُبحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظالمين) . فنلقت بها نظر الرحمة الإلهية الى مستقبلنا بقولنا: (لا إله الا أنت). ونلفتها الى ديانا بكلمة: (سبحانك) ونرجوها ان تنظر الى انفسنا بنظر الرأفة والشفقة بجملة: (إني كنتُ من الظالمين) كي يعم مستقبلنا نور الايمان وضياء بدر القرآن، وينقلب رعب ليلنا ودهشته الى أمن الانس وطمأنينة البهجة. ولتنتهي مهمة حياتنا ونختتم وظيفتها بالوصول الى شاطئ الامن والامان دخولا في رحاب حقيقة الاسلام، تلك الحقيقة التي هي سفينة معنوية اعدّها القرآن العظيم، فنبحر بها عباب الحياة، فوق أمواج السنين والقرون الحاملة لجناز لا يحصرها العد، ويقذفها الى العدم تبدل الموت والحياة وتناوبها الدائبين في

#9

ديانا وارضا، فننظر الى هذا المشهد الرهيب بمنظار نور القرآن الباهر، واذا هو مناظر متبدلة، متجددة، يحول تجدها المستمر تلك الوحشة الرهيبة النابعة من هبوب العواصف وحدوث الزلازل للبحر الى نظر تقطر منه العبرة، ويبعث على التأمل والتفكر في خلق الله. فتستضي وتتلق ببهجة التجدد ولطافة التجديد. فلا تستطيع عندها نفوسنا الامارة على قهرنا، بل نكون نحن الذين نقهرها بما منحنا القرآن الكريم من ذلك السر اللطيف، بل نمتطيها بتلك التربية المنبثقة من القرآن الكريم. فتصبح النفس الامارة طوع ارادتنا، وتغدو وسيلة

نافعة ووساطة خير للفوز بحياة خالدة.

الخلاصة:

ان الانسان بما يحمل من ماهية جامعة يتألم من الحمى البسيطة كما يتألم من زلزلة الارض وهزاتها ويتألم من زلزال الكون العظيم عند قيام الساعة، ويخاف من جرثومة صغيرة كما يخاف من المذنبات الظاهرة في الاجرام السماوية، ويجب بيته ويأنس به كما يجب الدنيا العظيمة، ويهوى حديقته الصغيرة ويتعلق بها كما يشترق الى الجنة الخالدة ويتوق اليها.

فما دام أمر الانسان هكذا، فلا معبود له ولا رب ولا مولى ولا منجأ ولا ملجأ إلا من بيده مقاليد السموات والارض وزمام الذرات والمجرات، وكل شئ تحت حكمه، طوع أمره.. فلا بد ان هذا الانسان بحاجة ماسة دائماً الى التوجه الى بارئه الجليل والتضرع اليه اقتداء بسيدنا يونس عليه السلام. فيقول:

(لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

#10
%

اللمعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (الانبياء:83)

هذه المناجاة اللطيفة التي نادى بها رائد الصابرين سيدنا أيوب عليه السلام مجربة، وذات مفعول مؤثر، فينبغي أن تقتبس من نور هذه الآية الكريمة ونقول في مناجاتنا: رب أني مسني الضر وانت أرحم الراحمين. وقصة سيدنا أيوب عليه السلام المشهورة، نلخصها بما يأتي:

أنه عليه السلام ظل صابراً رداً من الزمن يكابد ألم المرض العضال، حتى سرت القروح والجروح الى جسمه كله، ومع ذلك كان صابراً جلدأ يرجو ثوابه العظيم من العلي القدير. وحينما أصابت الديدان الناشئة من جروحه قلبه ولسانه اللذين هما محل ذكر الله وموضع معرفته، تضرع الى ربه الكريم بهذه المناجاة الرقيقة: (أني مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) خشية أن يصيب عبادته خلل، ولم يتضرع اليه طلباً للراحة قط، فاستجاب الله العلي القدير لتلك المناجاة الخالصة الزكية استجابة خارقة بما هو فوق المعتاد، وكشف عنه ضره واحسن اليه العافية التامة واسبع عليه ألطف رحمته العميمة.

#11

في هذه اللمعة خمس نكات.

النكته الاولى:

انه إزاء تلك الجروح الظاهرة التي أصابت سيدنا أيوب عليه السلام، توجد فينا أمراض باطنية وعلل روحية وأسقام قلبية، فنحن مصابون بكل هذا. فلو انقلبنا ظاهراً بباطن وباطناً بظاهر، لظهرنا مُثقلين بجروح وقروح بليغة، ولبدت فينا أمراض وعلل أكثر بكثير مما عند سيدنا أيوب عليه السلام، ذلك لأن:

كل ما تكسبه ايدينا من إثم، وكل ما يلج الى أذهاننا من شبهة، يشق جروحاً غائرة في قلوبنا، ويفجر قروحاً دامية في أرواحنا.. ثم إن جروح سيدنا أيوب عليه السلام كانت تهدد حياته الدنيا القصيرة بخطر، أما جروحنا المعنوية نحن فهي تهدد حياتنا الاخرية المديدة بخطر.. فنحن اذن محتاجون أشد الحاجة الى تلك المناجاة الايوبية الكريمة بأضعاف أضعاف حاجته عليه السلام اليها. وبخاصة أن الديدان المتولدة من جروحه عليه السلام مثلما أصابت قلبه ولسانه، فان الوسوس والشكوك - نعوذ بالله - المتولدة عندنا من جروحنا الناشئة من الآثام والذنوب تصيب باطن القلب الذي هو مستقر الايمان فتزعزع الايمان فيه، وتمس اللسان الذي هو مترجم الايمان فتسلبه لذة الذكر ومتعته الروحية، ولا تزال تنفره من ذكر الله حتى تسكته كلياً.

نعم، الاثم يتوغل في القلب ويمد جذوره في أعماقه، وما ينفك ينكت فيه نكتاً سوداء حتى يتمكن من اخراج نور الايمان منه، فيبقى مظلماً مقفراً، فيغلاظ ويقسو.

نعم، ان في كل إثم وخطيئة طريقاً مؤدياً الى الكفر، فإن لم يُمَح ذلك الاثم فوراً بالاستغفار يتحول الى دودة معنوية، بل الى حية معنوية تعض القلب وتؤذيه. ولنوضح ذلك بما يأتي:

مثلاً: إن الذي يرتكب سراً إثمياً يُنجَل منه، وعندما يستحي كثيراً من اطلاع الاخرين عليه، يثقل عليه وجود الملائكة والروحانيات، ويرغب في انكارهم بأمانة تافهة.

ومثلاً: ان الذي يقترف كبيرة تفضي الى عذاب جهنم. ان لم يتحصن تجاهها بالاستغفار، فما أن يسمع نذير جهنم وأهوالها يرغب من أعماقه في عدم وجودها، فيتولد لديه جرأة لإنكار جهنم من أمانة بسيطة أو شبهة تافهة.

#12

ومثلاً: إن الذي لا يقيم الفرائض ولا يؤدي وظيفة العبودية حق الاداء وهو يتألم من توبيخ أمره البسيط لتقاعسه عن واجب بسيط، فان تكاسله عن أداء الفرائض أزاء الاوامر المكررة الصادرة من الله العظيم، يورثه ضيقاً شديداً وظلمة قائمة في روحه، ويسوقه هذا الضيق الى الرغبة في ان يتفوه ويقول ضمناً: ليته لم يأمر بتلك العبادة! وتثير هذه الرغبة فيه الانكار، الذي يشم منه عداءً معنوياً تجاه ألوهيته سبحانه!، فاذا ماوردت شبهة تافهة الى القلب حول وجوده سبحانه، فانه يميل اليها كأنها دليل قاطع. فينفتح أمامه باب عظيم للهلاك والخسران المبين، ولكن لا يدرك هذا الشقي أنه قد جعل نفسه - بهذا الانكار - هدفاً لضيق معنوي ارهب

وأفطع بملايين المرات من ذلك الضيق الجزئي الذي كان يشعر به من تكاسله في العبادة، كمن يفتر من لسع البعوض الى عض الحية!!

فليُفهم في ضوء هذه الامثلة الثلاثة سر الآية الكريمة: (كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المطففين: 14) النكته الثانية:

مثلاً وضح في الكلمة السادسة والعشرين الخاصة بالقدر: أن الانسان ليس له حق الشكوى من البلاء والمرض بثلاثة وجوه:

الوجه الاول:

ان الله سبحانه يجعل ما ألبسه الانسان من لباس الوجود دليلاً على صنعته المبدعة، حيث خلقه على صورة نموذج موديل يفصل عليه لباس الوجود، يبدله ويقصه ويغيره مبيناً بهذا التصرف تجليات مختلفة لاسمائه الحسنى. فمثلاً يستدعي اسم الشافي المرض، فان اسم الرزاق ايضاً يقتضي الجوع. وهكذا فهو سبحانه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء.

الوجه الثاني:

أن الحياة تنصفى بالمصائب والبلايا، وتتركى بالامراض والنوائب، وتجذبها الكمال وتتقوى وتترقى وتسمو وتثمر وتنتج وتتكامل وتبلغ هدفها المراد لها، فتؤدي مهمتها الحياتية. أما الحياة الرتيبة التي تمضى على نسق واحد وتمر على فراش الراحة،

#13

فهي أقرب الى العدم الذي هو شر محض منه الى الوجود الذي هو خير محض. بل هي تفضي الى العدم. الوجه الثالث:

إن دار الدنيا هذه ما هي إلا ميدان اختبار وابتلاء، وهي دار عمل ومحل عبادة، وليست محل تمتع وتلذذ ولا مكان تسلم الاجرة ونيل الثواب.

فمادامت الدنيا دار عمل ومحل عبادة، فالامراض والمصائب عدا الدينية منها وبشرط الصبر عليها تكون ملائمة جداً مع ذلك العمل، بل منسجمة تماماً مع تلك العبادة، حيث أنها تمد العمل بقوة وتشد من أزر العبادة، فلا يجوز التشكي منها، بل يجب التحلي بالشكر لله بها، حيث أن تلك الامراض والنوائب تحوّل كل ساعة من حياة المصاب عبادة ليوم كامل.

نعم، ان العبادة قسمان:

قسم ايجابي وقسم سلبي..

فالقسم الاول معلوم لدى الجميع، أما القسم الاخر فان البلايا والضرر والامراض تجعل صاحبها يشعر بعجزه وضعفه، فيلتجئ الى ربه الرحيم، ويتوجه اليه ويلوذ به، فيؤدي بهذا عبادة خالصة. هذه العبادة خالصة زكية لا يدخل فيها الرياء قط. فإذا ماتجمل المصاب بالصبر وفكر في ثواب ضره عند الله وجميل أجره عنده، وشكر ربه عليها، تحولت عندئذ كل ساعة من ساعات عمره كأنها يوم من العبادة، فيغدو عمره القصير جداً مديداً طويلاً، بل تتحول - عند بعضهم - كل دقيقة من دقائق عمره بمثابة يوم من العبادة.. ولقد كنت أقلق كثيراً على ما أصاب أحد اخوتي في الآخرة وهو الحافظ احمد المهاجر¹ بمرض خطير، فخطر الى القلب ما يأتي: بشره، هنته، فان كل دقيقة من دقائق عمره تضي كأنها يوم من العبادة حقاً انه كان يشكر ربه الرحيم من ثنايا الصبر الجميل.

¹ المهاجر الحافظ احمد: هو احد اشراف التجار في بارلا ومن أوائل طلاب النور لازم الاستاذ النورسي طوال بقائه في بارلا . توفي سنة 1948م رحمة الله عليه. - المترجم.

#14

النكتة الثالثة:

مثلاً بينا في الكلمات السابقة أنه: اذا ما فكر كل انسان فيما مضى من حياته فسيرد الى قلبه ولسانه: وأسفاه، أو الحمد لله، أي إما أنه يتأسف ويتحسر ، أو يحمد ربه ويشكره. فالذي يقطر الاسف والاسى انما يكون بسبب الآلام المعنوية الناشئة من زوال اللذات السابقة وفراقها، ذلك لأن زوال اللذة ألم، بل قد تورث لذة زائلة طارئة آلاماً دائماً مستمرة، فالتفكر فيها يعصر ذلك الألم ويقطر منه الاسف والاسى ، بينما اللذة المعنوية والدائمة الناشئة من زوال الآلام المؤقتة التي قضاها المرء في حياته الفائتة، تجعل لسانه ذاكراً بالحمد والثناء لله تعالى.. هذه حالة فطرية يشعر بها كل انسان، فاذا ما فكر المصاب - علاوة على هذا - بما أدّخر له ربه الكريم من ثواب جميل وجزاء حسن في الآخرة وتأمل في تحول عمره القصير بالمصائب الى عمر مديد فانه لا يصبر على ما انتابه من ضر وحده، بل يرقى ايضاً الى مرتبة الشكر لله والرضا بقدره، فينطلق لسانه حامداً ربه وقائلاً: الحمد لله على كل حال سوى الكفر والضلال.

ولقد سار مثلاً عند الناس: ما اطول زمن النوائب!. نعم، هو كذلك ولكن ليس بالمعنى الذي في عرف الناس وظنهم من أنه طويل بما فيه من ضيق وألم، بل هو طويل مديد كالعمر الطويل بما يثمر من نتائج حياتية عظيمة.

النكتة الرابعة:

لقد بينا في المقام الاول للكلمة الحادية والعشرين:

ان الانسان إن لم يشئت ما وهبه البارئ سبحانه من قوة الصبر، ولم يبعثها في شعاب الاوهام والخاوف،

فان تلك القوة يمكن ان تكون كافية للثبات حيال كل مصيبة وبلاء، ولكن هيمنة الوهم وسيطرة الغفلة عليه والاعتزاز بالحياة الفانية كأنها دائماً.. يؤدي الى الفت من قوة صبره وتفريقها الى آلام الماضي ومخاوف المستقبل، فلا يكفيه ما أودعه الله من الصبر على تحمل البلاء النازل به والثبات دونه، فيبدأ ببث الشكوى حتى كأنه يشكو الله للناس، مبدياً من قلة الصبر ونفاده ما يشبه الجنون فضلاً عن أنه لا يحق له أن يجزع جزعه هذا ابداً؛ ذلك لان كل يوم من أيام الماضي -

#15

ان كان قد مضى بالبلاء - فقد ذهب عسره ومشقته وترك راحته، وقد زال تعبهُ وألمه وترك لذته، وقد ذهب ضنكه وضيقه وثبت أجره، فلا يجوز اذن الشكوى منه، بل ينبغي الشكر لله تعالى عليه بشوق ولهفة. ولا يجوز كذلك الامتناع من المصيبة والسخط عليها بل ينبغي ربط أو اصر الحب بها، لأن عمر الانسان الفاني الذي قد مضى يتحول عمراً سعيداً باقياً مديداً بما يعاني فيه من البلاء، فمن البلاهة والجنون أن يبدد الانسان قسماً من صبره ويهدره بالاهام والتفكر في البلايا التي مضت والآلام التي ولّت. أما الايام المقبلة، فحيث أنها لم تأت بعد ومجهولة مبهمة، فمن حماقة التفكير فيها من الآن والجزع عمّا يمكن أن يصيب الانسان فيها من مرض وبلاء. فكما أنه حماقة أن يأكل الانسان اليوم كثيراً من الخبز ويشرب كثيراً من الماء لما يمكن أن يصيبه من الجوع والعطش في الغد أو بعد غد، كذلك التألم والتضجر من الآن لما يمكن أن يتلى به في المستقبل من امراض ومصائب هي الآن في حكم العدم، واطهار الجزع نحوها دون أن يكون هناك مبرر واضطرار، هو بلاهة وحماقة الى حد تسلب العطف على صاحبها والاشفاق عليه. فوق أنه قد ظلم نفسه بنفسه.

الخلاصة:

ان الشكر مثلما يزيد النعمة، فالشكوى تزيد المصيبة وتسلب الترحم والاشفاق على صاحبها.

لقد ابتلى رجل صالح من مدينة أروم بمرض خطير وبيل، وذلك في السنة الاولى من الحرب العالمية الاولى، فذهبت الى عيادته وبث لي شكواه:

-- لم أذق طعم النوم منذ مائة يوم... تألمت لشكواه الالهية هذه، ولكن تذكرت حينها مباشرة وقلت:

- أخي! ان الايام المائة الماضية لكونها قد ولّت ومضت فهي الآن بمثابة مائة يوم مسرة مفرحة لك، فلا تفكر فيها ولا تشك منها، بل انظر اليها من زاوية زوالها وذهابها، واشكر ربك عليها. أما الايام المقبلة فلأنها لم تأت بعد، فتوكل على رحمة ربك الرحمن الرحيم واطمئن اليها. فلا تبتك قبل أن تضرب، ولا تخف من غير شئ، ولا تمنح العدم صبغة الوجود. اصرف تفكيرك في هذه الساعة بالذات، فان ماتملكه

#16

من قوة الصبر تكفي للثبات لهذه الساعة. ولا تكن مثل ذلك القائد الاحمق الذي شنت قوته في المركز يميناً

وشمالاً في الوقت الذي التحقت ميسرة العدو الى صفوف ميمنة جيشه فأمدتها، وفي الوقت الذي لم تك ميمنة العدو متهيأة للحرب بعد.. فما أن علم العدو منه هذا حتى سدد قوة ضئيلة في المركز وقضى على جيشه. فيا أخي! لاتكن كهذا، بل حشد كل قواك لهذه الساعة فقط، وترقب رحمة الله الواسعة، وتأمل في ثواب الآخرة، وتدبر في تحويل المرض لعمرك الفاني القصير الى عمر مديد باق، فقدّم الشكر الوافر المسر الى العلي القدير بدلا من هذه الشكوى المريرة.

انشرح ذلك الشخص المبارك من هذا الكلام وانبسطت أساريره حتى شرع بالقول: الحمد لله. لقد تضاعل ألمي كثيراً.

النكته الخامسة:

وهي ثلاث مسائل:

المسألة الاولى:

إن المصيبة التي تعدّ مصيبة حقاً والتي هي مضرّة فعلاً، هي التي تصيب الدين. فلا بد من الالتجاء الى الله سبحانه والانطراح بين يديه والتضرع اليه دون انقطاع. أما المصائب التي لاتمس الدين فهي في حقيقة الامر ليست بمصائب، لأن قسماً منها:

تنبيه رحماني! يبعثه الله سبحانه الى عبده ليوقظه من غفلته، بمثل تنبيه الراعي لشيائه عندما تتجاوز مرعاها، فيرميها بحجر، والشياخ بدورها تشعر أن راعيها ينيها بذلك الحجر ويحذرهما من أمر خطير مضر، فتعود الى مرعاها برضى واطمئنان. وهكذا النوائب الظاهرة فان الكثير منها تنبيه الهي، وايقاظ رحماني للانسان. أما القسم الآخر من المصائب فهو كفارة للذنوب.

وقسم آخر أيضاً من المصائب هو منحة إلهية لتطمين القلب وافراغ السكينة فيه، وذلك بدفع الغفلة التي تصيب الانسان، واشعاره بعجزه وفقره الكامينين في جبلته.

أما المصيبة التي تنتاب الانسان عند المرض - فكما ذكرنا آنفا - فهي ليست

#17

بمصيبة حقيقية، بل هي لطف رباني لانه تطهير للانسان من الذنوب وغسل له من أدران الخطايا، كما ورد في الحديث الصحيح:

(مامن مسلم يصيبه أذى الآحاث الله عنه خطاياها كما يحات ورق الشجر) ¹

وهكذا فان سيدنا ايوب عليه السلام لم يدع في مناجاته لاجل نفسه وتطميناً لراحته، وانما طلب كشف الضر من ربه عندما أصبح المرض مانعاً لذكر الله لساناً، وحائلاً للتفكر في ملكوت الله قلباً، فطلب الشفاء لأجل

القيام بوظائف العبودية خالصة كاملة. فيجب علينا نحن ايضاً أن نقصد - بتلك المناجاة - أول ما نقصد: شفاء جروحنا المعنوية وشروخنا الروحية القادمة من ارتكاب الآثام واقتراف الذنوب ولنا الالتجاء الى الله القدير عندما تحول الامراض المادية دون قيامنا بالعبادة كاملة، فننتصرع اليه عندئذ بكل ذل وخضوع ونستغيثه دون أن يبدر منا أي اعتراض أو شكوى، اذ مادمننا راضين كل الرضا بربوبيته الشاملة فعلينا الرضا والتسليم المطلق بما يمنحه سبحانه لنا بربوبيته.. أما الشكوى التي تومئ الى الاعتراض على قضائه وقدره، واظهار التأفف والتحسر، فهي أشبه ما يكون بنقد للقدر الإلهي العادل واتهام لرحمته الواسعة.. فمن ينقد القدر يصرعه ومن يتهم الرحمة يُحرم منها. اذ كما ان استعمال اليد المكسورة للثأر يزيد لها كسراً، فان مقابلة المبتلي مصيبتة بالشكوى والتضجر والاعتراض والقلق تضاعف البلاء.

المسألة الثانية:

كلما استعظمت المصائب المادية عظمت، وكلما استصغرت صغرت. فمثلاً: كلما اهتم الانسان بما يتراءى له من وهم ليلاً يُضخم ذلك في نظره، بينما اذا أهمله يتلاشى. وكلما تعرض الانسان لوكر الزناير ازداد هجومها واذا أهملها تفرقت.

فالمصائب المادية كذلك كلما تعاضمها الانسان واهتم بها وقلق عليها تسربت من الجسد نافذة في القلب ومستقرة فيه، وعندها تنامي مصيبة معنوية في القلب وتكون ركيزة للمادية منها فتستمر الاخيرة وتطول. ولكن متى ما أزال الانسان القلق والوهم

¹ رواه البخاري - كتاب المرضى والطب. - المترجم.

#18

من جذوره بالرضا بقضاء الله، وبالتوكل على رحمته تضحل المصيبة المادية تدريجياً وتذهب، كالشجرة التي تموت وتجف أوراقها بانقطاع جذورها.

ولقد عبّرت عن هذه الحقيقة يوماً بما يأتي:

ومن الشكوى بلاءٌ.

أنت يامسكينُ دعها وتوكلُ.

أنت ان تسلّم الى الوهاب نجواك وحدث.

فاذا الكلُّ عطاء.

واذا الكلُّ صفاء.

فبغير الله: دنياك متاهات وخوف!
أفيشكو من على كاهله يحمل كلّ الراسيات
حبة الرمل الضئيلة؟
انما الشكوى بلاءً في بلاء.
وأثام في أثام وعناء!
أنت ان تبسّم وفي وجه البلاء.
عادت الأرزاء تذوي وتذوب.
تحت شمس الحق حبات برد!
فاذا دنياك بسمة،
بسمة من ثغرها ينساب ينبوع اليقين.
بسمة نشوى باسراق اليقين.
بسمة حيرى باسرار اليقين.

نعم..! ان الانسان مثلاً يخفف حدة خصمه باستقباله بالبشر والابتسامه، فتتضاءل سورة العداوة وتنطفئ نار
الخصومة، بل قد تنقلب صداقة ومصالحة، كذلك الامر في استقبال البلاء بالتوكل على التقدير يذهب أثره.

¹ جاءت ترجمة هذه الفقرة بشئ من التصرف واصلها في "المكتوب السادس" - المترجم.

#19

المسألة الثالثة:

أن لكل زمان حكمه، وقد غير البلاء شكله في زمن الغفلة هذا، فلا يكون البلاء بلاء عند البعض دوماً، بل
إحساناً إلهياً ولطفاً منه سبحانه. وأرى المبتلين بالضر في هذا الوقت محظوظين سعداء بشرط ألا يمس دينهم،
فلا يولد المرض والبلاء عندي ما يجعلها مضرين في نظري حتى أعاديهما، ولا يورثانتي الاشفاق والتألم على
صاحبهما، ذلك ما أتاني شاب مريض الآ وأراه أكثر ارتباطاً من أمثاله بالدين، وأكثر تعلقاً منهم بالآخرة.. فأفهم
من هذا أن المرض بحق هؤلاء ليس بلاء، بل هو نعمة من نعمه سبحانه التي لاتعد ولا تحصى، حيث أن ذلك
المرض يمد صاحبه بمنافع غزيرة من حيث حياته الأخروية ويكون له ضرباً من العبادة، مع أنه يمس حياته الدنيا
الفانية الزائلة بشئ من المشقة.

نعم قد لا يستطيع هذا الشاب أن يحافظ على ما كان عليه في مرضه من الالتزام بالاوامر الإلهية فيما اذا وجد

العافية، بل قد ينجرف الى السفاهة بطيش الشباب ونزواته وبالسفاهة المستشرية في هذا الزمان.

خاتمة

ان الله سبحانه قد أدرج في الانسان عجزاً لاحد له، وفقراً لانهاية له، اظهاراً لقدرته المطلقة وابراراً لرحمته الواسعة. وقد خلقه على صورة معينة بحيث يتألم بما لا يحصى من الجهات، كما أنه يتلذذ بما لا يعد من الجهات، اظهاراً للنقوش الكثيرة لاسمائه الحسنى. فابدعه سبحانه على صورة ماكنة عجيبه تحوي مئات الالات والدواليب، لكل منها آلامها ولذائدها ومهمتها وثوابها جزاؤها، فكأن الاسماء الإلهية المتجلية في العالم الذي هو انسان كبير تتجلى اكثرها ايضاً في هذا الانسان الذي هو عالم أصغر، وكما أن ما فيه من أمور نافعة - كالصحة والعافية واللذائذ وغيرها - تدفعه الى الشكر وتسوق تلك الماكنة الى القيام بوظائفها من عدة جهات، حتى يغدو الانسان كأنه ماكنة شكر. كذلك الامر في المصائب والامراض والالام

#20

وسائر المؤثرات المهيجة والمحركة، تسوق الدواليب الاخرى لتلك الماكنة الى العمل والحركة وتثيرها من مكنها فنفسج كنوز العجز والضعف والفقر المندرجة في الماهية الانسانية. فلا تمنح المصائب الانسان الالتجاء الى البارئ بلسان واحد، بل تجعله يلتجئ اليه ويستغيثه بلسان كل عضو من أعضائه. وكأن الانسان بتلك المؤثرات والعلل والعقبات والعوارض يغدو قلماً يتضمن آلاف الاقلام، فيكتب مقدرات حياته في صحيفة حياته أو في اللوح المثالي، وينسج لوحة رائعة للاسماء الإلهية الحسنى، ويصبح بمثابة قصيدة عصماء ولوحة اعلان.. فيؤدي وظيفة فطرته.

#21

%

اللمعة الثالثة

لقد مازج هذه اللمعة شئ من الاذواق والمشاعر، فأرجو عدم تقييمها بموازين علم المنطق؛ لأن ما تجيش به المشاعر لايراعي كثيراً قواعد العقل ولايعير سمعا الى موازين الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (القصص: 88)

هذه الآية العظيمة تفسرها جملتان تعبران عن حقيقتين مهمتين بحيث اتخذهما قسم من شيوخ الطريقة النقشبندية بمثابة زبدة الاوراد لديهم، يؤدون بهما ختمهم الخاصة. والجملتان هما:
يا باقى انت الباقي. يا باقى انت الباقي.

ولما كانت هاتان الجملتان تنطويان على معان جليلة لتلك الآية الكريمة، فسندكر بضع نكات لبيان الحقيقتين

اللتين تعبران عنهما:

النكته الاولى:

ان ترديد ياباقي انت الباقي للمرة الاولى، يجرد القلب مما سوى الله تعالى، فيجرى ما يشبه عملية جراحية فيه، ويقطعه عما سواه سبحانه. وتوضيح هذا:

ان الانسان بما اودع الله فيه من ماهية جامعة يرتبط مع اغلب الموجودات بأواصر ووشائج شتى. ففي تلك الماهية الجامعة من الاستعداد غير المحدود للمحبة ما يجعله

#22

يكن حبا عميقاً تجاه الموجودات عامة، فيحب الدنيا العظيمة كما يحب بيته، ويحب الجنة الخالدة كما يحب حديقته. بينما الموجودات - التي وجه الانسان حبه نحوها - لاتدوم، بل لاتلبث أن تزول، لذا يذوق الانسان دائماً عذاب ألم الفراق. فتصبح تلك المحبة التي لامنتهى لها مبعث عذاب معنوي لامنتهى له، لتقصيره بحقها. فالآلام التي يتجرعها ناشئة من تقصيره هو، حيث لم يودع فيه استعداد المحبة إلا ليوجهه الى من له جمال خالد مطلق. بينما الانسان لم يُحسن استعمال محبته فوجهها الى موجودات فانية زائلة، فيذوق وبال أمره بالآلام الفراق.

فعندما يردد الانسان: ياباقي انت الباقي. يعني بها: البراءة الكاملة من هذا التقصير، وقطع العلاقات مع تلك المحبوبات الفانية، والتخلي عنها كلياً، قبل ان تتخلي هي عنه. ثم تسديد النظر في المحبوب الباقي وهو الله سبحانه دون سواه.

أي يقول بها: لاباقي بقاء حقيقياً إلا أنت يا إلهي. فما سواك فان زائل، والزائل غير جدير بالمحبة الباقية ولا العشق الدائم، ولابأن يشد معه أواصر قلب خلق اصلا للابد والخلود. وحيث ان الموجودات فانية وستتركني ذاهبة الى شأنها، فسأتركها أنا قبل ان تتركني، بترديدي: ياباقي انت الباقي اي: أو من وأعتقد يقينا انه لاباقي إلا أنت يا إلهي، وبقاء الموجودات موكول بإبقائك اياها، فلا يوجه اليها المحبة اذاً إلا من خلال نور محبتك، وضمن مرضاتك، وإلا فانها غير جديرة بربط القلب معها.

فهذه الحالة تجعل القلب يتخلي عن محبوبات كان يوليها محبة لاحدود لها، حيث يبصر ختم الفناء ويشاهد طابع الزوال على ما أضفي عليها من جمال وبهاء. فتقطع عندئذ تلك الوشائج التي كانت تربط القلب بالموجودات. وبخلاف هذا الامر اي ان لم يتخل القلب عن محبوباته فان جراحات وآلاماً وحسرات تتفجر من اعماقه بقدر تلك المحبوبات الفانية.

أما الجملة الثانية:

ياباقي انت الباقي فهي كالمهم الشافي والبلسم الناجع يمرر على العملية الجراحية التي أجرتها الجملة الاولى على

القلب وروابطه، حيث انها تعني: كفى بك ياإلهي باقياً. فبقاؤك بديل عن كلّ شيء.. وحيث انك موجود فكل شيء موجود اذاً.

#23

نعم! ان ما يبدو على الموجودات من الحسن والاحسان والكمال - والذي يبعث على محبتها - ما هو إلا اشارات لحسن الباقي الحقيقي واحسانه وكماله، وما هو إلا ظلال خافتة لذلك الحسن والاحسان والكمال نفذت من وراء حُجب كثيرة وأستار عدة، بل هو ظلال لظلال تجليات اسمائه الحسنى جل جلاله.
النكتة الثانية:

في فطرة الانسان عشق شديد نحو البقاء، حتى انه يتوهم نوعاً من البقاء في كل ما يجبه، بل لايجب شيئاً إلا بعد توهمه البقاء فيه، ولكن حالما يتفكر في زواله أو يشاهد فناءه يطلق عليه الزفريات والحسرات من الاعماق.
نعم! ان جميع الآهات والحسرات الناشئة من انواع الفراق، انما هي تعابير حزينة تنطلق من عشق البقاء. ولولا توهم البقاء لما أحب الانسان شيئاً.
بل يصح القول:

ان سبباً من اسباب وجود عالم البقاء والجنة الخالدة هو الرغبة الملحة للبقاء المغروزة في فطرة الانسان، والدعاء العام الشامل الذي يسأله بشدة للخلود.. فاستجاب الباقي ذو الجلال لتلك الرغبة الملحة ولذلك الدعاء العام المؤثر، فخلق سبحانه عالماً باقياً خالداً لهذا الانسان الفاني الزائل، اذ هل يمكن ألا يستجيب الفاطر الكريم والخالق الرحيم لدعاء تسأله البشرية قاطبة بلسان حالها ومقالها، ذلك الدعاء الكلي الدائم الحق والخالص النابع من صميم حاجتها الفطرية ومن اعماق رغبته الملحة، مع انه يستجيب دعاء معدة صغيرة، تسأله بلسان حالها، فيخلق لها أنواعا من الاطعمة اللذيذة ويشبع بها رغبته الجزئية للبقاء المؤقت؟ حاش لله وكلا.. الف الف مرة كلا. إنّ ردّ هذا الدعاء للخلود محال قطعاً، لأن عدم استجابته جل وعلا ينافي حكمته الخالدة وعدالته الكاملة ورحمته الواسعة وقدرته المطلقة.

وما دام الانسان عاشقاً للبقاء، فلا بد أن جميع كمالاته وأذواقه تابعة للبقاء ايضاً. ولما كان البقاء صفة خاصة للباقي ذي الجلال، وان اسماءه الحسنى باقية، وان المرايا العاكسة لتجليات تلك الأسماء تنصبع بصبغتها وتأخذ حكمها، أي تنال نوعاً من البقاء، فلا بد أن ألزم شيء لهذا الانسان وأجلّ وظيفة له هو شدّ الاواصر وربط

#24

العلاقات مع ذلك الباقي ذي الجلال والاعتصام التام بأسمائه الحسنى، لأن ما يُصرف في سبيل الباقي ينال نوعاً من البقاء.

هذه الحقيقة تعبر عنها الجملة الثانية:ياباقي انت الباقي فتضمّد جراحات الانسان المعنوية الغائرة، كما تطمئن

رغبته الملحة للبقاء المودعة في فطرته.

النكته الثالثة:

يتفاوت في هذه الدنيا تأثير الزمان في فناء الاشياء وزوالها تفاوتاً كبيراً. فع ان الموجودات مكثفة بعضها ببعض كالدوائر المتداخلة، إلا ان حكمها من حيث الزوال والفناء مختلف جدا.

فكما ان دوائر حركة عقارب الساعة العادة للثواني والدقائق والساعات تختلف في السرعة، رغم تشابهها الظاهري، كذلك الامر في الانسان، حيث ان حكم الزمن متفاوت في دائرة جسمه، ودائرة نفسه، ودائرة قلبه، ودائرة روجه. فبينما ترى حياة الجسم وبقائه ووجوده محصورة في اليوم الذي يعيش فيه او في ساعته، وينعدم امامه الماضي والمستقبل، اذا بك ترى دائرة حياة قلبه وميدان وجوده يتسع ويتسع حتى يضم اياما عدة قبل حاضره واياما بعده، بل ان دائرة حياة الروح وميدانها اعظم واوسع بكثير حيث تسع سنين قبل يومها الحاضر وسنين بعده.

وهكذا، بناءً على هذا الاستعداد، فان عمر الانسان الفاني يتضمن عمراً باقياً من حيث حياته القلبية والروحية اللتان تحييان بالمعرفة الالهية والمحبة الربانية والعبودية السبحانية والمرضيات الرحمانية، بل ينتج هذا العمر الباقي الخالد في دار الخلود والبقاء، فيكون هذا العمر الفاني بمثابة عمر ابدى.

اجل! ان ثانية واحدة يقضيها الانسان في سبيل الله الباقي الحق، وفي سبيل محبته، وفي سبيل معرفته وابتغاء مرضاته، تعد سنة كاملة. بل هي باقية دائمة لايعتريها الفناء. بينما سنة من العمر ان لم تكن مصروفة في سبيله سبحانه فهي زائلة حتماً، وهي في حكم لحظة خاطفة، ففهما تطل حياة الغافلين فهي بمثابة لحظات عابرة لاتجاوز ثانية واحدة.

وهناك قول مشهور يدل على هذه الحقيقة:

#25

سنة الفراق سنة وسنة الوصال سنة.

أي ان ثانية واحدة من الفراق طويلة جداً كأنها سنة واحدة، بينما سنة كاملة من الوصال تبدو قصيرة كالثانية الواحدة.

بيد اني أخالف هذا القول المشهور فأقول: ان ثانية واحدة يقضيها الانسان ضمن مرضاة الله سبحانه وفي سبيل الباقي ذي الجلال ولوجهه الكريم. اي ثانية واحدة من هذا الوصال ليست كسنة وحدها، بل كنافذة مطلة على حياة دائمة باقية. أما الفراق النابع من نظر الغفلة والضلالة فلا يجعل السنة الواحدة كالثانية، بل يجعل الوف السنين كأنها ثانية واحدة.

وهناك مثل آخر أكثر شهرة من السابق يؤيد ما نقرره وهو:

أرض الفلاة مع الاعداء فنجان سمّ الخياط مع الاحباب ميدان

أما اذا اردنا ان نبين وجهها صحيحا للمثل السابق فسيكون كالآتي:

ان وصال الموجودات الفانية قصير جداً لأنه فان، فهما طال فهو يمضي في لحظة، ويغدو خيالاً ذا حسرة، ورؤيا عابرة تورث الأسى. فالقلب الانساني التواق للبقاء لا يستمتع من سنة من هذا الوصال الا بمقدار ما في الثانية الواحدة من لذة. بينما الفراق طويل وميدانه واسع فسيح، فثانية واحدة منه تستجمع الوانا من الفراق ما يستغرق سنة كاملة، بل سنين. فالقلب المشتاق الى الخلود يتأذى من فراق يمضي في ثانية واحدة، كأنه ينسحق تحت آلام فراق سنين عدة، حيث يذكره ذلك الفراق بما لا يعد من انواع الفراق. وهكذا فماضي جميع اشكال المحبة المادية والهابطة ومستقبلها ملئ بالوان من الفراق. وللمناسبة نقول:

أيها الناس! أتريدون تحويل عمركم القصير الفاني الى عمر باق طويل مديد، بل مثمر بالمغانم والمنافع؟ فما دام الجواب: ان نعم! وهو مقتضى الانسانية، فاصرفوا اذن عمركم في سبيل الباقي، لأن ايما شئ يتوجه الى الباقي ينل تجلياً من تجلياته الباقية.

#26

ولما كان كل انسان يطلب بالحاح عمراً طويلاً وهو مشتاق الى البقاء، وثمة وسيلة أمامه لتحويل هذا العمر الفاني الى عمر باق، بل يمكن تبديله الى عمرٍ طويل معنى، فلا بد أنه - ان لم تسقط انسانيته - سيبحث عن تلك الوسيلة وينقب عنها، ولا بد أنه سيسعى حثيثاً لتحويل ذلك الممكن الى فعل ملموس، ولا بد انه سيصبو الى ذلك الهدف بأعماله وحركاته كافة. فدونكم الوسيلة:

اعملوا لله، التقوا لوجه الله، اسعوا لأجل الله. ولتكن حركاتكم كلها ضمن مرضاة الله (لله، لوجه الله، لأجل الله) وعندها ترون ان دقائق عمركم القصير قد اصبحت بحكم سنين عدة. تشير الى هذه الحقيقة ليلة القدر فمع انها ليلة واحدة إلا انها خير من الف شهر - بنص القران الكريم - أي في حكم ثمانين ونيف من السنين.

وهناك اشارة أخرى الى الحقيقة نفسها، وهي القاعدة المقررة لدى اهل الولاية والحقيقة، تلك هي: بسط الزمان الذي يثبته ويظهره فعلاً المعراج النبوي، فقد انبسطت فيه دقائق معدودة الى سنين عدة، فكانت لساعات المعراج من السعة والاحاطة والطول ما لألوف السنين، اذ دخل صلى الله عليه وسلم بالمعراج الى عالم البقاء،

فدقائق معدودة من عالم البقاء تضم ألوفا من سني هذه الدنيا.

ومما يثبت حقيقة بسط الزمان هذا ما وقع من حوادث غزيرة للاولياء الصالحين، فقد كان بعضهم يؤدي في دقيقة واحدة ما ينجز من الاعمال في يوم كامل. وبعضهم انجزوا في ساعة واحدة من المهمات ما ينجز في سنة كاملة وبعضهم ختموا القرآن في دقيقة.

وهكذا فهذه الروايات عنهم وامثالها لا ترقى اليها الشبهات لأن الرواة صادقون صالحون يترفعون عن الكذب، فضلا عن أن الحوادث متواترة وكثيرة جدا ويروونها

#27

رواية شهود. فلا شك فيها. فبسط الزمان حقيقة ثابتة.¹ وهناك نوع منه يصدقه كل الناس، وهو ما يراه الانسان من رؤيا في المنام، اذ قد يرى رؤيا لا تستغرق دقيقة واحدة، بينما يقضي فيها من الاحوال ويتكلم من الكلام ويستمتع من اللذائذ ويتألم من العذاب ما يحتاج الى يوم كامل في اليقظة وربما الى ايام عدة. حاصل الكلام:

مع ان الانسان فان الأ أنه مخلوق للبقاء. خلقه الباري الكريم بمثابة مرآة عاكسة لتجلياته الباقية، وكلفه بالقيام بمهمات ثمر ثمارا باقية، وصوره على أحسن صورة حتى اصبحت صورته مدار نقوش تجليات اسمائه الحسنى الباقية، لذا فسعادة هذا الانسان ووظيفته الاساس انما هي: التوجه الى ذلك الباقي بكامل جهوده وجوارحه وبجميع استعداداته الفطرية، سائراً قدماً في سبيل مرضاته، متمسكا بأسمائه الحسنى، مردداً بجميع لطائفه - من قلب وروح وعقل - ما يردده لسانه: يا باقى انت الباقي:

هو الباقي، هو الازلي الأبدى، هو السرمدى، هو الدائم، هو المطلوب، هو المحبوب، هو المقصود، هو المعبود.

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)

¹ قال تعالى: (قال قائلٌ منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) (الكهف:19).

(ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) (الكهف: 25)

فهاتان الآيتان الكریمتان تدلان على "طي الزمان" كما ان الآية الآتية تدل على "بسط الزمان":

(وانّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) (الحج:47). - المؤلف.

#28

%

اللمعة الرابعة

(لقد ارتوى ان يطلق على هذه الرسالة اسم منهاج السنة)

ان مسألة الامامة مع كونها مسألة فرعية الا أن كثرة الاهتمام بها جعلتها تدخل ضمن مباحث الايمان في كتب علم الكلام واصول الدين وغدت من هذه الجهة ذات علاقة بخدمتنا الاساسية، خدمة القرآن والايمان، وقد بحثت بحثاً جزئياً.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ — فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) (التوبة: 128-129)
(قل لا أسئلكم عليه أجراً الا المودة في القربى) (الشورى: 23)

سنشير الى جملة من الحقائق العظيمة التي تزخر بها هذه الآيات الجليلة، وذلك ضمن مقامين اثنين.

#29

المقام الاول

عبارة عن أربع نكات

النكته الاولى:

وهي تعبر عن كمال رافة الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم وغاية رحمته على أمته.

نعم، لقد وردت روايات صحيحة تبين مدى رأفته الكاملة وشفقته التامة على أمته، بانه صلى الله عليه وسلم يدعو يوم الحشر الأعظم بـ: (أمّتي أمّتي) ¹ في الوقت الذي يدعو كل أحد، بل حتى الأنبياء عليهم السلام بنفسه نفسي من هول ذلك اليوم ورهبته. فكما تبين هذه الروايات عظيم شفقته على أمته فقد سمعت والدته منه عند ولادته انه يناجي: أمّتي أمّتي كما هو مصدق لدى اهل الكشف من الاولياء الصالحين. وكذا ان سيرته العطرة كلها، وما نشره في الآفاق من مكارم الاخلاق المكملّة بالشفقة والرحمة، تبين كمال رأفته وشفقته، كما انه أظهر عظيم شفقته على أمته باظهار حاجته التي لاتحد الى صلوات أمته عليه تلك الصلوات التي تبين مدى علاقته الرؤوفة بجميع سعادات امته.

ففي ضوء هذه الرافة الشاملة وهذه الرحمة الواسعة لهذا المرشد الروؤف الرحيم صلى الله عليه وسلم؛ كم يكون الإعراض عن سنته السنية كفراناً عظيماً بل موتاً للوجدان! قس ذلك بنفسك وقدر.

النكته الثانية:

ان الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم قد أبدى رأفة عظيمة تجاه أمور ومواد جزئية خاصة، ضمن مهمته النبوية العامة الشاملة. فيبدو ان صرف تلك الشفقة العظيمة والرأفة الواسعة الى تلك الامور الجزئية والمواد الخاصة لايناسب - في ظاهر الأمر - عِظَم وظيفة النبوة ولايلائمها. ولكن الواقع والحقيقة ان تلك المادة الجزئية والأمر الخاص يمثل طرف سلسلة تتولى في المستقبل مهمة نبوية كلية؛ لذا أعطي لمثلها تلك الاهمية البالغة.

1 جزء من حديث الشفاعة الطويل، ذكر الاستاذ المؤلف جزء منه بمعناه. والحديث بطوله أخرجه البخاري برقم 3340 و3361 و4712 ومسلم برقم 194 والترمذي برقم 2551 "تحفة" وقال: هذا حديث حسن صحيح، كلهم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه باختلاف في السياق.

#30

مثال ذلك: ان اظهار الرسول صلى الله عليه وسلم شفقة فائقة وأهمية بالغة للحسن والحسين رضي الله عنهما في صباحهما، ليست هي شفقة فطرية ومحبة نابعة من الاحساس بصلة القربى وحدها، بل نابعة ايضاً من انهما بداية سلسلة نورانية تتولى مهمة من مهمات النبوة العظيمة، وأن كلاً منهما منشأ جماعة عظيمة من وارثي النبوة، وممثل عنها وقدوة لها.

نعم! ان حمل الرسول صلى الله عليه وسلم الحسن رضي الله عنه في حضنه وتقبيله رأسه بكمال الشفقة والرحمة هو لأجل الكثيرين من ورثة النبوة الشبهيين بالمهدي الحاملين للشريعة الغراء المتسلسلين من سلالة الحسن المنحدرين من نسله النوراني المبارك أمثال الشيخ الكيلاني. ¹ فلقد شاهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ببصيرة النبوة ما يضطلع به هؤلاء الاكارم في المستقبل من مهام مقدسة جلية، فاستحسن خدماتهم وقدر اعمالهم، فقَبَّل راس الحسن رضي الله عنه علامة على التقدير والحث. ثم ان الاهتمام العظيم الذي أولاه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالحسين رضي الله عنه وعطفه الشديد نحوه انما هو للذين يتسلسلون من نسله النوراني من أئمة عظام وارثي النبوة الحقيقيين الشبهيين بالمهدي من امثال زين العابدين وجعفر الصادق.

نعم، فقد قبَّل صلى الله عليه وسلم عنق الحسين رضي الله عنه، واظهر له بالغ شفقتة وكمال اهتمامه لاجل اولئك الذين سيرفعون شأن الاسلام ويؤدون وظيفة الرسالة من بعده.

نعم، ان نظر الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يشاهد بقلبه الانيس بالغيب ميدان الحشر الممتد في الأبدية وهو مازال في الدنيا، في خير القرون، والذي يرى الجنة في السموات العلى وينظر الى الملائكة هناك وهو في الارض.. والذي يرى الاحداث المستترة بحجب الماضي المظلمة منذ زمن سيدنا آدم عليه السلام، بل حظى برؤيته تعالى.. ان هذا النظر النوراني والبصيرة النافذة للمستقبل، لا ريب أنه قد رأى الاقطاب العظام وأئمة

ورثة النبوة والمهدين المتسلسلين وراء الحسن والحسين، فقبل رأسيهما باسم أولئك جميعاً. نعم، ان في تقبيله صلى الله عليه وسلم رأس الحسن رضي الله عنه حصّة عظيمة للشيخ الكيلاني.

¹ الشيخ عبد القادر: ابن ابي صالح ابو محمد الجيلي: ولد سنة 470 هـ، ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على ابي سعيد المخرمي الحنبلي، كان من سادات المشايخ. من مصنفاته.. كتاب الغنية وفتوح الغيب والفتح الرباني، توفي وله تسعون سنة ودفن بالمدرسة التي كانت له سنة 561 هـ. البداية والنهاية 12/ 252 كشف الظنون 1211 ، 1240 الطبقات الكبرى 1/ 126 الاعلام للزركلي 4/ 47 .

#31

النكته الثالثة:

ان معنى قوله تعالى (الآ المودّة في القُربى) - على قول - هو: أن الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم لدى قيامه بمهمة الرسالة لايسأل أجراً من أحد، إلا محبة آل بيته فحسب.

واذا قيل:

إن أجراً من حيث قرابة النسل قد أخذ بنظر الاعتبار حسب هذا المعنى بينا الآية الكريمة: (ان أكرمكم عند الله اتقاكم) (الحجرات:13) تدل على ان وظيفة الرسالة تستمر من حيث التقرب الى الله بالتقوى لامن حيث قرابة النسل.

الجواب: ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد شاهد بنظر النبوة الأنيس بالغيث: أن آل بيته سيكونون بمثابة شجرة نورانية عظيمة تمتد اغصانها وفروعها في العالم الاسلامي، فالذين يرشدون مختلف طبقات العالم الاسلامي الى الهدى والخير، ويكونون نماذج شاخصة للكلمات الانسانية جمعاء، سيظهرون بأكثرتهم المطلقة من آل البيت.

وقد كشف عن قبول دعاء امته بحق آل البيت الوارد في التشهد وهو اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين، انك حميد مجيد. أي: كما ان معظم المرشدين الهادين النورانيين من ملة ابراهيم - عليه السلام - هم أنبياء من نسله وآله، كذلك رأى صلى الله عليه وسلم ان اقطاب آل بيته يكونون كأنبياء بني اسرائيل في الامة المحمدية يؤدون وظيفة خدمة الاسلام العظيمة في شتى طرقها ومسالكها. ولاجل هذا؛ أمر صلى الله عليه وسلم ان يقول: (قُل لا اسئلكم عليه أجراً إلا المودّة في القُربى) وطلب مودّة أمته لآل بيته. والذي يؤيد هذه الحقيقة هو ما جاء في روايات أخرى انه صلى الله عليه وسلم قال: (ياايها الناس اني قد تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي) ¹ ذلك لان آل البيت هم منبع السنة الشريفة والمحافظون عليها والمكلفون أولاً بالالتزام بها.

وهكذا وضحت حقيقة هذا الحديث بناء على ما ذكر آنفاً، أي: بالاتباع التام للكتاب والسنة الشريفة. أي: ان المراد من آل البيت من حيث وظيفة الرسالة هو إتباع السنة النبوية، فالذي يدع السنة الشريفة لا يكون من آل البيت حقيقة كما لا يمكن ان يكون مالياً حقيقياً لآل البيت.

1 حديث صحيح: أخرجه الترمذي برقم 3786 والطبراني في الكبير 2680، وللحديث شواهد كثيرة انظر الاحاديث الصحيحة رقم 1761.

#32

ثم ان الحكمة في ارادته صلى الله عليه وسلم في جمع الأمة حول آل البيت هي: ان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد علم باذن إلهي ان آل البيت سيكثر نسلهم بمرور الزمن بينما الاسلام سيؤول الى الضعف. فيلزم والحالة هذه وجود جماعة مترابطة متساندة في منتهى القوة والكثرة لتكون مركزاً ومحوراً لرفي العالم الاسلامي المعنوي. وقد علم صلى الله عليه وسلم بهذا ياذن إلهي فرعّب في جمع أمنته حول آل بيته.

نعم ان افراد آل البيت وان لم يكونوا سابقين ومتقدمين على غيرهم في الايمان والاعتقاد الا انهم يسبقونهم كثيراً في التسليم والالتزام والولاء للاسلام، لانهم يوالون الاسلام فطرة وطبعاً ونسلاً. فالموالاتة الطبيعية لا تترك ولو كانت في ضعف وعدم شهرة أو حتى على باطل، فكيف بالموالاتة الحقيقية ارتبطت بها سلسلة أجداده الذين ضحوا بأرواحهم رخيصة في سبيلها فنالوا الشرف بها، فتلك الحقيقة هي في منتهى القوة وذروة الشرف وعلى الحق المبين، أفستطيع من يشعر بداهة بمدى اصالة هذه الموالاتة الفطرية ان يتركها؟

فأهل البيت بهذا الالتزام الشديد للاسلام وهو التزام فطري يرون الأمانة البسيطة بجانب الاسلام برهاناً قوياً لانهم يوالون الاسلام فطرة بينما غيرهم لا يلتزم الا بعد اقتناعه بالبرهان القوي.

النكتة الرابعة:

لمناسبة النكتة الثالثة نشير اشارة قصيرة الى مسألة ضُخِّمت الى درجة كبيرة بحيث دخلت كتب العقائد وتسلسلت مع أسس الايمان، تلك هي مسألة النزاع بين أهل السنة والشيعة. والمسألة هي:

ان أهل السنة والجماعة يقولون: ان سيدنا علياً رضي الله عنه هو رابع الخلفاء الراشدين، وان ابا بكر الصديق رضي الله عنه هو أفضل منه وأحق بالخلافة، فتسلم الخلافة اولاً.

والشيعة يقولون: ان حق الخلافة كان لعلي رضي الله عنه الا أنه ظلم، وعلي رضي الله عنه أفضل من الكل. وخلاصة ما يوردونه من أدلة لدعواهم هي انهم يقولون: ان ورود أحاديث شريفة كثيرة في فضائل سيدنا علي رضي الله عنه، وكونه مرجعاً للاكثرية المطلقة من الاولياء

#33

والطرق الصوفية، حتى لُقّب بسلطان الاولياء، مع ما يتصف به من صفات فائقة في العلم والشجاعة والعبادة، فضلاً عن العلاقة القوية التي يظهرها الرسول صلى الله عليه وسلم به وبآل البيت الذين يأتون من نسله.. كل ذلك يدلّ على أنه الافضل. فالخلافة كانت من حقه ولكن اغتصبت منه.

الجواب: ان إقرار سيدنا علي نفسه مراراً وتكراراً، واتباعه الخلفاء الثلاثة وتولييه وظيفة شيخ القضاة، وكونه من اهل الحل والعقد طوال عشرين سنة وأكثر.. كل ذلك يجرّح دعوى الشيعة.

ثم ان الفتوحات الاسلامية وجهاد الاعداء زمن الخلفاء الثلاثة، بخلاف ما حدث زمن خلافة علي رضي الله عنه من حوادث وفتن، تجرح أيضاً دعوى الشيعة من جهة الخلافة.

أي ان دعوى أهل السنة والجماعة حق.

فان قيل:

ان الشيعة قسمان: أحدهما: شيعة الولاية. والآخر: شيعة الخلافة.

فليكن هذا القسم الثاني غير محق باختلاط السياسة والاعراض في دعاوهم، ولكن لا اغراض ولا اطماع سياسية في القسم الاول. فضلاً عن ذلك فقد التحقت شيعة الولاية بشيعة الخلافة. أي ان قسماً من الاولياء في الطرق الصوفية يرون ان سيدنا علياً رضي الله عنه هو الافضل، فيصدّقون دعوى شيعة الخلافة الذين هم بجانب السياسة.

الجواب: انه ينبغي النظر الى سيدنا علي رضي الله عنه من زاويتين أو من جهتين:

الجهة الاولى: النظر اليه من زاوية فضائله الشخصية ومقامه الشخصي الرفيع.

الجهة الثانية: هي من زاوية تمثيله الشخص المعنوي لآل البيت. والشخص المعنوي لآل البيت يعكس نوعاً من ماهية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

فباعتبار الجهة الاولى: ان جميع اهل الحقيقة وفي مقدمتهم سيدنا علي يقدمون سيدنا ابابكر وعمر رضي الله عنهما، فقد رأوا مقامهما أكثر رفعة في خدمة الاسلام والقرب الإلهي.

#34

ومن حيث الجهة الثانية اي كون سيدنا علي رضي الله عنه ممثلاً عن الشخص المعنوي لآل البيت.¹ فالشخص المعنوي لآل البيت من حيث كونه ممثلاً للحقيقة المحمدية، لا يرقى اليه شئ بالموازنة. وكثرة الاحاديث النبوية الواردة في الثناء على سيدنا علي رضي الله عنه وبيان فضائله هي لأجل هذه الجهة الثانية. ومما يؤيد هذه الحقيقة رواية صحيحة بهذا المعنى: (ان نسل كل نبي منه، وانا نسلي من علي)²

اما سبب كثرة انتشار الاحاديث بحق شخصية سيدنا علي رضي الله عنه والثناء عليه أكثر من سائر الخلفاء

الراشدين فهو: ان أهل السنة والجماعة وهم أهل الحق، قد نشروا الروايات الواردة بحق سيدنا علي رضي الله عنه تجاه هجوم الأمويين والخوارج عليه وتنقيصهم من شأنه ظلماً. بينما الخلفاء الراشدون الآخرون لم يكونوا عرضة الى هذه الدرجة من النقد والجرح، لذا لم يروا داعياً لنشر الاحاديث الذاكرة لفضائلهم.

ثم انه صلى الله عليه وسلم قد رأى بنظر النبوة ان سيدنا علياً رضي الله عنه سيتعرض الى حوادث أليمة وفتن داخلية، فسلاًه، وأرشد الأمة باحاديث شريفة من امثال: (من كنت مولاه فعلي مولاه)³ وذلك ليتخذ سيدنا علياً من اليأس وينجي الأمة من سوء الظن به.

ان المحبة المفرطة التي يوليها شيعة الولاية لسيدنا علي رضي الله عنه وتفضيلهم له من جهة الطريقة لا يجعلهم مسؤولين بمثل مسؤولية شيعة الخلافة، لأن اهل الولاية

¹ ذكر ابن الجوزي في كتاب مناقب الامام احمد بن حنبل ص 163 حول التفضيل ما يأتي:

قال عبد الله بن احمد بن حنبل: حدث ابي بحدِيث سفينة، فقلت ياأبتي ماتقول في التفضيل ؟ قال: في الخلافة ابو بكر وعمر وعثمان. فقلت: فعلي بن ابي طالب ؟ قال: يا بني علي بن ابي طالب من اهل البيت لا يقاس بهم أحد. - المترجم.
² والحديث نصّه: ان الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب (اخرجه الطبراني برقم 2630 عن جابر رضي الله عنه، وفي سنده يحيى بن العلاء كذاب. وساق الذهبي هذا الحديث في ترجمته (الميزان 398/4) وقال الهيثمي في المجمع (333/10) فيه يحيى بن العلاء وهو متروك. والحديث اخرجه الخطيب في التاريخ من حديث ابن عباس رضي الله عنه، قال ابن الجوزي: حديث لا يصح فيه المرزبان قال ابن الكاتب كذاب ومن فوّه الى المنصور ما بين مجهول وغير موثوق به أه، وفي الميزان (586/2) قال الذهبي في ترجمته عبد الرحمن بن محمد الحاسب: لا يُدرى من ذا، وخبره كذب روى الخطيب... الخ، ثم ساق الحديث. وانظر فيض القدير 223/2 - 224 وضعيف الجامع الصغير برقم 1589.

³ حديث صحيح: اخرجه احمد 368/4 و 370 و 382 والترمذي برقم 3797 واحمد في فضائل الصحابة برقم 959 و 1007 و 1021 و 1048 و 1167 و 1206 وللحديث شواهد عن عشرة من الصحابة رضي الله عنهم انظر تفصيل ذلك في الاحاديث الصحيحة برقم 1750 وقال ابن حجر وهذا حديث كثير الطرق جداً استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد منها صحاح ومنها حسان انظر الفيض 218/6، ومع كون الحديث يبلغ حدّ التواتر فقد ضعفه ابن حزم وابن تيمية رحمهما الله تعالى.

#35

ينظرون نظر المحبة الى مرشديهم حسب مسلكتهم. ومن شأن المحب؛ الغلو والافراط والرغبة في أن يرى محبوبه أعلى من مقامه. فهم يرون الأمر هكذا فعلاً.

فأهل الأحوال القلبية يمكن ان يُعذروا اثناء غليان المحبة لديهم وغلبتها عليهم، ولكن بشرط ألا يتعدى تفضيلهم

الناشئ من المحبة الى ذم الخلفاء الراشدين وعداوتهم، وألاً يخرج عن نطاق الاصول الاسلامية.

اما شيعة الخلافة فنظراً لدخول الاغراض السياسية فيها، فلا يمكنهم أن ينجوا من العدا والاعراض الشخصية، فيفقدون حق الاعتذار لهم، ويُجرمون منه. حتى انهم يظهرون انتقامهم من عمر في صورة حب علي وذلك لان القومية الايرانية قد جُرحت بيد سيدنا عمر رضي الله عنه. حتى اصبحوا مصداق القول: لا لب علي بل لبغض عمر. وان خروج عمرو بن العاص على سيدنا علي رضي الله عنه وقتال عمر بن سعد سيدنا الحسين رضي الله عنه في المعركة الفجيعة المؤلمة، كل ذلك أورث الشيعة غيظاً شديداً وعداءً مفرطاً لإسم عمر.

أما شيعة الولاية فليس لهم حق انتقاد أهل السنة والجماعة. لان اهل السنة كما لا يُنقصون من شأن سيدنا علي رضي الله عنه فهم يحبونه حباً خالصاً جاداً، ولكنهم يحترزون من الافراط في الحب الوارد ضرره وخطره في الحديث الشريف.

اما الثناء النبوي لشيعة علي رضي الله عنه كما ورد في احاديث نبوية فانما يعود الى أهل السنة والجماعة لانهم هم المتبعون لسيدنا علي رضي الله عنه على وفق الاستقامة، لذا فهم شيعة سيدنا علي رضي الله عنه. وقد جاء في حديث صحيح صراحة: ان خطورة الغلو في محبة سيدنا علي رضي الله عنه كخطورة الغلو في محبة سيدنا عيسى عليه السلام على النصارى.¹

فان قالت شيعة الولاية: انه بعد قبول فضائل خارقة لسيدنا علي رضي الله عنه لا يمكن قبول تفضيل سيدنا الصديق رضي الله عنه عليه.

¹ ونصه: عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا علي فيك مثل من عيسى ابغضته اليهود حتى بهتوا أمه واحبته النصارى حتى أنزلوه المنزل الذي ليس له" وقال علي: "يهلك فيّ رجلان مفرط في حبي ومفرط في بغضي". أخرجه عبدالله في زيادات المسند (160/1) والنسائي في الخصائص (27) وابن الجوزي في العلل المتناهية 223/1 والبخاري في التاريخ 257/1/2 واحمد في فضائل الصحابة برقم 1087 و1221 و1222 واسناده ضعيف من اجل الحكم بن عبدالمك القشحي انظر ترجمته في الميزان 577/1 والتهذيب 431/2. وقال الحاكم في المستدرک صحيح الاسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقول: "الحكم وهاه ابن معين" اهـ. والحديث اورده الهيثمي في المجمع 133/9 وقال رواه عبدالله والبزار باختصار وابو يعلى أتم منه وفي اسناد عبدالله واي يعلى الحكم بن عبدالمك وهو ضعيف وفي اسناد البزار محمد بن كثير القرشي وهو ضعيف اهـ.

#36

الجواب: اذا ما وضع في كفة ميزان الفضائل الشخصية لسيدنا ابي بكر رضي الله عنه أو فضائل سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه، وما قام كل منهما من خدمات جليلة من حيث وراثته النبوة زمن خلافتها، ووضع

في الكفة الاخرى المزايا الخارقة لسيدنا علي رضي الله عنه ومجاهدات الخلافة في زمانه وما اضطر اليه من معارك داخلية دامية أليمة وما تعرض له بهذا من سوء الظن، فلا ريب ان كفة سيدنا الصديق رضي الله عنه او كفة سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه أو كفة سيدنا ذي النورين رضي الله عنه هي التي تكون راجحة. وهذا الرجحان هو الذي شاهده اهل السنة والجماعة، وبنوا تفضيلهم عليه.

ثم ان رتبة النبوة اسمى وارفح بكثير من درجة الولاية بحيث ان جلوة بوزن درهم من النبوة تفضل رطلاً من جلوة الولاية، كما اثبتناه في الكلمة الثانية عشرة والكلمة الرابعة والعشرين من الكلمات، فمن زاوية النظر هذه؛ فإن حصة كل من الصديق والفاروق رضي الله عنهما من حيث وراثة النبوة وتأسيس احكام الرسالة قد زيدت من الجانب الإلهي، فالتوفيق الذي حالهما في زمن خلافتها قد صار دليلاً لدى اهل السنة والجماعة. وحيث ان فضائل سيدنا علي الشخصية لا تسقط من حكم تلك الحصة الزائدة الكثيرة الآتية من وراثة النبوة، فقد اصبح سيدنا علي رضي الله عنه شيخ القضاة للشيخين المكرمين زمن خلافتها، وكان في طاعتها.

ان أهل الحق، اهل السنة والجماعة الذين يحبون سيدنا علياً رضي الله عنه ويوقرونه، كيف لا يحبون من كان سيدنا علي رضي الله عنه نفسه يحبها ويجلها؟

لنوضح هذه الحقيقة بمثال: رجل ثري جداً وزع ميراثه وامواله الطائلة على اولاده. فأعطى لاحدهم عشرين رطلاً من الفضة واربعة ارطال من الذهب، واعطى لآخر خمسة ارطال من الفضة وخمسة ارطال من الذهب، واعطى لآخر ثلاثة ارطال من الفضة وخمسة ارطال من الذهب، فلا شك ان الاخيرين رغم انهما قد قبضا أقل من الأول كمية الا انهما قبضا أعلى منه نوعيةً.

وهكذا في ضوء هذا المثال، ان الزيادة القليلة في حصة الشيخين من ذهب حقيقة الأقرية الإلهية المتجلية من وراثة النبوة وتأسيس احكام الرسالة ترجح على الكثير من

#37

الفضائل الشخصية وجواهر الولاية والقرب الإلهي لسيدنا علي رضي الله عنه. فينبغي في الموازنة النظر من هذه الزاوية وأخذها بنظر الاعتبار، والأ تتغير صورة الحقيقة ان كانت الموازنة تعقد مع الشجاعة والعلم الشخصي وجانب الولاية.

ثم ان سيدنا علياً رضي الله عنه لا يباريه احد من جانب كونه الممثل في ذاته الشخص المعنوي لآل البيت، والذي تجلّى في هذه الشخصية المعنوية من حيث الوراثة النبوية المطلقة. وذلك لان السر العظيم للرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب.

أما شيعة الخلافة فلا حق لهم غير الخجل أمام أهل السنة والجماعة. لأن هؤلاء يُنقصون من شأن سيدنا علي رضي الله عنه في دعواهم الحبّ المفرط له بل يفضي مذهبهم الى وصمه بسوء الخلق - حاشاه - حيث

يقولون: ان سيدنا علياً رضي الله عنه قد ماشى سيدنا الصديق والفاروق رضي الله عنهما مع انهما غير محقين واتقى منهما تقاةً، وباصطلاح الشيعة انه عمل بالتقية. بمعنى انه كان يخافهما وكان يرائيهما في اعماله! ان وصف مثل هذا البطل الاسلامي العظيم الذي نال اسم:اسدالله واصبح قائداً لدى الصديقين ووزيراً لهما.. اقول ان وصفه بانه كان يرأى ويخاف ويتصنع بالحب لمن لا يحبهم حقاً، واتباعه لغير المحقين أكثر من عشرين عاماً ومسايرتهما تحت سطوة الخوف، ليس من المحبة في شئ. وسيدنا علي رضي الله عنه يتبرأ من مثل هذه المحبة.

وهكذا فان مذهب أهل الحق لا ينقص من شأن سيدنا علي رضي الله عنه بأية جهة كانت ولا يتهمه في اخلاقه قطعاً ولا يسند الى مثل هذا البطل المقدم الخوف، ويقولون: لولم يكن سيدنا علي رضي الله عنه يرى الحق في الخلفاء الراشدين لما كان يعطيهم الولاء لدقيقة واحدة وما كان ينقاد لحكمهم أصلاً.

بمعنى: انه رضي الله عنه قد عرف انهم على حق واقرّ بفضلهم فبذل شجاعته الفاتحة في سبيل محبة الحق. نحصل مما سبق:

انه لاخير في الافراط والتفريط في كل شئ. وان الاستقامة هي الحد الوسط الذي اختاره اهل السنة والجماعة، ولكن مع الاسف كما تستر بعض أفكار الخوارج والوهابية بستر اهل السنة والجماعة فان قسماً من المفتونين بالسياسة والملاحدين ينتقدون سيدنا علياً رضي الله عنه ويقولون: انه لم يوفق كاملاً في ادارة دفة الخلافة لجهله حاشاه - بالسياسة فلم يقدر على ادارة الأمة في زمانه. فزاء هذا الاتهام

#38

الباطل من هؤلاء اتخذ الشيعة طور الغيظ والاستياء من اهل السنة. والحال ان دساتير اهل السنة واسس مذهبهم لاتستلزم هذه الافكار بل تثبت عكسها. لذا لا يمكن إدانة أهل السنة بافكار ترد من الخوارج ومن الملاحدين قطعاً، بل ان أهل السنة هم أكثر ولاءً وحباً من الشيعة لسيدنا علي رضي الله عنه. فهم في جميع خطبهم ودعواتهم يذكرون سيدنا علياً بما يستحقه من الثناء وعلو الشأن ولاسيما الاولياء والاصفياء الذين هم باكثريتهم المطلقة على مذهب أهل السنة والجماعة، فهم يتخذونه مرشدهم وسيدهم. فماينبغي للشيعة ان يجابهاوا اهل السنة بالعداء تاركين الخوارج والملاحدين الذين هم اعداء الشيعة وأهل السنة معاً. حتى يترك قسم من الشيعة السنة النبوية عناداً لأهل السنة!.

وعلى كل حال فقد أسهنا في هذه المسألة حيث انها قد بحثت كثيراً بين العلماء.

فيا اهل الحق الذين هم اهل السنة والجماعة!

ويا ايها الشيعة الذين اتخذتم محبة اهل البيت مسلكاً لكم!

ارفعوا فوراً هذا النزاع فيما بينكم، هذا النزاع الذي لامعنى له ولاحقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه.

وان لم تزيلوا هذا النزاع فان الزندقة الحاكمة الان حكماً قوياً تستغل أحدكما ضد الآخر وتستعمله أداة لإفناء الآخر، ومن بعد افنائته تحطم تلك الاداة ايضاً.
فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تثير النزاع، لانكم اهل التوحيد بينكم مئات الروابط المقدسة الداعية الى الأخوة والاتحاد.

المقام الثاني

سيخصص لبيان الحقيقة الثانية للآية الكريمة¹: (فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربُّ العرش العظيم)

¹ هذا المقام الثاني قد أُلّف مستقلاً، وهو اللعة الحادية عشرة - المؤلف.

#39

%

اللعة الخامسة

ستكون هذه اللعة رسالة تبين حقيقة جليلة للآية الكريمة (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) ضمن خمسة عشرة مرتبة، الا ان تأليفها قد تأجل في الوقت الحاضر لكونها ذات علاقة بالتفكر والذكر أكثر من علاقتها بالعلم والحقيقة، لذا جاءت باللغة العربية.¹

%

اللعة السادسة

في بيان لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم التي تعبر عن حقيقة جليلة تنبع من كثير من الايات الكريمة. توضحها هذه اللعة في مراتب فكرية تقرب من عشرين مرتبة والتي كنت استشعر بها في نفسي واشاهدها في سيرى الروحي اثناء الذكر والتفكر كما في اللعة الخامسة ولكن لكونها ذات علاقة بالذوق الروحي والحال القلبي أكثر من تعلقها بالعلم والحقيقة ارتوي وضعها في ختام اللعات وليس في بدايتها.²

¹ لذا وضعت ضمن اللعة التاسعة والعشرين العربية. هذا وقد أُلّف الاستاذ النورسي بالتركية فيما بعد الشعاع الرابع في بيان تلك المراتب - المترجم.

² لذا وضعت ضمن اللعة التاسعة والعشرين العربية - المترجم.

#40

%

اللمعة السابعة

(تخص سبعة انواع من اخبار الآيات التي في ختام سورة الفتح بالغيب)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا _ هو الذي أرسلَ رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً _ محمدٌ رسولُ الله والذينَ معه اشداءُ على الكفارِ رُحماءُ بينهم تريبهم رُكعاً سُجّداً يَبْتَغُونَ فَضلاًً مِنَ اللَّهِ وَرِضواناً سِماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) _ (الفتح: 27 - 29)

هذه الايات الثلاث في سورة الفتح لها وجوه اعجازية كثيرة جداً.

فوجه من الوجوه الكلية العشرة لاعجاز القرآن هو الاخبار عن الغيب الذي يظهر في هذه الآيات الكريمة بسبعة أو ثمانية وجوه:

#41

الوجه الاول:

قوله تعالى: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ...) الح الآية، تُخبر اخباراً قاطعاً عن فتح مكة قبل وقوعه. وقد فتحت فعلاً بعد سنتين كما اخبرت هذه الآية.

الوجه الثاني:

قوله تعالى: (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا)

تنبئ هذه الآية: ان صلح الحديبية وان بدا ظاهراً انه ليس في صالح المسلمين وان لقريش ظهوراً على المسلمين الى حد ما، الا أنه سيكون بمثابة فتح معنوي مبین، ومفتاحاً لبقية الفتوحات. وان السيوف المادية وان دخلت اغمادها في الواقع الا أن القرآن الكريم قد سل سيفه الالماسي البارق وفتح القلوب والعقول، اذ بسبب الصلح اندمجت القبائل فيما بينها واختلطت فاستولت فضائل الاسلام على العناد فمزقت انوار القرآن حجب التعصب القومي الذميمة.

فمثلاً: ان داهية الحرب خالد بن الوليد وداهية السياسة عمرو بن العاص اللذين يبيان أن يُغلبا، غلبهما سيف القرآن الذي سطع في صلح الحديبية، حتى سارا معاً الى المدينة المنورة وسلموا الاسلام رقابهما، وانقادا اليه انقياد خضوع وطاعة حتى اصبح خالد بن الوليد سيف الله المسلول تفتح به الفتوحات الاسلامية.

سؤال مهم:

ان صحابة الرسول الكريم، وهو حبيب رب العالمين وسيد الكونين صلى الله عليه وسلم، قد غلبوا امام المشركين في نهاية معركة أحد وبداية معركة حنين. فما الحكمة في هذا؟

الجواب: لأنه حينذاك كان بين المشركين كثيرون من امثال خالد بن الوليد، ممن سيكونون في المستقبل مثل كبار الصحابة في ذلك الزمان، فلاجل الأثكسر عزتهم كليا اقتضت حكمة الله ان تكافأهم مكافأة عاجلة لحسناتهم المستقبلية، بمعنى ان صحابة في الماضي غلبوا امام صحابة في المستقبل، لئلا يدخل هؤلاء - اي صحابة المستقبل - في الاسلام خوفاً من بريق السيوف، بل شوقاً الى بارقة الحقيقة، ولئلا تذوق شهامتهم الفطرية الهوان كثيراً.

#42

الوجه الثالث:

ان الآية الكريمة تخبر بقيد (لاتخافون) بأنكم ستدخلون البيت الحرام وتطوفون حول الكعبة بأمان تام، علماً ان معظم قبائل الجزيرة العربية ومن هم حوالي مكة المكرمة وغالبية قريش كلهم اعداء للمسلمين، فهذا الإخبار يدل على انكم تدخلون في اقرب وقت المسجد وتطوفون دون أن يداخلكم الخوف، وان الجزيرة ستدين لكم بالطاعة، وقريش تكون في حظيرة الاسلام ويعم الامن والامان. فوقع كما اخبرت الآية.

الوجه الرابع:

قوله تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله).

هذه الآية تخبر إخباراً قاطعاً: ان الدين الذي جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم سيظهر على الاديان كلها، علماً ان النصرانية واليهودية والمجوسية التي يعتنقها مئات الملايين من الناس كانت أدياناً رسمية لدول كبرى كالصين وايران وروما، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم يظهر بعد ظهوراً تاماً على قبيلته نفسها. فالآية الكريمة تخبر عن ظهور دينه على الاديان كافة وعلى الدول كافة، بل تخبر عن هذا الظهور بكل يقين وجزم إخباراً قاطعاً. ولقد صدق المستقبل هذا الخبر الغيبي بامتداد سيف الاسلام من بحر المحيط الشرقي الى بحر المحيط الغربي.

الوجه الخامس:

(محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تربهم زكعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيأهم في وجوههم من أثر السجود).

هذه الآية صريحة في معناها من ان الصحابة الكرام هم افضل بني الانسان بعد الانبياء عليهم السلام لما يتحلون

به من سجايا سامية ومزايا راقية، وفي الوقت نفسه تبين ما تتصف به طبقات الصحابة في المستقبل من صفات ممتازة مختلفة خاصة بهم، كما تبين بالمعنى الاشاري - لدى اهل التحقيق - الى ترتيب الخلفاء الذين سيخلفون مقام النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فضلاً عن اخبارها عن ابرز صفة خاصة بكل منهم مما اشتهروا به.

#43

وذلك: فان قوله تعالى: (والذين معه) يدل على سيدنا الصديق رضي الله عنه المتصف بالمعية المخصوصة والصحبة الخاصة، بل بوفاته اولاً دخل ضمن معيته ايضاً.

كما ان قوله تعالى: (اشداء على الكفار) يدل على سيدنا عمر رضي الله عنه الذي سبىز دول العالم ويرعبهم بفتوحاته، وسيدشتر بعدالته على الظالمين كالصاعقة.

وتخبر الآية بلفظ (رحماء بينهم) عن سيدنا عثمان رضي الله عنه الذي لم يرض باراقة الدماء بين المسلمين حينما كانت تتهياً اعظم فتنة في التاريخ، ففضّل بكمال رحمته ورأفته ان يضحي بروحه ويسلم نفسه للموت، واستشهد مظلوماً وهو يتلو القرآن الكريم.

كما ان قوله تعالى: (تريهم رُكعاً سُجداً يَبْتَغُونَ فَضلاًً مِنَ اللَّهِ وَرِضواناً) يشير الى اوضاع سيدنا علي رضي الله عنه الذي باشر مهام الخلافة بكمال الاستحقاق والاهلية وهو في كمال الزهد والعبادة والفقر والاقتصاد واختار الدوام على السجود والركوع كما هو مصدق عند الناس. فضلاً عن اخبارها أنه لا يكون مسؤولاً عن حروبه التي دخلها في تلك الفترة وفي المستقبل، والذي كان يبتغي فيها فضلاً من الله ورضواناً.

الوجه السادس:

(ذلك مثلهم في التورية) هذه الجهة فيها اخبار غيبي بجهتين:

الجهة الاولى:

انها تخبر عن اوصاف الصحابة الواردة في التوراة، وهي في حكم الغيب بالنسبة لرسول أمي صلى الله عليه وسلم. اذ قد وضح في المكتوب التاسع عشر ان في التوراة وصفاً لصحابه الرسول الذي سيأتي في آخر الزمان معه الوف الاطهار في يمينه او معه رايات القديسين بمعنى ان اصحابه مطيعون وعباد صالحون واولياء لله حتى يوصفون بالقديسين الاطهار.

فعلى الرغم مما طراً من تحريفات كثيرة على التوراة بسبب ترجماتها العديدة لألسنة متنوعة، فانها مازالت تصدق بآيات كثيرة منها هذه الآية الكريمة في ختام سورة الفتح.. (مثلهم في التورية)

#44

الجهة الثانية من الاخبار الغيبي هي:

ان (مثلهم في التورية...) تخبر عن ان الصحابة الكرام والتابعين سيبلغون مرتبة من العبادة بحيث أن ما في

ارواحهم من نور سيشع على وجوههم وستظهر على جباههم علامة ولايتهم وصلاتهم بكثرة السجود لله. نعم، فلقد صدق المستقبل هذا بكل يقين ووضوح وجلاء فان زين العابدين رضي الله عنه الذي كان يصلي الف ركعة ليلاً ونهاراً وطاووساً اليماني رضي الله عنه الذي صلى الفجر بوضوء العشاء طوال اربعين سنة، رغم التقلبات السياسية والاضاع المضطربة، وكثيرين امثالهما قد بيتوا سرّاً من اسرار هذه الآية الكريمة: (مثلهم في التورية).

الوجه السابع:

(وَمَثَلُهُمْ فِي الْآخِرِ كَصَرْفِ الْغَدْرِ فَأَنْزَلْنَاهُ فَمَا اسْتَعَاظَ فَأَسْتَغَاظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لَيَغِيظُنَّ بِهِمُ الْكُفَّارَ)

هذه الفقرة ايضاً فيها اخبار غيبي بجهتين:

اولاها:

ان اخبار ماني الانجيل من اوصاف الصحابة الكرام اخبار هي في حكم الغيب بالنسبة لرسول امي صلى الله عليه وسلم.

نعم! لقد وردت آيات في الانجيل تصف الرسول الذي سيأتي في آخر الزمان مثل: ومعه قضيب من حديد وامته كذلك بمعنى انه صاحب سيف ويأمر بالجهاد واصحابه كذلك اصحاب السيوف ومأمورون بالجهاد وليس كسيدنا عيسى عليه السلام الذي لم يك صاحب سيف. فضلاً عن أن ذلك الموصوف معه قضيب من حديد سيصبح سيد العالم، لأن آية في الانجيل تقول: سأذهب كي يحجى سيد العالم.

فنهم من هاتين الفقرتين من الانجيل: ان الصحابة الكرام وان بدا عليهم في بادئ الامر ضعف وقلة الا انهم سينمون نمو البذرة النابتة وسيعلون كالنبات النامي الناشئ

#45

ويقوون حتى يغتاز منهم الكفار، بل يرضخون العالم بسيوفهم فيثبتون ان سيدهم الرسول الكريم هو سيد العالم. وهذا المعنى الذي تفيد آية الانجيل هي معنى الآية في ختام سورة الفتح.

الوجه الثاني:

تفيد هذه الفقرة: ان الصحابة الكرام وان كانوا قد قبلوا بصلح الحديبية، لقتلهم وضعفهم آنذاك فانهم بعد فترة وجيزة يكسبون بسرعة قوة رهيبه بحيث ان البشرية التي انبتتها يد القدرة الإلهية في مزرعة الارض تكون سنابلها قصيرة وناقصة ومحوقة بسبب غفلتهم ازاء سنابلهم العالية الشامخة القوية المثمرة المباركة، حتى انهم يكونون من القوة والكثرة بحيث يتركون دولاً كبرى تتلظى بنار غيظها وحسدها.

نعم ان المستقبل قد بين هذا الاخبار الغيبي باسطع صورة. وفي هذا الاخبار الغيبي ايماء خفي ايضاً وهو: انه لما اتى على الصحابة الكرام لما يتحلون به من خصال فاضلة مهمة كان المقام يلزم وعد ثواب عظيم ومكافأة جلية لهم، الا انه يشير بكلمة مغفرة الى انه ستقع اخطاء وهفوات مهمة من جراء فتن تحدث بين الصحابة، اذ المغفرة تدل على وجود تقصير في شئ وحينذاك سيكون اعظم مطلوب لهم وافضل احسان عليهم هو المغفرة. لان اعظم إثابة هو: العفو، وعدم العقاب.

فكما أن كلمة (مغفرة) تدل على هذا الايماء اللطيف كذلك فهي ذات علاقة مع ما في بداية السورة: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) (الفتح:2) فالمغفرة هنا ليست مغفرة ذنوب حقيقية لأن في النبوة العصمة، فلا ثمة ذنب. وانما هي بشرى المغفرة بما يناسب مقام النبوة. وما في ختام السورة من تبشير الصحابة الكرام بالمغفرة يضم لطافة اخرى الى ذلك الايماء.

وهكذا فوجوه الاعجاز العشرة للآيات الكريمة الثلاث في ختام سورة الفتح، لم نبحت فيها الا عن وجه الاعجاز في اخبارها الغيبي بل لم نبحت الا في سبع وجوه من الوجوه الكثيرة جداً عن هذا النوع من الاخبار.

#46

وقد اشير الى لمعة اعجاز مهمة في اوضاع حروف هذه الآية الاخيرة في ختام الكلمة السادسة والعشرين الخاصة بالقدر والجزء الاختياري. فهذه الآية موجهة بجملة الى الصحابة الكرام كما تشمل بقيودها احوالهم ايضاً، ومثلما تفيد بالفاظها اوصاف الصحابة فهي تشير بحروفها وتكرار اعدادها الى اصحاب بدر وأحد وحنين واصحاب الصفة وبيعة الرضوان وامثالهم من طبقات الصحابة الكرام. كما تفيد اسراراً كثيرة بحساب الحروف الابجدية والتوافق الذي يمثل نوعاً من علم الجفر ومفتاحه.

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

* * *

#47

ان الاخبار الغيبي الذي تخبر به آيات ختام سورة الفتح بالمعنى اشاري، تخبر به كذلك هذه الآية الآتية وتشير الى المعنى نفسه، لذا نتطرق اليها هنا.

تتمة

(وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا— وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء: 68-69)
نشير الى نكتتين فقط من بين الوف نكات هذه الآية الكريمة:

النكته الاولى:

ان القرآن الكريم مثلما يبين الحقائق بمفاهيمه وبمعناه الصريح يفيد كذلك معاني اشارية كثيرة باساليبه وهيئاته. فلكل آية طبقات كثيرة من المعاني؛ ولان القرآن الكريم قد نزل من العلم المحيط، فيمكن ان تكون جميع معانيه مرادة، اذ معاني القرآن لاتنحصر في واحد او اثنين من المعاني كما ينحصر كلام الانسان الحاصل بإرادته الشخصية وبفكره الجزئي المحدود.

فبناءً على هذا السر فقد بين المفسرون ما لايجد من الحقائق لآيات القرآن.

وهناك حقائق كثيرة جداً لم يبينها المفسرون بعد. ولاسيما حروف القرآن واشاراته ففيها علومٌ مهمة سوى معانيه الصريحة..

#48

النكته الثانية:

تبين هذه الآية الكريمة:

(مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)

ان اهل الصراط المستقيم والمنعم عليهم بالنعمة الإلهية حقاً هم طائفة الأنبياء وقافلة الصديقين وجماعة الشهداء واصناف الصالحين وانواع التابعين. فكما تبين الآية هذه الحقيقة فهي تفيد صراحة اكمل من في تلك الاقسام الخمسة في عالم الاسلام وتدل على ائمة تلك الاقسام الخمسة وعلى رؤسائهم المتقدمين بذكر صفاتهم المشهورة. ثم تعين بجهة بلمعة اعجاز ائمة تلك الاقسام في المستقبل واطواعهم بنوع من إخبار غيبي .

نعم! كما أن لفظ (من النبيين) ينظر صراحة الى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فان فقرة (والصديقين) تنظر الى ابي بكر الصديق، مشيرة الى أنه الشخص الثاني بعد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، واول من يخلفه. وان اسم الصديق عنوانه الخاص الذي لقب به وهو المعروف لدى الأمة جميعاً. وانه سيكون على رأس الصديقين.

كما تشير بكلمة (والشهداء) الى عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اجمعين وتفيد افادة غيبية ان هؤلاء الثلاثة سينالون الخلافة بعد الصديق رضي الله عنه، وانهم سيستشهدون. مما يزيد فضيلة الى فضائلهم.

وكما تشير بكلمة (والصالحين) الى اصحاب الصفة وبدر، وبيعة الرضوان وتشوق بجملة (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) وبمعناه الصريح على اتباعهم وتبين جمال اتباع التابعين لهم وحُسنه مشيرة بالمعنى الإشاري الى الحسن رضي الله عنه انه خامس الخلفاء الأربعة، مصدقة حكم الحديث الشريف: الخلافة بعدي في امتي ثلاثون سنة¹ فمع قصر مدة خلافته فهي عظيمة الشأن.

1 صحیح: عن سفينة ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال:

(الخلافة بعدي في امتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك) رواه احمد والترمذي وابو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه (صحیح الجامع الصغير برقم 3336 قال المحقق: صحیح) (الفتح الرباني للساعاتي: 10/23) وفي سلسلة الاحاديث الصحيحة 460 بعدة سياقات.

#49

الحاصل:

ان الآية الأخيرة من سورة الفتح تنظر الى الخلفاء الأربعة كما تنظر هذه الآية وتشير الى مستقبل اوضاعهم وتؤيدها بنوع من الاخبار الغيبي.

فالإخبار الغيبي الذي هو احد انواع اعجاز القرآن له لمعات اعجازية كثيرة وكثيرة لاتعد ولا تحصى، لذا فان حصر اهل الظاهر تلك الإخبارات الغيبية في اربعين او خمسين آية فقط انما هو ناشئ من نظر ظاهري سطحي بينما في الحقيقة هناك ما يربو على الألف منها بل قد تكون في آية واحدة فقط اربعة او خمسة إخبار غيبية.

(رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

%

اللمعة الثامنة

ستنشر ضمن مجموعة اخرى باذن الله

#50

%

اللمعة التاسعة

لايسع كل واحد أن يرى نقائص وحدة الوجود الدقيقة ولا هو بحاجة اليها، لذا لا حاجة له لقراءة هذه اللمعة.

باسمه سبحانه

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخي العزيز الوفي المخلص الخالص!

ان سبب عدم ارسالي رسالة مستقلة الى اخينا عبدالمجيد¹ هو ان رسائلي التي ابعتها اليكم تفي بالغرض، فان عبدالمجيد اخ قدير وطالب مجد بعد خلوصي²، وانا اذكره باسمه في دعائي كل صباح ومساء مع خلوصي واحياناً قبله. هذا وان صبري ثم حقي افندي يستفيدان من رسائلي، فلا ارى داعياً لأبعث إليهما رسائل مستقلة. فلقد أنعم الله عليك وجعلك اخاً كبيراً مباركاً

¹ عبد المجيد: هو أصغر اخوة الاستاذ النورسي. ترجم كثيراً من رسائله الى اللغة العربية الا انها نشرت في وقتها في نطاق ضيق وترجم الى التركية رسائله العربية (اشارات الاعجاز) و (المثنوي العربي). كان مدرساً للغة العربية ثم مفتياً ثم مدرساً للعلوم الاسلامية في معهد الائمة والخطباء والمعهد الاسلامي في قونيا. توفي سنة 1967م عن ثلاث وثمانين سنة من العمر رحمه الله رحمة واسعة. - المترجم.

² هو خلوصي يحيى كيل من السابقين الذين تتلمذوا على الاستاذ النورسي في "بارلا" وكان حينئذ ضابطاً برتبة نقيب، كان يبعث الى استاذته اسئلته وما يُستفسر منه من امور ايمانية. جمعت هذه الاجوبة بتوجيه الاستاذ نفسه وسميت بـ (مكتوبات). توفي سنة 1986 عن 91 سنة من العمر، رحمه الله رحمة واسعة. - المترجم.

#51

لهما، فراسل عبدالمجيد بدلاً مني، وطمئننه لئلا يقلق، فانا افكر فيه بعد خلوصي. .

سؤالكم الاول

وهو سؤال خاص يعود الى امضاء احد اجدادكم باسم السيد محمد (اي من آل البيت).

أخي!

انتي لا املك الاجابة عن هذا السؤال جواباً مبنياً على العلم والتحقيق والكشف، ولكن كنت اقول لاصحابي: ان خلوصي لا يشبه الاتراك الحاليين، ولا الاكراد، فاني ارى فيه خاصية اخرى، وكانوا يصدّقونني. فكنا نقول: ان ظهور عراقية وأصالة في خلوصي دليل على نيله عطاء الحق، بمضمون القاعدة:

داد حق را قابليت شرط نيست¹

واعلم قطعاً ان للرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم نوعين من الآل:

الاول: آله النَّسَبِي.

والاخر: آله من حيث شخصه المعنوي النوراني، اي من حيث الرسالة.

فأنت داخل قطعاً في هذا الآل الثاني، فضلاً عن دخولك في الآل الأول حسب قناعتي بلا دليل. فان إمضاء جدك باسم السيد ليس عبثاً ولا جزافاً.

1 أي: أن الفضل الإلهي لا يشترط القابلية في ذات الشخص. - المترجم.

#52

خلاصة سؤالكم الثاني:

أخي العزيز!

ان محي الدين بن عربي¹ قد قال: (ان مخلوقية الروح عبارة عن انكشافها). انك يا أخي بسؤالك هذا تضطرنني الى ان اناقش وانا الضعيف العاجز خارقة الحقيقة وداهية علم الاسرار محي الدين بن عربي. ولكن لما كنت ساخوض في البحث معتمداً على نصوص القرآن الكريم فسوف استطيع ان احلق اعلى من ذلك الصقر وأسمى منه وإن كنت ذبابة!

أخي:

اعلم ان محي الدين بن عربي لا يخدع ولكن ينخدع، فهو مهتمد، ولكنه لا يكون هاديا لغيره في كل ما كتبه. فما رآه صدق وصواب ولكن ليس هو الحقيقة.

ولقد وضحت الكلمة التاسعة والعشرون في مبحث الروح، الحقيقة التي يدور عليها سؤالكم.

نعم! ان الروح من حيث الماهية قانون أمري. ولكن ألبست وجوداً خارجياً، فهي ناموس ذو حياة، وقانون ذو وجود خارجي.

فالشيخ محي الدين قد نظر الى الروح من حيث ماهيتها فحسب، ويرى الاشياء خيالا حسب مشرب وحدة الوجود.

ولما كان الشيخ قد اتهم مسلكاً مستقلاً وكان صاحب مشرب مهم وله كشافات ومشاهدات خارقة فانه يلجأ باضطرار الى تأويلات ضعيفة وتكلف وتمحل ليطبق بعض الآيات الكريمة حسب مشربه ومشهوداته، مما يחדش صراحة الآية الكريمة ويجرحها.

1 محي الدين بن عربي: هو محمد بن علي بن محمد ابن عربي ابو عبدالله الطائي الاندلسي المعروف بابن العربي الشهير بالشيخ الاكبر، ولد بالاندلس سنة 560 هـ وتوفي بدمشق سنة 638 هـ، له من التصانيف (فصوص الحكم) و (الفتوحات المكية). البداية والنهاية لابن كثير 156/13 كشف الظنون 1238، 1261 هدية العارفين 114/2 الاعلام 281/6 ميزان الاعتدال 108/3 جامع كرامات الاولياء 118/1 الطبقات الكبرى 188/1. - المترجم.

#53

ولقد بينا في رسائل اخرى المنهج القرآني ومنهج أهل السنة السنية القويم.

فالشيخ ابن عربي له مقام خاص لذاته، وهو من المقبولين، إلا أنه بكشفياته التي لاضوابط لها خرق الحدود وتجاوزها وخالف جمهور المحققين العلماء في كثير من المسائل.

ولأجل هذا تكاد تقتصر طريقته الخاصة به لفترة قصيرة جداً في صدر الدين القونوي¹ ويندر أن يستفاد من آثاره استفادة ذات استقامة، مع كونه شيخاً عظيماً عالي القدر وقطباً خارقاً فريداً زمانه. بل لا يبحث كثير من العلماء المحققين والاصفياء على قراءة آثاره القيمة، بل قسم منهم يمنعون قراءتها.

ان بيان الفرق الاساس بين مشرب الشيخ محي الدين بن عربي واهل التحقيق من العلماء، وبيان منابعتها ومصادرها يحتاج الى دراسة عميقة وبحث دقيق ونظر واسع رفيع.

نعم! ان الفرق دقيق جداً وعميق جداً الى درجة كبيرة، والمصدر رفيع وسام الى حد كبير، بحيث لم يؤخذ الشيخ ابن عربي على خطئه، وانما ظل مقبولاً لدى العلماء. اذ لو كان الفرق والمصدر مشهودين واضحين علماً وفكراً وكشفاً لكان سقوطاً مريعاً للشيخ وخطأً جسيماً له.

ولكن لما كان الفرق عميقاً جداً، فاننا نحاول أن نبين خطأ الشيخ في تلك المسألة فحسب ونوضح ذلك الفرق وتلك المنابع في مثال باختصار شديد:

فمثلاً: الشمس تشاهد في مرآة. فهذه المرآة هي مظروف الشمس، وموصوفها. بمعنى ان الشمس توجد فيها من جهة، ومن جهة اخرى تزين المرآة حتى تكون صفتها اللامعة وصبغتها الساطعة.

¹ صدر الدين القونوي: هو محمد بن اسحاق بن محمد بن يوسف القونوي الرومي، صدر الدين: من كبار تلاميذ محي الدين بن عربي تزوج ابن العربي أمه، ورباه، من كتبه (النصوص في تحقيق الطور المخصوص) في التصوف، وتفسير سورة الفاتحة سماء (العجاز البيان في تفسير ام القرآن). الاعلام للزركلي (30/6)، طبقات المفسرين للداوودي 103/2، تذكرة الحفاظ للذهبي 1491، هدية العارفين لاسماعيل باشا 130/2، طبقات الاولياء لابن الملقن 467 كشف الظنون لحاجي خليفة 455 الطبقات الكبرى للشعراني 202/1 . - المترجم.

#54

فان كانت تلك المرآة، مرآة آلة تصوير فانها ستنقل صورة الشمس على ورقة حساسة بصورة ثابتة. ففي هذه الحالة فالشمس المشهودة في المرآة وماهيتها المرتسمة على الورقة وصفاتها، وتزيينها المرآة - حتى غدت كأنها صفتها - هي غير الشمس الحقيقية. فهي ليست شمسا، بل هي دخول تجلي الشمس في وجود آخر.

اما وجود الشمس المشهودة في المرآة فهو وان لم يكن عين وجود الشمس الموجودة في الخارج الا انه قد ظن انه عين وجودها لارتباطه بها واشارته اليها.

فبناء على هذا المثال:

فان القول بأن: ليس في المرآة غير الشمس الحقيقية يمكن ان يكون صوابا باعتبار المرآة ظرفا وان المقصود من الشمس التي فيها وجودها الخارجي. ولكن اذا قيل ان صورة الشمس المنبسطة على المرآة - التي اخذت حكم صفة المرآة - والصورة التي انتقلت الى الورقة الحساسة انها الشمس، فهذا خطأ، اي ان عبارة ليس في المرآة غير الشمس تكون عبارة خطأ، ذلك لان هناك صورة الشمس التي تظهر على المرآة وهناك الصورة المرتسمة خلفها على الورق الحساس، فكل منها لها وجود خاص بها. فمع أن ذينك الوجودين هما من تجلي الشمس الا انها ليسا الشمس نفسها.

وكذا فان ذهن الانسان وخياله شبيهان بمثال المرآة هذا. وذلك:

ان المعلومات الموجودة في مرآة فكر الانسان لها وجهان ايضا: فهي بوجه علم، وبوجه آخر معلوم. فاذا اعتبرنا الذهن ظرفاً لذلك المعلوم، اصبح ذلك الموجود المعلوم معلوما ذهنيا. فوجوده شئ آخر. وان اعتبرنا الذهن موصوفاً بذلك الشئ الذي حل فيه اصبح صفة للذهن، وذلك الشئ يكون عندئذ علما، وله وجود خارجي. وحتى لو كان لذلك المعلوم وجود وجوه فسيكون وجوداً خارجياً عرضياً.

#55

فبناء على هذين التمثيلين:

الكون مرآة، وماهية كل موجود مرآة ايضا. هذه المرايا معرضة الى الإيجاد الإلهي بالقدره الأزلية.

فكل موجود - من جهة - يصبح مرآة لاسم من اسماء الله يبين نقشاً من نقوشه.

فالذين هم على مشرب الشيخ ابن عربي قد كشفوا العالم من حيث المرآتية والظرفية والموجود المثالي في المرآة - من زاوية النفي - ومن حيث منعكس صورة ذلك الشئ في المرآة هو عينه. وقالوا: لاموجود إلا هو، دون ان يفكروا بالمراتب الاخرى، فأخطأوا حتى بلغ بهم الامر ان ينكروا القاعدة الاساسية المعروفة: (حقائق الاشياء ثابتة).

اما اهل الحقيقة فانهم يرون بسر الوراثة النبوية وبصراحة القرآن الكريم وآياته البينات:

ان النقوش التي توجد في مرايا الموجودات بقدره الله وارادته انما هي من آثاره سبحانه وتعالى. فكل موجود انما هو منه تعالى وهو الذي يوجد، وليس كل موجود هو، حتى يقال: لاموجود إلا هو. اذ للاشياء وجود، وهو وجود ثابت الى حد ما، وان كان هذا الوجود وجوداً ضعيفاً كأنه وهمي وخيالي بالنسبة الى وجوده تعالى، إلا انه موجود بايجاد القدير الأزلي وارادته وقدرته.

ان للشمس المشهودة في المرآة وجوداً مثالياً عدا وجودها الخارجي الحقيقي.

ولها وجود خارجي عرضي آخر يلون المرآة بزينته اذ تنبسط عليها صورتها.
ولها وجود خارجي عرضي ايضاً، وهو وجود ثابت الى حد ما وهو الصورة المنتقشة على الورقة الحساسة خلف المرآة.

فكما ان للشمس وجودات هكذا في المثال كذلك الأمر في مرآة الكون ومرايا ماهية الاشياء. فان نقوش المصنوعات الظاهرة بتجليات الاسماء الإلهية الحسنى

#56

الحاصلة بالإرادة الإلهية واختيارها وقدرتها، لها وجود حادث غير وجود الواجب الوجود. وقد منح بالقدرة الإلهية ثباتاً لهذا الوجود ولكن لو انقطع الارتباط فنيت الاشياء وانعدمت مباشرة. فكل شئ محتاج لبقائه في كل آن الى ابقاء خالقه له، فان حقائق الاشياء وان كانت ثابتة ولكن ثابتة باثباته سبحانه لها وتثبيته اياها. وهكذا فان قول الشيخ ابن عربي: ان الروح ليست مخلوقة وانما هي حقيقة آتية من عالم الامر وصفة الارادة مخالف لظاهر نصوص كثيرة، كما قد التبس عليه الامر في ضوء التحقيقات المذكورة آنفاً وانخدع اذ لم يشاهد الموجودات الضعيفة.

فلا يمكن ان تكون مظاهر (الخلاق والرزاق) من الاسماء الإلهية الحسنى مظاهر وهمية خيالية. فما دامت تلك الاسماء ذات حقيقة، فان مظاهرها ايضاً لها حقائق خارجية.

#57

سؤالكم الثالث:

تطلبون فيه درساً يكون مفتاحاً لعلم الجفر.

الجواب: اننا يا اخي لسنا في هذه الخدمة القرآنية بارادتنا ولا بتدبيرنا للامور. بل ان اختياراً - وهو خير لنا - فوق اختيارنا وخارج ارادتنا يهيم على اعمالنا واختيارنا.

اعلم ان علم الجفر يُشغل الانسان عن وظيفته الحقيقية ويصرفه عنها، لما فيه من ذوق وولع. حتى كانت تحلّ لي أسرار تخص القرآن بذلك المفتاح لمرات عدة، ولكن ما ان اتوجه اليه بشوق وذوق حتى توصل الابواب دوني. فوجدت في هذا الأمر حكمتين:

الاولى: احتمال الوقوع في موضع ينافي الادب اللائق بالقاعدة الاساسية لا يعلم الغيب الا الله.

الثانية: ان العمل على ارشاد الامة الى حقائق الايمان والقرآن بوساطة البراهين الدامغة، له من الفضائل والمزايا ما يفوق مائة درجة على العمل بارشادهم بالعلوم الخفية كعلم الجفر. حيث ان الحجج القاطعة والدلائل الثابتة لا تدع مجالاً للمداخلة في تلك الوظيفة السامية. بينما علم الجفر وامثاله من العلوم الخفية غير المنضبطة بقواعد محكمة، قد يساء استعماله بولوج الماكين فيه. علماً انه متى ما احتاج الامر اليه لخدمة الحقائق، فان الله سبحانه

يفتح علينا نبذة منه حسب الحاجة.

واعلم ان أيسر مفتاح من بين مفاتيح علم الجفر، وانقاها، بل أجملها وأحسنها هو انواع التوافقات الناشئة من اسم البديع والتي اظهرت شعاعاً من نورها في توافق لفظ الجلالة في القرآن الكريم وزينت الآثار التي تقوم بنشرها. علماً انه وُصِّحَ شئٌ منها في عدة مواضع من رسالة الكرامة الغوثية. نذكر منها:

ان التوافق اذا ما أظهر شيئاً في عدة جهات، فهو اشارة بدرجة الدلالة، علماً أنه قد يكون توافق واحد احياناً مع بعض القرائن بمثابة دليل ويجل محله.

وعلى كل حال، يكفي هذا القدر من الاجابة عن سؤالك في الوقت الحاضر. ومتى ما كانت الحاجة جادة اليه سنُبلِّغون به.

#58

سؤالكم الرابع:

اي سؤال امام الجامع عمر أفندي وليس سؤالكم، وهو:

ان طبيباً شقيماً يدّعي انه كان لعيسى عليه السلام والد، وزعم انه يستشهد لنفسه بآية كريمة بتأويل جنوني¹. ان ذلك العاجز قد سعى سابقاً لإحداث خط بحروف مقطعة، بل سعى سعياً حثيثاً في الأمر. فعلمت حينذاك أن ذلك الرجل قد استشعر من اطوار الزنادقة وتصرفاتهم انهم سيحاولون رفع الحروف الاسلامية وازالتها. وكأنه اراد ان يصدّ ذلك التيار الجارف، ولكن دون جدوى.

وقد شعر الآن في هذه المسألة، وفي مسألته الثانية، بهجوم الزنادقة العنيف على الاسس الاسلامية. واطن انه يحاول فتح طريق للمصالحة والسلام، بمثل هذه التأويلات السخيفة التي لا معنى لها.

انه لا والد لعيسى عليه السلام، كما تبينه يقيناً الآية الكريمة (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) (آل عمران: 59) وامثالها من النصوص القاطعة. لذا لا يؤبه بكلام من يحاول تغيير هذه الحقيقة الرصينة الراسخة، بل لا يقام لقوله وزن ولا يستحق الاهتمام به اصلاً، حيث يعدّ مخالفة قانون في التناسل غير ممكنٍ فيتشبهت بتأويلات واهية.

لاشك انه لا قانونٍ دون شذوذ منه، ودون نواذر له، ودون افراد خارجة عنه، وليست هناك قاعدة كلية لم تُخصص بافراد خارقة.

وانه لا يمكن ألا يُشذ فرد - ايا كان - من قانون، ولا يخرج منه، منذ زمن آدم عليه السلام. فأولاً: ان هذا القانون، قانون التناسل قد حُرق باعتبار المبدأ، بمبادئ مائتي الف

¹ ان الذي تراس ريع البشرية، وانتقل - بجهة - من نوع البشر الى نوع الملائكة، وترك الارض متخذاً السماء له موطناً.. ان هذا الفرد الانساني الخارق، وهذه اوضاعه الخارقة يقتضي ان تكون له صورة خارقة من قانون التناسل. بينما لا ينسجم ضمه بتأويل داخل قانون التناسل بوجه مشكوك مجهول غير فطري، بل بادنى وجه وطرز من وجوه قانون التناسل، كما لا اضطرار الى ذلك اصلاً.

ثم ان صراحة القرآن الكريم لا تتحمل التأويل. ويا عجباً أتهدم قوانين ثابتة رصينة لم تُحرق في اية جهة كانت، وظلت خارقة عن قانون التناسل؛ كقانون الجنس الملائكي وقانون صراحة القرآن، في سبيل ترميم قانون التناسل المتحرق الممزق بمائة جهة وجهة؟ - المؤلف -

#59

نوع من انواع الحيوانات وختم بها. اي أن آباء تلك الحيوانات الاولين، وهم بمثابة أودم لها، قد خرقوا قانون التناسل. أي ان مائتي الف أب من اولئك الأباء لم يأتوا الى الوجود من أب وأم. بل أعطي لهم وجوداً خارج ذلك القانون.

ثم اننا نشاهد باصارتنا في كل ربيع، أن القسم الاعظم من مائة الف نوع من الكائنات الحية ومما لا تعد ولا تحصى من افرادها، تُخلق خارج ذلك القانون، قانون التناسل، تُخلق على وجوه الاوراق وعلى المواد المتعفنة. تُرى ان قانوناً يُحرق بشواد، بهذه الكثرة الكاثرة، في مبدئه، بل في كل سنة. ثم يأتي احدهم ولا يتمكن أن يسع عقله شذوذ فرد واحد لذلك القانون خلال الف وتسعمائة سنة، فيتشبت بتأويلات تافهة تجاه النصوص القرآنية القاطعة.. اقول ترى كم يكون مرتكباً حماقة وبلاهة! قس ذلك بنفسك. علماً ان الاشياء التي يطلق عليها اولئك الشقاة اسم القوانين الطبيعية انما هي قوانين عادة الله التي هي تجلٍ كلي للامر الالهي والارادة الالهية، بحيث يغير سبحانه وتعالى عاداته تلك لبعض الحِكم؛ مظهرًا هيمنة ارادته واختياره على كل شئ وعلى كل قانون. فيحرق العادة في بعض الافراد الخارقين، وقوله تعالى: ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم بين هذه الحقيقة. السؤال الثاني لعمر افندي فيما يخص ذلك الطبيب.

لقد تصرف ذلك الطبيب في تلك المسألة تصرف معتوه، وارتكب حماقة بلهاء بحيث لا يستحق إلقاء السمع له، ولا الاهتمام به فضلاً عن الاجابة عن سؤاله. اذ يريد هذ البائس ان يوجد الوسط بين الكفر والايان. فأنا اقول جواباً عن استفسار عمر أفندي، وليس جواباً للكلام التافه لذلك الطبيب.

ان العلة في الاوامر والنواهي الشرعية هي الامر الالهي ونبيه. اما المصالح والحِكم فهي مرجحات يمكن ان تكون اسباباً لمتعلقات الامر الالهي ونبيه من زاوية اسم الله الحكيم..

فمثلاً: يقصر المسافر الصلاة. وهذا القصر له علة وحكمة، فالعلة هي السفر والحكمة هي المشقة. فاذا وجد السفر تقصر الصلاة وان لم تكن مشقة. ولكن لو

#60

وُجِدَتْ مائة مشقة في البيت فلا تقصر الصلاة دون سفر. اذ وجود المشقة احياناً في عامة السفر كافية لتكون حكمةً لقصر الصلاة وكافية ايضاً لتجعل السفر علةً للقصر.

فبناءً على هذه القاعدة الشرعية لا تتغير الاحكام الشرعية بحسب الحكم، بل بحسب العلة الحقيقية. فان لحم الخنزير - كما ذكره ذلك الطبيب - فيه ضرر، حسب قاعدة من اكل لحم الخنزير يتصف بصفاته¹ فيه مالا يعلمه ذلك الطبيب من اضرار وامراض. فذلك الحيوان لا يشبه سائر الحيوانات الاهلية النافعة التي لا ضرر لها. بل اكل لحمه يورث اضراراً أكثر من نفعه.

علاوة على الشحم القوي الموجود في لحمه له اضرار طيبة كثيرة في غير بلاد الافرنج الباردة. بل تحقق ان له اضراراً كثيرة معنوية وحقيقية.

فمثل هذه الحكم، اصبح حكمةً لتحريمه ولتعلق النهي الالهي به، ولا يلزم ان تكون الحكمة في كل فرد وفي كل وقت. ولا تتبدل العلة بتبدل تلك الحكمة. وان لم تتبدل العلة لا يتبدل الحكم. فليعلم حسب هذه القاعدة مدى ما يتفوه به ذلك الطبيب البائس من كلام بعيد عن روح الشريعة.

لذا لا يُعبأ بكلامه باسم الشريعة. فان للخالق سبحانه حيوانات لا يعقلون كثيرون في صور فلاسفة!

¹ انه مع سبق بلاد الافرنج في رقيها الخارق وتقدمها في المدنية وفي العلوم الحديثة وفي العلوم الانسانية فان ضلالهم خلال الخنازير في ظلمات الفلسفة المادية ومناهات الطبيعة منافٍ كلياً لذلك الرقي والتقدم والعلوم. اسائل ألا يكون في ذلك دخل لأكل لحم الخنزير؟

وان الدليل على ان مزاج الانسان يتأثر بما يتغذى به هو المثل المشهور: "من دام على اكل اللحم اربعين يوماً اصيب بقساوة القلب". - المؤلف.

#61

ذيل السؤال الوارد حول ابن عربي

سؤال:

ان ابن عربي يعد مسألة وحدة الوجود أرفع مرتبة ايمانية، حتى ان قسماً من اولياء عظام من اهل العشق اتبعوه في مسلكه.

بيد انك تقول: ان هذا المسلك ليس هو من أرفع المراتب الإيمانية، ولا هو بمسلك حقيقي، وانما هو مشرب اهل السكر والاستغراق واصحاب الشوق والعشق.

فان كان الامر هكذا كما تقول، فبين لنا باختصار: ما اعلى مرتبة من مراتب التوحيد التي بينتها وراثته النبوة

وصراحة القرآن الكريم؟.

الجواب: ان عاجزاً مسكيناً مثلي، لاقية له ولا أهمية، أتى له ان يقتحم غمار هذه المراتب السامية الرفيعة ويجري فيها محاكمات عقلية بعقله القاصر، انما هو امر فوق الحد بمائة مرة.. ولكني سأذكر ذكراً مختصراً جداً نكتتين فقط وردتا من فيض القرآن الكريم الى القلب، فلعل فيهما فائدة ونفعاً.
النكته الاولى:

ان هناك اسباباً عدة للانجذاب نحو مشرب وحدة الوجود. سأبين باختصار شديد سببين منها:
السبب الاول: انهم لم يستطيعوا ان يستوعبوا في اذهانهم خلاقية الربوبية في اعظم مراتبها، وكذا لم يستطيعوا ان يكتفوا في قلوبهم تمكيناً تاماً انه سبحانه بأحدثه مالك بالذات لزاماً كل شئ في قبضة ربوبيته، وان كل شئ يخلق بقدرته واختياره وارادته سبحانه. فلأنهم لم يستطيعوا ادراك ذلك فقد رأوا انفسهم مضطرين امام القول: كل شئ هو تعالى، او: لاشئ موجود، او: ان الموجود خيال، او: من التظاهر أو من الجلوات.
السبب الثاني: ان صفة العشق لا تريد الفراق اصلاً، وتفر منه بشدة، وترتعد فرائص العاشق من الافتراق، ويرهب من التنائي رهبته من جهنم، وينفر من الزوال نفرة شديدة، ويجب الوصال حبه لروحه ونفسه، ويرغب بشوق لاحد له - كشوقه للجنة - للقرب الإلهي، لذا يرى ان التشبث بتجلي الأقرية الإلهية في كل شئ، يجعل الفراق والتنائي كأنهما معدومان، فيظن اللقاء والوصال دائماً بقوله: لا موجود إلا هو.

#62

ولانهم يتصورون بسكر العشق وبمقتضى شوق البقاء واللقاء والوصال، ان في وحدة الوجود مشرباً حالياً في منتهى الذوق، لذا يجدون ملجأهم في مسألة وحدة الوجود لأجل التخلص من فراقات رهيبية.
أي ان منشأ السبب الاول:

هو عدم بلوغ العقل قسماً من حقائق الايمان الواسعة للغاية والسامية جداً، وعدم استطاعته الاحاطة بها، مع عدم انكشاف العقل انكشافاً تاماً من حيث الايمان.
أما منشأ السبب الثاني:

فهو انكشاف القلب انكشافاً فوق المعتاد، بتأثير العشق وانبساطه انبساطاً خارقاً للعادة.

أما مرتبة التوحيد العظمى التي يراها بصراحة القرآن الاولياء العظام اعنى الاصفياء الذين هم اهل الصحو واهل وراثة النبوة، فانها مرتبة رفيعة عالية جداً، اذ تفيد المرتبة العظمى للربوبية والخلاقية الإلهية، وتبين ان جميع الاسماء الحسنى هي أسماء حقيقية، وهي تحافظ على الاسس من دون اخلال بموازنة أحكام الربوبية، لأن اهلها يقولون:

ان الله سبحانه باحدىته الذاتية وتنزهه عن المكان قد أحاط - من دون وساطة - بكل شئ علماً وشخصه بعلمه ورجحه وخصصه بارادته واوجده وابقاه بقدرته. فانه سبحانه يوجد جميع الكون ويخلقه ويدبر أموره كإيجاده لشئ واحد وارادته اياه، فكما انه يخلق الزهرة بسهولة فانه يخلق الربيع العظيم بالسهولة نفسها. فلا يمنع شئ شيئاً قط، فلا تجزؤ في توجهه سبحانه. فهو موجود بتصرفه وبقدرته وعلمه في كل مكان، في كل آن. فلا انقسام ولا توزع في تصرفه سبحانه.

ولقد وضحنا هذا الامر واثبتناه في الكلمة السادسة عشرة، وفي المقصد الثاني من الموقف الثاني من الكلمة الثانية والثلاثين.

سأورد هنا مثالا ينطوي على نقص كثير (ولامشاحة في الامثال) وذلك لفهم شئ من الفرق بين المشربين:

#63

لنفرض ان هناك طاووساً خارقاً لامثيل له، وهو في غاية الكبر، ومنتهى الزينة وانه يتمكن من الطيران من الشرق الى الغرب في لمحة بصر، وله القدرة على بسط جناحيه الممتدين من الشمال الى الجنوب، وقبضهما في آن واحد، وعليه مئات ألوف النقوش البديعة حتى ان على كل ريش من جناحيه ابداعاً واثقاناً في منتهى الجمال والروعة.

ولنفرض الآن هناك شخصان يتفرجان على هذا الطاووس العجيب، ويريدان التحليق بجناحي العقل والقلب الى المراتب العالية الرفيعة لهذا الطير وبلوغ زينته الخارقة.

فطفق الأول يتأمل في وضع هذا الطاووس وهيكله ونقوش خوارق القدرة في كل ريشة منه، فيغمره العشق والشوق والمحبة تجاه هذا الطير فيترك شيئاً من التفكير العميق الى جانب مستمسكاً بالعشق، ولكنه يرى أن تلك النقوش المحبوبة تتحول وتبدل يوماً بعد يوم، وان تلك المحبوبات التي يوليها الحب والشغف تغيب وتزول كل يوم. فكان ينبغي له ان يقول: ان هذه النقوش المتقنة انما هي لنقاش مالك للخلافة الكلية مع احديته الذاتية، وله الربوبية المطلقة مع وحدانيته الحقيقية. الا انه لم يتمكن من ان يستوعب هذا ويدركه، فبدأ يسلي نفسه ويقول بدلا من ذلك الاعتقاد:

ان روح هذا الطاووس روح سامية عالية بحيث ان صانعه فيه، أو قد أصبح هو نفسه! وان تلك الروح العالية متحدة مع جسد الطاووس، ولأن جسده ممتزج مع صورته الظاهرة، فان كمال تلك الروح وعلو ذلك الجسد هما اللذان يظهران هذه الجلوات على هذه الصورة البديعة، حتى يظهر في كل دقيقة نقشاً جديداً وحسناً مجدداً، فليس هذا ايجاد باختيار حقيقي، بل هو جلوة وتظاهر.

أما الشخص الآخر فيقول: ان هذه النقوش الموزونة المنظمة المتقنة تقتضي يقينا ارادة واختياراً وقصداً ومشئئة، فلا يمكن ان تكون جلوة بلا ارادة ولا تظاهراً بلا اختيار.

نعم! ان ماهية الطاووس جميلة ورائعة، ولكن ماهيته ليست فاعلة قطعاً وانما منفعة، ولا يمكن ان تتحد مع فاعله مطلقاً. وان روحه عالية سامية ولكن ليست

#64

موجدة ولا متصرفة، وانما مظهر ومدار ليس الا. لأنه يشاهد في كل ريش منه اتقان قد تم بحكمة مطلقة بالبداية، ونقش زينة نقشها بالقدرة المطلقة.

وهذا لا يمكن ان يكون دون ارادة واختيار قطعاً.

فهذه المصنوعات البديعة التي تبين كمال الحكمة في كمال القدرة، وكمال الربوبية والرحمة في كمال الاختيار، لا يمكن ان تكون هذه المصنوعات نتيجة جلوة أو ماشاها.

ان الكاتب الذي كتب سطور هذا السجل المذهب لا يمكن أن يكون في السجل نفسه، ولا يمكن ان يتحد معه. وليس لذلك السجل الأتماس بطرف قلم ذلك الكاتب. لذا فان زينة جمال ذلك الطاووس المثالي الذي هو يمثل الكائنات، ليس إلا رسالة من قلم خالق ذلك الطاووس.

فالآن تأمل في طاووس الكائنات واقراً تلك الرسالة، وقل لكاتبها:

ما شاء الله..

تبارك الله..

سبحان الله...

فالذي يظن الرسالة كاتبها أو يتخيل الكاتب في الرسالة نفسها، أو يتوهم الرسالة خيالاً لاشك انه قد ستر عقله بستر العشق ولم يبصر الصورة الحقيقية للحقيقة.

ان أهم جهة من انواع العشق التي تسبب الانسلاخ الى مشرب وحدة الوجود هي عشق الدنيا، اذ حينما يتحول عشق الدنيا الذي هو عشق مجازي الى عشق حقيقي ينقلب الى وحدة الوجود.

ان شخصاً اذا أحب انساناً محبة مجازية، ما ان يشاهد فناءه لا يستطيع ان يمكّن هذا الزوال في قلبه، تراه يمنح معشوقه عشقاً حقيقياً، فيتشبت بحقيقة عشقه ليسلي بها نفسه، وذلك باضفاء البقاء على محبوبه بعشق حقيقي فيقول:

أنه مرآة جمال المعبود والمحبوب الحقيقي.

#65

كذلك الأمر فيمن احب الدنيا العظيمة وجعل الكون برمته معشوقه، فحينما تتحول هذه المحبة المجازية الى محبة حقيقة بسياط الزوال والفراق التي تنزل بالمحبوب، يلتجئ ذلك العاشق الى وحدة الوجود انقاداً لمحبوبه العظيم من الزوال والفراق.

فان كان ذا ايمان رفيع راسخ يكون له هذا المشرب مرتبة ذات قيمة نورانية مقبولة كما هي لدى ابن عربي وأمثاله،
والا فلربما يسقط في ورطات وينغمس في الماديات ويغرق في الاسباب.
أما وحدة الشهود فلا ضرر فيها، وهي مشرب عال لأهل الصحو.
اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه.
(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

#66
%

اللمعة العاشرة

رسالة

لطمات الرأفة وصفعات الرحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ

أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ) (آل عمران:30)

هذه اللمعة تفسر سراً من أسرار هذه الآية الكريمة، وذلك بذكر لطمات تأديب رحمة وصفعات عتاب رؤوفة تلقاها اخوتي الاحبة العاملون في خدمة القرآن الكريم، وذلك من جراء أخطاء ونسيان وغفلة وقعوا فيها بمقتضى جبلتهم البشرية.

وستبين سلسلة من كرامات يجريها الله سبحانه في خدمة قرآنه العظيم.. مع بيان نوع من كرامة الشيخ الكيلاني الذي يمدّ هذه الخدمة المقدسة بدعائه وهمته ويراقبها بإذن إلهي.
نبين هذه الكرامات لعل العاملين في سبيل القرآن يزدادون ثباتاً واقداماً وجدية واخلاصاً.

#67

نعم، ان كرامة العمل للقرآن الكريم، هذه الخدمة المقدسة، ثلاثة أنواع:

النوع الاول: تهيئة وسائل العمل والخدمة، وسوق العاملين فيها الى الخدمة.

النوع الثاني: رد الموانع من حولها، ودفع الاضرار عنها، وتأديب من يعيق سيرها، بانزال عقوبات بهم.. هناك حوادث كثيرة جداً حول هذين القسمين، ويطول الحديث عنها¹ لذا نؤجل الكلام فيها الى وقت آخر خشية السأم. ونشرع في البحث عن النوع الثالث الذي هو أخفها تناولاً وابطسطها فهماً.

النوع الثالث: هو أن العاملين المخلصين في هذه الخدمة القرآنية لما يعترضهم الفتور والاهمال في العمل يأتيهم

التحذير والتنبيه فيتلقون لطمة ذات رافة وعطف، وينتبهون من غفلتهم، ويسرعون بجذ للخدمة مرة أخرى. ان حوادث هذا القسم تربو على المائة، إلا أننا نسوق هنا ما يقرب من عشرين حادثة جرت على اخواننا، عشرٌ ونيف منهم تلقوا لطمة حنان رؤوفة، بينما تلقى حوالي سبعة منهم لطمة زجر عنيفة.

فالاول منهم هو هذا المسكين.. سعيد، فكلما انشغلت بما يعود على خاصة نفسي بما يفتر عملي للقرآن، أو انهمكت في اموري الخاصة، وقلت: مالي وللآخرين! أتاني التحذير وجاءتني اللطمة؛ لذا بتُّ على يقين من أن هذه العقوبة لم تنزل إلا نتيجة اهمالي وفتوري في خدمة القرآن؛ لأنني كنت أتلقى اللطمة بخلاف المقصد الذي ساقني الى الغفلة.. ثم بدأنا مع الاخوة المخلصين نتابع الحوادث ونلاحظ التنبيهات الربانية والصفعات التي نزلت باخوتي الآخرين.. فأمعنا النظر فيها، وتقصينا كلاً منها، فوجدنا أن اللطمة قد أتتهم مثلي حيثما أهملوا العمل للقرآن وتلقوها بصد ما كانوا يقصدونه، لذا حصلت لدينا القناعة التامة بأن تلك الحوادث والعقوبات انما هي كرامة من كرامات خدمة القرآن. فمثلاً هذا السعيد الفقير الى الله تعالى.. فعندما كنت منشغلاً بالقاء دروس في حقائق القرآن على طلابي في مدينة وان كانت حوادث الشيخ سعيد² تعلق بال المسؤولين في الدولة. وعلى الرغم من ارتيابهم

¹ فمثلاً: ان الذين ساموا طلاب النور العذاب والاهانة والعنت قد نالوا جزاءهم مثلها بل ازيد منها. - المؤلف.

² هو الشيخ سعيد المشهور بـ "بيران" كردي من شيوخ الطريقة النقشبندية، كان جده من خلفاء مولانا خالد الشهرزوري، قاد ثورة في الاقليم الشرقية في تركيا ضد السلطة الحاكمة لاتجاهها المعادي للدين. نشبت ثورته في 1925/2/1 وتم القضاء عليها في 1925/4/15 وقُدّم الشيخ الى محكمة الثورة فاصدرت عليه وعلى سبعة واربعين من مقربيه حكم الاعدام وتم تنفيذه عليهم في ديار بكر في 1925/6/29. - المترجم.

#68

من كل شخص، لم يمسوني بسوء، ولم يجدوا عليّ حجة مادمت مستمراً في خدمة القرآن. ولكن ما أن قلت في نفسي: ما لي وللآخرين! وفكرت في نفسي فحسب، وانسحبت الى جبل أرك لأنزوي في مغاراته الخربة، وأنجو بنفسي في الآخرة، اذا بهم يأخذوني من تلك المغارة وينفوني من ولاية شرقية الى أخرى غربية، الى بور دور. كان المسؤولون في هذه المدينة يراقبون المنفيين مراقبة شديدة، وكان على المنفيين اثبات وجودهم بحضورهم مساء كل يوم لدى الشرطة الا أنني وطلابي المخلصين أستثنينا من هذا الامر ما دمت قائماً بخدمه القرآن، فلم أذهب لاثبات الحضور ولم أعرف أحداً من المسؤولين هناك. حتى أن الوالى شكنا من عملنا هذا لدى فوزي باشا¹ عند قدومه الى المدينة، فأوصاه: احترامه! لاتعرضوا له!. ان الذي أنطقه بهذا الكلام هو كرامة العمل القرآني ليس الا، اذ حينما استولت عليّ الرغبة في انقاذ نفسي واصلاح آخرتي، وفترت عن العمل للقرآن -

مؤقتاً - جاءتني العقوبة بخلاف ما كنت أقصده وأتوقعه، أي نُفيتُ من بور دور الى منفى آخر.. الى اسبارطة. توليت هناك العمل للقرآن العظيم كذلك.. ولكن بعد مرور عشرين يوماً على الخدمة القرآنية كثرت عليّ التنبهات من بعض المتخوفين، حيث قالوا: ربما لا يجذب مسؤولو هذه البلدة عمك هذا! فهلاً أخذت الامر بالتأني والترث؟!.. سيطر عليّ الاهتمام بخاصة نفسي وبمصري فحسب، فأوصيت الاصدقاء بترك مقابلي وانسحبت من ميدان العمل.. وجاء النفي مرة أخرى.. فنفيت الى منفى ثالث.. الى بارلا.

وكنيت فيها كلما اصابني الفتور في العمل للقرآن واستولى عليّ التفكير بخاصة نفسي واصلاح آخرتي، كان أحد ثعابين أهل الدنيا يتسلط عليّ، وأحد المنافقين يتعرض لي. وأنا على استعداد الآن أن أسرد على مسامعكم ثمانين حادثة من هذا النوع خلال ثماني سنوات قضيتها في بارلا ولكن خشية الملل أقصر على ما ذكرت.

¹ المقصود المارشال فوزي جاقاق الذي كان رئيس اركان الجيش آنذاك. - المترجم.

#69

فيا اخوتي! لقد ذكرت لكم ما أصابني من لطمات الرأفة وصفعات الشفقة والحنان، فاذا سمحتم بأن أسرد ما تلقيتموه أتم من لطمات رؤوفة أيضاً فسأذكرها، وأرجو ألا تستاءوا، وان كان فيكم من لا يرغب في ذكرها فلن أصرح باسمه.

المثال الثاني: هو أخي عبد المجيد وهو من طلابي العاملين المخلصين المضحين.. كان يملك داراً أنيقة جميلة في وان وحالته المعاشية على مايرام، فضلاً عن أنه كان يزاوّل مهنة التدريس.. فعندما استوجبت خدمة القرآن ذهابي الى مكان بعيد عن المدينة، على الحدود، أردت استصحابه، الا أنه لم يوافق وكأنه رأى أنه من الافضل عدم ذهابي أنا كذلك، حيث قد يشوب العمل للقرآن شئ من السياسة وقد يعرضه للنفي، وفضل المكوث حيث هو ولم يشترك معنا. ولكن جاءت اللطمة الرحمانية بما هو ضد مقصوده، وعلى غير توقع منه، اذ أُخرج من المدينة وأبعد عن منزله الجميل وأرغم على الذهاب الى أرغاني.¹

الثالث: وهو خلوصي وهو من البارزين في خدمة القرآن، فعندما سافر من قضاء أكريدرالى بلده، تيسرت له اسباب التمتع بمباهج الدنيا وسعادتها، مما دفعه الى شئ من الفتور عن خدمة القرآن الخالصة لله. حيث التقى والديه اللذين كان قد فارقهما منذ مدة مديدة، وحل في مدينته وهو بكامل بَزّته العسكرية ورتبته العالية، فبدت الدنيا له حلوة خضرة.

نعم! ان العاملين في خدمة القرآن إما أن يُعرضوا عن الدنيا أو الدنيا تعرض عنهم، كي ينهضوا بالعمل بجد ونشاط واخلاص.. وهكذا فعلى الرغم من أن قلب خلوصي ثابت لا يتزعزع، وهو رابط الجأش، فقد ساقه هذا الوضع الجميل الذي ابتسم له، الى الفتور.. فجاءته لطمة ذات رأفة، اذ تعرض له عدد من المنافقين طوال سنتين

متواليتهن، فسلبوه لذة الدنيا وأفقدوه طعمها، حتى جعلوه يمتعض منها ويعزف عنها، والدنيا تمتعض منه وتعزف عنه، وعندها التف حول راية العمل القرآني واستمسك بها بجد ونشاط.

#70

¹ قضاء يبعد عن مدينة (وان) 500 كم غرباً. - المترجم.

الرابع: هو الحافظ أحمد المهاجر وسيقصد عليكم ما وقع له بنفسه.

نعم! لقد أخطأتُ في اجتهادي في خدمة القرآن، حيث فكرت لانقاذ آخرتي وحدي، فما أن بدا في هذا النوع من الرغبة فترت عن العمل للقرآن. فأتتني لطمة رؤوفة، رغم ما فيها من قوة وشدة، بل كانت في الحقيقة صفة شديدة وزجراً عنيفاً، أرجو الله تعالى أن تكون كفارة عما بدر مني من غفلة عن العمل لقرآنه العظيم. والحادثة كانت كالآتي:

كان الاستاذ لا يوافق على محدثات الامور¹ وحيث ان الجامع الذي أؤدي فيه الصلاة جماعة يقع بجوار مسكن الاستاذ، والشهور المباركة - رجب شعبان رمضان - مقبلة علينا، فقد حدثني نفسي بالآتي:

ان لم أؤد الصلاة على الوجه البدعي، أُنعم من عملي، وان تركت الجامع ولم أصل فيه اماماً للجماعة، يضع مني ثواب عظيم ولا سيما في هذه الشهور الثلاثة فضلاً عن أن أهل المحلة سيعتادون على ترك الجماعة.. فرغبت في نفسي أن لو يغادر الاستاذ - وهو أحب اليّ من رحي - القرية بارايغادرها مؤقتاً الى قرية اخرى كي أؤدي الصلاة وفق الامور المحدثه. ولكن فانتني شئ هو أن لو غادر الاستاذ هذا المكان فسوف يفتر العمل للقرآن ولو مؤقتاً. فجاءتني العقوبة في هذه الاثناء، وكانت لطمه قوية جداً مع ما فيها من حنان ورأفة. حتى انني لم أفق من شدتها منذ ثلاثة شهور.

فأملي عظيم في سعة رحمته تعالى أن يجعل كل دقيقة من دقائق تلك المصيبة بمثابة عبادة يوم كامل - كما أخبرني به الاستاذ بما ألهمه الله - حيث أن ذلك الخطأ لم يكن قد بدر مني لدوافع شخصية، وانما هو خطأ اجتهادي في التفكير، ولم ينجم الا عن تفكيري بآخرتي وحدها.

الخامس: هو السيد حقي. وحيث أنه ليس حاضراً معنا، فسأنوب عنه كما نُبْتُ عن خلوصي فأقول:

#71

¹ اي اقامة الصلاة ورفع الاذان باللغة التركية وامثالها من البدع التي استحدثت منذ العشرينيات ودامت حتى سنة 1950.. المترجم.

كان السيد حقي يوفي حق مهمته في العمل للقرآن أيما ايفاء. ولكن عندما عُين قائماً سفية للقضاء، فكّر السيد

حقي أن يخبئ ما لديه من رسائل خشية أن يصيبه واستاذة أذى منه، فترك خدمة النور مؤقتاً، وإذا بلطمة ذات رحمة وحنان تواجهه، إذ فتحت عليه دعوى كادت تلجئه الى دفع ألف ليرة كي يبرأ منها، فبات تحت وطأة التهديد طوال سنة كاملة. حتى أتنا عائداً الى وظيفته طالباً في خدمة القرآن، فأنقذه الله من تلك الورطة ورُفع عنه الحكم، وبرئت ساحته.

ثم عندما فُتح أمام الطلاب ميدان عمل جديد للقرآن وهو استنساخه بخط جميل وبنمط جديد، أُعطي للسيد حقي حصته من الاستنساخ، فأجاد القيام بما كلف، وكتب جزءاً كاملاً من القرآن الكريم أحسن كتابة، ولكن لأنه كان يرى نفسه في حالة مضطرة من حيث ضروريات العيش، فقد لجأ الى القيام بوكالة دعاوى أمام المحاكم، من دون علمنا، وإذا به يتلقى لطمة أخرى فيها الرأفة والرحمة له، إذ اثنت اصبعه التي كان يكتب بها القرآن الكريم. وحيث اننا لم نكن نعلم تورطه في هذا العمل فقد كنا حائرين أمام ما نزل باصبعه من بأس، وعجزه عن الاستمرار في كتابة القرآن.

ثم علمنا أن الخدمة المقدسة هذه لا تقبل أن تدخل تلك الاصابع الطاهرة في أمور ملوثة،¹ فكان الاصبع تقول بهذا الاتشاء: لا يجوز لك أن تغمسني بنور القرآن الكريم ثم تغرقني في ظلمة دعاوى. فنيهته.. وعلى كل حال، فقد وضعت نفسي موضع خلوصي، وتكلمت بدلاً منه، فالسيد حقي أيضاً مثله تماماً. فان لم يرض بوكالتي عنه فليكتب بنفسه اللطمة التي تلقاها.

السادس: هو السيد بكر² وسأتولى مهمة الكلام عنه لعدم حضوره معنا مثلما تكلمت بدلاً عن أخي عبد المجيد، فهو مثله أيضاً، أتوكل عنه معتمداً على

¹ حيث دعاوى تختلط فيها القضايا الباطلة مع الحق. - المترجم.

² بكر أفندي: من اوائل طلاب النور، ولد سنة 1898م في بارلا وتوفي في سنة 1954م في استانبول نغمده الله برحمته. - المترجم.

#72

اخلاصه ووفائه وصداقته الصميمة وثباته في الخدمة، واستناداً الى ما يرويه السيد سليمان¹ و الحافظ توفيق الشامي² وأمثالهم من الأخوة الأحبة:

ان السيد بكر هو الذي تولّى القيام بطبع الكلمة العاشرة في استانبول، فاردنا طبع رسالة المعجزات القرآنية أيضاً هناك قبل احداث الحروف اللاتينية الحديثة، أرسلت رسالة كتبت له فيها: سنرسل لك ثمن طبع هذه الرسالة مع ثمن الرسالة السابقة. ولكنه عندما لاحظ ان الطبع يكلف اربعمائة ليرة، وهو يعلم ما انا فيه من فقر، اراد هو ان يدفع المبلغ من خالص ماله وخطر بباله أنني لأرضى بهذا العمل، فخدعته نفسه فلم يياشر بالطبع،

فاصاب الخدمة القرآنية من جراء تفكيره هذا ضرر بالغ.. وبعد مرور شهرين سُرقت منه تسعمائة ليرة، فكانت لطمة رؤوفة وشديدة تجاه ما أصاب العمل من فتور. نسأل الله ان يجعل تلك الاموال الضائعة بمثابة صدقة عن نفسه.

السابع: هو الحافظ توفيق الملقب بالشامي، وسيورد بنفسه الحادثة:

نعم! لقد قمت بأعمال ساقنتني الى الفتور في خدمة القرآن. فأتنتي لطمة من جرائها، وتيقنت بما لايقبل الشك ان هذه اللطمة ليست الا من تلك الجهة، اذ كانت نتيجة خطأ مني في التفكير وجهل مني في التقدير.

اللطمة الاولى: عندما وزع الاستاذ أجزاء القرآن الكريم علينا، كان حظي منها كتابة ثلاثة أجزاء، حيث قد أنعم الله عليّ قدرة على كتابة الحروف العربية وتجويدها كخط القرآن الكريم. فالشوق الى كتابة كتاب الله العزيز ولد في فتوراً عن كتابة مسودات الرسائل وتبييضها، فضلاً عن أنه قد أصابني منه شئ من الغرور، حيث كنت أعد نفسي فائقاً على أقراني في هذا العمل، بما أجده في نفسي من كفاية في حسن الخط العربي. حتى أنه عندما اراد الاستاذ ارشادي الى أمور تخص الكتابة

¹ وهو الذي خدم الاستاذ النورسي في منفاه «بارالا» طوال ثماني سنوات، كان مثلاً للصدق والوفاء والاخلاص. توفي في سنة 1965 رحمه الله رحمة واسعة. - المترجم.

² الحافظ توفيق: (1887 - 1965م) من اوائل طلاب النور وكتابها، لقب بالحافظ لحفظه القرآن الكريم والشامي لطول بقائه بالشام بصحبة والده الذي كان ضابطاً هناك، وهو المشهود له بالصلاح والعلم والتقوى، لازم الاستاذ في بارالا وفي سجون اسكي شهر ودينزلي. تغمده الله برحمته. - المترجم.

#73

العربية، قلت بشئ من الغرور: هذا الامر يعود لي، أعرف هذا فلا أحتاج الى توصية! فتلقيت لطمة عطف ورأفة نتيجة خطأي هذا، وهي انني عجزت عن بلوغ أقراني في الكتابة، فسبقوني في الجودة.. فكنت احار من أمري هذا، لماذا تخلفت عنهم رغم تميزي عليهم؟! ولكن الآن أدركت أن ذلك كان لطمة رحمانية، ضربتني بها كرامة خدمة القرآن، حيث لاتقبل الغرور!

ثانيتها: كانت لديّ حالتان تخلان بصفاء العمل للقرآن، تلقيت على أثرهما لطمة شديدة. والحالتان هما:

كنت أعد نفسي غريباً عن البلد، بل غريباً حقاً، فلأجل تبديد وحشة الغربة جالست أناساً مغرورين بالدنيا، فتعلمت منهم الرياء والتملق، علاوة على تعرضي لفقر الحال - ولأشكو - حيث لم اراع دستور الاستاذ المهم في الاقتصاد والقناعة، رغم تنبيه الاستاذ لي على هذه الامور وتحذيري، بل توبيخي أحياناً. فلم أستطع - مع الاسف - انقاذ نفسي من هذه الورطة.. نسأل الله العفو والمغفرة.. فهاتان الحالتان استغلتهما شياطين الجن

والانس فاصاب العمل للقرآن الفتور، وتلقيت لطمة قوية، الا انها كانت لطمة حنان ورأفة، فأيقنت بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه اللطمة انما هي من ذلك الوضع وكانت على الوجه الآتي:

على الرغم من أنني كنت موضع خطاب الاستاذ وكاتب مسودات رسائله وتبييضها طوال ثماني سنوات. فلم أنل مع الاسف من نورها ما كان يفيض على غيري في ثمانية شهور. فكنت انا والاستاذ حائرين أمام هذا الوضع! وتساءل: لماذا؟ أي لماذا لا يدخل نور حقائق القرآن شغاف قلبي.. بحثنا عن الاسباب كثيراً، حتى علمنا الآن علماً جازماً، ان تلك الحقائق انما هي نور وضياء، ولا يجتمع النور مع ظلمات الرياء والتصنع والتزلف للآخرين.. لذا ابتعدت معاني حقائق هذه الانوار عني وغدت كأنها غريبة عني. أسأله سبحانه وتعالى أن يرزقني الاخلاص الكامل اللائق للعمل، وينقذني من الرياء والتذلل لأهل الدنيا. وارجوكم جميعاً - وفي المقدمة ارجو الاستاذ - ان تجهدوا في الدعاء لي.

العبد المقصر

الحافظ توفيق الشامي

#74

الثامن: هو سيراني: هذا الأخ صنو خسرو¹ من المشتاقين لرسائل النور، ومن طلابي الأذكياء المجدين. استطلعت ذات يوم رأي طلاب اسبارطة حول التوافق الذي يعدّ مفتاحاً مهماً لأسرار القرآن ولعلم الحروف. اشترك الجميع في المناقشة بجد، عدا هذا الشخص، ولم يكتف بعدم المشاركة في المناقشة بل أراد أن يصرفني عمّا أنا اعلمه من حقائق علمياً يقيناً، اذ كان له اهتمامات بأمر أخرى، ثم بعث اليّ رسالة جارحة جداً، اصابتني في الصميم. فقلت: وا أسفاه! لقد ضيعت هذا الطالب النابه، فعلى الرغم من محاولتي توضيح الأمر له إلا أن شيئاً آخر قد خالط الموضوع؛ فأتته اللطمة الرؤوفة.. ودخل السجن زهاء سنة.

التاسع: هو الحافظ زهدي الكبير.

كان هذا الاخ يشرف على عمل طلاب النور في قسبة أغروس ولكن كأنه لم يكتف بالمنزلة المعنوية الرفيعة والشرف السامي الذي يتمتع به طلاب النور، لاتباعهم السنة الشريفة واجتنابهم البدع، فرغب في العثور على هذه المنزلة لدى أهل الدنيا فتسلم وظيفة القيام بتعليم بدعة سيئة، مرتكباً خطأً جسيماً منافياً لمسلكتنا الذي هو اتباع السنة الشريفة. فتلقى لطمة رهيبية جداً. اذ تعرض لحادثة كادت تمحو شرفه وشرف أهله، وقد مست الحادثة الحافظ زهدي الصغير أيضاً مع الاسف بالرغم من انه لا يستحق اللطمه. نسأل الله ان تكون تلك الحادثة المؤلمة بمثابة عملية جراحية لتصرف قلبه عن الدنيا وتدفعه للاقبال على العمل القرآني الخالص لوجه الله، لتنفعه يوم القيامة.

العاشر: هو الحافظ أحمد.

كان هذا الاخ يستنسخ الرسائل وينهل من انوارها طوال ثلاث سنوات، وهو دؤوب شغوف في عمله، ثم تعرض للاختلاط بأهل الدنيا لعله يدفع أذاهم عنه،

¹ خسرو: كان في مقدمة الذين استنسخوا المئات من الرسائل ونشروها في احلك الظروف، وقضى معظم حياته مع استاذة في سجون اسكي شهر ودنزلي وآفيون وهو الذي كتب مصحفاً بتوجيه من الاستاذ النورسي لاطهار الاعجاز في التوافقات اللطيفة لاسم الجلالة في الصفحة الواحدة. ولد في اسبارطة سنة 1899 وتوفي في استانبول سنة 1977م رحمه الله رحمة واسعة. - المترجم.

#75

ويمكن من ابلاغ الكلام الطيب لهم وليكسب شيئاً من المنزلة لديهم، فضلاً عن انه كان يرغب في أن يوسّع ما ضاق عليه من أمور الدنيا وهموم العيش ففتر شوقه. واستغل اهل الدنيا ضعفه بهذا الجانب فأصابه فتور في عمله القرآني جراء تلك الأوضاع، فأنته لطمتان معاً:
اولاهما: ضُمّ الى عائلته خمسة اشخاص آخرين بالرغم من ضيق معيشتة، فأصبح حقاً في رهق شديد من العيش.

ثانيتها: على الرغم من أنه كان مرهف الحس ولا يتحمل شيئاً من الكلام من أحد، فقد اصبح وسيلة لداساسين من حيث لا يعلم، حتى فقد موقعه ومنزلته كلياً، وأصبح كثير من الناس يهجرونه، ففقد صداقتهم بل عادوه.. وعلى كل حال؛ نسأل الله أن يغفر له، ونسأله ان يوفقه للفاقة من غفلته ويعي الامور ويعود الى مهمته في خدمة القرآن.

الحادي عشر: لم يسجل ربما لا يرضى!.

الثاني عشر: هو المعلم غالب¹ لقد خدم هذا الاخ باخلاص وصدق في تبييض الرسائل، فقام بخدمات جليلة كثيرة، ولم يبد منه ضعفٌ أمام أية مشكلة من المشاكل مهما كانت.

كان يحضر الدرس في أغلب الاوقات وينصت بكل اهتمام وشوق، ويستنسخ الرسائل لنفسه أيضاً، حتى استكتب لنفسه جميع الكلمات والمكتوبات لقاء أجره قدرها ثلاثون ليرة. كان يقصد من وراء هذا الاستنساخ نشر الرسائل في مدينته، وارشاد اصدقائه، وبعد ذلك فتر عن العمل ولم يقيم بنشر الرسائل كما هو دأبه، وذلك بسبب ما ساوره من الهواجس، فحجب نور هذه الرسائل عن الانظار فأصابته على حين غرة حادثة أليمة جداً، تجرّع من جرائها العذاب غصصاً مدة سنة كاملة، فوجد أمامه عدداً غفيراً من أعداء الظالمين بدلاً من عداوة بضعة موظفين لقيامه بنشر الرسائل، ففقد اصدقاء أعزاء عليه.

¹ (المعلم احمد غالب: من أوائل طلاب النور، خطاط وشاعر، له ديوان شعر مخطوط، ولد في (يالواج) سنة 1900، وتوفي في شباط 1940م رحمه الله رحمة واسعة . - المترجم.

#76

الثالث عشر: هو الحافظ خالد¹ وسيدذكر لكم الحادثة بنفسه:

عندما كنت أعمل بشوق وحماسة في كتابة مسودات رسائل النور، كانت هناك وظيفة شاغرة، وهي أمانة المسجد في محلتنا. ورغبة مني - رغبة شديدة - لألبس جبتي العلمية القديمة وعمامتها فترت مؤقتاً عن العمل وضعفت همتي وشوقي في خدمة القرآن فانسحبت من ساحة العمل القرآني جهلاً مني، فاذا بي أتلقى لطمة ذات رأفة بخلاف ما كنت أقصده. اذ رغم الوعود الكثيرة التي قطعها المفتي على نفسه بتعييني، ورغم أنني كنت قد توليت هذه الوظيفة لما يقرب من تسعة اشهر سابقاً الا انني حُرمت من لبس الجبة والعمامة، فأيقنت أن هذه اللطمة انما هي من ذلك التصير في العمل للقرآن. اذ كان الاستاذ يخاطبني بالذات في الدرس فضلاً عن قيامي بكتابة المسودة، فانسحابي من العمل، ولاسيما من كتابة المسودة، اوقعهم في حرج وضيق.. وعلى كل حال فالشكر لله وحده الذي جعلنا نفهم فداحة تقصيرنا ونعلم مدى سمو هذه الخدمة، وثقق باستاذ مرشد كالشيخ الكيلاني ظهيراً لنا كالملائكة الحفظة.

اضعف العباد

الحافظ خالد

الرابع عشر: لطمات حنان ثلاث صغيرة، أصابت ثلاثة أشخاص كل منهم يسمى مصطفى.

أولهم: مصطفى جاويش² كان هذا الاخ يتولى خدمة الجامع الصغير، وتزويد مدفأته بالنفط، بل حتى علبه الكبريت كان يوفرها للجامع، فخدم طوال ثماني سنوات، ويدفع كل ما تحتاجه هذه الامور من خالص ماله - كما علمنا بعدئذٍ - ولم يكن يتخلف عن الجماعة ابداً، ولاسيما في ليالي الجمع المباركة الا اذا اضطر

¹ الحافظ خالد: هو خالد عمر لطفي افندي. من اوائل طلاب النور وكتاب الرسائل. ولد سنة 1891 في بارلا توفي سنة 1946 في استانبول - رحمه الله -. اشتغل في التعليم ثم تركه واصبح اماماً في احد مساجد بارلا، ارسل له الاستاذ رسالة عزى فيها طفله (انور) الذي توفي سنة 1930 اثر اصابته بمرض السعال الديكي عن عمر يناهز الثامنة ودخلت هذه الرسالة ضمن المكتوبات - المكتوب السابع عشر. - المترجم.

² مصطفى جاويش: اسمه الحقيقي خلوصي مصطفى ولد سنة 1882، خدم الاستاذ النورسي في بارلا وتوفي في شباط سنة 1939 عن سبعة وخمسين سنة من العمر تغمده الله برحمته. - المترجم.

#77

الى ذلك بعمل ضروري جداً. أخبره أحد الأيام بعض أهل الدنيا مستغلين صفاء قلبه: بلغ الحافظ فلاناً - وهو

من كتاب رسائل النور - لينزع عمامته قبل ان يتأذى ويجبر على نزعها، وبلغ الجماعة ان يتركوا الأذان سراً.¹ ولم يعلم هذا الدينوي الغافل ان تبليغ هذا الكلام ثقيل جداً على شخص مثل مصطفى جاويش من ذوي الأرواح العالية. ولكن لصفاء سيرته بلغ صاحبه الخبر، فرأيت تلك الليلة في المنام ان يدي مصطفى جاويش ملطختان وهو يسير خلف القائمقام ويدخلان معاً غرفتي..! قلت له في اليوم التالي لذلك اليوم: أخي مصطفى! من قابلت اليوم؟ لقد رأيتك في المنام وانت ملطخ اليدين سائراً خلف القائمقام. قال: وا أسفاه، لقد أبلغني المختار كلاماً وانا بلغته الحافظ الكاتب، ولم أعلم ما وراءه من كيد.

ثم حدث في اليوم نفسه ان جاء بكمية من النفط للمسجد. وعلى غير المعتاد فقد ظل باب المسجد مفتوحاً فدخل عناق (صغير العنز) الى حرم المسجد فلوث قريباً من سجادتي، وجاء احدهم فاراد تنظيف المكان فلم يجد غير اناء النفط، وحسبه ماءً فرش ما في الاتاء الى أطراف المسجد والعجيب انه لم يشم رائحته. فكأن المسجد يقول بلسان حاله لمصطفى جاويش: لاجابة لنا الى نفطك بعد الآن، لقد ارتكبت خطأ جسيماً. وشارة لهذا الكلام المعنوي لم يشعر ذلك الشخص برائحة النفط بل لم يتمكن مصطفى من الاشتراك في صلاة الجماعة في ذلك اليوم وليلة الجمعة المباركة بالرغم من محاولاته. ثم ندم ندماً خالصاً لله، واستغفر الله كثيراً، فرجع اليه صفاء قلبه وخلوص عبادته والحمد لله.

الشخصان الآخران المسمى كل منهما بمصطفى.

أولهما: مصطفى من قرية قوله أونلي وهو من الطلاب المجدين، والآخر صديقه الوفي هو الحافظ مصطفى. كنت قد بلغت طلابي بان لا يأتوا حالياً لزيارتي عقب العيد لئلا يفتر العمل للقرآن من جراء مراقبة أهل الدنيا ومضايقاتهم. واستثنيت من ذلك من كان يأتي فرداً فلا بأس به، واذا بي أفاعاً بثلاثة اشخاص معاً يأتون لزيارتي ليلاً، ويزمعون السفر قبل الفجر - اذا سمحت احوال الجو بالسفر - فلم تتخذ تدابير الحذر، لا أنا

¹ حيث كانوا يرفعون الاذان الشرعي سراً والاذان البدعي، اي بالتركية علناً. - المترجم.

ولاسليمان ولامصطفى جاويش، بل نسيناها حيث ألقى كلُّ منا اتخاذها على عاتق الآخر. وعلى كل حال غادرونا قبل الفجر، فجاءتهم اللطمة بعاصفة شديدة لم نكن قد رأينا مثلها في هذا الشتاء. استمرت ساعتين متواليتين فقلقنا عليهم كثيراً، وقلنا لن ينجوا منها، وتألّمت عليهم ألماً ماتألّمت على أحد مثلهم. ثم اردت ان ابعث سليمان - لعدم أخذه بالحذر - ليتلقى اخبارهم ويبلغنا عن سلامة وصولهم. ولكن مصطفى جاويش قال: اذا ذهب سليمان فسيتقى هناك ايضاً، ولا يتمكن من العودة، وسأتبعه أنا ايضاً، وسيتبعني عبد الله جاويش

وهكذا.. ولهذا وكننا الامر الى العلي القدير قائلين جميعاً: توكلنا على الله. وفوضنا الامر اليه.

* * *

سؤال:

انك تعد المصائب التي تصيب اخوانك الخواص واصدقائك تأديباً ربانياً ولطمة عتاب لفتورهم عن خدمة القرآن، بينما الذين يعادون خدمة القرآن ويعادونكم يعيشون في بجموحة من العيش وفي سلام وأمان. فلم يتعرض صديق القرآن للطمّة ولا يتعرض عدوه لشيء؟

الجواب: يقول المثل الحكيم: (الظلم لا يدوم والكفر يدوم) فأخطاء العاملين في صفوف خدمة القرآن هي من قبيل الظلم تجاه الخدمة، لذا يتعرضون بسرعة للعقاب ويجازون بالتأديب الرباني، فان كانوا واعين يرجعون الى صوابهم.

أما العدو فان صدوده عن القرآن وعداءه لخدمته انما هو لأجل الضلالة، وان تجاوزه على خدمة القرآن - سواء شعر به أم لم يشعر - انما هو من قبيل الكفر والزندقة، وحيث ان الكفر يدوم، فلا يتلقى معظمهم الصفعات بذات السرعة، اذ كما يعاقب من يرتكب أخطاء طفيفة في القضاء او الناحية، بينما يساق مرتكبو الجرائم الكبيرة الى محاكم الجزاء الكبرى، كذلك الاخطاء الصغيرة والهفوات التي يرتكبها أهل الايمان وأصدقاء القرآن يتلقون على إثرها جزاءً من العقاب بسرعة في الدنيا ليكفر عن سيئاتهم ويتطهروا منها، أما جرائم أهل الضلالة فهي كبيرة وجسيمة الى حد لاتسع هذه الحياة الدنيا القصيرة عقابهم، فيمهلون الى عالم البقاء والخلود

#79

والى المحكمة الكبرى لتقتص منهم العدالة الإلهية القصاص العادل، لذا لا يلقون غالباً عقابهم في هذه الدنيا. وفي الحديث الشريف: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) ¹ إشارة الى هذه الحقيقة التي ذكرناها، أي أن المؤمن ينال نتيجة تقصيراته قسماً من جزائه في الدنيا، فتكون بحقه كأنها مكان جزاء وعقاب، فضلاً عن أن الدنيا بالنسبة لما أعده الله له من نعيم الآخرة سجن وعذاب. أما الكفار فلأنهم مخلصون في النار، ينالون قسماً من ثواب حسناتهم في الدنيا، وتُمهّل سيئاتهم العظيمة الى الآخرة الخالدة، فتكون الدنيا بالنسبة لهم دار نعيم لما يلاقونه من عذاب الآخرة. والا فالؤمن يجد من النعيم المعنوي في هذه الدنيا ما لا يناله أسعد انسان. فهو أسعد بكثير من الكافر من زاوية نظر الحقيقة وكأن ايمان المؤمن بمثابة جنة معنوية في روحه وكفر الكافر يستعر جحماً في ماهيته.

¹ رواه مسلم (برقم 2959) وابن ماجه (4113) والترمذي (2324) واحمد في مسنده (485/2) وكلهم عن ابي هريرة.

اللمعة الحادية عشرة

(مرقاة السنة وترياق مرض البدعة)

المقام الاول لهذه الآية عبارة عن منهاج السنة والمقام الثاني هو مرقاة السنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة: 128)

(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (التوبة: 129)

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (آل عمران: 31).

سنيين احدى عشرة نكتة دقيقة، بيانا مجملا، من بين

مئات المسائل الدقيقة التي تتضمنها هاتان الآيتان العظيمتان.

النكتة الاولى:

قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

(من تمسك بسنتي عند فساد امتي فله اجر مائة شهيد) .¹

اجل! ان اتباع السنة المطهرة لهو حتما ذو قيمة عالية، ولا سيما اتباعها عند استيلاء

¹ رواه ابن عدي في الكامل وابن بشران في الامالى 193/2 و 141 وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب للميهقي. والثابت في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: "ان من ورائكم زمان صبر، للتمسك فيه اجر خمسين شهيدا منكم" اخرجه الطبراني في الكبير 10394 والبزار 378/1 وقال الهيثمي في المجمع (282/7): ورجال البزار رجال الصحيح غير سهل بن عامر البجلي وثقه ابن حبان. ا.هـ. وفي الصحيحة (494) قال عن اسناد الطبراني: وهذا اسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال مسلم.

البدع وغلبتها، فان له قيمة أعلى وأسمى، وبالاخص عند فساد الامة، اذ تُشعر مراعاة ابسط الآداب النبوية بتقوى عظيمة وايمان قوي راسخ؛ ذلك لأن اتباع المباشر للسنة المطهرة يذكر بالرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم، فهذا التذكر الناشئ من ذلك الاتباع ينقلب الى استحضار الرقابة الإلهية، بل تتحول في الدقائق التي تراعى فيها السنة الشريفة أبسط المعاملات العرفية والتصرفات الفطرية - كآداب الاكل والشرب والنوم وغيرها - الى عمل شرعي وعبادة مثاب عليها؛ لأن الانسان يلاحظ بذلك العمل المعتاد اتباع الرسول صلى الله عليه

وسلم، فيتصور أنه يقوم بأدب من آداب الشريعة، ويتذكر أنه صلى الله عليه وسلم صاحب الشريعة، ومن ثم يتوجه قلبه الى الشارع الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى، فيغتم سكينته واطمئنانا ونوعا من العبادة. وهكذا، في ضوء ما تقدم فان من يجعل اتباع السنة السنوية عادته، فقد حول عاداته الى عبادات، ويمكنه ان يجعل عمره كله مثمرا، ومثابا عليه.

النكته الثانية:

لقد قال الامام الرباني احمد الفاروقى رحمه الله :¹

بينما كنت اقطع المراتب في السير والسلوك الروحاني، رأيت ان أسطع ما في طبقات الاولياء، وارقاهم وأطفهم وآمنهم واسلمهم هم اولئك الذين اتخذوا اتباع السنة الشريفة اساسا للطريقة، حتى كان الاولياء العوام لتلك الطبقة يظهرن اكثر بهاء واحتشاما من الاولياء الخواص لسائر الطبقات.

نعم ان الامام الرباني مجدد الالف الثاني ينطق بالحق، فالذي يتمسك بالسنة الشريفة ويتخذها اساساً له، لهو أهل لمقام المحبوبة في ظل حبيب الله صلى الله عليه وسلم.

¹ هو احمد بن عبد الاحد السرهندي الفاروقى (971- 1034 هـ) الملقب بحق مجدد الالف الثاني برع في علوم عصره، وجمع معها تربية الروح وتهذيب النفس والاخلاص لله وحضور القلب، رفض المناصب التي عرضت عليه، قاوم فتنه "الملك اكبر" التي كادت ان تحقق الاسلام. وفقه المولى العزيز الى صرف الدولة المغولية القوية من الاحاد والبرهمية الى احتضان الاسلام بما بث من نظام البيعة والاخوة والارشاد بين الناس، طهر معين التصوف من الاكدار، تنامت دعوته في القارة الهندية حتى ظهر من ثمارها الملك الصالح "اورنك زيب" فانتصر المسلمون في زمانه، وهان الكفار. انتشرت طريقته النقشبندية في ارجاء العالم الاسلامي بوساطة العلامة خالد الشهرزوري المشهور بمولانا خالد (1192- 1243 هـ). له مؤلفات عديدة اشهرها "مكتوبات" ترجمها الى العربية محمد مراد في مجلدين. - المترجم.

#82

النكته الثالثة:

عندما كان يسعى هذا السعيد الفقير الى الله، للخروج من حالة (سعيد القديم)¹ ارتج عقلي وقلبي وتدحرجا ضمن الحقائق ازاء اعصار معنوي رهيب، فقد شعرت كأنها يتدحرجان هبوطا تارة من الثريا الى الثرى وتارة صعدا من الثرى الى الثريا، وذلك لانعدام المرشد، ولغرور النفس الامارة.

فشاهدت حينئذ ان مسائل السنة النبوية الشريفة بل حتى ابسط آدابها، كل منها في حكم مؤشر البوصلة الذي يبين اتجاه الحركة في السفن. وكل منها في حكم مفتاح مصباح يضىء ما لا يحصر من الطرق المظلمة المضرة. وبينما كنت ارى نفسي في تلك السياحة الروحية أرزح تحت ضغط مضايقات كثيرة وتحت اعباء أثقال هائلة،

إذا بي أشعر بخفة كلما تتبعت مسائل السنة الشريفة المتعلقة بتلك الحالات، وكأنها كانت تحمل عني جميع الأثقال وترفع عن كاهلي تلك الأعباء. فكنت أنجو باستسلام تام بالسنة من هموم التردد والوساوس مثل: هل في هذا العمل مصلحة؟ ترى هل هو حق؟. وكنت أرى متى ما كفت يدي عن السنة تشتد موجات المضايقات وتكثر، والطرق المجهولة تتوعد وتغمض، والأحمال تثقل.. وأنا عاجز في غاية العجز ونظري قصير، والطريق مظلمة. بينما كنت أشعر متى ما اعتصمت بالسنة، وتمسكت بها، تنور الطريق من أمامي، وتظهر كأنها طريق آمنة سالمة والأثقال تخف والعقبات تزول.

نعم، هكذا أحسست في تلك الفترة فصدقت حكم الإمام الرباني بالمشاهدة.
النكتة الرابعة:

غمرتني - في فترة ما - حالة روحية نبعت من التأمل في رابطة الموت ومن الإيمان بقضية الموت حق، ومن طول التفكير بزوال العالم وفناؤه. فرأيت نفسي في عالم عجيب، إذ نظرت فإذا أنا جنازة واقفة على رأس ثلاث جنائز مهمة وعظيمة:

1 سعيد القديم هو اللقب الذي يطلقه الاستاذ النورسي على نفسه، قبل قيامه بتأليف رسائل النور (1926) وقبل ان يأخذ «سعيد الجديد» على عاتقه مهمة انقاذ الايمان، ويستلهم من فيض القرآن الكريم رسائل النور. - المترجم.

#83

الاولى: الجنازة المعنوية لمجموع الاحياء التي لها ارتباط بحياتي الشخصية، والتي ماتت ومضت ودفنت في قبر الماضي.. وما أنا الا كشاهد قبرها موضوع على جثتها.

الثانية: جنازة عظيمة تطوي مجموع انواع الاحياء المتعلقة بحياة البشرية قاطبة، والتي ماتت ودفنت في قبر الماضي الذي يسع الكرة الارضية.. وما أنا الا نقطة تمحي عاجلا ونملة صغيرة تموت سريعا على وجه هذا العصر الذي هو شاهد قبر تلك الجنازة.

الثالثة: الجنازة الضخمة التي تطوي هذا الكون عند قيام الساعة، وحيث ان موته عندئذ امر محقق لامناص منه، فقد اصبح في نظري في حكم الواقع الآن، فأخذت الحيرة جوانب نفسي، وبهت من هول سكرات تلك الجنازة المهولة، وبدت وفاتي - التي هي الأخرى آتية لا محال - كأنها تحدث الان، فادارت جميع الموجودات وجميع المحبوبات ظهرها لي ومضت، وتركتني وحيداً فريداً، مثلما جاءت في الآية الكريمة: (فان تولوا...).

واحسست كأن روحي تساق الى المستقبل الممتد نحو الأبد الذي اتخذ صورة بحر عظيم لا ساحل له.. وكان لابد من القاء النفس في خضم ذلك البحر العظيم طوعاً او كرهاً.

وبينما انا في هذا الذهول الروحي، والحزن الشديد يعصر قلبي، اذا بمدد يأتييني من القرآن الكريم والايمان.

فمدتني الآية الكريمة: (فإن تولّوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) حتى غدت هذه الآية بمثابة سفينة أمان في منتهى السلام والاطمئنان. فدخلت الروح آمنة مطمئنة في حمى هذه الآية الكريمة.. وفهمت في حينها ان هناك معنى غير المعنى الصريح لهذه الآية الكريمة، وهو المعنى الاشاري. فلقد وجدت فيه سلوانا لروحي، حيث وهب لي الاطمئنان والسكينة.

نعم! ان المعنى الصريح للآية الكريمة يقول للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:

اذا تولى اهل الضلالة عن سماع القرآن، واعرضوا عن شريعتك وسنتك، فلا تحزن ولا تغتم، وقل حسبي الله، فهو وحده كاف لي، وانا اتوكل عليه؛ اذ هو الكفيل بأن يقيض من يتبعني بدلا منكم، فعرشه العظيم يحيط بكل شيء، فلا العاصون يمكنهم ان يهربوا منه، ولا المستعينون به يظلون بغير مدد وعون منه.

#84

فكما ان المعنى الصريح لهذه الآية الكريمة يقول بهذا، فالمعنى الاشاري للآية الكريمة يقول:

ايها الانسان، ويا من يتولى قيادة الانسان وارشاده؛ لئن ودعتك الموجودات كلها وانعدمت ومضت في طريق الفناء.. وان فارقتك الاحياء وجرت الى طريق الموت.. وان تركك الناس وسكنوا المقابر.. وان اعرض اهل الغفلة والضلالة ولم يصنعوا اليك وتردوا في الظلمات.. فلا تبال بهم، ولا تغتم، وقل: حسبي الله، فهو الكافي، فاذ هو موجود فكل شئ موجود.. وعلى هذا، فان اولئك الراحلين لم يذهبوا الى العدم، وانما ينتقلون الى مملكة اخرى لرب العرش العظيم، وسيُرسَل بدلا منهم ما لا يعد ولا يحصى من جنوده المجندين.. وان اولئك الذين سكنوا المقابر لم يفنوا ابدا، وانما ينتقلون الى عالم آخر، وسيبعث بدلا منهم موظفين آخرين يعمرون الدنيا، ويشغلون ما خلا من وظائفها.. وهو القادر على ان يرسل من يطيعه ويسلك الطريق المستقيم بدلا ممن وقعوا في الضلالة من الذاهبين..

فما دام الامر هكذا، فهو الكفيل، وهو الوكيل، وهو البديل عن كل شئ، ولن تعوّض جميع الاشياء عنه، ولن تكون بديلا عن توجه واحد من توجهات لطفه ورحمته لعباده..

وهكذا اقلبت صور الجنازات الثلاث التي راعيتني بهذا المعنى الاشاري الى شكل آخر من اشكال الانس والجمال وهو:

ان الكائنات تتهادى جيئة وذهابا في مسيرة كبرى، انهاء لخدمات مستمرة، واشغالا لواجبات مجددة دائمة، عبر رحلة ذات حكمة، وجولة ذات عبرة، وسياحة ذات مهام، في ظل ادارة الحكيم الرحيم العادل القدير ذى الجلال، وضمن ربوبيته الجليلة وحكمته البالغة ورحمته الواسعة.

النكتة الخامسة:

قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (آل عمران: 31) تعلن هذه الآية العظيمة اعلاناً قاطعاً عن مدى أهمية اتباع السنة النبوية ومدى ضرورتها. نعم! ان هذه الآية الكريمة اقوى قياس واثبتته من قسم القياس الاستثنائي، ضمن المقاييس المنطقية، اذ يرد فيه على وجه المثال: اذا طلعت الشمس فسيكون النهار.

#85

ويرد مثالا للنتيجة الايجابية: طلعت الشمس فالنهار اذاً موجود. ويرد مثالا للنتيجة السلبية: لا نهار فالشمس اذاً لم تطلع. فهاتان النتيجتان - الايجابية والسلبية - ثابتتان وقاطعتان في المنطق. وكذلك الامر في الآية الكريمة، فتقول: ان كان لديكم محبة الله، فلا بد من الاتباع لحبيب الله. وان لم يكن هناك اتباع، فليس لديكم اذاً محبة الله. اذ لو كانت هناك محبة حقاً فانها تولد حتماً اتباع السنة الشريفة لحبيب الله.

أجل! ان من يؤمن بالله يطعه. ولا ريب ان اقصر طريق اليه وأكثرها قبولا لديه، وأزيدها استقامة - ضمن طرق الطاعة المؤدية اليه - لهي الطريق التي سلكها وبينها حبيب الله صلى الله عليه وسلم. نعم! ان الكريم ذا الجمال الذي ملأ هذا الكون بنعمه وآلائه الى هذا المدى، بديهي - بل ضروري - ان يطلب الشكر من ذوي المشاعر تجاه تلك النعم.

وان الحكيم ذا الجلال الذي زين هذا الكون بمعجزات صنعته الى هذا الحد، سيجعل بالبداهة من هو المختار الممتاز من ارباب الشعور مخاطباً له، وترجاناً لأوامره، ومبلغاً لعباده، واماماً لهم. وان الجميل ذا الكمال الذي جعل هذا الكون مظهراً بما لا يعد ولا يحصى لتجليات جماله وكماله سيهب بالبداهة لمن هو اجمع نموذج لبدائع صنعته، واكمل من يظهر ما يحبه ويريد اظهاره من جمال وكمال واسماء حسنى.. سيهب له اكمل حالة للعبودية جاعلاً منه اسوة حسنة للآخرين ويحثهم لاتباعه، ليظهر عندهم ما يماثل تلك الحالة اللطيفة الجميلة.

الخلاصة:

ان محبة الله تستلزم اتباع السنة المطهرة وتنتجه.
فطوبى لمن كان حظه وافراً من ذلك الاتباع.
وويل لمن لا يقدر السنة الشريفة حق قدرها فيخوض في البدع.

#86

النكتة السادسة:

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)،¹ أي: بعد ان كملت قواعد الشريعة الغراء وديساتير السنة المطهرة، واخذت تمام كمالها، بدلالة الآية الكريمة (اليوم أكملت لكم دينكم...) (المائدة: 3) فان عدم استحسان تلك الديساتير بمحدثات الامور، او ايجاد البدع التي تشعر كأن تلك القواعد ناقصة - حاش لله - ضلال ليس له مستقر الا النار.

ان للسنة المطهرة مراتب:

قسم منها واجب لا يمكن تركه، وهو مبين في الشريعة الغراء مفصلا، وهو من المحكمات اي لا يمكن باية جهة كانت ان تتبدل.

وقسم منها هو من قبيل النوافل، وهذا بدوره قسمان:

قسم منه هو السنن التي تخص العبادات، وهي مبينة ايضا في كتب الشريعة. وتغيير هذه السنن بدعة. أما القسم الآخر فهو الذي يطلق عليه الآداب وهي المذكورة في كتب السير الشريفة، ومخالفتها لاتسمى بدعة، الا انها من نوع مخالفة الآداب النبوية، وعدم الاستفاضة من نورها، وعدم التأدب بالادب الحقيقي. فهذا القسم هو: اتباع افعال الرسول صلى الله عليه وسلم المعلومة بالتواتر في العرف والعادات والمعاملات الفطرية، ككثير من السنن التي تبين قواعد ادب المخاطبة وتظهر حالات الاكل والشرب والنوم أو التي تتعلق بالمعايشة. فمن يتحر امثال هذه السنن التي تطلق عليها الآداب ويتبعها فانه يحول عاداته الى عبادات، ويستفيض من نور ذلك الأدب النبوي، لأن مراعاة أبسط الآداب واصغرها تذكر بالرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم مما يسكب النور في القلب.

ان اهم ما في السنة المطهرة هي تلك السنن التي هي من نوع علامات الاسلام والمتعلقة بالشعائر، اذ الشعائر هي عبادة من نوع الحقوق العامة التي تخص المجتمع.

¹ حديث صحيح: جزء من حديث اخرجه احمد (310/3، 311 و371، 338، 337) ومسلم (867) والنسائي (188 /3) وابن ماجه (45) والبيهقي في السنن (213/3، 214) وغيرهم من عدة طرق كلهم من حديث جابر رضي الله عنه. وزيادة (وكل ضلالة في النار) هي عند النسائي فقط من بين هؤلاء وسندها صحيح.

#87

فكما ان قيام فرد بها يؤدي الى استفادة المجتمع كله، فان تركها يجعل الجماعة كلها مسؤولة. فمثل هذه الشعائر يعلن عنها وهي أرفع من ان تنالها ايدي الرياء واهم من الفرائض الشخصية ولو كانت من نوع النوافل.

النكته السابعة:

ان السنة النبوية المطهرة في حقيقة امرها لهي أدب عظيم، فليس فيها مسألة الا وتنطوي على ادب ونور

عظيم. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: (أدبني ربي فأحسن تأديبي).¹ نعم، فمن يعن النظر في السيرة النبوية ويحط علماً بالسنة المطهرة، يدرك يقيناً ان الله سبحانه وتعالى قد جمع اصول الاداب وقواعدها في حبيبه صلى الله عليه وسلم. فالذي يهجر سنته المطهرة ويجافها فقد هجر منابع الادب واصوله، فيحرم نفسه من خير عظيم، ويظل محروماً من لطف الرب الكريم، ويقع في سوء ادب وبيل. ويكون مصداق القاعدة: *بي ادب محروم باشد أز لطف رب*. (2)

سؤال:

كيف تتأدب مع علام الغيوب، البصير العليم، الذي لا يخفى عليه شئ، حيث ان هناك حالات تدعو الانسان الى الخجل، ولا يمكن اخفاؤها عنه سبحانه، ولا التستر منه، بينما ستر مثل هذه الحالات المستكرهه احد انواع الأدب؟.

الجواب:

اولاً: كما ان الصانع ذا الجلال يظهر صنعته اظهاراً جميلاً في نظر مخلوقاته، ويأخذ الامور المستكرهه تحت أستار وحجب، ويزين نعمه ويحتملها حتى لتشتاقها الابصار. كذلك يطلب سبحانه من مخلوقاته وعباده ان يظهرها امام ذوي الشعور بأجمل صورهم وأكثرها حسناً؛ اذ ان ظهورهم للمخلوقات في حالات مزرية قبيحة، واوضاع مستهجنة، يكون منافياً للأدب الجميل، ونوعاً من العصيان تجاه قدسية اسمائه أمثال: الجميل، المزين، اللطيف، الحكيم. وهكذا فالادب الذي في السنة

(1) حديث معناه صحيح، ابن السمعاني في ادب الاملاء عن ابن مسعود (شرح المناوى على الجامع الصغير) وقال ابن تيمية (375/18): معناه صحيح ولكن لا يعرف له اسناد ثابت وايداه السخاوي والسيوطي. راجع (كشف الخفاء 70/1) وسلسلة الاحاديث الضعيفة برقم 72.

(2) مثنوي الرومي ج 1/ص 3 ط. بومبي

#88

النبوية الطاهرة انما هو تأدب بالادب المحض الذي هو ضمن الاسماء الحسنی للصانع الجليل.

ثانياً: ان الطيب له ان ينظر الى أشد الاماكن حرمة لمن يجرم عليه، من زاوية نظر الطب والعلاج. بل يكشف له - في حالات الضرورة - تلك الاماكن ولا يعد ذلك خلافاً للأدب، وانما يعتبر ذلك من مقتضيات الطب. الا ان ذلك الطيب نفسه لا يجوز له ان ينظر الى تلك الاماكن المحرمة من حيث كونه رجلاً او واعظاً او عالماً، فلا يسمح الادب قطعاً باظهارها له بتلك العناوين والصفات. بل يعد ذلك انعداماً للحياء.

ولله المثل الاعلى فان للصانع الجليل اسماء حسنى كثيرة، ولكل اسم تجليه، فمثلاً:

كما يقتضي اسم الغفار وجود الذنوب، واسم الستار وجود التقصيرات، فان اسم الجميل لا يرضى برؤية القبح. وان الاسماء الجمالية والكمالية، امثال: اللطيف، الكريم، الحكيم، الرحيم، تقتضى ان تكون الموجودات في احسن الصور، وفي افضل الاوضاع الممكنة. فتلك الاسماء الجمالية والكمالية تقتضى اظهار جمالها؛ بالاوضاع الجميلة للموجودات وتاديبها بالاداب الحسنة، امام انظار الملائكة والعالم الروحاني والجن والانس. وهكذا فالاداب التي تتضمنها السنة المطهرة اشارة الى هذه الاداب السامية، ولفتة الى دساتيرها ونماذجها. النكتة الثامنة:

تبين الآية الكريمة (لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم..) كمال شفقة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ومنتهى رأفته نحو أمته. أما التي تعقبها (فإن تولّوا فقلّ حسبي الله..) فهي تقول: ايها الناس! ايها المسلمون! اعلموا كم هو انعدام للوجدان وفقدان للعقل اعراضكم عن سنن هذا النبي الرؤوف الرحيم، وعمّا بلغ من احكام، لحد انكاركم شفقتة البديية، واتهام رأفته المشاهدة، وهو الذي أرشدكم برأفته الواسعة وبذل كل

#89

ما اوتي لاجل مصالحكم، مداوياً جراحاتكم المعنوية ببلسم سننه الطاهرة والاحكام التي اتى بها. وانت ايها الرسول الحبيب الرؤوف الرحيم، ان لم يعرف هؤلاء شفقتك العظيمة هذه، لبلاهمتم، ولم يقدرُوا رأفتك الواسعة هذه، فأداروا لك ظهورهم، ولم يعيروا لك سمعاً.. فلا تبال ولا تهتم فان رب العرش العظيم الذي له جنود السموات والارض والذي تيمن ربوبيته من على العرش الاعظم المحيط بكل شئ، لهو كاف لك.. وسيجمع حولك المطيعين حقاً، ويجعلهم يصغون اليك ويرضون باحكامك. نعم، انه ليست في الشريعة المحمدية والسنة الاحمدية مسألة الا وفيها حكمٌ عديدة، فانا هذا الفقير الى الله ادعى بهذا، رغم كل عجزى وقصوري. وانا على استعداد لإثبات هذه الدعوى. فما كتبت له لحد الآن من اكثر من سبعين رسالة من رسائل النور انما هو بمثابة سبعين شاهدا صادقا على مدى الحكمة والحقيقة التي تنطوي عليها السنة الاحمدية والشريعة المحمدية، فلو قدر وكتب هذا الموضوع فلا يكفي سبعون رسالة ولاسبعة آلاف رسالة لايفاء تلك الحكم حقها.

ثم اني قد شاهدت شخصياً، وتدوقته بنفسى، بل لي الف تجربة وتجربة: ان دساتير المسائل الشرعية والسنة النبوية افضل دواء وانفعه للامراض الروحية والعقلية والقلبية، ولاسيما الاجتماعية منها. فانا اعلن بمشاهدتي واحساسى هذا، وقد اشعرت الاخرين بشئ منها في الرسائل بأنه: لايمكن ان تسد مسد تلك المسائل اية حلول فلسفية ولا آية مسألة حكيمية. فالذين يرتابون من ادعائي هذا عليهم مراجعة اجزاء رسائل النور.

فليقدر اذاً مدى الرجح العظيم في السعي لاتباع سنة هذه الذات المباركة واجد في طلبها على قدر الاستطاعة، ومدى السعادة للحياة الابدية ومدى النفع في الحياة الدنيا.

النكتة التاسعة:

قد لا يتيسر اتباع كل نوع من انواع السنة الشريفة اتباعاً فعلياً كاملاً الا لأخص الخواص، ولكن يمكن لكل واحد الاتباع عن طريق: النية والقصد والرغبة في الالتزام والقبول. ومن المعلوم انه ينبغي الالتزام بأقسام الفرض والواجب. اما السنن المستحبة في العبادة فتركها واهمالها وان لم يكن فيه اثم الا انه ضياع لثواب عظيم، وفي

#90

تغييرها خطأ كبير. اما السنن النبوية في العادات والمعاملات فانها تصير العادة عبادة رغم ان تاركها لا يلام، الا أن استفادته تقل وتتضاءل من نور الاداب الحياتية لحبيب الله صلى الله عليه وسلم. اما البدع فهي: احداث امور في الاحكام العبادية، وهي مردودة حيث انها تنافي الآية الكريمة: (اليوم أكملت لكم دينكم...) غير ان تلك الامور المستحدثة ان كانت من قبيل الاوراد والاذكار والمشارب - كالتي في الطرق الصوفية - فهي ليست ببدعة ما دامت اصولها مستقاة من الكتاب والسنة. اذ ان تلك الاصول والاسس المقررة رغم انها باشكال مختلفة وانماط متباينة الا انها مشروطة بعدم مخالفتها للسنة النبوية وبعدم تغييرها لها. وعلى الرغم من ذلك فقد ادخل قسم من اهل العلم بعضاً من هذه الامور ضمن البدع، الا انهم اطلقوا عليها البدعة الحسنة. ولكن الامام الرباني يقول: كنت ارى في سيرى عبر السلوك الروحاني ان الكلمات المروية عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم منورة متألفة بشعاع السنة المطهرة، في حين كنت ارى الاوراد العظيمة والحالات الباهرة غير المروية عنه ليس عليها ذلك النور والتألق. فما كان يبلغ اسطع ما في هذا القسم - الاخير - الى اقل القليل لما في السنة... ففهمت من هذا: ان شعاع السنة المطهرة لهو الاكسير النافذ، فالسنة المطهرة كافية ووافية لمن يبتغي النور، فلا داعي للبحث عن نور في خارجها...

فهذا الحكم الصادر من هذا الرائد البطل من ابطال الحقيقة والشريعة ليظهر لنا: ان السنة السنوية هي الحجر الاساس لسعادة الدارين ومنبع الكمال والخير.

اللهم ارزقنا اتباع السنة السنوية.

(ربَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) (آل عمران: 53)

النكتة العاشرة:

قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ).

في هذه الآية الكريمة ايجاز معجز، حيث ان معاني كثيرة قد اندرجت في هذه الجملة الثلاث:

#91

تقول الآية الكريمة: ان كنتم تؤمنون بالله، فانكم تحبونه، فما دتم تحبونه فستعملون وفق ما يحبه، وما ذاك الا تشبهكم بمن يحبه.. وتشبهكم بمحبوه ليس الا في اتباعه، فمتى ما اتبعتموه يحبكم الله، ومن المعلوم انكم تحبون الله كي يحبكم الله.

وهكذا فهذه الجملة ماهي الا بعض المعاني المختصرة المجلدة للآية، لذا يصح القول: ان أسمى مقصد للانسان واعلاه هو ان يكون اهلا لمحبة الله.. فنص هذه الاية يبين لنا ان طريق ذلك المقصد الاسنى انما هو في اتباع حبيب الله والافتداء بسننه المطهرة. فاذا ما اثبتنا في هذا المقام ثلاث نقاط فستبين الحقيقة المذكورة بوضوح. النقطة الاولى:

لقد جُبل هذا الانسان على محبة غير متناهية لخالق الكون، وذلك لان الفطرة البشرية تكن حباً للجمال، ووداً للكمال، وافتناناً بالاحسان، وتزايد تلك المحبة بحسب درجات الجمال والكمال والاحسان حتى تصل الى اقصى درجات العشق ومنتهاه.

نعم ان في القلب الصغير لهذا الانسان الصغير يستقر عشق بكبر الكون. اذ ان نقل محتويات ما في مكتبة كبيرة من كتب، وخبزها في القوة الحافظة للقلب - وهي بحجم حبة عدس - يبين ان قلب الانسان يمكنه ان يضم الكون ويستطيع ان يحمل حباً بقدر الكون.

فما دامت الفطرة البشرية تملك استعداداً غير محدود للمحبة تجاه الاحسان والجمال والكمال.. وان لخالق الكون جمالا مقدساً غير متناه، ثبوته متحقق بدهاه بآثاره الظاهرة في الكائنات.. وان له كمالاً قدسياً لا حدود له، ثبوته محقق ضرورة بنقوش صنعته الظاهرة في هذه الموجودات.. وان له احسانا غير محدود ثابت الوجود يقينا، يمكن لمسه ومشاهدته ضمن انعامه والآئه الظاهرة في جميع انواع الاحياء.. فلا بد انه سبحانه يطلب محبة لاحد لها من الانسان الذي هو اجمع ذوي الشعور صفة، وأكثرهم حاجة، واعظمهم تفكراً، واشدهم شوقاً اليه.

#92

نعم، كما ان كل انسان يملك استعدادا غير محدود من المحبة تجاه ذلك الخالق ذي الجلال، كذلك الخالق سبحانه هو اهل ليكون محبوبا، لاجل جماله وكماله واحسانه أكثر من اي احد كان، حتى ان ما في قلب الانسان المؤمن من انواع المحبة ودرجاتها للذين يرتبط بهم بعلاقات معينة، ولا سيما ما في قلبه من حب تجاه حياته وبقائه، وتجاه وجوده ودينه، وتجاه نفسه والموجودات بأسرها، انما هي ترشحات من تلك الاستعدادات للمحبة الإلهية. بل حتى اشكال الاحساسات العميقة - عند الانسان - ما هي الا تحولات لذلك الاستعداد، وما هي الا رشحاته التي اتخذت اشكالا مختلفة.

ومن المعلوم ان الانسان مثلما يتلذذ بسعادته الذاتية، فهو يتلذذ ايضا بسعادة الذين يرتبط بهم بعلاقة ومحبة ومثلما يحب من ينقذه من البلاء، فهو يحب من ينجي محبيه من المصائب ايضاً.

وهكذا، فاذا ما فكر الانسان وروحه مفعمة بالامتنان لله، في احسان واحد فقط مما لا يعد ولا يحصى من الاحسانات العظيمة التي قد غمر بها الله سبحانه وتعالى الانسان وشمله بها، فانه سيفكر على النحو الآتي: ان خالقي الذي انقذني من ظلمات العدم الابدية، ومنحني منحة الخلق والوجود، ووهب لي دنيا جميلة استمتع بجمالها هنا على هذه الارض، فان عنايته ايضا ستمتد اليّ حين يجين اجلي، فينقذني كذلك من ظلمات العدم الابدي والفناء السرمدى، وسيهب لي - من فضل احسانه - عالماً ابدياً باهراً زاهراً في عالم البقاء في الآخرة.. وسينعم عليّ سبحانه بحواس ومشاعر ظاهرة وباطنة لتستمتع وتتلذذ في تنقلها بين انواع ملذات ذلك العالم الجميل الطاهر.

كما انه سبحانه سيجعل جميع الاقارب، وجميع الاحبة من بني جنسي الذين اكن لهم حباً عميقاً وارتبط معهم بعلاقة وثيقة، سيجعلهم اهلاً لهذه الآلاء والاحسانات غير المحدودة.. وهذا الاحسان - من جهة - يعود عليّ كذلك، اذ اني اتلذذ بسعادة اولئك، واسعد بها.. فما دام في كل فرد حب عميق وافتتان بالاحسان كما في المثل: الانسان عبد الاحسان فلا بد ان الانسان امام هذا الاحسان الابدي غير المحدود سيقول:

#93

لو كان لي قلب بسعة الكون لاقتضى ان يملأ حباً وعشقاّ تجاه ذلك الاحسان الإلهي، وانا مشتاق ملته، ولكن رغم اني لست على مستوى تلك المحبة فعلاً، الا اني اهل لها بالاستعداد والايمان، وبالنية والقبول، وبالتقدير والاشتياق، وبالالتزام والارادة.

وهكذا ينبغي قياس ما يظهره الانسان من المحبة تجاه الجمال وتجاه الكمال بمقياس ما اشرنا اليه مجملًا من المحبة تجاه الاحسان.

اما الكافر الملحد، فانه يحمل عداً لاحد له فهو يستخف بالموجودات من حوله، ويستهن بها، ويمتهنها، ويناصها العداً والكراهية.

* النقطة الثانية:

ان محبة الله تستلزم اتباع السنة الطاهرة لمحمد صلى الله عليه وسلم، لان حب الله هو العمل بمريضاته، وان مرضاته تتجلى بافضل صورها في ذات محمد صلى الله عليه وسلم. والتشبه بذاته المباركة في الحركات والافعال يأتي من جهتين:

احدهما: جهة حب الله سبحانه واطاعة اوامره، والحركة ضمن دائرة مرضاته، هذه الجهة تقتضي ذلك الاتباع، حيث ان اكمل امام وامثل قدوة في هذا الامر هو محمد صلى الله عليه وسلم.

وثانيتها: جهة ذاته المباركة صلى الله عليه وسلم التي هي أسمى وسيلة للاحسان الإلهي غير المحدود للبشرية، فهي إذاً أهل لمحبة غير محدودة لاجل الله وفي سبيله.

والانسان يرغب فطرة في التشبه بالمحبوب ما امكن، لذا فالذين يسعون في سبيل حب حبيب الله عليهم ان يبذلوا جهدهم للتشبه به باتباع سنته الشريفة.

* النقطة الثالثة:

كما ان لله سبحانه وتعالى رحمة غير متناهية، فله سبحانه كذلك محبة غير متناهية. وكما انه يجب نفسه - بصورة غير محدودة - بحاسن الكائنات جميعاً وبجمالها وزينتها الى مخلوقاته، فانه كذلك يحب مخلوقاته، ولا سيما اصحاب

#94

الشعور منهم الذين يقابلون تحببه لهم بالحب والتعظيم. لذا فان اسمى مقصد الانسان في مرضاة ربه، واجلّ سعيه هو ان يكون موضع نظر محبة الله الذي خلق الجنة بلطائفها ومحاسنها ولذائدها ونعمها بتجل من تجليات رحمته.

وبما ان احدا لا يمكنه ان يكون اهلاً لمحبهه سبحانه الا باتباع السنة الاحمدية كما نص عليه كلامه العزيز، اذن فاتباع السنة المحمدية هو اعظم مقصد انساني واهم وظيفة بشرية.

النكته الحادية عشرة:

وهي ثلاث مسائل:

* المسألة الاولى:

أن لسنة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ثلاثة منابع، هي: اقواله، وافعاله، واحواله. وهذه الاقسام الثلاثة هي كذلك ثلاثة اقسام:

الفرائض، النوافل، عاداته صلى الله عليه وسلم.

ففي قسم الفرائض والواجب، لامناص من الاتباع، والمؤمن مجبر على هذا الاتباع بحكم ايمانه. والجميع بلا استثناء مكلفون بأداء الفرض والواجب، ويترتب على اهماله او تركه عذاب وعقاب.

وفي قسم النوافل، فأهل الايمان هم مكلفون به ايضا حسب الامر الاستجابي، ولكن ليس في ترك النوافل عذاب ولا عقاب. غير ان القيام بها واتباعها فيه اجر عظيم. وتغيير النوافل وتبديلها بدعة وضلالة وخطأ كبير.

اما عاداته صلى الله عليه وسلم وحركاته وسكناته السامية فمن الافضل والمستحسن جداً تقليدها واتباعها حكمة ومصلحة سواء في الحياة الشخصية او النوعية او الاجتماعية، لان هناك في كل حركة من حركاته

الاعتيادية منافع حياتية كثيرة جدا فضلا عن انها بالمتابعة تصير تلك الآداب والعادات بحكم العبادة. نعم، مادام - عليه الصلاة والسلام - متصف بأسمى مراتب محاسن الاخلاق، باتفاق الاولياء والاعداء. وانه صلى الله عليه وسلم هو المصطفى المختار من بين بني البشر، وهو اشهر شخصية فيهم باتفاق الجميع.. وما دام هو اكمل انسان، بل اكمل قدوة ومرشد

#95

بدلالة آلاف المعجزات، وبشهادة العالم الاسلامي الذي كونه، وبكلماته الشخصية بتصديق حقائق ما بلغه من القرآن الحكيم.. وما دام ملايين من اهل الكمال قد سمو في مراتب الكمالات، وترقوا فيها بثمرات اتباعه فوصلوا الى سعادة الدارين... فلا بد ان سنة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وحركاته هي افضل نموذج للاقتداء واكمال مرشد للاتباع والسلوك واحكم دستور، واعظم قانون، يتخذه المسلم اساسا في تنظيم حياته.

فالسعيد المحظوظ هو من له أوفر نصيب من هذا الاتباع للسنة الشريفة.

ومن لم يتبع السنة فهو في خسران مبین ان كان متكاسلا عنها.. وفي جناية كبرى ان كان غير مكترث بها.. وفي ضلالة عظيمة ان كان منتقداً لها بما يومئ التكذيب بها.

* المسألة الثانية:

لقد وصف الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الحكيم بقوله:

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: 4).

ووصفه الصحب الكرام كما وصفته الصحابية الجليلة الصديقة عائشة رضي الله عنها قائلة: (كان خُلُقُهُ القرآن).¹ اي: ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو المثال النموذج لما بينه القرآن الكريم من محاسن الاخلاق، وهو افضل من تمثلت فيه تلك المحاسن، بل انه خلق فطرة على تلك المحاسن. ففي الوقت الذي ينبغي ان يكون كل من افعال هذا النبي العظيم صلى الله عليه وسلم واقواله واحواله، وكل من حركاته نموذج اقتداء للبشرية، فما اتعس اولئك المؤمنين من امته الذين غفلوا عن سنته صلى الله عليه وسلم ممن لا يبالون بها او يريدون تغييرها فما اتعسهم وما اشقاهم!

* المسألة الثالثة:

لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد خلق في افضل وضع وأعدله وفي اكمل صورة واتمها، فحركاته وسكناته قد سارت على وفق الاعتدال والاستقامة، وسيرته الشريفة تبين هذا بيانا قاطعا وبوضوح تام، بأنه قد مضى وفق الاعتدال والاستقامة في كل حركة من حركاته متجنباً الافراط والتفريط.

¹ جزء من حديث عائشة رضي الله عنها. اخرجه مسلم 746 واحمد 54/6، 91، 163 وابو داود 1342 والنسائي 199/3 - 200 والدارمي.

#96

نعم لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد امتثل امثالاً كاملاً قوله تعالى (فاستقم كما أمرت) (هود: 112) فالاستقامة تظهر في جميع افعاله واقواله واحواله ظهوراً لا لبس فيه. فمثلاً: ان قواه العقلية قد سارت دائماً ضمن الحكمة التي هي محور الاستقامة والحد الوسط، مبرأة عما يفسدها ويكبتها من افراط وتفريط اي الغباء والخب. وان قواه الغضبية قد سارت دائماً ضمن الشجاعة السامية التي هي محور الاستقامة والحد الوسط، منزهة عما يفسدها من افراط وتفريط اي الجبن والتهور. وان قوته الشهوية قد اتخذت محور الاستقامة دائماً وهي العفة واستقامت عليها باسمي درجات العصمة، فصفت من فساد تلك القوة من افراط وتفريط اي الخمود والفجور. وهكذا فانه صلى الله عليه وسلم قد اختار حد الاستقامة في جميع سننه الشريفة الطاهرة وفي جميع احواله الفطرية وفي جميع احكامه الشرعية، وتجنب كلياً من الظلم والظلمات اي الافراط والتفريط، والاسراف والتبذير، حتى انه قد اتخذ الاقتصاد له دليلاً متجنباً الاسراف نهائياً، في كلامه وفي اكله وفي شربه. وقد ألفت في تفصيل هذه الحقائق آلاف المجلدات، الا اننا اكتفينا بهذه القطرة من البحر، اذ العارف تكفيه الاشارة.

اللهم صل على جامع مكارم الاخلاق ومظهر سر (وانك لعلی خلق عظیم) الذي قال: (من تمسك بسنتي عند فساد امتي فله اجر مائة شهيد).

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَىٰ لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَىٰ اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ).

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

#97

%

اللمعة الثانية عشرة

تخص نكتتين قرآنتين لمناسبة
سؤالين جزئيين سألهما الاخ رافت

باسمه سبحانه

(وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)

السلام عليكم وعلى اخوانكم ورحمة الله وبركاته

أخي الصادق العزيز السيد رأفت! ¹ أن أسئلتك في هذا الوقت العصيب الذي يحيطني، تجعلني في وضع محرج لأن سؤالكم - في هذه المرة - وإن كانا جزئيين، إلا أنني رأيتهما على جانب من الأهمية، لما لهما من علاقة مع نكنتين قرآنتين، ولأن سؤالكم حول الكرة الأرضية يتعرض للشبهات التي ترد من علمي الجغرافية والفلك حول طبقات الأرض السبع والسبع الطباق. لذا نبين هنا بياناً علمياً وكلياً ومجماً نكنتين قرآنتين بغض النظر عن جزئية السؤال، وانت بدورك تأخذ حصتك منه إزاء سؤالك الجزئيين.

¹ رأفت بارودجي (1886-1975) عسكري متقاعد من أوائل الذين تتلمذوا على الاستاذ النورسي ولازمه في سجن اسكي شهر ودزلي. تولى الإمامة في استانبول، كان حاذقاً في تعليم القرآن. المترجم.

#98

النكتة الأولى:

وهي عبارة عن نقطتين:

* النقطة الأولى:

قال تعالى: (وكأين من دابةٍ لا تحملُ رزقها اللهُ يرزقها وإياكم) (العنكبوت:60)

(ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (الذاريات:58)

بدلالة هاتين الايتين الكريمتين، الرزق بيد القدير الجليل وحده، ويخرج من خزينة رحمته دون وساطة. فرزق كل ذي حياة بعهدته ربه، فيلزم الأيموت أحد جوعاً. ولكن يبدو ان الذين يموتون جوعاً، أو من فقدان الرزق كثيرون. ان حل هذا السر وكشف هذه الحقيقة هو:

ان التعهد الرباني بالرزق وتكفله له بنفسه حقيقة ثابتة. فلا أحد يموت من عدم الرزق، لان الرزق الذي يرسله الحكيم ذو الجلال الى جسم الكائن الحي يدخر قسم منه احتياطاً على هيئة شحوم ودهون داخلية. بل يدخر قسم من الرزق المرسل في زوايا حجيرات الجسم كي يصرف منه في واجبات الجسم عند عدم مجي الرزق من الخارج.

فالذين يموتون اذاً، انما يموتون قبل نفاذ هذا الرزق الاحتياطي المدخر، اي أن ذلك الموت لاينجم من عدم وجود الرزق، وانما من مرضٍ ناشئٍ من ترك عادة بسوء الاختيار.

نعم! ان الرزق الفطري المدخر بصورة شحوم في جسم الكائن الحي، انما يدوم ويستمر بمعدل اربعين يوماً كاملاً. بل قد يستمر ضعف ذلك، إثر مرض أو استغراق روحاني. حتى كتبت الصحف - قبل تسع وثلاثين سنة

¹ - أن رجلاً قد قضى لعناد سبعين يوماً في سجن لندن دون أن يذوق شيئاً وظل على صحة وعافية. فما دام الرزق الفطري يدوم أربعين يوماً بل سبعين وثمانين يوماً، وان تجلي اسم الرزاق ظاهر على مدّ البسيطة بجلاء، وان الرزق يتدفق من حيث لا يحتسب من الاثداء ويخرج من الاكمام. فلا بد ان ذلك الاسم يمدّ الكائن ويسعفه ويحول بينه

¹ المقصود سنة 1920. - المترجم.

#99

وبين الموت جوعاً قبل انتهاء الرزق الفطري، مالم يتدخل البشر المتلبس بالبشر بسوء عمله. ولهذا فالذين يموتون جوعاً قبل أربعين يوماً، لا يموتون بسبب عدم الرزق قطعاً، بل من عادة ناشئة من سوء الاختيار ومن مرض ناشئ من ترك العادة، اذ: ترك العادات من المهلكات قاعدة مطردة. فيصح القول اذاً: انه لاموت من الجوع.

نعم! انه مشاهد امام الانظار: ان الرزق يتناسب تناسباً عكسياً مع الاقتدار والاختيار، فمثلاً. ان الطفل قبل ان يولد، وليس له من الاختيار والاقتدار شيئ، ساكن في رحم الام، يسيل اليه رزقه دون ان يحتاج حتى الى حركة شفثيه. وحينما يفتح عينيه للدنيا، ولا يملك اقتداراً ولا اختياراً، الاً شيئ من القابليات، وحس كامن فيه، فانه لا يحتاج الاً الى حركة إصاق فمه بالثدي فحسب، واذا بمنابع الثدي تتدفق برزق هو اكل غذاء واسهله هضماً، وبألطف صورة واعجب فطرة. ثم كلما نما لديه الاقتدار والاختيار احتجب عنه ذلك الرزق الميسور الجميل شيئاً فشيئاً، حتى ينقطع النبع ويغور، فيرسل اليه رزقه من اماكن اخرى. ولكن لأن اقتداره واختياره ليسا على استعداد بعد لتتبع الرزق، فان الرزاق الكريم يجعل شفقة والديه ورحمتها ممدّة لاختياره ومسعفة لاقتداره. ثم لما يتكامل الاقتدار والاختيار، فلا يعدو الرزق نحوه، ولا يساق اليه، بل يسكن قائلاً: تعال اطلبني، فتش عني وخذي.

فالرزق اذاً متناسب تناسباً عكسياً مع الاقتدار والاختيار، بل ان حيوانات لاقتدار لها ولاختيار تعيش افضل واحسن من غيرها كما اوضحنا ذلك في رسائل عدة.

* النقطة الثانية:

للامكان انواع واقسام هي: الامكان العقلي والامكان العرفي والامكان العادي. فان لم تكن الحادثة الواقعة ضمن الامكان العقلي، فانها ترد وترفض. وان لم تكن ضمن الامكان العرفي ايضاً فانها تكون معجزة، ولا تكون كرامة بيسر. وان لم تكن لها نظير عرفاً وقاعدةً فلا تقبل إلاً ببرهان قاطع بدرجة الشهود.

#100

فبناءً على هذا، فإن الاحوال الخارقة للعادة المروية عن السيد احمد البدوي (قدس سره)¹ الذي لم يذق طعاماً طوال اربعين يوماً، انما هي ضمن دائرة الامكان العرفي، وتكون كرامة له، بل ربما هي عادة خارقة له. نعم! ان روايات متواترة تنقل عن السيد احمد البدوي (قدس سره) أنه اثناء استغراقه الروحاني كان يأكل كل اربعين يوماً مرة واحدة. فالحادثة وقعت فعلاً، ولكن ليست دائماً، وانما حدثت بعض الاحيان من قبيل الكرامة. وهناك احتمال ان حالته الاستغراقية كانت غير محتاجة الى طعام، لذا اصبحت بالنسبة اليه في حكم العادة.

وقد رويت حوادث كثيرة موثوقة من هذا النوع من الاعمال الخارقة عن اولياء كثيرين من امثال السيد احمد البدوي (قدس سره).

فان كان الرزق المدخر يدوم أكثر من اربعين يوماً - كما اثبتنا في النقطة الاولى - وان الانتطاع عن الطعام طوال تلك الفترة من الامور الممكنة عادةً، وانه قد رويت تلك الحالات روايات موثوقة من اشخاص افاض، فلا بد الاّ تُنكر قطعاً.

السؤال الثاني:

لمناسبة هذا السؤال نبين مسألتين مهمتين.

لما عجز اصحاب علوم الجغرافيا والفلك بقوانينها القاصرة ودساتيرها الضيقة وموازينها الصغيرة ان يرقوا الى سموات القرآن وان يكشفوا عن الطبقات السبع لمعاني نجوم آياته الجليلة، بدأوا يحاولون الاعتراض على الآية الكريمة وانكارها بحجاجة وبلاهة.

¹ السيد البدوي: 596 - 675هـ / 1200 - 1276م احمد بن علي بن ابراهيم الحسيني، أبو العباس البدوي. المتصوف، صاحب الشهرة في الديار المصرية. أصله من المغرب، ولد بفاس، وطاف البلاد وأقام بمكة والمدينة، ودخل مصر في ايام الملك الظاهر بيبرس، فخرج لاستقباله هو وعسكره، وانزله في دار ضيافته، وزار سورية والعراق سنة 634هـ وعظم شأنه في بلاد مصر فانتسب الى طريقته جمهور كبير بينهم الملك الظاهر. وتوفي ودفن في طنطا حيث تقام في كل سنة سوق عظيمة يفد إليها الناس من جميع انحاء القطر المصري احتفاءً بمولده، لم يذكر له مترجموه تصنيفاً غير "حزب - مخطوط -" و"وصايا" و"صلوات". وقد افرد بعضهم سيرته في كتب، منها كتاب «السيد البدوي» لمحمد فهمي عبداللطيف. (الاعلام للزركلي 1/175). - المترجم.

#101

المسألة المهمة الاولى:

تخص كون الارض ذات سبع طبقات كالسموات.

هذه المسألة تبدو لفلاسفة العصر الحديث غير ذات حقيقة، لاتقبلها علومهم التي تخص الارض والسماوات. فيتخذون من هذه المسألة ذريعة للاعتراض على بعض الحقائق القرآنية، لذا نكتب بضع اشارات مختصرة تخص هذه المسألة.

الاولى:

اولاً: ان معنى الآية شئ، وأفراد ذلك المعنى ومايشتمل عليه من تلك المعاني من الجزئيات شئ آخر. فان لم يوجد فرد من افراد كثيرة لذلك المعنى الكلي فلايُنكر ذلك المعنى الكلي. علماً ان هناك سبعة افراد ظاهرة مصدقة للافراد الكثيرة للمعنى الكلي للسماوات السبع والارضين السبع.

ثانياً: ان صراحة الآية الكريمة: (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن..) (الطلاق:12) لاتذكر أن الارض سبع طبقات. بل ظاهرها تفيد: ان الله خلق الارض جاعلاً منها مسكناً لمخلوقاته كالسماوات السبع، فلا تقول الآية: خلقت الارض سبع طبقات. أما المثلية (للسماوات) فهي تشبيه بها من حيث كونها مخلوقة ومسكناً للمخلوقات.

الاشارة الثانية:

ان الارض مهما كانت صغيرة جداً بالنسبة للسماوات، إلا انها تعدلها وتوازئها من حيث انها في حكم معرض للمصنوعات الإلهية التي لاتحد وموضع اشهارها ومركزها. فهي بهذا تعدل السماوات العظيمة وتوازئها، اذ هي كالقلب والمركز المعنوي للسماوات، كما يعدل قلب الانسان الجسد. ولهذا فقد فهم من الآيات الكريمة: ان الارض سبع طبقات.

اذ الارض سبعة أقاليم منذ القديم بمقياس مصغر.

ثم هي سبع قارات وهي المعروفة باسم اوروبا وافريقيا واوقيانوسيا (استراليا) وآسيين وامريكيتين.

#102

ثم هي سبع قطع معروفة في هذا الوجه وفي الوجه الآخر العالم الجديد. وهي الشرق والغرب والشمال والجنوب مع البحار.

ثم هي سبع طبقات متصلة متباينة ابتداءً من مركزها الى قشرتها الظاهرة، كما هو ثابت علماً.

ثم هي ذات عناصر سبعة مشهورة تعبر عنها بالطبقات السبع والمتضمنة لسبعين عنصراً من العناصر الجزئية البسيطة التي اصبحت هي مدار الحياة.

ثم الطبقات السبع والعوالم السبعة المتكونة من العناصر الاربعة - الماء والهواء والنار والتراب - والمواليد الثلاثة وهي المعادن والنباتات والحيوانات.

ثم عوالم طبقات الارض السبع، الثابتة بشهادة كثير من اهل الكشف واصحاب الشهود والتي هي مساكن الجن والعمارة ومقرات مخلوقات مختلفة اخرى ذوات شعور وحياء.

ثم انها سبع طبقات اشارة الى وجود سبع كرات اخرى شبيهة بكرتنا الارضية، هي مساكن ذوي الحياة ومقرات لها، اي ان كرة الارض سبع طبقات اشارة الى وجود سبع كرات ارضية.

هكذا فهم من الآيات هذه المعاني. فإذاً يتحقق وجود سبع طبقات للارض في سبعة انواع من الطبقات وفي سبعة اشكال وانماط منها.

أما المعنى الثامن وهو الأخير فليس داخلاً في المعاني السبعة المعدودة وإنما له أهمية من ناحية اخرى. الاشارة الثالثة:

لما كان الخالق الحكيم لا يسرف في شئ، ولا يخلق عبثاً، وان الموجودات انما وجدت لذوي الشعور، وتجد كما لها بذوي الشعور، بل تعمّر بذوي الشعور، لتتخذ من العشب. وان ذلك الحكيم المطلق والتقدير الجليل يعمر عنصر الهواء وعالم الماء وطبقات التراب بما لا يجد من ذوي الحياة، كما هو مشاهد. وان الهواء والماء لا يحولان دون جولان الحيوانات كما لا تمتع المواد الكثيفة كالتراب والحجر سير

#103

الكهرباء واشعة رونتكن.. فلا بد ان ذلك الحكيم ذا الكمال والصانع الباقي لا يترك طبقات الارض السبع الكلية المتصلة ببعضها ولا كهوفها وميادينها الواسعة وعوالمها خالية خاوية ابتداءً من مركزها الى قشرتها الظاهرة التي هي مسكننا.

فلا جرم انه قد عمّر تلك العوالم وخلق لها مخلوقات ذوات شعور يناسبها ويلبثها واسكنهم فيها، ويلزم ان تكون هذه المخلوقات من اجناس الملائكة والروحانيات التي تكون اكدف الطبقات واصليها بالنسبة اليها كالبحر الى السمك والهواء الى الطير. بل يقتضي ان تكون نسبة النار الهائلة المرعبة في مركز الارض الى تلك المخلوقات الشاعرة كنسبة حرارة الشمس الينا، وحيث ان الروحانيات الشاعرة مخلوقات من نور، فالنار تكون كالنور لهم.

الاشارة الرابعة:

لقد ذكر في المكتوب الثامن عشر مثال حول تصويرات خارجة عن نطاق العقل بينها اهل الكشف فيما يخص عجائب طبقات الارض، وخلصته:

ان كرة الارض بذرة في عالم الشهادة، بينما هي كشجرة ضخمة تضارع عظمتها السموات في عالم المثال والبرزخ، فمشاهدة اهل الكشف لطبقة الارض الخاصة بالعمارة في كرة الارض بمسافة الف سنة ليست مشاهدتهم

لها في بذرة الارض التي تخص عالم الشهادة، بل هي تظاهر لطبقات الارض وفروعها الممتدة في عالم المثال. فان كانت طبقة واحدة - لا اهمية لها ظاهراً - من طبقات الارض قد حازت هذه الاهمية العظمى في عالم آخر، ألا يصح ان يقال اذاً ان الارض هي سبع طبقات تقابل سبع سموات؟. فالآيات الكريمة تشير بايجاز معجز، الى تلك النقاط المذكورة وتنبه عليها، وذلك باظهارها هذه الارض الصغيرة جداً مكافئة لطبقات السموات السبع.

#104

المسألة المهمة الثانية:

قوله تعالى: (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) (الاسراء: 44) و(ثم استوى الى السماء فسوبهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) (البقرة: 29)

هاتان الايتان وامثالهما من الايات الكريمة تبين أن السموات سبع. نرى من الانسب اختصار ما ذكرناه في تفسير اشارات العجاز الذي ألف في جبهة القتال اثناء السنة الاولى من الحرب العالمية الاولى، اذ جاءت فيه هذه المسألة في غاية الإجمال والاختصار الشديد بسبب ظروف الحرب.

ان الحكمة القديمة قد تصورت السموات انها تسع سموات، فزادت على السموات السبع، العرش والكرسي الواردين في الشرع، فكان تصويراً عجيباً لها. ولقد استولت على البشرية طوال عصور مديدة تلك التعابير الرنانة لفلاسفة الحكمة القديمة وحكمائها حتى ان مفسرين كثيرين اضطروا الى امالة ظواهر الايات الى مذهبهم مما ادى الى اسدال ستار على عجاز القرآن، الى حد ما.

أما الحكمة الجديدة المسماة الفلسفة الحديثة فتقول بما يفيد انكار السموات ازاء ما كانت تدعيه الفلسفة القديمة من ان السموات غير قابلة للاختراق والالتئام. فقد فرط هؤلاء كما أفرط اولئك. وعجز الاثنان عن بيان الحقيقة بياناً شافياً.

أما حكمة القرآن الكريم المقدسة فانها تدع ذلك الافراط والتفريط متخذة الحد الوسط، فهي تقول:

ان الصانع جل جلاله خلق سبع سموات طباقاً، أما النجوم السيارة فهي تسبح وتسبح في السماء كالاسماك في البحر. وقد جاء في الحديث الشريف (ان السماء موج مكفوف)¹ اي كبحر استقرت امواجه. هذه الحقيقة تثبت بها بسبع قواعد وبسبعة وجوه من المعاني، وباختصار شديد:

¹ جزء من حديث اخرجه الامام احمد في مسنده (370/2) والترمذي برقم (3298) وفي تحفة الاحوذى برقم (3352) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. عزاه صاحب التحفة لأحمد وابن ابي حاتم والبخاري، وفي مجمع الزوائد (132/8)

جزء من حديث رواه الطبراني في الاوسط، وفيه ابو جعفر الرازي، وثقه ابو حاتم وغيره وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات. وانظر فيه (121/7) وتفسير ابن كثير سورة الحديد.

#105

القاعدة الاولى:

انه قد ثبت علماً وفلسفة حكمة ان هذا الفضاء الواسع مملوء بمادة تُسمى الاثير، وليس خالياً فارغاً لانهاية له.
القاعدة الثانية:

انه ثابت علماً وعقلاً بل مشاهدة؛ ان رابطة قوانين الاجرام العلوية - كالجاذبية والدافعة - وناشرة القوى الموجودة في المادة وناقلتها - كالضياء والحرارة والكهرباء - انما هي مادة موجودة في ذلك الفضاء ماثلة له.
القاعدة الثالثة:

انه ثابت بالتجارب ان مادة الاثير - مع بقاءها أثيراً - لها انماط مختلفة من الاشكال ولها صور متنوعة كسائر المواد، فكما يحصل ثلاثة انواع من اشكال المواد: الغازية والسائلة والصلبة من المادة نفسها كالبخار والماء والثلج، كذلك لامانع عقلاً من أن تكون سبعة انواع من الطبقات من مادة اثيرية، ولا اعتراض عليه.
القاعدة الرابعة:

انه لو أنعم النظر في الاجرام العلوية يُرى في طبقاتها تخالفاً، فكما ان الطبقة التي تحوي درب التبانة المشاهد كسحاب، لاتشبه طبقة النجوم الثوابت البتة، حتى كأن نجوم طبقة الثوابت ثمار ناضجة مكتملة كفواكه الصيف، بينما نجوم لاتحد لدرب التبانة المشاهد كسحاب تنعقد مجدداً وتتكامل. وطبقة الثوابت نفسها لاتشبه ايضاً المنظومة الشمسية بحس صادق. وهكذا يُدرك بالحدس والحس تخالف المنظومات السبع والطبقات السبع.

القاعدة الخامسة:

لقد ثبت حدساً وحسناً واستقراءً وتجربة أنه اذا وقع التشكل والتنظيم في مادة تتولد منها مصنوعات اخرى فانها تأخذ اشكالاً مختلفة وطبقات متباينة.

فمثلاً حينما تبدأ التشكلات في معدن الالماس يتولد منه الرماد والفحم والألماس. وحينما تبدأ النار بالتشكل تتميز جماً ولهباً ودخاناً. وعندما يمزج مولد الماء ومولد الحموضة يتشكل منها الماء والثلج والبخار.

#106

يفهم من هذا أنه اذا وقع التشكل في مادة ما تنقسم الى طبقات، لذا فالقدرة الفاطرة لما شرعت بالتشكيل في مادة الاثير خلقت منها سبعة انواع من سموات على طبقات مختلفة كما جاءت في قوله تعالى: (فسويهن سبع سموات).

القاعدة السادسة:

ان هذه الامارات المذكورة تدل بالضرورة على وجود السموات وعلى تعددها، فالسموات اذاً متعددة قطعاً، وحيث أن المخبر الصادق قد قال بلسان القرآن: هي سبعة، فهي سبعة.

القاعدة السابعة:

ان التعابير: سبعة، وسبعين وسبعائة وامثالها تفيد الكثرة في اساليب اللغة العربية، اي يمكن ان يضم تلك الطبقات السبع الكلية طبقات كثيرة جداً.

حاصل الكلام:

ان التقدير ذا الجلال خلق سبع سموات طباقاً من مادة الاثير، وسواها ونظّمها بنظام عجيب دقيق، وزرع فيها النجوم. ولما كان القرآن الكريم خطاباً ازلياً للجن والانس بطبقاتهم كافة، فكل طبقة من البشر تأخذ اذاً حصتها من كل آية من القرآن الكريم، وكل آية ايضاً تُشبع أفهام كل طبقة من الناس، اي لكل آية معان متنوعة متعددة ضمناً وشارة.

نعم! ان سعة خطاب القرآن وشمول معانيه واشاراته ومراعاته درجات افهام الطبقات عامة ومداركهم من ادنى العوام الى أخص الخواص تبين: ان كل آية لها وجه متوجه الى كل طبقة من الناس. ولأجل هذا فقد فهمت سبع طبقات بشرية سبع طبقات مختلفة من المعاني ضمن المعنى الكلي للآية الكريمة: (سبع سموات). كالآتي:

يفهم ذوو النظر القاصر والفكر المحدود من الناس انها: طبقات الهواء النسيمة.

والذين اغتروا بعلم الفلك يفهمونها: النجوم المعروفة بالسيارات السبع ومداراتها لدى الناس.

#107

ومن الناس من يفهمها: سبع كرات سماوية اخرى شبيهة بارضنا التي هي مقر ذوي الحياة.

وتفهمها طائفة من البشر: سبع منظومات شمسية اولها منظومتنا هذه وانقسام المنظومة الشمسية الى سبع طبقات.

وطائفة اخرى من البشر تفهمها: انقسام تشكيلات الاثير الى سبع طبقات.

وطبقة اخرى واسعة الادراك والفهم، تفهم: ان السموات المرئية كلها، المرصعة بالنجوم ليست الا سماء واحدة وهي السماء الدنيا، وهناك ست سموات اخرى فوقها لا تُرى.

وطبقة سامية من الناس وهم الطبقة السابعة ذوو ادراك عالٍ لا يرون انحصار سبع سموات في عالم الشهادة فقط، بل هي سبع سموات تسقف وتحيط بالعوالم الاخرية والغيبية والدينوية والمثالية.

وهكذا ففي كلية هذه الآية الكريمة معان اخرى كثيرة جزئية جداً شبيهة بهذه الطبقات السبع المذكورة من المعاني التي تراعي افهام سبع طبقات من الناس. فكلُّ يستفيض بقدر استعداده من فيض القرآن ويأخذ رزقه من المائدة السماوية العامرة.

فما دامت هذه الآية الكريمة تحوي معاني مصدقة لها الى هذا الحد، فان انكار الفلاسفة الحاليين المحرومين من العقل وجود علماء الفلك المخمورين، السموات، واتخاذ هذا الانكار وسيلة تعرض لأمثال هذه الآية الجليلة، ان هو الأكرمي الصبيان الفاسدي المزاج النجوم العوالي بالحجارة بغية اسقاط واحدة منها! ذلك:

لأن معنى واحداً لهذه الآية من بين تلك المعاني الكثيرة إن كان صدقاً فان المعنى الكلي يكون صدقاً وصواباً، حتى لو ان فرداً واحداً من تلك المعاني، لاوجود له في الواقع إلا في ألسنة الناس، يصح أن يكون داخلاً ضمن ذلك المعنى الكلي، رعاية لأفكار العامة. فكيف ونحن نرى كثيراً جداً من افراده صدقاً وحقيقةً.

الا ترى هؤلاء المخمورين بسكر الجغرافية وعلم الفلك الذين لاينصفون، كيف يقعون في خطأ فيغمضون عيونهم عن المعنى الكلي الذي هو حق وحقيقة وصدق، فلا يرون مصدقات الآية الكثيرة جداً، ويتوهمون معنى الآية منحصرأ في فرد خيالي عجيب. فرشقوا الآية الكريمة بالحجارة، فارتدت على رؤوسهم فكسرتها، ففقدوا صوابهم وايمانهم.

#108

محصل الكلام:

لما عجز ارباب الافكار المادية الملحدة كالشياطين والجن، من الصعود الى الطبقات السبع للقرآن الكريم النازل على القراءات السبع والوجوه السبعة والمعجزات السبع والحقائق السبع والاركان السبعة، جهلوا ما في الايات من معان. فيخبرون احكاماً كاذبة خاطئة. فينزل على رؤوسهم شهاب رصد من نجوم تلك الايات بالتحقيقات العلمية المذكورة فتحرقهم.

نعم! انه لايمكن الرقي الى تلك السموات القرآنية بفلسفة فلاسفة يحملون افكاراً شيطانية خبيثة. وانما يمكن الصعود الى نجوم تلك الايات بمعراج الحكمة الحقيقية ويمكن الطيران اليها بجناح الايمان والاسلام. اللهم صل على شمس سماء الرسالة وقمر فلك النبوة وعلى آله وصحبه نجوم الهدى لمن اهتدى.

(سُبْحَانَكَ لَاعِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

اللهم يارب السموات والارضين زين قلوب كاتب هذه الرسالة ورفقائه بنجوم حقائق القرآن والايمان... آمين.

#109

%

اللمعة الثالثة عشرة

حكمة الاستعاذة

تخص حكمة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(وقل ربّ اعوذ بك من همزات الشياطين _ واعوذ بك ربّ ان يحضرون) (المؤمنون: 97-98)

هذا البحث يخص حكمة الاستعاذة من الشيطان. ستكتب ثلاث عشرة إشارة بشكل مجمل، حيث أن قسماً منه قد أثبت ووضّح في الكلمة السادسة والعشرين وفي رسائل أخرى بصورة متفرقة.

الإشارة الأولى

سؤال: ان الشياطين ليس لهم تدخل في شؤون الخلق والايجاد في الكون، وأن الله سبحانه وتعالى - برحمته وعنايته - ظهيرٌ لأهل الحق، فضلاً عن أن جمال الحق وحُسنه يشوّق أهله ويؤيدهم، بعكس الضلالة المستهجنة بقبحها المنقّر، فما الحكمة في أن حزب الشيطان هو الغالب في أكثر الاحوال، و ما السر في إستعاذة اهل الحق في كل حين بالله سبحانه من شرّ الشيطان؟.

#110

الجواب: السرّ والحكمة هما كما يأتي:

ان الضلالة والشرّ بأكثريتها المطلقة شئٌ عدمي وسلبى وغير أصيل، وهي إخلال وتخريب. أما الهداية والخير فهي بأكثريتها المطلقة ذات وجود وشئ ايجابي واصيل وهي اعمارٌ وبناء. ومن المعلوم أنه يتمكن رجلٌ واحد في يوم واحد ان يهدم ما بناه عشرون رجلاً في عشرين يوماً، وأن حياة الانسان التي تبقى باستمرار اعضائه الاساس ضمن شرائط الحياة، مع أنها تخص قدرة الخالق جلّ وعلا، إلا أنها تتعرض الى الموت - الذي هو عدمٌ بالنسبة لها - إذا ما قطع ظالمٌ عضواً من جسم ذلك الانسان. ولهذا سار المثل: التخريبُ أسهلُّ من التعمير.

فهذا هو السرّ في أن اهل الضلالة بقدرتهم الضعيفة حقاً يغلبون احياناً أهل الحق الأقوياء جداً.

ولكن لأهل الحق قلعة منيعة ما ان يتحصنوا بها ويلوذوا بها، فلا يجروُ ان يتقرب اليهم اولئك الأعداء الخيفون ولا يمكنهم أن يمسوهم بسوء. ولئن اصابهم شئ منهم - مؤقتاً - فالفوز والثواب الأبدي الذي ينتظرهم في بشرى القرآن الكريم (والعاقبةُ للمتقين) (الأعراف: 128) يُذهب أثر ذلك الضرّ والقرح.

وتلك القلعة الشامخة، وذلك الحصن المنيع هي الشريعة الإلهية وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

الإشارة الثانية

وهي المسألة التي تخطر في أذهان الكثيرين:

إن خلق الشياطين وهم الشر المحض وتسليطهم على اهل الايمان، وسوقهم كثيراً من الناس الى الكفر ودخولهم النار بمكيدهم، هو قبْح ظاهر. وأمرٌ مُرعب. فيا تُرى كيف ترضى رحمةً ذلك الرحيم المطلق، ويسمح جمال ذلك الجميل المطلق وهو الرحمن ذو الجمال، بهذا القُبْح غير المتناهي والمصيبة العظمى؟!.

الجواب:

انه إزاء الشرور الجزئية للشياطين، تكمن في وجودهم كثير من المقاصد الخيرة الكلية وكمالات، ترقى بالانسان في سلم الكمال.

#111

نعم، كما ان هناك مراتب كثيرة بدءاً من البذرة الى الشجرة الباسقة، كذلك للاستعدادات الفطرية الكامنة في ماهية الانسان من المراتب والدرجات ما تفوق ذلك، بل قد تصل الى المراتب الموجودة بين الذرة والشمس. ولكي تظهر هذه الاستعدادات وتنسب لابد لها من حركة، ولا بد لها من تفاعل وتعامل. فحركة لولب الرقيّ ونابض السموّ في ذلك التعامل هي بالمجاهدة. ولا تحصل هذه المجاهدة الا بوجود الشياطين والاشياء المضرة، اذ لولا تلك المجاهدة لظلت مرتبة الانسان ثابتة كالملائكة، وعندها ما كانت لتظهر تلك الاصناف السامية من الناس التي هي بحكم الآلاف من الانواع في النوع الانساني. وحيث انه ليس من الحكمة والعدالة بشئ ان يُترك الخير الكثير جداً تجنباً لحصول شرّ جزئي، فان انزلاق كثير من الناس باتباع خطوات الشيطان، لا يحمل اهمية كبيرة مادام التقويم والاهمية يأخذ النوعية بنظر الاعتبار ولا ينظر الى الكمية الا قليلاً، بل قد لا ينظر اليها.

مثال ذلك:

شخص لديه ألف وعشر من البذور، زرعها في التراب، فجعلها تتعرض للتفاعلات الكيميائية. فاذا أنبتت عشر من تلك البذور وأينعت، فان المنافع الحاصلة منها تفوق - بلا شك - خسارة الألف بذرة التي تعرضت للتلف والفساد.

وهكذا، فان المنافع والمنزلة والاهمية التي حازتها البشرية من عشرة أشخاص كاملين يتلأأون كالنجوم في سماءها، والذين أخذوا بيد الانسانية الى مراقي الفلاح، وأضاءوا السبيل أمامهم واخرجوهم الى النور بمجاهدتهم للنفس والشيطان.. لاشك أنها تزيد ما يلحق بها من أثر الضرر الناجم من كثرة الداخلين في حماة الكفر من الضالين الذين يعدّون من جنس الحشرات لتفاهتهم ودناءتهم. لهذا فقد رضيت العدالة الإلهية وحكمتها وسمحت الرحمة الربانية بوجود الشياطين وتسليطها.

فيا معشر أهل الايمان! ان درعكم المنيع لصد اولئك الاعداء، هو التقوى المصنوعة في دوحه القرآن الكريم. وان خنادقكم الحصينة هي سُنّة نبيكم عليه افضل الصلاة والسلام. واما سلاحكم فهو الاستعاذة والاستغفار

والالتجاء الى الحزب الإلهي.

#112

الإشارة الثالثة

سؤال:

أين يكمن السرّ والحكمة في وعيد القرآن المرعب وتهديده لأهل الضلالة تجاه عملٍ جزئيٍّ صدر منهم، مما لا يتناسب بظاهر العقل مع بلاغته التي تتسم بالعدالة والانسجام وأسلوبه المعجز الرزين. اذ كأنه يحشد الجيوش الهائلة تجاه شخص عاجز لا حظّ له في الملك، فيكسبه منزلة شريك متجاوز حدّه؟
الجواب: ان سر ذلك وحكمته:

ان في وسع الشياطين ومن تبعهم أن يقوموا بتخريب مدمرٍ بحركة بسيطة تصدر منهم، لأنهم يسلكون طريق الضلالة، فيلحقون بفعل جزئيٍّ يصدر منهم خسائر جسيمة بحق الكثيرين، مثلهم في هذا كمثل رجلٍ ركب سفينة تجارية عامرة للملك ثم خرقها خرقاً بسيطاً، او ترك واجباً كان عليه أن يؤديه، فأهدر بفعله هذا جهداً من في السفينة، وأفسد عليهم جني ثمار عملهم فيها، وأبطل نتائج أعمال كل من له علاقة بها، لذا سيهدده الملك الذي يملك السفينة تهديداتٍ عنيفة، باسم جميع رعاياه في السفينة وجميع المتضررين فيها، وسيعاقبه أشد العقاب حتماً، لا لحركته الجزئية أو تركه الواجب، وانما للنتائج المترتبة على تلك الحركة أو الترك البسيط، وليس لتجاوزه حمى الملك، وانما لتعديده على حقوق الرعية جميعها.

وكذلك سفينة الارض، ففيها مع المؤمنين اهل الضلال من حزب الشيطان الذين يستخفون بنتائج الوظائف الحكيمة للموجودات الرائعة بل يعدونها عبثاً وباطلاً، فيحرقون بذلك جميعها، مما تشكل خطيئاتهم ومعاصيهم - الجزئية في الظاهر - تجاوزاً واضحاً وتعدياً صارخاً على حقوق الموجودات كافةً، لذا فان الله سبحانه وهو ملك الأزل والابد يحشد التهديدات المرّوعة ضد ذلك التدمير الصادر من أهل الضلالة. وهذا هو الانسجام التام في اسلوب القرآن الكريم والتوافق الرائع، وهو الحكمة البالغة الخالصة المستترة في روح البلاغة التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهي بعيدة كل البعد ومنزهة كل التنزيه عن المبالغة التي هي الاسراف في الكلام.

#113

فيا هلاك ويا ضياع من لا يحصن نفسه بحصن منيع من اولئك الاعداء الألداء الذين يقومون بتخريب مروّع وتدمير هائل بحركاتهم الجزئية.

فيا اهل الايمان! أمامكم الحصن السماوي المنيع.. انه القرآن الكريم.. أدخلوا فيه، وانقذوا انفسكم..

الإشارة الرابعة

لقد اتفق العلماء المحققون وأهل الكشف على أن العدم شرٌّ محض.. والوجود خيرٌ محض.

نعم، ان الخير والمحاسن والكمالات - بأكثريتها المطلقة - تستند الى الوجود وتعود اليه، فأساسها ايجابي ووجودي، أي ذو اصالة وفاعلية، وإن بدت ظاهراً سلبية وعدمية.

وان اساس وأصل الضلالة والشر والمصائب والمعاصي والبلايا وامثالها من المكاره هو عدمٌ وسليبي. وما فيها من القبح والسوء فناجمان من عدميتها، وان بدت ظاهراً ايجابية ووجوداً، لأن اساسها عدم ونفي اي بلا اساس وبلا فعل ايجابي.

ثم ان وجود البناء يتقرر بوجود جميع أجزائه كما هو ثابت بالمشاهدة، بينما عدمه ودماره يمكن ان يحصل بتهدم احد اركانه وعدمه.

اي أنّ الوجود يحتاج الى علّة موجودة، ولا بد أن يستند الى سبب حقيقي، بينما العدم يمكن أن يستند الى امور عدمية ويكون الامر العدمي علّةً لشيء معدوم.

فبناءً على هاتين القاعدتين:

فان شياطين الانس والجن ليس لهم ولو بمقدار ذرة واحدة نصيبٌ في الخلق والايجاد وما تكون لهم اية حصة في الملّك الإلهي، مع أن لهم آثاراً مخيفة وانواعاً من الكفر والضلالة واعمالاً شريرة ودماراً هائلاً، اذ لا يقومون بتلك الامور بقدراتهم وقوتهم الذاتية، بل ان اغلب اعمالهم ليس فيها فعلٌ وقدرة حقيقية، وانما هي من نوع: ترك الفعل، وتعطيل العمل، وصد للخير، فيعملون الشرّ بالصرف عن الخير، فتحصل الشرور.

#114

لأن الشرور والمهالك هي من نوع الهدم والتخريب فلا يلزم أن تكون علّتها ايجاداً فاعلاً، ولا قدرةً موجدة، اذ يمكن التخريب الهائل بأمر عدمي، وبافساد شرط. ولعدم وضوح هذا السرّ عند المجوس فقد اعتقدوا بوجود خالق للخير وأسموه يزدان وخالق للشر وأسموه أهريمان بينما لا يعدو هذا الاله الموهوم سوى الشيطان الذي يكون سبباً للشرور ووسيلة لها، بالارادة الجزئية وبالكسب، دون الايجاد.

فيا اهل الايمان! ان امضى سلاحكم ضد هذه المهالك المفزعة للشياطين واهم وسيلتكم للبناء والتعمير هو: الاستغفار والالتجاء الى الله سبحانه وتعالى بقولكم: أعوذ بالله. واعلموا ان قلعتكم هي سنة رسولكم عليه افضل الصلاة والسلام.

الاشارة الخامسة

انه على الرغم من توفر اسباب الهداية والاستقامة ووسائل الارشاد امام اهل الايمان بما بيّنه الله سبحانه لهم في كتبه المقدسة كافة من مثوبة وهي نعيم الجنة ومن عقاب أليم وهو نار جهنم، ومع ما كرره سبحانه من توجيه وتنبيه وترغيب وتحذير.. يُغلبُ اهل الايمان امام الدسائس الدنيئة والضعيفة التافهة الصادرة عن حزب

الشیطان!!

كان هذا يأخذ قسطاً كبيراً من تفكيري، إذ كيف لايهتم صاحب الايمان بذلك الوعيد المخيف من رب العالمين؟ وكيف لايزول ايمانه وهو يعصي ربه مُتَّبِعاً خطوات الشيطان ومكايده الضعيفة كما في قوله تعالى: (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) (النساء:76)؟ حتى ان بعضاً من أصدقائي المقرّبين بعد أن سمع متي مائة من دروس الحقائق الايمانية وصدّق بها تصديقاً قلبياً، ومع شدة علاقته وحسن ظنّه بي فقد انجرف لثناء تافهٍ ورخيص من رجلٍ فاسد ميّت القلب، فانجذب اليه، مما دفعه ليكون في الصف المعادي لي. فقلتُ في نفسي: يا سبحان الله!! هل يمكن للانسان أن يهوي الى هذا الدرك؟ كم كان هذا الرجل ذا معدن رخيص؟ فأثمتُ من اغتياب هذا المسكين.

ثم انكشفت ولله الحمد حقائق الاشارات السابقة فأثارت كثيراً من الامور الغامضة.. فعلمتُ بذلك النور: ان تكرار الترغيب والحث في القرآن الكريم ضروري جداً، ومناسب وملائم للحال.. وان الخداع اهل الايمان بمكايده الشيطان لا ينجم عن عدم الايمان، ولا من ضعفه.. وانه لا يَكْفُرُ مَنْ ارتكب الكبائر. فالمعتزلة وقسمٌ من

#115

الخوارج قد أخطأوا حين كفّروا مُرتكب الكبائر او جعلوه في منزلةٍ بين المنزلتين.. وان صديقي المسكين، الذي ضحّى بتلك الدروس الايمانية لثناء شخصٍ تافه، لم يسقط في الهاوية كثيراً، ولم ينحط الى الحضيض كلياً - كما تصوّرت - فشكرتُ الله سبحانه الذي أُنقذني من تلك الورطة.

ذلك لأن الشيطان - كما قلنا سابقاً - بأمرٍ سلبي جزئي منه يورد الانسان المهالك الخطيرة.. وأن النفس التي بين جنبي الانسان دائماً الانصات الى الشيطان.. وان قوته الشهوانية والغضبوية هما بمثابة جهاز لاقط وجهاز توصيل لمكايده الشيطان. ولذلك فقد خصص الله سبحانه وتعالى اسمين من اسمائه الحسنی (الغفور، الرحيم) ليتجلّيا بالتجلي الاعظم ويتوجها الى اهل الايمان، واوضح في القرآن الكريم ان أعظم إحسانٍ له للأنبياء عليهم السلام هو: المغفرة.. فدعاهم الى: الاستغفار. وانه سبحانه بتكراره بسم الله الرحمن الرحيم وجعلها بدءاً لكل سورة ولكل أمرٍ ذي بال، جعل رحمته التي وسعت كل شئ هي الملاذ والملاجأ لأهل الايمان، وهي الامان والنجاة لهم من الشيطان. وجعل الحاجز المانع لهم من الشيطان ودسائسه هو في: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وذلك بأمره: (فاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) (النحل:98).

الاشارة السادسة

ان اخطر دسائس الشيطان هو أنه يُلبس على بعض ذوي القلوب الصافية والحس المرهف: تحيّل الكفر بتصديق الكفر، ويُظهر لهم تصوّر الضلالة تصديقاً للضلالة نفسها، ويجلب الى خيالهم خواطر قبيحة في حق الاشخاص والامور المنزهة المقدسة، ويوهمهم بالشك في بعض يقينيات الايمان يجعل الامكان الذاتي في

صورة الامكان العقلي. وعندئذ يظنّ هذا المسكين المرهف الحسّ أنه قد هوى في الكفر والضلالة، ويتوهم أنه قد زال يقينه الايماني، فيقع في اليأس والقنوط. ويكون بيأسه هذا اضحوكة للشيطان الذي ينفث في يأسه القاتل، ويضرب دوماً على وتره الحساس، وينفخ في التباساته وبثيرها، فاما أن يخلّ بأعصابه وعقله، أو يدفعه الى هاوية الضلالة.

#116

وقد بحثنا في بعض الرسائل مدى تفاهة هذه الهمزات والوساوس، وكيف أنها لاسند لها ولااساس، أما هنا فسنجملها بما يأتي:

كما ان صورة الحية في المرآة لاتلدغ، وانعكاس النار فيها لايجرق، وظل النجس فيها لا ينجس، كذلك ما ينعكس على مرآة الخيال او الفكر من صور الكفر والشرك، وظلال الضلالة، وخيالات الكلمات النابية والشتم، لاتفسد العقيدة واليقين ولا تغير الايمان، ولاتتلم أدب التوقير والاحترام. ذلك لانه من القواعد المقررة: تحيّل الشتم ليس شتماً، وتحيل الكفر ليس كفراً، وتصوّر الضلالة ليس ضلالةً.

أما مسألة الشك في الايمان، فان الاحتمالات الناشئة من الامكان الذاتي لاينافي اليقين ولايخلّ به. اذ من القواعد المقررة في علم اصول الدين: أن الامكان الذاتي لاينافي اليقين العلمي.

مثلاً: نحن على يقين من أن بحيرة بارلا مملوءة بالماء ومستقرّة في مكانها، إلا أنه يمكن أن تخسف في هذه اللحظة. فهذا إمكان ذاتي واحتمال، وهو من الممكنات. ولكن لأنه لم ينشأ من أمانة، او دليل، فلا يكون إمكاناً ذهنياً حتى يوجب الشك. لأن القاعدة المقررة في علم اصول الدين أنه: لاعبرة للاحتمال غير الناشئ عن دليل بمعنى: لا يكون الاحتمال الذاتي الذي لم ينشأ عن أمانة إمكاناً ذهنياً، فلا أهمية له كي يوجب الشك. فبمثل هذه الامكانيات والاحتمالات الذاتية يظن المسكين المبتلى انه قد فقد يقينه بالحقائق الايمانية. فيخطر بباله مثلاً خواطر كثيرة من الامكان الذاتي من جهة بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم، ولاشك أنها لا تخلّ بيقينه وجزمه الايماني، ولكن ظنه أن هذا يضرّ هو الذي يسبب له الضرر.

واحياناً اخرى ثلّقي لمة الشيطان - التي هي على القلب - كلاماً لايليق بجلال الله سبحانه وتعالى. فيظن صاحبه أن قلبه هو الذي فسّد فصدر عنه هذا الكلام، فيضطرب ويتألم. والحال أن اضطرابه وخوفه وعدم رضاه دليل على أن تلك الكلمات لم تكن صادرةً من قلبه، وانما هي من اللمة الشيطانية، او أن الشيطان يخيلها اليه ويذكره بها.

#117

وكذلك فان من بين اللطائف الانسانية - وهي بضع لطائف لم استطع تشخيصها - ما لا ترضخ للارادة والاختيار، ولا تدخل تحت وطأة المسؤولية - فتتحكم احياناً وتسيطر دون أن تنصت لنداء الحق، وتلج في

أمور خاطئة، وعندئذ يُلقي الشيطان في روع هذا الانسان المبتلى: ان فطرتك فاسدة لا تنسجم مع الايمان والحق، ألا ترى أنها تلج بلا إرادة في مثل هذه الامور الباطلة؟ اذن فقد حكم عليك قَدْرِك بالتعاسة وقضى عليك بالشقاء!! فيهلك ذلك المسكين في هذا اليأس المدمّر.

وهكذا فان حصن المؤمن الحصين من الدسائس الشيطانية المتقدّمة هي المحكمات القرآنية والحقائق الايمانية المرسومة حدودها بدساتير العلماء المحققين والاصفياء الصالحين. أما الدسائس الاخيرة فانها تُردّ بالاستعاذة بالله سبحانه وتعالى وباهمالها، لأن من طبيعة الوسوس أنها تكبر وتتضخم كلما زاد الاهتمام بها. فالسنة المحمدية للمؤمن هي البلسم الشافي لمثل هذه الجراحات الروحية.

الإشارة السابعة

سؤال:

ان أئمة المعتزلة عندما اعتبروا أن ايجاد الشر شرّ، لم يردّوا الى الله سبحانه خلق الكفر والضلالة، فكأنهم بهذا ينزهونه سبحانه ويقدسونه، فقالوا: ان البشر هو خالق لأفعاله فضلّوا بذلك. وكذلك قالوا: يزول ايمان من ارتكب الكبائر لأن صدق العقيدة في الله لا يتلاءم وارتكاب مثل هذه الخطايا والذنوب، حيث أن الانسان الذي يحذر مخالفة القوانين في الدنيا رهبةً من السجن الوقي، ان ارتكب الكبائر دون أن يبالي لغضب الخالق العظيم، ولالعذاب جهنم الأبدي، لا بد أن يكون ذلك دليل عدم ايمانه.

جواب الشق الاول من السؤال : هو ما أوضحناه في رسالة القدر وهو:

ان خلق الشرّ ليس شرّاً، وانما كسبُ الشرّ شرّاً، لأن الخلق والايجاد يُنظر اليه من حيث النتائج العامة. فوجود شرٍ واحد، ان كان مقدّمهً لنتائج خيرة كثيرة، فان ايجاده يصبح خيراً باعتبار نتائجه، اي يدخل في حكم الخير.

#118

فمثلاً: النار لها فوائد ومنافع كثيرة جداً، فلا يحق لأحد أن يقول: ان ايجاد النار شرّ اذا ما أساء استعمالها باختياره وجعلها شرّاً ووبالاً على نفسه.

وكذلك خلق الشياطين وايجادهم فيه نتائج كثيرة ذات حكمة للانسان، كسموّه في سلم الكمال والرقى. فلا يسيغ لمن استسلم للشيطان - باختياره وكسبه الخاطيء - ان يقول: ان خلق الشيطان شرّ. اذ قد عمل الشر لنفسه بكسبه الذاتي.

أما الكسب الذي هو مباشرةً جزئيةً للامر، فانه يصبح شرّاً لأنه وسيلةٌ تُفضي الى شرّ خاصٍ معين، فيكون كسبُ الشرّ بذلك شرّاً، بينما لا يكون الايجاد شرّاً، بل يكون خيراً، لأنه يرتبط بجميع النتائج المترتبة فلا يكون

اذن خلق الشرّ شرّاً.

وهكذا ولعدم ادراك المعتزلة هذا السرّ ضلّوا، إذ قالوا: إن خلق الشرّ شرّاً وإيجاد القبح قبحٌ. فلم يردّوا الشر الى الله سبحانه وتعالى تقديساً وتنزيهاً له، وتأولوا الركن الايماني: وبالقدر خيره وشرّه من الله تعالى. أما الشق الثاني: وهو كيف يبقى مؤمناً من ارتكب الكبائر؟ فجوابه:

اولاً: لقد اوضحت الاشارات السابقة أخطاءهم بصورة قاطعة فلا حاجة للاعادة.

ثانياً: إن النفس الانسانية تُفضّل درهماً من اللذة الحاضرة المعجلة على رطل من اللذة الغائبة المؤجلة، وهي تتحاشى صفةً حاضرة أكثر من تحاشيها سنة من عذاب في المستقبل. وعندما تهيج أحاسيس الانسان لارضخ لموازن العقل، بل الهوى هو الذي يتحكم، فيرجح عندئذ لذة حاضرة ضئيلة جداً على ثواب عظيم في العقبى، ويتجنب ضيقاً جزئياً حاضراً أكثر من تجنبه عذاباً أليماً مؤجلاً. ولما كانت الدوافع النفسانية لا ترى المستقبل بل قد تنكره، وان كان هناك حثاً لها من النفس وعوناً، فان القلب والعقل اللذين هما محل الايمان، يسكتان، فيغلبان على أمرهما. فلا يكون عندئذ ارتكاب الكبائر ناتجاً من عدم الايمان، بل من غلبة الهوى وسيطرة الوهم والحسّ المادي، وانهزام العقل والقلب وغلبة كل اولئك عليهما.

#119

ولقد فهم من الاشارات السابقة بأن طريق الفساد والهوى سهلة جداً لأنها تخريب وهدم، لذا يسوق شيطانُ الانس والجن الانسان اليها بكل سهولة ويسر.

وانه لمحير جداً أن ترى قسماً من الناس الضعفاء يتبعون خطوات الشيطان لتفضيلهم لذة زائلة - بمقدار جناح بعوضة - في هذه الدنيا الفانية، على لذائذ ذلك النعيم الخالد. في حين يفوق نورٌ أبدي بمقدار جناح بعوضة من ذلك العالم السرمدي الخالد جميع اللذات والنعيم التي اكتسبها الانسان طوال حياته، كما هو ثابت في الحديث الشريف¹. وهكذا من اجل هذه الحُكم والاسرار، كرر القرآن الكريم الترغيب والترهيب واعادها ليزجر المؤمن ويجنبه الذنوب والآثام ويحثه على الخير والصلاح.

ولقد جال في ذهني يوماً سؤالٌ حول هذا التكرار في التوجيه والارشاد القرآني وهو: ألا تكون هذه التنبيهات المستمرة مدعاة لجرح شعور المؤمنين في ثباتهم وأصالتهم واطهارهم في موقف لا يليق بكرامة الانسان؟. لأن تكرار الامر الواحد على الموظف من أمره يجعله في موقف يظن كأنه متهم في اخلاصه وولائه! بينما القرآن الكريم يكرر أوامره باصرار على المؤمنين المخلصين.

وحينما كان هذا السؤال يعصر ذهني كان معي جمعٌ من الاصدقاء المخلصين فكنت أذكرهم وانبههم باستمرار كي لاتعترهم دسائس شياطين الانس، فلم أر امتعاضاً أو اعتراضاً منهم قط، ولم يقل أحدٌ منهم: إنك تتهمنا في

اخلاصنا. ولكني كنت اخاطب نفسي وأقول: أخشى اني قد أسخطتهم بتوجيهاتي المتكررة لهم وكأني أتهمهم في وفائهم وثباتهم! وبينما أنا في هذه الحالة انكشفت الحقائق المثبتة والموضحة في الاشارات السابقة، فعلمت ان اسلوب القرآن الحكيم في تكرار التنبيه مطابق لمقتضى الحال، وضروري جداً، وليس فيه أية مبالغة ولا إسراف قط، ولا اتهام للمخاطبين، حاش لله، بل هو حكمة خالصة، وبلاغة محضة. وعلمت كذلك لِمَ لم يمتعض ويتكدر اولئك الاصدقاء الاعزاء من ترديدي النصح لهم؟
وخلاصة تلك الحقيقة هي:

1 اشارة الى الحديث الشريف: «لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة، ما شرب الكافر منها جرعة ماء». حديث صحيح: رواه الترمذي 2422 (تحفة) وقال: حديث صحيح غريب من هذا الوجه. والضياء في المختار عن سهل بن سعد (انظر صحيح الجامع الصغير 5168 قال المحقق: صحيح وفصل عليه القول في الصحيحة 943).

#120

ان الفعل الجزئي القليل الذي يصدر عن الشياطين يكون سبباً لحصول شرور كثيرة، لأنه تخريب وهدم، لذا كان لا بد لاولئك الذين يسلكون طريق الحق والهداية أن يُحِبُّوا وَيُبْهَوْا كثيراً، ويأخذوا حذرهم ويُمَدِّ لهم يدُ العون دائماً لكثرة حاجتهم اليها. لهذا يقدِّم الله سبحانه وتعالى في ذلك التكرار عوناً وتأييداً لهم بعدد ألف اسم من اسمائه الحسنى، ويمدِّهم بألف من ايادي الرحمة والشفقة لاسنادهم وامدادهم، فلا يقدر به كرامة المؤمن بل يقيه ويحفظه، ولا يهون شأن الانسان بل يظهر ضخامة شر الشيطان.

فيا اهل الحق واهل الهداية! دونكم سبيل النجاة والخلاص من مكايد شيطان الجن والانس المذكورة فاسلكوها.. اجعلوا مستقركم طريق الحق وهو طريق اهل السنَّة والجماعة.. وادخلوا القلعة الحصينة لمحكمات القرآن المعجز البيان.. واجعلوا رائدكم السنَّة النبوية الشريفة تسلموا وتنجوا باذن الله..

الاشارة الثامنة

سؤال:

لقد اثبتت في الاشارات السابقة أن طريق الضلالة تجاوزت وتعديت وتخريب، وسلوكها سهل وميسور للكثيرين، بينما اوردت في رسائل أخرى دلائل قطعية على أن طريق الكفر والضلالة فيها من الصعوبة والمشكلات ما لا يمكن ان يسلكها أحد، وطريق الايمان والهداية فيها من السهولة والوضوح بحيث ينبغي ان يسلكها الجميع!.

الجواب: ان الكفر والضلالة قسمان:

الاول: هو نفي للأحكام الايمانية نفياً عملياً وفرعياً، فهذا الطراز من الضلالة سهل سلوكه وقبوله لأنه "عدم قبول" الحق، فهو تركٌ وعدمٌ ليس الآ، وهذا القسم هو الذي ورد بيان سهولة قبوله في الرسائل.

أما القسم الثاني: فهو حكمٌ اعتقادي وفكري وليس بعملي ولا فرعي، ولا نفيٌّ للايمان وحده بل سلوك لطريق مضادٍ للايمان، وقبول للباطل واثبات نقيض الحق. فهذا هو خلاف الايمان وضده، لذا فهو ليس "بعدم قبولٍ" كي يكون سهلاً وإنما هو

#121

"قبولٌ للعدم". وحيث انه لا يتم إلا بعد الاثبات، أي اثبات العدم. و"العدم لا يثبت" قاعدة اساسية، فليس من السهل اذن اثباته وقبوله.

وهكذا فان ما يُبَيَّن في سائر الرسائل هو هذا القسم من طريق الكفر والضلالة التي هي عسيرة وذات إشكال بل ممتع سلوكها بحيث لا يسلكها من له ادنى شعور.

وكذلك أُثبتت في الرسائل اثباتاً قاطعاً أن في هذه الطريق من الآلام الخيفة والظلمات الخائفة ما لا يمكن ان يطلبها من عنده ذرة من العقل والادراك.

* واذا قيل:

ان كانت هذه الطريق الملتوية مظلمة ومؤلمة وعويصة الى هذا الحد فلم يسلكها الكثيرون؟.

الجواب: انهم ساقطون فيها، فلا يمكنهم الخروج منها، ولا يرغبون في الخروج مما هم فيه، فيتسلون بلذة حاضرة مؤقتة، لأن قوى الانسان النباتية والحيوانية لاتفكر في العاقبة ولا تراها، وأنها تتغلب على لطائفه الانسانية.

سؤال:

واذا قيل: لما كان في الكفر هذا الألم الشديد وهذا الخوف الداهم، وان الكافر - باعتباره انساناً - حريصٌ على حياته ومشتاق الى ما لا يحصى من الاشياء وهو يرى بكفره: أن موته عدمٌ وفراقٌ أبدي. ويرى دوماً بعينه ان الموجودات وجميع احبائه سائرون الى العدم والفراق الأبدي. فكل شئ أمامه - بهذا الكفر - اذن الى زوال، فالذي يرى بالكفر هذا، كيف لا يتفطر قلبه ولا ينسحق تحت ضغط هذا الألم؟ بل كيف يسمح له كفره ان يتمتع بالحياة ويتذوقها؟.

الجواب: انه يخادع نفسه بمغالطة شيطانية عجيبة، ويعيش مع الظن بتلذذ ظاهري، وسنشير الى ماهيتها بمثال متداول:

يحكى انه قيل للنعامه "ابل الطير": لماذا لاتطيرين؟ فانك تملكين الجناح، فقبضت وطوت جناحها قائلة: أنا لست بطائر بل ابل، فأدخلت رأسها في الرمل تاركةً جسدها الضخم للصيد فاستهدفها. ثم قالوا لها: فاحلمي لنا اذن هذا الحمل ان

#122

كنتِ ابلًا كما تدعين، فعندها صفت جناحها ونشرتها قائلة: أنا طائر. وتفلتت من تعب الحمل. فضلت فريدة

وحيدة دون غذاء ولا حماية من أحد وهدفاً للصيادين.

وهكذا الكافر، بعد أن تزحزح من كفره المطلق أمام النذر السماوية القرآنية تردى في كفر مشكوك. فاذا سُئل: كيف تستطيع العيش وامامك الموت والزوال اللذان تدعي أنهما إنعدام أبدي؟ فهل يتمكن من الحياة ويتمتع بها من كان يسير بخطاه الى حبل المشنقة؟ يجيب: لا، ليس الموت عدماً، بل هناك احتمال للبقاء بعده، ذلك بعدما أخذ حظه من شمول نور القرآن للعالمين ورحمته لهم فبدأ يتشكك في كفره المطلق، او انه يدس رأسه في رمل الغفلة كالنعامة، كي لا يراه الأجل ولا ينظر اليه القبر، ولا يرميه الزوال بسهم!.

والخلاصة: ان الكافر شأنه شأن النعامة فهو حينما يرى الموت والزوال عدماً يحاول أن ينقذ نفسه من تلك الآلام بالتمسك والتشبث بما أخبر به القرآن الكريم والكتب السماوية جميعها اخباراً قاطعاً من "الايان بالآخرة" والذي ولد عنده احتمالاً للحياة بعد الموت.

واذا ما قيل له: فما دام المصير الى عالم البقاء، فلم اذاً لاتؤدي الواجبات التي يفرضها عليك هذا الايمان كي تسعد في ذلك العالم؟.

يجيب من زاوية كفره المشكوك: ربما ليس هناك عالم آخر، فلم اذن أرهق نفسي؟! . بمعنى انه ينقذ نفسه من الام الاعدام الأبدي في الموت بما وعد القرآن بالحياة الباقية، فعندما تواجهه مشقة التكليف الدينية، يتراجع ويتشبث باحتمالات كفره المشكوك ويتخلص من تلك التكليف.

أي ان الكافر - من هذه الزاوية - يظن أنه يتمتع أكثر من المؤمن في حياته الدنيا، لأنه يفلت من عناء التكليف الدينية باحتمالات كفره، وفي الوقت نفسه لا يدخل تحت قساوة الآلام الابدية باحتماله الأياني. ولكن هذا في واقع الحال مغالطة شيطانية مؤقتة تافهة بلا فائدة.

ومن هنا يتضح كيف أن هناك جانباً من الرحمة الشاملة للقرآن الكريم حتى على الكفار، وذلك بتشكيكه اياهم في كفرهم المطلق. فنجاهم - الى حد ما - من حياة

#123

كالجحيم وجعلهم يستطيعون العيش في الحياة الدنيا بنوعٍ من الشك في كفرهم المطلق، وإلا كانوا يقاسون الآماً معنوية تذكر بعذاب الجحيم وقد تدفعهم الى الانتحار.

فيا اهل الايمان! احموا بحماية القرآن الكريم الذي انقذكم من العدم المطلق ومن جحيم الدنيا والآخرة بكل يقين وثقة واطمئنان، وادخلوا بالتسليم الكامل في الظلال الوارفة للسنة المحمدية بكل استسلام واعجاب.. وانقذوا انفسكم من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة..

الإشارة التاسعة

سؤال:

لِمَ غَلَبَ اهل الهداية وهم حزب الله في كثير من الاحيان امام اهل الضلالة الذين هم حزب الشيطان؟ برغم أنهم محاطون بعناية إلهية ورحمة ربّانية، ويتقدم صفوفهم الانبياء الكرام عليهم السلام ويقود الجميع فخر الكائنات محمد عليه الصلاة والسلام؟

وما بال قسم من اهل المدينة المنورة مَرَدُوا على النفاق وأصروا على الضلالة ولم يسلكوا الصراط السوي رغم انهم كانوا يجاورون الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم الذي تسطع نبوته ورسالته كالشمس وهو يُذَكِّرهم بالقرآن المعجز الذي يؤثر في النفوس كالأكسير الاعظم ويرشدهم بحقائقه التي تشدّد الجميع بقوة اعظم من جاذبية الكون؟

الجواب: للإجابة عن شقي هذا السؤال المحيّر علينا أولاً أن نبين أساساً راسخاً متيناً وهو:

ان خالق الكون جلّ وعلا له من الاسماء الحسنى اسماء جلالية وأسماء جمالية. وحيث أن كلاً منها يُظهر حُكمه بتجليات مختلفة عن الاخرى، لذا فان الخالق سبحانه وتعالى قد مَزَج الأضداد ببعضها وجعل يقابل كلّ منها الآخر، واعطى كلاً منها صفة التدافع والتجاوز، فأوجد بذلك مبارزةً حكيمة ذات منافع، بما أوجد من الاختلافات والتغيّرات الناشئة من تجاوز تلك الأضداد حدود بعضها البعض الآخر.

#124

فاقتضت حكمته سبحانه أن يسير هذا الكون ضمن دستور السموّ والكمال وحسب قانون التغيّر والتحول؛ لذا جعل الانسان وهو الثمرة الجامعة لشجرة الخليقة يتبع ذلك القانون، أي قانون التدافع والمبارزة، اتباعاً شديد الغرابة حيث فتح أمامه باب "المجاهدة" التي يدور عليها رقيّ جميع الكمالات الانسانية وتكاملها. فمن أجل هذا فقد اعطى سبحانه وتعالى حزب الشيطان شيئاً من الاجهزة والوسائل ليتمكن من مواجهة حزب الله ويقابله في ميدان المعركة. وهذا هو السبب، في تمكّن اهل الضلالة وهم في اشد الضعف والوهن والعجز، من مقاومة أهل الحق الأقوياء معنوياً الذين يتقدمهم الانبياء عليهم السلام والتغلب عليهم تغلباً مؤقتاً.

أما سرّ الحكمة في هذه المقاومة الغربية فهي: ان في الضلالة والكفر عدماً وتركاً، وهو سهل لا يحتاج الى دفع ولا الى تحريك.. وفيها تخريبٌ كذلك، وهو سهلٌ وهينٌ ايضاً، اذ تكفيه حركة قليلة.. وفيها تجاوزٌ وتعدٍ، فعمل قليل ويسير منه يؤدي الى ضرر بالكثيرين فيوهم الآخرين أنهم على شئ فيستخفون بهم ويستعلون عليهم يارهابهم وفرعونيتهم.. ثم ان في الانسان حواس مادية وقوى نباتية وحيوانية لا ترى العاقبة ولا تفكر فيها وهي مفتونة بالتذوق الآني والتلذذ الحاضر. فتلذذ هذه القوى، واشباع نهمها وانطلاقها من عقالها وتحررها يجعل اللطائف الانسانية كالعقل والقلب تعدل عن وظائفها الاساس التي هي المشاعر الانسانية السامية الساعية للعقبى.

أما طريق أهل الهداية والمسلك السامي للأنبياء (عليهم السلام) وفي المقدمة حبيب رب العالمين، الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فهي: وجودية وإيجابية وتعمير، كما أنها حركة واستقامة على الطريق والحدود، وهي تفكر بالعقبى، وعبودية خالصة لله، كما أنها سحقٌ لفرعونية النفس الأمّارة بالسوء وكبحٍ لجماعها؛ لذا أصبح منافقو المدينة المنورة في ذلك الوقت أمام هذه الأسس الإيجابية المتينة وامثالها كالحفائش أمام تلك الشمس الساطعة والسراج المنير فأغمضوا أعينهم عنها، فارتموا في احضان القوة الدافعة الشيطانية، وظلوا في الضلالة ولم ينجذبوا بجاذبية القرآن العظمى وحقائقه الخالدة.

#125

* واذا قيل:

لما كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين ولا ينطق إلا بالحق ولا يملك إلا الحقيقة، وقد أمده الله في غزواته بملائكة جنوداً مسؤمين، وارتوى جيش كامل من غرفة من ماء تفجر من بين أصابعه، وشبّع ألف من الناس بشاة مطبوخة وحفنا من قمح، وهزم الكفار بقبضة من تراب رماها على عيونهم ودخلت تلك القبضة من التراب في عين كل كافر.. ان قائداً ربانياً يملك امثال هذه المعجزات الباهرة وكثيراً غيرها، كيف يُغلب في نهاية أحد وبداية حنين؟.

الجواب: ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسل الى البشرية كافة، قدوةً واماماً ورائداً، كي تتعلم منه مناهج الحياة الاجتماعية والشخصية ودساتيرها، وتعود على الاتقياد لقوانين الارادة الإلهية الحكيمة وتنسجم مع دساتيرها الربانية. فلو كان الرسول صلى الله عليه وسلم مستنداً الى المعجزات وخوارق العادات في جميع أفعاله الشخصية منها والاجتماعية لما تسنى له ان يكون إماماً مطلقاً ولا قدوةً كاملةً حسنة للبشرية قاطبةً.

ولهذا السبب لم يُظهر صلى الله عليه وسلم المعجزات الا تصديقاً لدعواه، بشكل متفرق، عند الحاجة، لكسر عناد المنكرين. أما في سائر الأوقات فقد كان صلى الله عليه وسلم مراعيّاً بكل دقة لقوانين عادة الله ولسننه الجارية، ومطيعاً طاعة كاملة لنواميسه المؤسّسة على الحكمة الربانية والمشئّة الإلهية، كطاعته ومراعاته للأوامر الإلهية، لذا كان صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع في الحروب، ويأمر الجنود بالترس بالموانع ضد الاعداء، ويُجرح ويتأذى ويتحمل المشقّات.. كل ذلك لكي يُبين مدى طاعته الكاملة ومراعاته للقوانين الإلهية الحكيمة، واتقياده التام لشريعة الفطرة الكونية ونواميسها.

الإشارة العاشرة

ان لأبليس دسيسة كبرى هي أنه يجعل الذين اتبعوه يُنكرون وجوده. سنذكر شيئاً حول هذه المسألة البديية، وجود الشياطين. حيث يتردد في عصرنا هذا في قبولها اولئك الذين تلوثت أفكارهم بالفلسفة المادية، فنقول: اولاً: مثلما هو ثابت بالمشاهدة ثبوتاً قطعياً وجود ارواحٍ خبيثة في اجساد بشرية في عالم الانسان، تنجز

وظيفة الشيطان واعماله. كذلك ثابت ثبوتاً قطعياً وجود

#126

ارواح خبيثة بلا اجساد في عالم الجن، فلو ان هؤلاء ألبسوا أجساداً مادية لأصبحوا تماماً مثل اولئك البشر الاشرار. وكذلك لو تمكن شياطين الانس - الذين هم على صور بشرية - من نزع اجسادهم لأصبحوا أبالسة الجن.

فبناء على هذه العلاقة الوطيدة ذهب أحد المذاهب الباطلة الفاسدة الى "أن الارواح الخبيثة الشريرة المتجسدة بصورة أناسي تتحول الى شياطين بعد موتها!".

ومن المعلوم انه اذا ما فسد الشئ الثمين يكون فسادُهُ أشدَّ من فساد الشئ الرخيص، كما هو في فساد اللبن او الحليب حيث يمكن ان يؤكلا، أما اذا فسد الدهن فلا يمكن أكله، إذ قد يكون كالسم. وهكذا الانسان الذي هو أكرم المخلوقات بل ذروتها وقمتها، اذا فسد فانه يكون أفسد وأحط من الحيوان الفاسد نفسه. فيكون كالحشرات التي تأنس بالعفونة وتريجها الروائح الكريهة، وكالحيات التي تلتذ بلدغ الآخرين. بل يتباهى بتلذذه بالأخلاق الدينية النابتة في مستنقع الضلالة، ويستمرئ الاضرار والجرائم الناجمة في ظلمات الظلم. فيكون اذن قريناً للشيطان ومتقمصاً لماهيته..

نعم، ان الدليل القاطع على وجود شياطين الجن هو وجود شياطين الانس.

ثانياً: ان مئات الدلائل القطعية في "الكلمة التاسعة والعشرين" لاثبات وجود الملائكة والعالم الروحاني، هي بدورها دلائل لاثبات وجود الشياطين ايضاً. نحيل إليها.

ثالثاً: ان وجود الملائكة الذين هم بحكم الممثلين والمشرفين على ما في أمور الخير الموجودة في الكون من قوانين كما أنه ثابت باتفاق الاديان، كذلك وجود الشياطين والارواح الخبيثة الذين هم ممثلو الامور الشريرة والمباشرون لها وتدور حولهم قوانينها، فانه قطعي الثبوت حكمةً وحقيقة. بل قد يكون وجود سببٍ وستارٍ مستتر من كائن ذي شعور في ممارسة الامور الشريرة أكثر ضرورةً، وذلك لعجز كل شخص أن يرى الحُسن الحقيقي لجميع الامور، كما ذكرنا في مستهل "الكلمة الثانية والعشرين". فلأجل الأتحذته نفسه باعتراضٍ على امور الخالق سبحانه بما يُتوهم من نقصٍ او شرٍّ ظاهريين، ويتهم رحمته او ينتقد حكمته او يشكو بغير حقٍ، جعل الخالق الكريم

#127

الحكيم العليم وسائط واسباباً ظاهرية مادية ستاراً لأمر قَدَره، وحُجُباً لتتوجه اليها الاعتراضات والانتقادات والشكاوى، ولا تتوجه اليه سبحانه وتعالى. فقد جعل الامراض والمصائب مثلاً أسباباً وستاراً للأجل، لكي لا تتوجه الاعتراضات وتصل الى ملك الموت "عزرائيل عليه السلام". وجعل ملك الموت نفسه حجاباً لقبض

الارواح، لئلا تتوجه الشكاوى والانتقادات الناتجة من الأمور التي يُتوهم أنها بغير رحمة إليه سبحانه وتعالى.. وهكذا وبقطعية أكثر اقتضت الحكمة الربانية وجود الشياطين لتتوجه اليهم الاعتراضات الناشئة من الشرور والأضرار والفساد.

رابعاً: كما ان الانسان عالمٌ صغير، كذلك العالم انسانٌ كبير، فهذا الانسان يمثل خلاصة الانسان الكبير وفهرسه، فالنماذج المصغرة في الانسان لا بد أن أصولها الكبيرة المعظمة موجودة في الانسان الأكبر بالضرورة. فمثلاً: ان وجود القوة الحافظة في الانسان دليل قطعي على وجود اللوح المحفوظ في العالم. وكذلك يشعر كلُّ منا ويحسُّ أن في قرارة نفسه وفي زاوية من زوايا قلبه آلهٌ وعضواً للوسوسة وهي اللمة الشيطانية التي هي لسانُ شيطانٍ يتكلم بتلقينات القوة الواهمة، هذه القوة قد تحولت بفسادها الى شيطان مصغر، لأنها لا تتحرك إلا ضد اختيار الانسان واردة وخلاف رغباته الحقيقية. ان هذا الذي يشعر به كلُّ انسان حساً وحُدساً في نفسه دليلٌ قطعي على وجود الشياطين الكبيرة في العالم الكبير. ثم ان هذه اللمة الشيطانية وتلك القوة الواهمة تُشعران بوجود نفسٍ شريرةٍ خارجية تنفث في الأولى وتستنطق الثانية وتستخدمها كالاذن واللسان.

الإشارة الحادية عشرة

يعبر القرآن الكريم بأسلوب معجز عن غضب الكائنات وتغيظ عناصر الكون جميعها وتهيج الموجودات كافة من شر اهل الضلالة، عندما يصف إشتراك السماء والارض بالهجوم على قوم "نوح عليه السلام" في الطوفان، وعصف الرياح بقوم "عاد" والصيحة على "ثمود"، وهيجان الماء على قوم فرعون، ونقمة الارض على قارون.. عند رفضهم الايمان حتى أن جهنم (تكادُ تميزُّ من الغيظ) (المالك: 8). وهكذا يبين القرآن الكريم غَضَبَ الموجودات وحدتها على اهل الضلالة والعصيان ويزجرهم بهذا الاسلوب الاعجازي الفريد.

#128

سؤال:

لِمَ تجلب هذه الأعمال التافهة الصادرة عن أشخاص لا وزن لهم باقتراهم ذنوباً شخصية، سَخَطَ الكون وغضبه؟
الجواب: لقد أثبتنا في الاشارات السابقة وفي رسائل متفرقة أخرى:

أن الكفر والضلالة تجاوزت شنيع وتعدّ رهيب، وجريمة تتعلق بجميع الموجودات. ذلك لأن اهل الكفر والضلالة يرفضون الغاية السامية لخلق الكائنات التي نتيجتها العظمى عبودية الانسان وتوجهه بالايمان والطاعة والانتقاد للربوبية الإلهية. فانكارهم هذه النتيجة العظمى للكون – التي هي العلة الغائية وسبب بقاء الموجودات – نوعٌ من تعدٍ على حقوق جميع المخلوقات.

وحيث ان الموجودات قاطبة تتجلى فيها الاسماء الإلهية الحسنی وكأن كلِّ جزء منها مرآة تعكس تجليات أنوار

تلك الاسماء المقدسة، فيكتسب ذلك الجزء اهميةً بها ويرتفع منزلةً، فان انكار الكافر لتلك الاسماء الحسنی وتلك المنزلة الرفیعة للموجودات واهميتها هو إهانةٌ عظيمةٌ وتحقير شديد فوق كونه تشويهاً ومسخاً وتحريفاً ازاء تلك الاسماء.

وكذلك فان كل مخلوق في هذا الكون قد أوكل اليه وظيفة، وكل جزء أنيط به أمر، أي أن لكل شئٍ في الوجود مھاماً معينة، فهو اذن بمثابة مأمورٍ وموظفٍ ربّاني. فالكافر بكفره يسلبه تلك الوظيفة المهمة ويجعله جامداً لامعنى له، وفانياً لا غاية له، فيبينه بذلك ويحقّره. وهكذا يظهر تعدي الكفر ويتبين تجاوزه على حقوق الموجودات جميعها.

ولما كانت الضلالة بأنواعها المختلفة - كلٌ حسب درجتها - تنكر الحكمة الربانية في خلق الكائنات، وترفض المقاصد الإلهية في بقاء العالم، فان الموجودات بدورها تهيج، والمخلوقات تشور، والكائنات تغضب على الكفر وأهله.

#129

فيا ايها الانسان العاجز المسكين!. ويا من جسمه صغير وذنبه جسيم وظلمه عظيم!. ان كنت راغباً في النجاة من غضبة العالم ونفور المخلوقات وثورة الموجودات فدونك سبيل النجاة: الدخول في دائرة القرآن الحكيم المقدسة.. واتباع المبلغ الامين صلى الله عليه وسلم في سنته المطهرة. ادخل.. واتبع.

الاشارة الثانية عشرة

جواب عن اربعة اسئلة:

السؤال الاول:

أين وجه العدالة في عذاب مقيم في جهنم لذنوبٍ محدودة في حياة محدودة؟

الجواب: لقد فهم بشكل واضح من الاشارات السابقة ولاسيما الاشارة الحادية عشرة، أن جريمة الكفر والضلالة ليست محدودة، وانما هي جناية لانهاية لها واعتداء على حقوقٍ لاحتد لها.

السؤال الثاني:

ما سرّ الحكمة فيما جاء في الشرع: إن جهنم جزاء عملٍ أما الجنة فهي فضلٌ إلهي؟..

الجواب: لقد تبين في الاشارات السابقة: أن الانسان يكون سبباً لتدمير هائل وشور كثيرة بارادة جزئية بلا ايجاد، وبكسبٍ جزئي، وبتشكيله أمراً عديمياً او اعتبارياً واعطاء الثبوت له. ولأن نفسه وهواه يميلان الى الأضرار والشور دائماً، لذا يتحمل هو مسؤولية السيئات الناتجة من ذلك الكسب الجزئي اليسير. ذلك لأن نفسه هي التي أرادت، وكسبه الذاتي هو المسبب، ولأن ذلك الشرّ عديمي اصبح العبدُ فاعلاً له، والله سبحانه

خَلَقَهُ فَصَارَ الْإِنْسَانُ مُسْتَحِقًّا لِتَحْمِلِ مَسْئُولِيَّةَ تِلْكَ الْجُرْمِ غَيْرِ الْمَحْدُودَةِ بِعَذَابٍ غَيْرِ مُحْدُودٍ.
أما الحسنات فما دامت وجودية أصيلة، لا يكون الكسب الانساني والارادة الجزئية علة موجدة لها، فالانسان ليس فاعلاً حقيقياً لها. لأن نفس الانسان الأتارة بالسوء لا تميل الى الحسنات، بل الرحمة الإلهية هي التي تريدها، وقدرته سبحانه هي

#130

التي تخلقها. إلا أن الانسان يمكن أن يكون مالكا لتلك الحسنات بالايان وبالرغبة وبالنية. وأما بعد تملكها فان تلك الحسنات هي بذاتها شكر للنعم الإلهية غير المحدودة التي أسبغها الله سبحانه وتعالى على الانسان، وفي مقدمتها نعمة الوجود ونعمة الايمان. أي أن تلك الحسنات شكر للنعم السابقة، لذا فالجئة التي وعدّها الله لعباده تُوهب بفضل رحماني خالص، فهي وان كانت ظاهراً مكافأة للمؤمن إلا أنها في حقيقتها تفضّل منه سبحانه وتعالى.

إذن فالنفس الانسانية لكونها المسببة للسيئات فهي التي تستحق الجزاء. أما في الحسنات فلما كان السبب من الله سبحانه وكذلك العلة منه وامتلكها الانسان بالايان وحده فلا يمكنه أن يطالب بثوابها، بل يرجو الفضل منه سبحانه.

السؤال الثالث:

لما كانت السيئات تتعدد بالتجاوز والانتشار كما تبين فيما سبق، كان المفروض ان تُكتب كل سيئة بألف، أما الحسنات فلأنها ايجابية ووجودية فلا تتعدد مادياً، حيث أنها لا تحصل بايجاد العبد ولا برغبة النفس، فكان يجب ألا تُكتب، او تُكتب حسنة واحدة. فلم تُكتب السيئةُ بمثلها والحسنةُ بعشر امثالها او أحياناً بألف؟.
الجواب: ان الله جلّ وعلا يبيّن لنا - بهذه الصورة - كمال رحمته وسعتها وجمال كونه رحيماً بعباده.

السؤال الرابع:

ان الانتصارات التي يحرزها اهل الضلالة والقوة والصلابة التي يظهرونها، وتغلبهم على اهل الهداية تُظهر لنا أنهم يستندون الى حقيقة ويركنون الى قوة، فاما أن هناك ضعفاً ووهناً في أهل الهداية، أو أن في هؤلاء الضالّين حقيقة وأصالة!.

الجواب: كلا ثم كلا.. فليس في أهل الهداية ضعف ولا في أهل الضلالة حقيقة، ولكن مع الاسف يُنتلى جمعٌ من قصيري النظر - من السذج الذين لا يملكون موازين - بالتردد والانهمزام، فيصيب عقيدتهم الخلل بقولهم: لو أن اهل الحق

#131

على صدق وصواب لكان ينبغي ألا يُغلبوا ولا يُذَلَّوا الى هذا الحد. اذ الحقيقة قوية وان القاعدة الاساسية هي:

"الحق يعلو ولا يُعلى عليه¹ ولو لم يكن أهل الباطل - الذين يصدّون ويغلبون أهل الحق - على قوة حقيقية وقاعدة رصينة ونقطة استناد متين، لما كانوا يغلبون أهل الحق ويتفوقون عليهم الى هذه الدرجة.

وجواب ذلك: - لقد اثبتنا في الاشارات السابقة اثباتاً قاطعاً: ان انهزام أهل الحق أمام أهل الباطل لا يتأتى من أنهم ليسوا على حقيقة ولامن أنهم ضعفاء، وان انتصار أهل الضلالة وتغلبهم ليس ناشئاً من قوتهم ولا من وجود مستند لهم. فمضمون تلك الاشارات السابقة بأجمعها هو جواب هذا السؤال، ولكننا نكتفي هنا بالاشارة الى دسائسهم وشئ من اسلحتهم المستعملة.

لقد شاهدتُ مراراً بنفسى ان عشرةً في المائة من أهل الفساد يغلبون تسعين في المائة من أهل الصلاح. فكنت أحر في هذا الامر، ثم بامعان النظر فيه، فهمت يقيناً ان ذلك التغلب والسيطرة لم يك ناتجاً من قوة ذاتية ولامن قدرة اصيلة يمتلكها أهل الباطل، وانما من طريقتهم الفاسدة، وسفالتهم ودناءتهم، وعملهم التخريبي، واغتناهم اختلاف أهل الحق والقاء الخلافات والحزازات فيما بينهم، واستغلال نقاط الضعف عندهم والنفت فيها، واثارة الغرائز الحيوانية والنفسانية والاعراض الشخصية عندهم، واستخدامهم الاستعدادات المضرة التي هي كالمعادن الفاسدة الكامنة في سبيكة فطرة الانسان، والتزيت على فرعونية النفس باسم الشهرة والرتبة والنفوذ.. وخوف الناس من تخريباتهم الظالمة المدمرة... وامثال هذه الدسائس الشيطانية يتغلبون بها على أهل الحق تغلباً مؤقتاً. ولكن هذا الانتصار الوقتي لهم لا قيمة له ولا أهمية أمام بشرى الله تعالى: (والعاقبة للمتقين) (الأعراف:128) والسر الكامن في (الحق يعلو ولا يُعلى عليه). اذ يصبح سبباً لدخولهم النار وفوز أهل الحق بالجنة.

ان ظهور الضعيف الهزيل في الضلالة بمظهر القوة واكتساب التافهين فيها شهرة وصيتاً، يسلكها كل أناني مُراءٍ مولع بالشهرة فيقوم بارهاب الآخرين والاعتداء عليهم واضرارهم، للحصول على منزلة وكسب شهرة، فيقف في صف المعادين لأهل الحق

¹ (الاسلام يعلو ولا يعلى): رواه الدارقطني والضياء في المختارة والرويانى عن عائذ بن عمر والمزني رفعه، والطبراني والبيهقي عن معاذ رفعه، وعلقه البخاري في صحيحه. والمشهور على الألسنة زيادة (على) آخرأ، بل هي رواية احمد. والمشهور ايضاً على الألسنة: الحق يعلو ولا يعلى عليه (كشف الحفاء 127/1).

ليسترعي انتباه الناس ويجلب انظارهم، وليذكروه باسنادهم اعمال التخريب اليه تلك التي لم تنشأ من قوة وقدرة ذاتية له بل من تركه الخير وتعطيله له. حتى سار مثلاً أن احد المغرمين بالشهرة قد لوّث المسجد الطاهر حتى يذكره الناس، وقد ذكروه فعلاً.. ولكن باللعنة، الا أن حبه الشديد للشهرة زين له هذا الذكر اللعين فراه حسناً.

فيا أيها الانسان المسكين المخلوق لعالم الخلود والمبتلى بهذه الدنيا الفانية! أمعن النظر في الآية الكريمة وانصت اليها: (فَمَا بَكَثَ عَلَيْهِمَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) (الدخان:29) وانظر ماذا تفيد.. انها تعلن صراحة ان السموات والارض التي لها علاقة بالانسان لاتبكي على جنازة أهل الضلالة عند موتهم.. اي انها راضية لفراقهم مرتاحة بموتهم.

وانها تشير ضمناً ان السموات والارض تبكي على جنازة أهل الهداية عند موتهم، فلا تتحمل فراقهم، إذ إن الكائنات جميعاً مرتبطة مع أهل الايمان، وذات علاقة بهم، وانها راضية عنهم، ولأنهم يعرفون بالايمان رب العالمين فيحملون حباً للموجودات ويقدرون قيمتها، وليسوا كاولئك الضالين الذين يضمرون العدا للموجودات ويحرقونها.

فيا ايها الانسان! تأمل في عاقبتك، وفكر في مصيرك، فأنت لامحالة صائر الى الموت، فان كنت ممن جعل هواه تبعاً للشيطان، فان جميع الذين حولك من الجيران حتى الأقارب سيُسرون بنجاتهم من شرورك، وان كنت مستعيذاً بالله من الشيطان الرجيم ومتبعاً لأوامر القرآن الكريم وستة حبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم فستحزن عليك السموات والارض، وتبكي معنى لفراقك الموجودات جميعها فيشيعونك بهذا الماتم العلوي والنعي الشامل الى باب القبر معبرين بذلك عما أعد لك من حسن الاستقبال حسب درجتك في عالم البقاء.

الاشارة الثالثة عشرة

تتضمن ثلاث نقاط:

النقطة الاولى:

ان اعظم كيدٍ للشيطان هو خداعه لضيقى الصدر، وقاصري الفكر من الناس، من جهة عظمة الحقائق الايمانية بقوله: كيف يمكن تصديق مايقال: أن واحداً أحداً هو الذي يدبر ضمن ربوبيته شؤون جميع الذرات والنجوم والسيارات وسائرالموجودات

#133

ويدبر أمورها بأحوالها كافة؟ فكيف تُصدّق وتقرّ في القلب هذه المسألة العجيبة العظيمة؟ وكيف يقنع بها الفكر؟.. مثيراً بذلك حساً إنكارياً من نقطة عجز الانسان وضعفه.

الجواب: "الله أكبر" هو الجواب الحقيقي المُلجِم لهذه الدسيسة الشيطانية وهو المُسكت لها.

نعم، ان كثرة تكرار "الله أكبر" واعادتها في جميع الشعائر الاسلامية، مُزيلةٌ لهذا الكيد الشيطاني، لأن الانسان بقوته العاجزة وقدرته الضعيفة وفكره المحدود يرى تلك الحقائق الايمانية غير المحدودة ويصدّقها بنور "الله أكبر" ويحمل تلك الحقائق بقوة "الله أكبر" وتستقر عنده ضمن دائرة "الله أكبر" فيخاطب قلبه المبتلى

بالوسوسة قائلاً: ان تدبير شؤون هذه الكائنات وادارتها بهذا النظام الرائع الذي يراه كل ذي بصر لا تُفسّر إلا بطريقتين:

الاولى: وهي الممكنة، ولكنها معجزةٌ خارقة. لأن أثراً كهذا الأثر المعجز لا شك أنه ناتج من عملٍ خارقٍ وبطريقةٍ معجزة أيضاً. وهذه الطريقة هي ان الموجودات قاطبة لم تُخلق إلا بربوبية الأحد الصمد وبأرادته وقدرته، وهي شاهدة على وجوده سبحانه بعدد ذراتها.

الثانية: وهي طريق الكفر والشرك، الممتنعة والصعبة من جميع النواحي، وغير المعقولة الى درجة الاستحالة؛ لأنه يلزم أن يكون لكل موجود في الكون، بل في كل ذرة فيه، ألوهيةٌ مطلقة وعلمٌ محيط واسع، وقدرةٌ شاملة غير متناهية كي تظهر الى الوجود نقوش الصنعة البديعة المتكاملة بهذا النظام والاتقان الرائعين المشاهدين، وبهذا التقدير والتميز الدقيقين.. وتلك هي ما بيننا امتناعها واستحالتها واثبتناها بدلائل قاطعة كما في "المكتوب العشرين" و"الكلمة الثانية والعشرين" وفي رسائل اخرى كثيرة.

والخلاصة:

لو لم تكن ربوبية ذات عظمة وكبرياء لائقة لتدبير الشؤون لوجب حينئذٍ سلوك طريق ممتنع وغير معقول من جميع الجهات. فحتى الشيطان نفسه لن يكلف أحداً

#134

الدخول في هذا المحال الممتنع بترك تلك العظمة والكبرياء اللائقة المستحقة الضرورية.

النقطة الثانية:

ان دسيسة مهمة للشيطان هي: دفع الانسان الى عدم الاعتراف بتقصيره. كي يسدّ عليه طريق الاستغفار والاستعاذة، مثيراً فيه أنانية النفس لتدافع كالحامي عن ذاتها، وتزهرها عن كل نقص.

نعم، إن نفساً تصغي الى الشيطان لاترغب في أن تنظر الى تقصيرها وعيوبها، حتى اذا رأتها فانها تووّلها بتأويلات عديدة. فتتنظر الى ذاتها واعمالها بعين الرضا، كما قال الشاعر: "وعينُ الرضا عن كل عيبٍ كليلَةٌ¹ فلا ترى عيباً، لذا لاتعترف بتقصيرها، ومن ثم فلا تستغفر الله ولا تستعيد به فتكون اضحوكة للشيطان. وكيف يوثق بهذه النفس الامارة بالسوء ويعتمد عليها، وقد ذكرها القرآن الكريم بلسان نبيّ عظيم، يوسف عليه السلام: (وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النِّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) (يوسف:53) فَمَنْ يَتَّبِعْ نَفْسَهُ يَرِ عَيْبُوهَا وتقصيرها، وَمَنْ اعْتَرَفَ بِتَقْصِيرِ نَفْسِهِ يَسْتَغْفِرْ رَبَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ رَبَّهُ يَسْتَعِذْ بِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وعندها ينجو من شروره.. وانه لتقصير أكبر الأيرى الانسانُ تقصيره، وانه لنقص اعظم كذلك الأيعترف بنقصه. ومن يرى عيبه وتقصيره فقد انتفى عنه العيب، حتى اذا ما اعترف يصبح مستحقاً للعفو.

النقطة الثالثة:

ان ما يُفسد الحياة الاجتماعية للانسان هي الدسيسة الشيطانية الآتية:

انه يجب بسئته واحدة للمؤمن جميع حسناته. فالذين يلقون السمع الى هذا الكيد الشيطاني من غير المنصفين يعادون المؤمن. بينما الله سبحانه وتعالى عندما يزن اعمال المكلفين بميزانه الأكبر وبعدائه المطلقة يوم الحشر فانه يحكم من حيث رجحان الحسنات او السيئات. وقد يحو بحسنة واحدة ويذهب ذنوباً كثيرة. حيث أن ارتكاب السيئات والآثام سهل ويسير ووسائلها كثيرة. فينبغي اذاً التعامل في هذه الدنيا والقياس بمثل ميزان العدل الإلهي، فان كانت حسنات شخص أكثر من سيئاته كميةً او نوعيةً فانه يستحق المحبة والاحترام. وربما يُنظر الى كثير من سيئاته بعين العفو والمغفرة والتجاوز لحسنة واحدة ذات نوعية خاصة.

¹ البيت منسوب للإمام الشافعي. وعجزه: ولكن عين السخط تبدي المساويا. - المترجم.

#135

غير ان الانسان ينسى، بتلقين من الشيطان، وبما يكمن من الظلم في جبلته، مئات من حسنات أخيه المؤمن لأجل سيئة واحدة بدرت منه فيبدأ بمعاداته، ويدخل في الآثام. فكما ان وضع جناح بعوضة أمام العين مباشرة يحجب رؤية جبل شاهق، فالحقد كذلك يجعل السيئة - التي هي بحجم جناح بعوضة - تحجب رؤية حسنات كالجبل الشامخ، فينسى الانسان حينذاك ذكر الحسنات ويبدأ بعباء أخيه المؤمن، ويصبح عضواً فاسداً وآلة تدمير في حياة المؤمنين الاجتماعية.

وهناك دسيسة اخرى مشابهة لهذه ومماثلة لها في افساد سلامة تفكير المؤمن والاخلال باستقامتها وبصحة النظرة الى الحقائق الايمانية وهي انه يحاول إبطال حكم مئات الدلائل الثبوتية - حول حقيقة ايمانية - بشبهة تدل على نقيها. علماً ان القاعدة هي: ان دليلاً واحداً ثبوتياً يرجح على كثير من النفي، وان حكماً لشاهدٍ ثبوتي واحد لدعوى، يؤخذ به ويرجح على مائة من المنكرين النافين.

ولنوضح هذه الحقيقة في ضوء هذا المثال:

بناية عظيمة لها مئات من الابواب المقفلة، يمكن الدخول فيها بفتح باب واحد منها، وعندها تفتح بقية الأبواب، ولا يمنع بقاء قسم من الابواب مقفلة من الدخول في البناية. فالحقائق الايمانية هي كتلك البناية العظيمة، وكل دليل ثبوتي هو مفتاح يفتح باباً معيناً، فلا يمكن انكار تلك الحقيقة الايمانية او العدول عنها بمجرد بقاء باب واحد مسدود من بين تلك المئات من الابواب المفتوحة. ولكن الشيطان يقنع جماعة من الناس - بناءً على اسباب كالجهل او الغفلة - بقوله لهم: لا يمكن الدخول الى هذه البناية مشيراً الى أحد تلك الأبواب المسدودة ليُسقط من الاعتبار جميع الادلة الثبوتية، فيغريهم بقوله: ان هذا القصر لا يمكن الدخول فيه ابداً، فانت تحسبه

قصرًا وهو ليس بقصر، وليس فيه شيء!.

فيا أيها الانسان المسكين! المبتلى بدسائس الشيطان وكيده! ان كنت ترجو سلامة حياتك الدينية وحياتك الشخصية وحياتك الاجتماعية وتطلب صحة الفكر واستقامة الرؤية وسلامة القلب، فَرِنُ أعمالك وخواطرك بموازن القرآن المحكمة والسنة المحمدية الشريفة، واجعل رائدك القرآن الكريم ومرشدك السنة النبوية الشريفة. وتَصَرَّع الى الله العلي القدير بقولك: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم".

#136

فتلك ثلاث عشرة اشارة، وهي ثلاثة عشر مفتاحاً لتفتح بها القلعة المتينة والحصن الحصين لآخر سورة من القرآن المعجز البيان في المصحف الشريف. وهي كنز الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم وشرح مفصل لها.. فافتحها بهذه المفاتيح.. وادخل فيها تجد السلامة والاطمئنان والامان .

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قل اعوذ برب الناس _ ملك الناس _ إله الناس _ من شر الوسواس الخناس _ الذي يوسوس في صدور الناس _ من الجنة والناس)

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

(وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين _ واعوذ بك رب ان يحضرون)

#137

%

اللمعة الرابعة عشرة

عبارة عن مقامين

المقام الاول

جواب عن سؤالين

باسمه سبحانه

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسْحَبُ بِحَمْدِهِ)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

اخي العزيز الصادق الوفي السيد رأفت!

ان ما سألتموه من سؤال حول "الثور والحوت" قد ورد جوابه في بعض الرسائل. وقد بينت في "الغصن الثالث

من الكلمة الرابعة والعشرين " اثنتا عشرة قاعدة مهمة ضمن اثني عشر أصلاً حول هذا النوع من الأسئلة، تلك القواعد تمثل اسساً مهمة لدفع الشبهات والاهام الواردة على الاحاديث الشريفة، فكل قاعدة منها محكٌ جيد لبيان التأويلات المختلفة حول الاحاديث النبوية.

اخي! انني لانشغل الا بالسواخ القلبية، فهناك حالات طارئة في الوقت الحاضر تحول - مع الاسف - دون اشتغالي بالمسائل العلمية؛ لذلك لا استطيع الاجابة عن سؤالكم بجواب شاف، وإن وفق الله وفتح علينا سواخ قلبية اضطر الى الانشغال بها. وربما يجاب عن أسئلة لتوافقها مع السواخ، فلا تتضايقوا، اذ لا استطيع الاجابة عن كل من اسئلتكم اجابة وافية. فلأجب هذه المرة عن سؤالكم.

#138

تذكرون ياخي في سؤالكم:

ان علماء الدين يقولون: الارض تقوم على الحوت والثور، علماً ان الجغرافية تراها كوكباً معلقاً يدور في السماء كأبي كوكب آخر، فلا ثور ولا حوت!.

الجواب: هناك رواية صحيحة تُسند الى ابن عباس رضي الله عنهما، تقول: سئل الرسول صلى الله عليه وسلم: على أي شيء تقوم الارض؟. أجاب: على الثور والحوت. وفي رواية اخرى، قال مرة: على الثور ومرة: على الحوت. ولكن عدداً من المحدثين طبقوا هذه الرواية على حكايات خرافية وقديمة وردت عن الاسرائيليات، ولا سيما من علماء بني اسرائيل الذين اسلموا فهؤلاء غيروا معنى الحديث وحولوه الى معنى عجيب غريب جداً، حيث طبقوا الحديث على ما شاهدوه من حكايات حول الثور والحوت في الكتب السابقة.

ونحن هنا نشير باختصار شديد الى "ثلاثة اسس" و"ثلاثة وجوه" لدى الاجابة عن سؤالكم:

الاساس الاول:

لقد حمل قسم من علماء بني اسرائيل بعد اسلامهم معلوماتهم السابقة معهم الى الاسلام، فاصبحت ملك الاسلام اي ضمن المعارف الاسلامية. علماً أن معلوماتهم السابقة تحوي اخطاء. فتلك الاخطاء بلا شك تعود اليهم لالي الاسلام.

الاساس الثاني:

ان التشبيهات والتمثيلات كلما انتقلت من الخواص الى العوام، اي كلما سرت من يد العلم الى يد الجهل عُدَّت حقائق ملموسة بمرور الزمن، اي كأنها حقائق واقعة وليست تشبيهات.

فمثلاً: حينما كنت صبياً خسف القمر، فسألت والدي: ما هذا الذي حدث للقمر؟. قالت: ابتلعتة الحية!. قلت: ولكنه يتبين! قالت: ان الحيات في السماء شفاقة كالزجاج تشف عما في بطنها. كنت اتذكر هذه الحادثة كثيراً

واسائل نفسي: كيف تدور خرافة بعيدة عن الحقيقة الى هذه الدرجة على لسان والدتي الحليفة الجادة في كلامها؟.

#139

ولكن حينما طالعت علم الفلك رأيت ان الذين يقولون كما تقول والدتي، قد تلقوا التشبيه حقيقة واقعية؛ لان الفلكيين شبهوا القوسين الناشئين من تداخل دائرة الشمس، وهي منطقة البروج ومدار درجاتها، مع دائرة القمر وهي ميل القمر ومدار منازلها، شبهوها تشبيهاً لطيفاً بجيتين ضخمتين، وسموها تينين، واطلقوا على احدى نقطتي تقاطع تلك الدائرتين "الرأس" والآخرى "الذنب". فحينما يبلغ القمر الراس والشمس الذنب تحصل حيلولة الارض - كما يصطلح عليها الفلكيون - اي: تقع الارض بينهما تماماً، وعندها يخسف القمر. أي كأن القمر يدخل في فم التينين، حسب التشبيه السابق.

وهكذا عندما سرى هذا التشبيه العلمي الراقي بمرور الزمن الى كلام العوام غدا التشبيه تينياً عظيماً مجسماً يبتلع القمر!.

وكذلك الملكان العظيمان المسميان بالثور والحوت، قد اطلق عليهما هذان الاسمان في تشبيه لطيف سام، وفي اشارة ذات مغزى. ولكن لما انتقل التشبيه اللطيف، من لسان النبوة البليغ السامي الى لسان العوام، بمرور الزمن، انقلب التشبيه الى حقيقة واقعة، فاتخذ الملكان صورة ثور ضخم وحوت هائل.

الاساس الثالث:

كما ان للقرآن الكريم متشابهات، يرشد المسائل الدقيقة العميقة للعوام بالتشبيه والتمثيل، كذلك للحديث الشريف متشابهات يعبر عن الحقائق الواسعة بتشبيهات مأنوسة لدى العوام. مثال ذلك ما ذكرناه في رسائل اخرى:

أنه عندما سمع دوي في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم قال: هذا حجر يتدحرج منذ سبعين سنة في جهنم فالآن حين وصل الى قعرها.

وبعد مضي دقائق جاء أحدهم وقال: ان المنافق الفلاني المعلوم الذي يبلغ سبعين سنة من العمر قد مات. فأعلن عن الحقيقة الواقعة للتشبيه البليغ الذي ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما عن سؤالك يا أخي فسنذكر له ثلاثة وجوه:

#140

الوجه الاول:

ان الله سبحانه قد عين اربعا من الملائكة العظام في العرش والسماوات للاشراف على سلطنة ربوبيته. اسم واحد منهم "النسر" واسم آخر "الثور".¹ أما الارض التي هي شقيقة صغيرة للسماوات ورفيقة أمينة للسيارات

فقد عُين لها ملكان مشرفان يحملانها، يطلق على احدهما: "الثور" وعلى الآخر "الحوت". والحكمة في تسميتهما بهذين الاسمين هي ان الارض قسمان: البر والبحر اي اليابسة والماء. فالذي يعمر البحر او الماء هو الحوت او السمك، أما الذي يعمر البر والتراب فهو الثور، حيث أن مدار حياة الانسان على الزراعة المحمولة على كاهل الثور.

فالملك الموكلان بالارض اذن هما قائدان لها ومشرفان عليها، لذا لهما تعلق وارتباط ومناسبة - من جهة - مع طائفة الحوت ونوع الثور. ولربما - والعلم عند الله - يتمثلان في عالم الملكوت وفي عالم المثال على صورة الحوت والثور. ² فإشارة الى هذه المناسبة والعلاقة، وإيماءاً الى ذينك النوعين من مخلوقات الارض، قال الذي اوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم: "الارض على الثور والحوت" فأفاد بجملة واحدة وجيزة بليغة عن حقيقة عظيمة عميقة قد لا يعبر عنها في صحيفة كاملة.

¹ عن مالك في قوله عز وجل (وسع كرسيه السموات والارض) قال: ان الصخرة التي تحت الارض السابعة، ومنتهى الخلق، على ارجائها اربعة من الملائكة، لكل ملك منهم اربعة وجوه: وجه انسان ووجه اسد، ووجه نسر، ووجه ثور، فهم قيام عليها قد احاطوا بالارض والسموات ورؤسهم تحت الكرسي والكرسي (تحت) العرش. قال: وهو واضع رجله تبارك وتعالى على الكرسي.

أخرجه عبدالله بن الامام احمد في كتاب (السنة) برقم 589، 3:3/1 في اسناده مجهول والمدى معروف بالوهم وبقية رجاله ثقات. وعزاه السيوطي في الدر المنثور 329/1 لعبد بن حميد وابو الشيخ في العظمة واخرجه ايضاً البيهقي في الاسماء والصفات ص 403/ وقد اخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور باختلاف في السياق 261/6 من كلام وهب بن منبه وهو ثقة كثير النقل من كتب الاسرائيليات (انظر الميزان 352/4).

² نعم: ان الكرة الارضية انما هي كسفينة تخر عباب بحر الفضاء فالذي يجري هذه السفينة الضخمة التي لاشعور لها بانتظام دقيق ويسوقها لحكمة معينة بالامر الإلهي، أي ان قائد تلك السفينة وربانها انما هو الملك الذي يطلق عليه اسم «الحوت». وهي ايضاً - اي الارض - كمزرعة للأخرة كما هو ثابت في الحديث الشريف، فالذي يشرف على تلك المزرعة، من الملائكة - بالاذن الإلهي هو الملك الذي يطلق عليه اسم «الثور». ولا يخفى ما لهذا الاطلاق الجميل من انسجام لطيف.. المؤلف.

#141

الوجه الثاني:

لو قيل: بم تقوم هذه الدولة؟ فالجواب: على السيف والقلم: اي تستند الى قوة سيف الجيش وشجاعته واقدامه وعلى دراية قلم الموظفين وعدالتهم.

وحيث أن الارض مسكن الأحياء، وسيد الأحياء الانسان، والقسم الاعظم من الناس يقطنون السواحل

ومعاشتهم على السمك، والباقون تدور معيشتهم على الزراعة التي هي على عاتق الثور ومحور تجارتهم على السمك. فمثلما يمكن القول: أن الدولة تقوم على السيف والقلم يمكن كذلك القول: ان الارض تقوم على الثور والحوت؛ لأنه متى ما احجم الثور عن العمل ولم يلق السمك ملايين البيوض دفعة واحدة، فلا عيش للانسان وتمتار الحياة، ويدمر الخالق الحكيم سبحانه الارض.

وهكذا اجاب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن السؤال بحكمة سامية وببلاغة معجزة وبكلمتين اثنتين مبيناً حقيقة واسعة تتعلق بمدى ارتباط حياة الانسان بالحيوان فقال: "الارض على الثور والحوت".

الوجه الثالث:

ان الشمس في نظر علماء الفلك القديم تدور والارض ثابتة. وعبروا عن كل ثلاثين درجة من درجات الشمس بـ"البرج" فلو مدت خطوط افتراضية بين نجوم تلك البروج لحصل ما يشبه صورة الاسد احياناً، او صورة الميزان، او صورة الثور، او صورة الحوت، لذا بينوا تلك البروج بتلك الاسماء.

أما علم الفلك الحاضر فيرى أن الشمس لاتدور حول الارض، بل الارض تدور حولها. أي يعطل العمل في تلك البروج، فلا بد ان لتلك البروج العاطلة عن العمل والدوائر الهائلة دوائر بمقياس أصغر في مدار الارض السنوي، اي اصبحت البروج السماوية تتمثل في مدار الارض السنوي، وعندئذ تدخل الارض كل شهر في ظل احد البروج وتكون ضمن انعكاسه، فكأن مدار الارض السنوي مرآة تتمثل فيها صورة البروج السماوية.

وهكذا بناء على هذا الوجه - من المسألة - فقد قال الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا سابقاً "على الثور" مرة و"على الحوت" مرة اخرى.

#142

نعم انه حري بلسان ذلك النبي الكريم المعجز ان يقول مرة: "على الثور" مشيراً به الى حقيقة عميقة لاتدرك الا بعد قرون عديدة. حيث أن الارض في تلك الفترة - اي فترة السؤال - كانت في الصورة المثالية لبرج الثور، بينما عندما سئل صلى الله عليه وسلم السؤال نفسه بعد شهر قال: "على الحوت" لأن الارض كانت في ظل برج الحوت.

وهكذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله: "على الثور والحوت" الى هذه الحقيقة العظيمة التي ستظهر في المستقبل وتتوضح.. وأشار به الى حركة الارض وسياحتها.. ورمز به الى أن البروج السماوية الحقيقية والعاملة هي التي في مدار الارض السنوي، والارض هي القائمة بالوظيفة والسياحة في تلك البروج، بينما التي بالنسبة للشمس عاطلة دون اجرام سيارة فيها. والله اعلم بالصواب.

واما ما جاء من حكايات خارجة عن طور العقل في بعض الكتب الاسلامية حول الثور والحوت. فاما انها من

الاسرائيليات، أو هي تشبيهات وتمثيلات، أو أنها تأويلات بعض الرواة، حسبها الذين لا يتحرون الدقة أنها من الحديث نفسه واسندوها الى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم.

(ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا)

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

#143

السؤال الثاني: يخص اهل العباء¹

أخي!

سنذكر حكمة واحدة فقط من الحكم الكثيرة التي ينطوي عليها سؤالكم حول "أهل العباء" الذي ظل بلا جواب، وهي: ان اسراراً وحكماً كثيرة في إلقاء الرسول صلى الله عليه وسلم عباؤه (ملاءته) المباركة التي كان يلبسها على علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم اجمعين، ثم دعاؤه لهم² في هذا الوضع وبهذه الآية الكريمة (لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الاحزاب:33). ولكننا لانخوض في اسراره، ولانذكر إلا حكمة من حكمه التي تتعلق بمهمة الرسالة وهي:

ان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد رأى بنظر النبوة الانيس بالغيب، النافذ الى المستقبل، أنه بعد نحو ثلاثين أو أربعين سنة ستقع فتن عظيمة في صفوف الصحابة والتابعين، وستراق الدماء الزكية. فشاهد ان ابرز من فيها هم الاشخاص الثلاثة الذين سترهم تحت عباؤه. فلأجل الاعلان عن تبرئة علي في نظر الأمة.. وتسلية الحسين وعزائه.. وتهنئة الحسن واطهار شرفه ومكانته وعظيم نفعه للأمة برفعه فتنة كبيرة بالصلح.. وطهارة نسل فاطمة وشرافتهم واهليتهم بلقب أهل البيت، ذلك العنوان الشريف الرفيع.. لأجل كل ذلك ستر صلى الله عليه وسلم اولئك الاربعة مع نفسه تحت ذلك العباء واهباً لهم ذلك العنوان المشرف: آل العباء الخمسة.

نعم! ان سيدنا علياً رضي الله عنه كان خليفة للمسلمين بحق، ولكن لأن الدماء الزكية التي اريقتم جليلاً فان براءته منها وتبرئته في نظر الاممة لها اهميتها من حيث

¹ قال البوصيري صاحب بردة المديح في القصيدة الهمزية التي مطلعها " كيف ترقى رقيق الانبياء..":

كذا علي مع ابنه واهما اهل العباء كما قد جاءنا الخبر - المترجم.

² حديث صحيح ذكره الاستاذ النورسي بالمعنى مختصراً، وللحديث طرق كثيرة. انظر المسند 48، 107، 292/6،

296، 298، 304 والبخاري في التاريخ الكبير 69/2/1 والحاكم 147/3 والترمذي واحمد في فضائل الصحابة برقم 1149، 987، 1404، 1170، 1392 وذكر الهيثمي في المجمع 166/9 والسيوطي في الدر المنثور 198/5 له طرقاً كثيرة

مع مخرجها عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم. اخرج الطبراني في الاوسط عن علي أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وقد بسط شملةً فجلس عليها هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ثم اخذ النبي بجماعه ففقد عليهم ثم قال: «اللهم ارض عنهم كما انا عنهم راضٍ» قال الميثمي (169/9): رجاله رجال الصحيح غير عبيد بن طفيل وهو ثقة، كنيته ابو سيدان اهـ. حياة الصحابة 105/4.

#144

وظيفة الرسالة. لذا يبرئ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ساحته بتلك الصورة. فيدعو الى السكوت بحقه كل من ينتقده ويخطئه ويضله من الخوارج والموالين للامويين المتجاوزين عليه.

نعم ان الخوارج واتباع الامويين المغالين بتفريطهم في حق سيدنا علي رضي الله عنه وتضليلهم له وإفراط الشيعة وغلوهم وبدعهم وتبرئهم من الشيخين مع وقوع الفاجعة الالهية على الحسين رضي الله عنه، قد اضرّ اهل الاسلام ايّما ضرر. فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ينجي بهذا الدعاء والعباء علياً والحسين من المسؤولية والتهم، وينقذ امته من سوء الظن في حقها كما بينئ - من حيث مهمة الرسالة - الحسن الذي أحسن الى الامة بالصلاح الذي قام به، ويعلن ان النسل المبارك الذي يتسلسل من فاطمة سينالون شرفاً رفيعاً، وان فاطمة ستكون كريمة من حيث ذريتها كما قالت ام مريم في قوله تعالى:

(واني اعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) (آل عمران:36)

اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين الابرار وعلى اصحابه المجاهدين المكرمين الاخيار.
آمين....

#145

المقام الثاني

يضم هذا المقام ستة من ألوف اسرار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تنبيه:

لقد ظهر عن بُعد لعقلي الخامد نورٌ ساطع أشرق من أفق رحمة الله في البسملة. فاردتُ تسجيله في صورة ملاحظات ومذكرات خاصة بي، وقمت بمحاولة اقتناص ذلك النور الباهر باحاطته بسور من أسراره البالغة نحو ثلاثين سراً، كي يسهل حصره ويتيسر تدوينه، إلا أنني مع الاسف لم اوفق تماماً الآن في مسعاي، فانحسرت الأسرار الى ستة فقط.

والخطاب في هذا المقام موجّه الى نفسي بالذات. فحيناً اقول: "أيها الانسان!" أعني به نفسي.

فهذا الدرس مع كونه خاصاً بي إلا أنني اعرضه للانظار الصائبة لأخوتي المدققين ليكون "المقام الثاني من اللمة الرابعة عشرة" وعله يكون موضع فائدة لمن ارتبط بي برباط روحي، والذي نفسه أكثر يقظة مني وانتباهاً. هذا الدرس متوجه الى القلب أكثر منه الى العقل ومتطلع الى الذوق الروحي أكثر منه الى الدليل المنطقي.

#146

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قالت: يا أيها المملؤا إني ألقى إليّ كتاباً كريمـ

إنه من سُلَيْمَنَ وإنه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (المل:29-30)

سنذكر في هذا المقام بضعة من الأسرار:

السر الأول:

إثناء تأملي في البسملة رأيت نوراً من أنوار "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" على الصورة الآتية:

ان هناك ثلاث علامات نيرة ساطعة للربوبية على سياء الكائنات، وعلى قسماات وجه الأرض، وعلى ملامح وجه الانسان. هذه العلامات الزاهرة والآيات الساطعة متداخل بعضها في البعض الآخر، حتى ان كلاً منها يبين نموذج الآخر ومثاله.

فالعلامة الاولى:

هي علامة الألوهية، تلك الآية الكبرى، الساطعة من التعاون والتساند والتعاقب والتجاوب الجاري في اجزاء الكون كله؛ بحيث يتوجه "بسم الله" اليها ويدل عليها.

العلامة الثانية:

هي علامة الرحمانية، تلك الآية العظمى، الزاهرة من التشابه والتناسب والانتظام والانسجام واللفظ والرحمة الساري في تربية النباتات والحيوانات؛ بحيث يتوجه "بسم الله الرحمن" اليها ويدل عليها.

ثم العلامة الثالثة:

وهي علامة الرحيمية، تلك العلامة السامية، الظاهرة من لطائف الرأفة الإلهية ودقائق شفقتها وأشعة رحمتها المنطبعة على سياء الماهية الجامعة للانسان، بحيث يتوجه اسم "الرحيم" الذي في "بسم الله الرحمن الرحيم" اليها ويدل عليها.

#147

أي أن "بسم الله الرحمن الرحيم" عنوان قدسي لثلاث آيات من آيات الأحذية، حتى أنه يشكل سطراناً نورانياً في كتاب الوجود، ويخط خطأ ساطعاً في صحيفة العالم، ويمثل حبلاً متيناً بين الخالق والمخلوق. أي أن "بسم

الله الرحمن الرحيم" نزولاً من العرش الأعظم يرتبط طرفه ونهايته بالانسان الذي هو ثمرة الكائنات ونسخة العالم المصغرة، فيربط الفرش بالعرش الأعظم، ويكون سبيلاً ممهداً لعروج الانسان الى عرش كمالته.

السر الثاني:

ان القرآن الكريم يبين دوماً تجلي "الأحدية" ضمن تجلي "الواحدية" ليحول دون غرق العقول وتشتتها في تلك "الواحدية" الظاهرة في مخلوقات كثيرة لا يحصرها العدد.

ولنوضح ذلك بمثال:

الشمس تحيط بضياءها بما لا يحدد من الاشياء. فلأجل ملاحظة ذات الشمس في مجموع ضياءها يلزم ان يكون هناك تصورٌ واسع جداً ونظر شامل. لذا تُظهرُ الشمسُ ذاتها بوساطة انعكاس ضوئها في كل شئ شفاف، اي يُظهر كلُّ لماع حسب قابليته جلوة الشمس الذاتية مع خواصها كالضياء والحرارة، وذلك لئلا تُنسى ذاتُ الشمس. ومثلاً يُظهر كلُّ لماع الشمس بجميع صفاتها حسب قابليته، تحيط ايضاً كل صفةٍ من صفات الشمس كالحرارة والضياء والوانه السبعة بكل ما يقابلها من اشياء.

ولا مشاحة في الامثال (ولله المثل الأعلى) فكما ان لله سبحانه الأحد الصمد تجلياً في كل شئ بجميع اسمائه الحسنى، ولا سيما في الأحياء، وبخاصة في مرآة ماهية الانسان. كذلك كل اسم من اسمائه الحسنى المتعلقة بالموجودات يحيط بالموجودات جميعاً من حيث الوحدة والواحدية.

فيضع سبحانه وتعالى طابع الأحدية في الواحدية نصب عين الانسان وامام نظره كيلا تغرق العقول وتغيب في سعة الواحدية ولئلا تنسى القلوب وتذهل عن الذات الإلهية المقدسة.

ف"بسم الله الرحمن الرحيم" يدل على ثلاثٍ من العقد المهمة لذلك الطابع المميز ويبينها.

#148

السر الثالث:

انه بديهي، بل مشاهد ان الرحمة الإلهية هي التي أبهجت الكائنات التي لا يحدها حدود..

وان الرحمة نفسها هي التي أنارت هذه الموجودات المغشية بالظلمات..

وأن الرحمة أيضاً هي التي ربّت في أحضانها هذه المخلوقات المتقلبة في حاجات لا حد لها..

وان الرحمة ايضاً هي التي وجّحت الكائنات من كل صوب وحدب وساقتها نحو الانسان وسخرتها له، بل جعلتها تتطلع الى معاونته وتسعى لإمداده، كما تتوجه أجزاء الشجرة الى ثمرتها..

وان الرحمة ايضاً هي التي عمّرت هذا الفضاء الواسع وزيّنت هذا العالم الخالي..

وان الرحمة نفسها هي التي جعلت هذا الانسان الفاني مرشحاً للخلود والبقاء، وأهّلته لتلقّي خطاب رب العالمين

وَمَنَحْتَهُ فَضْلَ وَلايْتِهِ سَبْحَانَهُ.

فيا أيها الانسان!

ما دامت الرحمة محبوبة، ولها من القوة والجاذبية والإمداد الى هذا الحد، فاستعصم بتلك الحقيقة بقولك "بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" وانقذ نفسك من هول الوحشة المطلقة، وخلصها من آلام حاجات لانهاية لها، وتقرّب الى ذي العرش المجيد، وكن مخاطباً أميناً وخليلاً صادقاً له، بأنوار تلك الرحمة ورأفتها.

نعم! ان حشد الكائنات وجمعها حول الانسان ضمن حكمة مقدّرة، وجعل كل منها يد العون اليه لدفع حاجاته المتزايدة، نابع بلاشك من احدى حالتين اثنتين: فإما أن كل نوع من أنواع الكائنات يعرف الانسان ويعلم به فيطيعه ويسعى لخدمته، أي أن هذا الانسان الغارق في عجز مطلق يملك قدرة سلطان مطلق!! (وهذا بعيد كل البعد عن منطق العقل فضلاً عما فيه من محالات لا تحد).. أو أن هذا التعاون والامداد انما يتم بعلم محيط لقادر مطلق محتجب وراء الكائنات.. أي أن أنواع

#149

الكائنات لا تعرف هذا الانسان لتمد له يد العون، وانما هي دلائل على من يعرف هذا الانسان ويرحمه، ويعلم بحاله.. وهو الخالق الرحيم.

فيا أيها الانسان!

عُدْ الى رشدك! أو يمكن ألا يعلم بك وألّا يراك هذا الرب الرحيم، وهو الذي دفع المخلوقات لمعاونتك ملبية جميع حاجاتك؟

فما دام سبحانه يعلم بك ويُعلمك بعلمه هذا باسباب رحمته عليك، فما عليك الا بذل الجهد لمعرفة، والسعي لاطهار معرفتك له بتوقير أوامره.

واعلم يقيناً انه ليست الا حقيقة الرحمة الإلهية - التي تسع الحكمة والعناية والعلم والقدرة - قد سحّرت لك هذه الكائنات، وجعلتها طوع ارادتك، وأنت المخلوق الضعيف الصغير العاجز الفقير الفاني. فرحمة عظيمة الى هذا الحد، واسعة الى هذا القدر.. لاشك أنها تطلب منك شكراً كلياً خالصاً، وتعظيماً لا يشوبه شئ.

فاعلم انه لا يترجم لك ذلك الشكر الكلي والتعظيم الخالص الا "بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ". فقله، واتخذه وسيلة لبلوغك تلك الرحمة الواسعة، واجعله شفيعاً لك لدى الرحمن الرحيم.

حقاً! ان وجود الرحمة وظهورها أظهر من الشمس في كبد السماء؛ اذ كما يحصل نسج نقش جميل في المركز من تناسق لحمته وسداه ومن انتظام اوضاع خيوط تمتد من كل جهة نحو المركز.. فان خيوط شعاع النور النابع

من تجلي ألف اسم واسم من الاسماء الحسنى، والممتدة الى هذا الكون الشاسع تنسج على سيمائه نسيجاً في غاية الروعة والجمال ضمن اطار الرحمة السابغة، حتى يُظهر للعقول - أَوْضَحَ من الشمس للعيون - ختماً واضحاً للرحيمية، ونقشاً رائعاً للشفقة والرأفة، وشعاراً بديعاً للعناية.

نعم، ان الذي ينظّم الشمس والقمر والعناصر والمعادن والنباتات والحيوانات، وينسقها جميعاً بأشعة ألف اسم واسم، كأنها لحمَةٌ نقشٍ بديعٍ وسُداه، وخبوطه

#150

النورانية، ويسخرها جميعاً في خدمة الحياة.. والذي يُظهر رأفته وشفقته على الخلق اجمعين بما اودع في الوالدات - من نبات وحيوان - تلك الشفقة الحلوة اللذيذة تجاه صغارها.. والذي أظهر أسطع تجليات رحمته، وأجمل نقوش ربوبيته سبحانه، بتسخيره الأحياء لحياة الانسان، مبيناً به منزلة الانسان لديه وأهميته عنده.. هو الرحمن ذو الجمال الذي جعل رحمته الواسعة هذه شفيعة مقبولة مأنوسة لدى غناه المطلق، يتشقق بها ذوو الحياة والانسان المفتقر فقراً مطلقاً الى تلك الرحمة.

فيا أيها الانسان!

ان كنت انساناً حقاً، فقل: "بسم الله الرحمن الرحيم" لتظفر بذلك الشفيع.

انه بديهي، بل مشاهد ان الرحمة هي التي تربي طوائف النباتات والحيوانات التي تربو على أربعمائة ألف طائفة، رغم تباينها وتنوعها.. وهي التي تدير أمورها جميعاً بلا التباس ولا نسيان ولا اختلاط، وفي أنسب وقت وأكمل نظام وأتم حكمة وأوفق عناية، حتى وضعتْ بهذه الادارة والتربية طابع الاحدية وختمها على سماء الارض. نعم، ان وجود تلك الرحمة ثابت وقطعي كوجود الموجودات الماثوثة على الارض، كما أن دلائل تحققها بعدد تلك الموجودات.

ومثلما نشاهد على وجه الارض آية الاحدية وسمتها وختم الرحمة وطابعها، فان على سماء الماهية المعنوية الانسانية أيضاً طابع الرحمة.. هذا الطابع والختم ليس بأقل وضوحاً من ذلك الذي على وجه الارض، ولا من ذلك الذي على وجه الكائنات.. بل ان سمة هذه الرحمة لها من الجامعة والشمول حتى كأنها بؤرة لامّة لأنوار تجليات الاسماء الحسنى.

فيا أيها الانسان!

ان الذي وهب لك هذه السيماء المعنوية، ووضع عليها الرحمة وختّمها بختم الاحدية، أمن الممكن أن يترك سدىً، ولا يكثر بك ولا يهتم ولا يراقب أعمالك وحركاتك؟ أو من الممكن أن يجعل حركة جميع الكائنات المتوجهة اليك عبثاً لا طائل من ورائها؟ أو يجعل شجرة الحلقة العظيمة شجرة تافهة، وثمرتها ثمرة

#151

فاسدة؟ أم هل يمكن أن يضع رحمته الظاهرة ظهور الشمس - والتي لا تحتل شكاً ولا ريباً - ويضع حكمته الواضحة وضوح النور، موضع الإنكار والجحود؟ كلا.. ثم كلا.. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.
فيا أيها الانسان!

اعلم ان لبلوغ عرش تلك الرحمة معراجاً.. ذلك المعراج هو: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ".
فان شئت أن تعرف مدى أهمية هذا المعراج ومدى عظمته ومكانته فانظر الى مستهل سور القرآن الكريم البالغة مائة وأربع عشرة سورة، وانظر بدايات كل كتاب قيم، ولاحظ بدء كل أمر ذي بال. حتى يُعدّ حجة قاطعة على عظمة البسملة وعلو قدرها ما قاله الامام الشافعي رضى الله عنه وأمثاله من المجتهدين العظام: ان البسملة رغم أنها آية واحدة فانها نزلت في القرآن مائة وأربع عشرة مرة.
السر الرابع:

ان تجلي الواحدية في مخلوقات لا حد لها، لا يحيط به كل من يقول: اياك نعبد. حيث يتشقت الفكر ويتيه في تلك الكثرة، اذ يلزم لملاحظة ذات الله الأحد من خلال مجموع المخلوقات لدى خطاب (اياك نعبد واياك نستعين) وجود قلب واسع يسع الارض كلها .

فبناءً على هذا السر الدقيق فإن الله سبحانه يبين بجلاء طابع الأحادية في كل جزءٍ مثلما يظهره في كل نوع، وذلك لتشد الانظار الى ذات الله الأحد، وليمكن كل شخص - مهما بلغت مرتبته - من التوجه المباشر في خطابه (اياك نعبد واياك نستعين) الى ذات الله الأقدس سبحانه من دون تكلف أو صعوبة.

فتبيناً لهذا السر العظيم فان القرآن الكريم عندما يبحث في آيات الله في اجواء الآفاق وفي اوسع الدوائر اذا به يذكر أصغر دائرة من دوائر المخلوقات وأدق جزئية من جزئياتها، اظهاراً لطابع الأحادية بوضوح في كل شئ. مثال ذلك:

عندما يبين القرآن الكريم آيات خلق السماوات والأرض يعقبها بآيات خلق

#152

الانسان وبيان دقائق النعمة في صوته وبدائع الحكمة في ملامحه، كي لا يتشقت الفكر في آفاق شاسعة، ولا يغرق القلب في كثرة غير متناهية، ولتبلغ الروح معبودها الحق دون وساطة.
فالآية الكريمة الآتية تبين الحقيقة السابقة بياناً معجزاً: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَالِدَاتُ لِآبَائِكُمْ) (الروم: 22).

وكذا فان آيات الوجدانية واختامها مع انها قد وضعت في المخلوقات بكثرة غير متناهية، ابتداءً من أوسع الاختام وأكثرها كلية الى اصغرها جزئية، في دوائر متداخلة وفي مراتب متنوعة وانواع شتى، إلا أن وضوح هذه

الاختام للوحدانية - مهما بلغ من الظهور - فهو وضوحٌ ضمن كثرةٍ من المخلوقات لا يُوفي حقَّ الوفاء حقيقة الخطاب في (اياك نعبد). لذا يلزم وجود طابع الأُحدية في ثنايا ختم الوحدانية، كي يفتح الطريق امام القلب للوصول الى ذات الله الأقدس من دون ان يذكره بالكثرة.

ثم، لأجل لفت الانظار الى طابع الأُحدية، وجلب القلوب نحوها، فقد وُضع فوق تلك السمة للأُحدية نقشٌ بديعٌ في منتهى الجاذبية، ونورٌ باهر في منتهى السطوع، وحلاوةٌ لذيذة في منتهى الذوق، وجمالٌ محبوب في منتهى الحُسن، وحقيقةٌ رصينة في منتهى القوة، تلك هي سمة الرحمة وختم الرحيمية.

نعم! ان قوة تلك الرحمة هي التي تجلب انظار ذوي الشعور نحوها فتوصلها الى طابع الأُحدية وتجعلها تلاحظ ذات الأحد الأقدس حتى تجعل الانسان يحظى بالخطاب الحقيقي في (اياك نعبد واياك نستعين).

وهكذا ف "بسم الله الرحمن الرحيم" من حيث انه فهرس لفاتحة الكتاب المبين وخلاصة مجملة له، قد اصبح عنواناً لهذا السر العظيم المذكور، وترجاناً له، فالذي يتمكن من أن ينال هذا العنوان يستطيع ان يجول في طبقات الرحمة، والذي يستنطق هذا الترجمان يتعرف على اسرار الرحمة ويتعلمها ويشاهد أنوار الرحيمية والرأفة.

#153

السر الخامس:

لقد ورد في حديث شريف (ان الله خلق آدم على صورة الرحمن¹) (أو كما قال صلى الله عليه وسلم. فسَرَ قسماً من اهل الطرق الصوفية هذا الحديث الشريف تفسيراً عجيباً لا يليق بالعقائد الايمانية، ولا ينسجم معها. بل بلغ بعض من أهل العشق ان نظروا الى السجاء المعنوي للانسان نظرتهم الى صورة الرحمن! ولما كان في اغلب اهل العشق حالة استغراقية ذاهلة والتباس في الامور، فلربما يُعذرون في تلقّياتهم المخالفة للحقيقة. إلا أن اهل الصحو، واهل الوعي والرشاد يرفضون رفضاً باتاً تلك المعاني المنافية لاسس عقائد الايمان، ولا يقبلونها قطعاً. ولو رضي بها أحدٌ فقد سقط في خطأ وجانب الصواب.

نعم، ان الذي يدبر امور الكون ويهيمن على شؤونه بسهولة ويسر كادارة قصر أو بيت.. والذي يحرك النجوم واجرام السماء كالذرات بمنتهى الحكمة والسهولة.. والذي تنقاد اليه الذرات وتأنم بأمره وتخضع لحكمه..

نعم، ان الذي يفعل هذا كله هو الله القدوس سبحانه.. فكما انه منزّه ومقدّس عن الشرك؛ فلا شريك له، ولا نظير، ولا ضدّ ولا ندّ، فليس له قطعاً مثيلٌ ولا مثلاً ولا شبيهةً ولا صورةً ايضاً، وذلك بنص الآية الكريمة (ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: 11) إلا أن شؤونه الحكيمية وصفاته الجليلة واسماءه الحسنی يُنظر اليها بمنظار التمثيل والمثل حسب مضمون الآية الكريمة: (ولهُ المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) (الروم: 27). أي ان المثل والتمثيل واردٌ في النظر الى شؤونه الحكيمية سبحانه.

ولهذا الحديث الشريف مقاصد جلية كثيرة، منها: ان الانسان مخلوق على صورة تُظهر تجلي اسم الله "الرحمن" اظهاراً تاماً.

¹ (خلق الله عز وجل آدم على صورته..) حديث صحيح اخرجه البخاري برقم 6227 ومسلم برقم 2841 واحمد 315/2 وابن خزيمة في التوحيد ص 29. أما حديث (ان الله خلق آدم على صورة الرحمن) فقد عزاه الحافظ في الفتح 183/5 لابن ابي عاصم في السنة والطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال الحافظ باسناد رجاله ثقات.

#154

نعم، لقد بينا في الأسرار السابقة انه مثلما يتجلى اسم "الرحمن" من شعاعات مظاهر ألف اسم واسم من الأسماء الحسنی على وجه الكون، ومثلما يُعَرَّض اسم "الرحمن" بتجليات لاتحد للربوبية المطلقة على سماء الأرض، كذلك يُظهِر سبحانه التجلي الأتم لذلك الأسم "الرحمن" في الصورة الجامعة للأنسان، يُظهِره بمقياس مصغر بمثل ما يُظهِره في سماء الأرض وسماء الكون بمقياس اوسع وأكبر.

وفي الحديث الشريف اشارة كذلك الى ان في الانسان والاحياء من المظاهر الدالة على "الرحمن الرحيم" ما هو بمثابة مرايا عاكسة لتجلياته سبحانه، فدلالة الانسان عليه سبحانه ظاهرة قاطعة جلية، تشبه في قطعيتها وجلالها دلالة المرآة الساطعة بصورة الشمس وانعكاسها على الشمس نفسها. فكما يمكن ان يقال لتلك المرآة: انها الشمس، اشارة الى مدى سطوعها ووضوح دلالتها عليها، كذلك يصح أن يقال - وقد قيل في الحديث - ان في الانسان صورة "الرحمن"، اشارة الى وضوح دلالته على اسم "الرحمن" وكمال مناسبته معه ووثوق علاقته به. هذا وان المعتدلين من اهل وحدة الوجود قد قالوا: "لا موجود الا هو" بناء على هذا السر من وضوح الدلالة، وعنواناً على كمال المناسبة.

اللهم يا رحمن يا رحيم بحق "بسم الله الرحمن الرحيم" إرحمنا كما يليق برحيمتك، وفهمنا أسرار "بسم الله الرحمن الرحيم" كما يليق برحمانيتك آمين.

السر السادس:

أيها الانسان المتقلب في خضم عجز لانهاية له وفقر لاحد له، اذا أردت أن تفهم كيف أن الرحمة أعظم وسيلة وأرجى شفيع، فاعلم:

أن الرحمة أقوى وسيلة للوصول الى سلطان عظيم ذي جلال، تنقاد له النجوم والذرات معاً جنوداً مطيعين طاعة تامة في انتظام تام.. ذلك السلطان ذو الجلال والاکرام رب العالمين المستغني عن الخلق أجمعين، الكبير المتعالي عن الموجودات، فلا حاجة له أصلاً الى الموجودات، بل كل شيء قد تواضع لعظمته واستسلم لقدرته

وذلل لعزته وخضع لهيبة جلاله.. فالرحمة أيها الانسان ترفعك الى ديوان حضور ذلك الغني المطلق، وتجعلك خليلاً لذلك السلطان السرمدي الاعظم، بل تعرج بك الى مقام خطابه الجليل، وتجعلك عبداً مكرماً محبوباً عنده.

#155

ولكن، كما انك لا تصل الى الشمس لبُعدك عنها، بل لا يمكنك التقرب اليها بحال، فان ضوءها يُسَلِّم اليك تجليها وصورتها بواسطة مرآة.. (ولله المثل الأعلى) فنحن على الرغم من بُعدنا المطلق عن الله سبحانه وتعالى، فان نور رحمته يقربه الينا.

فيا أيها الانسان! ان من يظفر بهذه الرحمة فقد ظفر بكنز عظيم لا ينفى، كنز ملؤه النور..

أما طريق الوصول الى ذلك الكنز العظيم فاعلم: ان اسطح مثال للرحمة، وأفضل من يمثلها، وأبلغ لسان ناطق بها، وأكرم داع اليها، هو الذي سمي في القرآن الكريم (رحمة للعالمين) وهو رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم. فالطريق الامثل لبلوغ تلك الخزينة الابدية هو اتباع سنته المطهرة.

ولكن كيف الوصول الى الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم، وما الوسيلة اليه؟

فاعلم ان الوسيلة هي الصلاة عليه.

نعم! الصلاة عليه تعني الرحمة، فالصلاة عليه دعاء بالرحمة لتلك الرحمة المجسمة الحية، وهي وسيلة الوصول الى من هو رحمة للعالمين.

فيا أيها الانسان! اجعل الصلاة عليه وسيلة الوصول اليه، ثم استمسك به ليلبغك رحمة الرحمن الرحيم. فان الامة جميعها بدعائها وصلواتها على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم انما تثبت بوضوح مدى قيمة هذه الرحمة ومدى أهمية هذه الهدية الإلهية، ومدى سعتها وعظمتها.

الخلاصة:

ان حاجب خزينة الرحمة الإلهية وأكرم داع اليها هو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كما أن أسمى مفتاح لتلك الخزينة هو "بسم الله الرحمن الرحيم" واسلس ما يفتحها هو الصلوات على الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم.

اللهم بحق اسرار بسم الله الرحمن الرحيم صلّ على من أرسلته رحمة للعالمين كما يليق برحمتك وبجرمته وعلى آله وأصحابه أجمعين، وارحمنا رحمة تغنيننا بها عن رحمة من سواك من خلقك.. آمين.

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

#156

%

اللمعة الخامسة عشرة

وهي فهرس كليات رسائل النور: الكلمات، المكتوبات، واللمعات - الى اللمعة الرابعة عشرة - وحيث أن كل مجموعة خصت بفهرستها لذا لم تدرج هنا.

%

اللمعة السادسة عشرة

باسمه سبحانه

(وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

اخوتي الأعزاء الصديقين: العالم صبري، الحافظ علي، مسعود، المصطفون، خسرو، رأفت، بكر بك، رشدي، لطفيون، الحافظ احمد، الشيخ مصطفى وآخرون.

لقد احسست احساساً قلبياً أن أيبين لكم باختصار أربع مسائل صغيرة ولكنها مهمة، تلك التي اصبحت موضع تساؤل.. ابينها لكم للعلم والاطلاع.

السؤال الاول المثير:

أخبر احد اخواننا وهو السيد عبد الله جابرزادة كما اخبر أناس آخرون ايضاً عن أن اهل الكشف قد قالوا بحدوث بشارات وفتوح لاهل السنة والجماعة وتكشف عنهم الغمة في رمضان الماضي، ولكن لم يظهر شيء من هذا القبيل!

#157

فسألوني: كيف يخبر امثال هؤلاء من اهل الولاية والكشف عما هو خلاف الواقع؟

وخلاصة ما اجبتهم مباشرةً، وهو من سوانح القلب، هي:

لقد ورد في الحديث الشريف مامعناه: ان البلاء ينزل وتقابله الصدقة فترده¹.

يتبين من هذا الحديث الشريف: ان المقدرات عندما تأتي من الغيب للوقوع، تأتي مرتبطة ببعض الشروط. فتتأخر عن الوقوع بتأخر الشروط. فتتأخر ايضاً المقدرات التي اطع عليها الاولياء من اصحاب الكشف اذ ليست مقدرات مطلقة، بل مقيدة ببعض الشروط، فلعدم حدوث تلك الشروط لاتقع تلك الحادثة. إذ تلك الحادثة كالأجل المعلق، قد كتبت في لوح المحو والاثبات، الذي هو نوع من انواع سجل اللوح الازلي. فالكشف قلماً يرقى الى اللوح الازلي، بل لا يستطيع معظم الكشوف الرقي الى هناك. فبناءً على هذا:

ان الاخبار التي أُخبرت عنها في شهر رمضان الفائت وعيد الاضحى وفي اوقات اخرى، وبناء على الاستنباط أو بنوع من الكشفيات، لم تجد شروطها المعلقة بها، لذا لم تأت الى ميدان الواقع. فالخبرون عنها لا يكذبون، لأن تلك الحوادث كانت مقدّرة، إلا انها لا تقع إلا بمجيئ شروطها، واذ لم تأت الشروط فلا تقع الحادثة.

نعم! ان الدعاء الخالص الذي يرفعه معظم اهل السنة والجماعة في رمضان المبارك دفعا للبدع، كان شرطاً وسبباً مهماً له، ولكن دخول البدع في الجوامع في الشهر المبارك مع الاسف حجت الاستجابة والقبول، فلم تفرج الكربة ولم تكشف الغمة؛ اذ كما تدفع الصدقة البلاء - بدلالة الحديث الشريف - فالدعاء الخالص من الاكثرين يجذب الفرج العام الشامل. ولكن لأن القوة الجاذبة لم تأت الى الوجود، فلم توهب الفرج والفتح.

¹ اصل الحديث: عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل، وان البلاء لينزل، فيتلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة" حديث حسن اخرجه الحاكم. وحديث "لا يردّ القضاء الا الدعاء" قال الترمذي: حسن غريب (تميز الطيب لابن الديبع الشيباني). - المترجم.

#158

السؤال الثاني المثير:

بينما كان ينبغي القيام بمحاولة، والشروع بتدبير، ازاء وضع سياسي مهيج، في غضون هذين الشهرين، إذ كانت تؤدي تلك المحاولة - باحتمال قوي - الى ما يفرحني ويدخل البهجة في قلوب الكثيرين من اخوتي المقربين؛ لم أعبأ بذلك الوضع، بل قمت خلافاً له احمل فكراً في صالح اهل الدنيا الذين يضايقونني! فظلّ البعض في حيرة مضاعفة من امري، اذ قالوا: ان السياسة التي يتبعها ضدك هذا المبتدع وثلة من المنافقين الرؤساء، كيف تجدها حتى لا تهاجمها؟

وخلاصة جوابي:

ان اعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب وتزعزع الايمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم. وان العلاج الوحيد لإصلاح القلب وانقاذ الايمان انما هو النور واراءة النور. فلو عمل بهراوة السياسة ووصولها وأحرز النصر، تدنى اولئك الكفار الى درك المنافقين. والمنافق - كما هو معلوم - أشد خطراً من الكافر وأفسد منه. فوصولان السياسة اذا لا يصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث يُنزل الكفر الى اعماق القلب ويتستر هناك وينقلب نفاقاً.

ثم ان شخصاً عاجزاً مثلي، لا يمكنه ان يستعمل النور والهراوة معاً في هذا الوقت، لذا فانا مضطر الى الاعتصام بالنور بما املك من قوة، فيلزم عدم الالتفات الى هراوة السياسة اياً كان نوعها. أما ما يقتضيه الجهاد المادي،

فتلك الوظيفة ليست مناصرة بنا حالياً. نعم! ان الهراوة هي لوقف تجاوز الكافر أو المرتد عند حدّه، ولكن لانملك سوى يدين، بل لو كانت لنا مائة من الايدي ما كانت تكفي الآ للنور فلا يد لنا تمسك بهراوة السياسة.

السؤال الثالث المثير:

ان هجوم الاجانب كانكيترا وايطاليا(1) على هذه الحكومة في الآونة الأخيرة يؤدي الى إثارة الحمية الاسلامية وهي ركيزة حقيقية ومنبع قوة معنوية لحكومات خلت في هذا الوطن منذ أمد بعيد وستصبح وسيلة لإحياء الشعائر الاسلامية - الى حد ما - ولدفع شئ من البدع.. فلم عارضت هذه الحرب بشدة وسألت الله أن تحل القضية (1) وذلك في سنة 1936 حيث أعلن موسوليني مسألة البحر المتوسط.- المترجم

#159

بسلام وأمان. فقد اصبحت منحازاً لحكومة المبتدعين، وهذا بذاته وبتناجه موالاته للبدع!؟

الجواب: نحن نسأل الله الفرج والبشارة والسرور والفتح، ولكن ليس بسيف الكفار.. فسحقاً لسيوفهم ولتكن وبالاً عليهم. نحن لسنا بحاجة ولا نرجو الفائدة من سيوفهم، لأن أولئك الاجانب المتمردين هم الذين سلطوا المنافقين على أهل الايمان، وهم الذين ربّوا الزنادقة في احضانهم.

أما مصيبة الحرب وبلاؤها، فهي ضرر بالغ لخدمتنا القرآنية، لأن معظم اخواننا العاملين المضحين الفضلاء لا تتجاوز اعمارهم الخمس والاربعين سنة، فيضطرون الى الذهاب للحرب تاركين الخدمة القرآنية المقدسة. ولو أن لي مبلغاً من المال، لكنت ادفعه - بكل رضاي - لأجل انقاذ هؤلاء الاخوة الاكارم، حتى لو كان البدل النقدي ألف ليرة! ان انخراط مئات من اخواننا العاملين في الجندية، ومزاوتهم الجهاد المادي خسارة فادحة لخدمتنا، أشعر أنها تعدل أكثر من مائة ألف ليرة. بل ان ذهب "ذكائي" الى الجندية خلال السنتين الماضيتين، أفقدنا أكثر من ألف ليرة من الفوائد المعنوية.

وعلى كل حال فان التقدير ذا الجلال الذي يطهر وجه السماء الملبّد بالغيوم ويبرز الشمس الساطعة في وجه السماء اللامع خلال دقيقة واحدة، هو القادر ايضاً على ان يزيل هذه الغيوم السوداء المظلمة الفاقدة للرحمة، ويُظهر حقائق الشريعة كالشمس المنيرة بكل يسر وسهولة وبغير خسارة.

اننا نرجو هذا من رحمته الواسعة، ونسأله سبحانه الأ يكلفنا ذلك ثمناً غالياً. وان يمنح رؤوس الرؤساء العقل ويهب قلوبهم الايمان. وهذا حسبنا، وحينها تتعدل الامور بنفسها وتستقيم.

السؤال الرابع المثير:

يقولون: ما دام الذي في ايديكم نور، وليس هراوة ووصولاً، فالنور لا يعارض ولا يهرب منه، ولا ينجم من إظهاره ضرر. فلم إذا توصون اصدقاءكم بأخذ الحذر وتمنعونهم من ابراز رسائل نيرة كثيرة للناس كافة؟.

#160

مضمون جواب هذا السؤال باختصار هو:

ان رؤوس كثير من الرؤساء مخمورة، لا يقرأون، واذا قرأوا لا يفهمون، فيؤولونه الى معنى خطأ، ثم يعترضون ويهاجمون. ولسد الطريق في وجه هجومهم ينبغي عدم اظهار النور لهم لحين افاقتهم واسترجاع رشدهم. ثم ان هناك غير منصفين كثيرين، ينكرون النور، أو يغمضون اعينهم دونه، لاغراض شخصية خاصة، أو خوفاً أو طمعاً..

ولأجل هذا اوصى اخوتي ايضاً ليأخذوا حذرهم ويحتاطوا للأمر، وعليهم ألا يعطوا الحقائق احداً من غير اهلها، والأل يقوموا بعمل يثير اوهام اهل الدنيا وشبهاتهم عليهم¹.

¹ حادثة لطيفة يمكن ان تكون وسيلة لمسألة جادة:

جاءني اول امس السيد محمد وهو صهر أحد اصدقائي، وقال مسروراً ومبشراً: لقد طبعوا في اسبارطة كتاباً من كتبك. وكثير من الناس يقرأونه. قلت: ذلك ليس طبع محذور، وانما هو ما أخذ من النسخ، فلا تعترض عليه الدولة. وقلت له ايضاً: اياك أن تحدث بهذا الخبر صديقك المنافقين، اذ هما يتحريان امثال هذه الامور ليجعلوها وسيلة للهجوم. وهكذا فيا اخوتي! على الرغم من ان هذا الشخص صهر احد اصدقائي، فيعدّ من احبائي بهذه العلاقة، إلا انه بحكم مهنته الحلاقة صديق للمعلم الفاعد للوجدان وللمدير المنافق. وقد اخبره بهذا الخبر احد اخواننا هناك دون علم منه. وحسناً فعل أن اخبرني لأول مرة فنبهته. وبدوري نهيت الاخوة ايضاً. وسدّ بذلك الفساد. ونشرت آلة الرونيو الوف النسخ تحت هذا الستار. - المؤلف.

#161

خاتمة

تسلمت اليوم رسالة من السيد رأفت، ولمناسبة سؤاله عن اللحية النبوية الشريفة اقول: انه ثابت في الحديث الشريف: ان عدد الشعرات التي سقطت من لحيته الشريفة صلى الله عليه وسلم محدود، وهو عدد قليل، يتراوح بين ثلاثين الى اربعين، أو لا يتجاوز الخمسين والستين من الشعرات، ولكن وجود الشعرات في الوف الاماكن، استوقفني ودفعني الى التأمل والتفكر في حينه، فورد الى خاطري في ذلك الوقت:

ان شعرات اللحية الشريفة الموجودة الآن - في كل مكان - ليست هي شعرات اللحية الشريفة وحدها، بل ربما شعرات من رأسه المبارك صلى الله عليه وسلم، اذ الصحابة الكرام الذين ما كانوا ليضيعوا شيئاً منه صلى الله عليه وسلم قد حافظوا على تلك الشعرات المنورة المباركة - كلما حلق - والتي تبقى دائماً، فتلك الشعرات تربو على الألوف وهذا يمكن ان يكون مكافئاً للموجود الحاضر.

وورد ايضاً الى خاطري: تُرى هل الشعر الموجود في كل جامع بسند صحيح هو ثابت ايضاً انه من شعره صلى

الله عليه وسلم حتى تكون زيارتنا له معقولة؟

فسنح ببالي فحجة: ان زيارة تلك الشعرات انما هي وسيلة، وهي سبب لقراءة الصلوات على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وهي مدار محبته وتوقيره. فلا تُنظر الى ذات الوسيلة، وانما الى جهة كونها وسيلة، لذا فإن لم تكن هي شعرة حقيقية من شعراته صلى الله عليه وسلم فهي تؤدي وظيفة تلك الوسيلة ما دامت تحسب - في الظاهر - هكذا، وتلقاها الناس شعرة من شعراته صلى الله عليه وسلم. فتكون تلك الشعرة وسيلة لتوقيره صلى الله عليه وسلم ومحبته واداء الصلوات عليه، فلا يلزم السند القطعي لتشخيص ذات الشعر وتعيينه بل يكفي الا يكون هناك دليل قاطع بخلافه، لأن مايتلقاه الناس وما قبلته الامة ورضيت به يكون في حكم نوع من الحجّة. وحتى لو اعترض بعض اهل التقوى على مثل هذه الامور سواء من جهة التقوى أو الأخذ بالاحوط أو العمل بالعزيمة فانما يعترضون على شعرات خاصة، ولو قيل انها بدعة، فانها داخلة ضمن البدعة الحسنة، لأنها الوسيلة للصلوات على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

ويقول السيد رأفت في رسالته: "ان هذه المسألة قد اصبحت مثار المناقشة بين الاخوان". فاوصي اخواني: الا يناقشوا فيما يمكن ان ينجم عنه الانشقاق والافتراق، وانما عليهم أن يتعلموا تباحث الامور من دون نزاع، وعلى نمط التداول في الافكار.

#162

باسمه سبحانه

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوتي الاعزاء من "سركنت¹ السادة: ابراهيم، شكري، الحافظ بكر، الحافظ حسين، الحافظ رجب.

ان المسائل الثلاث التي ارسلتموها بيد الحافظ توفيق، يعترض عليها الملحدون منذ أمد بعيد:

اولها: ان المعنى الظاهري لقوله تعالى:

(حتى اذا بَلَغَ مَغْرَبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) (الكهف:86). هو: انه رأى غروب الشمس في ماء عينٍ ذي طين وحرارة.

ثانيتها: اين يقع سد ذي القرنين؟

ثالثتها: نزول سيدنا عيسى عليه السلام وقتله الدجال في آخر الزمان.

ان اجوبة هذه الاسئلة طويلة، الا اننا نشير اليها باختصار فنقول:

ان آيات القرآن الكريم مبنية على اساليب اللغة العربية، وبوجه يفهمه عموم الناس بظاهر النظر، لذا كثيراً ما

بينت المسائل بالتشبيه والتمثيل.

فقوله تعالى: (تغرب في عين حمئة)

يعني: ان ذا القرنين قد شاهد الشمس تغرب في ما يشبه عيناً موحلة وحامية، عند ساحل البحر المحيط الغربي، أو شاهد غروبها في عين جبل بركاني ذي لهيب ودخان.

¹ قصة قرية لبارلا منفى الاستاذ النورسي. - المترجم.

#163

أي انه شاهد في ظاهر النظر غروبها في سواحل البحر المحيط الغربي، وفي جزء منه الذي تراءى له من بعيد كأنه بركة أو حوض عين واسعة، فشاهد غروبها الظاهري خلف الابخرة الكثيفة المتصاعدة من مياه المستنقعات الواقعة عند سواحل البحر المحيط الغربي، لشدة حرارة شمس الصيف.. أو شاهد اختفاء الشمس - التي هي عين السماء -¹ في عين ملتبهة انفلقت حديثاً على قمة جبل بركاني تقذف بحمها مازجة التراب والصخور والمعادن السائلة.

نعم ان تعابير القرآن الكريم البليغة المعجزة ترشد بهذه الجملة الى مسائل كثيرة:

فولاً ان سياحة ذي القرنين كانت الى جهة الغرب.. وفي وقت عزّ الحر.. ونحو المستنقعات.. وموافقها أوان غروب الشمس.. وحين انفلاق جبل بركاني.. كل هذا تشير به الآية الكريمة الى مسائل مليئة بالعبء منها استيلاء ذي القرنين على افريقيا استيلاءً تاماً.

ومن المعلوم ان الحركة المشهودة للشمس انما هي حركة ظاهرية، وهي دليل على حركة الارض الخفية - غير المحسوس بها - وهي تخبر عن تلك الحركة. وليس المراد حقيقة الغروب²

ثم ان كلمة "عين" انما هي للتشبيه، اذ البحر العظيم يرى من بعيد كحوض صغير، فتشبيه البحر المشاهد من خلف الضباب والابخرة المتولدة من المستنقعات والبرك بلفح الحرارة بـ"عين حمئة" أي عين تنبع من طين، وكذا استعمال كلمة "عين" التي تعني في اللغة العربية: ينبوع والشمس والبصر، ينطوي على سرّ بلاغي دقيق وعلاقة وثيقة.³

فكما بدا الغروب لنظر ذي القرنين من بُعد هكذا. فان الخطاب القرآني النازل من العرش الاعظم المهين على الاجرام السماوية، حرى بهذا الخطاب السماوي

¹ والعين: عين الشمس، وعين الشمس: شعاعها الذي لا تثبت عليه العين. وقيل: العين الشمس نفسها، يقال: طلعت العين، وغابت العين. (لسان العرب لابن منظور). - المترجم.

² جاء في تفسير البيضاوي: ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال (وجدها تغرب) ولم يقل: كانت تغرب. - المترجم.

³ ان التعبير بـ«عين» في قوله تعالى «عين حمئة» يذكر برمزٍ الى معنى لطيف وسر دقيق من اسرار البلاغة، وهو ان وجه السماء بعد مشاهدته بعين الشمس جمال رحمته تعالى على وجه الارض، وان وجه الارض عقب رؤيته بعين البحر عظمتة تعالى في السماء، تُطبق العينان احدهما في الاخرى، فتطبق العيون على وجه الارض.. فالآية الكريمة تذكر بكلمة واحدة وباعجاز جميل هذا المعنى اللطيف مشيرة الى ما ينهى وظيفة العيون. - المؤلف.

#164

ومنسجم مع عظمتة ورفعتة قوله بأن الشمس المسخرة سراجاً في مضيض رحمني، تختفي في "عين" ربانية وهي البحر المحيط الغربي، معبراً بأسلوبه المعجز ان البحر "عين" حامية. نعم هكذا يبدو البحر للعيون السماوية. حاصل الكلام:

ان التعبير بـ«عين حمئة» للبحر المحيط الغربي انما هي بالنسبة لذي القرنين الذي رأى من بُعد ذلك البحر العظيم كأنه عين ماء. أما النظر القرآني الذي هو قريب الى كل شيء، فلا ينظر نظر ذي القرنين من بعيد الذي يداخله خداع البصر، بل لأنه نزل من السماء مطلعاً عليها، ولأنه يرى الارض ميداناً او قصراً واحياناً مهداً او صحيفة، فان تعبيره بـ«عين» للبحر العظيم وهو المحيط الاطلسي الغربي المغطى بالضباب والابخرة انما يبين علوه ورفعتة وسموه وعظمتة.

سؤالكم الثاني:

اين يقع سد ذي القرنين؟ ومن يأجوج ومأجوج؟

الجواب: لقد كتبت سابقاً رسالة حول هذه المسألة، فألزمت الحجة ملاحظة ذلك الوقت. إلا انني الآن لا املك تلك الرسالة، فضلاً عن ان حافظتي لا تمدني بشيء فقد أصابها شيء من العطل. علاوة على أن هذه المسألة قد تطرق اليها "الغصن الثالث من الكلمة الرابعة والعشرين" لهذا نشير اشارة في غاية الاختصار الى نكتتين او ثلاث فحسب تعود الى هذه المسألة وهي:

انه بناءً على ما بينه اهل العلم المحققون، وابتداء اسماء عدد من ملوك اليمن بكلمة "ذي" - كذي يزن - وما يشير اليه عنوان "ذي القرنين" فان ذا القرنين هذا ليس هو الاسكندر الرومي (المقدوني) وانما هو احد ملوك اليمن الذي عاصر سيدنا ابراهيم عليه السلام وتلقى الدرس من سيدنا الخضر عليه السلام. بينما جاء الاسكندر الرومي قبل الميلاد بجوالي ثلاثمائة سنة ودرس على يد ارسطو.

ان التاريخ الذي دوّنه الانسان يضبط الحوادث الى حد ما قبل ثلاثة آلاف عام. لذا فان نظر هذا التاريخ الناقص القاصر لا يستطيع ان يحكم بصواب على حوادث ما قبل زمن سيدنا ابراهيم عليه السلام، فإما يذكرها

مشوبة بالخرافات، أو ينكرها أو يوردها باختصار شديد.

#165

أما سبب اشتهار "ذي القرنين" الياني هذا في التفاسير بالاسكندر، فيعود الى:

أن احد اسماء ذي القرنين هو الاسكندر، فهو الاسكندر الكبير، والاسكندر القديم. او نظراً لأن القرآن الكريم لدى ذكره لحادثة جزئية يذكرها لكونها طرفاً لحوادث كلية، فان الاسكندر الكبير الذي هو ذو القرنين؛ مثلما اسس سدّ الصين الشهير بارشاداته النبوية بين الاقوام الظالمة والمظلومة وليصدّ عنهم غاراتهم فان قواداً عظاماً عديدين كالاسكندر الرومي وملوكاً اقوياء اقتدوا بذي القرنين - في الجهة المادية - وان قسماً من الانبياء والاقطاب الاولياء - وهم ملوك معنويون للانسانية، ساروا على اثره في الجهة المعنوية والارشاد.. فهؤلاء اسسوا السدود بين الجبال¹ التي هي من الوسائل المهمة لإنقاذ المظلومين من شر الظالمين. ثم بنوا القلاع في قمم الجبال، فشيّدوا تلك الموانع إما بقوتهم المادية الذاتية أو بارشاداتهم وتوجيهاتهم وتدابيرهم. حتى بنوا الاسوار حول المدن والحصون في اواسطها، الى ان بلغ الامر الى استعمال وسيلة أخيرة هي المدافع الثقيلة والمدرعات الشبيهة بالقلاع السيارة.

فذلك السد الذي بناه ذو القرنين وهو اشهر سد في العالم ويبلغ طوله مسيرة ايام انما بناه ليصد به هجمات اقوام شريرة اطلق عليهم القرآن الكريم اسم يأجوج ومأجوج ويعبر عنهم التاريخ بقبائل المانجور والمغول الذين دمّروا الحضارة البشرية مرات ومرات. وظهروا من وراء جبال هملايا فأهلكوا العباد وخرّبوا البلاد شرقاً وغرباً. فصار ذلك السد المبني بين جبلين قريبين من سلسلة هملايا مانعاً امام هجمات هؤلاء الاقوام الهمجية، وحاتلاً دون غاراتهم العديدة على المظلومين في الصين والهند.. ومثلما اسس ذو القرنين هذا السد فقد بنيت سدود كثيرة اخرى بهمة ملوك ايران القدماء في جبال القفقاس في منطقة المضيق صدأً للنهب والسلب والغارات التي امتنتها اقوام التتر. وهناك سدود كثيرة من هذا النوع.

فالقرآن الكريم لأنه يخاطب البشرية كافة، فانه يذكر ظاهراً حادثة جزئية ويذكر بها احداثاً مشابهة لها.

¹ هناك سدود اصطناعية على وجه الارض تحولت بمرور الزمن الى هيئة جبال حتى لا تعرف انها كانت سدوداً. - المؤلف.

#166

فمن زاوية النظر هذه تختلف الروايات واقوال المفسرين حول السد ويأجوج ومأجوج.

ثم ان القرآن الحكيم قد ينتقل من حادثة الى اخرى بعيدة عنها وذلك من حيث المناسبات الكلامية وعلاقتها. فالذي لايعرف هذه العلاقات يظن ان زمني الحادتين قريبان. وهكذا فإخبار القرآن عن قيام الساعة عقب

خراب السد، ليس هو لقرب الزمان، وإنما لأجل نكنتين من حيث المناسبات الكلامية، أي: كما ان هذا السد سيُدمر فستدمر الدنيا كذلك.

ثم ان الجبال التي هي سدود فطرية إلهية راسخة وقوية لا تُنسف إلا بقيام الساعة، فهذا السد ايضاً قوي كالجبال لا يدكّ إلا بقيام الساعة، وسيبقى الكثير منه ويدوم حتى لو عملت فيه عوامل التغيير على مدى الزمان من خراب وهدم.

نعم! ان سد الصين الذي هو فرد من كلية سد ذي القرنين ما زال باقياً مشاهداً على الرغم من مرور الوف السنين، وانه يُقرأ كسطر طويل كُتب بيد الانسان على صحيفة الارض، يُقرأ سطرًا مجسمًا متحجراً ذا مغزى من التاريخ القديم.

سؤالكم الثالث:

وهو حول قتل عيسى عليه السلام للدجال. ففي "المكتوب الاول والخامس عشر" جواب شافٍ لكم وهما في غاية الاختصار.

#167

باسمه سبحانه

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوَيّ الوفيين الصّديقين المضحيين العزيزين: العالم صبري، والحافظ علي.

ان سؤالكم المهم حول المغيبات الخمسة الموجودة في ختام سورة لقمان، يحتاج الى جواب في غاية الاهمية، الأ أنني - مع الاسف - اعاني من حالة روحية واحوال مادية.. تحول بيني وبين الجواب الشافي. ومع هذا سأشير اشارة فحسب، في غاية الاجمال الى بضع نقاط يتعلق بها سؤالكم:

ان فحوى سؤالكم هذا هو ان الملحدّين يعترضون على كون وقت نزول الغيث ونوعية الجنين في الرحم من المغيبات الخمسة فينتقدون قائلين: ان وقت نزوله يُكشف عنه في المراصد الجوية، فاذن يعلمه كذلك غيرُ الله، وان جنس الجنين في رحم الام يمكن معرفته، ذكراً كان أم انثى باشعة روتتكن. بمعنى انه يمكن الاطلاع على المغيبات الخمسة!

الجواب: لما كان وقت نزول الغيث غير مرتبط بقاعدة مطردة، فانه يرتبط مباشرة بالمشيئة الإلهية الخاصة، ويتبع الارادة الإلهية الخاصة، فينزل من خزينة رحمته تعالى دون وساطة. وإن سرّ حكمته هو الآتي:

ان اهم حقيقة في الكون واثمن ماهية فيه هي الوجود، الحياة، النور، الرحمة وان هذه الاربعة متوجهة مباشرة

ودون وسائط وحجب الى القدرة الإلهية ومشيتها الخاصة، بينما تحجب الاسباب الظاهرة في المصنوعات الإلهية الاخرى تصرف القدرة الإلهية، وتستر القوانين المطردة والقواعد الثابتة - الى حد ما - الارادة الإلهية ومشيتها، إلا ان تلك الحجب والاستار لم توضع امام الحياة والنور والرحمة؛ لعدم جريان حكمة وجودها في تلك الامور.

#168

وحيث ان الرحمة والحياة اهم حقيقتين في الوجود، وان الغيث منشأ الحياة ومدار الرحمة بل هو عين الرحمة، فلا بد إلا تكون الوسائط حجباً أمامها، ولا بد إلا تستر القاعدة المطردة المشيئة الإلهية الخاصة بها، وذلك ليضطر كل فرد في كل وقت، وفي كل امر الى الشكر واطهار العبودية والى السؤال والتضرع والدعاء؛ اذ لو كانت تلك الامور على وفق قاعدة معينة لانسد باب الشكر والرجاء منه تعالى استناداً الى القاعدة المطردة. فطلوع الشمس مع ما فيه من منافع معلومة، لانه مرتبط بقاعدة معينة، فلا يُسأل الله سبحانه عن طلوعها ولا يشكر عليه شكراً خاصاً ولا يعدّ ذلك من امور الغيب، لأن البشر يعرفون بالعلم الذي توصلوا اليه وبوساطة تلك القاعدة موعد شروق الشمس غداً.

ولكن جزئيات الغيث ليست مرتبطة بقاعدة معينة، لذا يضطر الناس في كل وقت الى التضرع والتوسل الى رحمته تعالى. ولما كان علم البشر، لا يستطيع ان يحدد وقت نزول الغيث، فقد تلقاه الناس نعمة خاصة لاتصدر إلا من خزينة الرحمة الإلهية، فيشكرون ربهم شكراً حقيقياً عليها. وهكذا فهذه الآية الكريمة تُدخل وقت نزول الغيث بين المغيبات الخمسة من هذه الزاوية التي ذكرناها. أما الاحساس بالاجمزة في المراصد عن مقدمات وقت نزوله، ومن ثم تعيين وقته فهذا ليس علماً بالغيب، بل هو علم بالاطلاع على بعض مقدمات نزوله حينما يقترب الى عالم الشهادة بعد صدوره من الغيب، مثلما يُعلم بنوع من احساس مسبق أخفى الامور الغيبية حينما تحصل، أو بعد قربها من الحصول ولا يعدّ ذلك معرفة بالغيب، وانما هو معرفة بذلك الموجود، او بالمقرب الى الوجود.

حتى انني اشعر احياناً بشعور مرهف في اعصابي، بما سيأتي من الغيث قبل مجيئه باربع وعشرين ساعة. بمعنى ان للغيث مقدمات ومبادئ، فتلك المبادئ تبدي نفسها على صورة رطوبة تُشعر بما وراءها من الغيث، فيكون هذا الحال وسيلة لوصول علم البشر كالقاعدة المطردة، الى امور قد صدرت عن الغيب وخرجت منه ولما دخلت بعداً الى عالم الشهادة.

اما معرفة نزول الغيث الذي لم يطلأ قدمه عالم الشهادة، ولم يخرج بعداً من الرحمة الإلهية الخاصة بمشيئتها الخاصة، فانما هو خاص بعلم علام الغيوب.

#169

بقيت المسألة الثانية التي هي:

معرفة جنس الجنين في رحم الام باشعة رونتكن، هذه المعرفة لاتنافي قطعاً ما تفيدته الآية الكريمة (وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْأَرْحَامِ) (لقمان:34) من معنى الغيب. لأن المراد من العلم المذكور فيها لاينحصر في ذكورة الجنين وانوثته وانما
المراد منه معرفة الاستعدادات البديعة الخاصة بذلك الطفل والتي هي مبادئ المقدرات الحياتية، وهي مدار
ما سيكسبه في المستقبل من اوضاع. وحتى معرفة ختم الصمدية وسكنها الرائعة البادية على سبناه.. كلها مرادة
في ذلك المعنى بحيث ان العلم بالطفل وبهذه الوجوه من الامور خاص بعلم علام الغيوب وحده، فلو اتحدت
مئات الالوف من افكار البشر النافذة كأشعة رونتكن لما كشفت ايضاً عن ملامح الطفل الحقيقية في وجهه
وحده تلك الملامح التي تحمل من العلامات التي تفرقها وتميزها عن كل فرد من افراد البشرية قاطبة، فكيف
اذن يمكن كشف السياء المعنوية في استعداداته وقابلياته التي هي خارقة بمئات الالوف من المرات عن ملامح
الوجه!

ولقد قلنا في المقدمة: ان الوجود والحياة والرحمة من اهم حقائق الكون ولها اعلی مقام ومرتبة فيه. لذا تتوجه تلك
الحقيقة الحياتية الجامعة بجميع دقائقها ولطائفها الى ارادة الله الخاصة ورحمته الخاصة ومشيتته الخاصة.
واحد اسرار ذلك هو ان الحياة بجميع اجهزتها منشأً للشكر، ومدار للعبادة والتسبيح، ولذلك لم توضع دونها
القاعدة المطردة التي تحجب رؤية الارادة الإلهية الخاصة ولا الوسائط الظاهرية التي تستر رحمته الخاصة
سبحانه.

ان لله سبحانه وتعالى تجليين اثنين في سبناه الجنين المادي والمعنوي.
الاول:

يدل على وحدته سبحانه وأحديته وصمديته، اذ الجنين يشهد على وحدانية خالقه وصانعه بتطابق اعضائه
الاساس وتوافق اجهزته الانسانية مع سائر البشر. فذلك الجنين ينادي بصراحة هذا اللسان قائلاً: من الذي
وهب لي هذه السياء في الاعضاء هو ذلك الصانع الذي وهب لجميع البشر الذين يشبهونني في أساسات
الاعضاء. وهو سبحانه صانع جميع ذوي الحياة.

#170

فهذا اللسان الذي يدل به الجنين على الصانع الجليل ليس لساناً غيبياً، بل هو معلوم يمكن معرفته والوصول
اليه، حيث انه يتبع قاعدة مطردة ويسير على وفق نظام معين ويستند الى نوعية الجنين، فهذا العلم لسان ناطق
وغصن قد تدلى من عالم الغيب الى عالم الشهادة.
الجهة الثانية:

وهي ان الجنين ينادي بلسان سبناه استعداداته الخاصة وسبناه وجهه الشخصية فيدل على اختيار صانعه
ومشيتته المطلقة وارادته الخاصة ورحمته الخاصة. فهذا اللسان لسان غيبي آت من هناك، فلا يستطيع ان يراه

احد قبل وجوده غير العلم الازلي، ولا يمكن ان يحيط به سواه. فبمشاهدة جهاز من الف جهاز من سماء الجنين في الرحم، لا يُعلم هذا الانسان .

الحاصل:

ان سماء الاستعدادات في الجنين، وسماء وجهه دليل الوجدانية وحجة الاختيار والارادة الإلهية. وستكتب إن وفق الله تعالى بضع نكات حول المغيبات الخمسة. اذ لا يسمح الوقت الحاضر ولا حالتي بأكثر من هذا. واختم كلامي.

الباقى هوالباقى

سعيد النورسي

#171

باسمه سبحانه

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أبداً دائماً

اخي العزيز الصديق المتلهف رأفت بك !

أنك تسأل في رسالتك عن اللطائف العشر، وحيث أنني لست في حالة تدريس الطريقة الصوفية، ولعلماء الطريقة النفسبنديّة مؤلفات تخص اللطائف العشر وان وظيفتنا في الوقت الحاضر هي استخراج الاسرار القرآنية واستنباطها، لا نقل المسائل الموجودة في بطون الكتب! فلا تمتعض من عدم استطاعتي تقديم التفاصيل. إلاّ اني اقول:

ان الامام الرباني قد عبر عن اللطائف العشر بالقلب والروح والسر والخفي والأخفي. وذكر ان لكل عنصر من العناصر الاربعة في الانسان لطيفة انسانية ملائمة ومنسجمة معه. وذكر اجمالاً عن رقي كل طيفة من تلك اللطائف واحوالها في كل مرتبة اثناء السير والسلوك. وبالنسبة لي ارى أن لطائف كثيرة مندرجة في ماهية الانسان الجامعة وفي استعداده للحياة إلا ان عشراً منها قد اشتهرت حتى أن الحكماء والعلماء الظاهريين ايضاً قد جعلوا تلك اللطائف العشر اساساً لحكمتهم في صورة اخرى، حيث قالوا: أن الحواس الخمس الظاهرة نوافذ أو نماذج لحواس خمس باطنة. حتى ان ما اشتهر لدى العوام والخواص من لطائف الانسان العشر منسجمة مع اللطائف العشر لدى ارباب الطرق الصوفية. فمثلاً: الوجدان والاعصاب والحس والعقل والهوى والقوة الشهوية والقوة الغضبية، اذا الحقت هذه اللطائف بالقلب والروح والسر، تُظهر اللطائف العشر في صورة اخرى. وهناك لطائف اخرى كثيرة غير هذه اللطائف، امثال: السائقة، الشائقة، الحس قبل الوقوع. فلو كتبت حقيقة هذه المسألة لطالت كثيراً، لذا اضطر الى قطع التفاصيل نظراً لضيق وقتي.

اما سؤالك الثاني الذي يتعلق ببحث المعنى الاسمي والمعنى الحرفي، فمثلما اشارت كتب النحو عامة اليه في بداياتها، فقد وضحته توضيحاً كافياً بالامثلة كتب

#172

علم الحقيقة كالكلمات والمكتوبات ويعد من الاسراف الاسهاب في الايضاح لمن يملك ذكاءً ودقة ملاحظة مثلك.

فانك اذا نظرت الى المرأة من حيث انها زجاجة، ترى مادتها الزجاجية، وتكون الصورة الممتثلة فيها شئ ثانوي، بينما ان كان القصد من النظر الى المرأة رؤية الصورة الممتثلة فيها، فالصورة تتوضح امامك حتى تدفعك الى القول (فتبارك الله احسن الخالقين) (المؤمنون:14) بينما تبقى زجاجة المرأة أمراً ثانوياً.

النظرة الأولى تمثل (المعنى الاسمي) اي: زجاجة المرأة معنى مقصود، وصورة الشخص الممتثلة فيها (معنى حرفي) غير مقصود.

أما النظرة الثانية فصورة الشخص هي المقصودة، فهي اذن معنى (إسمي) أما الزجاج فمعنى (حرفي). وهكذا ورد في كتب النحو تعريف الاسم أنه: دلّ على معنى في نفسه. أما الحرف فهو: ما دلّ على معنى في غيره.

فالنظرة القرآنية الى الموجودات تجعل الموجودات جميعها حروفاً، اي انها تعبر عن معنى في غيرها، بمعنى انها تعبر عن تجليات الاسماء الحسنى والصفات الجليلة للخالق العظيم المتجلية على الموجودات. اما نظرة الفلسفة الميتة فهي تنظر على الاغلب بالنظر الاسمي الى الموجودات، فتزل قدمها الى مستنقع الطبيعة.

وعلى كل حال فلا متسع لي من الوقت كي اتكلم كثيراً، حتى أنني لا استطيع ان اكتب القسم الأخير المهم من الفهرس الذي هو سهل يسير. بلغ سلامي الى رفقاءك في الدرس وبخاصة خسرو، بكر، رشدي، لطفي، الشيخ مصطفى، الحافظ احمد، سزائي، المحمدون والعلماء، واني لادعو للاطفال الابرياء المباركين في بيتكم المبارك.

الباقى هو الباقى

اخوكم

سعيد النورسي

#173

%

اللمعة السابعة عشرة

(عبارة عن سبع عشرة مذكرة تألفت من الزهرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ المقدمة

قبل اثنتي عشرة سنة¹ من تأليف هذه اللمعة وفقهي المولى الكريم وشملي بعنايته ولطفه، فكتبتُ بعض ما تألق من مسائل التوحيد وبعض ما تظاهر منها اثناء تأملٍ فكري، وتجوالٍ قلبي، وانكشافٍ روحي عبر العروج في مراتب المعرفة الإلهية، كتبتها باللغة العربية على صورة مذكرات في رسائل موسومة بـ"زهرة" و"شعلة" و"حبة" و"شمة" و"ذرة" و"قطرة" وامثالها.

وحيث ان تلك المذكرات قد كتبتُ لاجل اراءة بداية حقيقة عظيمة واسعة، وابرار مقدمتها فحسب، ولأجل اظهار شعاع من اشعة نور ساطع باهر، فقد جاءت على شكل خواطر وملحوظات وتنبيهات. سجلتها لنفسي وحدها، الأمر الذي جعل الاستفادة منها محدودة، وبخاصة أن القسم الاعظم من اخلص اخواني وخلصتهم لم يدرسوا اللغة العربية، فاضطرتُّ أزاء إصرارهم والحاحهم الى كتابة ايضاحات باللغة التركية لقسم من تلك المذكرات واللمعات. واكتفي بترجمة القسم الاخر منها².

¹ اي في سنة 1340 هـ (1921م) حيث ان تاريخ تأليف هذه الرسالة 1352 هـ (1933م). - المترجم.

² وحينما ترجمتها الى العربية اعتبرت النص التركي الموضح هو الاساس، الا انني آثرت استعمال عبارات الاستاذ النورسي البليغة - في الرسائل العربية المذكورة (من المثنوي العربي النوري) - متى ما كانت مطابقة مع النص التركي. - المترجم.

#174

ولقد جاءت الترجمة الى التركية نصاً دون تغيير حيث تراءت "لسعيد الجديد" هذه الخواطر الواردة في الرسائل العربية رؤية أشبه ما يكون بالشهود، وذلك حينما شرع بالاغتراف من منهل علم "الحقيقة" .. ولأجل هذا فقد ذكر بعض الجمل بالرغم من أنه مذكور في رسائل اخرى بينما ذكر البعض الآخر في غاية الاجمال ولم يوضح التوضيح المطلوب وذلك لئلا يفقد لطافته الاصلية.

سعيد النورسي

المذكرة الاولى

كنت قد خاطبتُ نفسي قائلاً: اعلم ايها السعيد الغافل! انه لا يليق بك ان تربط قلبك وتعلقه بما لا يرافقتك بعد فناء هذا العالم، بل يفارقك بخراب الدنيا! فليس من العقل في شئ ربط القلب بأشياء فانية!
فكيف بما يتركك بانقراض عصرك ويدير ظهره لك؟

بل فكيف بما لا يصاحبك في سفر البرزخ؟

بل فكيف بما لا يشيعك الى باب القبر؟

بل فكيف بما يفارقك خلال سنة او سنتين فراقاً ابدياً، مُورثاً إثمَهُ ذمَّتَكَ، محملاً خطاياهُ على ظهرِكَ؟

بل فكيف بما يتركك على رِغْمِكَ في آنِ سروركِ بحصوله؟

فان كنت فطناً عاقلاً فلا تهتم ولا تغتم، واترك ما لا يقتدر ان يرافقك في سفر الابد والخلود، بل يضمحل ويفنى تحت مصادمات الدنيا وانقلاباتها، وتحت تطورات البرزخ، وتحت انفلاقات الآخرة.

ألا ترى ان فيك لطيفةً لا ترضى إلا بالأبد والأبدى، ولا تتوجه إلا الى ذلك الخالد، ولا تنزل لما سواه؟ حتى اذا ما أُعطيت لها الدنيا كلها، فلا تُطمأن تلك الحاجة الفطرية.. تلك هي سلطان لطائفك ومشاعرك.. فأطع سلطان لطائفك المطيع لأمر فاطره الحكيم جلّ جلاله، وانج بنفسك..

#175

اللمعة السابعة عشرة - ص: 175

المذكّرة الثانية

لقد رأيت في رؤيا صادقة ذات حقيقة، أنني أخاطب الناس:

ايها الانسان! ان من دساتير القرآن الكريم واحكامه الثابتة: أن لا تحسبنّ ما سوى الله تعالى اعظم منك فترفعه الى مرتبة العبادة، ولا تحسبنّ انك اعظم من شئ من الاشياء بحيث تتكبر عليه. اذ يتساوى ما سواه تعالى في البعد عن "المعبودية" وفي نسبة المخلوقية.

المذكّرة الثالثة

اعلم ايها السعيد الغافل! انك ترى الدنيا الزائلة سريعاً، كأنها دائمة لا تموت، فعندما تنظر ما حولك من الآفاق وتراها ثابتة مستمرة - الى حدٍ ما - نوعاً وجملةً، ومن ثم ترجع بالمنظار نفسه فتتنظر الى نفسك الفانية، تظنها ثابتة ايضاً. وعندها لا تندهش إلا من هول القيامة، وكأنك تدوم الى أن تقوم الساعة!.

عُدْ الى رشدك، فانت ودينك الخاصة بك معرّضان في كلّ آن الى ضربات الزوال والفناء.. ان مثلك في خطأ شعورك وعَاطِ حَسِّكَ هذا، يشبه من في يده مرآة تواجه قصرأ او بلداً او حديقةً، وترتسم الصورة المثالية للقصر او البلد او الحديقة فيها، فاذا ما تحركت المرآة أدنى حركة، وتغيرت اقلّ تغير، فسيحدث الهرج والمرج في تلك الصورة المثالية، فلا يفيدك بعدُ البقاء والدوام الخارجيان في نفس القصر او البلد او الحديقة، اذ ليس لك منها إلا ما تعطيك مرآتك بمقياسها وميزانها.

فاعلم ان حياتك وعمرك مرآة! وانها عماد دنياك وسندها ومرآتها ومركزها. فتأمل في مرآتك، وإمكان موتها،

وخراب ما فيها في كل دقيقة، فهي في وضع كأن قيامتك ستقوم في كل دقيقة.
فما دام الامر هكذا فلا تحمّل حياتك ودياك ما لا طاقة لهما به.

#176

اللعة السابعة عشرة - ص: 176

المذكّرة الرابعة

اعلم ان من سنّة الفاطر الحكيم - في الاكثر - ومن عاداته الجارية اعادة ما له اهمية وقيمة عالية بعينه لا بمثله.
فعندما يجدد اكثر الاشياء بمثلها عند تبدل الفصول وتغيّر العصور، يُعيد تلك الاشياء الثمينة بعينها. فانظر
الى الحشر اليومي - اي الذي يتم في كل يوم - والى الحشر السنوي، والى الحشر العصري، تر هذه القاعدة
المطرّدة واضحة جلية في الكل. وبناء على هذه القاعدة الثابتة نقول:

قد اتفقت الفنون وشهدت العلوم على أن الانسان هو اكمل ثمرة في شجرة الخليقة، وانه أهم مخلوق بين
المخلوقات، وأعلى موجود بين الموجودات، وأن فرداً منه بمثابة نوع من سائر الاحياء، لذا يُحكم بالحدس القطعي
على أن كلّ فردٍ من أفراد البشر سيُعاد في الحشر الاعظم والنشر الاكبر بعينه وجسمه واسمه ورسمه.

المذكّرة الخامسة

حينما سار "سعيد الجديد" في طريق التأمل والتفكير، انقلبت تلك العلوم الاوروبية الفلسفية وفنونها التي كانت
مستقرة الى حدٍ ما في افكار "سعيد القديم" الى أمراض قلبية، نشأت منها مصاعب ومعضلات كثيرة في تلك
السياحة القلبية. فما كان من "سعيد الجديد" الا القيام بتمخيض فكره والعمل على نفضه من أدران الفلسفة
المزخرفة ولوثات الحضارة السفينة. فرأى نفسه مضطراً الى اجراء المحاوراة الآتية مع الشخصية المعنوية لأوروبا
لكبح جماح ما في روحه من احاسيس نفسانية منحازة لصالح اوروبا، فهي محاوراة مقتضبة من ناحية ومُسهبّة
من ناحية اخرى.

ولئلا يُساء الفهم لابد أن ننبه: ان اوروبا اثنتان.

احداها: هي اوربا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقّة، وأدّت خدماتٍ لحياة الانسان
الاجتماعية، بما توصلت اليه من صناعاتٍ وعلومٍ تخدم العدل والانصاف، فلا أخاطب - في هذه المحاوراة -
هذا القسم من اوربا. وانما أخاطب اوربا الثانية تلك التي تعقّنت بظلمات الفلسفة الطبيعية وفسدت بالمدادية
الجاسية،

#177

اللعة السابعة عشرة - ص: 177

وحسبت سيئات الحضارة حسناً لها، وتوهّمت مساؤها فضائل. فساقت البشرية الى السفاهة وأردتها

الضلالة والتعاسة.

ولقد خاطبتُ في تلك السياحة الروحية الشخصية المعنوية الاوربية بعد أن استثنيت محاسن الحضارة وفوائد العلوم النافعة، فوجهت خطابي الى تلك الشخصية التي اخذت بيدها الفلسفة المضرة التافهة والحضارة الفاسدة السفهية.. وخاطبتها قائلاً:

يا اوروبا الثانية! اعلمي جيداً أنك قد اخذت يمينك الفلسفة المضلة السقيمة، وبشمالك المدنية المضرة السفهية، ثم تدعين ان سعادة الانسان بهما. ألا شئت يداك، وبئست الهدية هديتك، ولتكن وبالاً عليك، وستكون. ايها الروح الخبيثة التي تنشر الكفر وتبث الجحود! ثرى هل يمكن ان يسعد انسانٌ بمجرد تملكه ثروة طائلة، وترقله في زينة ظاهرة خادعة، وهو المصاب في روحه وفي وجدانه وفي عقله وفي قلبه بمصائب هائلة؟ وهل يمكن ان نطلق عليه أنه سعيد؟! ألا ترين أنّ مَنْ يئس من امرٍ جزئي، وانقطع رجاؤه من أملٍ وهمي، وخاب ظنّه من عملٍ تافه، كيف يتحول خياله العذبُ مُراً علقماً، وكيف يتعذب مما حوله من اوضاع لطيفة، فتضيق عليه الدنيا كالسجن بما رُحبت!. فكيف بمن أُصيب بشؤمك بضربات الضلالة في اعماق قلبه، وفي أغوار روحه، حتى انقطعت - بتلك الضلالة - جميع آماله، فانشقت عنها جميع الآمه، فاي سعادةٍ يمكنك ان تضمّني لمثل هذا المسكين الشقي؟ وهل يمكن ان يُطلق لمن روحه وقلبه يُعذبان في جهنم، وجسمه فقط في جنة كاذبة زائلة.. أنه سعيد؟..

لقد أفسدت - ايها الروح الخبيثة - البشرية حتى طاشت بتعاليمك، فتقاسي منك العذاب المير، باذاقتك إياها عذاب الجحيم في نعيم جنة كاذبة.

ايها النفس الامارة للبشرية! تأملي في هذا المثال وافهمي منه الى اين تسوقين البشرية:

هب أن امامنا طريقين، فسلطنا احدهما، واذا بنا نرى في كل خطوة نخطوها في الطريق الاول، مساكين عجزة يهجم عليهم الظالمون، يغصبون اموالهم ومتاعهم،

#178

اللعة السابعة عشرة - ص: 178

يخربون بيوتهم واكواخهم، بل قد يجرحونهم جرحاً بليغاً تكاد السماء تبكي على حالتهم المفجعة. فايما يُمد النظر ترى الحالة نفسها فلا يُسمع في هذا الطريق الا ضوضاء الظالمين وصخبهم، وأنين المظلومين ونواحهم، فكان مآتماً عاماً قد خيم على الطريق.

ولما كان الانسان - بمقتضى انسانيته - يتألم بألم الآخرين، فلا يستطيع ان يتحمل ما يراه في هذا الطريق من ألم غير محدود، اذ الوجدان لا يطيق ألماً الى هذا الحد، لذا يضطر سالك هذا الطريق الى أحد أمرين: إما ان يتجرد من انسانيته، ويحمل قلباً قاسياً غارقاً في منتهى الوحشة لا يتألم بهلاك الجميع طالما هو سالم معافى، او

يُطل ما يقتضيه القلبُ والعقلُ!.

فيا اوربا التي نأث عن النصرانية وابتعدت عنها، وانغمست في السفاهة والضلالة! لقد اهديتِ بدهائك الاعور كالرجال لروح البشر حالةً جهنمية، ثم ادركتِ ان هذه الحالة داءٌ عضال لادواء له. إذ يهوى بالانسان من ذروة أعلى عليين الى درك اسفل سافلين، والى أدنى درجات الحيوان وحضيضها، ولا علاج لك امام هذا الداء الويل الا ملاهيكِ الجذابة التي تدفع الى ابطال الحسّ وتخدير الشعور مؤقتاً، وكمالياتك المزخرفة واهواؤك المنومة... فتعساً لك ولدوائك الذي يكون هو القاضي عليك.. نعم، ان ما فتحتيه امام البشرية من طريق، يشبه هذا المثال المذكور.

اما الطريق الثاني فهو ما أهدها القرآن الكريم من هدية الى البشرية، فهداهم الى الصراط السوي، فنحن نرى: في كل منزلٍ من منازل هذا الطريق، وفي كل موضع من مواضعه، وفي كل مدينة تقع عليه، جنود مطيعون أمناء لسلطانٍ عادل، يتجولون في كل جهة ينتشرون في كل ناحية، وبين فينة واخرى يأتي قسمٌ من مأموري ذلك الملك العادل وموظفيه فيعفي بعض اولئك الجنود من وظائفهم بأمر السلطان نفسه ويتسلم منهم اسلحتهم ودوابهم ومعداتهم الخاصة بالدولة ويسلم اليهم بطاقة الاعفاء. وهؤلاء المعفون يبتهجون ويفرحون - من زاوية الحقيقة - على اعفائهم فرحاً عظيماً لرجوعهم الى السلطان وعودتهم الى دار قرار سلطنته، والمثل بزيارته الكريمة، مع انهم يحزنون في ظاهر

#179

اللمعة السابعة عشرة - ص: 179

الامر على ما أخذ منهم من دابة ومعدات ألفوها.. ونرى ايضاً أنه قد يلتقي اولئك المأمورون من لا يعرفهم من الجنود، فعندما يخاطبونه: أن سلم سلاحك! يردّ عليهم الجندي: انا جندي لدى السلطان العظيم وتحت امره وفي خدمته، واليه مصيري ومرجعي، فمن اتم حتى تسلبوا مني ما وهبني السلطان العظيم؟ فان كنتم قد جئتم باذنه ورضاه فعلى العين والرأس فأروني أمره الكريم، والأتنحوا عني فلاقاتلتكم ولو كنت وحدي واتم ألوف، اذا لا اقاتل لنفسي لانها ليست لي، بل اقاتل حفاظاً لأمانة مالكي ومولاي وصيانته لعزته وعظمته. فانا لا ارضخ لكم!!.

فدونك مثلاً واحداً من الوف الامثلة على ما في هذا الطريق الثاني من مصدر فرح ومدار سعادة. فانسج على منواله.

وعلى طول الطريق الثاني، وطوال مدة السفارة كلها نرى سَوْقاً الى الجندية، يتم في فرح وابتهاج وسرور.. تلك هي التي تسمى بـ"المواليد". وهناك اعفاءات ورخص من الجندية، تتم في فرح وحبور ايضاً، وسط تهليل

وتكبير.. تلك هي التي تسمى بـ"الوفيات".

هذا هو الذي اهداه القرآن الكريم للبشرية، فمن اهتدى به فقد سعد في الدارين ويمضي في طريقه - الثاني - على هذه الصورة اللطيفة بلا حزن وكدرٍ على ما فات منه، وبلا خوف ووجل مما سيأتي عليه، حتى تنطبق عليه الآية الكريمة (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: 262).

يا اوروبا الثانية الفاسدة! انك تستندين الى اسس واهية نخرة، فترعمين:

أن كل كائن حي مالكٌ لنفسه، ابتداءً من اعظم ملكٍ وانتهاءً الى اصغر سمك. كلٌ يعمل لذاته فقط، ولأجل نفسه فحسب، ولا يسعى أحدٌ إلا لذته الخاصة، ولأجل هذا له حق الحياة. فغاية همته وهدف قصده هو ضمان بقاءه واستمرار حياته. ثم انك ترين " قانون التعاون " جارياً فيما بين المخلوقات امثالاً لأمر الخالق الكريم الذي هو واضح جلي في أرجاء الكون كله كامداد النباتات للحيوانات والحيوانات للانسان، ثم تحسبين هذا القانون والسنة الإلهية وتلك التجليات الكريمة الرحمة

#180

اللمعة السابعة عشرة - ص: 180

المنبعثة من ذلك التعاون العام جدالاً وخصاماً وصراعاً، حتى حكمتِ ببلاهة ان الحياة جدال وصراع! فيا سبحان الله!! كيف يكون إمدادُ ذرات الطعام امداداً بكمال الشوق لتغذية خلايا الجسم جدالاً وخصاماً؟ بل ما هو الآسنة التعاون، ولا يتم إلا بأمر ربِّ حكيم كريم!

وان ما تستندين اليه من "أن كل شئ مالك لنفسه" واضح البطلان. وأوضح دليل عليه هو ان اشرف الاسباب واوسعها ارادة واختياراً هو الانسان. والحال ليس في يد اختياره ولا في دائرة اقتداره من أظهر افعاله الاختيارية كالاكل والكلام والتفكر، الأ جزءٌ واحدٌ مُهمٌّ من بين المائة. فالذي لا يملك واحداً من المائة من مثل هذا الفعل الظاهر، كيف يكون مالكاً لنفسه؟! واذا كان الاشرف والاوسع اختياراً مغلول الأيدي عن التملك الحقيقي والتصرف التام فكيف بسائر الحيوانات والجمادات؟ أليس الذي يطلق هذا الحكم "بأن الحيوان مالك لزام نفسه" أضلُّ من الانعام وأفقْدُ للشعور من الجمادات؟

فيا اوروبا! ما ورطك في هذا الخطأ المشين الأ دهاؤك الأعور، أي ذكأوك المنحوس الخارق، فلقد نسيت بذكأك هذا ربَّ كل شئ وخالقه، اذ أسندت آثاره البديعة الى الاسباب والطبيعة الموهومة! وقسمت ملك ذلك الخالق الكريم على الطواغيت التي تُعبد من دون الله.. فانطلاقاً من هذه الزاوية التي ينظر منها دهاؤك الاعور يضطر كلُّ ذي حياة وكل انسان ان يصارع وحده ما لا يعد من الاعداء، ويحصل بنفسه على ما لا يجد من الحاجات، بما يملك من اقتدارٍ كذرة، واختيارٍ كشعرة، وشعورٍ كلمعة تزول، وحياة كشعلة تنطفي، وعمرٍ كدقيقة تنقضي، مع أنه لا يكفي كلُّ ما في يده لواحدٍ من مطالبه. فعندما يصاب - مثلاً - بمصيبة لا يرجو الدواء

لدائه الآ من اسبابٍ صم، حتى يكون مصداق الآية الكريمة (وما دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) (الرعد: 14). ان دهائك المظلم قد قلب نهارَ البشرية ليلاً، ذلك الليل البهيم بالجور والمظالم، ثم تريدان ان تنوري ذلك الظلام المخيف بمصايح كاذبة مؤقتة!.. هذه المصايح لا تبتسم لوجه الانسان، بل تستهزى به، وتستخف من ضحكاته التي يطلقها ببلاهة وهو متمرغ في اوحال اوضاع مؤلمة مُبكية! فكل ذي

#181

اللعة السابعة عشرة - ص: 181

حياة في نظر تلاميذك، مسكينٌ مبتلىٌ بمصائب ناجمة من هجوم الظلمة. والدنيا مأمٌ عمومي، والاصوات التي تنطلق منها نعيات الموت، وأناثُ الآلام، ونياحات اليتامى.

ان الذي يتلقى الدرس منك ويسترشد بهديك يصبح "فرعوناً" طاغية.. ولكنه فرعون ذليل، إذ يعبد أخس الاشياء، ويتخذ كل شئٍ ينتفع منه رباً له.

وتلميذك هذا "متمردٌ" ايضاً.. ولكنه متمرد مسكين، إذ لأجل لذة تافهة يقبل قدمَ الشيطان، ولأجل منفعة خسيصة يرضى بمنتهى الذل والهوان.

وهو "جبار" ولكنه جبار عاجز في ذاته لأنه لا يجد مرتكزاً في قلبه يأوي اليه.

ان غاية ما يصبو اليه تلميذك وذروة همته: تطمينُ رغبات النفس واشباعُ هواها، حتى انه دسّاس يبحث تحت ستار الحمية والتضحية والفداء عن منافعه الذاتية، فيطمئن بدسيسته وخبثه حرصه ويُشبع نهمَ غروره، إذ لا يجب حقاً الا نفسه، بل يضحي بكل شئٍ في سبيلها.

اما التلميذ الخالص للقرآن الكريم فهو "عبدٌ" ولكنه لا يتنزل لعبادة اعظم مخلوق، فهو "عبدٌ عزيزٌ" لا يرضى حتى بالجنة، تلك النعمة العظمى غاية لعبوديته لله.

وهو "لين هين" ولكنه لا يتذلل لغير فاطره الجليل، ولغير أمره وإذنه، فهو صاحب همة عليا وعزيمة صادقة.

وهو "فقير" ولكنه مستغن عن كل شئٍ بما ادّخر له مالكةً الكريم من الثواب الجزيل.

وهو "ضعيف" ولكنه يستند الى قوة سيده المطلقة. فلا يرضى تلميذ القرآن الكريم الخالص حتى بالجنة الخالدة مقصداً وغاية له، فكيف به بهذه الدنيا الزائلة؟ فافهم من هذا مدى التفاوت الكبير والبون الشاسع بين همة هذين التلميذين!.

وكذلك يمكنكم ان تقيسوا مدى الفرق الهائل بين تلاميذ الفلسفة السقيمة وتلاميذ القرآن الحكيم من حيث مدى التضحية والفداء في كل منهما بما يأتي:

#182

اللعة السابعة عشرة - ص: 182

إن تلميذ الفلسفة يفتر من أخيه إثارةً لنفسه، وقيم عليه الدعوى. أما تلميذ القرآن فإنه يرى جميع عباد الله الصالحين في الأرض والسماوات أخواناً له، ويشعر من اعماق روحه بأواصر شوق تشده نحوهم، فيدعو لهم دعاءً خالصاً نابغاً من صميم قلبه (اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات) فهو يسعد بسعادتهم. حتى أنه يرى ما هو اعظم الأشياء كالعرش الأعظم والشمس الضخمة مأموراً مسخراً مثله.

ثم يمكنك قياس سمو الروح وانبساطها لدى التلميذين بما يأتي:

إن القرآن الكريم يمنح تلاميذه نماءً سامياً للروح وانبساطاً واسعاً لها، إذ يسلم إلى أيديهم بدلاً من تسع وتسعين حبة من حبات المسبحة، سلسلة مركبة من ذرات تسع وتسعين عالماً من عوالم الكون التي يتجلى فيها تسع وتسعون اسماً من الأسماء الحسنى، ويخاطبهم: هاؤم اقرأوا أو اركم بهذه السلسلة، وهم بدورهم يقرأون أو اركم بتلك المسبحة العجيبة، ويذكرون ربهم الكريم بأعدادها غير المحدودة.

فإن شئت فانظر إلى تلاميذ القرآن من الأولياء الصالحين أمثال الشيخ الكيلاني والشيخ الرفاعي والشيخ الشاذلي (رضي الله عنهم)¹، وانصت إليهم حينما يقرأون أو اركم، وانظر كيف أخذوا في أيديهم سلاسل الذرات، وعدد القطرات، وانفاس المخلوقات فيذكرون الله بها ويسبحونه ويقدمونه.. تأمل كيف يتعالى ذلك الإنسان الهزيل الصغير الذي يصارعه اصغر ميكروب ويصرعه أدنى كزب! وكيف يتسامى في التربة القرآنية الحارقة فتنبسط لطائفه وتسطع بفيض إرشادات القرآن حتى أنه يستصغر اصغرم موجودات الدنيا من أن يكون مسبحةً لأوراده، بل يستقل الجنة

¹ الرفاعي: (512 - 578 هـ) أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي، أبو العباس، الإمام الزاهد مؤسس الطريقة الرفاعية. ولد في قرية حسن في واسط بالعراق سنة 512 هـ وتفقّه وتأدّب في واسط. وكان يسكن قرية أم عبدة بالبطائح (بين واسط والبصرة) وتوفي بها سنة 578 هـ. وفيات الأعيان 55/1 الطبقات الكبرى 140/1 نور الأبصار 220 الأعلام 174/1 جامع كرامات الأولياء 490/1.

الشاذلي: «591 - 656 هـ» هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، والشاذلة قرية من أفريقية، الضير الزاهد نزيل الإسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية، صاحب الأوراد المسماة «حزب الشاذلي». الطبقات الكبرى 4/2 الأعلام 305/4 نور الأبصار 234 جامع كرامات الأولياء 341/2 المترجم

العظمى إن تكون غاية ذكره لله سبحانه، مع أنه لا يرى لنفسه فضلاً على أدنى شيء من خلق الله.. إنه يجمع منتهى التواضع في منتهى العزة.. ومن هنا يمكنك أن تقدّر مدى انحطاط تلاميذ الفلسفة ومدى دناءتهم.

وهكذا فالحقائق التي تراها الفلسفة السقيمة الاوربية بدهائها الاعور مشوهة زائفة يراها الهدي القرآني واضحة جلية، ذلك النور الذي ينظر الى كلا العالمين معاً بعينين براقنتين نافذتين الى الغيب، ويشير بكلتا يديه الى السعادتين، ويخاطب البشرية:

ايها الانسان! إن ما تملكه من نفس ومال ليس ملكاً لك، بل هو أمانةٌ لديك، فمالكُ تلك الامانة قديرٌ على كل شيء، عليم بكل شيء، رحيمٌ كريم، يشتري منك ملكه الذي عندك ليحفظه لك، لئلا يضيع في يدك، وسيكافؤك به ثمناً عظيماً، فانت لست الاً جندياً مكلفاً بوظيفة، فاعمل لأجله واسع باسمه، فهو الذي يرسل اليك رزقك الذي تحتاجه، ويحفظك مما لا تقدر عليه.

ان غاية حياتك هذه ونتيجتها هي أن تكون مظهراً لتجليات اسماء ذلك المالك، ومعكساً لشؤونه الحكيم.. واذا ما اصابتك مصيبةٌ فقل: (إنا لله وإنا اليه راجعون) (البقرة:156). اي أنا طوعُ أمر مولاي، فان كنتِ قادمةً ايها المصيبة باذنه وباسمه، فأهلاً ومرحباً بك، فنحن لا محالة راجعون اليه لامناص من ذلك. وسنحظى بالمثل بين يديه، فنحن حقاً مشتاقون اليه.. فما دام سيُعتقنا يوماً من تكاليف الحياة فليكن ذلك على يدك ايها المصيبة.. انا مستسلمٌ راضٍ. ولكن إن كان الامر والارادة قد صدر اليك منه سبحانه لأجل الابتلاء والاختبار لمدى محافظتي على الامانة ولمدى قيامي بواجباتي، فلا أسلم ما استطعت امانة مالكي لأيدٍ غير أمينة. ولا استسلم لغير أمره ورضاه سبحانه.

فدونك مثلاً واحداً من بين الالوف منه على معرفة قيمة ما يلقنه دهاء الفلسفة، ومرتبة ما يرشده هدي القرآن من دروس.

نعم ان الوضع الحقيقي لكلا الطرفين هو على هذا المنوال، بيد أن درجات الناس متفاوتة في الهداية والضلالة ومراتب الغفلة مختلفة متباينة، فلا يشعر كلٌ واحد بهذه

#184

اللعة السابعة عشرة - ص: 184

الحقيقة في كل مرتبة، إذ الغفلة تُبطل الحس والشعور وتخدرهما، وقد أبطلت في هذا الزمان الحس والشعور الى حدٍ لم يُعد يشعر بألم ومرارة هذا العذاب الاليم اولئك السائرون في ركاب المدينة الحاضرة. ولكن ستار الغفلة يتمزق بتزايد الاحساس العلمي، علاوةً على نذير الموت الذي يعرض جنازة ثلاثين ألف شخص يومياً. فيا اسفى! ويا ويل من ضلّ بطواغيت الاجانب وعلومهم المادية الطبيعية، ويا خسارة اولئك الذين يقلّدونهم تقليداً اعمى، ويتبعونهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع.

فيا ابناء هذا الوطن! لا تحاولوا تقليد الافرنج! وهل بعد كل ما رأيتم من ظلم اوروبا الشنيع وعداوتهم اللدودة، تتبعونهم في سفاهتهم، وتسيرون في ركاب أفكارهم الباطلة؟ وتلتحقون بصفوفهم، وتنضمون تحت لوائهم بلا

شعور؟ فاتهم بهذا تحمون على انفسكم، وعلى اخوانكم بالاعدام الابدي.. كونوا راشدين فطينين! انكم كلما اتبعتموهم في سفاهتهم وضلالهم ازددتم كذباً وافتراءً في دعوى الحمية والتضحية، لأن هذا الاتباع استخفاف بأمتمكم واستهزاء بملتكم.
هدانا الله واياكم الى الصراط المستقيم.

المذكّرة السادسة

يامن يضطرب ويقلق من كثرة عدد الكفار، ويامن يتزلزل باتفاقهم على إنكار بعض حقائق الايمان، اعلم ايها المسكين!
اولاً:

ان القيمة والاهمية ليستا في وفرة الكمية وكثرة العدد، اذ الانسان إن لم يكن انساناً حقاً انقلب حيواناً شيطاناً، لأن الانسان يكسب حيوانية هي أشد من الحيوان نفسه كلما توغل في النوازع الحيوانية، كبعض الاجانب او السائرين في ركابهم. فبينما ترى قلة عدد الانسان قياساً الى كثرة عدد الحيوانات إذا بك تراه قد أصبح سلطاناً وسيداً على جميع انواعها، وصار خليفةً في الارض.

#185

اللمعة السابعة عشرة - ص: 185

فالكفار المنكرون والذين يتبعون خطواتهم في السفاهة، هم نوعٌ خبيث من انواع الحيوانات التي خلقها الفاطر الحكيم سبحانه لعارة الدنيا. وجعلهم "واحداً قياسياً" لمعرفة درجات النعمة التي اسبغها على عباده المؤمنين، وسوف يسلمهم الى جهنم وبئس المصير التي يستحقونها، حينما يرث الارض ومن عليها.
ثانياً:

ليس في إنكار الكفار والضالين لحقيقة من الحقائق الايمانية قوة، ولا في نفيم لها سندٌ، ولا في اتفاقهم اهميةٌ، لانه نفيٌ. فالف من النافين هم في حكم نافي واحد فقط. مثال ذلك:

اذا نفى اهل استانبول جميعهم رؤيتهم للهِلال في بداية رمضان المبارك، فان إثبات اثنين من الشهود، يُسقط قيمة اتفاق كل ذلك الجمع الغفير. فلا قيمة اذن في اتفاق الكفار الكثيرين ما دامت ماهية الكفر والضلالة نفياً، وانكاراً، وجملاً، وعدمًا. ومن هنا يُرَجَّح حُكْمُ مؤمنين اثنين يستندان الى الشهود في المسائل الايمانية الثابتة اثباتاً قاطعاً على اتفاق ما لا يُجد من اهل الضلالة والانكار ويتغلب عليهم.

وسرّ هذه الحقيقة هو ما يأتي:

ان دعاوى النافين متعددة، برغم انها تبدو واحدة في الظاهر، إذ لا يتحد بعضها مع البعض الآخر كي يعززه

ويشدّ من عضده. بينما دعاوى المثبتين تتحد وتتساند ويمدّ بعضها البعض الآخر ويقويه ويدعمه، فالذي لا يرى هلال رمضان في السماء يقول: ان الهلال في نظري غير موجود، وعندني غير موجود.. والآخر يقول مثله، فكلّ منهم ينفي من زاوية نظره، وليس من واقع الحال، ومن الامر بذاته، لذا فاختلاف نظره وتنوع الاسباب الداعية الى حجب الرؤية، وتعدد موانع النظر لدى الاشخاص، يجعل دعاواهم متباينة ومختلفة لا تسند احداها الاخرى.

اما المثبتون فلا يقول احدهم: الهلال موجود في نظري، او عندي، بل يقول: ان الهلال موجود فعلاً، وهو في السماء بذاته.. والمشاهدون جميعاً يصدّقونه في دعواه هذه، ويؤيدونه في الامر نفسه قائلين: الهلال موجود في واقع الحال.. اي ان جميع الدعاوى واحدة.

#186

اللمعة السابعة عشرة - ص: 186

ولما كان نظر النافين مختلفاً، فقد اصبحت دعاواهم كذلك مختلفة، فلا يسري حكمهم على الامر بذاته، لأنه لا يمكن اثبات النفي في الحقيقة، إذ يلزم الاحاطة. ومن هنا صارت من القواعد الاصولية أن "العدم المطلق لا يُبْتَثُ إلاّ بمشكلات عظيمة".

نعم! اذ قلت: إن شيئاً ما موجود في الدنيا، فيكفي لاثباته إراءته فقط. ولكن ان قلت: انه معدوم، غير موجود في الدنيا. اي اذا نفيت وجوده، فينبغي لإثبات هذا النفي او العدم ان تبحث عنه في اطراف الدنيا كافة وإراءتها واشهادها.

وبناء على هذا السر: يتساوى في انكار الكفار لحقيقة واحدة الواحد مع الالف، لعدم وجود التساند فيه. يشبه ذلك، حل مسألة ذهنية، أو المرور من ثقب، او القفز من فوق الخندق، التي لاتساند فيها.

اما المثبتون فلاّهم ينظرون الى الامر نفسه، اي الى واقع الحال، فان دعاواهم تتحد وتتعاون ويمدّ بعضها البعض الآخر قوة، بمثل التعاون الحاصل في رفع صخرة عظيمة، فكلمها تكاثرت الايدي عليها، سهّل رفعها أكثر، حيث يستمد كلّ منهم القوة من الآخر.

المذكرة السابعة

يامن يحثّ المسلمين ويشوقهم على حطام الدنيا ويسوقهم قسراً الى صنائع الاجانب والتمسك بأذيال رقيهم. ويا مدّعي الحماية، ايها الشقي!. تمهل، وتأمل! واحذر من إنقطاع عُرى الدين لبعض أفراد هذه الامة وانفصام روابطهم معه، لانه اذا انقطعت تلك الروابط لدى البعض تحت سطوة مطارق التقليد الاعمى والسلوك الارعن، فسيكونون ملحدين مضرّين بالمجتمع، مُفسدين للحياة الاجتماعية كالسّم القاتل، اذ المرتد سمّ زعاف للمجتمع، حيث قد فسد وجدانه وتعفنت طويته كلياً، ومن هنا ورد في علم الاصول: "المرتد لا حقّ له في

الحياة، خلافاً للكافر الذميّ او المعاهد فان له حقاً في الحياة" وأن شهادة الكافر من اهل الذمة مقبولة عند الاحناف بينما الفاسق مُردود الشهادة لانه خائن.

#187

اللمعة السابعة عشرة - ص: 187

ايها الفاسق الشقي! لا تغتر بكثرة الفساق، ولا تقل ان افكار اكرثية الناس تساندي وتؤيدي، ذلك لانه لم يدخل الفسق فاسقاً برغبة فيه وطلباً بذات الفسق، بل وقع فيه ولا يستطيع الخروج منه، إذ ما من فاسقٍ الاّ ويتمنى ان يكون تقياً صالحاً، وان يكون رئيسه وأمّره ذا دينٍ وصلاح، اللهم الاّ من أشرب قلبه بالردة - والعياذ بالله - ففسد وجدانه بها، واصبح يلتذ بلذغ الآخرين وايدائهم كالحية.

ايها العقل الابله والقلب الفاسد! أتظنّ ان المسلمين لا يرغبون في الدنيا، ولا يفكرون فيها، حتى اصبحوا فقراء مُعْدَمين، فتراهم بحاجة الى مَنْ يُوقظهم من رقدتهم كيلا ينسوا نصيبهم من الدنيا؟

كلا.. ان ظنك خطأ.. بل لقد اشتدّ الحرص، فهم يقعون في قبضة الفقر وشباك الحرمان نتيجة الحرص، اذ الحرص للمؤمن سببُ الخيبة وقائد الحرمان والسفالة. وقد ذهب مثلاً: الحريص خائب خاسر .

نعم، ان الاسباب الداعية الى الدنيا كثيرة، والوسائل السائقة اليها وفيرة، وفي مقدمتها ما يحمله كلُّ انسان من نفس أمّارة بالسوء، وما يكمن فيه من هوىّ وحاجة وحواس ومشاعر وشيطانٍ عدو، فضلاً عن اقران السوء - من امثالك - وحلاوة العاجلة ولذتها... وغيرها من الدعاة اليها كثير، بينما الدعاة الى الآخرة وهي الخالدة والمرشدون الى الحياة الابدية قليلون.

فان كان لديك ذرّة من الحميّة والشّهامة تجاه هذه الامة، وان كنت صادقاً في دعواك الى التضحية والفداء والايثار، فعليك بمدّ يد المساعدة الى اولئك القلّة من الداعين الى الحياة الباقية. والاّ فان عاوتت الكثرة، وكمت أفواه اولئك الدعاة القلّة، فقد اصبحت للشيطان قريناً. فساء قريناً.

أو تظن أن فقرنا ناجم من زهد الدين او من كسلٍ ناشئ من ترك الدنيا؟ انك مخطئ في ظنك أشدّ الخطأ.. ألا ترى ان المجوس والبراهمة في الصين والهند والزنج في افريقيا وامثالهم من الشعوب المغلوبة على أمرها والواقعة تحت سطوة اوروبا، هم أفقر منّا حالاً.

#188

اللمعة السابعة عشرة - ص: 188

أو لا ترى انه لا يبقى بأيدي المسلمين سوى ما يسدّ رمقهم ويقوم أودهم حيث يغصبه كفار اوربا الظالمون منهم او يسرقه منافقو آسيا بما يجيكون من دسائس خبيثة.

ان كانت غايتكم من سوق المؤمنين قسراً الى المدنية التي هي الدنيّة (اي بلا ميم) تسهياً لادارة دفة النظام

وبسط الامن في ربوع المملكة، فاعلموا جيداً انكم على خطأ جسيم، اذ تسوقون الامة الى هاوية طريق فاسد. لان ادارة مائة من الفاسقين الفاسدين اخلاقياً والمرتابين في اعتقادهم وإيمانهم، وجعل الامن والنظام يسود فيما بينهم لهو أصعب بكثير من ادارة ألوف من الصالحين المتقين ونشر الامن فيما بينهم.

وبناء على ما تقدم من الاسباب فليس المسلمون بحاجة الى ترغيبهم وحثهم على حب الدنيا والحرص عليها، فلا يحصل الرقي والتقدم ولا ينشر الامن والنظام في ربوع البلاد بهذا الاسلوب، بل هم بحاجة الى تنظيم مساعيهم، وبث الثقة فيما بينهم، وتسهيل وسائل التعاون فيما بينهم، ولا تتم هذه الامور الا باتباع الاوامر المقدسة في الدين، والثبات عليها، مع التزام التقوى من الله سبحانه وابتغاء مرضاته.

المذكّرة الثامنة

يامن لا يدرك مدى اللذة والسعادة في السعي والعمل.. ايها الكسلان! اعلم، ان الحق تبارك وتعالى قد ادرج لكمال كرمه جزاء الخدمة في الخدمة نفسها، وادمج ثواب العمل في العمل نفسه.

ولأجل هذا كانت الموجودات قاطبة بما فيها الجمادات - من زاوية نظر معينة - تمثل الاوامر الربانية بشوق كامل، وبنوع من اللذة، عند ادائها لوظائفها الخاصة بها والتي تطلق عليها "الاوامر التكوينية". فكل شئ ابتداءً من النحل والنمل والطيور.. وانتهاءً الى الشمس والقمر، كلٌ منها يسعى بلذة تامة في اداء مهماتها. أي: اللذة كامنة في ثنايا وظائف الموجودات، حيث انها تقوم بها على وجه من الاتقان التام، برغم أنها لا تعقل ما تفعل ولا تدرك نتائج ما تعمل.

#189

اللمعة السابعة عشرة - ص: 189

* فان قلت: ان وجود اللذة في الاحياء ممكن، ولكن كيف يكون الشوق واللذة موجودين في الجمادات؟ فالجواب: ان الجمادات تطلب شرفاً ومقاماً وكمالاً وجمالاً وانتظاماً، بل تبحث عن كل ذلك وتفتش عنه لأجل إظهار الاسماء الإلهية المتجلية فيها، لا لذاتها، لذا فهي تنتور وتترقى وتعلو اثناء إمتثالها تلك الوظيفة الفطرية، حيث أنها تكون بمثابة مرايا ومعاكس لتجليات اسماء "نور الانوار".

فمثلاً: قطرة من الماء - وقطعة من الزجاج - رغم أنها تافهة وقائمة في ذاتها، فإذا ما توجهت بقلبيها الصافي الى الشمس، تتحول الى نوع من عرش لتلك الشمس، فتلتقك بوجه مضئ!

وكذلك الذرات والموجودات - على غرار هذا المثال - من حيث قيامها بوظيفة مرايا عاكسة لتجليات الاسماء الحسنى لذي الجلال والجمال والكمال المطلق، فانها تسمو وتعلو الى مرتبة من الظهور والجلاء والتنور هي غاية في العلو والسمو، إذ ترتفع تلك القطرة وتلك القطعة من حضيض الخمود والظلمة الى ذروة الظهور والتنور.

لذا يمكن القول: بأن الموجودات تقوم باداء وظائفها في غاية اللذة والمتعة ما دامت تكتسب بها مرتبة نورانية سامية، واللذة ممكنة ان كانت للموجود حصة من الحياة العامة. وأظهر دليل على ان اللذة كامنة في ثنايا الوظيفة نفسها هو ما يأتي:

تأمل في وظائف اعضاءك وحواسك، تر أن كلاً منها يجد لذائذ متنوعة اثناء قيامه بمهامه - في سبيل بقاء الشخص او النوع - فالخدمة نفسها، والوظيفة عُنِيْنها تكون بمثابة ضربٍ من التلذذ والمتعة بالنسبة لها، بل يكون ترك الوظيفة والعمل عذاباً مؤلماً لذلك العضو.

وهناك دليل ظاهر آخر هو: ان الديك - مثلاً - يؤثر الدجاجات على نفسه، فيترك ما يلتقطه من حبوب رزقه إليهن دون ان يأكل منها. ويُشاهد انه يقوم بهذه المهمة وهو في غاية الشوق وعزّ الافتخار وذروة اللذة.. فهناك إذن لذة في تلك الخدمة اعظم من لذة الاكل نفسه. وكذا الحال مع الدجاجة - الراعية لأفراخها -

#190

اللذة السابعة عشرة - ص: 190

فهي تُؤثرها على نفسها، إذ تدع نفسها جائعاً في سبيل اشباع الصغار، بل تضحي بنفسها في سبيل الافراخ، فتهاجم الكلب المُغير عليها لأجل الحفاظ على الصغار.

ففي الخدمة اذن لذة تفوق كل شئ، حتى انها تفوق مرارة الجوع وترجّح على ألم الموت. فالوالدات من الحيوانات تجد منتهى اللذة في حمايتها لصغارها طالما هي صغيرة. ولكن ما إن يكبر الصغير حتى تنتهي مهمة الأم فتذهب اللذة ايضاً. وتبدأ الأم بضرب الذي كانت ترعاه، بل تأخذ الحُب منه.. هذه السنّة الإلهية جارية في الحيوانات الآ في الانسان إذ تستمر مهمة الام نوعاً ما، لأن شيئاً من الطفولة يظل في الانسان حيث الضعف والعجز يلازمه طوال حياته، فهو بحاجة الى الشفقة والرأفة كل حين.

وهكذا، تأمل في جميع الذكور من الحيوانات كالديك، وجميع الوالدات منها كالديكاج، وافهم كيف انها لا تقوم بتلك الوظيفة ولا تنجز اي شئ لأجل نفسها ولا لكمالها بالذات حيث تفدي نفسها اذا احتاج الامر. بل انها تقوم بتلك المهمة في سبيل المنعم الكريم الذي انعم عليها، وفي سبيل الفاطر الجليل الذي وطفها في تلك الوظيفة فأدرج برحمته الواسعة لذة ضمن وظيفتها، ومتعة ضمن خدمتها.

وهناك دليل آخر على ان الاجرة داخلة في العمل نفسه وهو ان النباتات والاشجار تمتثل اوامر فاطرها الجليل بما يُشعر ان فيها شوقاً ولذة، لأن ما تنشره من روائح طيبة، وما تزين به من زينة فاخرة تستهوي الانظار، وما تقدمه من تضحيات وفداء حتى الرَمَق الاخير لأجل سنابلها وثمارها.. كل ذلك يعلن لأهل الفطنة:

ان النباتات تجد لذة فائقة في إمتثالها الاوامر بما يفوق اية لذة اخرى، حتى انها تمحو نفسها وتهلكها لأجل تلك اللذة.. ألا ترى شجرة جوز الهند، وشجرة التين كيف تُطعم ثمرتها لبناً خالصاً تطلبه من خزينة الرحمة الإلهية بلسان

حالتها وتتسلمه منها وتظل هي لا تُطعم نفسها غير الطين. وشجرة الرمان تسقي ثمرتها شراباً صافياً، وهبها لها ربها، وهي ترضى قانعةً بشارب ماءٍ عكر. حتى انك ترى ذلك في الحبوب كذلك، فهي تُظهر شوقاً هائلاً للتسنبل، بمثل اشتياق السجين الى رحب الحياة.

#191

اللمعة السابعة عشرة - ص: 191

ومن هذا السرّ الجاري في الكائنات المسمى بـ"سنة الله" ومن هذا الدستور العظيم، يكون العاطل الكسلان الطريح على فراش الراحة أشقى حالاً وأضيق صدرًا من الساعي المجدّد، ذلك لأن العاطل يكون شاكياً من عمره، يريد ان يمضي بسرعة في اللهو والمرح. بينما الساعي المجدّد شاكرٌ لله وحامدٌ له، لا يريد ان يمضي عمره سدىً. لذا اصبح دستوراً عاماً في الحياة: "المستريح العاطل شاكٍ من عمره والساعي المجدّد شاكرٌ". وذهب مثلاً: "الراحة مندجّة في الزحمة والزحمة مندجّة في الراحة".

نعم اذا ما أمعن النظر في الجمادات فان السنة الإلهية المذكورة تظهر بوضوح؛ فالجمادات التي لم تتكشف استعداداتها وباتت ناقصةً من هذه الناحية، تراها تسعى بشدة، وتبذل جهداً عظيماً لكي تنبسط وتنتقل من طور "القوة" الكامنة الى طور "الفعل". وعندها يشاهد عليها ما يشير الى أن في تلك الوظيفة الفطرية شوقاً، وفي ذلك التحول لذةً، جرياً بدستور سنة الله، فان كانت لذلك الجامد حصة في الحياة العامة، فالشوق يعود اليه، والأفوه يعود الى الذي يمثل ذلك الجامد ويشرف عليه، بل يمكن أن يقال بناء على هذا السر: ان الماء اللطيف الرقيق ما ان يتسلم أمراً بالانجماد، حتى يمتثل ذلك الامر بشدة وشوق الى حدّ انه يكسر الحديد ويحطّمه. فاذن عندما تبلغ البرودة ودرجات الانجماد أمراً ربانياً بالتوسع، الى الماء الموجود داخل كرة حديدٍ مقفلة، فان الماء يمتثل الامر بشدة وشوق بحيث يحطّم كرة الحديد تلك، وينجمد.

وعلى هذا ففس جميع ما في الكون من سعي وحركة، ابتداءً من دوران الشمس في افلاكها وانتهاءً الى دوران الذرات - كالمولوي العاشق - ودوراتها واهتزازاتها.. فلا تجد أحداً الا ويجري على قانون القدر الإلهي، ويظهر الى الوجود بالامر التكويني الصادر من يد القدرة الإلهية والمتضمن العلم الإلهي وأمره وارادته.. حتى ان كل ذرة، وكل موجود، وكل ذي حياة، انما هو كالجندي في الجيش، له علاقات متباينة ووظائف مختلفة، وارتباطات متنوعة مع كل دائرة من دوائره. فالذرة الموجودة في عينيك - مثلاً - لها علاقة مع خلايا العين، ومع اعصاب العين في الوجه، ومع

#192

اللمعة السابعة عشرة - ص: 192

الشرابين والاوردة في الجسم، وعلى اساس هذه العلاقات والروابط تُعيّن لها وظيفة، وعلى ضوءها تنتج فوائد

ومصالح وهكذا..

ففس على هذا المنوال كل شئ في الوجود.

وعلى هذا الاساس فان كل شئ في الوجود يشهد على وجوب وجود القدير المطلق من جهتين:
الاولى: قيامه بوظائف تفوق طاقته المحدودة بالآلاف المرات، مع أنه عاجزٌ عن ذلك، فيشهد بلسان عجزه إذن على وجود ذلك القدير المطلق.

الثانية: توافق حركته مع الدساتير التي تكوّن نظام العالم، وانسجام عمله مع القوانين التي تديم توازن الموجودات، فيشهد - بهذا الانسجام والتوافق - على وجود ذلك العليم القدير.

ذلك لان جماداً كالذرة - او حشرة كالنحل - لا تستطيع ان تعرف النظام والموازنة اللذين هما من المسائل الدقيقة المهمة المسطورة في الكتاب المبين.. إذ اين الذرة والنحلة من قراءة ذلك الكتاب الذي هو في يد من يقول: (يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب) (الانباء: 104) فلا يجرؤ أحد أن يردّ هذه الشهادة للذرة الا من يتوهم بحماقة متناهية انها تملك عيناً بصيرة تتمكن بها قراءة الحروف الدقيقة لذلك الكتاب المبين؟.

نعم، ان الفاطر الحكيم يدرج دساتير الكتاب المبين واحكامه درجاً في غاية الجمال، ويجمّلها في غاية الاختصار، ضمن لذة خاصة لذلك الشئ، وفي ثنايا حاجةٍ مخصوصة له. فاذا ما عمل الشئ وفق تلك اللذة الخاصة والحاجة المخصوصة، فانه يمثل - من حيث لا يشعر - احكام ذلك الكتاب المبين.

فمثلاً: ان البعوضة في حين مولدها ومجيئها الى الدنيا تنطلق من بيتها وتهاجم وجه الانسان وتضربه بعصاها الطويلة وخرطومها الدقيق وتفجر به السائل الحيوي، وتمصّه مصاً، وهي في هذا الهجوم تُظهر براعة عسكرية فائقة..

#193

اللعة السابعة عشرة - ص: 193

ثرى من علم هذا المخلوق الصغير الذي اتى حديثاً الى الدنيا وليس له من تجربة سابقة، هذه المهارة البارعة، وهذه الفنون الحربية الدقيقة، وهذا الاتقان في التفجير، فمن اين اكتسب هذه المعرفة؟.. فانا هذا السعيد المسكين اعترف بأني لو كنت بدلاً منه، لما كنت أتعلم تلك المهارة، وتلك الفنون العسكرية من كر وفرّ، وتلك الامور الدقيقة في استخراج السائل الحيوي الا بعد تجارب طويلة، ودروس عديدة، ومدة مديدة.

ففس على البعوضة النحل الملهمة والعنكبوت والبلبل الناصح لعشه نسجاً بديعاً، بل يمكنك قياس النباتات على الحيوانات ايضاً.

نعم ان الجواد المطلق جل جلاله قد سلّم بيد كل فردٍ من الاحياء "بطاقة تذكرة" مكتوبةً بمداد اللذة وحبر

الاحتياج، فاودع سبحانه فيها منهاج اوامره التكوينية، وفهرس ما يقوم به الفرد من وظائف.. فسبحانه من حكيم ذي جلال، كيف أدرج ما يخص النحل من دساتير الكتاب المبين في تلك "التذكرة" الصغيرة وسطرها في رأس النحلة، وجعل مفتاحها لذة خاصة بالنحلة الدائبة، لتفتح به تلك "التذكرة" المودعة في دماغها وتقرأ منهاج عملها فيها وتدرك وظيفتها، وتسعى وتجدد وفقها، وتبرز حكمة من الحكم المكنونة في الآية الكريمة: (وأوحى ربك إلى النحل) (النحل: 68).

فيا من يقرأ او يسمع هذه المذكرة الثامنة! ان كنت قد فهمتها حقّ الفهم فقد فهمت إذن سرّاً من اسرار: (ورحمتي وسعت كل شيء) (الاعراف: 156).

وأدرت حقيقة من حقائق: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) (الاسراء: 44)

وتوصلت الى دستور من دساتير: (انما أمره اذا اراد شيئاً ان يقول له كُن فيكون) (يس: 82)

وتعلمت مسألة لطيفة من مسائل: (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) (يس: 83).

#194

اللعة السابعة عشرة - ص: 194

المذكرة التاسعة

اعلم ان النبوة في البشرية فذلّة الخير وخلاصة الكمال واساسه. وأن الدين الحق فهرس السعادة. وأن الايمان حُسنٌ منزّه وجمال مجرّد. وحيث ان حسناً ساطعاً، وفضلاً واسعاً سامياً، وحقاً ظاهراً، وكمالاً فائقاً مشاهد في هذا العالم، فبالبداهة يكون الحق والحقيقة في جانب النبوة، وفي يد الانبياء عليهم السلام، وتكون الضلالة والشر والخسارة في مخالفهم.

فان شئت فانظر الى مثال واحد من بين الوف الامثلة على محاسن العبودية التي جاء بها النبي عليه السلام وهو:

ان النبي عليه السلام يوحّد بالعبادة قلوب الموحدين في صلاة العيد والجمعة والجماعة، ويجمع ألسنتهم جميعاً على كلمة واحدة. حتى يقابل هذا الانسان عظمة الخطاب الصادر من المعبود الحق سبحانه بأصوات قلوب وألسنة لا تحد وبدعواتها، متعاوناً متسانداً، بحيث يُظهر الجميع عبودية واسعة جداً ازاء عظمة ألوهية المعبود الحق فكأن كرة الارض برمتها هي التي تنطق بذلك الذكر، وتدعو بذلك الدعاء، وتصلّي لله باقطارها وتمثل بارجائها الامر النازل بالعزة والعظمة من فوق السموات السبع: (وأقيموا الصلاة).

وبهذا الاتحاد صار الانسان وهو المخلوق الضعيف الصغير الذي هو كالذرة في هذه العوالم، عبداً محبوباً لدى خالق السموات والارض من جهة وعظمة عبوديته له، واصبح خليفة الارض وسلطانها، وسيد الحيوانات

ورئيسها، وغاية خلق الكائنات ونتيجتها. أرأيت لو اجتمعت في عالم الشهادة ايضاً - كما هو في عالم الغيب - اصوات المكبرين البالغين مئات الملايين من المؤمنين بـ "الله اكبر" عقب الصلوات ولا سيما صلاة العيد، واتحدت جميعها في آن واحد أما كانت متساوية لصوت تكبيرة "الله اكبر" تطلقها كرهة الارض ومتناسبة مع ضخامتها والتي اصبحت كأنها إنسان ضخم، إذ باتحاد تكبيرات اولئك الموحدين في آن واحد يكون هناك تكبيرة عظيمة جداً كأن الارض تطلقها، بل كأن الارض تنزل زلزالها في صلاة العيد. اذ تكبر الله بتكبير العالم الاسلامي باقطاره واوتاده وتسبحه بتسيحهم واذكارهم فتنوي من

#195

اللمعة السابعة عشرة - ص: 195

صميم قلب كعبتها المشرفة التي هي قبلتها، وتكبر بـ "الله اكبر" بلسان عرفة من فم مكة المكرمة. فيتموج صدى "الله اكبر" ممتلاً في هواء كهوف أفواه جميع المؤمنين المنتشرين في العالم بمثل تموج ما لا يجد من الصدى في كلمة واحدة من "الله اكبر". بل تتموج تلك التكبيرات والاذكار في اقطار السموات وعوالم البرزخ. فالحمد لله الذي جعل هذه الارض ساجدةً عابدةً له وهياًها لتكون مسجداً لعباده ومهداً لمخلوقاته. فنحمده سبحانه ونسبحه ونكبره بعدد ذرات الارض ونرفع اليه حمداً بعدد موجوداته أن جعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي علمنا هذا النوع من العبادة.

المذكرة العاشرة

ايها السعيد الغافل المتخبط بسوء حاله! اعلم، ان الوصول الى نور معرفة الحق سبحانه، والى مشاهدة تجلياته في مرايا الآيات والشواهد والنظر اليه من مسامات البراهين والدلائل يقتضي الاتجسس بأصابع التنقيد على كل نور جرى عليك، وورد الى قلبك، وتظاهر الى عقلك، والآن تنقده بيد التردد. فلا تمدن يدك لأخذ نور اضاء لك. بل تجرد من اسباب الغفلة، وتعرض لذلك النور، وتوجه اليه، فاني قد شاهدت أن شواهد معرفة الله وبراهينها ثلاثة اقسام:

قسم منها: كالماء، يُرى ويُحس، ولكن لا يُمسك بالاصابع. ففي هذا القسم عليك بالتجرد عن الخيالات، والانغماس فيه بكليتك، فلا تتجسس باصبع التنقيد، فانه يسيل ويذهب، اذ لا يرضى ماء الحياة ذلك، بالاصبع محلاً.

القسم الثاني: كالهواء، يُحس ولكن لا يُرى، ولا يُتخذ ولا يُستمسك، فتوجه لنفحات تلك الرحمة، وتعرض لها، وقابلها بوجهك وفمك وروحك، فان نظرت الى هذا القسم بيد التردد والريب ومددت اليه يد التنقيد، بدلاً من الانتعاش روحياً، فانه ينطلق، إذ لا يتخذ يدك مسكناً له ولا يرضى بها منزلاً.

القسم الثالث: فهو كالنور، يُرى ولكن لا يُحس، ولا يؤخذ ولا يستمسك، فتعرض له وقبله ببصيرة قلبك ونظر

روحك، وتوجّه إليه ببصرك، ثم انتظر، فلربما يأتي بذاته

#196

اللعة السابعة عشرة - ص: 196

ومن نفسه. لان النور لا يؤخذ باليد، ولا يُصاد بالاصابع، بل بنور البصيرة يُصاد. فاذا مددت اليه يداً مادية حريصةً، ووزنته بموازين مادية، فانه يختفي وإن لم ينطفئ، لان نوراً كهذا مثلما انه لا يرضى بالماديّ حبساً، ولا يدخل بالقيد ابدأً، فانه لا يرضى بالكثيف مالكاً وسيداً عليه.

المذكرة الحادية عشرة

انظر الى درجة رحمة القرآن الواسعة وشفقته العظيمة على جمهور العوام ومراعاته لبساطة افكارهم ونظرهم غير الثاقب الى امور دقيقة، انظر كيف يكرر ويكثر الآيات الواضحة المسطورة في جباه السموات والارض، فيقرهم الحروف الكبيرة التي تُقرأ بكمال السهولة، كخلق السموات والارض وانزال الماء من السماء، واحياء الارض.. وامثالها من الآيات. ولا يوجّه الانظار الى الحروف الدقيقة المكتوبة في الحروف الكبيرة الأ نادراً، كيلا يصعب عليهم الامر.

ثم انظر الى جزالة بيان القرآن وسلاسة اسلوبه وفطريته، كيف يتلو على الانسان ما كتبته القدرة الإلهية في صحائف الكائنات من آيات حتى كأن القرآن قراءةٌ لما في كتاب الكائنات وانظمتها، وتلاوةٌ لشؤون بارئها المصّور وافعاله الحكيمة. فان شئت استمع بقلبٍ شهيد لقوله تعالى (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) و (قل اللهم مالك الملك) (آل عمران:26) وأمثالها من الآيات الكريمة.

المذكرة الثانية عشرة

يا احبائي المستمعين لهذه المذكرات، اعلّموا!

اني قد اكتب تضرّع قلبي الى ربّي مع ان من شأنه ان يُسْتَرَّ ولا يُسْطَرَّ، رجاءً من رحمته تعالى ان يقبل نُطق كتابي، بدلاً عني إذا أسكت الموت لساني.. نعم، لا تسع توبة لساني في عمري القصير كفارة لذنوبي الكثيرة. فنطقُ الكتاب الثابت الدائم أوفى لها. فقبل ثلاث عشرة سنة واثناء اضطراب روحي عارم وفي غمرة تحول

#197

اللعة السابعة عشرة - ص: 197

ضحكات "سعيد القديم" الى بكاء "سعيد الجديد" أفقت من ليل الشباب على صبح المشيب فسطرت هذه المناجاة باللغة العربية، اوردها كما هي:

ياربي الرحيم ويا إلهي الكريم!

قد ضاع بسوء اختياري عمري وشبابي، وما بقي من ثمراته في يدي الآ آثام مؤلمة مُدَلَّة، وآلام مضرّة مُضَلَّة،

ووساوس مزعجة معجزة، وانا بهذا الحمل الثقيل، والقلب العليل، والوجه الخجيل متقرب - بالمشاهدة - بكمال السرعة، بلا انحراف وبلا اختيار كآبائي واحبابي واقاربي واقراني الى باب القبر، بيت الوحدة والانفراد في طريق ابد الآباد، للفراق الابدي من هذه الدار الفانية الهالكة باليقين، والآفة الراحلة بالمشاهدة، ولا سيما الغدرة المكارة لمثلي ذي النفس الامارة.

فيا ربي الرحيم ويا ربي الكريم!

أراني عن قريب لستُ كفني وربكت تابوتي، وودعت أحبابي، وتوجهت الى باب قبري، فأنادي في باب رحمتك: الأمان الأمان يا حنان يا مئان، نجني من خجالة العصيان.

آه.. كفني على عنقي، وانا قائم عند رأس قبري، أرفع رأسي الى باب رحمتك أنادي: الأمان الأمان يا رحمن يا حنان، خلصني من ثقل حمل العصيان.

آه.. انا ملتف بكفني وساكن في قبري وتركني المشيعون، وانا منتظر لعفوك ورحمتك.. ومشاهدٌ بأن لا ملجأ ولا منجأ الا اليك، وأنادي: الأمان الأمان من ضيق المكان، ومن وحشة العصيان، ومن قبح وجه الآثام. يا رحمن يا حنان.. يا مئان.. ويا ديان نجني من رفاقة الذنوب والعصيان..

الهي! رحمتك ملجئي ووسيلتي، واليك ارفع بثي وحزني وشكايتي.

يا خالقي الكريم، ويا ربي الرحيم، وياسيدي، ويا مولاي.. مخلوقك، ومصنوعك وعبدك العاصي العاجز، الغافل، الجاهل العليل الذليل المسع المسن الشقي الآبق، قد عاد بعد اربعين سنة الى بابك ملتجئاً الى رحمتك، معترفاً بالذنوب والخطيئات مبتلى بالاوهام والاسقام، متضرعاً اليك.. فان تقبل وتغفر وترحم فانك لذك اهلٌ وانت

#198

اللمعة السابعة عشرة - ص: 198

ارحم الراحمين، والآفائي بابٍ يُقصد غير بابك.. وانت الرّب المقصود والحق المعبود. ولا اله الا انت وحدك لا شريك لك.. آخر الكلام في الدنيا واول الكلام في الآخرة وفي القبر: اشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المذكّرة الثالثة عشرة

عبارة عن خمس مسائل قد صارت مدار الالتباس.

* اولها:

ان الذين يعملون في طريق الحق ويجاهدون في سبيله، في الوقت الذي ينبغي لهم أن يفكروا في واجبههم وعملهم

فانهم يفكرون فيما يخص شؤون الله سبحانه وتدييره، وبينون اعمالهم عليه فيخطئون.

ورد في كتاب "ادب الدنيا والدين" أن إبليس - لعنة الله عليه - حين ظهر لعيسى بن مريم عليه السلام قال: ألسنت تقول: إنه لن يُصيبك إلا ما كتبه الله عليك؟ قال: نعم. قال: فارم نفسك من ذروة هذا الجبل فانه إن يقدر لك السلامة تسلّم، فقال له: يا ملعون! إن لله أن يختبر عبده وليس للعبد أن يختبر ربه.

أي: ان الله سبحانه هو الذي يختبر عبده ويقول له: إذا عملت هكذا سأوافيك بكذا، أرايتك تستطيع القيام به؟. يختبره.. ولكن العبد ليس له الحق ولا في طوقه اصلاً أن يختبر ربه ويقول: اذا قمتُ بالعمل هكذا فهل تعمل لي كذا؟. فهذا الاسلوب من الكلام الذي يومية بالاختبار سوء ادب تجاه الربوبية، وهو منافٍ للعبودية. فما دام الامر هكذا، فعلى المرء أن يؤدي واجبه ولا يتدخل بتدبير الله سبحانه وقدره.

كان جلال الدين خوارزم شاه¹ وهو احد ابطل الاسلام الذي انتصر على

¹ هو الحاكم السابع والأخير لامبراطورية خوارزم، تصدى لأول مرة لجيش جنكيزخان، وشتت جيش احد قواده، وفي سنة 1221 شتت ايضاً جيشاً كبيراً للمغول، ولكن اضطر الى الانسحاب الى الهند لتوالى هجوم المغول. وفي سنة 1224 احيا امبراطورية خوارزم في ايران ادت انتصاراته الى توجس السلاجقة والدولة الايوبية منه. فلم يجد منها عوناً. وفي سنة 1231 اضطر الى الانسحاب امام المغول الى جبال طوروس واغتيل هناك. - المترجم.

#199

اللعة السابعة عشرة - ص: 199

جيش جنكيزخان انتصارات عديدة. كان يتقدم جيشه الى الحرب، فخطبه وزراؤه ومقرّبوه: سيُظهرك الله على عدوك، وتنتصر عليهم!.

فاجابهم: "عليّ الجهاد في سبيل الله إتباعاً لأمره سبحانه ولا حق لي فيما لم أكلف به من شؤونه، فالنصر والهزيمة من تقديره سبحانه" ولبلوغ هذا البطل العظيم ادراك هذا السر الدقيق في الاستسلام الى امر الله والانتقاد اليه، كان النصر حليفه في اغلب الاحيان نصراً خارقاً.

نعم انه ينبغي الأ يفكر الانسان - بما لديه من الجزء الاختياري - بالنتائج التي يتولاها الله سبحانه.

فمثلاً: يزداد حماس بعض الاخوة وشوقهم الى رسائل النور باستجابة الناس لها، فينشطون أكثر.. ولكن عندما لا يستجيب لها الناس، تفتر قوة الضعفاء المعنوية وتنطفئ جذوة شوقهم. والحال ان سيدنا الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وهو الاستاذ الاعظم ومقتدى الكل والرائد الاعلى قد اتخذ الامر الإلهي: (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) (النور: 54) دليلاً ومرشداً له، فكلما أعرض الناس عن الاصغاء وتولوا عنه ازداد جهاداً وسعيّاً في سبيل التبليغ. لانه علم يقيناً ان جعل الناس يصغون ويهتدون انما هو من شؤون الله سبحانه،

وفق الآية الكريمة (إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) (القصص: 56). فما كان يتدخل صلى الله عليه وسلم في شؤونه سبحانه.

لذا فيا اخوتي! لا تتدخلوا في اعمال وشؤون لا تعود اليكم ولا تبنوا عليها اعمالكم ولا تتخذوا طور الاختبار تجاه خالقكم.

* المسألة الثانية:

ان غاية العبادة امتثال امر الله ونيل رضاه، فالداعي الى العبادة هو الامر الإلهي، ونتيجتها نيل رضاه سبحانه. اما ثمرتها وفوائدها فأخروية. الأ انه لا تنافي العبادة اذا مُنحت ثمرات تعود فائدتها الى الدنيا، بشرط الأ تكون علتها الغائية، والأ يُقصد في طلبها. فالفوائد التي تعود الى الدنيا والثمرات التي تترتب عليها من نفسها وتُمنح من دون طلب لا تنافي العبادة، بل تكون بمثابة حث "وترجيح" للضعفاء. ولكن اذا

#200

اللمعة السابعة عشرة - ص: 200

صارت الفوائد الدنيوية او منافعها علةً، او جزءاً من العلة لتلك العبادة او لذلك الورد او الذكر فانها تُبطل قسماً من تلك العبادة. بل تجعل ذلك الورد الذي له خصائص عدة عقيماً دون نتيجة.

فالذين لا يفهمون هذا السر، ويقرأون "الاوراد القدسية للشاه النقشبند" مثلاً التي لها مئات من المزايا والخواص، او يقرأون "الجوشن الكبير" الذي له ألف من المزايا والفضائل وهم يقصدون بعض تلك الفوائد بالذات، لا يجدون تلك الفوائد، بل لن يجدها ولن يشاهدها، وليس لهم الحق لمشاهدتها البتة؛ لأنه لا يمكن ان تكون تلك الفوائد علةً لتلك الاوراد، فلا تُطلب منها تلك الفوائد قصداً، لان تلك الفوائد تترتب بصورة فضل إلهي على ذلك الورد الذي يُقرأ قراءةً خالصةً دون طلب شئ. فأما اذا نواها القارئ فان نيتها تُفسد اخلاصه جزئياً، بل تُخرجها من كونها عبادةً، فتسقط قيمتها.

بيد ان هناك امراً آخر، هو أن اشخاصاً ضعفاء بحاجة دائمة الى مشوق ومرجح فاذا ما قرأ الاوراد قراءة خالصة لله متذكراً تلك الفوائد فلا بأس في ذلك، بل هو مقبول.

ولعدم ادراك هذه الحكمة، يقع الكثيرون فريسة الريب والشك عند عدم وجدانهم تلك الفوائد التي رويت عن الاقطاب والسلف الصالحين، بل قد ينكرونها.

* المسألة الثالثة:

"طوبى لمن عَرَف حده ولم يتجاوز طوره".

ان هناك تجليات للشمس على كل شئ. ابتداءً من اصغر ذرة وبلورة زجاج وقطرة ماء ومن الحوض الكبير

والبحر العظيم، وانتهاءً بالقمر والكواكب السيارة. كل منها يعرف حدّه ويطلع على نفسه انعكاس الشمس وصورتها حسب قابليته. فتستطيع قطرة ماءٍ أن تقول: عندي انعكاسٌ للشمس، وذلك حسب قابليتها. ولكن لا تجرؤ على القول: انا مرآة للشمس كالبحر.

كذلك الامر في مقامات الاولياء، ففيها مراتبٌ عدّة، حسب تنوّع تجليات الاسماء الإلهية الحسنى، فكل اسم من الاسماء الحسنى له تجلياتٌ - كالشمس في المثال -

#201

اللعة السابعة عشرة - ص: 201

ابتداءً من القلب وانتهاءً بالعرش. فالقلب عرشٌ، ولكن لا يستطيع ان يقول: "أنا كالعرش الاعظم". ومن هنا كان السالك في سبيل الفخر والغرور يلتبس عليه الامر فيجعل قلبه الصغير جداً كالذرة مساوياً للعرش الاعظم، ويعتبر مقامه الذي هو كلقطرة كفوّاً مع مقام الاولياء العظام الذي هو كالبحر. فبدلاً من أن يصرف همّه لمعرفة اساس العبادة الذي هو العجز والفقير وادراك تقصيره ونقصه امام باريه القدير والتضرع امام عتبة ألوهيته سبحانه والسجود عندها بكل ذل وخضوع، تراه يبدر منه التصنّع والتكلف لأجل أن يلائم نفسه ويحافظ عليها مع مستوى تلك المقامات السامية، فيقع فيما لا طائل وراءه من الغرور والانانية والمشاكل العويصة.

الخلاصة:

لقد ورد في الحديث الشريف: "هَلَكَ النَّاسُ إِلَّا الْعَامِلُونَ وَهَلَكَ الْعَامِلُونَ إِلَّا الْعَامِلُونَ الْإِلَهِيَّةَ". أي ان محور النجاة ومدارها الاخلاص، فالفوز به اذن امر في غاية الاهمية لأن ذرة من عمل خالص أفضل عند الله من أطنانٍ من الاعمال المشوبة. فالذي يجعل الانسان يحرز الاخلاص هو تفكّره في ان الدافع الى العمل هو الامر الإلهي لا غير، ونتيجته كسب رضاه وحده، ثم عدم تدخله في الشؤون الإلهية.

ان هناك اخلاصاً في كل شئ. حتى أن ذرةً من حُبٍ خالص تفضل على اطنان من الحب الصوري الشكلي. وقد عبّر احدهم شعراً عن هذا النوع من الحب:

وما انا بالباغي على الحُب رشوةً ضعيفٌ هوئى يُبغى عليه ثوابٌ

أي لا أطلب على الحب رشوة ولا أجرة ولا عوضاً ولا مكافأة، لأن الحب الذي يطلب ثواباً ومكافأة حبٌ ضعيف لا يدوم. فهذا الحب الخالص قد أودعه الله سبحانه في فطرة الانسان ولاسيما الوالدات عامة، فشفقة الوالدة مثال بارز لهذا الحب الخالص.

¹ في كشف الحفاء (2796): قال الصغاني: وهذا حديث مفترى ملحون، والصواب في الاعراب العالمين والعاملين والمخلصين ا هـ. واقول فيه: ان السيوطي نقل في النكت عن ابي حيان أن الابدال في الاستثناء الموجب لغه لبعض العرب، وخرج عليها قوله تعالى (فشربوا منه الا قليلا) ا هـ وعليه فالعالمون وما بعده بدل مما قبله.

#202

اللعة السابعة عشرة - ص: 202

والدليل على ان الوالدات لا يطلبن تجاه محبتن لأولادهن مكافأة ولا رشوة قط هو جودهن بانفسهن لأجل اولادهن، بل فداؤهن حتى باخراهن لأجلهم. حتى ترى الدجاج تهاجم الكلب انقاذاً لأفراخها من فمه - كما شاهدتها خسرو - علماً أن حياتها هي كل ما لديها من رأسمال.

* المسألة الرابعة:

ينبغي ألا تؤخذ النعم التي ترد بأسباب ووسائل ظاهرية على حساب تلك الاسباب والوسائل، لأن ذلك السبب وتلك الوسيلة، إما له اختيار او لا اختيار له. فان لم يكن له اختيار - كالحيوان والنبات - فلا ريب انه يعطيك بحساب الله وباسمه. وحيث أنه يذكر الله بلسان حاله، اي يقول: بسم الله، ويسلمك النعمة، فخذها باسم الله وكلها.

ولكن إن كان ذلك السبب له اختيار، فعليه أن يذكر الله ويقول: بسم الله، فلا تأخذ منه إلا بعد ذكره اسم الله، لأن المعنى الاشاري - فضلاً عن المعنى الصريح - للآية الكريمة: (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) (الانعام:121) يرمز الى: لاتأكلوا من نعمة لم يذكر اسم مالکها الحقيقي عليها وهو الله، ولم يسلم اليك باسمه. وعلى هذا فعلى المعطي ان يذكر اسم الله، وعلى الآخذ ان يذكر اسم الله. فان كان المعطي لا يذكر اسم الله، وانت في حاجة الى الآخذ، فاذا ذكر انت اسم الله، ولكن ارفع بصرک عالياً فوق رأس المعطي وانظر الى يد الرحمة الإلهية التي انعمت عليه وعليك معاً، وقبّلها بالشكر، وتسلم منها النعمة. اي انظر الى الإنعام من خلال النعمة، وتذكر المنعم الحقيقي من خلال الإنعام، فهذا النظر والتذكر شكر. ومن ثم ارجع بصرک - ان شئت - وانظر الى السبب او الوسيلة، وادع له بالخير واثن عليه، لورود النعمة على يديه.

ان الذي يوهم عبدة الاسباب ويخدعهم هو: اعتبار احد الشيين علة للآخر عند مجيئها معاً، او عند وجودها معاً. وهذا هو الذي يسمى بـ"الاقتران".

#203

اللعة السابعة عشرة - ص: 203

وحيث ان عدم وجود شيء ما، يصبح علة لعدم وجود نعمة، لذا يتوهم المرء ان وجود ذلك الشيء هو علة لوجود

تلك النعمة، فيبدأ بتقديم شكره وامتنانه الى ذلك الشيء فيخطئ؛ لأن وجود نعمة ما يترتب على مقدمات كثيرة وشرائط عديدة، بينما إنعدام تلك النعمة يحدث بمجرد انعدام شرط واحد فقط.

مثلاً: ان الذي لا يفتح مجرى الساقية المؤدية الى الحديقة يصبح سبباً وعلّة لجفاف الحديقة ووسيلةً لموتها، وبالتالي الى انعدام النعم التي فيها. ولكن وجود النعم في تلك الحديقة لا يتوقف على عمل ذلك الشخص وحده، بل يتوقف ايضاً على مئاتٍ من الشرائط الاخرى، بل لا تحصل تلك النعم كلها الا بالعلّة الحقيقية التي هي القدرة الربانية والارادة الالهية.

فافهم من هذا مدى الخطأ في هذه المغالطة، واعلم فداحة خطأ عبدة الاسباب.

نعم! ان الاقتران شئٌ والعلّة شئٌ آخر. فالنعمة التي تأتيك وقد اقترنت بنية احسانٍ من أحدهم اليك، علّتها الرحمة الالهية. وليس لذلك الشخص الا الاقتران دون العلة.

نعم، لو لم ينو ذلك الشخص تلك النية في الاحسان اليك لما كانت تأتيك تلك النعمة، اي ان عدم نيته كان علة لعدم مجئ النعمة، ولكن ذلك الميل للاحسان لا يكون علةً لوجود النعمة ابدأً، بل ربما يكون مجرد شرطٍ واحد من بين مئات الشروط الاخرى. ولقد التبس الامر على بعض طلاب رسائل النور، ممن افاض الله عليهم من نعمه (امثال خسرو ورأفت..) فالتبس عليهم الاقتران بالعلّة، فكانوا يبدون الرضى باستاذهم ويثنون عليه ثناءً مفرطاً. والحال ان الله سبحانه قد قرّن نعمة استفادتهم من الدروس القرآنية مع احسانه الى استاذهم من نعمة الافادة، فالامر اقترانٌ ليس الا.

فهم يقولون: لو لم يقدم استاذنا الى هنا، ما كنا لناخذ هذا الدرس الايماني، فافادته اذن هي علةٌ لاستفادتنا نحن. وانا اقول: يا اخوتي الاحبة، ان الحق سبحانه وتعالى قد قرّن النعمة التي انعمها عليّ بالتي انعمها عليكم، فالعلّة في كلتا النعمتين هي الرحمة الالهية.

#204

اللعة السابعة عشرة - ص: 204

وقد كنت يوماً اشعر بامتنان بالغ نحو طلاب يملكون قلماً سيالاً مثلكم ويسعون الى خدمة النور. فالتبس عليّ الاقتران بالعلّة، فكنت اقول: ثرى كيف كان ينهض في أداء خدمة القرآن الكريم من كان مثلي في رداءة الخط، لولا هؤلاء الطلبة؟. ولكن فهمتُ بعدئذ ان الحق سبحانه وتعالى بعد ما أنعم عليكم النعمة المقدسة بجودة الكتابة، منّ عليّ بالتوفيق في السير في هذه الخدمة القرآنية، فاقترن الامران معاً، فلا يكون احدهما علةً للآخر قط، لذا فلا أقدم شكري وامتناني لكم، بل ابشركم واهنئكم. وعليكم اتم كذلك ان تدعوا لي بالتوفيق والبركة بدلاً من الرضى والثناء.

ففي هذه المسألة ميزانٌ دقيقٌ تُعرف به درجات الغفلة والشرك الخفي.
المسألة الخامسة:

كما انه ظلمٌ عظيم اذا ما أعطي الى شخص واحد ما تملكه الجماعة، ويكون الشخص مرتكباً ظلماً قبيحاً اذا ما غصب ما هو وقفٌ للجماعة، كذلك الامر في النتائج التي تتحصل بمساعي الجماعة وعملهم، والشرف والمنزلة المترتبة على محاسن الجماعة وفضائلها، اذا ما أُسند الى رئيسها او استاذها او مرشدها يكون ظلماً واضحاً بحق الجماعة، كما هو ظلم بين بحق الاستاذ او الرئيس نفسه، لأن ذلك يداعب أنانيته المستترة فيه ويسوقه الى الغرور. فبينما هو حارسٌ بوابٌ للجماعة، اذا به يتزيا بزِيّ السلطان ويُوهم الاخرين بزِيّه، فيظلم نفسه. بل ربما يفتح له هذا طريقاً الى نوع من شرك خفي. نعم، انه لا يحق ان يأخذ أمرُ طاوورِ الغنائم التي حصل عليها الجنود من فتحهم قلعةً حصينة، ولا يمكنه أن يُسند إنتصارهم الى نفسه.

لأجل هذا يجب ألا يُنظر الى الاستاذ او المرشد على انه المنبع او المصدر بل ينبغي اعتباره والنظر اليه على انه مَعكس ومظهرٌ فحسب. كالمرآة التي تعكس اليك حرارة الشمس وضوءها، فمن البلاهة ان تتلقى المرآة كأنها مصدرٌ لهما فتنسى الشمس نفسها، ومن ثم تُولى اهتمامك ورضاك الى المرآة بدلاً عن الشمس!.

نعم، انه لا بد من الحفاظ على المرآة لانها مَظهرٌ يظهر تلك الصفات. فروح المرشد وقلبه مرآة، تصبح مَعكساً للفيوضات الربانية التي يفيضها الحق سبحانه عليها، فيصبح المرشد وسيلة لانعكاس تلك الفيوضات الى مريده.

#205

اللعة السابعة عشرة - ص: 205

لذا يجب ألا يُسند اليه مقام أكثر من مقام الوسيلة - من حيث الفيوضات - بل يُجتمَل ألا يكون ذلك الاستاذ الذي ينظر اليه كأنه مصدر مَظهرٌ ولا مصدرراً. وانما يرى مريده ما أخذه من فيوضات - في طريق آخر - يراها في مرآة روح شيخه، وذلك لما يحمل من صفاء الاخلاص نحوه وشدة العلاقة به ودنو صلته به وحصر نظره فيه. مثله في هذا كمثل المنوم مغناطيسياً إذ يفتح في خياله نافذةً الى عالم المثال بعد إمعانه النظر في المرآة، فيشاهد فيها مناظر غريبة عجيبة، علماً ان تلك المناظر ليست في المرآة وانما فيما وراء المرآة مما يتراءى له من نافذة خيالية التي انفتحت نتيجة إمعان النظر في المرآة.

لهذا يمكن ان يكون مريدٌ مخلصٌ لشيخ غير كامل أكمل من شيخه، فينبرى الى ارشاد شيخه، ويصبح شيخاً لشيخه.

المذكّرة الرابعة عشرة

تتضمن اربعة رموز صغيرة تخص التوحيد:

الرمز الاول:

يامن يستمد من الاسباب، إنك "تنفخ من غير ضرم وتستسمن ذا ورم"¹ اذا رأيت قصرًا عجيباً يُبنى من جواهر غريبة، لا يوجد وقت البناء بعض تلك الجواهر الأ في الصين، وبعضها الأ في الاندلس، وبعضها الأ في اليمن، وبعضها الأ في سيبيريا. واذا شاهدت ان البناء يتم على أحسن ما يكون، وتُجلب له تلك الاحجار الكريمة من الشرق والغرب والشمال والجنوب باسرع وقت وبسهولة تامة وفي اليوم نفسه.. فهل يبقى لديك ريب في ان بناء ذلك القصر باسط هيمنته على الكرة الارضية؟.

وهكذا كل كائن، بناءً، وقصر إلهي، ولاسيما الانسان. فهو من اجمل تلك القصور ومن اعجبها، لأن قسماً من الاحجار الكريمة لهذا القصر البديع من عالم الارواح، وقسم منها من عالم المثال واللوح المحفوظ، وقسم آخر من عالم الهواء، ومن عالم النور، ومن عالم العناصر. كما امتدت حاجاته الى الابد، وانتشرت آماله في اقطار السموات والارض، وشرعت روابطه وعلاقاته في طبقات الدنيا والآخرة.

¹ (نفخت في غير ضرم... مثل يضرب لمن يصنع الشيء في غير موضعه. والضرم: النار أو الحطب السريع الالتهاب، ونفخ في غير ضرم اي في مكان لا نار فيه. - المترجم.

#206

اللعة السابعة عشرة - ص: 206

فيا هذا الانسان الذي يحسب نفسه انساناً، انت قصر عجيب جداً، وعمارة غريبة جداً. فما دامت ماهيتك هكذا، فلا يكون خالقك اذاً الاً ذلك الذي يتصرف في الدنيا والآخرة ببسر التصرف في منزلين اثنين، ويتصرف في الارض والسماء كتصرفه في صحيفتين، ويتصرف في الازل والابد كأنهما الامس والغد، فلا معبود يليق بك، ولا ملجأ لك، ولا منقذ الاً ذلك الذي يحكم على الارض والسماء ويملك أزمة الدنيا والعقبى.

الرمز الثاني:

هناك بعض الحمقى يتوجهُ بحبه الى المرأة اذا ما رأى الشمس فيها. وذلك لعدم معرفته الشمس نفسها، فيحافظ على المرأة بحرص شديد لاستبقاء الشمس، ولكيلا تضيع! ولكن اذا تفتن أن الشمس لا تموت بموت المرأة، ولا تنفى بانكسارها توجهه بحبته كلها الى الشمس التي في السماء. وعندئذ يدرك أن الشمس التي تشاهد في المرأة ليست تابعة للمرأة، ولا يتوقف بقاؤها بقاء المرأة، بل ان بقاء حيوية المرأة وتلاؤها إنما هو بقاء تجليات الشمس ومقابلتها. فبقاء المرأة تابع لبقاء الشمس.

فيا ايها الانسان! ان قلبك وهويتك وماهيتك امرأة، وما في فطرتك من حبّ البقاء ليس لأجلها، بل لأجل ما فيها من تجلٍ لأسم الباقي ذي الجلال، الذي يتجلّى فيها حسب استعداد كل انسان. ولكن صرف وجه تلك

المحبة الى جهة اخرى نتيجة البلاهة. فما دام الأمر هكذا فقل: يا باقي انت الباقي. فاذا انت موجود وباقي، فليفعل
الفناء بنا ما شاء فلا نبالي بما نلاقي.

الرمز الثالث:

ايها الانسان! إن من غرائب ما أودع الفاطر الحكيم في ماهيتك انه: بينما لاتسعك الدنيا احياناً فتقول: أف!
أف! ضجراً كالمسجون المخنوق، وتبحث عن مكان اوسع منه، اذا بك تسعك خردلة من عمل، من خاطرة،
من دقيقة، حتى تنفى فيها. فقلبك وفكرك اللذان لاتسعها الدنيا الضخمة، تسعها الذرة الصغيرة، فتجول بأشد
احاسيسك ومشاعرك في تلك الخاطرة الدقيقة الصغيرة.

#207

اللمعة السابعة عشرة - ص: 207

وقد اودع البارئ سبحانه في ماهيتك أجمرةً ولطائف معنوية دقيقة، اذا ابتلع بعضها الدنيا فلا يشبع، ويضيق
بعضها ذرعاً عن ذرة ولا يتحمل شعيرة - كالعين التي لاتتحمل شعرة والرأس الذي يتحمل اثقالاً هائلة. فتلك
اللطيفة لا تتحمل ثقلاً كالشعرة الدقيقة، اي لاتتحمل حالة هينة جداً نشأت من الضلالة ونجمت من الغفلة.
بل قد تنطفئ جذوتها وتموت.

فاحذر! وخفف الوطاء، وخف من الغرق، فيغرق معك ألطف لطائفك التي تبتلع الدنيا في أكلة، او كلمة، او
لمعة، او اشارة، او بقلة، او قبلة. فهناك اشياء صغيرة جداً تتمكن - في جهة - ان تستوعب ما هو ضخماً جداً.
فانظر ان شئت كيف تغرق السماء بنجومها في مرآة صغيرة، وكيف كتب الحق سبحانه في خردلة حافظتك اكثر
ما في صحيفة اعمالك واغلب ما في صحائف اعمارك. فسبحانه من قادر قيوم!.

الرمز الرابع:

يا عابد الدنيا! ان دنياك التي تتصورها واسعةً فسيحةً ما هي الا القبر الضيق، ولكن جدرانها من مرآة تتعكس
فيها الصور، فتراه فسيحاً رحباً واسعاً مدّ البصر، فبينما منزلك هذا هو كالقبر تراه كالمدينة الشاسعة، ذلك لأن
الجدار الأيمن واليسر لتلك الدنيا والذين يمثلان الماضي والمستقبل - رغم انها معدومان وغير موجودين -
فانهما كالمراة تعكسان الصور في بعضهما البعض الآخر فتوسّعان وتبسطان اجنحة زمان الحال الحاضرة الذي هو
قصير جداً وضيق جداً. فتختلط الحقيقة بالخيال، فتري الدنيا المعدومة موجودةً. فكما ان خطأً مستقيماً وهو في
حقيقته رفيعٌ جداً، إذا ما تحرك بسرعة يظهر واسعاً كأنه سطح كبير، كذلك دنياك انت، هي في حقيقتها ضيقة
جداً، جدرانها قد توسعت ومُدّت بغفلتك وتوهم خيالك، حتى اذا ما تحرك رأسك من جراء مصيبة

اصابتك، تراه يصدم ذلك الجدار الذي كنت تتصوره بعيداً جداً. فيطير ما تحمله من خيال، ويطرد نومك.
وعندئذ تجد دنياك الواسعة أضيق من القبر، وتري زمانك وعمرك يمضي اسرع من البرق، وتنظر الى حياتك

تراها تسيل اسرع من النهر.

#208

اللمعة السابعة عشرة - ص: 208

فما دامت الحياة الدنيا والعيش المادي والحياة الحيوانية هكذا، فانسلّ اذن من الحيوانية، ودع المادية، وادخل مدارج حياة القلب.. تجد ميدان حياةٍ أرحب، وعالم نورٍ اوسع مما كنت تتوهمه من تلك الدنيا الواسعة. وما مفتاح ذلك العالم الأرحب الا معرفةُ الله، وانطاقُ اللسان وتحريك القلب، وتشغيل الروح بما تفيدته الكلمة المقدسة (لا إله الا الله) من معانٍ واسرار .

المذكّرة الخامسة عشرة

وهي ثلاث مسائل.

المسألة الاولى :¹ يا مَنْ يريد ان يرى دليلاً على حقيقة الآيتين الكريميتين: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ - وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزلزال: 7- 8) اللتين تشيران الى التجلي الأتم لاسم الله "الحفيظ". ان التجلي الاعظم لاسم الله الحفيظ ونظير الحقيقة الكبرى لهاتين الآيتين مبنوثٌ في الارحاء كافة، يمكنك أن تجده بالنظر والتأمل في صحائف كتاب الكائنات، ذلك الكتاب المكتوب على مسطر الكتاب المبين وعلى موازينه ومقاييسه.

خذ - مثلاً - عَرَفَةٌ بقبضتك من اشتات بذور الازهار والاشجار، تلك البذيرات المختلطة والحبات المختلفة الاجناس والانواع وهي المتشابهة في الاشكال والاجرام، أَدفن هذه البذيرات في ظلمات تراب بسيط جامد، ثم اسقها بالماء الذي لا ميزان له ولا يميز بين الاشياء فايما توجهه يسيل ويذهب. ثم عُدّ اليه عند الربيع الذي هو ميدان الحشر السنوي، وانظر وتأمل كيف ان مَلَك الرعد ينفخُ في صورهِ في الربيع كنفخ اسرافيل، مُنادياً المطر ومُبشراً البذيرات المدفونة تحت الارض بالبعث بعد الموت. فانت ترى ان تلك البذيرات التي هي في منتهى الاختلاط والامتزاج مع غاية

¹ اما المسألة الثانية والثالثة من هذه المذكورة، وكذلك المذكورات الباقية، فلم يدرجها الاستاذ المؤلف ضمن هذه الرسالة بل جعل كلاً منها في رسالة خاصة في «اللمعات» وهي: الاخلاص، والحجاب، والطبيعة، والاشارات الثلاث.. وغيرها. - المترجم.

#209

اللمعة السابعة عشرة - ص: 209

التشابهة تمتثل تحت انوار تجلّي اسم "الحفيظ"، إمتثالاً تاماً بلا خطأ الأوامر التكوينية الآتية اليها من بارئها

الحكيم. فتلائم أعمالها وتوافق حركاتها مع تلك الاوامر بحيث تستشف منها لمعان كمال الحكمة والعلم والارادة والقصد والشعور.

الا ترى كيف تتمايز تلك البذيرات المتماثلة، ويفترق بعضها عن البعض الآخر. فهذه البذيرة قد صارت شجرة تين تنشر نعم الفاطر الحكيم فوق رؤوسها وتنثرها عليها وتمدها اليها بايدي اغصانها. وهاتان البذيرتان المتشابهتان بها قد صارتا زهرة الشمس وزهرة البنفسج.. وامثالها كثير من الازهار الجميلة التي تتزين لأجلنا وتواجهنا بوجه طليق مبتسم متوددة اليها.. وهناك بذيرات اخرى قد صارت فواكه طيبة نشتهبها، وسنابل ملاءى، واشجاراً يافعة، تثير شهيتنا بطعومها الطيبة، وروائحها الزكية، واشكالها البديعة فتدعوننا الى انفسها، وتُقدِّمها اليها، كي تصعد من مرتبة الحياة النباتية الى مرتبة الحياة الحيوانية. حتى نمت تلك البذيرات نمواً واسعاً الى حد صارت تلك الغرفة منها - باذن خالقها - حديقة غناء وجنة فيحاء مزدهرة بالازهار المتنوعة والاشجار المختلفة، فانظر هل ترى خطأً او فطوراً (فارجع البصر هل ترى من فطور) (الملك: 3).

لقد اظهرت كل بذرة بتجلي اسم الله الحفيظ واحسانه ما ورثته من ميراث ابيها واصلها بلا نقصان وبلا التباس. فالحفيظ الذي يفعل هذا الحفظ المعجز يشير به الى إظهار التجلي الاكبر للحفيظية يوم الحشر الاكبر والقيامة العظمى.

نعم، ان اظهر كمال الحفظ والعناية في مثل هذه الامور الزائلة النافهة بلا قصور، لهو حجة بالغة على محافظة ومحاسبة ما له اهمية عظيمة وتأثير ابدى كأفعال خلفاء الارض وآثارهم، واعمال حملة الامانة واقوالهم، وحسنات عبدة الواحد الاحد وسيئاتهم..

(أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى..) (القيامة: 36) بلى إنه لمبعوثٌ الى الابد، ومرشحٌ للسعادة الابدية او الشقاء الدائم، فيحاسب على السبِّ والسبِّد¹ فاما الثواب واما العقاب.

¹ السبِّد: جمع أسباد: القليل من الشعر، يقال: «ما له سبِّدٌ ولا لبِّدٌ» أي لا شعر ولا صوف، يقال: لمن لا شيء له (انظر مجمع الامثال للميداني). - المترجم.

وهكذا فهناك ما لا يجد ولا يُعد من دلائل التجلي لإسم الله الحفيظ، وشواهد حقيقة الآية المذكورة. فهذا المثل الذي تنسج على منواله ليس الأقبضة من صبرة¹، او غرفة من بحر، او حبة من رمال الدهناء، ونقطة من تلال الفيفاء²، وقطرة من زلال السماء، فسبحانه من حفيظ رقيب وشهيد حسيب.

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

%

اللمعة الثامنة عشرة

ستدرج باذن الله ضمن مجموعة اخرى.

¹ الضُّبْرَة: ما جُمع من الطعام بلا كيل ولا وزن. - المترجم.

² الفيفاء: الصحراء الملساء، والجمع: الفيافي. - المترجم.

#211
%

اللمعة التاسعة عشرة

"رسالة الاقتصاد"

(هذه الرسالة تحضّ على الاقتصاد والقناعة وتحذّر من مغبة الاسراف والتبذير).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) (الاعراف: 31)

(هذه الآية الكريمة تلقّن درساً في غاية الاهمية وترشد إرشاداً حكيماً بليغاً بصيغة الأمر الى الاقتصاد، ونهي صريح عن الاسراف. تتضمن هذه المسألة سبع نكات).

#212

النكته الاولى

ان الخالق الرحيم سبحانه يطلب من البشرية شكراً وحمداً إزاء ما اغدق عليها من النعم والآلاء، الآ ان الاسراف منافٍ للشكر واستخفاف خاسر وخيم تجاه النعمة، بينما الاقتصاد توقيراً مريح ازاء النعمة. اجل! إن الاقتصاد كما هو شكر معنوي، فهو توقيير للرحمة الإلهية الكامنة في النعم والاحسان.. وهو سبب حاسم للبركة والاستكثار.. وهو مدار صحة الجسد كالحمية.. وهو سبيل الى العزة بالابتعاد عن ذلّ الاستجداء المعنوي.. وهو وسيلة قوية لإحساس ما في النعم والآلاء من لذة.. وهو سبب متين لتذوق اللذائذ المحبّاة في ثنايا نعمٍ تبدو غير لذيدة.. ولكون الاسراف يخالف الحكم المذكورة آنفاً باتت عواقبه وخيمة.

النكته الثانية

لقد خلق الفاطر الحكيم جسم الانسان بما يشبه قصرأ كامل التقويم وبما يماثل مدينة منتظمة الاجزاء، وجعل حاسة الذوق المغروزة في فمه كالّبواب الحارس، والاعصاب والاعوية بمثابة اسلاك هاتف وتلغراف (تم)

خلالها دورة المخابرة الحساسة بين القوة الذائقة والمعدة التي هي في مركز كيان الانسان) بحيث تقوم حاسة الذوق تلك إبلاغ ما حلّ في الفم من المواد، وتحجز عن البدن والمعدة الاشياء الضارة التي لاحاجة للجسم لها قائلة: "ممنوع الدخول" نابذة اياها، بل لاتلبث أن تدفع وتبصق باستهجان في وجه كل ما هو غير نافع للبدن فضلاً عن ضرره ومرارته.

ولما كانت القوة الذائقة في الفم تؤدي دور الحارس. وان المعدة هي سيدة الجسد وحاكمته من حيث الادارة، فلو بلغت قيمة هدية تُقدّم الى حاكم القصر مائة درجة فان خمساً منها فقط يجوز أن يعطى هبةً للحارس لا أكثر، كيلا يختال الحارس وينسى وظيفته ويقحم في القصر كل محلّ عابث يرشوه قرشاً أكثر.

#213

وهكذا، بناءً على هذا السرّ، نفترض الآن امامنا لقمتان، لقمة منها من مادة مغذية - كالجبن والبيض مثلاً - يُقدّر ثمنها بقرش واحد، واللقمة الاخرى حلوى من نوع فاخر يُقدّر ثمنها بعشرة قروش، فهاتان اللقمتان متساويتان قبل دخولهما الفم ولا فرق بينهما، وهما متساويتان كذلك من حيث إثناء الجسم وتغذيته بعد دخولهما الفم ونزولهما عبر البلعوم. بل قد يغذي الجبن - الذي هو بقرش واحد - تغذية افضل وتتمية أقوى من اللقمة الاخرى. اذن ليس هناك من فرق الا ملاطفة القوة الذائقة في الفم التي لاتستغرق سوى نصف دقيقة. فليقدر إذن مدى ضرر الاسراف ويوازن مدى التفاهة في صرف عشرة قروش بدلاً عن قرش واحد في سبيل الحصول على لذة تستغرق نصف دقيقة!

وهكذا فان اثابة الحارس تسعة اضعاف ما يُقدّم الى حاكم القصر من هدايا تُفضي به لا محالة الى الغرور والجشع وتدفعه بالتالى الى القول: انما انا الحاكم. فمن كافاه بهبة أكثر ولذة أزيد دفعه الى الداخل، مسبباً إخلال النظام القائم هناك، مضرماً فيه ناراً مستعرة وملزماً صاحبه الاستغاثة صارخاً: هيا اسرعوا الى الطبيب حالاً ليخفف شدة حرارتي ويطفئ لظى نارها.

فالاقتصاد والقناعة منسجمان انسجاماً تاماً مع الحكمة الإلهية، اذ يتعاملان مع القوة الذائقة معاملة الحارس، ويقفانها عند حدّها ويكافئانها حسب تلك الوظيفة. اما الاسراف فلأنه يسلك سلوكاً مخالفاً لتلك الحكمة، فسرعان ما يتلقّى المسرف صفعات موجعة، اذ تحدث الاختلاطات المؤلمة في المعدة التي تؤدي الى فقدان الشهية الحقيقية نحو الاكل، فيأكل بشهية كاذبة مصطنعة بتنويع الاطعمة مما يسبب عسراً في الهضم.

النكته الثالثة

قلنا في النكته الثانية آفناً: ان القوة الذائقة تؤدي دور الحارس. نعم، هي كذلك عند الغافلين الذين لم يسمّوا بعدُ روحياً والذين لم يتقدموا في مضمار الشكر والعروج في مدارجه. نعم إنه لا ينبغي اللجوء الى الاسراف - كصرف عشرة أضعاف الثمن، لأجل تلذذ تلك الحاسة الحارسة. ولكن القوة الذائقة لدى الشاكرين

حقاً ولدى اهل الحقيقة واهل القلوب واولي الابصار بمثابة راصدة وناظرة مفتشة لمطابخ الرحمة الإلهية (كما وضع ذلك في المقارنة المعقودة في الكلمة السادسة). وان ما يتم في تلك القوة الذائقة من عملية تقدير قيمة النعم الإلهية ومن التعرف عليها بأنواعها المختلفة بما فيها من موازين دقيقة حساسة عديدة بعدد الاطعمة، انما هو لإبلاغ الجسد والمعدة، بما يتم عن شكر معنوي.

فلا تقتصر وظيفة القوة الذائقة على رعاية الجسد رعاية مادية وحدها، بل هي ايضاً أرقى حكماً من وظيفة المعدة وأرفع منزلة منها، لما لها من رعاية للقلب والروح والعقل ومن عناية لكل منها، علماً أنها تستطيع ان تمضي في سبيل الحصول على لذتها - بشرط عدم الاسراف - انجازاً لمهمة الشكر الخالص المقدره لها، وبنية التعرف والاطلاع على انواع النعم الإلهية بتذوقها والشعور بها بشرط مشروعيتها وعدم كونها وسيلة للتذلل والاستجداء، اي اننا نستطيع ان نستعمل ذلك اللسان الحامل للقوة الذائقة في الشكر لاجل التفضيل بين الاطعمة اللذيذة.

واليكم هذه الحادثة اشارة الى هذه الحقيقة، وهي كرامة من كرامات الشيخ الكيلاني "قدس سره": كان لعجوز رقيقة لطيفة ابنٌ وحيد يتربى على يد الشيخ، دخلت تلك العجوز الموقرة ذات يوم على ابنها ورأت انه يأكل من كسرة خبز يابس أسمر مزاولاً رياضة روحية حتى ضعف ونحل جسمه. أثارت هذه الحالة شفقة والدته الرؤوم ورقّت لحاله فذهبت لتشتكيه الى الشيخ الكيلاني واذا بها ترى الشيخ يأكل دجاجاً مشويماً. ولشدة رقتها ولطافتها قالت: ايها الشيخ ان ابني يكاد يموت جوعاً وها انت ذا تأكل الدجاج؟! فخطب الشيخ الدجاج قائلاً: "قم بأذن الله" فوثب ذلك الدجاج المطبوخ الى خارج الوعاء بعد ان اكتمل دجاجاً حياً بالتئام عظامه. لقد نقل هذا الخبر بالتواتر المعنوي ثقاتٍ كثيرين¹ اظهاراً لكرامة واحدة من صاحب الكرامات المشهورة في العالم، الشيخ الكيلاني قدس سره. ومما قاله الشيخ لتلك العجوز: متى ما بلغ ابنك هذه الدرجة.. فليأكل الدجاج هو الآخر.

¹ وقال اليافعي رضى الله عنه: صح بالسند المتصل الى الشيخ القطب عبدالقادر الجيلاني رحمه الله تعالى: أن أم شاب عنده دخلت عليه وهو يأكل في دجاجة، فانكرت أكله الدجاجة وإطعامه ابنها أرذل الطعام، فقال لها: اذا صار ابنك بحيث يقول لمثل هذه الدجاجة قومي بأذن الله فقامت ولها اجنحة وطارت بها حق له ان يأكل الدجاج. (الفتاوى الحديثية لابن حجر ص 80) - المترجم .

فمغزى هذا الامر الصادر من الشيخ الكيلاني هو: متى حكمت روح ابنك جسده وهيمن قلبه على نفسه، وساد عقله معدته، والتمس اللذة لاجل الشكر.. عندئذ يمكنه ان يتناول ما لذ وطاب من الاطعمة.

النكتة الرابعة

ان المقتصد لا يعاني فاقة العائلة وعوزها كما هو مفهوم الحديث الشريف "لا يعول من اقتصد .¹ أجل هناك من الدلائل القاطعة التي لا يحصرها العدّ بأن الاقتصاد سبب جازم لإنزال البركة، واسباس متين للعيش الافضل. أذكر منها ما رأيته في نفسي وبشهادة الذين عاونوني في خدمتي وصادقوني باخلاص فأقول:

لقد حصلتُ احياناً وحصل اصدقائي على عشرة اضعاف من البركة بسبب الاقتصاد. حتى انه قبل تسع سنوات² عندما أصرّ عليّ قسم من رؤساء العشائر المنفيين معي الى "بور دور" على قبول زكاتهم كي يحولوا بيني وبين وقوعي في الذلة والحاجة لقلّة ما كانت عندي من النقود، فقلت لاولئك الرؤساء الاثرياء: برغم أن نقودي قليلة جداً إلا اني املك الاقتصاد، وقد تعودت على القناعة، فانا أغنى منكم بكثير. فرفضتُ تكليفهم المتكرر الملح.. ومن الجدير بالملاحظة ان قسماً من اولئك الذين عرضوا عليّ زكاتهم قد غلبهم الدين بعد سنتين، لعدم التزامهم بالاقتصاد، إلا أن تلك النقود الضئيلة قد كفتني - والله الحمد - ببركة الاقتصاد الى ما بعد سبع سنوات، فلم يَرَق مني ماء الوجه، ولم بدفعني لعرض حاجتي الى الناس، ولم يفسد عليّ ما اتخذته دستوراً لحياتي وهو "الاستغناء عن الناس".

نعم ان من لا يقتصد، مدعوّ للسقوط في مهاوي الذلّة، ومعرض للانزلاق الى الاستجداء والهوان معنيّ. ان المال الذي يستعمل في الاسراف في زماننا هذا لهو مال غالٍ وباهظ جداً، حيث تدفع احياناً الكرامة والشرف ثمناً ورشوة له، بل قد تُسلب المقدسات الدينية،

¹ (ما عال من اقتصد) رواه احمد عن ابن مسعود (كشف الحفاء، 2/189) وانظر 158/1 ايضاً.

² المقصود سنة 1926م. - المترجم.

#216

ثم يُعطى نقوداً منحوسة مشؤومة، اي يقبض بضعة قروش من نقود مادية، على حساب مئات الليرات من النقود المعنوية.

بينما لو اقتصر الانسان على الحاجات الضرورية واختصرها وحصر همّه فيها، فسيجد رزقاً يكفل عيشه من حيث لا يحتسب وذلك بمضمون الآية الكريمة:

(ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (الذاريات: 58) وأن صراحة الآية الكريمة:

(وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) (هود:6) تتعهد بذلك تعهداً قاطعاً.

نعم، ان الرزق قسمان:

القسم الاول: وهو الرزق الحقيقي الذي تتوقف عليه حياة المرء، وهو تحت التعهد الرباني بحكم هذه الآية الكريمة، يستطيع المرء الحصول على ذلك الرزق الضروري مهما كانت الاحوال، ان لم يتدخل سوء اختياره، دون ان يضطر الى فداء دينه ولا التضحية بشرفه وعزته.

القسم الثاني: هو الرزق المجازي، فالذي يسئ استعماله لا يستطيع ان يتخلى عن الحاجات غير الضرورية، التي غدت ضرورية عنده نتيجة الابتلاء ببلاء التقليد. وثن الحصول على هذا الرزق باهظ جداً ولا سيما في هذا الزمان، حيث لا يدخل ضمن التعهد الرباني، اذ قد يتقاضى ذلك المال لقاء تضحيته بعزته سلفاً راضياً بالذل، بل قد يصل به حد السقوط في هاوية الاستجداء المعنوي، والتنازل الى تقبيل اقدام أناس منحطين وضيعين، لا بل قد يحصل على ذلك المال المنحوس المحقوق بالتضحية بمقدساته الدينية التي هي نور حياته الخالدة. ثم ان الألم الذي ينتاب ذوي الوجدان من حيث العاطفة الانسانية - بما يروونه من آلام يقاسيها المحتاجون البائسون في هذا الزمان الذي خيم عليه الفقر والحاجة - يشوّب لذتهم التي يحصلونها بأموال غير مشروعة، وتزداد مرارتها ان كانت لهم ضمائر. انه ينبغي في هذا الزمان العجيب الاكتفاء بحّد الضرورة في الاموال المريبة، لانه حسب قاعدة "الضرورة تقدر بقدرها" يمكن ان يؤخذ باضطرارٍ من المال الحرام حدّ الضرورة وليس أكثر من ذلك. وليس للمضطر ان يأكل من الميتة الى حدّ الشبع، بل له ان يأكل بمقدار ما يحول بينه وبين الموت. وكذا لا يؤكل الطعام بشراهة امام مائة من الجائعين.

#217

نورد هنا حادثة واقعية للدلالة على كون الاقتصاد سبب العزة والكمال:

اقام "حاتم الطائي" المشهور بكرمه وسخائه ضيافة عظيمة ذات يوم واغدق هدايا ثمينة على ضيوفه. ثم خرج للتجوال في الصحراء، فرأى شيخاً فقيراً يحمل على ظهره حملاً ثقيلاً من الحطب والكلاً والشوك والدم يسيل من بعض جسمه.. فخاطبه قائلاً:

- ايها الشيخ، ان حاتم الطائي يقيم اليوم ضيافة كريمة ويوزع هدايا ثمينة، بادز اليه لعلك تنال منه اموالاً اضعاف اضعاف ما تناله من هذا الحمل!!

قال له ذلك الشيخ المقتصد: سأحمل حملي هذا بعزة نفسي وعرق جبيني، ولا أرضى ان أقع تحت طائل منّة حاتم الطائي.

ولما سُئل حاتم الطائي يوماً:

- من من الناس وجدتهم اعزّ منك واكرم؟

قال: ذلك الشيخ المقتصد الذي لقينته في المفازة ذات يوم، لقد رأيتته حقاً اعزّ مني واكرم.

النكتة الخامسة

ان من كمال كرم الله سبحانه وتعالى، أنه يُذيقُ لذة نعمه لأفقر الناس، كما يذيقها أغناهم، فالفقير يستشعر اللذة ويتذوقها كالسلطان.

نعم ان اللذة التي ينالها فقير من كسرة خبز اسود يابس بسبب الجوع والاقتصاد تفوق ما يناله السلطان او الثري من اكله الحلوى الفاخرة بالملل وعدم الشهية النابعين من الاسراف.

ومن العجب حقاً ان يجروُ بعض المسرفين والمبذرين على اتهام المقتصدین بالخسة.. حاش لله، بل الاقتصاد هو العزة والكرم بعينه، بينما الخسة والذلة هما حقيقة ما يقوم به المسرفون والمبذرون من سخاء ظاهري.

#218

وهناك حادثة جرت في غرفتي في "اسبارطة" في السنة التي تم فيها تأليف هذه الرسالة، تؤيد هذه الحقيقة وهي:

اصر احد طلاي اصراراً شديداً على ان أقبل هديته التي تزن اوقيتين ونصف الاوقية¹ من العسل، خرقاً لدستور حياتي،² ومهما حاولت في بيان ضرورة التمسك بقاعدتي لم يقنع، فاضطرت الى قبولها مرغماً على نية ان يشترك ثلاثة اخوة معي في الغرفة فيها ويأكلوا منه باقتصاد طوال اربعين يوماً من شهري شعبان ورمضان المبارك، ليكسب صاحبه المهدي ثواباً، ولا يبقوا دون حلاوة. لذا أوصيتهم بقبول الهدية لهم علماً اني كانت عندي أوقية من العسل..

وبرغم ان اصدقائي الثلاثة كانوا على استقامة حقاً ومن يقدرّون الاقتصاد حق قدره، إلا أنهم - على كل حال - نسوه نتيجة قيامهم باكرام بعضهم بعضاً ومراعاتهم شعور الآخرين والا يثار فيما بينهم، وامثالها من الخصال الحميدة، فانقدوا ما عندهم من العسل في ثلاث ليالٍ فقط، فقلت مبتسماً:

- لقد كانت نيتي ان اجعلكم تتذوقون طعم العسل ثلاثين يوماً او أكثر، ولكنكم انفدتموه في ثلاثة ايام فقط.. فهنيئاً لكم! في حين انني بت اصرف ما كنت املكه من العسل بالاقتصاد، فتناولته طوال شهري شعبان ورمضان، فضلاً عن انه اصبح والله الحمد سبباً لثواب عظيم، حيث اعطيت كل واحد من اولئك الاخوة ملعقة واحدة منه³ وقت الافطار.

ولربما حسب الدين شاهدوا حالي تلك انها خسة، واعتبروا اوضاع اولئك الاخوة في الليالي الثلاث حالة عزيزة من الكرم! ولكن شاهدنا تحت تلك الخسة الظاهرية عزة عالية وبركة واسعة وثواباً عظيماً من زاوية الحقيقة. وتحت ذلك الكرم والاسراف - ان لم يكن قد ترك - استجداءً وترقباً لما في ايدي الآخرين بطمع وامثالها من الحالات التي هي أدنى بكثير من الخسة.

1 الاوقية تساوي 1.280 كيلو. - المترجم.

2 وهو ان الاستاذ النورسي ما كان ليقبل الهدايا بلا مقابل. - المترجم.

3 اي ملعقة شاي كبيرة (ملعقة كوب). - المؤلف.

#219

النكته السادسة

هناك بون شاسع وفرق هائل بين الاقتصاد والحسة، اذ كما أن التواضع الذي هو من الاخلاق المحموده يخالف معنى التذلل الذي هو من الاخلاق المذمومة مع أنه يشابهه صورة. وكما ان الوقار الذي هو من الخصال الحميدة يخالف معنى التكبر الذي هو من الاخلاق السيئة مع أنه يشابهه صورة.

فكذا الحال في الاقتصاد الذي هو من الاخلاق النبوية السامية بل هو من المحاور التي يدور عليها نظام الحكمة الإلهية المهيمن على الكون، لا علاقة له أبداً بالحسة التي هي مزيج من السفالة والبخل والجشع والحرص. بل ليست هناك من رابطة بينهما قطعاً، الأ ذلك التشابه الظاهري. واليكم هذا الحدث المؤيد لهذه الحقيقة:

دخل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهو أكبر ابناء الفاروق الاعظم خليفة رسول الله ص وأحد العبادة السبعة المشهورين ومن البارزين بين علماء الصحابة الأجلاء، دخل هذا الصحابي الجليل يوماً في مناقشة حادة لدى تعامله في السوق على شئ لايساوي قرشاً واحداً، حفاظاً على الاقتصاد وصوناً للأمانة والاستقامة اللتين تدور عليهما التجارة. في هذه الاثناء رآه صحابي آخر، فظنّ فيه شيئاً من حسنة فاستعظمها منه، اذ كيف يصدر هذا الامر من ابن أمير المؤمنين وخليفة الارض. فتبعه الى بيته ليفهم شيئاً من احواله، فوجد أنه قضى بعض الوقت مع فقير عند الباب وتبادلا حديثاً في لطف ومودة، ثم خرج من الباب الثاني وتجاذب اطراف الحديث مع فقير آخر هناك. أثار هذا الامر لهفة ذلك الصحابي فأسرع الى الفقيرين للاستفسار منهما:

- هلاً تفهمني ماذا فعل ابن عمر حينما وقف معكما؟.

- لقد اعطى كلاً منا قطعة ذهب.

فراعه الامر وقال شدهأ: يا سبحان الله.. ما أعجب هذا الامر، انه يخوض في السوق في نقاش شديد لأجل قرش واحد، ثم ها هو ذا يغدق في بيته بمئات أضعافه على محتاجين اثنين عن رضى دون ان يشعر به أحد، فسار نحو ابن عمر رضي الله عنهما ليسأله:

#220

- ايها الإمام: ألا تحل لي معضتي هذه؟ لقد فعلت في السوق كذا وكذا وفي البيت كذا وكذا؟! فردّ عليه قائلاً:

- ان ما حدث في السوق هو نتيجة الاقتصاد والحصافة، فعلته صوناً للامانة وحفظاً للصدق اللذين هما اساس المبايعة وروحها وهوليس بحسنة ولا بخل، وان ما بدر مني في البيت نابع من رافة القلب ورقته ومن سمو الروح واكتمالها.. فلا ذاك حسنة ولا هذا اسراف.

واشارة الى هذا السرّ قال الامام الاعظم "ابو حنيفة النعمان" رضي الله عنه: "لا اسراف في الخير كما لا خير في الاسراف" أي كما لا اسراف في الخير والاحسان لمن يستحقه كذلك لا خير في الاسراف قط.
النكته السابعة

ان الاسراف ينتج الحرص، والحرص يولد ثلاث نتائج:
اولاها: عدم القناعة.

وعدم القناعة هذا يثني الشوق عن السعي وعن العمل، بما يبث في نفس الحريص من الشكوى بدلاً من الشكر، قاذفاً به الى احضان الكسل، فيترك المال الزهيد النابع من الكسب الحلال¹ ويبادر بالبحث عما لا مشقة ولا تكليف فيه من مال غير مشروع، فيهدر في هذه السبيل عزته بل كرامته.
النتيجة الثانية للحرص: الخيبة والخسران.

اذ يفوت مقصود الحريص ويتعرض للاستثقال ويُجرم من التيسير والمعاونة حتى يكون مصداق القول المشهور: "الحريص خائب خاسر".

ان تأثير الحرص والقناعة يجري في عالم الاحياء على وفق دستور شامل وسنة مطردة فمثلاً:

¹ اذ بسبب الابتعاد عن الاقتصاد، يكثر المستهلكون، ويقل المستحصلون، ويبدأ الجميع يشدون نظرم الى باب الحكومة، وحينها تنتكس وتتناقص الصناعة والتجارة والزراعة التي هي محور الحياة الاجتماعية ومدارها، وينهار المجتمع ويتدنّى بدوره ويغدو فقيراً معدماً.
- المؤلف.

#221

ان وصول ارزاق النباتات المضطرة الى الرزق اليها هو لقناعتها الفطرية، وسعي الحيوانات بنفسها بالحرص وراء الحصول على رزقها في عناء ونقص، بيدان مدى الضرر الجسم الكامن في الحرص، ومدى النفع العظيم الكامن في القناعة.

وان سيلان الحليب - ذلك الغذاء اللطيف - الى أفواه الصغار الضعفاء عامة ومن حيث لا يحتسبون بما يدونه من قناعة ينطق بها لسان حالهم، وانقضاض الوحوش بحرص وجشع على ارزاقها الناقصة الملوثة، يثبت ما ندّعيه اثباتاً ساطعاً.

وان اوضاع الاسماك البدينة البليدة التي تتم عن القناعة الباعثة لوصول ارزاقها اليها كاملة وعجز الحيوانات الذكية

كالثعالب والقرودة عن تحصيل غذائها كاملاً مع حرصها سعيًا وراءها وبقاءها هزيلة نحيفة، ليبيّن كذلك مدى ما يسببه الحرص من المشقة والعناء ومدى ما تسببه القناعة من الراحة والهناء.

كما ان حصول اليهود على ارزاقهم كفافاً بطرق غير مشروعة ممزوجاً بالذل والمسكنة بسبب حرصهم وتعاملهم بالربا واتباعهم اساليب المكر والخداع، وحصول البدويين المتحلين بالقناعة على رزقهم الكافي وعيشهم العيش الكريم العزيز يؤيد دعوانا ايضاً تأييداً كاملاً.

كما أن تردّي كثير من العلماء¹ والادباء² بما يمنحهم ذكاؤهم ودهاؤهم من الحرص في فقر مدقع وعيش كفاف، وغناء أكثر الاغبياء العاجزين واثرائهم لما لهم من حالة فطرية قنوعة ليثبت اثباتاً قاطعاً: ان الرزق الحلال يأتي حسب العجز والافتقار لا بالافتقار والاختيار. بل هو يتناسب تناسباً عكسياً مع الافتقار والاختيار. ذلك ان ارزاق الاطفال تتضائل وتبتعد ويصعب الوصول اليها كلما ازدادوا اختياراً واردةً واقتداراً.

1 سأل انوشيروان حاكم ايران العادل الحكيم بزرجهر: لماذا يشاهد العلماء بابواب الامراء ولا يشاهد الامراء بابواب العلماء والعلم يفوق الإمارة؟

فأجاب: ذلك من علم العلماء، وحمل الامراء.

اي: ان الامراء لا يعلمون قدر العلم، فلا يأتون ابواب العلماء لطلبه بينما العلماء يعلمون قدره، فيطلبون قيمته بابواب الامراء!

فهذا الجواب اللطيف تأويل ظريف لحرص العلماء النابع من ذكائهم المؤدي بهم الى النذل والفقر.

- خسرو.

2 هناك حادثة تؤيد هذا الحكم؛ أن الادباء في فرنسا يُمنحون وثيقة التسول لإجادتهم له.

- سليمان رشدي.

#222

نعم، ان القناعة كنز للعيش الهنيئ الرغيد ومبعث الراحة في الحياة، بينما الحرص معدن الخسران والسفالة كما يتبين ذلك من الحديث الشريف: (القناعة كنز لا يفنى).¹ النتيجة الثالثة: ان الحرص يتلف الاخلاص ويفسد العمل الاخروي؛ لانه لو وُجد حرص في مؤمن تقي لرغب في توجه الناس واقبالهم اليه، ومن يرقب توجه الناس وينتظره لا يبلغ الاخلاص التام قطعاً ولا يمكنه الحصول عليه. فهذه النتيجة ذات اهمية عظيمة جدية بالدقة والملاحظة.

محصل الكلام: ان الاسراف ينتج عدم القناعة اي الطمع، اما الطمع فيُخبث وهج الشوق والتطلع الى العمل ويقذف بالانسان الى التقاعس والكسل، ويفتح امامه ابواب الشكوى والحسرة في حياته حتى ليحمله بين

دوماً تحت مضمض الشكوى والسأم (2). كما انه يفسد اخلاصه ويفتح دونه باباً للرياء والتصنع فيكسر عزته ويريه طريق الاستجداء والاستخذاء.

اما الاقتصاد فانه يثمر القناعة، والقناعة تنتج العزة، استناداً الى الحديث الشريف: (عزَّ مَنْ قنع وَذَلَّ مَنْ طمع). كما انه يشحذ الشوق بالسعي والعمل ويحث عليها ويسوق سوقاً الى الكدّ وبذل الجهد فيهما؛ لانه اذا ما سعى المرء في يوم ما وتقاضى اجره مساءً فسيسعى في اليوم التالي له بسر القناعة التي توافرت لديه. اما المسرف فانه لايسعى في يومه الثاني لعدم قناعته وحتى اذا سعى فانه يسعى دون شوق.

وهكذا فان القناعة المستفيضة من الاقتصاد تفتح باب الشكر وتوصد باب الشكوى، فيظل الانسان في شكر وحمدٍ مدى حياته. وبالقناعة لا يتلفت الى توجه الناس اليه لإستغنائهم، فيفتح امامه باب الاخلاص وينغلق باب الرياء.

ولقد شاهدت الاضرار الجسيمة والخسائر الفادحة التي تسفر عن الاسراف وعدم الاقتصاد شاهدتها متجسدة في نطاق واسع ممتد وهي كما يأتي:

¹ حديث (القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى) رواه الطبراني في الاوسط والعسكري عن جابر، والمشهور (القناعة كنز لا يفنى) وفي القناعة احاديث كثيرة. انظر كشف الحفاء 102/1 وتمييز الطيب ص 118.

(2) نعم، اذا قابلت مسرفاً فستسمع منه حتماً الشكاوي العريضة، ومهما كان غنياً فلسانه يشكو لا محالة، بينما اذا قابلت فقيراً قانعاً فلا تسمع منه الا الحمد والشكر لله. - المؤلف.

#223

جئت الى مدينة مباركة - قبل تسع سنوات - كان الموسم شتاءً فلم اتمكن من رؤية منابع الثروة وجوانب الانتاج في تلك المدينة، قال لي مُفتيها رحمه الله: ان اهلينا فقراء مساكين. أعاد قوله هذا مراراً. أثر في هذا القول تأثيراً بالغاً مما أجاش عطفي، فبت استرحم وأتألم لأهالي تلك المدينة فيما يقرب من ست سنوات. وبعد ثماني سنوات عدتُ اليها وهي في اجواء الصيف، وأجلت نظري في بساتينها فتذكرت قول المفتي رحمه الله فقلت متعجباً:

- سبحان الله! ان محاصيل هذه البساتين وغلاتها تفوق حاجة المدينة بأسرها كثيراً، وكان حرياً بأهاليها ان يكونوا أثرياء جداً! بقيت في حيرة من هذا الامر.. ولكن ادركت بحقيقة لم تخدعني عنها المظاهر، فهي حقيقة استرشد بها في ادراك الحقائق، وهي: ان البركة قد رفعت من هذه المدينة بسبب الاسراف وعدم الاقتصاد. مما حدا بالمفتي رحمه الله الى القول: ان اهلينا فقراء ومساكين، برغم هذا القدر الواسع من منابع الثروة وكنوز الموارد.

نعم، انه ثابت بالتجربة وبالرجوع الى وقائع لا تحد بأن دفع الزكاة، والأخذ بالاقتصاد سببان للبركة والاستزادة. بينما الاسراف ومنع الزكاة يرفعان البركة.

ولقد فسّر "ابن سينا" وهو افلاطون فلاسفة المسلمين وشيخ الاطباء واستاذ الفلاسفة فسّر هذه الآية الكريمة: (وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا). من زاوية نظر الطب فقط بالآيات الآتية:

جمعتُ الطبَّ في بيتين جمعاً وحُسن القول في قِصر الكلام
فقلل إن أكلت وبعد أكل تجبّب، والشفاء في الإنضمام
وليس على النفوس أشدُّ حالاً من إدخال الطعام على الطعام.¹
واليكم هذا التوافق الغريب الباعث على الحيرة والجالب للعبرة:

انه مع قيام خمسة وستة من المستنسخين المختلفين - ثلاثة منهم لا يتقنون الكتابة- باستنساخ "رسالة الاقتصاد" فقد توافق كل (واحد وخمسين) ألفاً من ألفات كل نسخة - خالية من الدعاء - وكل (ثلاثة وخمسين) ألفاً - مع دعاء - رغم

¹ اي ان أضر شئ للجسم هو عدم اعطاء مهلة بين وجبات الطعام تتراوح بين اربع او خمس ساعات، او املاء المعدة بادخال الطعام بالتعاقب لأجل التلذذ. - المؤلف.

#224

اختلاف امكنة اولئك المستنسخين واختلاف النسخ التي كانوا ينقلون منها واختلاف خطهم في الكتابة ومع عدم التفكير في تكلم الألفات إطلاقاً!.

فان توافق عدد الألفات مع تاريخ تأليف "رسالة الاقتصاد" واستنساخها وهو بالتاريخ الرومي واحدة وخمسون (1351) وبالتاريخ الهجري ثلاث وخمسون (1353) لا يمكن ان يحال ذلك الى الصدفة دون ريب، بل هو اشارة الى صعود البركة الكامنة في (الاقتصاد) الى درجة الكرامة. وانه لحري حقاً ان يطلق على هذا العام "عام الاقتصاد".

نعم لقد اثبت الزمان فعلاً هذه الكرامة الاقتصادية وذلك عندما شهدت البشرية بعد عامين الحرب العالمية الثانية... تلك الحرب التي بثت الجوع والتخريب وضروب الاسراف المقيت في كل انحاء العالم مما أرغم البشرية على التشبث بالاقتصاد والالتفاف حوله عنوةً.

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

#225

%

اللمعة العشرون

"تخص الإخلاص"¹

"أحرز هذا البحث أهمية خاصة أهلته ليكون "اللمعة العشرين" بعد ان كان النقطة الاولى من خمس نقاط من المسألة الثانية من المسائل السبع للمذكرة السابعة عشرة من اللمعة السابعة عشرة".

بسم الله الرحمن الرحيم

(إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مُخْلِصاً له الدِّينَ _ آلاَ اللهُ الدِّينُ الخالصُ) (الزمر: 2-3)

وقال الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم: (هَلَكَ النَّاسُ إِلاَّ الْعَالِمُونَ وَهَلَكَ الْعَالِمُونَ إِلاَّ الْعَامِلُونَ وَهَلَكَ الْعَامِلُونَ إِلاَّ الْمُخْلِصُونَ وَالْمُخْلِصُونَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ) او كما قال.

تدلنا هذه الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف معاً على مدى أهمية الاخلاص في الاسلام، ومدى عظمتة اساساً تستند اليه امور الدين. فمن بين النكت التي لاحصر لها لمبحث "الاخلاص" نبين باختصار خمس نقاط فقط.

¹ تنبيه: ان ما يوجب الشكر على هذه البلدة الطيبة «اسبارطة» ان قد أتاها الله حظاً عظيماً ، فلا يبدو بين من فيها من المتقين والصالحين واهل الطرق الصوفية والعلماء اختلاف مشوب بالحسد ، حتى لو ظهر فهو اخف بكثير مما هو عليه في سائر المناطق . وعلى الرغم من ان المحبة الخالصة والاتفاق التام غير موجودين كما ينبغي فان الاختلاف المضر والحسد الممقوت مفقودان ايضاً بالنسبة للمناطق الاخرى. - المؤلف.

#226

النقطة الاولى:

سؤال مهم ومثير للدهشة:

لماذا يختلف اصحاب الدين والعلماء وارباب الطرق الصوفية وهم اهل حق ووفاق ووفاء بالتنافس والتزاحم في حين يتفق اهل الدنيا والغفلة بل اهل الضلالة والنفاق من دون مزاحمة ولا حسد فيما بينهم. مع ان الاتفاق هو من شأن اهل الوفاق والوفاء، والخلاف ملازم لاهل النفاق والشقاق. فكيف استبدل الحق والباطل مكانهما، فأصبح الحق بجانب هؤلاء والباطل بجانب اولئك؟

الجواب: سنبين سبعة من الاسباب العديدة لهذه الحالة المؤلمة التي تقض مضجع الغيارى الشهميين.

السبب الاول:

ان اختلاف اهل الحق غير نابع من فقدان الحقيقة، كما ان اتفاق اهل الغفلة ليس نابعاً من ركونهم الى الحقيقة، بل ان وظائف اهل الدنيا والسياسة والمثقفين وامثالهم من طبقات المجتمع قد تعيّنت وتميزت. فكل طائفة وجماعة وجمعية مهمة خاصة تشغل بها، وما ينالونه من اجرة مادية - لقاء خدماتهم ولإدامة معيشتهم - هي كذلك متميزة ومتعينة، كما ان ما يكسبونه من اجرة معنوية كحب الجاه وذبوع الصيت والشهرة، هي الاخرى متعينة ومخصصة ومتميزة¹. فليس هناك اذن ما يولد منافسة او مزاحمة او حسداً فيما بينهم. وليس هناك ما يوجب المناقشة والجدال، لذا تراهم يتمكنون من الاتفاق مهما سلكوا من طرق الفساد.

¹ تحذير: ان اقبال الناس وتوجههم لا يطلب، بل يوهب، ولو حصل الاقبال فلا يُسرّ به. واذا ما ارتاح المرء لتوجه الناس اليه فقد ضيع الاخلاص ووقع في الرياء.

اما التطلع الى نيل الشهرة والصيت التي تتضمن توجه الناس والرغبة في اقبالهم فهو ليس بأجرة ولا ثواب، بل عتاب وعقاب نابعان من فقدان الاخلاص.

نعم، ان توجه الناس وقبالهم لا يراد، لان ما فيه من لذة جزئية تضر بالاخلاص الذي هو روح الاعمال الصالحة، ثم انه لا يستمر الا الى حد باب القبر. فضلا عن انه يكتسب ما وراء القبر صورة الية من عذاب القبر، فلا يُرغب في توجه الناس ونيل رضاهم اذن، بل يلزم الفرار والتهيب منه. فليصغ الى هذا عباد الشهرة والمتلهفون على كسب رضى الناس - المؤلف.

#227

أما اهل الدين واصحاب العلم وارباب الطرق الصوفية فان وظيفة كل منهم متوجهة الى الجميع، وأن اجرتهم العاجلة غير متعينة وغير متخصصة، كما ان حظهم من المقام الاجتماعي وتوجه الناس اليهم والرضى عنهم لم يتخصص ايضاً.

فهناك مرشحون كثيرون لمقام واحد، وقد تمتد أيد كثيرة جداً الى اية اجرة - مادية كانت او معنوية - ومن هنا تنشأ المزاحمة والمنافسة والحسد والغيرة. فيتبدل الوفاق نفاقاً والاتفاق اختلافاً وتفرقاً.

فلا يشفى هذا المرض العضال الا مرهم الاخلاص الناجع، اي:

ان ينال المرء شرف امتثال الآية الكريمة: (إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ) (يونس: 72) بايثار الحق والهدى على اتباع النفس والهوى، وبترجيح الحق على أثره النفس.. وان يحصل له امتثال بالآية الكريمة: (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (النور: 54): باستغنائه عن الاجر المادي والمعنوي - المقبلين من الناس -¹ مدركاً ان استحسان الناس كلامه وحسن تأثيره فيهم ونيل توجههم اليه هو مما يتولاه الله سبحانه وتعالى ومن احسانه وفضله وحده، وليس داخلاً ضمن وظيفته التي هي منحصرة في التبليغ فحسب. بل لا يلزمه ذلك ولا هو مكلف

به اصلاً.

فمن وقَّه الله الى ما ذكر آنفاً يجد لذة الاخلاص، والآ يفوته الخير الكثير.

¹ لا بد من جعل شيمة "الايثار" التي تحلى بها الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم ونالوا بها ثناء القرآن الكريم نصب العين، واتخاذها دليلاً ومرشداً، وهذا يعني:

تفضيل الآخرين على النفس عند قبول الهدايا والصدقات، وعدم قبول شئ مقابل ما يقوم به المرء من خدمات في سبيل الدين، بل لا يطلبه قلباً. واذا حصل شئ من هذا القبيل فليعده احساناً الهياً محضاً، من دون البقاء تحت منة الناس. اذ ما ينبغي ان يسأل شئ في الدنيا لقاء خدمات في سبيل الدين، لئلا يضيع الاخلاص. فالامة وان كان عليها ان تضمن معاش هؤلاء، كما انهم يستحقون الزكاة، الا ان هؤلاء العاملين لا يسألون الناس شيئاً وربما يوهب لهم، حتى لو وهب لهم شئ فلا يأخذونه لقيامهم في خدمة الدين فالفضل ايثار من هم اهل لها على النفس، والرضى بما قسم الله من رزق والقناعة به، كي يحظى المرء بالثناء القرآني العظيم (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) (الحشر: 9)، وعندئذ يكون ظافراً بالاخلاص ومنقذاً نفسه من شرور هذه التهلكة الخطرة. - المؤلف.

#228

السبب الثاني:

ان اتفاق اهل الضلالة نابع من ذلتهم، بينما اختلاف اهل الهداية نابع من عزتهم، اذ لما كان اهل الدنيا والضلالة الغافلون لا يستندون الى الحق والحقيقة فهم ضعفاء واذلاء، يشعرون بحاجة ماسة الى اكتساب القوة ويتشبثون بشدة الى معاونة الآخرين والاتفاق معهم، ويحرصون على هذا الاتفاق ولو كان مسلكهم ضلالة، فكأنهم يعملون حقاً في تساندهم على الباطل، ويخلصون في ضلالهم، ويبدون ثباتاً واصراراً على إلحادهم، ويتفقون في نفاقهم، فلاجل هذا يوقفون في عملهم، لان الاخلاص التام ولو كان في الشر لا يذهب سدى، ولا يكون دون نتيجة. فما من سائل يسأل باخلاص امراً الا قضاه الله له .¹ أما اهل الهداية والدين واصحاب العلم والطريقة فلانهم يستندون الى الحق والحقيقة، ولان كلاً منهم اثناء سيره في طريق الحق لا يرجو الارضى ربه الكريم ويطمئن اليه كل الاطمئنان، وينال عزة معنوية في مسلكه نفسه، اذ حالما يشعر بضعف ينبى الى ربه دون الناس، ويستمد منه وحده القوة، زد على ذلك يرى امامه اختلاف المشارب مع ما هو عليه، لذا تراه لا يستشعر بدواعي التعاون مع الآخرين بل لا يتمكن من رؤية جدوى الاتفاق مع مخالفه ظاهراً ولا يجد في نفسه الحاجة اليه.

واذا ما كان ثمة غرور وانانية في النفس يتوهم المرء نفسه محقاً ومخالفه على باطل فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة، وعندها يفوته الاخلاص ويحبط عمله ويكون اثرأ بعد عين.

والعلاج الوحيد لهذه الحالة والحيلولة دون رؤية نتيجتها الوخيمة هو في تسعة امور آتية:

1 - العمل الايجابي البناء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون ان يرد الى تفكيره، او يتدخل في علمه عدااء الآخرين او التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم اصلاً.

¹ نعم ان "من طلب وَجَدَ وَجَدَ" دستور من دساتير الحقيقة له من السعة والشمول ما يشمل مسلكنا ايضاً .. المؤلف.

#229

2 - بل عليه ان يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الاسلام - مهما كان نوعها - والتي ستكون منابع محبة ووسائل اخوة واتفاق فيما بينها فيتنفق معها.

3- واتخاذ دستور الانصاف دليلاً ومرشداً، وهو ان صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: "ان مسلكي حق وهو افضل واجمل" من دون ان يتدخل في امر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له ان يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" او "ان الحسن والجمال في مسلكي وحده" الذي يقضي على بطلان المسالك الاخرى وفسادها.

4- العلم بان الاتفاق مع اهل الحق هو احد وسائل التوفيق الالهي وأحد منابع العزة الاسلامية.

5 - الحفاظ على الحق والعدل بايجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع اهل الحق للوقوف تجاه اهل الضلالة والباطل الذين اخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على اهل الحق - بما يتمنون به من تساند واتفاق - ثم الادراك بان اية مقاومة فردية - مهما كانت قوية - مغلوبة على امرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.

6 - ولاجل انقاذ الحق من صولة الباطل:

7 - ترك غرور النفس وحظوظها.

8 - وترك ما يُتصور خطأً انه من العزة والكرامة.

9 - وترك دواعي الحسد والمنافسة والاحاسيس النفسانية التافهة.

بهذه النقاط التسع يُظفر بالاخلاص ويوفي الانسان وظيفته حق الوفاء ويؤديها على الوجه المطلوب .¹

¹ لقد ثبت في الحديث الصحيح ان المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين الى اهل القرآن

لوقوف معاً تجاه عدوهم المشترك الزندقة، لذا فاهل الايمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة الى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون ايضاً الى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتاً كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفاعاً لعدوهم المشترك الملحد المتعدي. - المؤلف.

#230

السبب الثالث:

ان اختلاف اهل الحق ليس ناشئاً عن الوضاعة وفقدان الهمة، كما ان اتفاق اهل الضلالة ليس ناشئاً عن علو الهمة، بل ان اختلاف اهل الهداية نابع من سوء استعمال علو الهمة والافراط فيه، واتفاق اهل الضلالة مردّه الضعف والعجز الحاصلان من انعدام الهمة.

والذي يسوق اهل الهداية الى سوء استعمال علو الهمة وبالتالي الى الاختلاف والغيرة والحسد، انما هو المبالغة في الحرص على الثواب الاخروي - الذي هو في حد ذاته خصلة ممدوحة - وطلب الاستزادة منها دون قناعة وحصرها على النفس. وهذا يستدرج الحريص شيئاً فشيئاً حتى يصل به الامر ان يتخذ وضعاً منافساً ازاء اخيه الحقيقي الذي هو بأمس الحاجة الى محبته ومعاونته واخوته والاخذ بيده، كأن يقول - مثلاً - لأغتم انا بهذا الثواب، ولأرشد أنا هؤلاء الناس وليسمعوا مني وحدي الكلام، وامثالها من طلب المزيد من الثواب لنفسه. او يقول: لماذا يذهب تلاميذي الى فلان وعلان؟ ولماذا لا يبلغ تلاميذي عدد تلاميذه وزيادة؟ فتجد روح الانانية لديه - بهذا الحوار الداخلي - الفرصة سانحة لترفع رأسها وتبرز، فتسوقه تدريجياً الى التلوث بصفة مذمومة، تلك هي التطلع الى حب الجاه، فيفوته الاخلاص وينسد دونه بابه، بينما يفتح باب الرياء له على مصراعيه.

ان علاج هذا الخطأ الجسيم والجرح البليغ والمرض الروحي العضال هو:

العلم بان رضى الله لا ينال الا بالاخلاص، فرضاه سبحانه ليس بكثرة التابعين ولا باطراد النجاح والتوفيق في الاعمال، ذلك لان تكثير التابعين والتوفيق في الاعمال هو مما يتولاه الله سبحانه بفضله وكرمه، فلا يُسأل ولا يطلب بل يؤتيه الله سبحانه من يشاء.

نعم، رُبّ كلمة واحدة تكون سبباً للنجاة من النار وتصبح موضع رضى الله سبحانه، ورُبّ ارشاد شخص واحد يكون موضع رضى الله سبحانه بقدر ارشاد الف من الناس. فلا ينبغي أن تُؤخذ الكمية كثيراً بنظر الاعتبار. ثم ان الاخلاص في العمل ونشدان الحق فيه انما يُعرف بصدق الرغبة في افادة المسلمين عامةً اياً كان مصدر الاستفادة ومن اي شخص صدر. والا فحصر النظر بان

#231

يؤخذ الدرس والارشاد مني فقط لأفوز بالثواب الاخروي هو حيلة النفس وخديعة الانانية.

فيامن يحرص على المزيد من الثواب ولا يقنع بما قام به من اعمال للآخرة! اعلم ان الله سبحانه قد بعث انبياء كراماً، وما آمن معهم إلا قليل. ومع ذلك نالوا ثواب النبوة العظيم كاملاً غير منقوص. فليس السبق والفضل اذن في كثرة التابعين المؤمنين، وانما في نيل شرف رضى الله سبحانه. فمن انت ايها الحريص حتى ترغب ان يسمعك الناس كلهم، وتتغافل عن واجبك وتحاول ان تتدخل في تدبير الله وتقديره؟ اعلم واجبك، ولا تحاول ان تتدخل في تدبير الله وتقديره. اعلم ان تصديق الناس كلامك وقبولهم دعوتك وتجمعهم حولك انما هو من فضل الله يؤتيه من يشاء، فلا تُشغل نفسك فيما يخصه سبحانه من تقدير وتديير، بل اجمع همك في القيام بما انيط بك من واجب.

ثم ان الاصغاء الى الحق والحقيقة، ونوال المتكلم بهما الثواب ليس منحصرأ على الجنس البشري وحده، بل لله عباد من ذوي الشعور ومن الروحانيين والملائكة قد ملأوا اركان الكون وعمروها. فان كنت تريد مزيداً من الثواب الاخروي فاستمسك بالاخلاص واتخذ اساساً لعملك واجعل مرضاة الله وحدها الهدف والغاية في عملك، كي تحيا افراد تلك الكلمات الطيبة المنطوقة من شفقتك منتشرة في جو السماء بالاخلاص وبالنية الخالصة لتصل الى اسماع مخلوقات من ذوي المشاعر الذين لا يحصرهم العد، فتنبؤهم، وتنال بها الثواب العظيم اضغافاً مضاعفة. ذلك لانك اذا قلت: "الْحَمْدُ لِلَّهِ" مثلاً فستُكتب بأمر الله على اثر نطقك بهذه الكلمة ملايين الملايين من "الْحَمْدُ لِلَّهِ" صغيرة وكبيرة في الفضاء. فلقد خلق سبحانه ما لا يعد من الآذان والاسماع تصغي الى تلك الكلمات الكثيرة الطيبة، حيث لا عبث ولا اسراف في عمل البارئ الحكيم. فاذا ما بعث الاخلاص والنية الصادقة الحياة في تلك الكلمات المنتشرة في ذرات الهواء فستدخل اسماع اولئك الروحانيين لذينة طيبة كلذة الفاكهة الطيبة، ولكن اذا لم يبعث رضى الله والاخلاص الحياة في تلك الكلمات، فلا تستساع، بل تنبو عنها الاسماع، ويبقى ثوابه منحصرأ فيما تفوه به الفم.

فليصغ الى هذا قراء القرآن الكريم الذين يتضايقون من افتقار اصواتهم الى الجودة والاحسان فيشكون من قلة السامعين لهم!.

#232

السبب الرابع:

ان اختلاف اهل الهداية وتحاسدهم ليس كائناً من عدم التفكير في مصيرهم ولا من قصر نظرهم، كما ان الاتفاق الجاد بين اهل الضلالة ليس كائناً من القلق على المصير ولا من سمو نظرهم وعمق رؤيتهم. بل ان عجز اهل الهداية عن الثبات على الاستقامة في السير، وتقصيرهم عن الاخلاص في العمل يحرمهم من التمتع بمزايا ذلك المستوى الرفيع، فيسقطون في هوة الاختلاف رغم كونهم يسترشدون بالعقل والقلب البصيرين للعاقبة ويستفيضون من الحق والحقيقة ولا يميلون مع شهوات النفس بمقتضى أحاسيسهم الكليية عن رؤية العقبى.

اما اهل الضلالة فباغراء النفس والهوى ويمقتضى المشاعر الشهوية والاحاسيس النفسانية الكلييلة عن رؤية العقبى والتي تفضل درهما من لذة عاجلة على ابطال من الآجلة، تراهم يتفوقون فيما بينهم اتفاقاً جاداً ويجمعون حول الحصول على منفعة عاجلة ولذة حاضرة.

نعم، ان عبيد النفس السفلة من ذوي القلوب الميتة والهائمين على الشهوات الدنيئة يتحدون ويتفوقون فيما بينهم على منافع دنيوية عاجلة.. بينما ينبغي لأهل الهداية الاتفاق الجاد والاتحاد الكامل والتضحية المثمرة والاستقامة الرصينة فيما بينهم، حيث انهم يتوجهون بنور العقل وضياء القلب الى جني كمالات وثمرات اخروية خالدة آجلة، ولكن لعدم تجردهم من الغرور والكبر والافراط والتفريط يضيعون منبعاً عظيماً ثراً يمدّهم بالقوة، ألا هو الاتفاق. فيضيع بدوره الاخلاص ويتحطم، وتتضعع الاعمال الاخروية وتذهب سدى، ويصعب الوصول الى نيل رضى الله سبحانه.

وعلاج هذا المرض الوييل ودواؤه هو:

الافتخار بصحبة السالكين في منهج الحق، وربط عرى المحبة معهم تطبيقاً للحديث الشريف: "الحب في الله"¹ ثم السير من خلفهم وترك شرف الامامة لهم وترك الاعجاب بالنفس والغرور، بناء على احتمال كون سالك الحق ايأ كان هو خيراً

¹ والحب في الله والبغض في الله من الايمان. البخاري - كتاب الايمان.

#233

منه وفضل، وذلك ليسهل نيل الاخلاص. ثم العلم بأن درهماً من عمل خالص لوجه الله اولى وارجح من ابطال من اعمال مشوبة لا اخلاص فيها. ثم ايثار البقاء في مستوى التابع دون التطلع الى تسلم المسؤولية التي قلما تسلم من الاخطار.

بهذه الامور يعالج هذا المرض الوييل ويعافى منه، ويظفر بالاخلاص، ويكون المؤمن ممن ادى اعماله الاخروية حق الأداء.

السبب الخامس:

ان اختلاف اهل الهداية وعدم اتفاقهم ليس نابعاً من ضعفهم، كما أن الاتفاق الصارم بين اهل الضلالة ليس نابعاً من قوتهم. بل ان عدم اتفاق اهل الهداية ناجم عن عدم شعورهم بالحاجة الى القوة، لما يمدّهم به ايمانهم الكامل من مرتكز قوي. وان اتفاق اهل الغفلة والضلالة ناجم عن الضعف والعجز، حيث لا يجدون في وجدانهم مرتكزاً يستندون الى قوته. فلفرط احتياج الضعفاء الى الاتفاق تجدهم يتفوقون اتفاقاً قوياً، ولضعف شعور الاقوياء بالحاجة الى الاتفاق يكون اتفاقهم ضعيفاً. مثلهم في هذا كمثل الاسود والثعالب التي لا تشعر بالحاجة

الى الاتفاق فتراها تعيش فرادى، بينما الوعل والماعز الوحشي تعيش قطعاناً خوفاً من الذئاب. أي ان جمعية الضعفاء والشخص المعنوي الممثل لهم قوي كما ان جمعية الاقوياء والشخص المعنوي الممثل لهم ضعيف .¹ وهناك اشارة لطيفة الى هذا السر في نكتة قرآنية ظريفة وهي: انه اسند الفعل "قَالَ" بصيغة المذكر الى جماعة الإناث مع كونها مؤنثة مضاعفة، وذلك في قوله تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ) (يوسف:30)، بينما جاء الفعل "قالت" بصيغة المؤنث في قوله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ) (الحجرات:14)، وهم جماعة من الذكور، مما تشير اشارة لطيفة الى ان جماعة النساء الضعيفات اللطيفات تتخاشن وتتقوى وتكسب نوعاً من الرجولة، فاقترضت الحال صيغة المذكر، فجاء فعل "قال" مناسباً وفي غاية الجمال. أما الرجال الاقوياء فلانهم يعتمدون على

¹ ان ما يؤيد دعوانا هذه هو: ان اقوى المنظمات الاوربية واكثرها تأثيراً في المجتمع واشدها - من ناحية - هي منظمات النساء - وهن الجنس اللطيف - في امريكا التي تطالب بحقوق المرأة وحريتها.. وكذلك منظمات الارمن الذين هم اقلية وضعفاء بين الامم، فتراهم يبدون تضحية وبسالة فائقة. - المؤلف.

#234

قوتهم ولا سيما الاعراب البدويون فتكون جماعتهم ضعيفة كأنها تكسب نوعاً من خاصية الانوثة من توجس وحذر ولطف ولين فجاءت صيغة التأنيث للفعل ملائمة جداً في قوله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ). نعم ان الذين ينشدون الحق لا يرون وجه الحاجة الى معاونة الآخرين لما يحملون في قلوبهم من ايمان قوي يدهم بسند عظيم ويبعث فيهم التوكل والتسليم، حتى لو احتاجوا الى الآخرين فلا يتشبثون بهم بقوة . اما الذين جعلوا الدنيا همهم، فلغفلتهم عن قوة استنادهم ومركزهم الحقيقي يجدون في انفسهم الضعف والعجز في انجاز امور الدنيا، فيشعرون بحاجة ملحة الى من يمد لهم يد التعاون فيتفقون معهم اتفاقاً جاداً لا يخلو من تضحية وفداء.

وهكذا فلأن طلاب الحق لا يقدرّون قوة الحق الكامنة في الاتفاق ولا يباليون بها ينساقون الى نتيجة باطلة وخيمة تلك هي الاختلاف، بينما اهل الباطل والضلالة فلأنهم يشعرون - بسبب عجزهم وضعفهم - بما في الاتفاق من قوة عظيمة فقد نالوا امضى وسيلة توصلهم الى اهدافهم، تلك هي الاتفاق. وطريق النجاة من هذا الواقع الباطل الاليم، والتخلص من هذا المرض الفتاك، مرض الاختلاف الذي ألم بأهل الحق هو اتخاذ النهي الالهي في الآية الكريمة:

(وَلَا تَتَّزِعُوا فَتًا فَسَلُّوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ) (الانفال:46) واتخاذ الامر الرباني في الآية الكريمة: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) (المائدة:2) دستورين للعمل في الحياة الاجتماعية.. ثم العلم بمدى مايسببه الاختلاف من ضرر

بليغ في الاسلام والمسلمين ويمدى ما ييسر السبيل امام اهل الضلالة لبيسطوا ايديهم على اهل الحق.. ثم الالتحاق بقافلة الايمان التي تنشد الحق والانخراط في صفوفها بتضحية وفداء وبشعور نابع من عجز كامل وضعف تام، وذلك مع نكران الذات والنجاة من الرياء ابتغاء الوصول الى نيل شرف الاخلاص.

السبب السادس:

ان اختلاف اهل الحق ليس ناشئاً من فقدان الشهامة والرجولة ولا من انحطاط الهمة وانعدام الحمية، كما ان الاتفاق الجاد بين الغافلين الضالين الذين ييغون الدنيا في امورهم ليس ناشئاً من الشهامة والرجولة ولا من الحمية وعلو الهمة. بل ان اهل

#235

الحق وجهوا نظرهم الى ثواب الآخرة - على الاكثر - فنوزع ما لديهم من حمية وهمة وشهامة الى تلك المسائل المهمة والكثيرة، ونظراً لكونهم لا يصرفون أكثر وقتهم - الذي هو رأس مالهم الحقيقي - الى مسألة معينة واحدة، فلا ينعقد اتفاقهم عقداً محكماً مع السالكين في نهج الحق، حيث ان المسائل كثيرة والميدان واسع جداً.

اما الدينويون الغافلون، فلكونهم يحصرون نظرهم حصراً في الحياة الدنيا - فهي اكبر همهم ومبلغ علمهم - تراهم يرتبطون معها بأوثق رباط وبكل ما لديهم من مشاعر وروح وقلب. فأياً شخص يمد لهم يد المساعدة

يستمسكون بها بقوة، فهم يحصرون وقتهم الثمين جداً في قضايا دينوية لا تساوي شيئاً في الحقيقة لدى اهل الحق. مثلهم في هذا كمثل ذلك الصانع اليهودي المجنون الذي اشترى قطعاً زجاجية تافهة بأثمان الاحجار الكريمة الباهظة. فابتاع الشيء بأثمان باهظة، وصرف المشاعر كلها نحوه يؤدي حتماً الى النجاح والتوفيق ولو كان في طريق باطل، لان فيه اخلاصاً جاداً. ومن هنا يتغلب اهل الباطل على اهل الحق، فيفقد اهل الحق

الاخلاص ويسقطون في مهاوي الذل والتصنع والرياء، ويضطرون الى التملق والتزلف الى ارباب الدنيا المحرومين من كل معاني الشهامة والهمة والغيرة.

فيا اهل الحق! ويا اهل الشريعة والحقيقة والطريقة! ويا من تنشدون الحق لاجل الحق! اسعوا في دفع هذا المرض الرهيب، مرض الاختلاف بتأديكم بالادب الفرقاني العظيم، الا وهو: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) (الفرقان: 72)، فاعفوا عن هفوات اخوانكم واصفحوا عن تقصيراتهم، وغضوا ابصاركم عن عيوب بعضهم البعض الآخر، ودعوا المناقشات الداخلية جانباً. فالاعداء الخارجيون يغيرون عليكم من كل صوب، واجعلوا انقاذ اهل الحق من السقوط والذلة من اهم واجباتكم الاخروية واولاها بالاهتمام، وامثلوا بما تأمركم به مئات الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة من التآخي والتحابب والتعاون، واستمسكوا بكل مشاعركم بعري الاتفاق والوفاق مع اخوانكم في الدين ونهج الحق المبين باشد مما يستمسك به الدينويون الغافلون، واحذروا دائماً من الوقوع في شباك الاختلاف. ولا يقولن احدكم: "سأصرف وقتي الثمين في قراءة الاوراد والاذكار والتأمل، بدلاً من ان

مثل هذه الامور الجزئية" فينسحب من الميدان ويصبح وسيلة في توهين الاتفاق والاتحاد وسبباً في اضعاف الجماعة المسلمة، ذلك لان المسائل التي تظنونها جزئية وبسيطة ربما هي على جانب عظيم من الاهمية في هذا الجهاد المعنوي. فكما ان مرابطة جندي في ثغر من الثغور الاسلامية - ضمن شرائط خاصة مهمة - لساعة من الوقت قد تكون بمثابة سنة من العبادة، فان يومك الثمين هذا الذي تصرفه في مسألة جزئية من مسائل الجهاد المعنوي ولا سيما في هذا الوقت العصيب الذي عُلب اهل الحق فيه على أمرهم، اقول ان يومك هذا ربما يأخذ حكم ساعة من مرابطة ذلك الجندي، اي يكون ثوابه عظيماً، بل ربما يكون يومك هذا كآلف يوم. اذ ما دام العمل لوجه الله وفي سبيله فلا يُنظر الى صغره وكبره ولا الى سموه وتفاوته، فالذرة في سبيل رضاه سبحانه مع الاخلاص تصبح نجمة متألئة، فلا تؤخذ ماهية الوسيلة بنظر الاعتبار وانما العبرة في النتيجة والغاية، وحيث انها رضى الله سبحانه، وأن اساس العمل هو الاخلاص، فلن تكون تلك المسألة اذن مسألة صغيرة، بل هي كبيرة وعظيمة.

السبب السابع:

ان اختلاف اهل الحق والحقيقة ومنافستهم ليس ناشئاً من الغيرة فيما بينهم ولا من الحرص على حطام الدنيا، كما ان اتفاق الدنيويين الغافلين ليس من كرامتهم وشهامتهم. بل ان اهل الحقيقة لم يتمكنوا من الحفاظ على الفضائل والمكارم التي يحصلون عليها من تمسكهم بالحقيقة ولم يستطيعوا البقاء والثبات ضمن منافسة شريفة نزينة في سبيل الحق بتسلل القاصرين منهم في هذا الميدان؛ لذا فقد اساءوا - بعض الاساءة - الى تلك الصفات الحمودة، وسقطوا في الاختلاف والخلاف نتيجة التحاسد فأضروا انفسهم وجماعة المسلمين ايما ضرر. اما الضالون والغافلون فنظراً لفقدانهم المروءة والحمية لعجزهم ولذلتهم فقد مدوا ايديهم واتحدوا اتحاداً صادقاً مع اناس اياً كانوا، بل مع الدنيئين الوضيعين من الناس كيلا تفوتهم منافع يلهثون وراءها، ولا يُسخطوا اصدياقهم ورؤساءهم الذين يأتمرون بأوامرهم الى حد العبادة لاجلها، لذا اتفقوا مع من يشاركونهم في الامر اتفاقاً جاداً واجتمعوا مع من يجتمع حول تلك المنافع بأي شكل من اشكال الاجتماع، فبلغوا الى ما يصبون اليه من جراء هذا الجد والحزم في الامر.

فيا اهل الحق واصحاب الحقيقة ويا من ابتليتم ببلوى الاختلاف! لقد ضيعتم الاخلاص في هذا الظرف العصيب ولم تجعلوا رضى الله غاية مسعاكم فهدتم السبل لاسقاط اهل الحق مغلوبين على امرهم، وجرعتموهم مرارة الذل والهوان.

اعلموا انه ما ينبغي ان يكون حسد ولا منافسة ولا غيرة في امور الدين والآخرة، فليس فيها في نظر الحقيقة امثال هذه الامور. ذلك لان منشأ الحسد والمنافسة انما هو من تطاول الايدي الكثيرة على شئ واحد وحصص الانظار الى مقام واحد وشهية المعدات الكثيرة الى طعام واحد، فتؤول المناقشة والمسابقة والمزاحمة الى الغبطة والحسد. ولما كانت الدنيا ضيقة ومؤقتة ولا تشبع رغبات الانسان ومطالبه الكثيرة، وحيث ان هناك الكثيرين يتهاكون على شئ واحد، فالنتيجة اذن السقوط في هاوية الحسد والمنافسة. اما في الآخرة الفسيحة فلكل مؤمن جنة عرضها السموات والارض تمتد الى مسافة خمسمائة سنة،¹ ولكل منهم سبعون الفاً من الحور والقصور، فلا موجب هناك اذن الى الحسد والمنافسة قط، فيدلنا هذا على انه لا حسد ولا مشاحنة في اعمال صالحة تفضي الى الآخرة، اي لا مجال للمنافسة والتحاسد فيها، فمن تحاسد فهو لاشك مرء اي انه يتحرى مغامر دنيوية تحت ستار

¹ سؤال مهم وارد من جانب عظيم الاهمية: كيف تستوعب عقولنا الدنيوية القاصرة حقيقة ماروي ان المؤمن يُمنح جنة عرضها خمسمائة سنة ؟

الجواب: كما ان لكل شخص في هذه الدنيا دنيا مؤقتة خاصة به، قوامها حياته يستمتع منها بما يشاء بحواسه الظاهرة والباطنة، حتى يمكنه ان يقول: الشمس مصباح لي والنجوم قناديل لي، فلا ينازعه في ملكيته هذه وجود سائر المخلوقات وذوي الارواح، بل يعمر دنياه الخاصة ويحملونها.

كذلك الامر في الجنة - مع فارق عظيم - فلكل مؤمن - فضلا عن روضته الخاصة التي تضم الوف القصور والحدود العين - له جنة خاصة بسعة خمسمائة سنة من الجنة العامة، يستمتع بها المؤمن استمتاعاً يليق بالجنة والخلود بما تنكشف له من حواسه وتنسبط من مشاعره حسب درجة كل مؤمن، فلا ينقص وجود الاخرين معه ومشاركتهم له شيئاً من تنعمه وتلذذه وتملكه بل يعمر جنته الخاصة وجنته الواسعة ويزينونها. نعم، فكما يتمتع الانسان في الدنيا بفمه واذنه وعينه واذواقه الاخرى ومشاعره وحواسه كلها في مسافة ساعة يقضيها في حديقة، او في مسافة يوم يمضيه في سياحة، او في مسيرة شهر كامل في مملكة، او في سنة من عمره يستجم بها في رحلة وسفرة.. كذلك الامر هناك في الجنة ولكن تتمتع حاسة الذوق والشم في تلك المملكة الخالدة في مسافة سنة كاملة ما كانت تتمتع به في هذه الحياة الفانية في ساعة من حديقة غناء، وتتمتع حاسة الابصار والسمع في تلك المملكة الابدية الزاهية من اقصاها الى اقصاها ضمن رحلة امدها خمسمائة سنة تتمتعها يلائم خلودها ما تتمتع به من سياحة وتجوال ورحلات يمضيها الانسان في سنة في هذه الدنيا. فلكل مؤمن حسب درجته وحسب ما يناله من ثواب على اعماله التي قام بها في الدنيا وحسب نسبة ونوعية حسناته تنكشف مشاعره وتنسبط حواسه، فتستمتع تلك المشاعر والحواس هناك في الجنة بما يلائم خلودها. - المؤلف.

#238

الدين ويبحث عن منافع باسم العمل الصالح. او انه جاهل صادق لا يعلم اين وجهة الاعمال الصالحة ولم يدرك بعد ان الاخلاص روح الاعمال الصالحة واساسها، فيتهم سعة الرحمة الالهية كأنها لا تسعه، ويبدأ بالحسد

والمنافسة والمزاحمة منطوياً في قرارة نفسه على نوع من العداة مع اولياء الله الصالحين الصادقين.

وسأذكر هنا حادثة تؤيد هذه الحقيقة: كان احد اصدقائنا السابقين يحمل في قلبه ضغينة وعداء نحو شخص معين. وعندما أُثني على هذا الشخص امامه في مجلس وقيل في حقه: "انه رجل صالح، انه ولي من اولياء الله" رأينا ان هذا الكلام لم يثر فيه شيئاً فلم يبد ضيقاً من الشناء على عدوه. ولكن عندما قال احدهم: "انه قوي وشجاع" رأيناه قد انتفض عرق الحسد والغيرة لديه. فقلنا له: "يا هذا ان مرتبة الولاية والتقوى من اعظم المراتب في الآخرة فلا يقاس عليها شئ آخر، فأين الثرى من الثريا؟! لقد شاهدنا ان ذكر هذه المرتبة لم يحرك فيك ساكناً بينما ذكر القوة العضلية التي تملكها حتى الثيران والشجاعة التي تملكها السباع قد اثارنا فيك نوازع الحسد". اجاب: "لقد استهدفنا كلانا هدفاً ومقاماً معيناً في هذه الدنيا، فالقوة والشجاعة وامثالهما هي من وسائل الوصول الى ما استهدفناه من مرتبة دنيوية، فلاجل هذا شعرت بدواعي المنافسة والحسد. اما منازل الآخرة ومراتبها فلا تحد بحدود، وربما يصبح هناك من كان عدواً لي احب صديق واعزه.

فيا اهل الحقيقة والطريقة! ان خدمة الحق ليس شيئاً هيناً، بل هو اشبه ما يكون بحمل كنز عظيم ثقيل والقيام بالمحافظة عليه، فالذين يحملون ذلك الكنز على اكتافهم يستبشرون بأيدي الاقوياء الممتدة اليهم بالعون والمساعدة ويفرحون بها اكثر. فالواجب يحتم ان يُستقبل اولئك المقبولون بمحبة خالصة، وان يُنظر الى قوتهم وتأثيرهم ومعاونتهم اكثر من ذواتهم وان يُتلقوا بالافتخار اللائق بهم، فهم اخوة حقيقيون ومؤازرون مضحون. ولئن كان الواجب يحتم هذا، فلم اذن ينظر اليهم نظر الحسد ناهيك عن المنافسة والغيرة، حتى يفسد الاخلاص نتيجة هذه الحالة، وتكون اعمالكم ومهمتكم موضع تهم الضالين. فيضعونكم في مستوى اقل منكم واطواً من مسلككم بكثير، بل يقرونكم مع اولئك الذين يأكلون الدنيا بالدين ويضمنون عيشهم تحت ستار علم الحقيقة ويجعلونكم من المتنافسين الحريصين على حطام الدنيا، وامثالها من الاتهامات الظالمة!؟

#239

ان العلاج الوحيد لهذا المرض هو: اتهام المرء نفسه، والانحياز الى جهة رفيقه في نهج الحق الذي ازاءه وعدم الانحراف عن دستور الانصاف وابتغاء الحق، الذي ارتضاه علماء فن الآداب والمناظرة والذي يتضمن: "اذا اراد المرء ان يظهر الحق على لسانه دون غيره - في مناظرة معينة - وانسرّ لذلك واطمأن ان يكون خصمه على باطل وخطأ فهو ظالم غير منصف" فضلاً عن انه يتضرر نتيجة ذلك لانه لم يتعلم شيئاً جديداً - من تلك المناظرة - بظهور الحق على لسانه، بل قد يسوقه ذلك الى الغرور فيتضرر، بينما اذا ظهر الحق على لسان خصمه فلا يضره شئ ولا يبعث فيه الغرور بل ينتفع بتعلمه شيئاً جديداً. اي ان طالب الحق المنصف يسخط نفسه لاجل الحق، واذا ما رأى الحق لدى خصمه رضى به وارتاح اليه.

فلو اتخذ اهل الدين والحقيقة والطريقة والعلم هذا الدستور دليلاً لهم في حياتهم وعملهم فانهم يظفرون

بالاخلاص بأذن الله ويفلحون في اعمالهم الاخروية، وينجون برحمة منه سبحانه وفضله من هذه المصيبة الكبرى التي المّت بهم واحاطتهم من كل جانب.

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

#240

%

اللمعة الحادية والعشرون

"تخص الإخلاص"

"كانت هذه اللمعة المسألة الرابعة للمسائل السبع للمذكرة السابعة عشرة من اللمعة السابعة عشرة الا انها اصبحت النقطة الثانية من اللمعة العشرين. لمناسبة موضوعها - الاخلاص - وبناء على نورانيتها صارت اللمعة الحادية والعشرين، فدخلت في كتاب (اللمعات)".

[تُقرأ هذه اللمعة كل خمسة عشر يوماً في الاقل]

#241

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلَا تَنَارَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) (الانفال: 46)

(وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) (البقرة: 238)

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا _ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (الشمس: 9، 10)

(وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا) (البقرة: 41)

يا اخوة الآخرة! ويا اصحابي في خدمة القرآن! اعلموا - واتم تعلمون - ان الاخلاص في الاعمال ولا سيما الاخروية منها، هو اهم اساس، واعظم قوة، وارجى شفيق، واثبت مرتكز، واقصر طريق للحقيقة، وأبرّ دعاء معنوي، واکرم وسيلة للمقاصد، واسمى خصلة، واصفى عبودية.

فما دام في الاخلاص انوار مشعة، وقوى رصينة كثيرة امثال هذه الخواص.. ومادام الاحسان الإلهي قد التقى على كاهلنا مهمة مقدسة ثقيلة، وخدمة عامة جلييلة، تلك هي وظيفة الايمان وخدمة القرآن.. ونحن في غاية القلة والضعف والفقر، ونواجه اعداء ألداء ومضايقات شديدة، وتحيط بنا البدع والضلالات التي تصول وتجول في هذا العصر العصيب.. فلا مناص لنا إلاّ بذل كل ما في وسعنا من جهد وطاقة كي نظفر بالاخلاص.. فنحن مضطرون اليه، بل مكلفون به تكليفاً، واحوج ما نكون الى ترسيخ سر الاخلاص في ذواتنا، اذ لو لم نفض به لضع منا بعض ما كسبناه من الخدمة المقدسة - لحد الآن - ولما دامت ولا استمرت خدمتنا، ثم نحاسب عليها

حساباً عسيراً، حيث نكون ممن يشملهم النهي الالهي وتهديده الشديد في قوله تعالى: (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا) بما اخللنا بالاخلاص فأفسدنا السعادة الابدية، لاجل مطامع دنيوية دينية، مقبلة، مضرة، مكدره، لاطائل من ورائها ولا فائدة، ارضاء لمنافع شخصية جزئية تافهة، امثال الاعجاب بالنفس والرياء، ونكون ايضاً من المتجاوزين حقوق اخواننا في هذه الخدمة ومن المتعدين

#242

على نهج الخدمة القرآنية، ومن الذين اساءوا الادب فلم يقدرُوا قدسية الحقائق الايمانية وسموها حق قدرها. فيا اخوتي! ان الامور المهمة للخير والدروب العظيمة للصلاح، تعترضها موانع وعقبات مضرة كثيرة. فالشياطين يكدون انفسهم ويجهدوننا مع خدام تلك الدعوة المقدسة، لذا ينبغي الاستناد الى الاخلاص والاطمئنان اليه، لدفع تلك الموانع وصد تلك الشياطين. فاجتنبوا - يا اخوتي - الاسباب التي تقدح بالاخلاص وتثلمه كما تجتنبون العقارب والحيات. فلا وثوق بالنفس الامارة ولا اعتماد عليها قط، كما جاء في القرآن الكريم على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: (وَمَا أَبْرَىٰ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) (يوسف:53) فلا تخدعنكم الانانية والغرور ولا النفس الامارة بالسوء ابداً. ولاجل الوصول الى الظفر بالاخلاص وللحفاظ عليه، ولدفع الموانع وازالتها اجعلوا الدساتير الآتية رائدكم:

دستوركم الاول:

ابتغاء مرضاة الله في عملكم. فاذا رضى هو سبحانه فلا قيمة لإعراض العالم اجمع ولا اهمية له. واذا ما قبل هو سبحانه فلا تأثير لردّ الناس اجمعين. واذا اراد هو سبحانه واقتضته حكمته بعد ما رضى وقبل العمل، جعل الناس يقبلونه ويرضون به، وان لم تطلبوه اتم، لذا ينبغي جعل رضى الله وحده دون سواه القصد الاساس في هذه الخدمة.. خدمة الايمان والقرآن.

دستوركم الثاني:

هو عدم انتقاد اخوانكم العاملين في هذه الخدمة القرآنية، وعدم اثاره نوازع الغبطة بالتفاخر والاستعلاء. لانه كما لا تحاسد في جسم الانسان بين اليدين، ولا انتقاد بين العينين، ولا يعترض اللسان على الاذن، ولا يرى القلب عيب الروح، بل يكمل كلّ منه نقص الآخر ويستتر تقصيره ويسعى لحاجته، ويعاونه في خدمته.. والا انطفاة حياة ذلك الجسد، ولغادرته الروح وتمزق الجسم.

وكما لاحسد بين تروس المعمل ودواليبه، ولا يتقدم بعضها على بعض ولا يتحكم، ولا يدفع احدها الآخر الى التعطل بالنقد والتجريح وتتبع العورات والنقائص، ولا يثبط شوقه الى السعي، بل يعاون كل منها الآخر بكل ما لديه من طاقة موجهاً حركات التروس والدواليب الى غايتها المرجوة، فيسير الجميع الى ما وجدوا لاجله،

#243

بالتساند التام والاتفاق الكامل. فلو تدخل شئ غريب او تحكم في الامر - ولو بمقدار ذرة - لاختل المعمل واصابه العطب ويقوم صاحبه بدوره بتشتيت اجزائه وتقويضه من الاساس.

فيا طلاب رسائل النور ويا خدام القرآن! نحن جميعاً اجزاء واعضاء في شخصية معنوية جديدة بأن يطلق عليها: الانسان الكامل.. ونحن جميعاً بمثابة تروس ودواليب معمل ينسج السعادة الابدية في حياة خالدة. فنحن خدام عاملون في سفينة ربانية تسير بالامة المحمدية الى شاطئ السلامة وهي دار السلام.

نحن اذن بحاجة ماسة بل مضطرون الى الاتحاد والتساند التام والى الفوز بسر "الاخلاص" الذي يهئ قوة معنوية بمقدار الف ومائة واحد عشر "1111" ناتجة من اربعة افراد. نعم.. ان لم تتحد ثلاث "الفات" فستبقى قيمتها ثلاثاً فقط، اما اذا اتحدت وتساندت بسر العددية، فانها تكسب قيمة مائة واحد عشر "111"، وكذا الحال في اربع "اربعات" عندما تكتب كل "4" منفردة عن البقية فان مجموعها "16" اما اذا اتحدت هذه الارقام واتفقت بسر الاخوة ووحدة الهدف والمهمة الواحدة على سطر واحد فعندها تكسب قيمة اربعة آلاف واربعائة واربع واربعين "4444" وقوتها. هناك شواهد ووقائع تاريخية كثيرة جداً اثبتت ان ستة عشر شخصاً من المتأخرين المتحددين المضحين بسر الاخلاص التام تزيد قوتهم المعنوية وقيمتهم على اربعة آلاف شخص.

اما حكمة هذا السر فهي: ان كل فرد من عشرة اشخاص متفقين حقيقة يمكنه ان يرى بعين سائر اخوانه ويسمع بأذانهم. اي ان كلاً منهم يكون له من القوة المعنوية والقيمة ما كأنه ينظر بعشرين عيناً ويفكر بعشرة عقول ويسمع بعشرين اذناً ويعمل بعشرين يداً.¹

¹ نعم! كما انّ تسانداً حقيقياً، واتحاداً تاماً، نابعا من «الاخلاص» هو محور تدور عليه منافع لا تنتهي، كذلك فهو ترس عظيم، ومرتكز قوي للوقوف تجاه المخاوف العديدة، بل امام الموت، لان الموت لا يسلب الا روحاً واحدة، لأن الذي ارتبط باخوانه بسر الاخوة الخالصة في الامور المتعلقة بالآخرة وفي سبيل مرضاة الله، يحمل ارواحاً بعدد اخوانه، فيلقى الموت مبتسماً وقائلاً: لتسلم ارواحي الأخرى.. ولتبق معافاة، فانها تديم لي حياة معنوية بكسبها الثواب لي دائماً. فانا لم امت اذن. ويسلم روحه وهو قرير العين. ولسان حاله يقول: انا اعيش بتلك الارواح من حيث الثواب ولا اموت الا من حيث الذنوب والآثام.. المؤلف.

#244

دستوركم الثالث:

اعلموا ان قوتكم جميعاً في الاخلاص والحق.

نعم! ان القوة في الحق والاخلاص، حتى ان اهل الباطل يحرزون القوة لما يبدون من ثبات واخلاص في باطلهم.

نعم! ان خدمتنا هذه في سبيل الايمان والقرآن هي دليل بذاتها على ان القوة في الحق والاخلاص. فشئ يسير من الاخلاص في سبيل هذه الخدمة يثبت دعوانا هذه ويكون دليلاً عليه. ذلك: لان ما قمنا به في ازيد من عشرين سنة في مدينتي¹ وفي استانبول من خدمة في سبيل الدين والعلوم الشرعية، قد قمنا معكم باضعافه مائة مرة هنا² في غضون ثماني سنوات. علماً بأن الذين كانوا يعاونونني هناك هم أكثر مائة مرة بل الف مرة ممن يعاونونني هنا. ان خدماتنا هنا في ثماني سنوات مع اتني وحيد غريب شبه امي³ وتحت رقابة موظفين لا انصاف لهم وتحت مضايقاتهم قد اكسبتنا بفضل الله قوة معنوية اظهرت التوفيق والفلاح بمائة ضعف مما كان عليه سابقاً، لذا حصلت لدي قناعة تامة من ان هذا التوفيق الالهي ليس الا من صميم اخلاصكم.

واتني اعترف بانكم انقذتموني باخلاصكم التام - الى حد ما - من الرياء، ذلك الداء الويل الذي يداعب النفس تحت ستار الشهرة والصيت.

نسأل الله ان يوفقكم جميعاً الى الاخلاص الكامل وتقحموني فيه معكم.

تعلمون ان الامام علياً رضى الله عنه والشيخ الكيلاني قدس الله سره، قد توجهما اليكم ونظرا بعين اللطف والاهتمام والتسلية في كراماتهما الخارقة، وبياركان خدماتكم معنى. فلا يساورنكم الشك في ان ذلك التوجه والالتفات والتسلية ليس الا بما تتمتعون به من اخلاص. فان افسدتم هذا الاخلاص متعمدين، تستحقون اذن لظلماتهم. تذكروا دائماً "لطمات الرأفة والرحمة" التي هي في "اللمعة العاشرة". ولو

¹ المقصود مدينة "وان" الواقعة جنوب شرقي تركيا . - المترجم.

² المقصود قرية بارالا. - المترجم.

³ المقصود رداءة الخط . - المترجم.

#245

أردتم ان يظل هذان الفاضلان استاذين وظهيرين معنويين لكم فافظروا بالاخلاص الاتم بامثالكم الآية الكريمة: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) (الحشر:9).

أي عليكم ان تفضلوا اخوانكم على انفسكم في المراتب والمناصب والتكريم والتوجه، حتى في المنافع المادية التي تهش لها النفس وترتاح اليها. بل في تلك المنافع التي هي خالصة زكية كتعليم حقائق الايمان الى الآخرين، فلا تتطلعوا ما استطعتم ان يتم ذلك بأيديكم، بل ارضوا واطمئنوا ان يتم ذلك بيد غيركم لئلا يتسرب الاعجاب الى انفسكم.

وربما يكون لدى احدكم التطلع للفوز بالثواب وحده، فيحاول ان يبين امراً مهماً في الايمان بنفسه، فرغم ان هذا لا اثم فيه ولا ضرر فقد يعكرو صفو الاخلاص فيما بينكم.

دستوركم الرابع:

هو الافتخار شاكرين بمزايا اخوانكم، وتصورها في انفسكم، وعد فضائلهم في ذواتكم. فهناك اصطلاحات تدور بين المتصوفة أمثال: الفناء في الشيخ، الفناء في الرسول. وانا لست صوفياً، ولكن "الفناء في الاخوان" دستور جميلٌ يناسب مسلكنا ومنهجنا تماماً. اي ان يفنى كل في الاخر، اي ان ينسى كل اخ حسياته النفسانية، ويعيش فكراً مع مزايا اخوانه وفضائلهم. حيث ان اساس مسلكنا ومنهجنا هو "الاخوة" في الله، وان العلاقات التي تربطنا هي الاخوة الحقيقية، وليست علاقة الاب مع الابن ولا علاقة الشيخ مع المريد. وان كان لابد فمجرد العلاقة بالاستاذ. وما دام مسلكنا هو "الخليلية" فمشرنا اذاً "الخلّة". والخلّة تقتضي صديقاً صدوقاً، ورفيقاً مضحياً، وأخاً شهماً غيوراً.. وأس اساس لهذه الخلّة هو "الاخلاص التام". فمن يقصر منكم فيه فقد هوى من على برج الخلّة العالى، ولربما يتردى في واد سحيق، اذ لا موضع في المنتصف.

نعم! ان الطريق طريقان، فمن يفارقنا الآن في مسلك الاخلاص التام - وهو الجادة الكبرى للقرآن الكريم - فرما يكون من الذين يخدمون الاحاد اعداء القرآن دون ان يشعروا.

#246

فالذين دخلوا ميدان خدمة القرآن الكريم المقدسة بوساطة رسائل النور لا يهوون بإذن الله في مثل تلك الهاوية، بل سيمدون النور والاخلاص والايمان قوة. فيا اخوتي في خدمة القرآن!

ان اهم سبب لكسب "الاخلاص" واعظم وسيلة مؤثرة للمحافظة عليه هو: "رابطة الموت": فكما ان طول الامل يثلم الاخلاص ويفسده ويسوق الناس الى حب الدنيا والى الرياء، فان "رابطة الموت" تنقذ من الرياء، وتجعل المرابط معه يجرز الاخلاص. اذ تخلصه من دسائس النفس الأمارة، وذلك بتذكر موته وبملاحظة فناء الدنيا وزوالها. هذا ولقد اتخذ المتصوفة واهل الحقيقة العلمية "رابطة الموت" اساساً في منهج سلوكهم، وذلك بما تعلموه من الآية الكريمة:

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) (آل عمران: 185) (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ) (الزمر: 30) فازالوا بتلك الرابطة توهم البقاء وحلم الابدية الذي يولد طول الامل، حيث افترضوا خيلاً وتصوروا انفسهم امواتاً.. فالان يُغسلون.. والآن يوضعون في القبر.. وحينما يتفكرون بهذه الصورة تتأثر النفس الامارة بهذا التخيل أكثر فتتخلى شيئاً فشيئاً عن آمالها العريضة. فهذه الرابطة اذن فوائد جمّة ومنافع شتى. ويكفى ان الحديث الشريف يرشدنا اليها بقوله صلى الله عليه وسلم: (أَكْثَرُ مَا ذَكَرَ هَازِمُ اللَّذَاتِ).¹ وحيث ان مسلكنا حقيقة علمية وليست طريقة صوفية، فلا نرى انفسنا مضطرين مثلهم الى مباشرة تلك الرابطة بالافتراض والخيال. فضلاً عن ان هذا

الاسلوب لا يلائم منهج الحقيقة. اذ التفكير بالعقبى ليس هو بجلب المستقبل الى الحاضر خيلاً، بل الذهاب فكراً من الحاضر الى المستقبل، ومشاهدة المستقبل من خلال الحاضر الواقع كما هو الحقيقة، فلا حاجة الى الخيال، ولا يلزم الافتراض، اذ الانسان يمكنه مشاهدة جنازته وهي ثمرة محمولة على شجرة عمره القصير، واذا ما حول نظره قليلاً لا يرى موته

¹ اكثروا ذكر هاذم اللذات يعني الموت: رواه احمد والترمذي وحسنه. والنسائي من حديث ابي سلمة عن ابي هريرة به مرفوعاً. وصححه ابن حبان والحاكم. واعلّه الدارقطني بالارتباك. (تميز الطيب لابن الدبيع الشيباني) ومعنى هاذم: قاطع. - المترجم.

#247

وحده، بل يرى ايضاً موت عصره، حتى اذا جال بنظره اكثر يرى موت الدنيا ودمارها، وعندها يفتح امامه الطريق الى "الاخلاص التام".

والسبب الثاني في احراز الاخلاص هو: ان يكسب المرء حضوراً وسكينة بالايان التحقيقي وباللمعات الواردة عن التفكير الايماني في المخلوقات.

وهذا التأمل يسوق صاحبه الى معرفة الخالق سبحانه، فتنسكب الطمأنينة والسكينة في القلب. حقاً ان تلمع هذا النوع من التأمل في فكر الانسان يجعله يفكر دائماً في حضور الخالق الرحيم سبحانه ورؤيته له، اي انه حاضر وناظر اليه دائماً. فلا يلتفت عندئذ الى غيره، ولا يستمد من سواه. حيث ان النظر والالتفات الى ماسواه يخل بأدب الحضور وسكينة القلب. وبهذا ينجو الانسان من الرياء ويتخلص منه، فيظفر بالاخلاص باذن الله.

وعلى كل حال فان في هذا "التأمل" درجات كثيرة ومراتب عدة. فحظ كل شخص ما يكسبه، ورجح ما يستفيد منه حسب قابلياته وقدراته.

نكتفي بهذا القدر ونحيل الى رسائل النور حيث ذكرت كثيراً من الحقائق حول النجاة من الرياء واحراز الاخلاص.

سنين باختصار بعضاً من الاسباب العديدة التي تخل بالاخلاص وتمنعه، وتسوق الى الرياء وتدفع اليه: "المانع الاول للاخلاص"

الحسد الناشئ من المنافع المادية. هذا الحسد يفسد الاخلاص تدريجياً، بل يشوه نتائج العمل، بل يفوت حتى تلك المنافع المادية ايضاً.

نعم، لقد حملت هذه الامة دائماً التوقير والقدر للعاملين بجد للحقيقة والآخرة، ومدت لهم يد العون فعلاً، وذلك

بنية مشاركتهم في تلك الاعمال والخدمات الصادقة الخالصة لوجه الله. فقدمت لهم هدايا وصدقات لدفع حاجاتهم المادية ولئلا ينشغلوا بها عن خدماتهم الجليلة، فأظهروا بذلك ما يكونونه من احترام للعاملين في سبيل الله. الا ان هذه المساعدات والمنافع يجب ألا تُطلب قط، بل تُوهب. فلا يُسأل حتى بلسان الحال كمن ينتظرها قلباً. وانما تُعطى من حيث لا يحتسب وإلاّ اختلّ اخلاص المرء وانتقض، وكاد ان يدخل ضمن النهي الإلهي في قوله تعالى: (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا) فيحبط قسم من اعماله.

#248

فالرغبة في هذه المنافع المادية وترقيها بدافع من اثره النفس الامارة وحرصها على كسب المنافع لذاتها، تثير عرق الحسد وتحرك نوازعه تجاه اخيه الحقيقي وصاحبه المخلص في الخدمة الايمانية، فيفسد اخلاصه ويفقد قدسية دعوته لله، ويتخذ طوراً منفراً لدى اهل الحقيقة، بل يفقد المنافع المادية ايضاً.. وعلى كل حال فالمسألة طويلة. وسأذكر ما يزيد سرّ الاخلاص ويديم الوفاق الصادق بين اخوتي الصادقين. اذكره ضمن مثالين:

المثال الاول "لإدامة الاخلاص":

لقد اتخذ ارباب الدنيا "الاشترك في الاموال" قاعدة يسترشدون بها لاجل الحصول على ثروة طائلة او قوة شديدة، بل اتخذ من لهم التأثير في الحياة الاجتماعية - من اشخاص او جماعات وبعض الساسة - هذه القاعدة رائداً لهم. ولقد كسبوا نتيجة اتباعهم هذه القاعدة قوة هائلة وانتفعوا منها نفعاً عظيماً، رغم ما فيها من اضرار واستعمالات سيئة، ذلك لان ماهية الاشتراك لا تتغير بالمساوي والاضرار التي فيها، لأن كل شخص - وفق هذه القاعدة - يحسب نفسه بمثابة المالك لجميع الاموال، وذلك من زاوية مشاركته في المال ومن جهة مراقبته واشرافه عليه، برغم انه لا يمكنه ان ينتفع من جميع الاموال.. وعلى كل حال فان هذه القاعدة اذا دخلت في الاعمال الاخروية فستكون محوراً لمنافع جليلة بلا مساوي ولا ضرر. لان جميع تلك الاموال الاخروية تحمل سر الدخول بتمامها في حوزة كل فرد من اولئك الافراد المشتركين فيها، دون نقصان او تجزئة. ولنفهم هذا بمثال:

اشترك خمسة اشخاص في اشعال مصباح زيتي. فوقع على احدهم احضار النفط، وعلى الآخر الفتيلة، وعلى الثالث زجاجة المصباح، وعلى الرابع المصباح نفسه وعلى الاخير علبه الكبريت.. فعندما اشعلوا المصباح اصبح كل منهم مالكاً لمصباح كامل. فلو كان لكل من اولئك المشتركين مرآة كبيرة معلقة بجائط، اذن لاصبح منعكساً في مرآته مصباح كامل - مع ما في الغرفة - من دون تجزؤ او نقص..

#249

وهكذا الامر في الاشتراك في الامور الاخروية بسر الاخلاص، والتساند بسر الاخوة، وضم المساعي بسر الاتحاد، اذ سيدخل مجموع اعمال المشتركين، وجميع النور النابع منها، سيدخل بتامه في دفتر اعمال كل منهم..

وهذا امر مشهود وواقع بين اهل الحقيقة، وهو من مقتضيات سعة رحمة الله سبحانه وكرمه المطلق. فيا اخوتي!! أمل ألا تسوقكم المنافع المادية الى الحسد فيما بينكم ان شاء الله تعالى. الا انكم قد تنخدعون كما انخدع قسم من اهل الطرق الصوفية، من باب المنافع الاخروية. ولكن تذكروا.. اين الثواب الشخصي والجزئي من ذلك الثواب العظيم الناشئ في افق الاشتراك في الاعمال المذكورة في المثال، واين النور الجزئي من ذلك النور الباهر.

المثال الثاني "لإدامة الاخلاص":

يحصل الصناعيون واهل الحرف على الانتاج الوفير وعلى ثروة هائلة نتيجة اتباعهم قاعدة "المشاركة في الصنعة والمهارة". واليك المثال:

قام عشرة من صناعي ابر الخياطة بعملهم، كل على انفراد، فكانت النتيجة ثلاث ابر فقط لكل منهم في اليوم الواحد.. ثم اتفق هؤلاء الاشخاص حسب قاعدة "توحيد المساعي وتوزيع الاعمال" فأنى احدهم بالحديد والاخر بالنار، وقام الثالث بثقب الابرة والاخر ادخالها النار والاخر بدأ يجدها.. وهكذا. فلم يذهب وقت احد سدى، حيث انصرف كل منهم الى عمل معين وانجزه بسرعة، لانه عمل جزئي بسيط اولاً ولاكتسابه الخبرة والمهارة فيه ثانياً. وحينما وزعوا حصيلة جهودهم رأوا ان نصيب كل منهم في يوم واحد ثلاثمائة ابرة بدلاً من ثلاث ابر.. فذهبت هذه الحادثة انشودة يترنم بها اهل الصناعة والحرف، الذين يدعون الى توحيد المساعي وتوزيع الاعمال.

فيا اخوتي! ما دامت تحصل مثل هذه الفوائد العظيمة نتيجة الاتحاد والاتفاق في امور دينوية وفي مواد كثيفة، فكم يكون يا ترى ثواب اعمال اخروية ونورانية! وم يكون الثواب المنعكس من اعمال الجماعة كلها بالفضل الإلهي في مرآة كل فرد منها!

#250

تلك الاعمال التي لا تحتاج الى تجزئة ولا انقسام. فلکم ان تقدروا ذلك الربح العظيم.. فإن مثل هذا الربح العظيم لا يُفوّت بالحسد وعدم الاخلاص!!
"المانع الثاني للاخلاص":

هو اعطاء ما يداعب انانية النفس الامارة بالسوء وما تستشرفه من منزلة ومكانة، تتوجه اليها الانظار، وحب اقبال الناس وطلب توجههم بدافع من حب الشهرة وذياع الصيت الناشئ من التطلع الى الجاه وحبه... فكما ان هذا داء روحي وبيل، فهو باب الى "الشرك الخفي" الذي هو الرياء والاعجاب بالنفس الماحق للاخلاص. يا اخوتي! لما كان مسلكنا في خدمة القرآن الكريم مبنياً على الحقيقة وعلى الاخوة، وان سر الاخوة هو في افناء الفرد شخصيته في شخصية اخوانه¹ وايتارهم على نفسه، فما ينبغي ان يؤثر فينا مثل هذا الحسد الناجم من حب

الجاه، حيث هو مناف كلياً لمسلكننا، اذ مادامت كرامة جميع الاخوان وشرفهم تعود الى كل اخ في الجماعة، فلا يمكن ان تُضحى بتلك المنزلة الرفيعة والكرامة الفائقة والشرف المعنوي السامي للجماعة، لاجل شهرة جزئية وعزة شخصية ناجمة من الاثانية والحسد.. فأنا على ثقة وامل ان ذلك بعيد كل البعد عن طلاب النور.

نعم، ان قلوب طلاب النور وعقولهم وارواحهم لا تنحدر الى مثل هذه الامور السافلة، الا انه ما من احد الا يحمل نفساً امارة بالسوء، فقد تسري امورٌ ونوازع نفسانية في العروق وتتعلق بالاعصاب وتجري احكاماً برغم العقل والقلب والروح. فاعتماداً على ما تتركه رسائل النور فيكم من آثار، فلا اهتم قلوبكم وعقولكم وارواحكم. الا ان النفس والهوى والحس والوهم قد يُخدع؛ لذا يأتيكم التحذير والتنبيه احياناً بشدة وعنف. فتلك الشدة موجهة الى النفس والهوى والحس والوهم، فكونوا على حذر دائماً.

نعم لو كان مسلكننا طريقة خاصة ومشیخة، لكان هناك اذاً مقام واحد، او عدد محدود منه، ولكن هناك مرشحون كثيرون لذلك المقام. وعندها كان يمكن ان تحدث الغبطة والاثانية في النفوس. ولكن مسلكننا هو الاخوة، لا غير. فلا يدعي

¹ نعم، ان السعيد هو مَنْ يرمي شخصيته، ويذيب انايته التي هي كقطعة ثلج في الحوض العظيم اللذيذ المترشح من كثر القرآن الكريم كي يغتم ذلك الحوض. - المؤلف.

#251

الاخ على اخيه الابوة، ولا يتزيا بزبي المرشد له. فالمقام هنا في الاخوة فسيح واسع، لا مجال فيه للمزاحمة بالغبطة، وان كان لا بد فالاخ معاون لاخيه مكمل لعمله، وظهير له.

ومما يدل على ان في المسالك التي فيها مقام الابوة والارشاد والاستاذية نتائج خطيرة مهلكة تنجم من المنافسة والحسد حرصاً على الثواب وتطلعاً الى علو الهمة، اقول ان الدليل على ذلك هو تلك الاختلافات والمشاحنات الدائرة في ثنايا المزايا الجليلة والمنافع العظيمة التي يتمتع بها اهل الطرق الصوفية، والتي ادّت بهم الى نتائج وخيمة جعلت قواهم السامية الهائلة لا تثبت امام اعاصير البدع.

"المانع الثالث للاخلاص":

هو الخوف والطمع. نحيل الى رسالة "الهجمات الست" ¹ حيث شرحت هذا المانع مع موانع اخرى بوضوح تام.

نسأل الله الرحمن الرحيم سبحانه مشفقين جميع اسمائه الحسنی أن يوفقنا الى الاخلاص التام. آمين.

اللَّهُمَّ بِحَقِّ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ الْمُخْلِصِينَ.

آمين.. آمين.

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

1 وهي القسم السادس من المكتوب التاسع والعشرين الذي كتب تنبيهاً لتلاميذ القرآن عن ست من دسائس الشيطان - المترجم.

#252

رسالة خاصة الى قسم من اخواني

سأذكر نكتة لطيفة لحديثين شريفيين لاولئك الاخوة الذين يملّون من كتابة رسائل النور، والذين يفضّلون قراءة الاوراد في الشهور الثلاثة وهي شهور العبادات على كتابة رسائل النور التي تعدّ عبادة بخمس جهات .
1 الحديث الاول: (يُوزن مداد العلماء بدماء الشهداء) 2 او كما قال. اي ان ما يصرفه علماء الحقيقة من حبر يوزن يوم القيامة مع دماء الشهداء ويعادلها.

الحديث الثاني: (مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فِسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ) او كما قال، اي ان من يتمسك بالسنة الشريفة والحقائق القرآنية وعمل لأجلها عند استيلاء البدع وتغلب الضلالة ، فله أجر مائة شهيد.
فيأمن يملّ تكاسلاً عن الكتابة ويا ايها الاخوة الذين ينحون منحى التصوف! ان حصيلة مفهومي الحديثين الشريفين هي ان درهماً مما يقطر من نور اسود وماء باعث للحياة من الاقلام المباركة الزكية لاولئك الذين يخدمون حقائق الايمان واسرار الشريعة والسنة النبوية الشريفة في مثل هذه الظروف يمكن ان يفيد كمائة درهم من

1 لقد سألتنا استاذنا عن الانواع الخمسة من العبادة اشار اليها في هذه الرسالة القيمة، ندرج ايضاحه ادناه:

- 1- انها جهاد معنوي تجاه اهل الضلالة، ذلك الجهاد الاهم.
 - 2- انها خدمة لاستاذه ومعاونة له على نشر الحقيقة.
 - 3- انها خدمة للمسلمين كافة من حيث الايمان.
 - 4- انها تحصيل للعلم بالكتابة.
 - 5- انها عبادة فكرية التي قد تكون ساعة منها بمثابة سنة من العبادة.
- «رشدي، خسرو، رأفت».

2 (نص الحديث: (يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء، فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء) رواه الشيرازي في كتاب الالقاب عن أنس والموهبي في فضل العلم عن عمران بن حصين وابن الجوزي في كتاب العلل عن النعمان بن بشير . قال المناوي في فيض القدير (466/6) اسانيد ضعيفة لكن يقوي بعضها بعضاً وذكره العجلوني في كشف الخفاء

(561/2) واورده الغزالي في الإحياء في كتاب العلم قال العراقي، سنده ضعيف. وانظر السيوطي في الجامع الصغير (10026) وتميز الطيب ص 201 وضعيف الجامع الصغير برقم 6464.

#253

دم الشهداء يوم الحشر الاكبر.

فاسعوا يا اخوتي لتظفروا بهذا الثواب العظيم.

فان قلت: ان ما ورد في الحديث هو العالم بينما قسم منا كتاب فحسب؟

الجواب: ان الذي يقرأ هذه الرسائل، وهذه الدروس في غضون سنة واحدة ويفهمها ويقبل بها، يمكن ان يكون عالماً مهماً ذا حقيقة في هذا الزمان. واذا ما قرأها ولم يفهمها، فان طلاب النور الذين لهم شخصية معنوية، لاشك انها احد علماء هذا الزمان. أما اقلامكم فهي اصابع تلك الشخصية الحقيقية، وهب انكم قد ارتبطتم بهذا الفقير ومنحتموه بحسن ظنكم مكانة عالم واستاذ في نظركم وان كنت ارى اني لا استحقها ولكن لما كنت امياً لا اجيد الكتابة، فان اقلامكم تعدّ اقلامي انا. فتثابون بالاجر المبين في الحديث الشريف.

سعيد النورسي

#254

%

اللمعة الثانية والعشرون

باسمه سبحانه

هذه الرسالة الصغيرة التي كتبتها قبل اثنتين وعشرين سنة، وانا نزيل ناحية "بارالا" التابعة لولاية اسبارطة، هي رسالة خاصة لأخلص اخوتي واخصهم. وقد كتبتها في غاية السرية ومنتهى الكتمان. ولكن لما كانت ذات علاقة بأهالي "اسبارطة" والمسؤولين فيها، فاني اقدمها الى واليها العادل والى مسؤولي دوائر العدل والامن والانضباط فيها. واذا ما ارتوي انها تستحق الطبع، فلتطبع منها نسخ معدودة بالحروف القديمة او الحديثة بألة الطباعة كي يعرف اولئك المترصدون الباحثون عن اسراري منذ اكثر من خمس وعشرين سنة، أنه لا سر لنا في الخفاء، وان اخفي اسرارنا هو هذه الرسالة.

سعيد النورسي

الاشارات الثلاث

كانت هذه الرسالة المسألة الثالثة من المذكرة السابعة عشرة لللمعة السابعة عشرة، إلا ان قوة اسئلتها وشمولها وسطوع اجوبتها وسدادها جعلتها اللمعة الثانية والعشرين من المکتوب الحادي والثلاثين، فدخلت ضمن

"اللمعات" وامتزجت بها. وعلى "اللمعات" ان تفسح لها موضعاً بينها، فهي رسالة سرية خاصة لأخص اخواننا واخلصهم واصدقهم.

#255

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (الطلاق:3)

هذه المسألة ثلاث اشارات

الإشارة الاولى:

سؤال مهم يخصني بالذات ويخص رسائل النور. يقول كثيرون:

لم يتدخل اهل الدنيا بامور آخرتك كلما وجدوا لهم فرصة، مع أنك لاتتدخل في شؤون دنياهم؟ علماً انه لا يمَس قانون اية حكومة كانت شؤون تاركي الدنيا المعتزلين الناس!

الجواب: ان جواب "سعيد الجديد" عن هذا السؤال هو: السكوت؛ اذ يقول: لِيُجِبْ عَنِي الْقَدْرُ الْإِلَهِيُّ. ومع هذا يقول بعقل "سعيد القديم" الذي اضطر الى استعارته: ان الذي يجيب عن هذا السؤال هو حكومة محافظة اسبارطة واهالي هذه المحافظة؛ لان هؤلاء - المسؤولين والناس كافة - أكثر علاقة مني بالمعنى الذي ينطوي عليه السؤال.

وما دامت حكومة افرادها يربون على الالوف، واهلون يزيدون على مئات الالوف مضطرين الى التفكير والدفاع عوضاً عني، فلم اذاً احاور - دون جدوى - المدّعين دفاعاً عن نفسي؟.

فها أنذا منذ تسع سنوات في هذه المحافظة، وكلما مرّ الزمان ادرت ظهري الى دنياهم. ولم تبقى لي حال من احوالي مخفية عنهم مستورة عليهم، بل حتى اخص رسائلها وأكثرها سرية يتداولها المسؤولون في الدولة وهي في متناول عدد من النواب. فلو كان لي شيء من تدخلٍ او محاولة ما لتعكير صفو دنياهم والاخلال بها، او حتى التفكير في هذا الامر، لما آثر المسؤولون في هذه المحافظة والاقضية السكوت تجاهي وعدم الاعتراض عليّ على الرغم من مراقبتهم اياي وترصدهم لي وتجسسهم عليّ

#256

طوال تسع سنوات، وعلى الرغم من انني ابوح دون تردد بأسراري الى من يزورني.

فان كان لي عمل مخل بسعادة الامة وسلامة الوطن ويلحق الضرر بمستقبلها، فالمسؤول عنه جميع افراد الحكومة طوال تسع سنوات ابتداءً من المحافظ الى اصغر موظف في مخفر القرية.

فعلى هؤلاء جميعاً يقع الدفاع عني، وعليهم ان يستصغروا ما استهوله واستعظمه الآخرون، وذلك لينجوا من تبعات المسؤولية. ولاجل هذا احيل جواب هذا السؤال اليهم.

أما ما يدفع مواطني هذه المحافظة عامة للدفاع عني أكثر من نفسي فهو:

ان هذه تسع سنوات، ومئات الرسائل التي نسعى لنشرها، قد اثبتت تأثيرها في هذا الشعب الاخ الصديق المبارك الطيب، واطهرت مفعولها الفعلي والمادي في حياته الابدية وفي دعم قوة ايمانه وسعادة حياته، ومن غير ان تمس احداً بسوء أو تولد اي اضطراب او قلق كان، اذ لم يشاهد منها ما يومية الى غرض سياسي ونفع دينوي مهما كان، حتى ان هذه المحافظة، اسبارطة، قد اكتسبت ولله الحمد بوساطة رسائل النور مقام البركة من حيث قوة الايمان والصلابة في الدين، من نوع البركة التي نالتها الشام الطيبة في السابق ومن نوع بركة الجامع الازهر الذي هو مدرسة العالم الاسلامي عامة.

فهذه المحافظة لها فضل ومزية على المحافظات الاخرى، حيث قد كسبت من رسائل النور التمسك باذيال الدين، فتهيمن فيها قوة الايمان ازاء الاهمال، وتسيطر فيها الرغبة في العبادة تجاه السفه والغي؛ ولاجل هذا كله فالناس كلهم في هذه المحافظة، حتى لو كان فيهم ملحد (فرضاً) مضطرون الى الدفاع عني وعن رسائل النور. وهكذا لا يسوقني حقي الجزئي الذي لا اهمية له ضمن حقوق دفاع ذات أهمية الى هذا الحد، ان ادافع عن نفسي ولا سيما انني قد انتهيت خدماتي ولله الحمد ويسعى لها الوف من الطلاب عوضاً عن هذا العاجز. فمن كان له وكلاء دعوى ومحامون يربون على الالوف، لا يدافع عن دعواه بنفسه.

#257

الإشارة الثانية:

جواب عن سؤال يتسم بالنقد.

يقال من جانب اهل الدنيا:

لِمَ استأت متاً وسكتت فلا تراجعنا ولو لمرة واحدة. ثم تشكو منا شكاية شديدة قائلاً: "اتم تظلمونني". فنحن اصحاب مبدأ، لنا دساتيرنا الخاصة نسير في ضوئها على وفق ما يتطلبه هذا العصر بينما انت لا تنفذ هذه الدساتير على نفسك وترفضها، علماً أن من ينفذ القانون لا يكون ظالماً، بينما الراض له يكون عاصياً. ففي عصرنا هذا، عصر الحرية - مثلاً - وفي عهد الجمهوريات التي بدأنا به حديثاً يجري دستور رفع الاكراه والتسلط على الاخرين. اذ المساواة قانون اساس لدينا، بينما انت تكسب اقبال الناس نحوك وتلفت انظارهم اليك تارة بزي العلم واخرى بالتزهد، فتحاول تكوين قوة وكسب مقام خارج نطاق نفوذ الدولة.

هكذا يفهم من ظاهر حالك وهكذا يدلنا مجرى حياتك السابقة. فهذه الحالة ربما تستصوب في نطاق تحكّم البرجوازيين - بالتعبير الحديث - الا ان صحوة طبقة العوام وتغلبها جعلت جميع دساتير الاشتراكية والبلشفية تسيطر وتهيمن، وهي التي تلائم امورنا أكثر من غيرها. فنحن في الوقت الذي رضينا بدساتير الاشتراكية نشمئز من اوضاعك، اذ هي تخالف مبادئنا. لذا لاحق لك في الاستياء منا ولا الشكوى من مضايقاتنا لك.

الجواب: ان من يشق طريقاً في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة، لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه في امور الخير والرقى ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون جميع اعماله في سبيل التخريب والشر.

فما دام الانسجام مع قانون الفطرة ضرورياً، فان تنفيذ قانون المساواة المطلقة لا يمكن الا بتغيير فطرة البشر ورفع الحكمة الاساسية في خلق النوع البشري.

نعم! انني من حيث النسب ونمط معيشة الحياة من طبقة العوام، ومن الراضين بالمساواة في الحقوق فكراً ومشرباً، ومن العاملين على رفض سيطرة طبقة الخواص

#258

المسمين بالبرجوازيين واستبدادهم منذ السابق وذلك بمقتضى الرحمة وبموجب العدالة الناشئة من الاسلام.

لذا فانا بكل ما اوتيت من قوة بجانب العدالة التامة، وضد الظلم والسيطرة والتحكم والاستبداد.

بيد ان فطرة النوع البشري وحكمة خلقه تخالفان قانون المساواة المطلقة، اذ الفاطر الحكيم سبحانه كما يستحصل من شئ قليل محاصيل كثيرة، ويكتب في صحيفة واحدة كتباً كثيرة، ويُجري بشئ واحد وظائف جمّة، كذلك يُنجز بنوع البشر وظائف الوف الانواع، وذلك اظهاراً لقدرته الكاملة وحكمته التامة.

فلاجل تلك الحكمة العظيمة، خلق سبحانه الانسان على فطرة جامعة، لها من القدرة ما يثمر الوف سنابل الانواع، وما يعطى طبقات كثيرة بعدد انواع سائر الحيوانات؛ اذ لم يحدّد سبحانه قوى الانسان ولطائفه ومشاعره كما هو الحال في الحيوانات، بل اطلقها واهباً له استعداداً يتمكن به من السياحة والجولان ضمن مقامات لاتحد، فهو في حكم الوف الانواع، وان كان نوعاً واحداً.

ومن هنا اصبح الانسان في حكم خليفة الارض.. ونتيجة الكون.. وسلطان الاحياء.. وهكذا فان اجلّ خميرة لتنوع النوع البشري واهم نابض محرك له هو التسابق لإحراز الفضيلة المتسمة بالايان الحقيقي. فلا يمكن رفع الفضيلة الا بتبديل الماهية البشرية واخاد العقل وقتل القلب وافناء الروح.

"لا يمكن بالظلم والجور محو الحرية

ارفع الادراك ان كنت مقتدرًا من الانسانية!"

هذا الكلام الرصين أثير خطأً في وجه رجل ذي شأن ما كان يليق به مثل هذه الصفحة، بل جدير بهذا الكلام أن يصفع به الوجه الغدار لهذا العصر الحامل لاستبداد رهيب يتستر بهذه الحرية.

فانا اقول بدلاً من هذا الكلام:

لا يمكن بالظلم والجور محو الحقيقة

إرفع القلب ان كنت مقتدرًا من الانسانية!

#259

او اقول:

لا يمكن بالظلم والجور نحو الفضيلة

إرفع الوجدان ان كنت مقتدرًا من الانسانية!

نعم! ان الفضيلة المتسمة بالايان، كما لا تكون وسيلة للاكراه، لا تكون سبباً للاستبداد قطعاً. اذ الاكراه والقسر والتسلط على الآخرين، رذيلة ليس الآ، بل ان اهم مشرب لدى اهل الفضيلة هو الاندماج في المجتمع بالعجز والفقر والتواضع. ولقد مضت حياتنا والله الحمد وما زالت كذلك تمضي على وفق هذا المشرب. فانا لا ادعي متفاخرًا اني صاحب فضيلة، ولكن اقول تحدثًا بنعمة الله عليّ وبنية الشكر له سبحانه: قد احسن اليّ جلّ وعلا بفضله وكرمه فوفقني الى العمل للعلوم الايمانية والقرآنية وادراكها وفهمها. فصرفت طوال حياتي - لله الحمد - هذا الاحسان الإلهي بتوفيق منه تعالى، في مصالح هذه الامة المسلمة وبذلتته في سبيل سعادتها، ولم يك في اي وقت كان وسيلة للاكراه والتسلط على الآخرين. كما اني - بناء على سرّ مهم - أنفر من اقبال الناس وجلب استحسانهم المرغوبين لدى اهل الغفلة؛ اذ قد ضيّعنا عليّ عشرين سنة من عمري السابق، فلهذا أعدّها مضرّين لي. الآ اني اراهما أمانة على اقبال الناس على رسائل النور فلا أسخطهم.

فيا اهل الدنيا!

في الوقت الذي لا تدخل في دنياكم قط؛ ولا علاقة لي بأية جمعة كانت بمبادئكم. ولست عازماً على التدخل مجدداً بالدنيا، بل ولا لي رغبة فيها اصلاً كما تشهد بذلك حياتي، هذه التي قضيتها اسير المنفى طوال تسع سنوات. فلماذا تنظرون اليّ وكأنني متجبرّ سابق، يضرر التسلط على الآخرين ويتحين الفرص لذلك. بأي قانون يُجرى وعلى اية مصلحة يُبنى هذا المدى من الترصّد والمراقبة والعنت؟

فلا توجد في العالم كله، حكومة تعمل فوق القانون، وتسمح بهذه المعاملة القاسية التي اعامل بها والتي لا يرضى بها فرد مهما كان.

فهذه المعاملات السيئة التي تعاملوني بها لاتولد سخطي وحده، بل سخط نوع الانسان - إن ادرك - بل سخط الكائنات.

#260

الاشارة الثالثة:

سؤال يرد على وجه البلاهة والجنون وينطوي على مغالطة.

يقول قسم من افراد الدولة واهل الحكم:

ما دمت قائماً في هذه البلاد، فعليك الانقياد لقوانين الجمهورية الصادرة فيها، فلماذا تنجي نفسك من تلك القوانين تحت ستار العزلة عن الناس.

فمثلاً: ان من يجري نفوذه على الآخرين خارج وظيفة الدولة منتقداً فضيلة ومزية لنفسه ينافي قانون الحكومة الحاضرة ودستور الجمهورية المبني على اساس المساواة. فلماذا تتقلد صفة من يريد جلب الاعجاب بنفسه وكأن على الناس الانقياد له وطاعته. وتجعلهم يقبلون يدك مع أنك لا وظيفة لك في الدولة؟

الجواب: ان على منقذي القانون تنفيذه على انفسهم اولاً ثم يمكنهم اجراؤه على الآخرين. فاجراء دستور على الآخرين دون انفسكم يعني مناقضتكم لدستوركم وقانونكم قبل كل احد لانكم تطلبون اجراء قانون المساواة المطلقة هذا علىّ بينما لم تطبقوه اتم على انفسكم.

وانا اقول: متى ما صعد جندي اعتيادي الى مقام المشير الاجتماعي، وشارك المشير فيما يوليه الناس من احترام واجلال، ونال مثله ذلك الاقبال والاحترام.. او متى ما صار المشير جندياً اعتيادياً وتقلد احواله الخادمة، وفقد اهميته كلها خارج وظيفته.. وايضاً متى ما تساوى رئيس ذكي لاركان الجيش قادم الى النصر مع جندي بليد في اقبال الناس عامة والاحترام والمحبة له، فلکم ان تقولوا حينذاك، حسب قانونكم، قانون المساواة: لاتسم نفسك عالماً. ارفض احترام الناس لك، انكر فضيلتك، اخدم خادمك، رافق المتسولين.

فان قلت: ان هذا الاحترام والمقام والاقبال الذي يوليه الناس، انما هو خاص بالموظفين واثناء مزاولتهم مهنتهم، بينما انت انسان لا وظيفة لك، فليس لك ان تقبل احترام الامة كالموظفين.

فالجواب: لو اصبح الانسان مجرد جسد فقط.. وظل في الدنيا خالداً مخلداً.. وأغلق باب القبر.. وقتل الموت.. فانحصرت الوظائف في العسكرية والموظفين

#261

الاداريين.. فكلامكم اذاً يعني شيئاً. ولكن لما كان الانسان ليس مجرد جسد، ولا يُجرد من القلب واللسان والعقل ليعطى غذاءً للجسد، فلا يمكن افناء تلك الجوارح. فكل منها يطلب التغذية والعناية. ولما كان باب القبر لا يغلق، بل ان اجلّ مسألة لدى كل فرد هو قلقه على ما وراء القبر. لذا لاتنحصر الوظائف التي تستند الى احترام الناس وطاعتهم في وظائف اجتماعية وسياسية وعسكرية تخص حياة الامة الدنيوية. اذ كما ان تزويد المسافرين بتذاكر سفر وجواز مرور وظيفة، فان منح وثيقة سفر للمسافرين الى ديار الابد ومناولتهم نوراً لتبديد ظلمات الطريق وظيفة جليلة، بحيث لا تترقى اية وظيفة اخرى الى اهميتها. فانكار وظيفة جليلة كهذه لا يمكن الا بانكار الموت، وبتكذيب شهادة ثلاثين الف جنازة يومياً تُصدق دعوى: أن الموت حق.

فما دامت هناك وظائف معنوية تستند الى حاجات ضرورية معنوية، وان اهم تلك الوظائف هي الايمان وتقويته والارشاد اليه، اذ هو جواز سفر في طريق الابدية ومصباح القلب في ظلمات البرزخ ومفتاح دار

السعادة الابدية. فلا شك ان الذي يؤدي تلك الوظيفة، وظيفه الايمان، من اهل المعرفة لا يخس قيمة النعمة التي انعم الله عليه كفراناً بها، ولا يهون من فضيلة الايمان التي منحها الله اياه، ولا يتردى الى درك السفهاء والفسقة، ولا يلوث نفسه بسفاهة السافلين وبدعهم. فالانزواء واعتزال الناس الذي لا يروق لكم وحسبتموه مخالفاً للمساواة انما هو لاجل هذا.

ومع هذه الحقيقة، فلا اخاطب - بكلامي هذا - اولئك الذين يذيقونني العنت بتعذيبهم اياي، من امثالكم المتكبرين المغترين بنفوسهم كثيراً حتى بلغوا الفرعونية في نقض هذا القانون، قانون المساواة. اذ ينبغي عدم التواضع امام المتكبرين لما يُظن تذللاً لهم.. وانما اخاطب المنصفين المتواضعين العاديين من اهل الحكم فاقول: اني والله الحمد على معرفة بقصوري وعجزتي، فلا ادعى مستعلياً على احد من الناس مقاماً للاحترام فضلاً عن ان ادعيه على المسلمين! بل ابصر بفضل الله تقصيراتي التي لاتحد، واعلم يقيناً اني لست على شئ يُذكر، فأجد السلوان والعزاء في الاستغفار ورجاء الدعاء من الناس، لالتماس الاحترام منهم. واعتقد ان سلوكي هذا معروف لدى اصدقائي كلهم. الا ان هناك امراً وهو اني، اتقلد مؤقتاً وضعاً عزيزاً

#262

يتطلبه مقام عزة العلم ووقاره، وذلك اثناء القيام بخدمة القرآن ودرس حقائق الايمان، اتقلده مؤقتاً في سبيل تلك الحقائق وشرف القرآن ولأجل الأُحني رأسي لأهل الضلالة. اعتقد أنه ليس في طوق قوانين أهل الدنيا معارضة هذه النقاط.

معاملة تجلب الحيرة:

ان اهل العلم والمعرفة في كل مكان - كما هو معلوم - يزنون الامور بميزان العلم والمعرفة. فايما وجدوا معرفة وفي اي شخص تلمسوا علماً يولون له الاحترام ويعقدون معه الصداقة باعتبار مسلك العلم. بل حتى لو قدم عالم - بروفيسور - لدولة عدوة لنا، الى هذه البلاد، لزاره اهل المعرفة واصحاب العلوم، وقدروه واحترموه لعلمه ومعرفته.

والحال أنه عندما طلب أعلى مجلس علمي كنسي انكليزي من المشيخة الاسلامية الاجابة عن ستة اسئلة بستمائة كلمة، قام احد اهل العلم - الذي تلقى عدم الاحترام من اهل هذه البلاد - بالاجابة عن تلك الاسئلة بست كلمات حتى نالت اجابته التقدير والاعجاب.

وهو الذي قاوم بالعلم الحقيقي والمعرفة الصائبة اهم دساتير الاجانب واسس حكماهم وتغلب عليهم.

وهو الذي تحدى فلاسفة اوروبا استناداً الى ما استلهمه من القرآن الكريم من قوة المعرفة والعلم.

وهو الذي دعا العلماء واهل المدارس الحديثة في استانبول - قبل اعلان الحرية بستة شهور - الى المناظرة

والمناقشة، والاجابة عن اسئلتهم دون ان يسأل احداً شيئاً. فاجاب عن جميع استفساراتهم اجابة شافية صائبة¹.

وهو الذي وقف حياته لإسعاد هذه الامة. فنشر مئات الرسائل بلغتها، اللغة التركية، ونورهم بها.

¹ يقول سعيد الجديد: انا لا اشارك سعيداً القديم في اقواله هذه التي يقولها في هذا المقام مفتخراً. بيد أني لا استطيع أن اسكته لاني قد اعطيته حق الكلام في هذه الرسالة. بل اوثر جانب الصمت نحوه كي يبدي شيئاً من فخره امام المتكبرين. - المؤلف.

#263

هذا الذي قام بهذه الاعمال، وهو ابن هذا الوطن، والصديق لأهله، والاخ في الدين، قابله قسم من المنسوبين الى العلم والمعرفة مع عدد من علماء الدين الرسميين بالاضطهاد واضمار العداء نحوه، بل اهين. فتعال، وتأمل هذه الحالة! ماذا تسميها؟

أهي مدينة وحضارة؟ أم هي محبة للعلم والمعرفة؟ أم هي وطنية؟ أم هي قومية؟ أم هي دعوة الى التمسك باهداف الجمهورية؟..

حاش لله وكلا لاشئ من هذا قط!

بل هي قدر إلهي عادل أظهر من اهل العلم العداء لذلك الشخص فيما كان يتوقع الصداقة منهم لكيلا يدخل في علمه الرياء بسبب توقع الاحترام، وليفوز بالاخلاص.

الخاتمة

اعتداء محير لي يوجب الشكران!

ان اهل الدنيا المتكبرين المغرورين غروراً فوق المعتاد، لهم حساسية شديدة في معرفة الانانية والغرور، بحيث لو كانت تلك المعاملة بشعور منهم لكانت تعدّ كرامة او دهاء عظيماً. وهي كالاتي:

ان مالا تشعر به نفسي وعقلي من حالة غرور جزئية متلبسة بالرياء، كأنهم يشعرون بها بميزان غرورهم وتكبرهم الحساس فيجابهون غروري الذي لا اشعر به.

ففي غضون هذه السنين التسع تقريباً لي ما يقارب التسع من التجارب، حتى انني عقب معاملتهم الجائرة نحوي، كنت افكر في القدر الإلهي واقول: لماذا سلط القدر الإلهي هؤلاء عليّ؟ فاتحري بهذا السؤال عن دسائس نفسي.

ففي كل مرة، كنت افهم: ان نفسي، إما انها مالت فطرياً الى الغرور والتكبر من غير شعور مني. او انها عجزتني

فكنت اقول حينذاك: ان القدر الإلهي قد عدل في حقي من خلال ظلم اولئك الظالمين. فمنها:
في هذا الصيف، اركبني اصدقائي حصاناً جميلاً، فذهبت به الى متنزه، وما ان تنهت رغبة في نفسي نحو اذواق
دنيوية مشوية بالغرور من غير شعور مني حتى تعرّض اهل الدنيا لتلك الرغبة بشدة بحيث قطعوا دابرها بل
داير كثير من رغبات اخرى في النفس.

وفي هذه المرة، بعد شهر رمضان المبارك وفي جو من اخلاص الاخوة الكرام وتقواهم واحترام الزائرين وحسن
ظنهم، عقب الالتفات الذي اولاه إمام عظيم سام من السابقين نحونا بكرامة غيبية، رغبت نفسي في ان تتقلد
- دون شعور مني - حالة غرور ممزوج بالرياء، فأبدت رغبته مفتخرة تحت ستار الشكر، وفي هذه الاثناء
تعرّض لي فجأة اهل الدنيا بحساسية شديدة، حتى كأنها تتحسس ذرات الرياء.

فالى المولى القدير ابتهل شاكرًا لأنعمه، إذ اصبح ظلم هؤلاء وسيلة للاخلاص.

(وقل رب أعود بك من همزات الشياطين _ وأعود بك رب أن يحضرون)

اللهم يا حافظ يا حفيظ يا خير الحافظين، احفظني واحفظ رفقائي من شر النفس والشيطان ومن شر الجن
والانسان ومن شر اهل الضلالة واهل الطغيان. آمين.. آمين.. آمين.

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

اللمعة الثالثة والعشرون

" رسالة الطبيعة "

كانت هذه الرسالة هي المذكّرة السادسة عشرة من اللمعة السابعة عشرة الآن اهميتها
الفائقة جعلتها "اللمعة الثالثة والعشرين" فهي تُبَيِّد تيار الكفر النابع من مفهوم "الطبيعة"
إبادة تامة وثُقِّتت حجر زاوية الكفر وتحطّم ركيزته الاساس.

تنبيه

لقد بيّنت هذه المذكّرة ماهية المذهب الذي يسلكه الجاحدون من الطبيعيين، واوضحت مدى بُعد مسلكهم عن
موازن العقل، ومدى سماجته وخرافيته، وذلك من خلال تسعة محالات مستخلصة من تسعين محالاً في
الاقل، ولما كان قسم من تلك المحالات قد وضح في رسائل اخرى فقد جاء هنا مدرجاً ضمن محالات اخرى، او

جاء مختصراً بعض الشيء.

والسؤال الذي يرد للخاطر هو:

كيف ارتضى فلاسفة مشهورون وعلماء معروفون بهذه الخرافة الفاضحة وسلّموا لها زمام عقولهم؟! والجواب: ان اولئك لم يتبينوا حقيقة مسلكهم¹، ولا باطن مذهبهم، ولم يدركوا ما يقتضيه مسلكهم من "محالات" وما يستلزمه مذهبهم من امور فاسدة وممتنعة عقلاً، والتي ذكرت في بداية كل محال يرد في هذه الرسالة.

وانا على استعداد كامل لإقامة البراهين الدامغة ونصب الحجج البديهية الواضحة لإثبات ذلك لكل من يساوره الشك، واينها لهم باسهاب وتفصيل.

¹ ان الداعي الاشد الحاحاً الى تأليف هذه الرسالة هو ما لمستته من هجوم صارخ على القرآن الكريم، والتجاوز الشنيع على الحقائق الايمانية بتزييفها، وربط اواصر الاحاد بالطبيعة، والصاق نعت «الخرافة» على كل مالا تدركه عقولهم القاصرة العفنة... وقد اثار هذا الهجوم غيظاً شديداً في القلب ففجر فيه حمماً سرت الى اسلوب الرسالة، فانزلت هذه الحمم والصفعات على اولئك الملحدون وذوي المذاهب الباطلة المعرضين عن الحق، والّا فليس من دأب «رسائل النور» الا القول اللين في الخطاب والرفق في الكلام. - المؤلف.

#267

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّٰهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ) (ابراهيم: 10).

هذه الآية الكريمة بما فيها من استفهام إنكاري تدل دلالة قاطعة على وجود الله ووحدانته بوضوح وجلاء بدرجة البدهة.

وقبل ان نوضح هذا السرّ نوّد ان ننبه الى ما يأتي:

دعيث لزيارة "انقرة" سنة 1338(1922م) وشاهدت فرح المؤمنين وابتهاجم باندحار اليونان امام الجيش الاسلامي، الا أنني ابصرث - خلال موجة الفرحة هذه - زندقة رهيبه تدب بجث ومكر، وتنسلل بمفاهيمها الفاسدة الى عقائد اهل الايمان الراسخة بغية افسادها وتسميها.. فتأسفت من اعماق روحي، وصرخت مستغيثاً بالله العلي القدير ومعتصماً بسور هذه الآية الكريمة، من هذا الغول الرهيب الذي يريد ان يتعرض لأركان الايمان، فكتبت برهاناً قوياً حاداً يقطع رأس تلك الزندقة، في رسالة باللغة العربية واستقيت معانيها وافكارها من نور هذه الآية الكريمة لاثبات بداهة وجود الله سبحانه ووضوح وحدانته، وقد طبعتها في مطبعة "يتي كون" في انقرة.. الا انني لم ألمس آثار البرهان الرصين في مقاومة الزندقة وإيقاف زحفها الى أذهان

الناس. وسبب ذلك كونه مختصراً ومجماً جداً، فضلاً عن قلة الذين يُتقنون العربية في تركيا وندرة المهتمين بها آنذاك، لذا فقد انتشرت اوهام ذلك الاحاد واستشرت في صفوف الناس مع الاسف الشديد، مما اضطرني الى اعادة كتابة تلك الرسالة ببراهينها بالتركية، مع شئ من البيان والتوضيح فكانت هذه الرسالة. ولما كان بعض اقسام تلك البراهين قد وضحت توضيحاً كافياً في بعض "رسائل النور" فسندكرها هنا مجملة، كما ان البعض من البراهين الاخرى المبنوثة في ثنايا رسائل اخرى تبدو مندرجة في هذه الرسالة، وكأن كل برهان منها جزء من هذه الرسالة.

#268

المقدمة

أيها الانسان!

اعلم ان هناك كلمات رهيبة تفوح منها رائحة الكفر النتنة، تخرج من افواه الناس، وتردها ألسنة اهل الايمان دون علمهم بخطورة معنى ما يقولون، وسنين ثلاثاً منها هي الغاية في الخطورة:

اولاها: قولهم عن الشئ: "أوجدته الاسباب" اي أن الاسباب هي التي توجد الشئ المعين.

ثانيها: قولهم عن الشئ: "تشكل بنفسه" اي أن الشئ يتشكل من تلقاء نفسه، ويوجد نفسه، بنفسه، وينتهي الى صورته التي انتهى اليها كما هي.

ثالثها: قولهم عن الشئ: "اقتضته الطبيعة" اي أن الشئ طبيعي، والطبيعة هي التي اوجدته واقتضته.

نعم! مادامت الموجودات موجودة وقائمة امامنا بما لا يمكن إنكارها مطلقاً، وان كل موجود يأتي الى الوجود في غاية الاتقان والحكمة، وهو ليس بقديم أزلي، بل هو محدث جديد.

فيا ايها الملحد! إما انك تقول ان هذا الموجود - وليكن هذا الحيوان مثلاً - توجد أسباب العالم، اي أنه يكتسب الوجود نتيجة اجتماع الاسباب المادية، او أنه تشكل بنفسه، او أنه يرد الى الوجود بمقتضى الطبيعة ويظهر بتأثيرها! او عليك ان تقول:

ان قدرة الخالق القدير ذي الجلال هي التي توجده.

لأنه لاسبيل الى حدوثه غير هذه الطرق الاربعة، حسب موازين العقل، فاذا ما أثبت - اثباتاً قاطعاً - ان الطرق الثلاثة الاولى محالة، باطلة ممتنعة، غير ممكنة، فبالضرورة والبدهة يثبت الطريق الرابع، وهو طريق وحدانية الخالق بيقين جازم لا ريب فيه.

#269

اما الطريق الاول:

وهو القول بأن: "اجتماع اسباب العالم يخلق الموجودات ويوجدتها، ويؤدي الى تشكيل الاشياء" نذكر منه ثلاثة محالات فقط، من بين محالاته الكثيرة جداً.

* المحال الاول:

ولنوضحه بهذا المثال: تحوي الصيدلية مئات الدوارق والقناني المملوءة بمواد كيميائية متنوعة، وقد احتجنا - لسبب ما - الى معجون حيوي من تلك الادوية والمواد لتركيب مادة حيوية خارقة مضادة للسموم.. فلما دخلنا الصيدلية وجدنا فيها اعداداً هائلة من انواع ذلك المعجون الحيوي، ومن تلك المادة الحيوية المضادة للسموم، وعندما بدأنا بتحليل كل معجون رأينا مركباً مستحضراً بدقة متناهية من مواد مختلفة طبق موازين محسوبة، فقد اخذ من تلك القناني: درهم (غرام واحد) من هذه.. وثلاثة غرامات من تلك.. وعشرة غرامات من الاخرى.. وهكذا فقد أخذ من كل منها مقادير مختلفة، بحيث لو كان ما أخذ من هذه المقادير اقل منها بجزء من الغرام، او ازيد، لفق المعجون خواصه الحيوية...

والآن جئنا الى "المادة الحيوية المضادة للسموم" ودققنا فيها نظراً كيميائياً، فرأيناها قد ركبت بمقادير معينة أخذت من تلك القناني على وفق موازين حساسة بحيث أنها تفقد خاصيتها لو غلطنا في الحساب فزادت المواد المركبة منها او نقصت بمقدار ذرة واحدة. نخلص من هذا:

ان المواد المتنوعة قد استحضرت بمقادير مختلفة، على وفق موازين دقيقة. فهل يمكن او يُعقل ان يتكون ذلك المعجون المحسوب كل جزء من اجزائه حساباً دقيقاً من جِراء مصادفة غريبة، او من نتيجة تصادم القناني بحدوث زلزالٍ عاصف في الصيدلية يؤدي الى سيلان تلك المقادير بموازينها المعينة، واتحادها بعضها ببعض الآخر مكوناً معجوناً حيويّاً؟!.. فهل هناك محالٌ أغرب من هذا وأكثر بعداً عن العقل والمنطق؟! وهل هناك خرافة اخرق منها؟! وهل هناك باطل او ضح بطلائاً من هذا؟! والحمار نفسه لو تضاعفت حماقته ونطق لقال: يا حماقة من يقول بهذا القول!

#270

وفي ضوء هذا المثال نقول:

ان كل كائن حي هو مركب حيوي، ومعجون ذو حياة. وان كل نبات شبيه بترياق حيوي مضاد للسموم إذ ركب من اجزاء مختلفة ومن مواد متباينة، على وفق موازين دقيقة في منتهى الحساسية.. فلا ريب ان اسناد خلق هذا الكائن البديع الى الاسباب المادية والعناصر، والقول بان "الاسباب اوجدته" باطل ومحال وبعيد عن موازين العقل بمثل بُعد وطلان ومحالية تكون المعجون الحيوي بنفسه من سيلان تلك المواد من القناني. وحصيلة الذي قلناه آنفاً:

ان المواد الحيوية المستحضرة بميزان القضاء والقدر للحكيم العليم في هذا العالم الكبير الذي هو صيدلية ضخمة

رائعة لا يمكن ان توجد الاً بحكمة لا حدّ لها، وبعلم لانهاية له، وبارادة تشمل كل شئ وتحيط بكل شئ، والاّ فما أشقاه من يتوهم"ان هذه الموجودات هي نتاج عناصر الكون الكلية" وهي العمياء الصماء في جريانها وتدفقها، او هي "من شؤون طبائع المواد" او "من عمل الاسباب المادية"!.

لاشك ان صاحب هذا الوهم هو اشقى اشقياء العالم، واعظمهم حماقة، واشدّ هذياناً من هذيان مخمور فاقد للوعي عندما يخطر بباله ان ذلك الترياق العجيب قد أوجد نفسه بنفسه من جراء تصادم القناني وسيلان ما فيها!

نعم، ان ذلك الكفر هذيان احمق وجنون سكران.

* المحال الثاني:

إن لم يُسند خلق كل شئ الى الواحد الاحد القدير ذي الجلال، وأسند الى الاسباب المادية، يلزم عندئذ ان يكون لاغلب عناصر العالم واسبابه دخلٌ وتأثير في وجود كل ذي حياة.

والمحال ان اجتماع الاسباب المتضادة والمتباينة فيما بينها، بانتظام تام، ويميزان دقيق وباتفاق كامل في جسم مخلوق صغير - كالأبواب مثلاً - هو محال ظاهر الى حد يرفضه من له عقل بمقدار جناح ذبابة، ويُرده قائلًا: هذا محال.. هذا باطل.. هذا غير ممكن!..

#271

ذلك لان جسم الذباب الصغير ذو علاقة مع اغلب عناصر الكائنات، ومع مظاهرها واسبابها المادية، بل هو خلاصة مستخلصة منها، فان لم يُسند ايجاده الى القدرة الإلهية المطلقة، يلزم ان تكون تلك الاسباب المادية حاضرة ومحتشدة جنب ذلك الجسم مباشرة عند ايجاده، بل يلزم ان تدخل في جسمه الضئيل، بل يجب دخولها في حجيرة العين التي تمثل نموذج الجسم، ذلك لان الاسباب ان كانت مادية يلزم ان تكون قرب المسبب وداخله فيه، وعندئذ يقتضي قبول دخول جميع العناصر في جميع اركان العالم مع طبائعها المتباينة في ذلك المسبب دخولاً مادياً، وعملها في تلك الحجيرة المتناهية في الصغر بمهارة واتقان! أفلا يخجل ويستحي من هذا القول حتى اشد السوفسطائيين بلاهةً؟

* المحال الثالث:

ان الموجود إن كانت له وحدة واحدة، فلا بد ان يكون صادراً من مؤثر واحد، ومن يد واحدة، حسب مضمون القاعدة البديهية المقررة: (الواحد لا يصدر الا عن الواحد). فإن كان ذلك الموجود في غاية الانتظام والميزان، وفي منتهى الدقة والاتقان، وكان مالكاً لحياة جامعة، فمن البدهة انه لم يصدر من أيّد متعددة قط - التي هي مدعاة الاختلاف والمنازعة - بل لابد أنه صادر من يد واحدة لواحد أحد قدير حكيم؛ لذا فان اسناد الموجود، المنتظم، المتناسق، الموزون، الواحد، الى ايدي الاسباب الطبيعية العمياء الصماء الجامدة غير المنضبطة،

والتي لا شعور لها ولا عقل، وهي في اختلاط شديد يزيد من عماها وصممها، ثم الادعاء بأن تلك الاسباب هي التي تقوم بخلق ذلك الموجود البديع واختياره من بين امكانيات واحتمالات لا حد لها، اقول ان قبول هذا الاسناد والادعاء هو - في الحقيقة - قبول لمائة محال ومحال، اذ هو بعيد كل البعد عن جميع مقاييس العقل وموازينه..

دعنا نترك هذا المحال ونتجاوزه مؤقتاً، لننظر الى تأثير "الاسباب المادية" الذي يتم بالتماس والمباشرة. فبينما نرى ان تماس تلك الاسباب الطبيعية هو تماس بظاهر الكائن الحي فحسب، ونرى ان باطن ذلك الكائن الذي لاتصل اليه ايدي تلك الاسباب المادية ولا يمكنها ان تمسه بشئ، هو اذق نظاماً، وأكثر انسجاماً، من الظاهر، بل

#272

ألطف منه خلقاً وأكمل اتقاناً. بل الاحياء الصغيرة والمخلوقات الدقيقة التي لا يمكن ان تستوعب تلك الاسباب المادية قطعاً ولا تصل اليها ايديها ولا وسائلها هي اعجب إتقاناً من اضخم المخلوقات وابدع خلقاً منها. فلا يكون إذن اسناد خلقها الى تلك الاسباب العمياء الصماء الجامدة الجاهلة الغليظة المتباعدة المتضادة الآ عمى ما بعدها عمى، وصمم ليس وراءه صمم.

اما المسألة الثانية:

وهي قولهم عن الشئ: "تشكل بنفسه". فهي تنطوي على محالات كثيرة، ويتضح بطلانها ومحاليتها من نواح كثيرة جداً إلا اننا نتناول هنا ثلاثة محالات منها كمنهج ليس الآ:

المحال الاول:

ايها الجاحد العنيد! ان طغيان غرورك، جعلك تتردى في احضان حماقة متناهية، فتقدم على قبول مائة محال ومحال!

انك ايها الجاحد العنيد موجود بلا شك، وانك لست من مادة بسيطة وجامدة تأبى التغير، بل انت معمل عظيم متقن الصنع، اجهزته دائمة التجدد. وانت كالقصر المنيف، انحاؤه دائمة التحول.. فذرات وجودك انت تعمل دوماً وتسعى دون توقف، وترتبط بوشائج واواصر مع مظاهر الوجود في الكون من حولك، فهي في اخذ وعطاء مع الكائنات، وبخاصة من حيث الرزق، ومن حيث بقاء النوع.

ان الذرات العاملة في جسدك تحتاط من ان تخل بتلك الروابط، وتتحاشى ان تنفصم تلك العلاقات، فهي حذرة في تصرفها هذا، وتتخذ موقفاً ملائماً لها على وفق تلك العلاقات كأنها تنظر الى جميع الكائنات وتشاهدها، ثم تراقب موقعك انت منها، وانت بدورك تستفيد حسب ذلك الوضع الخارق لتلك الذرات

وتنتفع وتمتع بمشاعرك وحواسك الظاهرة والباطنة.

فان لم تعتقد ان تلك الذرات موظفات صغيرات لدى القدير الازلي، ومأمورات مسخرات منقادات لقوانينه سبحانه، او هي جنود مجندة في جيشه المنظم، او هي

#273

نهايات قلم القدر الإلهي، او هي نقاط ينقطعها قلم القدرة الإلهية.. لزمك ان تقول ان لكل ذرة عاملة - في عينك مثلاً - عيناً واسعة بصيرة، ترى جميع اجزاء جسدك ونواحيه، وتشاهد جميع الكائنات التي ترتبط بها، وتعلم جميع ماضيك ومستقبلك، وتعرف اصلك وآباءك واجدادك مع نسلك واحفادك وتدرك منابع عناصرك، وكنوز رزقك.. فهي اذن ذات عقل جبار!!

فيا معطل عقله في مثل هذه المسائل! أليس في اسناد هذا العلم والشعور والعقل الذي يسع ألفاً من مثل "افلاطون" الى ذرة في عقل من لا يملكه مثلك، خرافة خرقاء، وبلاهة بلهاء؟!.

المحال الثاني:

ان جسمك ايها الانسان يشبه قصرأ فخماً عامراً، له من القباب الف قبة وقبة، وكل قبة من قبابه معلقة فيها الاحجار، ومرصوصة بعضها الى البعض الآخر في بناء محكم دون عمد. بل ان وجودك - لو فكرت - هو اعجب من هذا القصر بالوف المرات، لان قصر جسمك انت في تجدد مستمر يبلغ الكمال في الانتظام والروعة. فلو صرفنا النظر عما تحمله من روح ومن قلب ومن لطائف معنوية وهي معجزة بذاتها، واخذنا بنظر الاعتبار والتفكر عضواً واحداً فقط من اي عضو كان من بين اعضاء جسدك نراه شبيهاً بمنزل ذي قباب. فالذرات التي فيه قد تعاونت وتعاقت بعضها مع البعض الآخر، في انتظام تام، وموازنة كاملة - كالاحجار في تلك القباب - وكونت بناءً خارقاً، وصنعة رائعة بديعة، فظهرت للعيان معجزة عجيبة من معجزات القدرة الإلهية "كالعين واللسان" مثلاً.

فلو لم تكن هذه الذرات مأمورة منقادة لامر الصانع القدير، فان كل ذرة منها اذن لا بد ان تكون حاكمة حكماً مطلقاً على بقية ذرات الجسد ومحكومة لها حكماً مطلقاً كذلك، وان تكون مثل كل منها، وضد كل منها - من حيث الحاكمية - في الوقت نفسه! وان تكون مناط اغلب الصفات الجليلة التي لا يتصف بها الا الله سبحانه وتعالى، وان تكون مقيدة كلياً، وطليقة كلياً في الوقت نفسه...!

#274

فالمصنوع الواحد المنتظم والمنسق الذي لا يمكن ان يكون - بسر الوحدانية - الا أثراً من آثار الواحد الاحد محال ان يسند الى تلك الذرات غير المحدودة بل هو مائة محال في محال...! يدرك ذلك كل من له مسكة من عقل! المحال الثالث:

ان لم يكن وجودك هذا قد كتب بقلم الواحد الاحد التقدير الأزلي، وكان مطبوعاً بمطابع الطبيعة والاسباب، فيلزم عندئذٍ وجود قوالب طبيعية بعدد الوف الالوف من المركبات المنتظمة العاملة في جسمك، والتي لا يحصرها العد، ابتداءً من اصغر الخلايا العاملة بدقة متناهية وانتهاءً بأوسع الاجهزة العاملة فيه. ولفهم هذا المحال نأخذ الكتاب الذي بين ايدينا مثلاً، فنقول:

إن اعتقدت ان هذا الكتاب مستنسخ باليد، فيكفي اذن لاستنساخه قلم واحد، يحركه علمُ كاتبه ليدون به ما يشاء، ولكن إن لم يُعتقد انه مستنسخ باليد ولم يُسند الى قلم الكاتب، وأفتُرض انه قد تشكّل بنفسه، او اسندت كتابته الى الطبيعة، فيلزم عندئذٍ ان يكون لكل حرف من حروفه قلم معدني خاص به، ويكون عدد الاقلام بعدد تلك الحروف - بمثل وجود الحروف المعدنية في المطبعة والتي هي بعدد الحروف وانماطها - اي يلزم وجود اقلام بعدد الحروف بدلاً من قلم واحد للاستنساخ، وقد يكون هناك في تلك الحروف، حروفٌ كبيرة مكتوب فيها بخط دقيق ما في صحيفة كاملة، فيلزم اذن لكتابة مثل هذه الحروف الكبيرة الوف الاقلام الدقيقة!

والان ماذا تقول لو كانت تلك الحروف متداخلة بعضها ببعض الآخر بانتظام كامل متخذةً هيئةً جسديك وشكله؟! فيلزم عندئذٍ ان يكون لكل جزء من اجزاء كل دائرة من دوائره المذكورة قوالب عديدة بعدد تلك المركبات التي لا يحصرها العد!

هَبْ انك تقول لهذه الحالة المتضمنة لمائة محال في محال، انها ممكنة الحدوث! فحتى في هذه الحالة - على فرض إمكانها - افلا يلزم لصنع تلك الاقلام وعمل تلك القوالب والحروف المعدنية اقلاماً وقوالب وحروفاً بعددها لتصبّ وتسكب فيها إن لم يُسند صنعها جميعاً الى قلم واحد؟ ذلك لان جميعها مصنوعة ومحدثة منتظمة، ومفتقرة الى صانع ليصنعها، ومُحدثٍ ليحدثها، وهكذا الامر يتسلسل كلما اوغلت

#275

فيه. فافهم من هذا مدى سقم هذا الفكر الذي يتضمن محالات وخرافات بعدد ذرات جسمك!
فيا ايها الجاحد... عُد الى عقلك وانبذ هذه الضلالة المشينة!

الكلمة الثالثة:

والتي هي قولهم عن الشيء: "اقتضته الطبيعة". فهذا الحكم له محالات كثيرة جداً، نذكر ثلاثة منها على سبيل المثال:

المحال الاول:

ان الاتقان والايجاد المتسمين بالبصيرة والحكمة الظاهرين في الموجودات ظهوراً جلياً، ولا سيما في الاحياء،

إن لم يُسند إلى قلم "القدر الإلهي" وإلى قدرته المطلقة، وأسند إلى "الطبيعة" العمياء الصماء الجاهلة وإلى "القوة" يلزم أن توجد الطبيعة - من أجل الخلق - مطابع ومكائن معنوية لا حد لها في كل شيء أو تدرج في كل شيء قدرة قادرة على خلق الكون كله، وحكمة مدبرة لإدارة شؤونه كلها.
مثال ذلك:

إن تجليات الشمس وانعكاساتها الضوئية، وبريق لمعانها المشاهد على قطرات الماء الرقراقة المتلألئة، أو على القطع الزجاجية المتناثرة هنا وهناك على سطح الأرض، مما يخيل للناظر السطحي النظر أنها صورٌ لشمسيات مثالية. فإن لم تنسب هذه الانعكاسات واللمعات إلى الشمس الحقيقية التي تطالعنا بشعاعها الغامر يلزم الاعتقاد بشمس طبيعية فطرية صغيرة ظاهرية تملك صفات الشمس نفسها وتتصف بخصائصها، موجودة وجوداً فعلياً في تلك القطعة الزجاجية الصغيرة - التي لا تسع لأدنى شيء - أي يلزم الاعتقاد بوجود شمس بعدد ذرات القطع الزجاجية.
وفي ضوء هذا المثال نقول:

إن لم يُسند خلق الموجودات والأحياء أسناداً مباشراً إلى تجليات أسماء الله الحسنى الذي هو نور السموات والأرض يلزم الاعتقاد بظهور طبيعة وقوة تملكان قدرة مطلقة وإرادة مطلقة مع علم مطلق وحكمة مطلقة في كل موجود من الموجودات، ولا سيما الأحياء، أي يلزم قبول ألوهية وربوبية في كل موجود!

#276

فهذا النمط من التفكير المعوج لهو أشد بطلاناً من أي محال آخر، وأكثر خرافة منه، فالذي يُسند ما أبدعه الخالق العظيم من صنعة رائعة دقيقة، ظاهرة جلية حتى في أصغر مخلوق إلى يد الطبيعة الموهومة، التافهة التي لا تملك شعوراً لاشك أنه يتردى بفكره إلى درك أضل من الحيوان.
المحال الثاني:

إن هذه الموجودات التي هي في غاية الانتظام، وفي منتهى الروعة والميزان، وفي تمام الاتقان، وكمال الحكمة والاتزان؛ إن لم تسند إلى من هو قدير مطلق القدرة، وحكيم مطلق الحكمة، وأسندت إلى الطبيعة، يلزم الطبيعة أن تحضر في كل حفنة تراب، معامل ومطابع بعدد معامل أوربا ومطابعها، كي تتمكن تلك الحفنة من أن تكون منشأ الأزهار والأثمار الجميلة اللطيفة؛ لأن تلك الحفنة من التراب التي تقوم بمهمة مشتل صغير للأزهار تظهر قابلية فعلية لاستنبات وتصوير ما يلتقي فيها بالتناوب من بذور جميع أزهار العالم وثماره، وبأشكالها، وهيئاتها المتنوعة، والوانها الزاهية. فإن لم تسند هذه القابلية إلى قدرة الفاطر الجليل القادر على كل شيء.. فلا بد إذن أن توجد في تلك الحفنة مآكنة معنوية طبيعية خاصة لكل زهرة من أزهار العالم والألا لا يمكن أن يظهر ما نشاهده من أنواع الأزهار والثمار إلى الوجود! إذ البذور - كالنطف والبيوض أيضاً - موادها

متشابهة اختلط وعجن بعضها ببعض بلا شكل معين وهي مولد الماء ومولد الحموضة والكربون والآزوت. علماً ان كلاً من الهواء والماء والحرارة والضوء اشياء بسيطة لا تملك عقلاً او شعوراً، وهي تندفق كالسيل في كل شئ دونما ضابط. فتشكيل تلك الازهار التي لا تحد من تلك الحفنة من التراب بصورها المتنوعة البديعة واشكالها المختلفة الزاهية وبيئاتها المتباينة الرائعة وهي في منتهى الانتظام والاتقان تقتضي بالبداهة وبالضرورة ان توجد في تلك الحفنة من التراب مصانع ومطابع معنوية بمقاييس صغيرة جداً أكثر مما في اوروبا من مصانع ومطابع، كي تتمكن ان تنسج تلك المنسوجات الحية التي لا تعد، وتطرز تلك النقوش الزاهية المتنوعة التي لا تحصى!

فيا لبعدها ما يحملها الطبيعيون من فكر الحادي عن جادة العقل السليم! اعلم هذا، وقس مدى بُعد اولئك الذين يدعون انهم عقلاء وعلميون عن موازين العقل والعلم

#277

بتوهمهم ان الطبيعة موجدة للاشياء.. اولئك الذين اتخذوا خرافة ممتنعة وغير ممكنة اطلاقاً، مسلماً لهم، فاسخر منهم، واحقرهم. ولسائل ان يسأل:

صحيح ان محالات كثيرة، ومعضلات عظيمة تنجم عندما يُسند خلق الموجودات الى الطبيعة، ولكن كيف تزول هذه المشكلات، وتنحل هذه المعضلات عندما نسند عملية الخلق برمتها الى الواحد الاحد الفرد الصمد؟ وكيف ينقلب ذلك الامتناع الصعب الى الوجود السهل؟

الجواب: ان تجليات الشمس وانعكاساتها - كما ذكر في المحال الاول - أظهرت نفسها بكل سهولة، ومن دون تكلف او صعوبة في جميع المواد ابتداءً من الجامد الصغير المتناهي في الصغر - كقطع الزجاج - الى اوسع السطوح للبحار والمحيطات، فأظهرت على الكل فيضها وأثرها في منتهى السهولة، وكأن كلاً منها شمس مثالية. فلو قُطعت نسبة تلك الانعكاسات الى الشمس الحقيقية، فلا بد من الاعتقاد بوجود شمس طبيعية في كل ذرة من الذرات وجوداً ذاتياً خارجياً. وهذا ما لا يقبله عقل، بل هو ممتنع ومحال.

فكما ان الامر في المثال هو هكذا، كذلك اسناد خلق كل موجود اسناداً مباشراً الى الواحد الاحد الفرد الصمد فيه من السهولة المتناهية بدرجة الوجود، اذ يمكن ايصال ما يلزم ايّ موجود اليه، بكل سهولة ويسر، وذلك بالانتساب وبالتجلي. بينما اذا ما قطع ذلك الانتساب، وانقلب الاستخدام والتوظيف والطاعة الى الانقلابات من الاوامر والعصيان، وترك كل موجود طليقاً يسرح كيفما يشاء، او اسند الامر الى الطبيعة، فستظهر مئات الالوف من المشكلات والمعضلات بدرجة الامتناع، حتى نرى ان خلق ذبابة صغيرة يقتضي ان تكون الطبيعة العمياء التي فيها مالكة لقدرة مطلقة تتمكن بها من خلق الكون كله، وان تكون - مع ذلك

- ذات حكمة بالغة تتمكن بها من ادارته، حيث ان الذبابة - رغم صغرها - بديعة الصنع، تنطوي على أغلب مكونات الكائنات وكأنها فهرس مختصر لها..

وهذا ليس بمحال واحد فحسب بل الف محال ومحال..!

#278

الخلاصة:

كما انه محالٌ وممتنعٌ وجود نظير او شريك لله سبحانه وتعالى في ألوهيته، كذلك ممتنع ومحال مثله ان تكون هناك مداخلة من غيره في ربوبيته، او مشاركة له من احد في ايجاده الاشياء وخلقها..

أما المشكلات التي في "المحال الثاني" التي اثبتناها في عديد من الرسائل؛ فهي: انه اذا ما نُسبَ خلق جميع الاشياء الى الواحد الاحد، يسهل ذلك الخلق كما يسهل خلق شئ واحد. بينما اذا ما نُسبَ الخلق الى الاسباب والى الطبيعة يصبح خلق الشئ الواحد وايجاده مشكلاً وصعباً، كخلق الجميع. وحيث اننا سبق ان اثبتنا هذا ببراهين دامغة، نورد هنا ملخص برهان واحد فقط:

اذا انتسب احدٌ الى السلطان بالجندية او بالوظيفة الحكومية، فانه يتمكن ان ينجز من الامور والاعمال اضعاف اضعاف ما يمكنه انجازه بقدرته الشخصية، وذلك بقوة ذلك الانتساب السلطاني. فمثلاً يستطيع ان يأسر قائداً كبيراً باسم سلطانه، مع انه جندي. حيث تحمل خزائن السلطان وقطعات الجيش الاجهزة والاعتدة لما يقوم به من اعمال، فلا يحملها هو وحده، كما انه ليس مضطراً الى حملها. كل ذلك بفضل إنتسابه الى السلطان، لذا تظهر منه اعمالٌ خارقة كأنها اعمال سلطان عظيم، وتبدو له آثار - فوق ماتبدو منه عادةً - وكأنها آثار جيش كبير رغم انه فرد. فالنملة - من حيث تلك الوظيفة - تتمكن من تدمير قصر فرعون طاع، والبعوضة تستطيع ان تهلك نمروداً جباراً بقوة ذلك الانتساب.. والبذرة الصغيرة للصنوبر الشبيهة بحبة الحنطة تنشئ بذلك الانتساب جميع اجهزة شجرة الصنوبر الضخمة.¹ فلو انقطع ذلك

¹ نعم، اذا حصل الانتساب، فان تلك البذرة تنسلم امراً من القدر الإلهي، وتنال شرف النهوض بتلك الاعمال الخارقة، ولكن اذا انقطع ذلك الانتساب فان خلق تلك البذرة يقتضي اجهزة وقدرة ومهارة هي أكثر بكثير مما يحتاج خلق شجرة الصنوبر الضخمة، وذلك لان جميع اعضاء شجرة الصنوبر التي تكسو الجبال وتضفي عليها الجمال والروعة والتي تمثل اثراً مجسماً واضحاً للقدرة الإلهية، يلزم ان تكون موجودة في الشجرة المعنية التي هي اثر القدر والمندجة في تلك البذرة، لان مصنع تلك الشجرة الضخمة يكمن في تلك البذرة، وان ما في تلك البذرة من شجرة قدرية تتظاهر بالقدرة الإلهية في الخارج - خارج البذرة - وتتشكل شجرة صنوبر مجسمة. - المؤلف.

#279

الانتساب، واعفي الموجود من تلك الوظيفة، فعليه ان يحمل على كتفه قوة ما ينجزه من اعمال وينوء كاهله بلوازمها ومعداتها. وبذلك لا يمكنه القيام بأعمال سوى اعمال تتناسب مع تلك القوة الضئيلة المحدودة المحمولة على ذراعه، بما يناسب كمية المعدات واللوازم البسيطة التي يحملها على ظهره، فلو طلب منه ان يقوم بأعمال كان يقوم بها بسهولة ويسر في الحالة الاولى لأظهر عجزه، إلا اذا استطاع ان يُحمّل ذراعه قوة جيش كامل، ويردّف على ظهره معامل اعتدة الدولة الحربية!!

إن صاحب هذا الخيال السامح في فضاء الوهم والخرافة يتوارى خجلاً مما يقول.

نخلص من كل ما تقدم الى ان تسليم أمر كل موجود وتنسيبه الى واجب الوجود سبحانه فيه السهولة التامة بدرجة الوجوب.

اما اسناد ايجاده الى الطبيعة فهو معضل الى حد الامتناع وخارج عن دائرة العقل.

المحال الثالث:

نوضح هذا المحال بمثالين قد بيناهما في بعض الرسائل؛ هما:

المثال الاول:

يدخل انسان بدائي ساذج التفكير، لم يكن يملك ايّ تصور حضاري مسبق؛ يدخل هذا الشخص قصرًا فخماً بديعاً، يزهو بزينته، ويختال بأرقى ما وصلت اليه الحضارة من وسائل الابهة والراحة، ويتلأأ بأضوائه في عتمة فلاة خالية موحشة، فيدلف اليه، ويدور في ارجائه، فتشدهه براعة بنائه، ونقوش جدرانه، وروعة إتقانه.. وبكل سذاجة تصوره وبلاهته يمنح القصر حياةً، ويعطيه قدرة تشييد نفسه بغرفته وابهائه، وصوره الجميلة، ونقوشه الاخاذة، لا لشيء إلا لكونه قاصراً عن تصور وجود احد - خارج هذا القصر - وفي هذه الفلاة يمكنه ان ينسب اليه بناء هذا القصر، لذا فقد طفق يتحرى عن "الباني" داخل القصر لعله يعثر عليه بين اشياء القصر، فما من شيء وقع عليه بصره إلا وتردد فيه وشك في كونه قادراً على ايجاد مثل هذا القصر الذي يملأ اقطار النفس والعقل بروعة صنعه، وجمال بنائه. وتقوده قدماه الى زاوية من

#280

زوايا القصر ويعثر فيها فجأة على دفتر ملاحظات كان قد دونت فيه خطة مفصلة لعملية بناء القصر، وخطّ فيه ايضاً فهرس موجوداته وقوانين ادارة ممتلكاته. ورغم ان ذلك الدفتر كمحتوياته، ليس من شأنه تشييد القصر وتزيينه، اذ لا يملك يدأ يعمل بها، ولا بصيرة يبصر بها، إلا انه تعلق به اذ وجدته متطابقاً بمحتوياته، مع مجاميع اشياء القصر، ومنسجماً مع سير العمل فيه - اذ هو عنوان قوانين الله العلمية - لذا قال مضطراً: "إن هذا الدفتر هو الذي شيّد هذا القصر ونظّمه وزينه، وهو الذي اوجد الاشياء فيه ورتبها هذا الترتيب ونسقها هذا التنسيق" ... فكشف بهذا الكلام عن مدى عمق جهله، وتأصل حماقته.

وعلى غرار هذا المثال تماماً، يدلف الى قصر العالم العظيم - الذي هو ادق نظاماً واكمل إتقاناً، واجمل صنعاً، وازهى جمالاً، من ذلك القصر الصغير المحدود المذكور آنفاً في المثال، حيث لا يقبل المقايسة والموازنة معه، فكل ناحية من نواحيه تشع معجزاتٍ بديعةً وحكماً ساميةً - يدلف واحد ممن يدينون بفكرة الطبيعة وينكرون عظمة الالهية الى هذا القصر، واضعاً في ذهنه - مسبقاً - الإعراض عما هو مبثوث امامه من آثار صنعة الله سبحانه المنزه عن المخلوقات، المتعالي عن الممكنات.. ويبدأ بالبحث والتحري عن السبب "الموجد" ضمن الممكنات والمخلوقات! فيرى قوانين السنن الإلهية، وفهارس الصنعة الربانية. والتي يطلق عليها خطأ - وخطأ جسيماً - اسم الطبيعة التي يمكن ان تكون شبيهة بصفحة من كراسة "التغيير والتبديل" لقوانين اجراءات القدرة الإلهية، وبمثابة لوحة "المحو والاثبات" للقدر الإلهي، ولكنه ينبري الى القول:

مادامت هذه الاشياء مفتقرة الى علّةٍ موجدةٍ، ولا شئ اعظم ارتباطاً بها، من هذه "الكراسة" فاني أخلص من ذلك الى ان هذه "الكراسة" - بما تتضمنه من قوانين المحو والاثبات - هي التي اوجدت الاشياء، مادام لا يطيب لي الاعتقاد والايان بالصانع الجليل سبحانه. برغم ان العقل المنزه عن الهوى يرفض كلياً - ضمن منطقه - ان ينسب شؤون الربوبية المطلقة - والتي تقتضي قدرةً مطلقةً - الى هذه "الكراسة" العمياء الصماء العاجزة.

#281

ونحن نقول:

يا أحقق من "هَبْتَقَة"! ¹

أطلّ برأسك من تحت مستنقع الطبيعة.. لترى الصانع الجليل الذي تشهد له جميع الموجودات، من الذرات الى المجرات، باللسنة متنوعة، وتشير اليه اشارات مختلفة.. وشاهد تجليات ذلك المصور الجليل الذي شيّد قصر العالم البادخ، ودوّن خطته وبرنامجه وقوانينه في تلك الكراسة.. وانقذ نفسك من ذلك الهذيان الآثم الرخيص! المثال الثاني:

يدخل انسانٌ معزولٌ عن عالم المدنية والحضارة، وسط معسكر مهيب، فيبهره ما يشاهد من تدريبات متنوعة يؤديها - بغاية الانتظام والاتقان ومنتهى الطاعة والانقياد - جنود هذا المعسكر، فيلاحظ حركاتهم المنسقة وكأنها حركة واحدة يتحرك الجميع - فوجاً ولواءً وفرقةً - بحركة فرد واحد منهم، ويسكن الجميع بسكونه، يطلق الجميع النار اطلاقاً واحداً إثر امر يصدره ذلك الفرد.. فخارَ في أمره، ولم يكن عقله الساذج ليدرك ان قيادة قائد عظيم هو الذي ينفذ اوامره بأنظمة الدولة واوامر السلطان، فتخيل حبلاً يربط اولئك الجنود بعضهم البعض الآخر.. ثم بدأ يتأمل خيلاً، مدى عجبوبة هذا الحبل الموهوم. فزادت حيرته واشتدّ ارتباكاه. ثم يمضي الى شأنه. ويدخل جامع "أياصوفيا" العظيم، يوم الجمعة ويشاهد جموع المصلين خلف رجل واحد يمثلون لندائه في قيامهم وقعودهم وسجودهم وركوعهم، ولما لم يكن يعرف شيئاً عن الشريعة الإلهية، والدساتير المعنوية لأوامر صاحب

¹ مثل يضرب لشدة الغباء والحماقة (جمهرة الامثال للعسكري 385/1 والمستقصى للزمخشري 85/1) -. المترجم.

#282

يتصور، بأن هذه الجماعة مرتبطة ببعضها البعض بجمال مادية، وان هذه الجمال قد قيدت حركة الجماعة واسرتهم، وهي التي تحركهم وتوقفهم عن الحركة.

وهكذا يمضي الى سبيله وقد امتلأ ذهنه بأخطاء تصوراته، التي تكاد تثير الهزء والسخرية حتى لدى أشد الناس وحشية وهمجية.

ففي ضوء هذا المثال:

يأتي ملحدٌ الى هذا العالم الذي هو معسكر مهيب رائع لجنود السلطان الجليل، وهو مسجد عظيم بارع يعظم فيه ذلك المعبود الازلي ويقدّس؛ يأتيه وهو يحمل فكرة "الطبيعة" الجاحدة ذلك الجهل المطبق..

فيتصور "القوانين المعنوية" التي يشاهد آثارها في ربط انظمة الكون البديع، والنابعة من "الحكمة" البالغة للبارئ المصور سبحانه، يتصورها كأنها قوانين مادية، فيتعامل معها في اجاثه كما يتعامل مع المواد، والاشياء الجامدة..

ويتخيل احكام قوانين الربوبية التي هي قوانين اعتبارية ودساتير الشريعة الفطرية الكونية للمعبود الازلي، والتي هي بمجموعها معنوية بحتة، وليس لها وجود سوى وجود علمي، يتخيلها وكأنها موجودات خارجية ومواد

مادية..

ويقيم تلك القوانين الصادرة من العلم الإلهي والكلام الرباني التي لها وجود علمي فقط مقام القدرة الإلهية، ويملكها الخلق والايجاد، ويطلق عليها اسم "الطبيعة"، متصوراً القوة التي هي تجلٍ من تجليات القدرة الربانية، انها صاحب قدرة فاعلة، وقديراً مستقلاً بذاته:

أفبعد هذا جمالة وغباء؟ أو ليس هذا جملاً باضعاف اضعاف ما في المثال؟!

#283

الخلاصة:

ان الطبيعة التي يتعلق بها الطبيعيون ذلك الأمر الموهوم الذي ليس له حقيقة، إن كان ولا بد أنها مالكة لوجود حقيقي خارجي فان هذا "الوجود" انما هو:

صنعة صانع ولن يكون صناعاً، وهو نقشٌ ولن يكون نقاشاً، ومجموعة احكام ولن يكون حاكماً، وشريعة فطرية ولن يكون شارعاً، وستار مخلوق للعزة، ولن يكون خالقاً، وفطرة منفعة ولن يكون فاطراً فاعلاً، ومجموعة

قوانين ولن يكون قادراً، ومسطر ولن يكون مصدرراً

وحاصل الكلام:

مادامت الموجودات موجودةً فعلاً، والعقل يعجز عن تصور أكثر من اربعة طرق للوصول الى حدوث الموجود - كما ذكرنا ذلك في المقدمة - وقد اثبت إثباتاً قاطعاً بطلان ثلاثة من تلك الطرق الاربعة، وذلك ببيان ثلاثة محالات ظاهرة جلية في كل منها، فلا بد وبالضرورة والبداهة ان يثبت بيقين لاسبيل مطلقاً الى الشك فيه الطريق الرابع، وهو طريق الوحداية ذلك الطريق الذي تنيره الآية الكريمة: (أفَى اللَّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..) (ابراهيم: 10).

والتي تدل بداهةً ويقيناً على وجود واجب الوجود، وعلى ألوهيته المهيمنة، وعلى صدور كل شئ من يد قدرته، وعلى ان مقاليد السموات والارض بيده سبحانه وتعالى.

فيا عابد الاسباب!

ايها المسكين المفتون بالطبيعة!

ما دامت طبيعة كل شئ مخلوقة كالشئ نفسه، لأن تكونها محدثٌ - غير قديم - وعليها علامة الصنعة والاتقان، وان سبب وجود هذا الشئ الظاهري هو ايضاً مصنوع حادثٌ. ولما كان وجود اي شئ مفتقراً الى وسائل وآلات وأجهزة كثيرة جداً..

#284

فلا بُدّ من تقدير مطلق القدرة ليخلق تلك الطبيعة في الشئ، ويوجد ذلك السبب له، ولا بد ان يكون - هذا التقدير المطلق القدرة - مستغنياً غناءً مطلقاً، فلا يشرك الوسائط العاجزة في ايجاده للشئ وفي هيمنة روبيته عليه.

فحاش لله ان يكون سواه التقدير المستغني المتعال، بل هو سبحانه وتعالى يخلق المسبب والسبب معاً من علوه خلقاً مباشراً، ويوجد بينهما سببية ظاهرية وصورية، ويقرن بينهما من خلال ترتيب وتنظيم، جاعلاً من الاسباب والطبيعة ستاراً ليد قدرته الجليلة، وحجاباً لعظمته وكبريائه، ولتبقى عزته منزهةً مقدسة في عليائها، ويجعل تلك الاسباب موضع الشكوى لما يتراءى من نقائص، ولما يتصور من ظلم ظاهري في الاشياء.

ايها اسهل على الفهم، واقرب معقوليةً الى الذهن: تصور "ساعاتي" يصنع تروس الساعة ومعداتها، ثم ينظمها على وفق ترتيب تروسها، ويوازن بين حركات عقاربها بدقة متناهية، ام ان نتصور الساعاتي يصنع في تروس الساعة وعقاربها ودقيق آلاتها مآكنة خارقة الفِعال يُسَلَّمُ صنع الساعة الى جهادية ايديها؟! قل معي: أليس هذا كلاماً فارغاً ومحالاً وخارجاً عن حدود الامكان؟ فهيا خاطب انت عقلك المجحف وكن انت القاضي والحكم. وايها يكون مستساغاً ومقبولاً في منطق العقل: تصور كاتب يخط كتاباً بنفسه بعد ان يحضر لوازم الكتابة؛ من

مداد وقلم وورق، ام تصور ايجاد ذلك الكاتب مطبعة خاصة بذلك الكتاب وهي اعقد وادق من الكتاب نفسه
يترك لها امر كتابة هذا الكتاب فيخطبها قائلاً:

هيا اشعري انت بكتابة الكتاب.. من دون تدخل من قبله؟

أليس مثل هذا التصور السقيم معضلاً عقلاً؟ ومشكلاً باضعاف امر الكتابة نفسها؟!

واذا قلت: ان ايجاد مطبعة لطبع الكتاب اعقد واصعب من الكتاب نفسه، إلا أنّ ماكنته المطبعة، قادرة على
اصدار الآف النسخ من الكتاب في مدة قصيرة. وهذا وسيلة التيسير.

#285

الجواب: ان البارىء المصور سبحانه قد خلق بقدرته المطلقة، بتجديد تجليات اسمائه الحسنى واطهارها على
اشكال مختلفة، تشخصات الاشياء وملاحظها، الخاصة بها، بحيث لا يشبه مخلوق مخلوقاً آخر تشابهاً تاماً
ومتطابقاً قط، وهو كتابٌ صمداني، ومكتوبٌ رباني.

نعم، انه لاجل ان يفني كل مخلوق بمعاني وجوده، لابد ان يملك سيماً يعرف بها ويخالف بها الآخرين، وملامح
تباين ملامح غيره. فانظر ودقق النظر في وجه الانسان تر ان علامات فارقة قد احتشدت في هذا الوجه
الصغير، بحيث تميز هذه العلامات صاحبها عن جميع الوجوه الاخرى المتتابعة منذ زمن آدم عليه السلام حتى
اليوم، والى الابد، رغم التشابه والاتفاق في الماهية الانسانية، والكينونة البشرية، وهذا واضح جلي وثابت
قطعاً.

فلامح كل وجهٍ كتابٌ خاص بالوجه نفسه، وهو كتابٌ مستقلٌ بذاته عن غيره.. فلاجل إخراج هذا الكتاب
الخاص، واتقان صنعه وتنظيمه، يستوجب الامر وجود مجموعة ابجدية كاملة من الحروف، والمناسبة حجماً له،
ويتطلب تنضيد هذه الحروف في مواضعها من لوحة التنضيد، ل يتم بعد ذلك مؤلف خاص بهذا الوجه يخالف
تأليف الآخرين.

ويلزم هذا الامر جلب مواد صنعه الخاصة به، ثم وضعها في اماكنها المخصصة لها، ثم إدراج كل مايلزم وجود
هذا الوجه - في الوجه نفسه - من عناصر البناء. وهذا كله لاشك يحتاج الى مصنع مستقل خاص به اي الى
مطبعة خاصة في كل اشياءها لكل وجه من الوجوه!!

ثم الا تحتاج هذه المطبعة الخاصة - على فرض وجودها - الى تنظيم معين، وتنسيق مخصوص، فأمر الطبع
نفسه - دع عنك تنسيق الحروف وترتيبها وتنظيمها - هو ايضاً بحاجة الى تنظيم؟..

فالمواد الموجودة في جسم كل كائن حي هي اكثر تعقيداً وادق تنظيماً من مواد المطبعة وتنظيمها بمئات الاضعاف،
فجلب هذه المواد من اقطار العالم، ضمن

#286

حسابات معينة، وموازن دقيقة، ثم تنزيدها حسب مقتضيات الحاجة إليها، واخيراً وضعها تحت يد تلك المطبعة... هذه السلسلة الطويلة من الاجراءات تحتاج - اولاً وقبل كل شئ - الى موجد يوجد تلك المطبعة المفترضة، وليس هو الا القدرة الفاطرة للخالق القدير وارادته النافذة.

اذن فاحتمال كون الطبيعة كأنها مطبعة، خرافة فاضحة لا معنى لها على الاطلاق!!..

وهكذا على غرار ما شاهدناه في مثال "الساعة والكتاب": ان الصانع ذا الجلال وهو القادر على كل شئ، هو نفسه خالق الاسباب، وخالق المسببات، وهو الذي يربط المسببات بالاسباب بحكمته سبحانه، وقد عين بإرادته طبيعة الاشياء، وجعلها مرآة عاكسة لتجليات الشريعة الفطرية الكبرى التي فطر عليها الكون، والتي هي قوانين الله وسننه الجارية التي تخص تنظيم شؤون الكون، وقد اوجد بقدرته وجه "الطبيعة" التي يقوم عليها عالم الشهادة الخارجي الوجود، ثم خلق الاشياء وانشأها على تلك الطبيعة ومازج بينهما بتمام الحكمة.

والآن نحيل الامر الى انصاف عقلك المجحف ليرى: ايها يستسيغه عقلك ويسهل عليه الاعتقاد به؟ أهذه الحقيقة المعقولة النابعة من براهين دامغة غير محدودة - وهي مُلزِمة الى حدّ الوجوب - أم اعطاء ما يلزم للاشياء من اجهزة واعضاء لا تحد، واسناد اعمالٍ تتسم بالحكمة والبصيرة الى الشئ نفسه؟! او تنسيبها الى ما تسمونه بـ"الطبيعة" والاسباب التي هي مواد جامدة خالية من الشعور وهي مخلوقة مصنوعة؟ أليست هذه خرافة ممتنعة وخارجة عن نطاق الامكان؟

يجيب عابد الطبيعة - ذلك الجاحد - قائلاً: ما دمت تدعوني الى الانصاف فانا اعترف: ان ما سلكناه من طريق مضلّ الى الآن مثلما انه محال بمائة محال فهو مضر ايما ضرر، وهو في منتهى القبح والفساد. إنّ مَنْ كان له مسكة من عقل يدرك من محاكماتكم العقلية، وتحقيقاتكم العلمية المسندة بالبراهين والمذكورة آنفاً، ان اسناد الابداع والخلق الى الاسباب والى الطبيعة ممتنع عقلاً ومحال قطعاً، بل الواجب

#287

والضروري الملزم للعقل هو اسناد كل شئ مباشرة الى واجب الوجود سبحانه، فاحمد الله الذي هداني الى هذا الايمان .

ولكن بقيتُ لدى شبهة واحدة فقط وهي: اني اؤمن بالله رباً وانه خالق كل شئ، ولكني أتساءل:

ماذا يضر عظمته سبحانه، وماذا يضر سلطانه جلّ وعلا، ان نتوجه ببعض المدح والثناء الى بعض الاسباب الجزئية في ايجادها الاشياء الصغيرة التافهة، فهل ينقص ذلك شيئاً من سلطانه سبحانه وتعالى؟!

والجواب: كما اثبتنا في قسم من الرسائل إثباتاً قاطعاً:

ان شأن الحاكمية "ردّ المداخلة" ورفضها كلياً، بل إن أدنى حاكم، او اي موظف بسيط لايقبل تدخلاً حتى من ابنه ضمن حدود حاكميته، بل ان توهم التدخل في الحاكمية قد دفع بعض السلاطين الى قتل اولادهم الابرياء

رغم انهم كانوا على شئ من التقوى والصلاح، ممّا يظهر مدى اصالة هذا القانون - قانون ردّ المداخلة - في الحاكمية، فهو سارٍ في كل شئ ابتداءً من متخاصمين في تسنم إدارة ناحية صغيرة الى سلطانيين يتنازعان للتفرد بالسلطة في البلاد، وكذلك فقد اظهر - بما لا يقبل الشك - ما يقتضيه استقلال الحاكمية من قانون "منع الاشتراك"، ووضح نفوذه وقوته خلال تاريخ البشرية الطويل، وما ادى اليه من اضطراب وقتل وتشريد وانهار من الدماء المهرقة.

تأمل في الانسان الذي هو عاجز عن ادارة نفسه ومفتقر الى التعاون مع الآخرين، ولا يملك من الحاكمية والآمرية إلا ظلاً باهتاً، فهو يرُدّ المداخلة الى هذه الدرجة، ويمنع تدخل الآخرين الى هذا الحد، ويرفض مشاركة الآخرين في حاكميته، ويسعى بما لديه من قوة للتشبث باستقلالية مقامه، تأمل في هذا، ثم انظر الى الحاكم المطلق وهو مستو على عرش الربوبية، والآمر المطلق وهو المهيمن بالالوهية، والمستقل المطلق بالفردية والاحدية، وهو المستغني المطلق بقادرية مطلقة، ذلكم الله ربنا ذو الجلال..

#288

فكم يكون لازماً وضرورياً "ردّ المداخلة" هذه بالنسبة اليه، ومنع الاشتراك وطرده الشريك في حاكميته المطلقة، وكما هو من لوازم هذه الحاكمية ومن اوجب وجائبها؟
فقايس الآن ووازن بين حاكمية الانسان المحدودة الضيقة المفتقرة الى الآخرين وحاكمية الله المطلقة الغنية المهيمنة الشاملة.

أما الشق الثاني من شبهتك والذي هو:

إذا قُصِدَ "بعض الاسباب" ببعض العبادة من بعض الامور الجزئية، فهل ينقص ذلك شيئاً من عبادة المخلوقات المتوجهة جميعاً الى الله القدير، ابتداءً من الذرات وانتهاءً بالسيارات والمجرات؟!

الجواب: ان الخالق الحكيم العليم سبحانه، قد خلق هذا الكون بمثابة شجرة، وجعل ارباب الشعور ثمارها الكاملة، وكرم الانسان باعتباره اجمع ثمرة لأرباب المشاعر، وجعل الشكر والعبادة افضل ما تثمره حياة الانسان، بل هما - الشكر والعبادة - نتيجة خلقه وغاية فطرته وثمره حياته.

فهل يمكن عقلاً لهذا الحاكم المطلق والآمر الفرد، وهو الواحد الاحد، أن يسلم امر الانسان الذي هو ثمرة الكون كله الى غيره من "الاسباب" ويسلم ثمرة حياته - وهي الشكر والعبادة - الى الآخرين، بعدما خلق الكون كله لمعرفة ألوهيته، ولحبة ربوبيته، فهل يمكن ان يجعل نتيجة الخلق، وثمره الكون تسقط بين اشداق عفونة العبث؟! حاش لله وكلا، سبحانه الله عما يشركون.

ثم هل يمكن ان يرضى سبحانه بما يخالف حكمته وربوبيته يجعل بعض الاسباب مقصودة عبادة المخلوقات؟
علماً بأنه سبحانه وتعالى قد اشهر نفسه وعرفها وحبها بافعاله وأطافه في هذا العالم.

فكيف يرضى سبحانه - بعد هذا كله - ان يدع تحبب افضل مخلوقاته واكملهم

#289

عبودية وشكراً وحمداً الى غيره من المخلوقات، وكيف يسمح لمخلوقاته ان تنساه بعد أن اظهر بافعاله مقاصده السامية في الكون: وهي معرفته، ثم عبادته؟ حاش وكلا، فسبحان الله عما يقولون علواً كبيراً. ماذا تقول ايها الصديق بالذي سمعته آنفاً؟ وإذا به يجيب فيقول:

الحمد لله الذي سهل لي حل هاتين الشبهتين، فقد اظهرت لي في وحدانية الله، المعبود الحق والمستحق للعبادة وحده، دليلين قويين ساطعين لا يمكن انكارهما، وهل ينكر ضوء الشمس والنهار إلا مكابر معاند؟!

#290

الخاتمة

يقول "رجل الطبيعة" وقد ترك وراءه فكره وتصورات، ودخل "حظيرة الايمان" بفكر ايماني جديد: الحمد لله.. اشهد أن شهابتي قد زالت كلها، ولكن مازال في النفس ما يحيرني ويثير المزيد من هواجسي، مما يرد على خاطري من اسئلة لا اعرف جواباً عنها.

السؤال الاول:

نسمع من كثير من الكسالى المتقاعسين عن العبادات، ومن تاركي الصلاة بخاصة، انهم يقولون: ما حاجة الرب سبحانه وتعالى - الغني بذاته - الى عبادتنا حتى يزرنا في محكم كتابه الكريم، ويتوعدنا بأشد العذاب في نار جهنم، فكيف يتساق هذا الاسلوب - التهديدي الصاعق في مثل هذا الخطأ الجزئي التافه - مع اسلوبه الاعجازي اللين الهاديء الرقيق في المواضع الاخرى؟

الجواب: حقاً ان الله سبحانه وتعالى - الغني بذاته - لا حاجة له قط الى عبادتك انت - ايها الانسان - بل هو سبحانه لا حاجة له لشئ قط، ولكنك انت المحتاج الى العبادة، وانت المفتقر اليها. فأنت مريض معنى، والعبادة هي البلسم الشافي لجراحات روحك، واوجاع ذاتك، وقد اثبتنا هذا الكلام في عديد من الرسائل.

ترى لو خاطب مريضٌ طبيباً رحيماً يشفق عليه ويصر عليه ليتناول دواءً شافياً يخص مرضه، لو خاطبه تجاه اصراره عليه قائلاً: ما حاجتك انت الى هذا الدواء حتى تلج عليّ هذا الاحاح الشديد بتناول الدواء؟ الا يفهم من كلامه مدى تفاهته وسخفه وغباء منطقته؟

#291

اما نذير القرآن الكريم فيما يخص ترك العبادة وتهديده المخيف بعقاب اليم، فاليك تفسيره:

فكما ان سلطاناً يعاقب شخصاً سافلاً يرتكب جريمةً تمس حقوق الآخرين بعقاب صارم لاجل الحفاظ على حقوق رعاياه، كذلك سلطان الازل والابد يعاقب تارك العبادة والصلاة عقاباً صارماً، لانه يتجاوز تجاوزاً صارخاً على حقوق الموجودات ويظلمها ظلماً معنوياً بشعاً ويهضم حقوقها هضمًا مجحفًا، تلك الموجودات التي هي رعاياه وخلقته. وذلك لان كمالاتها تتظاهر على صورة تسبيح وعبادة في وجهها المتوجه الى البارئ الحكيم سبحانه. فتارك العبادة لا يرى عبادة الموجودات ولن يراها، بل ينكرها وفي هذا بخس لقيمة الموجودات التي كل منها مكتوب سام صمداني، قد خطّ آيات العبادة والتسبيح وهو متوجه بآياته وتسيبته نحو الموجد الخالق جلّ وعلا.. وكل منها - ايضاً - مرآة لتجلي الاسماء الربانية المشعة بالانوار.. فينزل هذه الموجودات - بهذا الانكار - من مقامها الرفيع السامي، ولا يرى في وجودها سوى العبث الخالي من المعنى، ويجردها من وظائفها الخلقية، ويظنها شيئاً هامداً ضائعاً لا اهمية له، فيكون بذلك قد استهان بالموجودات واستخف بها، واهان كرامتها وانكر كمالاتها، وتعدى على مصداقية وجودها.

نعم، ان كل انسان انما ينظر الى الكون بمنظاره الخاص وعلى وفق ما تصوره له مرآته الخاصة، فلقد خلقه البارئ المصور سبحانه على صورة يستطيع قياس الكون عليها، ويزنه بميزانها. فمنحه عالماً خاصاً به من هذا العالم العظيم فيصطبغ عالمه الخاص بحسب ما يعتقد الانسان من عقيدة في قلبه.

فالانسان الحزين اليأس الباكي يرى الموجودات باكية بائسة، بينما السعيد الجذلان يراها مبتسمة ضاحكة ومسرورة.

كذلك الذي يؤدي العبادة والاذكار بصورة جادة وبشعور تام وبتفكير وتأمل، فانه يكشف شيئاً من عبادة الموجودات وتساييحها بل قد يراها وهي حقيقة موجودة ثابتة، اما الذي يترك العبادة غافلاً او منكراً لها فإنه يتوهم الموجودات توهماً خاطئاً جداً

#292

ومنافياً كلياً ومخالفًا مخالفة تامة لحقيقة كمالاتها، فيكون متعدياً على حقوقها معني.

زد على ذلك، فان تارك الصلاة يظلم نفسه كذلك بتركه الصلاة، حيث انه غير مالك لذات نفسه، فهي - اي النفس - عبد مملوك لدى مالِكها ومولاها وخالقها وفاطرها، لذا ينذر مولاها الحق انذاراً شديداً ويهدده بعنف ليأخذ حقَّ عبده ذاك من نفسه الامارة بالسوء، فضلاً عن انه عندما ترك العبادة التي هي نتيجة خلقته وغاية فطرته يكون متجاوزاً حده تجاه الحكمة الإلهية والمشية الربانية، لذا يعاقب على هذا عقاباً شديداً. نحصل مما تقدم:

ان تارك العبادة مثلما انه يظلم نفسه، والنفس مملوك الحق سبحانه وعبده فهو يتعدى على حقوق كمالات الكائنات ويظلمها ايضاً. نعم، فكما ان الكفر استهانة بالموجودات واستخفاف بها، فترك العبادة انكار لكلمات

الكائنات، وتجاوز على الحكمة الإلهية، لذا يستحق تاركها تهديداً عنيفاً، وعقاباً صارماً. ومن هنا يختار القرآن الكريم اسلوب التهديد والانذار ليعبر عن هذا الاستحقاق وعن هذه الحقيقة المذكورة آنفاً، فيكون الاسلوب حقاً ومطابقاً تماماً لمقتضى الحال الذي هو البلاغة بعينها.

السؤال الثاني:

يقول صاحبنا الذي نبذ فكرة "الطبيعة" وتبرأ منها، وشرف بالايان بالله:

إن انقياد كل موجود، في كل شأن من شؤونه، وفي كل جزء من جزئياته، وفي كل ما يقوم به وينجزه، انقياداً مطلقاً للمشيئة الإلهية، والقدرة الربانية، هو حقيقة عظيمة جلية، فهي لعظمتها وسعتها لاتستوعبها اذهاننا الكليية القاصرة، علماً اننا نطالع عياناً وفرةً متناهيةً من الموجودات، وسهولة مطلقة في خلق الاشياء، وقد تحققت "السهولة في اليجاد" التي هي من مستلزمات "الوحدانية" بما اقمتموه من براهين وحجج قاطعة، فضلاً عن أن القرآن الكريم قد قرر السهولة المطلقة صراحة في آيات كريمة كثيرة امثال:

#293

(مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنْفُسٍ وَّاحِدَةٍ) (لقمان: 28)

(وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) (النحل: 77).

كل ذلك يجعل تلك الحقيقة العظيمة "سهولة اليجاد" مسألة مقبولة جداً ومستساغة عقلاً، فأين يكمن سرُّ هذه السهولة ياترى وما الحكمة من ورائها؟

الجواب: لقد وضح ذلك السرّ وضوحاً تاماً ومقنعاً في "المكتوب العشرين" عند شرحه الآية الكريمة: (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) بما يفني بالغرض، وبخاصة في ذيله، حيث جاء التوضيح وافياً وشفافياً جداً، ومقنعاً بالدليل والبرهان والاثبات القاطع، وخلاصته:

عندما يسند ايجاد الموجودات جميعها الى الصانع الواحد، يسهل الامر كسهولة ايجاد مخلوق واحد، بينما اذا اسند للكثرة يصعب - على هذه الكثرة - امر ايجاد مخلوق واحد بقدر صعوبة ايجاد جميع الموجودات.. فيكون خلق بذرة واحدة صعباً ومشكلاً كخلق شجرة.. ولكن اذا اسند "اليجاد" الى صانعه الحق سبحانه، يسهل الامر حتى يصبح ايجاد الكائنات كلها كايحاد شجرة واحدة، والشجرة كالبذرة، والجنة كالربيع، والربيع كالزهرة، فالامر يسهل ويكون هيناً.

وسنشير هنا اشارة مختصرة الى دليل او دليلين من بين مئات الادلة التي اوضحناها بالتفصيل في رسائل اخرى، تلك الادلة التي تبين ما يدور من الاسرار والحكم الكامنة فيما نشاهده من وفرة الموجودات التي لاحصر لها ورخصها، وكثرة افراد كل نوع منها، وورودها الى الوجود منتظمة، متقنة، وبكل سهولة ويسر.

مثال هذا: إن ادارة مائة جندي تحت إمرة ضابط واحد، اسهل بمائة ضعف من ادارة جندي واحد تحت إمرة مائة ضابط.

وعندما يُودَعُ أمرُ تجهيز جيش كامل باللوازم العسكرية، من مركز واحد، ويقانون واحد، ومن مصنع واحد، الى امرٍ يصدره قائد واحد، فان ذلك يكون سهلاً وهيناً من حيث الكمية والوفرة، بسهولة تجهيز جندي واحد. بينما يكون ايداع أمر تجهيز جندي واحد باللوازم العسكرية الكاملة من مراكز متعددة ومصانع متعددة، الى قواد عديدين مشكلاً وصعباً من حيث الكمية والوفرة

#294

ايضاً بصعوبة تجهيز جيش كامل. اذ ينبغي عندئذ وجود مصانع كثيرة للتجهيزات بعدد ما يلزم جيشاً كاملاً، لاجل تجهيز الجندي الواحد.

ويشاهد ايضاً ان الشجرة الواحدة، التي تزود بالمواد الضرورية لها من جذر واحد، ومن مركز واحد، وعلى وفق قانون واحد، تثر الوف الثمرات، ويتم ذلك بسهولة ويسر كأن للشجرة ثمرة واحدة. بينما اذا استبدلت الكثرة بالوحدة، وسلك طريق الكثرة عوضاً عن طريق الوحدة، فزوّدت كل ثمرة بالمواد الضرورية للحياة من مراكز مختلفة، وجذور متباينة، يكون ايجاد ثمرة واحدة مشكلاً وصعباً كمايحاد الشجرة نفسها، بل قد يكون ايجاد البذرة التي هي أنموذج الشجرة وفهرستها - صعباً ومعضلاً كمايحاد الشجرة نفسها. لان مايلزم حياة الشجرة من مواد ضرورية يلزم البذرة ايضاً.

فهناك المئات من امثال هذه الامثلة، وكلها تبين: ان ورود الوف الموجودات بسهولة مطلقة الى الوجود - في الوحدة - اسهل من ورود موجود واحد الى الوجود بالتعدد والكثرة.

ولما كنا قد اثبتنا هذه الحقيقة في رسائل اخرى بيقين قاطع نحيل اليها، ولكننا نبين هنا فقط سرّاً عظيماً يتعلق بهذه السهولة واليسر من زاوية نظر العلم الإلهي، والقدر الإلهي، والقدرة الربانية، وهذا السر هو:

انت موجود من الموجودات فاذا سلّمت نفسك الى يد القدير المطلق القدرة، فانه يخلقك بأمر واحد وبقدرته المطلقة بلمح البصر من العدم، من غير شئ. ولكن ان لم تسلم نفسك اليه، بل اسندتها الى "الطبيعة" واسلمتها الى الاسباب المادية، فيلزم عندئذ لايجادك انت، عملية بحث دقيق - لجمع جميع المواد التي في وجودك - في اقطار العالم كله، والتفتيش عنها في زوايا الكون كله، وامرارها في مصافٍ واختبارات دقيقة جداً، ووزنها بموازين حساسة، ذلك لانك خلاصة منتظمة للكون، وثمرته اليانعة، وفهرسته المصغرة، ومحفظته المنطوية على مواد الكون كله.

لأن الاسباب المادية ليس لها الا التركيب والجمع، اذ هو ثابت لدى ارباب العقول

#295

انه لا يمكن للأسباب المادية ايجاد ما لا يوجد فيها، من العدم ومن غير شئ، لذا فهي مضطرة الى جمع المواد اللازمة لجسم كائن حي صغير من اقطار العالم كله.

فافهم من هذا مدى السهولة المطلقة في الوحدة والتوحيد. ومدى الصعوبات والمشكلات في الشرك والضلالة. ثانيها:

ان هناك سهولة مطلقة في الخلق والايجاد تنبع من زاوية نظر "العلم الإلهي" وتفصيلها كآآتي:
ان القدر الإلهي هو نوع من العلم الإلهي، يعين مقدار كل شئ كأنه قالب معنوي له وخاص به، فيكون ذلك المقدار القَدْرِي بمثابة خطة لذلك الشئ، وبحكم "موديل" نموذج له، فعندما توجده "القدرة الإلهية" توجده على ذلك المقدار القَدْرِي بكل سهولة ويسر.

فان لم يُنسب ايجاد ذلك الشئ الى مَنْ له علم محيط مطلق ازلي وهو الله القدير ذو الجلال لا تحصل الوف المشكلات فحسب، بل تقع مئات المحالات ايضاً - كما ذكر آنفاً - لانه إن لم يكن هناك ذلك المقدار القَدْرِي، والمقدار العلمي، يلزم استعمال ألوف القوالب المادية والخارجية للجسم الصغير للحيوان!
فافهم من هذا سرّاً من اسرار السهولة المطلقة في الوحدة والتوحيد وكثرة المشكلات غير المتناهية في التعدد والكثرة والشرك.

واعلم مدى الحقيقة السامية الصائبة التي تعبر عنها الآية الكريمة: (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ أَوْ هَوٍّ أَقْرَبُ) .

السؤال الثالث:

يقول الذي كان يعادي سابقاً ووفقاً الى الايمان الآن واهتدى:

مابال بعض الفلاسفة المغالين في عصرنا هذا يطلقون مقولة: "لا يُستحدث شئ من العدم ولا يفنى شئ من الوجود" وان ما يدير هذا الكون، انما هو تركيب المادة وتحليلها ليس الا!

#296

الجواب:

ان هؤلاء الفلاسفة الذين لم يتسنّ لهم النظر الى الموجودات بنور القرآن المبين، عندما نظروا اليها بمنظار "الطبيعة" و"الاسباب" توصلوا الى ان وجود هذه الموجودات، وافتراس تشكلها بعوامل "الطبيعة" و"الاسباب" مسألة تطرح مشكلات عويصة بدرجة الامتناع - على غرار ما ذكرناه في بيان الاحتمالات ومحالاتها - فانقسم هؤلاء الفلاسفة إزاء هذه العقبة الكأداء الى قسمين:

قسم منهم صاروا سوفسطائيين وعافوا العقل الذي هو خاصة الانسان وسقطوا الى درك أدنى من الحيوانات،

اذ وصل بهم امر فكرهم الى انكار الوجود عموماً، بل حتى انكار وجودهم، وذلك عندما رأوا ان هذا الانكار اجدى على العقل وايسر عليه واسلم من تصور "الطبيعة" و"الاسباب" مالكة لزام اليجاد، فانكروا وجود انفسهم ووجود الموجودات جميعاً، فسقطوا في هاوية الجهل المطلق.

اما القسم الثاني: فقد نظروا الى الموجودات انها لو سلم ايجادها الى "الاسباب" و"الطبيعة" كما هو شأن اهل الضلالة فان ايجاد شئ صغير جداً كالبعوضة او البذرة فيه من المشكلات مالا يحد، ويقتضي قدرة عظيمة لا يبلغ مداها العقل، فوجدوا انفسهم مضطرين الى انكار "اليجاد" نفسه، فقالوا: "لايستحدث شئ من العدم" ورأوا ان اعدام الشئ محال ايضاً فقررروا انه "لايفنى الموجود". وتخيّلوا جملة من الاوضاع الاعتبارية سارية ما بين تحليل وتركيب وتفريق وتجميع، ناتجة عن حركات الذرات، وسيل المصادفات!

فتأمل في هؤلاء الذين يظنون انفسهم في ذروة العقل، قد سقطوا في حضيض من حماقة والجهل، واعلم من هذا كيف تضع الضلالة هذا الانسان المكرم - حين يلغي ايمانه - موضع سخرية وازدراء من كل احد.. وبدورنا نسأل هؤلاء:

ترى كيف يمكن استبعاد ايجاد شئ ما من القدرة المطلقة التي توجد على سطح الارض في كل سنة اربعمائة الف نوع من الاحياء؟ والتي خلقت السموات والارض

#297

في ستة ايام؟ والتي تنشئ في كل ربيع تحت بصر الانسان وسمعه، على سطح الارض كوناً حياً من النبات والحيوان هو اظهر اتقاناً واجلى حكمةً من الكون كله، في ستة اسابيع؟ كيف يستبعد منها ان تخلق الموجودات العلمية - التي تعينت خطتها ومقاديرها ضمن دائرة العلم الازلي - فتخلقها بسهولة مطلقة سهولة اظهار الكتابة غير المنظورة بإمرار مادة كيميائية عليها. فاستبعاد اضافة الوجود الخارجي على الموجودات العلمية - والتي هي معدومات خارجياً - من تلك القدرة الازلية، ثم انكار اليجاد نفسه لهو حماقة وجمالة اشد من حماقة السوفسطائيين المعروفين وجمالتهم!

وحيث ان نفوس هؤلاء التعساء المتفرعة العاجزة عجزاً مطلقاً والتي لا تملك إلا جزءاً يسيراً من الاختيار غير قادرة على ايفاء اي شئ كان واعدامه، وايجاد اية ذرة كانت او مادة من غير شئ ومن العدم.. ولما كانت الطبيعة والاسباب التي يفخرون بعبوديتهم لها عاجزة هي الاخرى وليس في طوقها امر "اليجاد" من غير شئ.. نراهم يصرون حكماً عاماً: "ان المادة لا تفنى ولا تستحدث" ويحاولون ان يعمموا حكم هذه القاعدة الباطلة الخاطئة حتى على قدرة التقدير المطلق القدرة سبحانه.

نعم، ان التقدير المطلق ذا الجلال له طرازان من اليجاد:

الاول:

هو بالاختراع والابداع، اي انه سبحانه يندع الوجود من العدم إبداعاً من غير شئ، ويوجد كل ما يلزم - هذا الوجود - من اشياء من العدم ويسلمها اياه.

الآخر:

هو بالانشاء والصنعة والاتقان. اي ينشئ قسماً من الموجودات من عناصر الكون نفسه، إظهاراً لكمال حكمته، وتبياناً لتجليات اسمائه الحسنى.. وامثالها من الحكم

#298

الدقيقة، فيرسل الى تلك الموجودات الذرات والمواد المتقادة الى اوامره ضمن سنن الرزاقية الكونية، ويسخرها لها ليكمل انشاء هذا الوجود، وهكذا فالقدير المطلق القدرة له اسلوبان من الايجاد وصورهما: الابداع.. والانشاء..

فإنشاء الموجود، وايجاد المعدوم، امر سهل جداً لديه، وهين جداً بل هو قانونه الدائم العام.

فالذي يستبعد من القدرة الفاطرة التي تخلق من العدم ثلاث مائة الف نوع من المخلوقات والاحياء، وتمنحها اشكالها وصفاتها وكمياتها واحوالها مما سوى ذراتها. ويقول: "انها لن تقدر على ايجاد المعدوم" لابد ان يهوي في ظلمة العدم.

يقول الذي نبذ "الطبيعة" ونفذ الى طريق الحقيقة:

الحمد لله حمداً كثيراً بعدد الذرات، الذي وفقني للفوز بكمال الايمان، وانقذني من الاوهام والضلالات، فزالت بفضلها جميع ما لدي من شبهات وريب.

الحمد لله على دين الاسلام وكمال الايمان

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

#299

%

اللمعة الرابعة والعشرون

رسالة الحجاب

كانت هذه هي المسألة الثانية والثالثة من "المذكرة الخامسة عشرة" الا ان اهميتها جعلتها "اللمعة الرابعة والعشرين".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنينَ عليهن من جلابيبهن) (الاحزاب: 59)

هذه الآية الكريمة تأمر بالحجاب، بينما تذهب المدينة الزائفة الى خلاف هذا الحكم الرباني، فلا ترى الحجاب أمراً فطرياً للنساء، بل تعده اسراً وقيداً لهن .¹

¹ هذه فقرة من اللائحة المرفوعة الى محكمة التمييز، القيت امام المحكمة، فأسكتها، واصبحت حاشية لهذا المقام:
«وانا اقول لمحكمة العدل!

ان ادانة من يفسر اقدس دستور إلهي وهو الحق بعينه، ويحتكم اليه ثلاث مائة وخمسون مليوناً من المسلمين في كل عصر في حياتهم الاجتماعية، خلال الف وثلاث مائة وخمسين عاماً. هذا المفسر استند في تفسيره الى ما اتفق عليه وصدق به ثلاث مائة وخمسون ألف مفسر، واقتدى بالعقائد التي دان بها اجدادنا السابقون في الف وثلاث مائة وخمسين سنة.. اقول: ان ادانة هذا المفسر، قرار ظالم، لا بد ان ترفضه العدالة، ان كانت هناك عدالة على وجه الارض، ولا بد ان ترد ذلك الحكم الصادر بحقه وتنقضه» . - المؤلف.

#300

وسندين جواباً اربعاً من الحكم فقط من بين حكم غزيرة دالة على كون هذا الحكم القرآني تقتضيه فطرة النساء وخلافه غير فطري.

الحكمة الاولى:

ان الحجاب امر فطري للنساء، تقتضيه فطرتهن، لان النساء جُبلن على الرقة والضعف، فيجدن في انفسهن حاجة الى رجل يقوم بحمايتهن وحماية اولادهن الذين يؤثرهم على انفسهن، فهن مسوقات فطرياً نحو تحبيب انفسهن للاخرين وعدم جلب نفرتهم وتجنب جفائهم واستنقاعهم.

ثم، ان ما يقرب من سبعة اعشار النساء: اما متقدمات في العمر، او دميات لا يرغبن في اظهار شبيهن او دمامتهن، او أنهن يحملن غيرة شديدة في ذواتهن يخشين ان تفضل عليهن ذوات الحسن والجمال، او أنهن يتوجسن خيفة من التجاوز عليهن وتعرضن لتهمة.. فهؤلاء النساء يرغبن فطرة في الحجاب حذراً من التعرض والتجاوز عليهن وتجنباً من ان يكن موضع تهمة في نظر أزواجهن، بل نجد ان المسنات احرص على الحجاب من غيرهن.

وربما لا يتجاوز الاثنتين او الثلاث من كل عشر من النساء هن: شابات وحسنات لا يتضايقن من ابداء مفاتهن! اذ من المعلوم ان الانسان يتضايق من نظرات من لا يحبه. وحتى لو فرضنا ان حسناء جميلة ترغب في ان يراها اثنان او ثلاثة من غير المحارم فهي حتما تستثقل وتنزعج من نظرات سبعة او ثمانية منهم، بل تنفر منها.

فالمرأة لكونها رقيقة الطبع سريعة التأثر تنفر حتماً - ما لم تفسد اخلاقها وتبدل - من نظرات خبيثة تصوب اليها

والتي لها تأثير مادي كالسّم - كما هو مجرب - حتى اننا نسمع: أن كثيرا من نساء اوربا وهي موطن التكشف والتبرج، يشكين الى الشرطة من ملاحقة النظرات اليهن قائلات: ان هؤلاء السفلة يزجوننا في سجن نظراتهم! نخلص مما تقدم:

ان رفع المدنية السفية الحجاب وافساحها المجال للتبرج يناقض الفطرة الانسانية. وان امر القرآن الكريم بالحجاب - فضلاً عن كونه فطرياً - يصون النساء من المهانة والسقوط، ومن الذلة والاسر المعنوي ومن الرذيلة والسفالة، وهن معدن الرأفة والشفقة والرفيقات العزيزات لازواجهن في الأبد.

#301

والنساء - فضلاً عما ذكرناه - يحملن في فطرتن تحوفاً من الرجال الاجانب وهذا التخوف يقتضي فطرة التحجب وعدم التكشف، حيث تنغص لذة غير مشروعة لتسع دقائق بتحمل اذى حمل جنين لتسعة اشهر، ومن بعده القيام بتربية ولد لا حامي له زهاء تسع سنين! ولوقوع مثل هذه الاحتمالات بكثرة تتخوف النساء فطرة خوفاً حقيقياً من غير المحارم. وتتجنبنهم جبلة، فتنهبا خلقتها الضعيفة تنهبا جادا، الى التحفظ وتدفعها الى التستر، ليحول دون اثاره شهوة غير المحارم، وليمنع التجاوز عليها، وتدلها فطرتها على ان حجابها هو قلعها الحصينة وخذقها الامين.

ولقد طرق سمعنا: ان صباغ أحذية قد تعرض لزوجته رجل ذي منصب دينوي كبير، كانت مكشوفة المقاتن، وراودها نهاراً جهاراً في قلب العاصمة "انقرة"! أليس هذا الفعل الشنيع صفة قوية على وجوه اولئك الذين لا يعرفون معنى الحياء من اعداء العفة والحجاب؟

الحكمة الثانية:

إن العلاقة الوثيقة والحب العميق بين الرجل والمرأة ليسا ناشئين عما تتطلبه الحياة الدنيا من الحاجات فحسب، فالمرأة ليست صاحبة زوجها في حياة دنيوية وحدها، بل هي رفيقته ايضاً في حياة ابدية خالدة. فما دامت هي صاحبتة في حياة باقية فينبغي لها ألا تلفت نظر غير رفيقها الابدي وصدقها الخالد الى مفاتها، وألا تزججه، ولا تحمله على الغضب والغيرة.

وحيث ان زوجها المؤمن، بحكم ايمانه لا يحصر محبته لها في حياة دنيوية فقط ولا يوليها محبة حيوانية قاصرة على وقت جمالها وزمن حسنها، وانما يكن لها حبا واحتراما خالصين دائمين لا يقتصران على وقت شبابها وجمالها بل يدومان الى وقت شيخوختها وزوال حسنها، لأنها رفيقته في حياة ابدية خالدة.. فإزاء هذا لا بد للمرأة ايضاً أن تخص زوجها وحده بجمالها ومفاتها وتقتصر محبتها به، كما هو مقتضى الانسانية، وإلا ستفقد الكثير ولا تكسب الا القليل.

ثم ان ما هو مطلوب شرعاً: ان يكون الزوج كفوءاً للمرأة، وهذا يعني ملاءمة الواحد للآخر ومماثلتهما، واهم ما في الكفاءة هذه هي كفاءة الدين كما هو معلوم.

#302

فما اسعد ذلك الزوج الذي يلاحظ تدين زوجته ويقوم بتقليدها، ويصبح ذا دين، لئلا يفقد صاحبه الوفية في حياة ابدية خالدة!

وكم هي محظوظة تلك المرأة التي تلاحظ تدين زوجها وتخشى ان تفرط برفيق حياتها الامين في حياة خالدة، فتتمسك بالايان والتقوى.

والويل ثم الويل لذلك الرجل الذي ينغمس في سفاهة تفقده زوجته الطيبة الصالحة.

ويا لتعاسة تلك المرأة التي لاتقلد زوجها التقى الورع، فتخسر رفيقها الكريم الابدي السعيد.

والويل والثبور لذينك الزوجين الشقيين اللذين يقفان بعضهما البعض الآخر في الفسوق والفحشاء، فيتسابقان في دفع احدهما الآخر في النار.

الحكمة الثالثة:

ان سعادة العائلة في الحياة واستمرارها انما هي بالثقة المتبادلة بين الزوجين، والاحترام اللائق والود الصادق بينهما، الا أن التبرج والتكشيف يخل بتلك الثقة ويفسد ذلك الاحترام والمحبة المتبادلة. حيث تلاقي تسعة من عشرة متبرجات امهّن رجالاً يفوقون ازواجهن جمالاً، بينما لا ترى غير واحدة منهم من هو اقل جمالاً من زوجها ولا تحب نفسها اليه. والامر كذلك في الرجال فلا يرى الا واحداً من كل عشرين منهم من هي اقل جمالاً من زوجته، بينما الباقون يرون امهم من يفقن زوجاتهن حسناً وجمالاً. فهذه الحالة قد تؤدي الى انبعاث احساس دنى وشعور سافل قبيح في النفس فضلاً عما تسببه من زوال ذلك الحب الخالص وفقدان ذلك الاحترام، وذلك:

ان الانسان لا يمكنه ان يحمل فطرة شعوراً دينياً حيوانياً تجاه المحارم - كالاخت - لان سياء المحارم تشعر بالرأفة والمحبة المشروعة النابعين من صلة القربى. فهذا الشعور النبيل يحد من ميول النفس الشهوية، الا أن كشف ما لا يجوز كشفه كالساق، قد

#303

يثير لدى النفوس الدينية حساً سافلاً خبيثاً لزوال الشعور بالحرمة، حيث ان ملامح المحارم تشعر بصلة القرابة، وكونها محرماً وتتميز عن غيرهم، لذا فكشفت تلك المواضع من الجسد يتساوى فيه المحرم وغيره، لعدم وجود تلك العلامات الفارقة التي تستوجب الامتناع عن النظر المحرم، ولربما يهيج لدى بعض المحارم السافلين هوى النظرة الحيوانية! فمثل هذه النظرة سقوط مريع للانسانية تقشعر من بشاعتها الجلود.

الحكمة الرابعة:

من المعلوم أن كثرة النسل مرغوبة فيها لدى الجميع، فليس هناك امة ولا دولة لاتدعو الى كثرة النسل، وقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة).¹ بيد ان رفع الحجاب وافساح المجال امام التبرج والتكشف يحد من الزواج، بل يقلل من التكاثر كثيراً، لان الشاب مهما بلغ فسوقه وتحلله، فانه يرغب في ان تكون صاحبتة في الحياة مصونة عفيفة، ولايريدها ان تكون مبتذلة متكشفة مثله، لذا تجده يفضل العزوبة على الزواج. وربما ينساق الى الفساد. اما المرأة فهي ليست كالرجل حيث لاتمكن من ان تحدد اختيار زوجها.

والمرأة من حيث كونها مدبرة لشؤون البيت الداخلية، ومأمورة بالحفاظ على اولاد زوجها وامواله وكل ما يخصه، فان اعظم خصالها هي: الوفاء والثقة. الا ان تبرجها وتكشفيها يفسد هذا الوفاء ويزعزع ثقة الزوج بها، فتجرع الزوج آلاماً معنوية وعذاباً وجدانياً.

حتى ان الشجاعة والسخاء وهما خصلتان محمودتان لدى الرجال اذا ماوجدتا في النساء عدتا من الاخلاق المذمومة، لاخلالهما بتلك الثقة والوفاء، اذ تفضيان الى

¹ تناكحوا تناسلوا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة» رواه عبدالرزاق والبيهقي عن سعيد بن ابي هلال مرسلًا بلفظ: (تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة) قال في المقاصد: جاء معناه عن جماعة من الصحابة، فأخرج ابو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم عن معقل بن يسار مرفوعاً: تزوجوا الولود الودود فاني مكاتر بكم الامم يوم القيامة، ولأحمد وسعيد بن منصور والطبراني في الاوسط والبيهقي وآخرين عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول: تزوجوا الولود الودود فاني مكاتر بكم الامم يوم القيامة، وصححه ابن حبان والحاكم.. الخ (باختصار عن كشف الخفاء للعجلوني 1021) والسيوطي في الجامع الصغير (3366).

#304

الوقاحة والاسراف. وحيث ان وظيفة الزوج غير قاصرة على الائتمان على اموالها، وعلى الارتباط بها بل تشمل حمايتها والرحمة بها والاحترام لها فلا يلزمه ما يلزم الزوجة، اي لا يقيد اختياره بزوجة واحدة، ويمكنه ان ينكح غيرها من النساء.

ان بلادنا لاتقاس ببلدان اوربا، فهناك وسائل صارمة للحفاظ - الى حد ما - على الشرف والعفاف في وسط متبرج متكشف، منها المبارزة وامثالها، فالذي ينظر بنخب الى زوجة احد الشرفاء عليه ان يعلق كفته في عنقه مقدماً. هذا فضلاً عن ان طبائع الاوربيين باردة جامدة كمناحهم. اما هنا في بلاد العالم الاسلامي خاصة فهي من البلدان الحارة قياسا الى اوروبا، ومعلوم مدى تأثير البيئة في اخلاق الانسان. ففي تلك الاصقاع الباردة،

ولدى أناس بارددين قد لا يؤدي التبرج الذي يثير الهوى الحيواني ويهيج الرغبات الشهوانية الى تجاوز الحدود مثلما يؤدي الى الافراط والاسراف في اناس حساسين يثارون بسرعة في المناطق الحارة.

إن التبرج وعدم الحجاب الذي يثير هوى النفس، ويطلق الشهوات من عقالها يؤدي حتماً الى الافراط وتجاوز الحدود والى ضعف النسل وانهييار القوى. حيث ان الرجل الذي يمكنه أن يقضي وطره الفطري في شهر أو في عشرين يوماً يظن نفسه مضطراً الى دفعه كل بضعة ايام. وحيث ان هناك عوارض فطرية - كالحيض - تجنبه عن اهله وقد تطول خمسة عشر يوماً، تراه ينساق الى الفحش ان كان مغلوباً لنفسه.

ثم ان اهل المدن لا ينبغي لهم انّ يقدّوا اهل القرى والارياف في حياتهم الاجتماعية ويرفعوا الحجاب فيما بينهم، لأن اهل القرى يشغلهم شاغل العيش وهم مضطرون الى صرف جهود بدنية قوية لكسب معيشتهم، وكثيراً ما تشترك النساء في اشغال متعبة، لذا لا يهيج ما قد ينكشف من اجزاء اجسامهن الخشنة شهوات حيوانية لدى الآخرين، فضلاً عن انه لا يوجد في القرى سفهاء عاطلون بقدر ما هو موجود في المدن. فلا تبلغ مفسادها الى عشر ما في المدينة، لهذا لا تقاس المدن على القرى والارياف.

#305

[مسألة مهمة اخطرت على القلب فجأة]

تنبيه:

ان دأب رسائل النور في الخطاب هو الرحمة والشفقة والرأفة، لذا يرتبط معها النساء اللاتي يتميزن بالشفقة والحنان أكثر من الرجال. اما هذا البحث فانه موجه الى اللاتي يقلدن الاجنبيات تقليداً اعمى، لذا تبدو فيه الشدة في الكلام، وليس ذلك الا لتنبيه الغافلات وايقاظهن. أما اخواتنا رائدات الشفقة والحنان فترجو الأ تزعجهن شدته في الكلام.

يُفهم من روايات الاحاديث النبوية ان النساء وقتنتهن ستؤدى أخطر دور وأرهبه في فتنة آخر الزمان. نعم، كما تنقل لنا كتب التاريخ: انه كانت في القرون الاولى طائفة من النساء اشتهرن بالشجاعة وحمل السلاح يعرفن بـ (نساء الامازون) حتى تشكلت منهن فرقة عسكرية اقتحمت حروباً ضارية، كذلك في عصرنا هذا، لدى تصدى ضلالة الزندقة للاسلام وحرها معه فان أرهب فرقة من الفرق المغيرة على الاسلام والتي تسير وفق مخطط النفس الامارة بالسوء، وسلمت قيادها وامرتها الى الشيطان، هي طائفة من النساء الكاسيات العاريات اللاتي يكشفن عن سيقانهن ويجعلنها سلاحاً قاسياً جارحاً ينزل بطعناته على أهل الايمان! فيغلطن بذلك باب النكاح ويفتحن أبواب السفاح، اذ يأسرن بغتة نفوس الكثيرين ويجرحهم جروحاً غائرة في قلوبهم وأرواحهم بارتكابهم الكبائر، بل ربما يصرعن قسماً من تلك القلوب ويقضين عليها.

وانه لعقاب عادل لهن، أن تصبح تلك السيقان المدججة بسلاح الفتنة الجارح حطب جهنم وتحرق في نارها

أول ما يحرق، لما كن يكشفها لبضع سنوات أمام من يحرم عليهن.
فضلاً عن ذلك فانهن يفقدن الزوج المناسب لهن، بل لا يستطعن الحصول عليه وهن في أمس الحاجة اليه
بحكم الفطرة والخلفة، لما كن قد ضيَّعن الثقة والوفاء في الدنيا، بل يصبحن في حالة من الابتذال وفقدان الرعاية
والاهمية - نتيجة عدم الرغبة

#306

في النكاح وعدم الرعاية لحقوقه - أن يكون رجل واحد قيماً على أربعين من النساء، كما ورد ذلك في الحديث
الشريف(1).

فما دامت الحقيقة هكذا.. وما دام كلُّ جميل يحب جماله، ويحاول جمده المحافظة عليه، ولا يريد أن يُمسَّ بسوء..
وما دام الجمال نعمة مهداة، والنعمة إن حُمدت عليها زادت وان قوبلت بالنكران تغيَّرت.. فلا شك ان المرأة
المالكة لرشدها ستهرب بشدة وبكل مالديها من قوة من ان تجعل جمالها وسيلة لكسب الخطايا والذنوب
وسوق الآخرين عليها.. وستفر حتماً من ان تجعل جمالها يتحول الى قبح دميم وجمال منحوس مسموم.. وستنهزم
بلاشك من ان تجعل بالنكران تلك النعمة المهداة مدار عذاب وعقاب.

لذا ينبغي للمرأة الحسنة استعمال جمالها على الوجه المشروع ليظل ذلك الجمال الفاني خالداً دائماً بدلاً من جمال
لا يدوم سوى بضع سنين، فتكون عندئذ قد أدت شكر تلك النعمة. والأستتجرع الآلام والعذاب في وقت
شيخوختها، وستبكي وتندب على نفسها يائسة نادمة لشدة ما ترى من استئثار الآخرين لها واعراضهم عنها.
أما اذا زُين ذلك الجمال بزينة آداب القرآن الكريم وروعي الرعاية اللائقة ضمن نطاق التربية الاسلامية،
فسيظل ذلك الجمال الفاني باقياً - معنئ - وستمسح المرأة جمالاً هو أجمل وأبهى وأحلى من جمال الحور العين في
الجنة الخالدة كما هو ثابت في الحديث الشريف(2). فلئن كانت لتلك المرأة مسكة من عقل، فلن تدع هذه
النتيجة الباهرة الخالدة قطعاً ان تضيع منها.

(1) عن أنس قال: لحدثنكم حديثاً لا يحدثكم احد بعدى، سمعت رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يقول: (من اشراط
الساعة ان يقل العلم ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد) البخارى - كتاب العلم
- باب رفع العلم وظهور الجهل.

(2) في الباب احاديث كثيرة نذكر منها: عن ام سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) قالت: (في حديث طويل) قلت:
يا رسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: نساء الدنيا افضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة.
قلت: يارسول الله. وبم ذلك؟ قال: بصلاتهم وصيامهم وعبادتهم لله عز وجل ألبس الله عز وجل وجوههم النور
واجسادهم الحرير، بيض الالوان، خضر الثياب، صفر الحلي... الخ الحديث.. رواه الطبراني في الكبير والاوسط وهذا
لفظه (عن الترغيب والترهيب للمنذري 537/4).

#307

حوار مع المؤمنات، اخواتي في الآخرة

باسمه سبحانه

حينما كنت اشاهد في عدد من الولايات اهتمام النساء برسائل النور اهتماماً حاراً خالصاً وعلمت اعتمادهن على دورسي التي تخص النور بما يفوق حدي بكثير، جئت مرة ثالثة الى مدرسة الزهراء المعنوية، هذه المدينة المباركة "اسبارطة"، فسمعت ان اولئك النساء الطيبات المباركات، اخواتي في الآخرة، ينتظرن مني ان التقي عليهن درسا، على غرار ما يلقي في المساجد من دروس الوعظ والارشاد. بيد أني اعاني امراضاً عدة، مع ضعف وانهاك شديدين حتى لا استطيع الكلام ولا التفكير. ومع ذلك فقد سنحت بقلبي هذه الليلة خاطرة قوية، هي:

انك قد كتبت قبل خمس عشرة سنة رسالة (مرشد الشباب) بطلب من الشباب انفسهم، وقد استفاد منها الكثيرون، بينما النساء هن احوج الى مثل هذا "المرشد" في هذا الزمان. فزاء هذه الخاطرة وعلى الرغم مما اعانيه من اضطراب ومن عجز وضعف كتبت في غاية الاختصار لأخواتي المباركات ولبناتي المعنويات الشابات بعض ما يلزمهن من مسائل، ضمن نكات ثلاث.

النكتة الاولى:

لما كان اهم اساس من اساس رسائل النور هو "الشفقة" وان النساء هن رائدات الشفقة وبطلات الحنان، فقد اصبحن أكثر ارتباطاً برسائل النور فطرة. فهذه العلاقة الفطرية تُحس بها في كثير من الاماكن ولله الحمد والمنة. ولقد غدت التضحية التي تنطوي عليها الشفقة والحنان ذات اهمية عظيمة في زماننا هذا، اذ انها تعبر عن اخلاص حقيقي وفداء دون عوض ومقابل.

#308

نعم! ان فداء الام بروحها انقاذاً لولدها من الهلاك من دون انتظار لأجر، وتضحيتها بنفسها باخلاص حقيقي لاولادها باعتبار وظيفتها الفطرية، تدلان على وجود بطولة سامية رفيعة في النساء، بحيث يستطعن ان ينقذن حياتهن الدنيوية والاخروية بانكشاف هذه البطولة وانجلائها في انفسهن، إلا ان تيارات فاسدة تحول دون ظهور تلك السجية القيمة القوية وتمنع انكشافها، او تصرف تلك التيارات هذه السجية الطيبة الى غير محالها فتسئ استعمالها.

نورد هنا مثالا واحدا من مئات امثلتها:

ان الوالدة الحنون تضع نصب عينها كل فداء وتضحية لتمنع عن ولدها المصائب والهلاك، لتجعله سليماً معافاً في الدنيا. فتربي ولدها على هذا الاساس، فتنفق جميع اموالها ليكون ابنها عظيماً وسيداً آمراً. فتراها تأخذ ولدها

من المدارس العلمية الدينية وترسله الى اوروبا، من دون ان تفكر في حياة ولدها الابدية التي تصبح مهددة بالخطر.

فهي اذ تسعى لتتنقذه من سجن دنيوي، لا تهتم بوقوعه في سجن جهنم الابدية، فتتصرف تصرفاً مخالفاً لفطرتها مخالفة كلية، اذ بدلا من ان تجعل ولدها البرئ شفيحاً لها يوم القيامة تجعله مدعيّاً عليها، اذ سيشكو ذلك الولد هناك قائلاً لها: "لم تقوى ايماني حتى سببت في هلاكي هذا؟!".

وحيث انه لم يأخذ قسطاً وافراً من التربية الاسلامية، فلا يبالي بشفقة والدته الخارقة، بل قد يقصر في حقها كثيراً.

ولكن اذا ما سعت تلك الوالدة الى انقاذ ولدها الضعيف من السجن الابدية الذي هو جهنم، ومن الاعدام الابدية الذي هو الموت في الضلالة، بشفتها الحقيقية الموهوبة دون الاساءة في استعمالها، فان ولدها سيوصل الانوار دوماً الى روحها بعد وفاتها، اذ يسجل في صحيفة اعمالها مثل جميع الحسنات التي يعملها الولد. كما سيكون لها ولداً طيباً مباركاً ينعمان معاً في حياة خالدة، شفيحاً لها عند الله ما وسعته الشفاعة، لا شاكياً منها ولا مدعيّاً عليها.

نعم! ان اول استاذ الانسان وأكثر من يؤثر فيه تعليماً، انما هو والدته.

#309

سأبين هذه المناسبة هذا المعنى الذي التحسسه دائماً احساساً قاطعاً في شخصي، وهو:

اقسم بالله ان ارسخ درس اخذته، وكأنه يتجدد عليّ، انما هو تلقينات والدتي رحمها الله ودروسها المعنوية، حتى استقرت في اعماق فطرتي واصبحت كالبنور في جسدي، في غضون عمري الذي يناهز الثمانين رغم اني قد اخذت دروساً من ثمانين الف شخص، بل ارى يقينا ان سائر الدروس انما تبني على تلك البنور.

بمعنى اني اشاهد درس والدتي - رحمها الله - وتلقيناتها لفطرتي وروحي وانا في السنة الاولى من عمري، بذور اساس ضمن الحقائق العظيمة التي اراها الآن وانا في الثمانين من عمري.

مثال ذلك:

ان "الشفقة" التي هي اهم اساس من الاسس الاربعة في مسلكي ومشربي في الحياة.. وان "الرأفة والرحمة" التي هي حقيقة عظمى ايضاً من حقائق رسائل النور، اشاهدهما يقينا بانها نابعتان من افعال تلك الوالدة الرؤوف ومن احوالها الشفيقة ومن دروسها المعنوية.

نعم! ان الشفقة والحنان الكامنين في الامومة والتي تحملها باخلاص حقيقي وتضحية وفداء قد أسى استعمالها في الوقت الحاضر، اذ لا تفكر الام بما سينال ولدها في الآخرة من كنوز هي اثن من الالماس، بل تصرف وجهه

الى هذه الدنيا التي لاتعدل قطعاً زجاجية فانية، ثم تشفق على ولدها وتحنو عليه في هذا الجانب من الحياة. وما هذا الا اساءة في استعمال تلك الشفقة.

ان مما تثبت بطولة النساء في تضحيتهن العظيمة دون انتظار لأجر ولاعوض، من دون فائدة يجنينها لانفسهن ومن دون رياء واطهار لأنفسهن، هي استعدادهن للفداء بأرواحهن لأجل الولد، اقول ان مما يثبت ذلك هو ما نراه في الدجاجة التي تحمل مثلاً مصغراً من تلك الشفقة، شفقة الامومة وحنانها، فهي تهاجم الاسد، وتفدي بروحها، حفاظاً على فراخها الصغار.

وفي الوقت الحاضر، ان ألزم شئ واهم اساس في التربية الاسلامية واعمال الآخرة، انما هو "الاخلاص" فمثل هذه البطولة الفائقة في الشفقة تضم بين جوانحها الاخلاص الحقيقي.

#310

فاذا ما بدت هاتان النقطتان في تلك الطائفة المباركة، طائفة النساء، فانهما سيكونان مدار سعادة عظمى في المحيط الاسلامي.

اما تضحية الآباء فلا تكون دون عوض قطعاً، وانما تطلب الاجر والمقابل من جهات كثيرة تبلغ المائة، وفي الاقل تطلب الفخر والسمعة. ولكن مع الاسف فان النساء المباركات يدخلن الرياء والتعلق بطراز آخر وبنوع آخر نتيجة ضعفهن وعجزهن، وذلك خلاصاً من شر ازواجهن الظلمة وتسلبهم عليهن.

النكتة الثانية:

لما كنت في هذه السنة معتزلاً بالناس مبتعداً عن الحياة الاجتماعية، نظرت الى الدنيا نزولاً عند رغبة اخوة واخوات من النوريين، فسمعت من اغلب من قابلني من الاصدقاء، شكاوى عن حياتهم الاسرية. فتأسفت من الاعماق وقلت: "او دَبَّ الفسادُ في هذه الحياة ايضاً؟ ان الحياة الاسرية هي قلعة الانسان الحصينة، ولاسيما المسلم، فهي كجنته المصغرة ودينه الصغيرة".

فتشت عن السبب الذي ادى الى فسادها. وعلمت ان هناك منظمات سرية تسعى لاضلال الشباب وفسادهم بتذليل سبل الشهوات امامهم وسوقهم الى السفاهة والغواية لافساد المجتمع الاسلامي والاضرار بالدين الاسلامي، كما احسست ان منظمات ايضاً تعمل في الخفاء وتسعى سعياً جاداً مؤثراً لدفع الغافلات من النساء اللطيفات الى طرق خاطئة آتمة. وادركت ان ضربة قاصمة على هذه الامة الاسلامية تأتي من تلك الجهة.

فانا ابين بيانا قاطعاً، يا اخواتي ويا بناتي المعنويات الشابات!

ان العلاج الناجع لانقاذ سعادة النساء من الافساد في دنياهن واخراهن معاً، وان الوسيلة الوحيدة لصون

سجايهن الراقية اللاتي في فطرتهن من الفساد، ليس الا في تربيتهن تربية دينية ضمن نطاق الاسلام الشامل.
انكن تسمعن ما آلت اليه حال تلك الطائفة المباركة في روسيا!
وقد قيل في جزء من رسائل النور:

ان الزوج الرشيد لا يبني محبته لزوجته على جمال ظاهري زائل لا يدوم عشر سنوات، بل عليه ان يبني مودته لها على شفقتها التي هي اجمل محاسن النساء وادومه، ويوثقها بحسن سيرتها الخاصة بانوثتها، كي تدوم محبته لها كلما شابت

#311

تلك الزوجة الضعيفة، اذ هي ليست صاحبتة ورفيقتة في حياة دنيوية مؤقتة، وانما هي رفيقته المحبوبة في حياة ابدية خالدة. فيلزم ان يتحبا باحترام ازيد ورحمة اوسع، كلما تقدما في العمر. اما حياة الاسرة التي تترى في احضان المدنية الحديثة فهي معرضة للانهار والفساد، حيث تبني العلاقة فيها على صحبة مؤقتة يعقبها فراق ابدى.

وكذلك قيل في جزء من رسائل النور:

ان السعيد هو ذلك الزوج الذي يقلد زوجته الصالحة، فيكون صالحا مثلها، لئلا يفقد رفيقته في حياة ابدية خالدة.

وكم هي سعيدة تلك الزوجة التي ترى زوجها متدينا فتمسك بأهداب الدين لئلا تفقد رفيقها الابدى، فتفوز بسعادة آخرتها ضمن سعادة دنيائها!

وكم هو شقي ذلك الزوج الذي يتبع زوجته التي ارتمت في احضان السفاهة فيشاركها ولا يسعى لانقاذها!

وما اشقاها تلك الزوجة التي تنظر الى فجور زوجها وفسقه وتقلده بصورة اخرى!

والويل ثم الويل لذينك الزوجين اللذين يعين كل منهما الآخر في دفعه الى النار، اي يغري كل منهما الآخر للانغماس في زخارف المدنية.

وفحوى هذه الجمل التي وردت بهذا المعنى في رسائل النور هو:

انه لا يمكن ان يكون - في هذا الزمان - تنعم بحياة عائلية وبلوغ لسعادة الدنيا والآخرة وانكشاف لسجايها راقية في النساء الا بالتأدب بالآداب الاسلامية التي تحددها الشريعة الغراء.

ان اهم نقطة وجانب في حياة الاسر في الوقت الحاضر هي:

انه اذا ما شاهدت الزوجة فسادا في زوجها وخيانة منه وعدم وفاء، فقامت هي كذلك - عنادا له - بترك وظيفتها الاسرية وهي الوفاء والثقة فتفسدهما، يختل عندئذ نظام تلك الاسرة كليا ويذهب هباء منثوراً، كالاخلاق

بالنظام في الجيش.

فلا بد للزوجة ان تسعى جادة لإكمال نقص زوجها واصلاح تقصيره كي تنقذ صاحبها الابدي، والا فهي تخسر وتتضرر في كل جانب اذا ما حاولت اظهار نفسها وتحببها للآخرين بالتكشيف والتبرج، لان الذي يتخلى عن الوفاء يجد جزاءه في

#312

الدنيا ايضاً. لان فطرتها تتجنب غير المحارم وتشمئز منهم. فهي تحترز من ثمانية عشرة شخصاً من كل عشرين شخصاً اجنبياً، بينما الرجل قد لا يشمئز من النظر الى امرأة واحدة من كل مائة اجنبية. فكما ان الزوجة تعاني من العذاب من هذه الجهة فهي تضع نفسها موضع اتهام ايضا بعدم الوفاء وفقدان الثقة والوفاء فلا تستطيع الحفاظ على حقوقها فضلا عن ضعفها.
حاصل الكلام:

كما ان النساء لا يشبهن الرجال - من حيث الشفقة والحنان - في التضحية ولا في الاخلاص، وان الرجال لا يبلغون شأوهن في التضحية والفداء. كذلك لا تدرك المرأة الرجل في السفاهة والغي بأي وجه من الوجوه، لذا فهي تخاف كثيراً بفطرتها وخلقتها الضعيفة من غير المحارم وتجند نفسها مضطرة الى الاحتماء بالحجاب. ذلك لان الرجل اذا غوى لاجل تلذذ ثماني دقائق لا يتضرر الا بضع ليرات، بينما المرأة تجازى على ثماني دقائق من اللذة بثقل ثمانية اشهر وتتحمل تكاليف تربية طفل لا حامي له طوال ثماني سنوات. بمعنى ان المرأة لا تبلغ مبلغ الرجال في السفاهة، وتعاقب عليها اضعاف اضعاف عقاب الرجل.

ان هذه الحوادث ليست نادرة وهي تدل على ان النساء مخلوقات مباركات خلقت ليكن منشأً للاخلاق الفاضلة، اذ تكاد تنعدم فيهن قابلية في الفسق والفجور للتمتع باذواق الدنيا. بمعنى ان النساء نوع من مخلوقات طبيبات مباركات، خلقت لاجل قضاء حياة اسرية سعيدة ضمن نطاق التربية الاسلامية. فنبأً وسحقاً لتلك المنظمات التي تسعى لافساد هؤلاء الطبيبات. واسأله تعالى ان يحفظ اخواتي من شرور هؤلاء السفهاء الفاسدين.. آمين..

اخواتي! اقول لكن هذا الكلام بشكل خاص:

اعملن على كسب نفقاتكن بعمل ايديكن كما تفعل نساء القرى الطبيبات واكتفين بالاقتصاد والقناعة المغرورتين في فطرتكن. وهذا اولى من إمتهان انفسكن

#313

بسبب هموم العيش بالرضوخ لسيطرة زوج فاسد، سئ الخلق، متفرنج. واذا ما كان حظ احدكن وقسمتها زوجا لا يلائمها، فلترض بقسمتها ولتقنع، فعسى الله ان يصلح زوجها برضاها وقناعتها. والأستراجع المحاكم لاجل

الطلاق - كما اسمع في الوقت الحاضر - وهذا لا يليق قطعاً بعزة الاسلام وشرف الامة.
النكته الثالثة:

اخواتي العزيزات!

اعلمن قطعاً! ان الاذواق والمتع الخارجة عن حدود الشرع فيها من الآلام والمتاعب اضعاف اضعاف لذائدها. وقد اثبتت رسائل النور هذه الحقيقة بمئات من الدلائل القوية والحوادث القاطعة. ويمكنكن ان تجدن تفاصيلها في رسائل النور.

فمثلاً: الكلمة السادسة والسابعة والثامنة من "الكلمات الصغيرة" و"مرشد الشباب" تبين لكن هذه الحقيقة بوضوح تام نيابة عني. فعليكن اذا القناعة والاطمئنان والاكتفاء بما في حدود الشرع من اذواق ولذائذ، فملاطفة اولادكن الابرياء ومداعبتهم ومجالستهم في بيوتكن متعة نزيهة تفضل مئات المرات متعة السينما. واعلمن يقيناً! ان اللذة الحقيقية في هذه الدنيا انما هي في الايمان وفي حدود الايمان. وان في كل عمل صالح لذة معنوية، بينما في الضلالة والغي الآما منغصة في هذه الدنيا ايضاً. هذه الحقيقة اثبتتها رسائل النور بمئات من الادلة القاطعة. فانا شخصياً شاهدت بعين اليقين عبر تجارب كثيرة وحوادث عديدة: ان في الايمان بذرة جنة، وفي الضلالة والسفه بذرة جهنم. وقد كتبت هذه الحقيقة مرارا في رسائل النور حتى عجز اعتي المعاندين والخبراء الرسميون والمحاكم عن جرح هذه الحقيقة.

فلتكن الآن "رسالة الحجاب" في المقدمة و"مرشد الشباب" و"الكلمات الصغيرة" نائبة عني في القاء الدرس عليكن يا اخواتي الطيبات المباركات ويا من هن بمثابة بناتي الصغيرات. فلقد سمعت انكن ترغبن في ان التقي عليكن درساً في الجامع، ولكن مرضي الشديد، فضلاً عن ضعفي الشديد، واسباب اخرى، تحول دون ذلك. لذا فقد قررت ان اجعلكن يا اخواتي اللاتي تقرأن درسي هذا الذي كتبتة لكن مشاركات لي في جميع مكاسبي المعنوية وفي دعواتي، كطلاب النور.

#314

واذا استطعتن الحصول على رسائل النور وقرأتها او استمعتن اليها، نيابة عني، فانكن تصبحن مشاركات لإخوانكن طلاب النور في جميع مكاسبهم المعنوية وادعيتهم حسب قاعدتنا المقررة. كنت ارغب ان اكتب اليكن اكثر من هذا ولكن اكتفيت بهذا القدر لمرضي الشديد وضعفي الشديد وشيخوختي وهرمي، وواجبات كثيرة تنتظرني كتصحيح الرسائل.
الباقي هو الباقي

اخوكم المحتاج الى دعائكن

اللمعة الخامسة والعشرون

وهي خمسة وعشرون دواء

هي عيادة للمريض، وبلسم للمرضى، ومرهم تسليية لهم، ووصفة معنوية، وقد كتبت بمثابة القول المأثور: "ذهب البأس وحمداً لله على السلامة".

تنبيه و اعتذار

تم تأليف هذه الوصفة المعنوية بسرعة تفوق جميع ما كتبناه¹ ولضيق الوقت كان تصحيحها وتدقيقها - بخلاف الجميع - بنظرة خاطفة في غاية السرعة كتأليفها، فظلت مشوشة كالمسودة الاولى، ولم نر حاجة للقيام بتدقيقات جديدة، حيث ان الخواطر التي ترد القلب فطرياً ينبغي عدم افسادها بزخرف القول والتفنن والتدقيق، فالرجاء من القراء وبخاصة المرضى منهم ألا يضجروا من العبارات غير المأنوسة والجمل الصعبة وان يدعوا لي بظهر الغيب.

سعيد النورسي

¹ نعم نشهد ان تأليف هذه الرسالة قد تم خلال اربع ساعات ونصف الساعة.
(رشدي، رأفت، خسرو، سعيد). - المؤلف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الذين اذا أصابتهم مُصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) (البقرة: 156)

(والذي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ - واذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) (الشعراء: 79 - 80)

"في هذه اللمعة نبين خمسة وعشرين دواءً بياناً مجملاً تلك الادوية التي يمكن ان تكون تسليية حقيقية ومرهماً نافعاً لاهل البلاء والمصائب وللمرضى العليلين الذين هم عُشر اقسام البشرية".

الدواء الاول

ايها المريض العاجز! لاتقلق، اصبر! فان مرضك ليس علة لك بل هو نوع من الدواء؛ ذلك لان العمر رأس مال يتلاشى، فان لم يُستثمر فسيضيع كل شيء، وبخاصة اذا انقضت الراحة والغفلة وهو يحث الخطى الى نهايته، فالمرض يكسب رأس مالك المذكور أرباحاً طائلة، ولايسمح بمضيئه سريعاً، فهو يُعطى خطوات العمر،

ويمسكه، ويطوّله، حتى يؤتى ثماره، ثم يغدو الى شأنه. وقد ذهب طول العمر بالامراض مثلاً، فقيل: "ألا ما أطول زمن النوائب وما اقصر زمن الهناء!".

الدواء الثاني

ايها المريض النافذ الصبر! تجمل بالصبر! بل تجمل بالشكر، فان مرضك هذا يمكنه ان يجعل من دقائق عمرك في حكم ساعات من العبادة، ذلك لان العبادة قسمان:

الاولى: العبادة الايجابية المتجسدة في اقامة الصلاة والدعاء وامثالها.

الثانية: العبادة السلبية التي يتضرع فيها المصاب ملتجئاً الى خالقه الرحيم مستجيراً به متوسلاً اليه، منطلقاً من احساسه التي تُشعره بعجزه وضعفه امام تلك الامراض والمصائب. فينال بذلك التضرع عبادةً معنوية خالصة متجردة من كل انواع الرياء.

#317

نعم، هناك روايات صحيحة على ان العمر الممزوج بالمرض والسقم يعدّ للمؤمن عبادة¹ على شرط عدم الشكوى من الله سبحانه. بل هو ثابت بعدة روايات صحيحة وكشفيات صادقة كون دقيقة واحدة من مرض قسم من الشاكرين الصابرين هي بحكم ساعة عبادة كاملة لهم، وكون دقيقة منه لقسم من الكاملين هي بمثابة يوم عبادة كاملة لهم. فلا تشك - يا اخي - من مرض يجعل من دقيقة عصبية عليك الف دقيقة ويمدك بعمر طويل مديد! بل كن شاكرًا له.

الدواء الثالث

ايها المريض الذي لا يطيق! ان الانسان لم يأت الى هذه الدنيا للتمتع والتلذذ. والشاهد على ذلك: رحيل كل آت، وتشيب الشباب، وتدحرج الجميع في دوامة الزوال والفرق. وبيننا ترى الانسان اكمل الاحياء واسماها واغناها اجهزة بل هو السيد عليها جميعاً، اذا به بالتفكر في لذات الماضي وبلايا المستقبل، يقضي حياته في كدر ومشقة هاوياً بنفسه الى دركات ادنى من الحيوان.

فالانسان اذا لم يأت الى هذه الدنيا لقضاء عيش ناعم جميل مغمور بنسبات الراحة والصفاء، بل جاء الى هنا ليغم سعادة حياة ابدية دائمة بما يُسر له من سبل التجارة برأس ماله العظيم الذي هو العمر. فاذا انعدم المرص، وقع الانسان في الغفلة نتيجة الصحة والعافية، وبدت الدنيا في عينيه حلوة خضرة لذيدة، فيصيبه عندئذ مرض نسيان الآخرة، فيرغب عن ذكر الموت والقبر، ويهدر رأس مال عمره الثمين هباءً منثوراً.. في حين ان المرض سرعان ما يوقظه مفتحاً عينيه، قائلاً له: "انت لست خالداً ولست سائباً، بل انت مسخر لوظيفة، دع عنك الغرور، اذكر خالقك.. واعلم بانك ماض الى القبر، وهيئ نفسك وجهزها هكذا".

فالمرض اذاً يقوم بدور مرشد ناصح امين موقظ، فلا داعي بعدُ الى الشكوى منه، بل يجب التفتيؤ في ظلال الشكر - من هذه الناحية - واذا ما اشتدت وطأته كثيراً فعليك بطلب الصبر منه تعالى.

1 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده، قال الله عزّ وجل: اكتب له صالح عمله، فإن شفاه غسله وطهره، وان قبضه غفر له ورحمه " حديث حسن: رواه احمد (صحيح الجامع الصغير وزيادته 256) الارواء 553.

#318

الدواء الرابع

ايها المريض الشاكي! اعلم انه ليس لك حق في الشكوى، بل عليك الشكر، عليك الصبر؛ لان وجودك واعضاءك واجهزتك ليست بملكك انت، فانت لم تصنعها بنفسك، وانت لم تنتعها من اية شركة او مصنع ابتياعاً، فهي اذن ملكٌ لآخر. ومالك تلك الاشياء يتصرف في ملكه كيف يشاء، كما ورد ذلك في مثال في "الكلمة السادسة والعشرين الخاصة بالقدر" وهو:

أن صانعاً ثرياً ماهراً يكلّف رجلاً فقيراً لقاء اجرة معينة ليقوم له لمدة ساعة بدور "الموديل" النموذج. فلاجل اظهار صنعته الجميلة وثروته القيمة يُلبسه القميص المزركش الذي حاكه، والحلة القشبية المرصعة التي نسجها في غاية الجمال والصنعة، وينجز عليه اعمالاً ويظهر اوضاعاً واشكالاً شتى لبيان خوارق صنعته وبدائع مهارته، فيقصّ ويبدل، ويطوّل، ويقصر، وهكذا..

فيا تُرى أيجق لذلك الفقير الاجير ان يقول لذلك الصانع الماهر: "انك تتعني وترهقني وتضيّق عليّ بطلبك مني الانحاء مرة والاعتدال اخرى.. وانك تشوّه الجمال المتألق على هذا القميص الذي يجمل هندامي ويزين قامتي بقصّك وتقصيرك له.. إنك تظلمني ولا تنصفني؟"

وكذلك الحال بالنسبة للصانع الجليل سبحانه وتعالى - ولله المثل الاعلى - الذي البسك ايها المريض قميص الجسد، واودع فيه الحواس النورانية المرصعة كالعين والاذن والعقل، فلاجل اظهار نقوش اسمائه الحسنی، يبدّلك ضمن حالات متنوعة ويضعك في اوضاع مختلفة. فكما انك تتعرف على اسمه "الرزاق" بتجرعك مرارة الجوع، تتعرف على اسمه "الشافى" بمرضك.

ونظراً لظهور قسم من احكام اسمائه الحسنی بالآلام وانكشافه بالمصائب، ففيها لمعات الحكمة وشعاعات الرحمة وأنوار الجمال. فاذا ما رُفِع الحجاب فستجد فيما وراء مرضك الذي تستوحش منه وتنفر، معاني عميقة جميلة محببة ترتاح اليها، تلك التي كانت تنزوي خلف حجاب المرض.

#319

الدواء الخامس

ايها المبتلى بالمرض! لقد توافرت لديّ القناعة التامة خلال تجربتي في هذا الزمان، بان المرض نوع من الاحسان الإلهي والهدية الرحمانية لقسم من الناس.¹ فقد التقاني بعض الشباب في هذه السنوات الثماني او التسع، لمعاناتهم المرض، ابتغاء دعائي لهم، رغم اني لست اهلاً لذلك. فلاحظت أن مَنْ كان منهم يعاني مرضاً هو أكثر تفكيراً في الآخرة وتذكراً لها، وليس ثملاً بغفلة الشباب، بل كان يقي نفسه - الى حدّ ما - تحت اوجاع المرض وأوصابه ويحافظ عليها من الشهوات الحيوانية. وكنت اذكرهم بأي أرى أن أمراضهم هذه، ضمن قابليتهم على التحمّل انما هي احسان إلهي وهبة منه سبحانه. وكنت اقول: "ياخي! انا لست ضد مرضك هذا ولا عليه، فلا اشعر بشفقة عليك ورأفة لاجل مرضك، كي اقوم بالدعاء لك، فحاول التجمل بالصبر والثبات امام هذا المرض، حتى تتحقق لك الافاقة والصحة؛ إذ بعد أن ينهي المرض مهامه سيشفيك الخالق الرحيم ان شاء". وكنت اقول ايضاً: "ان قسماً من امثالك يزعزعون حياتهم الابدية بل يهدمونها مقابل متاع ظاهري لساعة من حياة دنيوية، وذلك لمضيهم سادرين في الغفلة الناشئة من بلاء الصحة، هاجرين الصلاة ناسين الموت وغافلين عن الله عز وجل. اما انت فترى بعين المرض القبر الذي هو منزلك الذي لا مناص من الذهاب اليه، وترى كذلك ما وراءه من المنازل الاخرية الاخرى، ومن ثم تتحرك وتتصرف على وفق ذلك. فمرضك اذاً انما هو بمثابة صحة لك، والصحة التي يتمتع بها قسم من امثالك انما هي بمثابة مرضٍ لهم".

الدواء السادس

ايها المريض الشاكي من الالم! أسألك أن تعيد في نفسك ما مضى من عمرك وان تتذكر الايام الهائلة اللذيذة السابقة من ذلك العمر والاوقات العصبية والاليمة التي فيه. فلا جرم انك ستنطق لساناً أو قلباً: إما بـ"أوه" او "آه". اي اما ستتنفس الصعداء وتقول: "الحمد لله والشكر له" او ستتهند عميقاً قائلاً: "واحسرتاه!. وا اسفاه!".

¹ عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من يرد الله به خيراً يُصب منه" رواه البخاري ومالك. المترجم

#320

فانظر كيف ان الآلام والنوائب التي عانيت منها سابقاً عندما خَطَرَتْ بذهنك غمرتك بلذة معنوية، حتى هاج قلبك بـ"الحمد لله والشكر له"؛ ذلك لان زوال الالم يوّلّد لذة وشعوراً بالفرح. ولان تلك الآلام والمصائب قد غرست بزوالها لذةً كامنة في الروح سالت بتخطرها على البال وخروجها من مكمنها حلاوةً وسروراً وتقطرت حمداً وشكراً. اما حالات اللذة والصفاء التي قضيتها والتي تنفث عليها الآن دخان الالم بقولك: "واأسفاه،

واحسرتها" فانها بزوالها غرست في روحك ألماً مضمراً دائماً، وها هو ذا الالم تتجدد غصائمه الآن بأقل تفكير في غياب تلك اللذات، فتتهمر دموع الاسف والحسرة. فما دامت اللذة غير المشروعة ليوم واحد تذيب الانسان - احياناً - ألماً معنوياً طوال سنة كاملة، وان الالم الناتج من يوم مرض موقت يوفر لذة معنوية لثواب ايام عدة فضلاً عن اللذة المعنوية النابعة من الخلاص منه، فتذكر جيداً نتيجة المرض الموقت الذي تعانیه وفكر في الثواب المرجو المنتشر في ثناياه، وتشبث بالشكر وترفع عن الشكوى وقل: "يا هذا.. كل حال يزول..".

الدواء السادس¹

ايها الاخ المضطرب من المرض بتذكر اذواق الدنيا ولذائدها! لو كانت هذه الدنيا دائماً فعلاً، ولو انزاح الموت عن طريقنا فعلاً، ولو انقطعت اعاصير الفراق والزوال عن الهبوب بعد الآن، ولو تفرغ المستقبل العاصف بالنوائب عن مواسم الشتاء المعنوية، لانخرطت في صفك ولرثيتك باكياً لحالك. ولكن ما دامت الدنيا ستخرجنا منها قائلة: "هيا اخرجوا!..!". صامّة اذانها عن صراخنا واستنجاننا. فعلينا نحن قبل ان تطردنا هي نابذة لنا، ان نهجر عشقها والاخلاد اليها من الآن، بايقاظات الامراض والسعي لاجل التخلي عن الدنيا قلباً ووجداناً قبل ان تتخلي هي عنا.

نعم، ان المرض بتذكيره ايانا هذا المعنى اللطيف والعميق، يهمس في سرائر قلوبنا قائلاً:

¹ نظراً لورود هذه اللذة فطرياً دون تكلف وتعهد، فقد كتبت في المرتبة السادسة دواءان، واحكاماً عن الاقحام في فطريتها، فقد تركناها كما هي ولم نجروء على تبديل شئ منها خوفاً من وجود سرّ في المسألة. المؤلف.

#321

"بنيتك ليست من الصلب والحديد بل من مواد متباينة مركبة فيك، ملائمة كل التلاؤم للتحلل والتفسخ والتفريق حالاً، دع عنك الغرور وادرك معجزك وتعرف على مالكك، وافهم ما وظيفتك وتعلم ما الحكمة والغاية من مجيئك الى الدنيا؟".

ثم ما دامت ان اذواق الدنيا ولذاتها لاتدوم، وبخاصة اذا كانت غير مشروعة، بل تبعث في النفس الالم وتكسبه ذنباً وجريرة، فلا تبك على فقدك ذلك الذوق بحجة المرض، بل تفكر في معنى العبادة المعنوية التي يتضمنها مرضك والثواب الاخروي الذي يخفيه لك، واسع لتنال ذلك الذوق الخالص الزكي.

الدواء السابع

ايها المريض الفاقد لنعمة الصحة! ان مرضك لا يذهب بلذة النعمة الإلهية في الصحة بل على العكس، انه يذيبك ايها ويطيّبها ويزيدها لذة، ذلك ان شيئاً ما اذا دام واستمر على حاله يفقد طعمه وتأثيره. حتى اتفق أهل الحق على القول: "انما الاشياء تُعرف بأضدادها..". فمثلاً: لولا الظلمة لما عُرف النور ولظل دون لذة، ولولا البرودة

لما عُرفت الحرارة ولبقيت دون استساعة، ولولا الجوع لما اعطى الاكل لذته وطعمه، ولولا حرارة المعدة لما وهبنا احتساء الماء ذوقاً، ولولا العلة لكانت العافية بلا ذوق، ولولا المرض لبات الصحة عديمة اللذة.

ان الفاطر الحكيم لما اراد اشعار الانسان وجعله يحس بمختلف احساناته وذاقته انواع نعمة سوقاً منه الى الشكر الدائم، جهزه بأجهزة في غاية الكثرة لتقبل على تذوق تلك الآلاف المؤلفة من انواع النعم المختلفة، لذا فلا بد من انه سينزل الامراض والاسقام والعلل ايضاً مثلما يُلطف ويرزق بالصحة والعافية.

واسألك : "لو لم يكن هذا المرض الذي اصاب رأسك او يدك او معدتك.. هل كان بمقدورك ان تتحسس اللذة الكامنة في الصحة التي كانت باسطة ظلالها على رأسك او يدك او معدتك؟ وهل كنت تتمكن ان تتذوق وتشكر النعمة الإلهية التي جسدتها تلك النعمة؟ بل كان الغالب عليك النسيان بدلاً من الشكر، او لكنت تصرف تلك الصحة بطغيان الغفلة الى سفاهة دون شعور!"

#322

الدواء الثامن

ايها المريض الذاكر لآخرته! ان مرضك كمنقول الصابون، يطهر ادرانك، ويمسح عنك ذنوبك، وينقيك من خطاياك. فقد ثبت أن الامراض كقارات للذنوب والمعاصي، وورد في الحديث الصحيح:

(ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر)¹ والذنوب هي امراض دائمة في الحياة الابدية. وهي في هذه الحياة الدنيا امراض معنوية في القلب والوجدان والروح. فاذا كنت صابراً لا تشكو نجوت بنفسك اذاً بهذا المرض العابر من امراض دائمة كثيرة جداً. واذا كنت لاهياً عن ذنوبك، ناسياً آخرتك غافلاً عن ربك، فاني أؤكد معاناتك من داءٍ خطير، هو أخطر وأفتك وأكبر بمليون مرة من هذه الامراض الموقته، فقر منه واصرخ..! لان قلبك وروحك ونفسك كلها مرتبطة بموجودات الدنيا قاطبة، وان تلك الاواصر تنقطع دوماً بسيوف الفراق والزوال فاتحة فيك جروحاً عميقة، وبخاصة انك تتخيل الموت اعداماً ابدياً لعدم معرفتك بالآخرة. فكأن لك كياناً مريضاً ذا جروح وشروح بحجم الدنيا، مما يحتم عليك قبل كل شئ ان تبحث عن العلاج التام والشفاء الحقيقي لكيانك المعنوي الكبير الذي تفسخه العلل غير المحدودة والكلموم غير المعدودة، فما اظنك تجدها الا في علاج الايمان وبلسمه الشافي، واعلم ان اقصر طريق لبلوغ ذلك العلاج هو الاطلاع من نافذتي "العجز والفقر" اللتين تتفتحان بتمزيق المرض المادي لحجاب الغفلة واللتين جُبل الانسان عليهما، وبالتالي تبلغ معرفة قدرة القادر ذي الجلال ورحمته الواسعة.

نعم ان الذي لا يعرف الله يحمل فوق رأسه هموماً وبلايا بسعة الدنيا وما فيها، ولكن الذي عرف ربه تمتلئ دنياه نوراً وسروراً معنوياً، وهو يشعر بذلك بما لديه من قوة الايمان - كل حسب درجته - نعم ان ألم الامراض المادية الجزئية يذوب وينسحق تحت وابل السرور المعنوي والشفاء اللذيذ القادمين من الايمان.

1 رواه البخاري - كتاب المرضى والطب - المترجم.

#323

الدواء التاسع

ايها المريض المؤمن بخالقه! ان سبب التألم من الامراض والخوف والفرع منها ينبع من كون المرض احياناً وسيلة للموت والهلاك، ولكون الموت - بنظر الغفلة - مرعباً مخيفاً ظاهراً، فان الامراض التي يمكن ان تكون وسائل له، تبعث على القلق والاضطراب. فاعلم:

اولاً: آمن قطعاً:

ان الاجل مقدر لا يتغير. فقد حدث ان مات اولئك الباكون عند المحتضرين في مرضهم. مع انهم كانوا يتمتعون بصحة وعافية، وشفي اولئك المرضى الذين كانت حالتهم خطيرة وعاشوا بعد ذلك احياءً يرزقون.

ثانياً:

ان الموت ليس مخيفاً في ذاته، كما يبدو لنا في صورته الظاهرية، وقد اثبتنا في رسائل كثيرة اثباتاً قاطعاً - دون ان يترك شكاً ولا شبهة - بموحيات نور القرآن الكريم:

أن الموت للمؤمن اعفاء وانهاء من كلفة وظيفه الحياة ومشقتها.. وهو تسريح من العبودية التي هي تعليم وتدريب في ميدان ابتلاء الدنيا.. وهو باب وصال للقاء تسعة وتسعين من الاحبة والخلائن الراحلين الى العالم الآخر.. وهو وسيلة للدخول في رحاب الوطن الحقيقي والمقام الابدي للسعادة الخالدة.. وهو دعوة للانتقال من زنازة الدنيا الى بساتين الجنة وحدائقها.. وهو الفرصة الواجبة لتسلم الاجرة ازاء الخدمة المؤداة، تلك الاجرة التي تغدق سخية من خزينة فضل الخالق الرحيم.

فما دامت هذه هي ماهية الموت - من زاوية الحقيقة - فلا ينبغي ان يُنظر اليه كأنه شيء مخيف، بل يجب اعتباره تباشير الرحمة والسعادة. حتى أن قسماً من "اهل الله" لم يكن خوفهم من الموت بسبب وحشة الموت ودهشته، وانما بسبب رغبتهم في كسب المزيد من الخير والحسنات بادامة وظيفه الحياة. نعم ان الموت لاهل الايمان باب الرحمة. وهو لاهل الضلالة بئر مظلمة ظلاماً ابدياً.

#324

الدواء العاشر

ايها المريض القلق دون داع للقلق! انت قلقٌ من وطأة المرض وشدته، فقلقك هذا يزيد ثقل المرض عليك. فاذا كنت تريد ان تخفف المرض عنك، فاسع جاهداً للابتعاد عن القلق. اي: تفكّر في فوائد المرض، وفي ثوابه، وفي حثه الخطي الى الشفاء. فاجتث جذور القلق من نفسك لتجتث المرض من جذوره.

نعم، ان القلق (او الوسوسة) يضاعف مرضك ويجعله مرضين. لان القلق يبث في القلب - تحت وطأة المرض المادي - مرضاً معنوياً، فيدوم المرض المادي مستنداً اليه، فاذا ما أذهبت عنك القلق والهواجس بتسليم الامر لله والرضا بقضائه، وباستحضار حكمة المرض، فان مرضك المادي سيفقد فرعاً مهماً من جذوره فيخفف، وقسمٌ منه يزول، واذا ما رافقت المرض المادي اوهام وهواجس فقد يكبر عشر معشار تلك الاوهام بوساطة القلق الى معشار، ولكن بانقطاع القلق يزول تسعٌ من عشرة من مفعول ذلك المرض، وكما ان القلق يزيد المرض، كذلك يجعل المريض كأنه يتهم الحكمة الإلهية وينتقد الرحمة الإلهية ويشكو من خالقه الرحيم، لذا يؤدّب المريض بلطمت التأديب - بخلاف ما يقصده هو - مما يزيد مرضه. اذ كما ان الشكر يزيد النعم فالشكوى كذلك تزيد المرض والمصيبة. هذا وان القلق في حد ذاته مرض، وعلاجه انما هو في معرفة حكمة المرض. واذا ما عرفت حكمته وفائدته، فامسح قلقك بذلك المرهم وانج بنفسك وقل بدلاً من "وآسفاه": "الحمد لله على كل حال".

الدواء الحادي عشر

ايها الاخ المريض النافذ صبره! مع ان المرض يعطيك ألماً حاضراً فهو يمنحك في الوقت نفسه لذة معنوية مستدرة من زوال مرضك السابق، مع لذة روحية نابعة من الثواب الحاصل من جراء ذلك المرض. فالزمان القابل بعد اليوم، بل بعد هذه الساعة لا يحمل مرضاً. ولاشك أن لا ألم من غير شئ، وما لم يكن هناك ألم فلا توجع ولاشكوى. ولكن لانك تتوهم توهماً خطأً فان الجزع ينتابك، اذ مع زوال فترة المرض المادي قد ذاب ألم تلك الفترة ايضاً وثبت ثواب المرض وبقيت لذة زواله.. فمن البلاهة بل من الجنون ان تتذكر بعد الآن المرض السابق وتتألم منه، فتفقد صبرك

#325

وينفد منك، في حين يلزمك الانشراح بذهابه والارتياح بثوابه. اما الايام القابلة فانها لم تأت بعد. أليس من البلاهة إشغال النفس من الآن بالتفكر في يوم لم يولد بعد، وفي مرض لم ينزل بعد وفي الم لم يقع بعد؟. فهذا النوع من التوهم - نتيجة التفكير المرير وتحميل النفس ألماً موجعاً - يدفع الى فقدان الصبر ويصنع ثلاثة انواع من العدم بثلاث مراتب من الوجود. أليس هذا جنوناً؟. فما دامت أزمنة المرض التي سبقت هذه الساعة تبعث على النشوة والحبور، وما دام الزمان القابل بعد هذه الساعة معدوماً، فالمرض معدوم والالم معدوم. فلا تبدر يا اخي ما وهب لك الحق سبحانه وتعالى من قوة الصبر يميناً وشمالاً. بل احشدها جميعاً مقابل الالم الذي يعتريك في هذه الساعة وقل: "ياصبور" وتحمل صابراً محتسباً!...

الدواء الثاني عشر

ايها المريض المحروم من العبادة واورادها بسبب المرض! ويا ايها الآسف على ذلك الحرمان! اعلم انه ثابت في

الحديث الشريف¹ ما معناه: ان المؤمن التقي يأتيه ثواب ما كان يؤديه من العبادة حتى في اثناء مرضه، فالمرض لا يمنع ثوابه. فان المريض المؤدي للفرائض - على قدر استطاعته - سينيب المرض عن سائر السنن ويحل محلها اثناء شدة المرض إنابة خالصة، لما يتجمل ذلك المريض بالصبر والتوكل والقيام بالفرائض، وكذا يشعر المرء الانسان بعجزه وضعفه، فيتضرع المريض بذلك العجز وذلك الضعف بالدعاء حالاً وقولاً. وما اودع الله سبحانه وتعالى في الانسان عجزاً غير محدود وضعفاً غير متناه الا ليلتجئ دائماً الى الحضرة الإلهية بالدعاء سائلاً راجياً، حيث ان الحكمة من خلق الانسان والسبب الاساس لأهميته هو الدعاء الخالص بمضمون الآية الكريمة: (قُلْ مَا يَعْجَبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) (الفرقان: 77) ولكون المرض سبباً للدعاء الخالص، فلا تصح الشكوى منه، بل يجب الشكر لله؛ اذ لا ينبغي ان تُجفَّف ينابيع الدعاء التي جُرحها المرض عند كسب العافية.

¹ عن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: " اذا مرض العبد او سافر، كتب الله تعالى له من الاجر مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً " اخرجه احمد والبخاري.

#326

الدواء الثالث عشر

ايها المسكين الشاكي من المرض! ان المرض يغدو كنزاً عظيماً لبعض الناس، وهدية إلهية ثمينة لهم. وباستطاعة كل مريض ان يتصور مرضه من هذا النوع، حيث ان الحكمة الإلهية اقتضت ان يكون الاجل مجهولاً وقته، انقذاً للانسان من اليأس المطلق ومن الغفلة المطلقة، وابقاءً له بين الخوف والرجاء، حفظاً لديناه وآخرفته من السقوط في هاوية الخسران.. اي أن الاجل متوقع مجيئه كل حين، فإن تمكّن من الانسان وهو سادر في غفلته يكبده خسائر فادحة في حياته الاخروية الابدية. فالمرض يبدد تلك الغفلة ويشثتها، وبالتالي يذكر بالآخرة ويستحضر الموت في الذهن فيتأهب له. بل يحدث ان يربّجه ربجاً عظيماً، فيفوز خلال عشرين يوماً بما قد يستعصي استحصاله خلال عشرين سنة كاملة. فعلى سبيل المثال:

كان هناك فتيان - يرحمهما الله - احدهما يدعى "صبري" من قرية "إيلاما" والآخر "مصطفى وزير زاده" من "اسلام كوي" ورغم كونها أميين من بين طلابي، فقد كنتُ أخطُ باعجاب موقعهما في الصف الاول في الوفاء والصدق وفي خدمة الايمان، فلم ادرك حكمة ذلك في حينها، ولكن بعد وفاتهما علمت انها كانا يعانيان من داءين عضالين، وبارشاد من ذلك المرض اصبحا على تقوى عظيمة يسعيان في خدمة راقية، وفي وضع نافع لآخرتهم، على خلاف سائر الشباب الغافلين الساهين حتى عن فرائضهم. فنسأل الله أن تكون سنتنا المرض والمعاناة اللتان قضياهما في الحياة الدنيا قد تحولتا الى ملايين السنين من سعادة الحياة الابدية.

والآن فقط أفهم أنّ دعائي لهما بالشفاء قد اصبح دعاء عليهما من زاوية الدنيا، ولكن ارجو الله ان يكون دعائي

مستجاباً لصحتها الاخروية.

وهكذا استطاع هذان الشخصان - حسب اعتقادي - الحصول على ربح يساوي الكسب الذي يحققه الانسان بالسعي والتقوى لعشر سنين في الاقل ، ¹ فلو كانا متباهيين بصحتها كبعض الشباب وسائقين لنفسيهما الى شرك الغفلة والسفاهة حتى يأتيهما الموت المترصد، وهما يتخبطان في احوال الخطايا وظلماتها،

¹ عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ان الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل، فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يُبلغه إياها" حديث حسن: اخرجه ابو يعلى في مسنده 1447/4 وابن حبان في صحيحه 693 والحاكم 344/1 وانظر (الاحاديث الصحيحة 1599).

#327

لكان قبرهما الان جحور العقارب والافاعي بدلاً من كونهما الآن دفائن النور وكنوز البهجة. فما دامت الامراض تحمل في مضامينها هذه المنافع الكبيرة فلا يجوز الشكوى منها، بل يجب الاعتماد على الرحمة الإلهية بالتوكل والصبر بل بالحمد والشكر.

الدواء الرابع عشر

ايها المريض المسدل على عينيه! اذا ادركت ان هناك نوراً، واي نور! وعيناً معنوية تحت ذلك الحجاب المسدل على أعين أهل الايمان، فستقول: "شكراً والف شكر لربي الرحيم". وتوضيحاً لهذا المرهم سأورد الحادثة الآتية:

لقد اصيبت عمّة "سليمان" وهو من "بارالا" الذي ظل يخدمني دون أن يملّني يوماً او يضايق بشئ مني بشئ طوال ثماني سنوات خدمة مقرونة بكمال الوفاء والاحترام... اصيبت هذه المسكينة بالعمى فانظفأ نور عينها، ولفرط حسن ظن تلك المرأة الصالحة بي أكثر مما استحق بكثير تشبثت بي وانا اغادر المسجد قائلة: "بالله عليك ادع الله لي من اجل عيني"، وانا بدوري جعلت صلاح تلك المرأة المباركة المؤمنة قريناً وشفيعاً لدعائي فدعوت الله بتضرع وتوسل قائلاً: "اللهم يا ربنا بجرمة صلاحها اكشف عن بصرها". وفي اليوم التالي جاء طبيب من ولاية "بور دور" القريبة، وهو مختص بالعيون، فعالجها، فردّ الله عليها بصرها، وبعد اربعين يوماً عادت عينها الى حالتها الاولى، فتألمت لذلك كثيراً ودعوت دعاءً كثيراً، وارجو ان يكون دعائي مستجاباً على حساب آخرتها والأ فان دعائي ذلك سيصبح - خطأ - دعاءً عليها، حيث قد بقيت لتستوفي اجلها اربعين يوماً فقط؛ اذ بعد اربعين يوماً مضت الى رحمة الله.

وهكذا، فان حرمان هذه المرأة المرجوة لها الرحمة من نعمة النظر ببصر الشيخوخة العطوف والاستمتاع بجمال الحدايق الحزينة لـ"بارالا" واسدال الحجاب بينها وبين المروج اللطيفة خلال اربعين يوماً، قد عوض عنها الآن

في قبرها، إطلالها على الجنة ومشاهدة ألفاف حدائقها الخضراء لاربعة آلاف يوم ويوم.. ذلك لان ايمانها كان راسخاً عميقاً وصلحهما كان مشعاً عظيماً.

#328

نعم ان المؤمن اذا ما أسدل على عينيه حجاب ودخل القبر هكذا، فانه يستطيع ان يشاهد عالم النور - حسب درجته - بنظر اوسع من نظر اهل القبور. اذ كما اننا نرى بعيوننا أكثر الاشياء في هذه الدنيا، والمؤمنون العميان لا يستطيعون رؤيتها، ففي القبر ايضاً سيرى اولئك العميان - بتلك الدرجة - ان كانوا اصحاب ايمان - أكثر مما يراه اهل القبور، وسيشاهدون بساتين الجنة ونعيمها كأنهم مزودون بمراصد - كل حسب درجته - تلتقط مناظر الجنة الرائعة وتعرضها كالشاشة السينمائية امام عين اولئك المكفوفين الذين حرموا من نور ابصارهم في الدنيا. فبإمكانك ايها الاخ الحصول على هذه العين النورانية التي تكشف عن الجنة فيما فوق السموات العلى وانت بعد تحت الثرى، وذلك بالصبر والشكر على ذلك الحجاب المسدل على عينيك، واعلم ان الحكيم المختص بالعين والقادر على رفع ذلك الحجاب عن عينيك لترى بتلك العين النورانية، انما هو القرآن الحكيم.

الدواء الخامس عشر

ايها المريض المتأوه بالانين! لاتتأوه ابدأ ولا تنن ناظراً الى صورة المرض القبيحة المذمومة، بل انظر الى معناه وفخواه وانبسط قائلاً: الحمد لله.

فلو لم يكن معنى المرض شيئاً جميلاً لما كان الخالق الرحيم يبتلي احبّ احبائه من عبادته بالامراض والاسقام، فقد جاء في الحديث الشريف: (أشدّ الناس بلاءً الانبياء ثم الاولياء، ثم الامثل فالامثل) ¹ او كما قال. ويقف في مقدمة المبتلين النبي الصابر ايوب عليه السلام، ثم الانبياء الباقيون عليهم السلام، ثم الاولياء ثم الصالحون. وقد تلقوا جميعاً تلك الامراض التي قاسوها عبادة خالصة وهدية رحمانية، فأدوا الشكر من خلال الصبر، وكانوا يرونها نوعاً من العمليات الجراحية تمنح لهم من لدن الرحمن الرحيم.

فانت ايها المريض المتأوه المتألم! إن كنت تروم الالتحاق بهذه القافلة النورانية، فأدّ الشكر في ثنايا الصبر، والآ فان شكواك ستجعلهم يجمعون عن ضمك الى قافلتهم، وستهوي بنفسك في هوة الغافلين! وستسلك درباً تخيم عليه الظلمات.

¹ هناك عدة احاديث بهذا المعنى كلها صحيحة نختار واحداً منها: عن أخت حذيفة رضي الله عنهما: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اشد الناس بلاءً الانبياء ثم الصالحون، ثم الامثل فالامثل) رواه الطبراني في الكبير (انظر صحيح الجامع الصغير برقم 1005).

#329

نعم، هناك امراض اذا اعقبتها المنية، يكلل صاحبها بشهادة معنوية تجعله يحرز مقام الولاية لله، وهي تلك الامراض التي تتمخض عن الولادة¹ وغصص البطن، والغرق والحرق والطاعون، فهذه الامراض اذا مات بها صاحبها فانه سيرتفع الى درجة الشهيد المعنوي، فهناك امراض كثيرة ذات بركة تكسب صاحبها درجة الولاية بالموت الذي تنتهي به، ولما كان المرض يخفف من شدة حب الدنيا وغلوائها ومن عشقها والعلاقة الشديدة بها فهو يخفف كذلك الفراق الاليم والمّر لاهل الدنيا وهم يغادرونها بالموت بل قد يجيبه اليهم.

الدواء السادس عشر

ايها المريض الشاكي من الضجر! ان المرض يلقّن صاحبه اهم عرى الحياة الاجتماعية والانسانية واجمل اواصرها وهما الاحترام والمحبة، لانه ينقذ الانسان من الاستغناء عن الآخرين، ذلك الاستغناء الذي يسوق الى الوحشة ويجرد الانسان من الرحمة، لانه كما يتبين من الآية الكريمة (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ) (العلق:6-7) ان النفس الامارة الواقعة في شباك الاستغناء - الناجم عن الصحة والعافية - لن تشعر بالاحترام اللائق تجاه العلاقات الاخوية، ولن تحس بالرحمة والرأفة بالمبتلين بالمصائب والامراض الجديدين بالرحمة والعطف، ولكن متى ما انتاب الانسان المرض وادرك مدى عجزه، ومدى فقره، تحت ضغوط المرض وآلامه واثقاله فانه يشعر بالاحترام لأشقائه المؤمنين اللاتقين بالاحترام الذين يقومون برعايته، او الذين يأتون لعيادته، ويشعر كذلك بالرأفة الانسانية وهي خصلة اسلامية تجاه اهل المصائب والبلايا - قياساً على نفسه - فتفيض من قلبه الرحمة والرأفة بكل معناها تجاههم، وتضطرم عنده الشفقة حارة ازاءهم، واذا استطاع قدّم لهم يد العون، وان لم يقدر عليه شرع بالدعاء لهم، او بزيارتهم والاستفسار عن راحتهم واحوالهم مؤدياً بذلك سنة مشروعة كاسباً ثوابها العظيم.

¹ ان كسب هذا المرض للشهادة المعنوية يمتد لغاية انتهاء فترة النفاس وهي اربعون يوماً.. المؤلف.

#330

الدواء السابع عشر

ايها المريض الشاكي من العجز عن القيام باعمال البر! كن شاكرًا! فاني ابشرك: بان الذي يفتح ابواب اخلص الخيرات، انما هو المرض نفسه، فالمرض فضلاً عن انه يورث ثواباً مستمراً للمريض وللذين يرعونه لله، فهو يمثل اهم وسيلة لقبول الدعاء.

نعم، ان رعاية المرضى تجلب لاهل الايمان ثواباً عظيماً، وان زيارتهم والسؤال عن صحتهم وراحتهم بشرط عدم تنغيصهم لهي من السنة الشريفة،¹ وهي كفارة للذنوب في الوقت نفسه. وقد ورد حديث بهذا المعنى: اطلبوا دعاء المريض فدعاؤه مستجاب،² وبخاصة اذا كان المريض من الاقربين، وبخاصة اذا كان والدًا او والدة، فان

خدمتها هي عبادة مهمة وهي مثوبة كبرى ايضاً. وان تطمين افئدة المرضى وبث السلوان في قلوبهم، يعتبر بحكم صدقة مهمة. فما أسعد أولئك الابناء الذين يقومون برعاية آباءهم او أمهاتهم عند مرضهم ويدخلون بهجة في قلوبهم الرقيقة المرهفة فيفوزون بدعاء الوالدين لهم.

نعم، ان الحقيقة التي تستحق احتراماً أكثر ومكانة اسمى في الحياة الاجتماعية هي شفقة الوالدين، وتعويض الابناء الطيبين لتلك الشفقة، بتوجيه الاحترام اللائق والعاطفة البارة الزكية اليها حينما يعانون من مرض. وهي لوحة وفية تظهر الوضع الجيد للابناء وسمو الانسانية بحيث تثير اعجاب كل المخلوقات حتى الملائكة، فيحيونها مهملين مكبرين وهاتفين: "ماشاء الله، بارك الله".

نعم ان العواطف والرأفة والرحمة المحلقة حوالي المريض لتذيب ألم المريض وتحوله الى لذات حلوة مفرحة. ان قبول دعاء المريض والاستجابة له مسألة مهمة جدرة بالاهتمام. فمنذ حوالي اربعين سنة كنت ادعو للشفاء من مرض في ظهري، ثم ادركت ان المرض انما يُمنح

¹ عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (افضل العيادة اجراً سرعة القيام من عند المريض). فيض القدير 1285/1 وجمع الفوائد 332/1.

² دعاء المريض مستجاب وذنبه مغفور. مسند الفردوس 280/1 جمع الفوائد 333/1. وابن ماجه برقم 1441

#331

لاجل الدعاء، وكما ان الدعاء لا يرفع دعاء، اي ان الدعاء لعدم تمكنه من إزالة نفسه فان نتيجته أخروية. ¹ والدعاء بذاته نوع من العبادة، اذ يلتجئ المريض الى الملاذ الإلهي عند ادراكه لعجزه.

ولهذا فان عدم القبول الظاهري لدعوتي بالشفاء من مرضي طوال ثلاثين سنة لم يصرفني ابداً من ان افكر في يوم من الايام بتركه والتخلي عنه، ذلك لان المرض أوان الدعاء ووقته، والشفاء ليس نتيجة الدعاء بل اذا وهب الله سبحانه - وهو الحكيم الرحيم - الشفاء فانه يهبه من فضله وكرمه، وان عدم قبول الدعاء بالشكل الذي نريده لا يقودنا الى القول بأن الدعاء لم يُستجب، فالخالق الحكيم يعلم افضل منا ونحن نجهل، وانه سبحانه يسوق لنا ما هو خير لنا وانفع، وانه يدخر لنا الادعية الخاصة بدنيانا احياناً لتنفعنا في أضرارنا، وهكذا يقبل الدعاء. ومهما يكن فان الدعاء الذي اكتسب الاخلاص والنابع من سرّ المرض والآتي من الضعف والعجز والتذلل والاحتياج، قريب جداً من القبول. والمرض اساس لمثل هذا الدعاء الخالص ومداره. فالمرضى والذين يقومون برعايته من المؤمنين ينبغي ان يستفيدوا من هذا الدعاء.

الدواء الثامن عشر

ايها المريض التارك للشكر والمستسلم للشكوى!

ان الشكوى تكون نابعة من وجود حق يعود اليك، وانت لم يذهب حَقَّك سدىً حتى تشكو، بل عليك حقوق كثيرة لم تؤدِّ بعدُ شكرها، انك لم تؤدِّ حق الله عليك، وفوق ذلك تقوم بالشكوى بالباطل وكأنك على حق، فليس لك ان تشكو ناظراً الى مَنْ هو اعلى منك مرتبة من الاصحاء، بل عليك النظر - من زاوية الصحة - الى اولئك العاجزين من المرضى الذين هم ادنى منك درجة.

ان قسماً من الامراض مع أنه يشكل علةً لوجود الدعاء، الا انه اذا اصبح الدعاء سبباً لعدم المرض، فكأن الدعاء يصبح سبباً لعدم نفسه وهذا لا يمكن.. المؤلف.

#332

فانت مكلف اذاً بالشكر الجزيل. فاذا كانت يدك مكسورة فتأمل الايدي المتبورة، واذا كنت ذا عين واحدة فتأمل الفاقدين لكلتا العينين.. حتى تشكر الله سبحانه.

نعم، فليس لأحد في زاوية النعمة حق بمدّ البصر الى مَنْ هو فوقه، لتتأجج نار الشكوى المحرقة عنده، الا انه عند المصيبة يتحتم على المرء من زاوية المصيبة النظر الى من هو اشد منه مصيبة واعظم مرضاً ليشكر بعد ذلك قانعاً بما هو فيه. وقد وضح هذا السرّ في بعض الرسائل بمثال مقتضاه كآتي:

"شخص يأخذ بيد مسكين ليصعده الى قمة منارة، ويهدي اليه في كل درجة من درجات المنارة هدية. واخيراً يختم تلك الهدايا بأعظم هدية يهبها له عند قمة المنارة. واذا كان المفروض على هذا المسكين ان يقدم الشكر والامتنان ازاء الهدايا المتنوعة، تراه يتناسى كل تلك الهدايا التي اخذها عند تلك الدرجات، او يعدّها غير ذات بال، فلا يشكر، رافعاً ببصره الى مَنْ هو اعلى منه شاكياً قائلاً: لو كانت هذه المنارة اعلى مما هي عليه، لأبلغ اعلى درجة من هذه الدرجات! لِمَ لم تصبح مثل ذلك الجبل الشاهق ارتفاعاً او المنارة المجاورة؟.."

وهكذا اذا قام هذا الرجل بهذه الشكوى، فما اعظم ما يرتكبه من كفران بالنعمة وما اعظم ما يقتزف من تجاوز على الحق!

وكذا حال الانسان الذي اتى الى الوجود من العدم ولم يصبح حجراً ولا شجراً ولا حيواناً، بل كان انساناً مسلماً وقد تمتع كثيراً بالصحة والعافية، ونال درجة من النعمة سامية... مع هذا يأتي هذا الانسان ويظهر الشكوى من عدم تمتعه بالصحة والعافية نتيجة بعض العوارض، او لاضاعته النعم بسوء اختياره، او من سوء الاستعمال، او لعجزه عن الوصول اليها، ثم يقول: "يا ويلتنا ماذا جنيت حتى حلّ بي ما حلّ"، ناطقاً بما يشي بانتقاد الربوبية الالهية. فهذه الحالة هي مرض معنوي ومصيبة اكبر من المرض المادي والمصيبة التي هو فيها، فهو يزيد مرضه بالشكوى كمن يتصارع ويده مرضوضة. لكن العاقل يتمثل قوله تعالى: (الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) فيسلم الامر لله صابراً حتى ينتهي ذلك المرض من اداء وظيفته ويمضي الى شأنه.

#333

الدواء التاسع عشر

ان التعبير الصمداني باطلاق "الاسماء الحسنى" على جميع اسماء الله الجميل ذي الجلال يدل على ان تلك الاسماء جميلة كلها. وحيث ان الحياة هي اجمل مرآة صمدانية وألطفها وجمعها في الموجودات، وان مرآة الجميل جميلة ايضاً، وان المرآة التي تعكس محاسن الجميل تصبح جميلة ايضاً، وان كل شئ يصيب تلك المرآة من ذلك الجميل هو جميل كذلك، فكل ما يصيب الحياة جميل ايضاً من زاوية الحقيقة؛ ذلك لانه يُظهر النقوش الجميلة لتلك "الاسماء الحسنى" الجميلة.

فلو مضت الحياة بالصحة والعافية على نسق واحد، لاصبحت مرآة ناقصة، بل قد تُشعر - في جهة ما - بالعدم والعبث، فتذيق العذاب والضيق، وتهبط قيمة الحياة، وتنقلب لذة العمر وهناؤه الى ألم وغيصة، فيلتي الانسان بنفسه إما الى احوال السفاهة او الى اوكار اللهو والعردة ليقتضي وقته سريعاً، مثله كمثل المسجون الذي يعادي عمره الثمين ويقتله بسرعة، بغية انهاء مدة السجن. ولكن الحياة التي تمضي بالتحويلات والحركة وتقضي اطواراً شتى فانها تُشعر ان لها قيمة ووزناً وتنتج - هذه الحياة - للعمر اهمية وتُكسبه لذة، حتى ان الانسان لا يرغب في ان يمضي عمره، رغم ما يعاينه من اصناف المشاق والمصائب ولا يتأوه ولا يتحسر قائلاً: "أنى للشمس ان تغيب وأنى للليل ان ينجلي".

نعم، ان شئت فاسأل شخصاً ثرياً عاطلاً، كل شئ عنده على ما يرام. اسأله: كيف حالك؟ فستسمع منه حتماً عبارات أليمة وحسرة مثل: آه من هذا الوقت.. انه لا يمر.. ألا تأتي لنبحث عن لهو تقضي به الوقت.. هلم للعب الزرد قليلاً..!! او تسمع شكوى ناجمة عن طول الامل مثل: ان أمري الفلاني ناقص.. ليتني افعل كذا وكذا.. اما اذا سألت فقيراً غارقاً في المصائب او عاملاً كادحاً: كيف حالك؟ فان كان رشيداً فسيقول لك: اني بخير والحمد لله وألف شكر لربي، فاني في سعي دائم.. يا حبذا لو لم تغرب الشمس بسرعة لاقتضي ما في يدي من عمل. فالوقت يمر حثيثاً والعمر يمضي دون توقف، ورغم اني منهمك في الواقع، الا أن هذا سيمضي ايضاً، فكل شئ يحث خطاه على هذا المنوال..!! فهو بهذه الاقوال انما يعبر عن قيمة العمر واهميته ضمن اسفه على العمر الذي يهرب منه، آسفاً على ذلك.. فهو

#334

يدرك اذا ان لذة العمر وقيمة الحياة بالكّد والمشقة، اما الراحة والدعة والصحة والعافية فهي تجعل العمر مرأً وثقله بحيث يتمنى المرء الخلاص منه بسرعة.

ايها الاخ المريض! اعلم ان اصل المصائب والشروع بل حتى الذنوب انما هو العدم كما اثبت ذلك اثباتاً قاطعاً ومفصلاً في سائر الرسائل، والعدم هو شرّ محض وظلمة تامة. فالتوقف والراحة والسكون على نسق واحد ووتيرة واحدة حالات قريبة جداً من العدم والعبث، ودوتها هذا هو الذي يُشعر بالظلمة الموجودة في العدم

ويورث ضجراً وضيقاً. اما الحركة والتحول فهما وجودان ويُشعران بالوجود، والوجود هو خيرٌ خالص ونور. فما دامت الحقيقة هكذا، فان المرض الذي فيك انما هو ضيف مُرسلٌ اليك ليؤدي وظائفه الكثيرة فهو يقوم بتصفية حياتك القيمة وتقويتها ويرتقي بها ويوجه سائر الاجهزة الانسانية الاخرى في جسدك الى معاونة ذلك العضو العليل ويبرز نقوش اسماء الصانع الحكيم، وسينتهي من وظيفته قريباً، ان شاء الله ويمضي الى شأنه مخاطباً العافية: تعالي الآن لتمكثي مكاني دائماً، وتراقبي اداء وظيفتك من جديد، فهذا مكانك تسلميه واسكنيه هنيئاً.

الدواء العشرون

ايها المريض الباحث عن دوائه! اعلم ان المرض قسمان: قسم حقيقي وقسم آخر وهمي.

اما القسم الحقيقي: فقد جعل الشافي الحكيم الجليل جلّ وعلا لكل داءٍ دواءً، وخزّنَه في صيدليته الكبرى التي هي الكرة الارضية، فتلك الادوية تستدعي الادواء، وقد خلق سبحانه لكل داءٍ دواءً، فاستعمال العلاج وتناوله لغرض التداوي مشروع اصلاً. ولكن يجب العلم بأن الشفاء وتأثير الدواء لا يكونان الا من الحق تبارك وتعالى، فمثلاً انه سبحانه يهب الدواء فهو ايضاً يهب الشفاء. وعلى المسلم الالتزام بارشاد الاطباء الحاذقين المسلمين وتوصياتهم. وهذا الامتثال علاج مهم؛ لان اكثر الامراض تتولد من سوء الاستعمال، وعدم الحمية، واهمال الارشاد، والاسراف، والذنوب، والسفاهة، وعدم الحذر. فالطبيب المتدين لاشك انه ينصح ضمن الدائرة

#335

المشروعة ويقدم وصاياه، ويحذر من سوء الاستعمال والاسراف ويبث في نفس المريض التسلية والامل، والمريض بدوره اعتماداً على تلك الوصايا والسلوان يخف مرضه ويغمره الفرح بدلاً من الضيق والضجر. اما القسم الوهمي من المرض: فان علاجه المؤثر الناجع هو: "الاهمال" اذ يكبر الوهم بالاهتمام وينتفش، وان لم يُعبأ به يصغر وينزوي ويتلاشى. فكما اذا تعرض الانسان لوكر الزناير فانها تتجمع وتهجم عليه، وان لم يهتم تتفرق عنه وتنشئت.

وكما ان الذي يلاحق باهتمام خيلاً في الظلمات من جبلٍ متدلٍ، سيكبر امامه ذلك الخيال حتى قد يوصله الى الفرار كالمعتوه، واذا لم يهتم فسينكشف له ان ذلك انما هو جبل وليس بثعبان.. ويبدأ بالسخرية من اضطراب ذهنه وتوهمه. فهذا المرض الوهمي كذلك اذا دام كثيراً فسينقلب الى مرض حقيقي، فالوهم عند مرهف الحس، عصبي المزاج مرض وبيل جداً، حيث يستهوله ويجعل له الحبة قبة، فتنهار قواه المعنوية، وبخاصة اذا صادف أنصاف الاطباء ذوي القلوب الغلاظ الخالية من الرحمة، او الاطباء غير المنصفين، الذين يثيرون اوهامه ويجرؤونها اكثر من ذي قبل حتى تذهب امواله وتنضب ان كان غنياً، او يفقد عقله او يخسر صحته تماماً.

الدواء الحادي والعشرون

ايها الاخ المريض! حقاً ان في مرضك المأ مادياً، الا أن لذة معنوية مهمة تحيط بك، تمحو كل آثار ذلك الالم المادي؛ لان ألمك المادي لا يفوق تلك الرأفة او الشفقة اللذيذة التي نسيته منذ الصغر، والتي تتفجر الآن من جديد في أكباد والديك واقاربك نحوك، ان كان لك والدان واقارب. حيث ستستعيد تلك العواطف والنظرات الابوية الحنونة الحلوة التي كانت تتوجه اليك في الطفولة، وينكشف الحجاب عن احبائك من حواليك ليرعوك من جديد وينطلقوا اليك بحبتهم ورأفتهم بجاذبية المرض التي أثارت تلك العواطف الداخلية. فما أرخص تلك الآلام المادية

#336

التي تعاني منها امام ما يؤديه لك من خدمات جليلة ممزوجة بالرحمة والرأفة بحكم مرضك اولئك الذين سعيت انت - بكل فخر - لخدمتهم ونيل رضاهم، فاصبحت بذلك سيداً وأمراً عليهم وفزت ايضاً بمرضك في كسب المزيد من الاحبة المعاوين والاخلاء المشفقين. فتضمهم اليك للرفقة والرأفة الانسانية التي جُبل عليها الانسان. ثم انك قد اخذت بمرضك هذا اجازة من الوظائف الشاقة المهلكة، فأنت الآن في غنى عنها وفي راحة منها... فلا ينبغي ان يسوقك ألمك الجزئي الى الشكوى بل الى الشكر تجاه هذه اللذات المعنوية.

الدواء الثاني والعشرون

ايها الاخ المريض بداء عضال كالشلل! انتي ابشرك اولاً بأن الشلل يعدّ من الامراض المباركة للمؤمن.. لقد كنت اسمع هذا منذ مدة من الاولياء الصالحين، فكنت اجمل سرّه، ويخطر الآن احد اسراره على قلبي هكذا: ان اهل الولاية قد تعقّبوا بارادتهم اساسين مهمين للوصول الى الحق تبارك وتعالى نجاهاً من اخطار معنوية عظيمة ترد من الدنيا وضماناً للسعادة الابدية. والاساسان:

اولهما: رابطة الموت، اي أنهم سعوا لاجل سعادتهم في الحياة الابدية بالتفكير في فناء الدنيا وبأنهم ضيوف يُستخدمون لوظائف موقته.

وثانيهما: اماتة النفس الامارة بالسوء بالمجاهدات والرياضة الروحية لاجل الخلاص من مهالك تلك النفس، والاحاسيس التي لا ترى العقبى.

فيا اخي الذي فقد من كيانه نصف صحته، لقد أودع فيك دون اختيار منك اساسان قصيران سهلان، يمهدان لك السبيل الى سعادتك الابدية، ويذكرانك دائماً بزوال الدنيا وفناء الانسان. فلا تتمكن الدنيا بعدئذ من حبس انفاسك وخنقك، ولا تجرؤ الغفلة على غشيان عيونك. فالنفس الامارة لا تتمكن بالشهوات الرذيلة ان تخدع من هو نصف انسان، فينجو من بلائها وشرها بسرعة. والمؤمن بسر الايمان والاستسلام والتوكل

يستفيد من داء عضال كالشلل بأقصر وقت استفادة المجاهدين من اهل الولاية بالرياضة في المعتكفات،
فيخف عليه حمل ذلك المرض

#337

الدواء الثالث والعشرون

ايها المريض الوحيد الغريب العاجز! ان كانت غربتك وعدم وجود من يعيلك فضلاً عن مرضك سبباً في لفت
القلوب القاسية نحوك وامتلأها بالركة عليك، فكيف بنظر رحمة خالقك الرحيم ذي التجليات الذي يقدم نفسه
اليك في بدء سور القرآن بصفته الجليلة "الرحمن الرحيم" والذي يجعل جميع الالمات - بلمعة من لمعات شفقتة
ورأفته الخارقة - يقمن بتربية اولادهن.. والذي يملأ وجه الدنيا ويصبغه في كل ربيع بتجلٍ من رحمته ويملأه بانواع
نعمه وفضله.. وتجلٍ من رحمته كذلك تتجسم الجنة الزاخرة بكل محاسنها. فانتسابك اليه بالايان والالتجاء اليه
بلسان العجز المنبعث من مرضك، ورجاؤك منه وتضرعك اليه يجعل من مرضك في وحدتك وغربتك هدفاً
ووسيلة تجلب اليك نظر الرحمة منه سبحانه تلك النظرة التي تساوي كل شيء.
فما دام هو موجوداً ينظر اليك فكل شيء موجود لك. والغريب حقاً والوحيد اصلاً هو ذلك الذي لا ينتسب
اليه بالايان والتسليم، او لا يرغب في ذلك الانتساب.

الدواء الرابع والعشرون

ايها الممرضون المعتنون بالاطفال المرضى الابرياء والشيوخ الذين هم بحكم الاطفال عجزاً وضعفاً! ان بين ايديكم
تجارة اخروية مهمة، فاعتمتوا تلك التجارة وليكن شوقكم اليها عظيماً وسعيكم حثيثاً. ان امراض الاطفال الابرياء
هي حقنات تربية ربانية لاجسادهم الرقيقة للاعتياد عليها وترويضهم بها لمقاومة مشقات الحياة في المستقبل،
وهي تحمل حكماً وفوائد تعود عليهم في حياتهم الدنيوية وفي حياتهم الروحية، فتصفي حياة الصغار تصفية معنوية
مثلاً تصفي حياة الكبار بكفارة الذنوب. فهذه الحقن اسس للرقى المعنوي ومداره في مستقبل اولئك الصغار
او في آخرتهم.

والثواب الحاصل من مثل هذه الامراض يُدرج في صحيفة اعمال الوالدين او في صحيفة حسنات الوالدة التي
تفضلُ صحة ولدها - بسر الشفقة - على نفسها، كما هو ثابت لدى اهل الحقيقة.

#338

اما رعاية الشيوخ والاعتناء بهم، فضلاً عن كونه مداراً لثواب عظيم وبخاصة الوالدين والظفر بدعائهم واسعاد
قلوبهم والقيام بخدمتهم بوفاء واخلاص، يقود صاحبه الى سعادة الدنيا والآخرة، كما هو ثابت بروايات صحيحة
وفي حوادث تاريخية كثيرة. فالولد السعيد البار بوالديه العاجزين سيرى الطاعة نفسها من ابنائه، بينما الولد العاق
المؤذي لأبويه مع ارتداده الى العذاب الاخروي سيجد كذلك في الدنيا مهالك كثيرة.

نعم انه ليست رعاية الشيوخ والعجائز والابرياء من الاقربين وحدهم، بل حتى اذا صادف المؤمن شيخاً مريضاً ذا حاجة جديراً بالاحترام فعليه القيام بخدمته بهمة واخلاص، ما دامت هنالك اخوة ايمانية حقيقية وهذا مما يقتضيه الاسلام.

الدواء الخامس والعشرون

ايها الاخوان المرضى! اذا كنتم تشعرعون بحاجة الى علاج قدسي نافع جداً، والى دواءٍ لكل داء يجوي لذة حقيقية، فمدّوا ايمانكم بالقوة واصقلوه، اي تناولوا بالتوبة والاستغفار والصلاة والعبادة العلاج القدسي المتمثل في الايمان.

نعم، ان الغافلين بسبب حبهم للعالم والتعلق بها بشدة كأنهم قد اصبحوا يملكون كياناً معنوياً عالياً بحجم الدنيا كلها، فيتقدم الايمان ويقدم لهذا الكيان العليل المكسوم بضربات الزوال والفراق، مرهم شفاؤه منقذاً إياه من تلك الجروح والشروح، وقد أثبتنا في رسائل عدة بأن الايمان يهب شفاءً حقيقياً، وتجنباً للاطالة أو جز قولي بما يأتي: ان علاج الايمان يتبين تأثيره بأداء الفرائض ومراعاة تنفيذها ما استطاع الانسان اليها سبيلاً، وان الغفلة والسفاهة وهوى النفس واللهو غير المشروع يبطل مفعول ذلك العلاج وتأثيره.

#339

فما دام المرض يزيل الغشاوة، ويقطع دابر الاشتهاة، ويمنع ولوج اللذات غير المشروعة، فاستفيدوا منه واستعملوا علاج الايمان الحقيقي وانواره القدسية بالتوبة والاستغفار والدعاء والرجاء.. منحكم الحق تبارك وتعالى الشفاء وجعل من امراضكم مكفريات للذنوب.. آمين.. آمين.. آمين.

(وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رُسُل ربنا بالحق)

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

اللهم صلّ على سيدنا محمد، طب القلوب ودوائها،

وعافية الابدان وشفائها،

ونور الابصار وضيائها،

وعلى آله وصحبه وسلم.

ذيل اللمعة الخامسة والعشرين

وهو "المكتوب السابع عشر" ادرج ضمن المكتوبات.

#340

%

اللمعة السادسة والعشرون

"رسالة الشيوخ"

هذه اللمعة عبارة عن ستة وعشرين

نور رجاء وضاء تسلل¹

¹ كتب المؤلف رحمه الله الهامش الآتي على نسخة خطية مصححة من قبله:

ان بقية الرجاء (اي من الرجاء الرابع عشر الى الرجاء السادس والعشرين) لم تكتب لوقوع المصيبة المعروفة (سجن اسكي شهر). ولفوات اوانها ظلت هذه الرسالة ناقصة. - المترجم.

#341

تنبيه

ان السبب الذي دعاني الى تسجيل ما كنت اعانيه من آلام معنوية في مستهل كل رجاء بأسلوب مؤثر جداً الى حد يثير فيكم الألم ايضاً، انما هو لبيان مدى قوة مفعول العلاج الوارد من القرآن الحكيم وشدة تأثيره الحارق. بيد ان هذه "اللمعة" التي تخص الشيوخ لم تحافظ على حسن البيان، وجمال الافادة لعدة اسباب:

اولها: لأنها تخص احداث حياتي الشخصية ووقائعها، فالذهاب عبر الخيال الى تلك الازمنة، ومعايشة احداثها، ومن ثم تناولها بالكتابة بتلك الحالة، سبب عدم المحافظة على الانتظام في البيان والتعبير. ثانيها: اعترى البيان شئ من الاضطراب، لأن الكتابة كانت بعد صلاة الفجر، حيث كنت اشعر حينها بتعب وانهاك شديدين، فضلاً عن الاضطرار الى الاسراع في الكتابة.

ثالثها: لم يكن لدينا متسع من الوقت للقيام بالتصحيح الكامل؛ فالكاتب الذي كان معي مرهق بشؤون "رسائل النور" وكثيراً ما كان يعتذر عن الحضور مما أفقد المضمون التناسق المطلوب.

رابعها: لم نستطع الا الاكتفاء بالتصحیحات والتعديلات العابرة دون التوغل في اعماق المعاني؛ لما كنا نحس به من تعب ونصب عقب التأليف، فلا جرم ان رافق الموضوع شئ من التقصير في التعبير والأداء.

لذا نهيب بالشيوخ الكرام أن ينظروا بعين الصفا والسماح الى قصوري في الاداء، وان يجعلوني ضمن دعواتهم عندما يرفعون آكفهم متضرعين الى الله الرحيم الذي لا يردّ دعوات الشيوخ الطيبين...

#342

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كهيعص) ذكر رحمت ربك عبده زكريّا _ إذ نادى ربه نداءً خفياً _ قال ربّ إني وهنّ العظم مّني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربّ شقيّاً(مريم: 1-4).

(هذه اللمعة عبارة عن ستة وعشرين رجاء)

الرجاء الاول

يا من بلغتم سنّ الكمال، ايها الاخوة الشيوخ الاعزاء، ويا ايها الاخوات العجائز المحترمات! اني مثلكم شيخ كبير، ساكتب لكم بعض مامرّ عليّ من احوال، وما وجدته بين حين وآخر من ابواب الامل، وبوارق الرجاء في عهد الشيخوخة، لعلكم تشاركونني في انوار السلوة المشعة من تلكم الرجاء والامل. ان ما رأيته من الضياء، وما فتحه الله عليّ من ابواب النور والرجاء، انما شاهدته حسب استعدادي الناقص وقابلياتي المشوشة، وستجعل استعداداتكم الخالصة الصافية - ياذن الله - ذلك الضياء اسطع وأبهر مما رأيته، وذلكم الرجاء اقوى وامتن مما وجدته.

ولا ريب انّ منبع ما سنذكره من الاضواء ومصدر ما سنورده من الرجاء ما هو الا "الايان".

الرجاء الثاني

حينما شارفت على الشيخوخة، وفي احد ايام الخريف، وفي وقت العصر، نظرت الى الدنيا من فوق ذروة جبل، فشعرت فجأة حالة في غاية الرقة والحزن مع ظلام يكتنفها، تدب في اعماقي.. رأيت نفسي: اني بلغت من العمر عتياً، والنهار قد

#343

غدا شيخاً، والسنة قد اكتملت، والدنيا قد هرمت.. فهزّني هذا الهرم الذي يغشى كل شئ حولي هزّاً عنيفاً. فلقد دنا أوان فراق الدنيا، واوشك أوان فراق الاحباب ان يحلّ.. وبينما اتململ يائساً حزيناً اذا بالرحمة الإلهية تنكشف امامي انكشافاً حوّل ذلك الحزن المؤلم الى فرحة قلبية مشرقة، وبدل ذلك الفراق المؤلم للاحباب الى عزاء يضيئ جنبات النفس كلها.

نعم يا امثالي من الشيوخ! ان الله سبحانه وتعالى الذي يقدم ذاته الجليلة الينا، ويعرفها لنا في أكثر من مائة موضع في القرآن الكريم، بصفة "الرحمن الرحيم".. والذي يرسل رحمته بما يسبغ على وجه الارض دوماً من النعم، مدداً وعوناً لمن استرحمه من ذوي الحياة، والذي يبعث بهداياه من عالم الغيب فيغمر الربيع كل سنة بنعم لاتعد ولا تحصى، يبعثها الينا نحن المحتاجين الى الرزق، مظهرها بها بجلاء تجليات رحمته العميمة، وفق مراتب الضعف ودرجات العجز الكامنة فينا. فرحمة خالقنا الرحيم هذه اعظم رجاء، واكبر أملاً في عهد شيخوختنا هذه، بل هي اسطع نوراً لنا.

ان ادراك تلك الرحمة والظفر بها، انما يكون بالانتساب الى ذلك "الرحمن" بالايان، وبالطاعة له سبحانه باداء الفرائض والواجبات.

الرجاء الثالث

حينما أفقت على صباح المشيب، من نوم ليل الشباب، نظرت الى نفسي متأملاً فيها، فوجدتها كأنها تنحدر سعيًا من علي الى سواء القبر، مثلما وصفها نيازي المصري: ¹ بناء العمر يدوي حجراً إثر حجر غافلاً يغط الروح وبنائوه قد اندثر

¹ نيازي المصري: شاعر تركي صوفي (1618-1694م)، ولد في قرية قريبة لولاية «ملاطية». أكمل دراسته في الازهر الشريف فلُقّب بـ«المصري»، له ديوان شعر ومؤلفات منها: رسالة الحسنين، موائد العرفان وعوائد الاحسان، هداية الاخوان. تولّى الارشاد في مدارس استانبول العلمية. - المترجم.

#344

فجسمي الذي هو مأوى روحي، بدأ يتداعى ويتساقط حجراً إثر حجر على مرّ الايام.. وآمالي التي كانت تشدني بقوة الى الدنيا، بدأت اوثاقها تنفصم وتنقطع. فذب فيّ شعور بدنو وقت مفارقة من لا يحصى من الاحبة والاصدقاء، فاخذت اجث عن ضماد لهذا الجرح المعنوي الغائر، الذي لا يرجى له دواء ناجع كما يبدو!. لم استطع أن اعثر له على علاج، فقلت ايضاً كما قال نيازي المصري:

حكمة الاله تقضى فناء الجسد والقلب تواق الى الابد
لهف نفسي من بلاء وكمد حار لقمان في ايجاد الضمد

وبينما كنت في هذه الحالة اذا بنور الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي هو رحمة الله على العالمين، ومثالها الذي يعبر عنها، والداعي إليها، والناطق بها، واذا بشفاعته، وبما أتاه من هدية الهداية الى البشرية، يصبح بلسماً شافياً، ودواءً ناجعاً لذلك الداء الوخيم الذي ظننته بلا دواء، ويبدل ذلك اليأس القائم الذي احاطني الى نور الرجاء الساطع.

اجل، ايها الشيوخ وايها العجائز الموقرون، ويا من تشعرون كلكم بالشيخوخة مثلي!. اننا راحلون ولا مناص من ذلك.. ولن يُسمح لنا بالملكوث هنا بمخادعة النفس واغماض العين، فنحن مساقون الى المصير المحتوم. ولكن عالم البرزخ، ليس هو كما يتراءى لنا بظلمات الاوهام الناشئة من الغفلة، وبما قد يصوره اهل الضلالة، فليس هو بعالم الفراق، ولا بعالم مظلم، بل هو مجمع الأحاب، وعالم اللقاء مع الاحبة والاخلاء، وفي طليعتهم حبيب رب العالمين وشفيعنا عنده يوم القيامة عليه افضل الصلاة والسلام.

نعم، ان من هو سلطان ثلاثمائة وخمسين مليوناً من الناس في كل عصر، عبر ألف وثلاثمائة وخمسين سنة وهو مربّي ارواحهم، ومرشد عقولهم، ومحجوب قلوبهم، والذي يُرفع الى صحيفة حسناته يومياً امثال ما قدمت أمته من حسنات، اذ "السبب كالفاعل" والذي هو مدار المقاصد الربانية، ومحور الغايات الإلهية السامية في

الكون، والذي هو السبب لرقى قيمة الموجودات وسموها، ذلك الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم، فكما أنه قال في الدقائق الاولى التي تشرف العالم به "امتي.. امتي.." كما ورد في

#345

الروايات الصحيحة والكشفيات الصادقة، فانه صلى الله عليه وسلم يقول في المحشر ايضاً: "امتي.. امتي.." ويسعى بشفاعته الى امداد امته واغاثتها باعظم رحمة واسماها واقدسها واعلاها، في الوقت الذي يقول كل فرد من الجموع العظيمة: "نفسى.. نفسى". فنحن اذن ذاهبون الى العالم الذي ارتحل اليه هذا النبي الكريم، راحلون الى العالم الذي استنار بنور ذلك السراج المنير وبمن حوله من نجوم الاصفياء والاولياء الذين لا يحصرهم العد. نعم، ان اتباع السنة الشريفة لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هو الذي يقود الى الانضواء تحت لواء شفاعته والاقتراس من انواره، والنجاة من ظلمات البرزخ.

الرجاء الرابع

حينما وطأت قدمي عتبة الشيخوخة، كانت صحي الجسدية التي ترخي عنان الغفلة وتمدها قد اعتلت ايضاً فاتفتت الشيخوخة والمرض معاً على شن الهجوم عليّ، وما زال يكيلان على راسي الضربات تلو الضربات حتى أذهب نوم الغفلة عني. ولم يكن لي ثمة ما يربطني بالدنيا من مال وبنين وما شابههما، فوجدت ان عصارة عمري الذي اضعته بغفلة الشباب، انما هي آثام وذنوب، فاستغثت صائحاً مثلما صاح نيازي المصري:

ذهب العُمر هباءً، لم أفر فيه بشئ

ولقد جئت اسير الدرب، لكن

رحل الركب بعيداً

وبقيت

ذلك النائي الغريب

وبقيت

همتٌ وحدي تائهاً اطوي الطريق

وبعيني ينابيع الدموع

وبصدري حرقه الشوق

حار عقلي..!

#346

كنت حينها في غربة مضيئة، فشعرت بجزن يأس، واسف نادم، وحسرة ملتاعة على ما فات من العمر.

صرخت من اعماقي اطلب امداد العون، وضياء الرجاء.. واذا بالقرآن الحكيم المعجز البيان يمدني، ويسعفني، ويفتح امامي باب رجاء عظيم، ويمنحني نوراً ساطعاً من الامل والرجاء يستطيع ان يزيل اضعاف اضعاف يأسِي، ويمكنه ان يبدد تلك الظلمات القائمة من حولي.

نعم، ايها الشيوخ وايها العجائز المحترمون، يامن بدأت اوثاق صلتهم بالانفصام عن الدنيا مثلي! ان الصانع ذا الجلال الذي خلق هذه الدنيا كأكمل مدينة وأنظمتها، حتى كأنها قصر منيف، هل يمكن لهذا الخالق الكريم الأ يتكلم مع احبائه واکرم ضيوفه في هذه المدينة او في هذا القصر؟ وهل يمكن الأ يقابلهم؟!!!

فما دام قد خلق هذا القصر الشامخ بعلم، ونظمه بارادة، وزينه باختيار، فلا بد انه يتكلم؛ اذ كما ان الباني يعلم، فالعالم يتكلم. وما دام قد جعل هذا القصر دار ضيافة جميلة بهيجة، وهذه المدينة متجراً رائعاً، فلا بد ان يكون له كتب وصحف يبين فيها ما يريد مناه، ويوضح علاقته معنا.

ولاشك ان اكمل كتاب من تلك الكتب المقدسة التي انزلها، انما هو القرآن الحكيم المعجز، الذي ثبت اعجازه بأربعين وجهاً من وجوه الاعجاز، والذي يتلى في كل دقيقة بألسنة مائة مليون شخص في الاقل، والذي ينشر النور ويهدي السبيل. والذي في كل حرف من حروفه عشر حسنة، وعشر مثوبات في الاقل، واحياناً عشرة آلاف حسنة، بل ثلاثين ألف حسنة، كما في ليلة القدر. وهكذا يمنح من ثمار الجنة ونور البرزخ ما شاء الله ان يمنح. فهل في الكون اجمع كتاب يناظره في هذا المقام، وهل يمكن ان يدعي ذلك احد قط؟

فما دام هذا القرآن الكريم الذي بين ايدينا هو كلام رب العالمين، وهو أمره المبلغ اليانا، وهو منبع رحمته التي وسعت كل شيء، وهو صادر من خالق السموات والارض ذي الجلال، من جهة ربوبيته المطلقة، ومن جهة عظمة ألوهيته، ومن جانب رحمته المحيطة الواسعة، فاستمسك به واعتصم، ففيه دواء لكل داء، ونور لكل ظلام، ورجاء لكل يأس.. وما مفتاح هذه الخزينة الابدية الا الايمان والتسليم، والاستماع اليه، والانقياد له، والاستمتاع بتلاوته.

#347

الرجاء الخامس

في بداية شيخوختي ومستهلها، ورغبة ممتي في الانزواء والاعتزال عن الناس، بحثت روجي عن راحة في الوحدة والعزلة على تل "يوشع" المطل على البسفور. فلما كنت - ذات يوم - اسرح بنظري الى الافق من على ذلك التل المرتفع، رأيت بندير الشيخوخة لوحة من لوحات الزوال والفراق تتقطر حزناً ورقة، حيث جُلثُ بنظري من قمة شجرة عمري، من الغصن الخامس والاربعين منها، الى ان انتهيت الى اعماق الطبقات السفلى لحياتي، فرايت ان في كل غصن من تلك الاغصان الكائنة هناك ضمن كل سنة، جنائز لا تحصر من جنائز احبابي واصدقائي وكل من له علاقة معي. فتأثرت بالغ التأثر من فراق الاحباب وافتراقهم، وترنمت

بأنين "فضولي البغدادي" ¹ عند مفارقتها الاحباب قائلاً:

كلما حنَّ الوصال عذبُ دمعي مادام الشهيق

لقد بحثتُ من خلال تلك الحسرات الغائرة عن باب رجاء، وعن نافذة نور، أسلّي بها نفسي. فاذا بنور الايمان بالآخرة يغيثني ويمدني بنور باهر. انه منحني نوراً لا ينطفئ ابداً، ورجاءً لا يخيب مطلقاً.

اجل يا اخواني الشيوخ ويا اخواتي العجائز! ما دامت الآخرة موجودة، وما دامت هي باقية خالدة، وما دامت هي اجمل من الدنيا، وما دام الذي خلقنا حكماً ورحماً؛ فما علينا اذاً إلاّ عدم الشكوى من الشيخوخة، وعدم التضجر منها؛ ذلك لان الشيخوخة المشربة بالايمان والعبادة، والموصلة الى سنّ الكمال، ماهي الا علامة انتهاء واجبات الحياة ووظائفها، واشارة ارتحال الى عالم الرحمة للخلود الى الراحة. فلا بدّ اذن من الرضا بها اشدّ الرضا. نعم ان اخبار مائة واربعة وعشرين ألفاً من المصطفين الاخيار وهم الانبياء والمرسلون ² عليهم الصلاة والسلام - كما نص عليه الحديث - اخباراً بالاجماع

¹ فضولي البغدادي شاعر عاش في القرن السادس عشر الميلادي وهو مؤسس الادب العثماني الآذري، له اشعار ودواوين في اللغات التركية والعربية والفارسية توفي سنة 1555م، من اعماله المشهورة "ليلي ومجنون" اسمه الحقيقي: محمد. - المترجم.

² عن ابي امامة، قال ابو ذر: "قلت: يا رسول الله كم وفاء عدة الانبياء؟ قال: مائة ألف واربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً" رواه الامام احمد (مشكاة المصابيح 122/3 ت 5737 قال المحقق: حديث صحيح) وانظر زاد المعاد المحقق 43/1. - المترجم.

#348

والتواتر مستندين الى الشهود عند بعضهم والى حق اليقين عند آخرين، عن وجود الدار الآخرة، واعلانهم بالاجماع ان الناس سيساقون اليها، وان الخالق سبحانه وتعالى سيأتي بالدار الآخرة بلا ريب، مثلما وعد بذلك وعداً قاطعاً.

وان تصديق مائة واربعة وعشرين مليوناً من الاولياء كشفاً وشهوداً ما اخبر به هؤلاء الانبياء عليهم السلام، وشهادتهم على وجود الآخرة بعلم اليقين، دليل قاطع وايّ دليل على وجود الآخرة..

وكذا، فان تجليات جميع الاسماء الحسنی لخالق الكون المتجلية في ارجاء العالم كله، تقتضي بالبدهة وجود عالم آخر خالد، وتدل دلالة واضحة على وجود الآخرة.

وكذا القدرة الإلهية وحكمتها المطلقة، التي لا اسراف فيها ولا عبث، والتي تحيي جناز الاشجار الميتة وهياكلها المنتصبة، تحييا وهي لاتعد ولا تخصى على سطح الارض في كل ربيع، وفي كل سنة، بأمر "كن فيكون" وتجعلها

علامة على "البعث بعد الموت" فتحشر ثلاثمائة ألف نوع من طوائف النباتات وأمم الحيوانات وتشرها، مظهرًا بذلك مئات الآلاف من نماذج الحشر والنشور ودلائل وجود الآخرة.

وكذا الرحمة الواسعة التي تديم حياة جميع ذوي الأرواح المحتاجة إلى الرزق، وتعيّسها بكمال الرأفة عيشة خارقة للغاية. والعناية الدائمة التي تظهر أنواع الزينة والمحاسن بما لا يُعد ولا يحصى، في فترة قصيرة جداً في كل ربيع. لاشكّ انهما تستلزمان وجود الآخرة بداهة.

وكذا عشق البقاء، والشوق إلى الأبدية وآمال السرمدية المغروزة غرزاً لا انفصام لها في فطرة هذا الإنسان الذي هو أكمل ثمرة لهذا الكون، واحب مخلوق إلى خالق الكون، وهو اوثق صلة مع موجودات الكون كله، لاشكّ انه يشير بالبداهة إلى وجود عالم باقٍ بعد هذا العالم الفاني، وإلى وجود عالم الآخرة ودار السعادة الأبدية.

#349

فجميع هذه الدلائل تثبت بقطعية تامة - إلى حدّ يستلزم القبول - وجود الآخرة بمثل بداهة وجود الدنيا .¹ فما دام أهم درس يلقننا القرآن آيّه هو "الايان بالآخرة" وهذا الدرس رصين ومتمين إلى هذه الدرجة، وفي ذلك الايمان نور باهر ورجاء شديد وسلوان عظيم مالو اجتمعت مائة الف شيخوخة في شخص واحد لكفاها ذلك النور، وذلك الرجاء، وذلك السلوان النابع من هذا الايمان؛ لذا علينا نحن الشيوخ ان نفرح بشيخوختنا ونبتهج قائلين: "الحمد لله على كمال الايمان".

الرجاء السادس

حينما كنت في منفاي ذلك الاسر الاليم بقيت وحدي منفرداً منعزلاً عن الناس على قمة جبل "جام" المطلة على مراعي "بارالا" .. كنت اجث عن نور في تلك العزلة. وذات ليلة، في تلك الغرفة الصغيرة غير المسقفة، المنصوبة على شجرة صنوبر عالية على قمة ذلك المرتفع، اذا بشيخوختي تشعرنى بألوان وانواع من الغربية المتداخلة - كما جاء ذلك في المكتوب السادس بوضوح - ففي سكون تلك الليلة حيث لا اثر ولا صوت سوى ذلك الصدى الحزين لحفيف الأشجار وهمهمتها.. احسست بأن ذلك الصدى الاليم قد اصاب صميم مشاعري، ومس اعماق شيخوختي وغربتي، فهتمست الشيخوخة في اذني منذرةً:

¹ ان مدى السهولة في إخبار "الامر الثبوتي" ومدى الصعوبة والاشكال في نفي وانكار ذلك، يظهر في المثال الآتي: اذا قال احدهم: ان هناك - على سطح الارض - حديقة خارقة جداً ثمارها كعلب الحليب، وأنكر عليه الآخر قوله هذا قائلاً: لا، لا توجد مثل هذه الحديقة. فالاول يستطيع بكل سهولة ان يثبت دعواه، بمجرد اراءة مكان تلك الحديقة او بعض ثمارها. اما الثاني (اي المنكر) فعليه ان يرى ويؤري جميع أنحاء الكرة الارضية لاجل ان يثبت نفيه، وهو عدم وجود مثل

هذه الحقيقة.

وهكذا الامر في الذين يخبرون عن الجنة، فانهم يُظهرون مئات الآلاف من ترسحاتها، ويبينون ثمارها وآثارها، علماً ان شاهدين صادقين منهم كافيان لاثبات دعواهم، بينما المنكرون لوجودها، لا يسعهم اثبات دعواهم الا بعد مشاهدة الكون غير المحدود، والزمن غير المحدود، مع سبر غورهما بالبحث والتفتيش، وعند عدم رؤيتهم لها، يمكنهم اثبات دعواهم! فيامن بلغ به الكبر عتياً ويا ايها الاخوة! اعلمو ما اعظم قوة الايمان بالآخرة وما اشد رصانته!.. - المؤلف.

#350

ان النهار قد تبدل الى هذا القبر الحالك، ولبست الدنيا كنفها الاسود، فسوف يتبدل نهار عمرك الى ليل، وسوف ينقلب نهار الدنيا الى ليل البرزخ، وسوف يتحول نهار صيف الحياة الى ليل شتاء الموت. فأجابتها نفسي على مضض:

نعم، كما اني غريبة هنا عن بلدي ونائية عن موطني، فان مفارقتي لاجبائي الكثيرين خلال عمري الذي ناهز الخمسين ولا املك سوى تذراف الدموع وراءهم هي غربة تفوق غربتي عن موطني.. واني لأشعر في هذه الليلة غربة أكثر حزناً واشد ألماً من غربتي على هذا الجبل الذي توشح بالغربة والحزن، فشيخوختي تندرنى بدنوي من موعد فراق نهائي عن الدنيا وما فيها، ففي هذه الغربة المكتنفة بالحزن، ومن خلال هذا الحزن الذي يمازجه الحزن، بدأت أبحث عن نور، وعن قبس امل، وعن باب رجاء، وسرعان ما جاء "الايمان بالله" لنجدتي ولشد ازري، ومنحني أنساً عظيماً بحيث لو تضاعفت آلامي ووحشتي اضعافاً مضاعفة لكان الانس كافياً لإزالتها.

نعم، ايها الشيوخ، ويا ايها العجائز!.. فما دام لنا خالق رحيم، فلا غربة لنا اذاً ابداً.. وما دام سبحانه موجوداً فكل شئ لنا موجود اذاً، وما دام هو موجوداً وملائكته موجودة. فهذه الدنيا إذن ليست خالية لا أنيس فيها ولا حسيس، وهذه الجبال الخاوية، وتلك الصحارى المقفرة كلها عامرة ومأهولة بعباد الله المكرمين، بالملائكة الكرام. نعم، ان نور الايمان بالله سبحانه، والنظرة الى الكون لاجله، يجعل الاشجار بل حتى الاحجار كأنها اصدقاء مؤنسون فضلاً عن ذوي الشعور من عباده، حيث يمكن لتلك الموجودات ان تتكلم معنا - بلسان الحال - بما يسلينا ويروح عنا.

نعم، ان الدلائل على وجوده سبحانه بعدد موجودات هذا الكون، وبعدد حروف كتاب العالم الكبير هذا، وهناك دلائل وشواهد على رحمته بعدد اجهزة ذوي الارواح وما خصهم من نعمه ومطعمواته التي هي محور الشفقة والرحمة

#351

والعناية، فجميعها تدل على باب خالقنا الرحيم والكريم، وصانعنا الانيس، وحامينا الودود، ولاشك ان العجز والضعف هما ارجى شفيعين عند ذلك الباب السامي. وان عهد الشيب أو انهما، ووقت ظهورهما، فعلينا إذن

ان نودّ الشيخوخة، وان نحبا، لا ان نعرض عنها؛ اذ هي شفيع مرتجي امام ذلك الباب الرفيع.

الرجاء السابع

حينما تبدلت نشوة "سعيد القديم" وابتساماته الى نحيب "سعيد الجديد" وبكائه، وذلك في بداية المشيب، دعاني ارباب الدنيا في "انقرة" اليها، ظناً منهم انني "سعيد القديم" فاستجبت للدعوة. ففي ذات يوم من الايام الاخيرة للخريف، صعدت الى قمة قلعة انقرة، التي اصابها الكبر والبلى اكثر مني، فتمثلت تلك القلعة امامي كأنها حوادث تاريخية متحجرة، واعتزاني حزن شديد واسى عميق من شيب السنة في موسم الخريف، ومن شيبني انا، ومن هرم القلعة، ومن هرم البشرية ومن شيخوخة الدولة العثمانية العلية، ومن وفاة سلطنة الخلافة، ومن شيخوخة الدنيا. فاضطرتني تلك الحالة الى النظر من ذروة تلك القلعة المرتفعة الى اودية الماضي وشواهد المستقبل، أنقب عن نور، وابحث عن رجاء وعزاء ينير ما كنت أحسّ به من اكتف الظلمات التي غشيت روجي هناك وهي غارقة في ليل هذا الهرم المتداخل المحيط¹. فحينما نظرت الى اليمين الذي هو الماضي باحثاً عن نور ورجاء، بدت لي تلك الجهة من بعيد على هيئة مقبرة كبرى لأي واجدادي والنوع الانساني، فأوحشتني بدلاً من ان تسليني .

ثم نظرت الى اليسار الذي هو المستقبل مفتشاً عن الدواء، فترأى لي على صورة مقبرة كبرى مظلمة لي ولأمثالي وللجيل القابل، فأدهشني عوضاً من ان يؤنسني. ثم نظرت الى زمني الحاضر بعد ان امتلأ قلبي بالوحشة من اليمين واليسار، فبدأ ذلك اليوم لنظري الحسير ونظرتي التاريخية على شكل نعش لجنزة جسي المضطرب كالمذبوح بين الموت والحياة.

¹ وردت هذه الحالة الروحية على صورة مناجاة الى القلب باللغة الفارسية، فكتبتها كما وردت، ثم طبعت ضمن رسالة (حباب) في أنقرة. - المؤلف. (يراجع المثنوي العربي النوري)

#352

فلما يئست من هذه الجهة ايضاً، رفعت رأسي ونظرت الى قمة شجرة عمري، فرأيت ان على تلك الشجرة ثمرة واحدة فقط، وهي تنظر اليّ، تلك هي جنازتي، فطأطأت رأسي ناظراً الى جذور شجرة عمري، فرأيت ان التراب الذي هناك ما هو الا رميم عظامي، وتراب مبدأ خلقتي قد اختلطاً معاً وامتزجاً، وهما يُداسان تحت الاقدام، فأضفا الى دائي داء من دون ان يمنحاني دواءً.

ثم حوّلت نظري على مضض الى ما ورائي، فرأيت ان هذه الدنيا الفانية الزائلة تتدحرج في اودية العبث وتندحر في ظلمات العدم، فسكبت هذه النظرة السّم على جروحي بدلاً من ان تواسيها بالمرهم والعلاج الشافي.

ولما لم أجد في تلك الجهة خيراً ولا أملاً، وليت وجهي شطر الامام ورنوت بنظري بعيداً، فرأيت ان القبر واقف لي بالمرصاد على قارعة الطريق، فاغراً فاه، يحدق بي، وخلفه الصراط الممتد الى حيث الابد، وتترأى القوافل البشرية السائرة على ذلك الصراط من بعيد. وليس لي من نقطة استناد امام هذه المصائب المدهشة التي تأتيني من الجهات الست، ولا املك سلاحاً يدفع عني غير جزء ضئيل من الارادة الجزئية. فليس لي اذن امام كل اولئك الاعداء الذين لا حصر لهم، والاشياء المضرّة غير المحصورة، سوى السلاح الانساني الوحيد وهو الجزء الاختياري. ولكن لما كان هذا السلاح ناقصاً وقاصراً وعاجزاً، ولاقوة له على ايجاد شئ، وليس في طوقه الا الكسب فحسب، حيث لا يستطيع ان يمضي الى الزمان الماضي ويذبّ عني الاحزان ويسكتها، ولا يمكنه ان ينطلق الى المستقبل حتى يمنع عني الاهوال والمخاوف الواردة منه، أيقنت الا جدوى منه فيما يحيط بي من آلام وآمال الماضي والمستقبل.

وفيما كنت مضطرباً وسط الجهات الست تتوالى عليّ منها صنوف الوحشة والدهشة واليأس والظلمة، اذا بأنوار الايمان المتألقة في وجه القرآن المعجز البيان، تمدني وتضي تلك الجهات الست وتنورها بأنوار باهرة ساطعة ما لتضاعف ما انتابني من صنوف الوحشة وانواع الظلمات مائة مرة، لكنت تلك الانوار كافية ووافية لإحاطتها.

فبدلت - تلك الانوار - السلسلة الطويلة من الوحشة الى سلوان ورجاء، وحوّلت كل المخاوف الى انس القلب، وامل الروح الواحدة تلو الاخرى.

#353

نعم، ان الايمان قد مزق تلك الصورة الرهيبة للماضي وهي كالمقبرة الكبرى، وحوّلها الى مجلس منور أنوس والى ملتقى الاحباب، وأظهر ذلك بعين اليقين وحق اليقين...

ثم ان الايمان قد أظهر بعلم اليقين ان المستقبل الذي يتراءى لنا بنظر الغفلة، كقبر واسع كبير ما هو الا مجلس ضيافة رحمانية اعدت في قصور السعادة الخالدة.

ثم ان الايمان قد حطّم صورة التابوت والنعش للزمن الحاضر التي تبدو هكذا بنظر الغفلة، واشهدني ان اليوم الحاضر انما هو متجر اخروي، ودار ضيافة رائعة للرحمن.

ثم ان الايمان قد بصّرني بعلم اليقين ان ما يبدو بنظر الغفلة من الثمرة الوحيدة التي هي فوق شجرة العمر على شكل نعش وجنازة. انها ليست كذلك، وانما هي انطلاق لروحي - التي هي اهل للحياة الابدية ومرشحة للسعادة الابدية - من وكرها القديم الى حيث آفاق النجوم للسياحة والارتداد.

ثم ان الايمان قد بيّن بأسراره؛ ان عظامي ورميها وتراب بداية خلقتي، ليسا عظماً حقيرة فانية تداس تحت الاقدام، وانما ذلك التراب باب للرحمة، وستار لسرادق الجنة.

ثم ان الايمان أراني بفضل اسرار القرآن الكريم ان احوال الدنيا واطرافها المنهارة في ظلمات العدم بنظر الغفلة، لا تتدحرج هكذا في غياهب العدم - كما ظنّ في بادئ الامر - بل انها نوع من رسائل ربانية ومكاتيب صمدانية، وصحائف نقوش للاسماء السبحانية قد اتمت مهامها، وأفادت معانيها، واخلفت عنها نتائجها في الوجود، فأعلمني الايمان بذلك ماهية الدنيا علم اليقين.

ثم ان الايمان قد اوضح لي بنور القرآن ان ذلك القبر الذي احرق بي ناظراً ومنتظراً ليس هو بفوهة بئر، وانما هو باب لعالم النور. وان ذلك الطريق المؤدي الى الابد ليس طريقاً ممتداً ومنتهيّاً بالظلمات والعدم، بل انه سبيل سوي الى عالم النور، وعالم الوجود وعالم السعادة الخالدة.. وهكذا اصبحت هذه الاحوال دواء لدائي، ومرهماً له، حيث قد بدت واضحة جلية فأقنعتني قناعة تامة.

ثم، ان الايمان يمنح ذلك الجزء الضئيل من - الجزء الاختياري - الذي يملك كسباً جزئياً للغاية، وثيقة يستند بها الى قدرة مطلقة، وينتسب بها الى رحمة واسعة، ضد

#354

تلك الكثرة الكثيرة من الاعداء والظلمات المحيطة، بل ان الايمان نفسه يكون وثيقة بيد الجزء الاختياري. ثم ان هذا الجزء الاختياري الذي هو السلاح الانساني، وان كان في حد ذاته ناقصاً عاجزاً قاصراً، الا أنه اذا استعمل باسم الحق سبحانه، وبذل في سبيله، ولاجله، يمكن ان ينال به - بمقتضى الايمان - جنة ابدية بسعة خمسمائة سنة. مثل المؤمن في ذلك مثل الجندي اذا استعمل قوته الجزئية باسم الدولة فانه يسهل له ان يؤدي اعمالاً تفوق قوته الشخصية بألوف المرات.

وكما ان الايمان يمنح الجزء الاختياري وثيقة، فانه يسلب زمامه من قبضة الجسم الذي لا يستطيع النفوذ في الماضي ولا في المستقبل، ويسلمه الى القلب والروح، ولعدم انحصار دائرة حياة الروح والقلب في الزمن الحاضر كما هو في الجسد، ولدخول سنوات عدة من الماضي وسنوات مثلها من المستقبل في دائرة تلك الحياة، فان ذلك الجزء الاختياري ينطلق من الجزئية مكتسباً الكلية. فكما انه يدخل بقوة الايمان في اعماق اودية الماضي مبدداً ظلمات الاحزان، كذلك يصعد محلقاً بنور الايمان الى ابعاد شواهد المستقبل مزيلاً أهواله ومخاوفه.

فيا ايها الاخوان الشيوخ، ويا ايها الاخوات العجائز، ويا من تتألمون مثلي من تعب المشيب! ما دمنا والحمد لله من اهل الايمان، والايمان فيه خزائن حلوة نيرة لذيدة محبوبة الى هذا الحد، وان شيبنا يدفعنا الى هذه الخزائن دفعاً أكثر، فليس لنا التشكي من الشيخوخة اذاً، بل يجب علينا ان نقدم ألف شكر وشكر الى الله عزّ وجلّ، وان نحمده تعالى على شيبنا المنور بالايمان.

الرجاء الثامن

حينما خالط بعض شعرات رأسي البياض الذي هو علامة الشيخوخة، وكانت احوال الحرب العالمية الاولى وما خلفه الاسر لدى الروس من آثار عميقة في حياتي عمّقت فيّ نوم غفلة الشباب. وتلا ذلك استقبال رائع عند عودتي من الاسر الى استانبول، سواء من قبل الخليفة او شيخ الاسلام، او القائد العام، او من قبل طلبة العلوم الشرعية، وما قوبلت به من تكريم وحفاوة أكثر مما استحق بكثير.. كل ذلك

#355

ولّد عندي حالة روحية فضلاً عن سكرة الشباب وغفلته، وعمّقت فيّ ذلك النوم أكثر، حتى تصورت معها ان الدنيا دأمة باقية، ورأيت نفسي في حالة عجيبة من الالتصاق بالدنيا كأنني لا أموت. ففي هذا الوقت، ذهبت الى جامع بايزيد في استانبول، وذلك في شهر رمضان المبارك لأستمع للقرآن الكريم من الحفاظ المخلصين، فاستمعت من لسان اولئك الحفاظ ما اعلنه القرآن المعجز بقوة وشدة، خطابه السماوي الرفيع في موت الانسان وزواله، ووفاة ذوي الحياة وموتهم، وذلك بنص الآية الكريمة: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) (آل عمران: 185).

فقد هذا الاعلان الداوي صماخ أذني مخترقاً وممزقاً طبقات النوم والغفلة والسكرة الكثيفة الغليظة حتى استقر في اعماق اعماق قلبي.

خرجت من الجامع، رأيت نفسي لبضعة ايام، كأن اعصاراً هائلاً يضطرم في رأسي بما بقي من آثار ذلك النوم العميق المستقر فيّ منذ امد طويل، ورأيتني كالسفينة التائهة بين أمواج البحر المضطربة البوصلة. كانت نفسي تتأجج بنار ذات دخان كثيف.. وكلما كنت انظر الى المرأة، كانت تلك الشعرات البيضاء تخاطبني قائلة: انتبه!!!

نعم ان الامور توضحت عندي بظهور تلك الشعرات البيضاء وتذكيرها إياي، حيث شاهدت ان الشباب الذي كنت أغتر به كثيراً، بل كنت مفتوناً باذواقه يقول لي: الوداع! وان الحياة الدنيا التي كنت ارتبطت بحبها بدأت بالانطفاء رويداً رويداً، وبدت لي الدنيا التي كنت اتشبث بها، بل كنت مشتاقاً اليها وعاشقاً لها، رأيتها تقول لي: الوداع!! الوداع!! مشعرة اياي، باتني سأرحل من دار الضيافة هذه، وسأغادرها عما قريب. ورأيتها -اي الدنيا- هي الاخرى تقول: الوداع، وتتهياً للرحيل. وانفتح الى القلب من كلية هذه الآية الكريمة (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) ومن شموليتها، ذلك المعنى الذي يتضمنها وهو:

ان البشرية قاطبة انما هي كالنفس الواحدة، فلا بد انها ستموت كي تبعث من جديد، وان الكرة الارضية كذلك نفس فلا بد انها سوف تموت ويصيبها البوار كي

#356

تتخذ هيئة البقاء وصورة الخلود، وان الدنيا هي الاخرى نفسٌ وسوف تموت وتنقضي كي تتشكل بصورة (آخرة).

فكرت فيما أنا فيه؛ فرأيت:

أن الشباب الذي هو مدار الاذواق واللذائذ، ذاهب نحو الزوال، تارك مكانه للشيوخوخة التي هي منشأ الاحزان. وان الحياة الساطعة الباهرة لفي ارتحال، وبتيماً الموت المظلم المخيف - ظاهراً - ليحل محلها. ورأيت الدنيا التي هي محبوبة وحلوة ومعشوقة الغفلة وتُظن انها دائمة، رأيتها تجري مسرعة الى الفناء. ولكي انغمس في الغفلة واخادع نفسي وليت نظري شطر اذواق المنزلة الاجتماعية ومقامها الرفيع الذي حظيت به في استانبول والذي خُدعت به نفسي وهو فوق حدى وطوقى من حفاوة وكرام وسلوان واقبال واعجاب.. فرأيت أن جميعها لا تصاحبني الا الى حد باب القبر القريب منى، وعنده تنطفئ. ورأيت أن رياءً ثقيلاً، وأثرة باردة وغفلة مؤقتة، تكمن تحت الستار المزركش للسمعة والصيت، التي هي المثل الاعلى لارباب الشهرة وعشاقها، ففهمت ان هذه الامور التي خدعتني حتى الآن لن تمنحني اي سلوان، ولا يمكن ان اتلمس فيها اي قبس من نور.

ولكي استيقظ من غفلتي مرة اخرى وانتبه منها نهائياً، بدأت بالاستماع كذلك لأولئك الحفاظ الكرام في "جامع بايزيد" لأتلقى الدرس السماوي للقرآن الكريم.. وعندها سمعت بشارات ذلك الارشاد السماوي من خلال الاوامر الربانية المقدسة في قوله تعالى: (وبشّر الذين آمنوا....) (البقرة: 25)

وبالفيض الذي اخذته من القرآن الكريم تحريت عن السلوة والرجاء والنور في تلك الامور التي ادهشتني وحيرتني وواقعتني في يأس ووحشة، دون البحث عنها في غيرها من الامور. فألف شكر وشكر للخالق الكريم على ما وفقني لان أجد الدواء في الداء نفسه، وأن أرى النور في الظلمة نفسها، وان اشعر بالسلوان في الالم والرعب ذاتهما.

#357

فنظرت اول ما نظرت الى ذلك الوجه الذي يُرعب الجميع ويُتوهم أنه مخيف جداً.. وهو وجه "الموت" فوجدت بنور القرآن الكريم، ان الوجه الحقيقي للموت بالنسبة للمؤمن صبوح منور، على الرغم من ان حجاب مظلّم والستر الذي يخفيه يكتنفه السواد القبيح المرعب. وقد اثبتنا واوضحنا هذه الحقيقة بصورة قاطعة في كثير من الرسائل وبخاصة في "الكلمة الثامنة" و"المكتوب العشرين" من ان الموت: ليس اعداماً نهائياً، ولا هو فراقاً ابدياً، وانما مقدمة وتمهيد للحياة الابدية وبداية لها. وهو إنهاء لأعباء مهمة الحياة ووظائفها ورخصة منها وراحة واعفاء، وهو تبديل مكان بمكان، وهو وصال ولقاء مع قافلة الاحباب الذين ارتحلوا الى عالم البرزخ.. وهكذا، يمثل هذه الحقائق شاهدت وجه الموت المليح الصبوح. فلا غرو لم انظر اليه خائفاً وجللاً، وانما نظرت اليه بشئ

من الاشتياق - من جهة - وعرفت في حينها سراً من اسرار "رابطة الموت" التي يزاولها اهل الطرق الصوفية. ثم تأملت في "عهد الشباب" فرأيت أنه يُحزن الجميع بزواله، ويجعل الكل يشتاقون اليه وينبهرون به، وهو الذي يمر بالغفلة والآثام، وقد مرّ شبابي هكذا! فرأيت أن ثمة وجهاً دميماً جداً بل مسكراً ومحيراً تحت الحلة القشبية الفضفاضة الملقاة عليه، فلو لم أكن مدركاً كنهه لكان يبكي ويحزني طوال حياتي الدنيا، حتى لو عمرت مائة سنة حيال بضع سنين تمضي بنشوة وابتسامة، كما قال الشاعر الباكي على شبابه بحسرة مريرة:

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيبُ

نعم ان الذين لم يتبينوا سر الشباب وماهيته من الشيوخ يقضون شيخوختهم بالحسرة والنحيب على عهد شبابهم كهذا الشاعر. والحال ان فتوة الشباب ونضارته اذا ما حلت في المؤمن المطمئن الحضيف ذي القلب الساكن الوقور، واذا ما صُرفت طاقة الشباب وقوته الى العبادة والاعمال الصالحة والتجارة الاخروية، فانها تصبح اعظم قوة للخير وتغدو افضل وسيلة للتجارة، واجمل وساطة للحسنات بل أذها.

نعم، ان عهد الشباب نفيس حقاً وثمان جداً، وهو نعمة الهية عظمى، ونشوة لذيدة لمن عرف واجبه الاسلامي ولمن لم يسئ استعماله. ولكن الشباب ان لم تصحبه الاستقامة، ولم ترافقه العفة والتقوى، فدونه المهالك الويلة، اذ يصدّع طيشه

#358

ونزواته سعادة صاحبه الابدية، وحياته الاخروية، وربما يحطم حياته الدنيا ايضاً. فيجرعه الآلام غصصاً طوال فترة الهرم والشيخوخة لما أخذه في بضع سنين من اذواق ولذائد.

ولما كان عهد الشباب لا يخلو من الضرر عند اغلب الناس، فعلياً اذن نحن الشيوخ ان نشكر الله شكراً كثيراً على ما نجانا من مهالك الشباب واضراره. هذا وان لذات الشباب زائلة لامحالة، كما تزول جميع الاشياء. فلئن صُرف عهد الشباب للعبادة، وبذل للخير والصلاح لكان دونه ثماره الباقية الدائمة، وعنده وسيلة الفوز بشباب دائم وخالد في حياة ابدية.

ثم نظرت الى "الدنيا" التي عشقها أكثر الناس، وابتلوا بها. فرأيت بنور القرآن الكريم ان هناك ثلاث دنيّ كلية قد تداخل بعضها في البعض الآخر:

الاولى: هي الدنيا المتوجهة الى الاسماء الإلهية الحسنى، فهي مرآة لها.

الثانية: هي الدنيا المتوجهة نحو الآخرة، فهي مزرعتها.

الثالثة: هي الدنيا المتوجهة الى ارباب الدنيا واهل الضلالة، فهي لعبة اهل الغفلة ولهوهم.

ورأيت كذلك ان لكل احد في هذه الدنيا دنيا عظيمة خاصة به، فهناك اذن دنيّ متداخلة بعدد البشر. غير ان

دنيا كل شخص قائمة على حياته الشخصية، فمتى ما ينهار جسم شخص فإن دنياه تتهدم وقيامته تقوم. وحيث ان الغافلين لا يدركون انهدام دنياهم الخاصة بهذه السرعة الخاطفة؛ فهم يفتنون بها، ويطنونها كالدنيا العامة المستقرة من حولهم.

فتأملت قائلاً: لاشك أن لي ايضاً دنيا خاصة - كدنيا غيري - تتهدم بسرعة - فما فائدة هذه الدنيا الخاصة اذن في عمري القصير جداً؟!.. فرأيت بنور القرآن الكريم ان هذه الدنيا - بالنسبة لي ولغيري - ما هي الا متجر مؤقت، ودار ضيافة تملأ كل يوم وتخلي، وهي سوق مقامة على الطريق لتجارة الغادين والرأئحين، وهي كتاب مفتوح يتجدد للباريء المصور، فيحوي فيه ما يشاء ويثبتته بحكمة. وكل ربيع فيها رسالة مرصعة مذهبة، وكل صيف فيها قصيدة منظومة رائعة، وهي مرايا تتجدد

#359

مظهرة تجليات الاسماء الحسنى للصانع الجليل، وهي مزرعة لغراس الآخرة وحديقتها، وهي مزهرة الرحمة الإلهية، وهي مصنع موقت لتجهيز اللوحات الربانية الخالدة التي ستظهر في عالم البقاء والخلود. فشكرتُ الله الخالق الكريم اجزل شكر على خلقه الدنيا بهذه الصورة. بيد ان الانسان الذي مُنح حباً مقبلاً الى وجهي الدنيا الحقيقيين المليحين المتوجهين الى الاسماء الحسنى والى الآخرة، اخطأ المرمى وجانب الصواب عندما استعمل تلك المحبة في غير محلها، فصرفها الى الوجه الفاني القبيح ذي الغفلة والضرر حتى حق عليه الحديث الشريف (حب الدنيا رأس كل خطيئة).¹ فيا ايها الشيوخ ويا ايها العجائز!

انتي رأيت هذه الحقيقة بنور القرآن الحكيم، وبتذكير من شيخوختي، وبما منحه الايمان لبصيرتي من نور، وقد اثبتتها في رسائل كثيرة مع براهين دامغة.. رايت أن هذه الحقيقة هي السلوان الحقيقي لي، وهي الرجاء القوي والضيء الساطع.. فرضيت بشيخوختي وهرمي وسررت من رحيل الشباب.

فلا تحزنوا اذن، ولا تبكوا يا اخوتي الشيوخ على شيخوختكم بل احمداوا الله واشكروه. وما دمتم تملكون الايمان، والحقيقة تنطق هكذا، فليكن اولئك الغافلون، وليحزن الضالون ولينتحبوا..

الرجاء التاسع

كنت اسيراً اثناء الحرب العالمية الاولى في مدينة قسية، في شمال شرقي روسيا تدعى "قوصترما". كان هناك جامع صغير للتتار على حافة نهر "فولغا" المشهور.. كنت ضجراً من بين زملائي الضباط الاسرى، فأثرت العزلة، الا أنه لم يكن يسمح

¹ رواه البيهقي في الشعب باسناد حسن الى الحسن البصري رفعه مرسلأً، وذكره الديلمي في الفردوس وتبعه ولده بلا سند عن علي رفعه، قال ابن الفرس: الحديث ضعيف، ورواه البيهقي ايضاً في الزهد وابو نعيم من قول عيسى بن مريم

وآخرون يعدّونه من كلام ابن مسعود او جندب البجلي رضي الله عنهم، انظر تفصيله في كشف الخفاء 1099 وتخرّج الاحياء للعراقي والدرر المنتثرة 97 وحلية الاولياء 388/6 والمشكاة 52125 والاحاديث المشككة ص 121 واحاديث القصاص برقم 7 وضعيف الجامع الصغير وزيادته 2681.

#360

لي بالتجوال في الخارج دون اذن ورخصة، ثم سمح لي بأن أظل في ذلك الجامع بضمانه اهل حيّ التتار وكفالتهم، فكنت انام فيه وحيداً، وقد اقترب الربيع، وكانت الليالي طويلة جداً في تلك البقعة النائبة..
كان الارق يصيبني كثيراً في تلك الليالي الحالكة السواد، المتسرّبة باحزان الغربة القاتمة، حيث لا يُسمع الاّ الخرير الحزين لنهر "فولغا"، والاصوات الرقيقة لقطرات الامطار، ولوعة الفراق في صفير الرياح.. كل ذلك ايقظني - مؤقتاً - من نوم الغفلة العميق..

ورغم اني لم اكن اعدّ نفسي شيخاً بعد، ولكن من يرى الحرب شيخ، حيث ايامها يشيب من هولها الولدان، وكان سرّاً من اسرار الآية الكريمة (يَوْمًا يُجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) (المزمل: 17) قد سرى فيها. ومع اني كنت قريباً من الاربعين الاّ اني وجدت نفسي كأني في الثمانين من عمري..

في تلك الليالي المظلمة الطويلة الحزينة، وفي ذلك الجو الغامر بأسى الغربة، ومن واقعي المؤلم الاليم، جثم على صدري يأس ثقيل نحو حياتي وموطني، فكلما التفتُّ الى عجزتي وانفرادي انقطع رجائي واملي. ولكن جاءني المدد من القرآن الكريم..

فردد لساني: (حسبنا الله ونعم الوكيل) (آل عمران: 173)

وقال قلبي باكياً:

انا غريب.. انا وحيد.. انا ضعيف.. انا عاجز.. انشد الامان.. اطلب العفو.. اخطب العون.. في بابك يا الهي.

اما روحي التي تذكرت احبائي القدامى في بلدي، وتخيّلت موتي في هذه الغربة، فقد تمثلت بأبيات نيازي المصري، وهي التي تبحت عن صديق:

مررت بأحزان الدنيا، واطلقت جناحي

للحرمان

طائراً في شوق، صائحاً في كل لحظة:

صديق!.. صديق!..

#361

على اي حال.. فقد اصبح "عجزتي" و"ضعفي" في تلك الليالي المحزنة الطويلة والحالكة بالفرقة والرقعة والغربة وسيلتين للتقرب الى عتبة الرحمة الالهية، وشفيعين لدى الحضرة الالهية، حتى اني لا ازال مندهشاً كيف

استطعت الفرار بعد ايام قليلة. واقطع بصورة غير متوقعة مسافة لا يمكن قطعها مشياً على الاقدام الا في عام كامل، ولم اكن ملتماً باللغة الروسية. فلقد تخلصت من الاسر بصورة عجيبة محيرة، بفضل العناية الالهية التي ادركتني بناء على عجزني وضعفي، ووصلت استانبول ماراً بـ"وارشو" و"فيينا". وهكذا نجوت من ذلك الاسر بسهولة تدعو الى الدهشة، حيث اكلت سياحة الفرار الطويل بسهولة ويسر كبيرين، بحيث لم يكن لينجزها اشجع الاشخاص وأذكاهم وامكرهم وممن يلمون باللغة الروسية.

ولكن حالي في تلك الليلة التي قضيتها في الجامع على ضفاف "فولغا" قد ألهمني هذا القرار: "سأقضي بقية عمري في الكهوف والمغارات معتزلاً الناس.. كفاي تدخلاً في امورهم. ولما كانت نهاية المطاف دخول القبر منفرداً وحيداً، فعلي ان اختار الانفراد والعزلة من الآن، لأعوّد نفسي عليها!".

نعم، هكذا قررت.. ولكن - وبالأسف - فان احبائي الكثيرين المخلصين في استانبول، والحياة الاجتماعية البهجة البراقة فيها، ولاسيما ما لا طائل فيه من اقبال الناس والشهرة والصيت.. كل ذلك أنساني قراري ذلك لفترة قصيرة. فكان ليلة الغربة تلك هي السواد المنور البصير لعين حياتي، وكان النهار البهيج لحياة استانبول هي البياض غير البصير لعين حياتي. فلم تتمكن تلك العين من رؤية البعيد، بل غطت ثانية في نوم عميق، حتى فتحها الشيخ الكيلاني بكتابه "فتوح الغيب" بعد سنتين.

وهكذا ايها الشيوخ، ويا ايها العجائز!.. اعلمو ان ما في الشيخوخة من العجز والضعف ليس الا وسيلتين لدّر الرحمة الالهية وجلب العناية الربانية.. فانتى شاهد على هذه الحقيقة في كثير من حوادث حياتي، وان تجلي الرحمة على سطح الارض يظهرها كذلك بشكل واضح ابلج؛ لان اعجز الحيوانات واضعفاها هي صغارها، والحال ان ألطف حالات الرحمة وألذها واجملها تتجلى في تلك الصغار، فعجز

#362

الفرخ الساكن في عشه على شجرة باسقة، يستخدم والدته - بتجلي الرحمة - كأنها جنديّة تنتظر الاوامر. فتحوم حول الزروع الخضراء لتجلب الرزق الوفير لفرخها الصغير، ولكن ما ان ينسى الفرخ الصغير عجزه - بنمو جناحيه وتكامله - حتى تقول له والدته: عليك ان تبحث عن رزقك بنفسك. فلا تعود تستجيب لندائه بعد ذلك.

فكما يجري سرّ الرحمة هذا على هذه الصورة بحق الصغار، يجري كذلك من زاوية الضعف والعجز، بحق الشيوخ الذين اصبحوا في حكم الصغار.

ولقد اعطتني تجاربي الخاصة القناعة التامة ان رزق الصغار مثلما يأتي بناء على عجزهم، وترسله الرحمة الالهية لهم بشكل خارق، فتفجّر ينابيع الاثداء وتسيّلها لهم سيلاً، فان رزق الشيوخ المؤمنين الذين اكتسبوا العصمة يُرسل اليهم من قبل الرحمة على صورة بركة، وأن عمود البركة لأي بيت وسندها انما هو اولئك الشيوخ الذين يأهلونه، وان الذي يحفظ ذلك البيت من البلايا والمصائب انما هم اولئك الشيوخ الركع الذين يعمرونه. يثبت

هذه الحقيقة اثباتاً كاملاً جزء من حديث شريف: لولا الشيخ الرّكع لصبّ عليكم البلاء صبّاً¹. وهكذا فما دام الضعف والعجز اللذان في الشيخوخة يصبّحان محورين لجلب الرحمة الإلهية الواسعة، وان القرآن الكريم يدعو الاولاد الى الاحترام والرّافة بالوالدين في خمس مراتب، وبأسلوب غاية في الاعجاز، في قوله تعالى:

(إِنَّمَا يَلْعَنُ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهِمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَهَرَّهْمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) _ واخفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا) (الاسراء: 23 - 24).

وما دام الاسلام يأمر بتوقير الشيخ والرحمة بهم، والفترة الانسانية تقضي الاحترام والرحمة تجاه الشيخ.. فلا بد لنا - نحن الشيخوخة - ألا نستبدل شيخوختنا هذه بمائة عهد من عهود الصبا؛ ذلك لان لنا فيها اذواقاً معنوية دائمة جدية، بدلاً

¹ (لولا عباد الله ركع وصبية رضع وبهائم رقع لصبّ عليكم - وفي رواية العذاب - صبّاً) رواه الطيالسي والطبراني وابن منده وابن عدى وغيرهم عن ابي هريرة رفعه.... ورواه السيوطي في الجامع الصغير - الحديث نفسه - ثم رصّ رصاً. قال المناوي نقلاً عن الهيثمي: وهو ضعيف (باختصار عن كشف الخفاء 163/2). - المترجم.

#363

من الذوق المادي الناشئ من نزوة الشباب، حيث نأخذ اذواقاً روحية نابعة من الرحمة الصادرة من العناية الإلهية ومن الاحترام النابع من فطرة الانسانية.

نعم، انى أطمئنكم بأنه لو أعطيتُ عشر سنوات من عهد شباب "سعيد القديم" فلن استبدلها بسنة واحدة من شيب "سعيد الجديد". فانا راضٍ عن شيخوختي، فارضوا عنها اتم كذلك..

الرجاء العاشر

بعدما رجعت من الأسر، سيطرت الغفلة عليّ مرة اخرى طوال سنتين من حياتي في استانبول، حيث الأجواء السياسية وتياراتها صرفت نظري عن التأمل في نفسي، وحدثت تشتتاً في ذهني وفكري. فحينما كنت جالساً ذات يوم في مقبرة ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه وعلى مرتفع مطلق على وادٍ سحيق، مستغرقاً في تأمل الافاق المحيطة باستانبول، اذا بي أرى كأن دنياي الخاصة اوشكت على الوفاة، حتى شعرت - خيالاً - كأن الروح تنسل منها انسلالاً من بعض نواحي. فقلت: ثرى هل الكتابات الموجودة على شواهد هذه القبور هي التي دعنتني الى هذا الخيال؟

أشحت نظري عن الخارج وانعمت النظر في المقبرة دون الآفاق البعيدة فألقى في روعي:

"ان هذه المقبرة المحيطة بك تضم مائة استانبول! حيث ان استانبول قد أفرغت فيها مائة مرة، فلن تُستثنى انت وحدك من حكم الحاكم القدير الذي افرغ جميع اهالي استانبول هنا، فانت راحل مثلهم لا محالة..!"

غادرت المقبرة وانا احمل هذا الخيال المخيف، ودخلت الغرفة الصغيرة في محفل جامع ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه والتي كنت ادخلها مراراً في السابق فاستغرقت في التفكير في نفسي: إنما انا ضيف! وضيف من ثلاثة اوجه؛ اذ كما انني ضيف في هذه الغرفة الصغيرة، فانا ضيفٌ كذلك في استانبول، بل انا ضيف في الدنيا وراحل عنها كذلك، وعلى المسافر ان يفكر في سبيله ودربه.

#364

نعم، كما انني سوف اخرج من هذه الغرفة واغادرها، فسوف اترك استانبول ذات يوم واغادرها، وسوف اخرج من الدنيا كذلك.

وهكذا جثمت على قلبي وفكري وانا في هذه الحالة، حالة أليمة محزنة مكدرة. فلا غرو انني لا أترك احباً قليلاً وحدهم، بل سأفارق ايضاً آلاف الاحبة في استانبول، بل سأغادر استانبول الحبيبة نفسها وسأفترق عن مئات الآلاف من الاحبة كما افترق عن الدنيا الجميلة التي ابتلينا بها.

ذهبتُ الى المكان المرتفع نفسه في المقبرة مرة اخرى، فبدأ لي اهالي استانبول، جنائز يمشون قائمين مثلما يظهر الذين ماتوا شخوصاً متحركة في الافلام السينمائية، فقد كنت اتردد اليها احياناً للعبرة! فقال لي خيالي: ما دام قسم من الراقدين في هذه المقبرة يمكن ان يظهروا متحركين كالشخوص السينمائية، ففكر في هؤلاء الناس كذلك انهم سيدخلون هذه المقبرة حتماً، واعتبرهم داخلين فيها من الآن.

وبينما كنت انتقل في تلك الحالة المحزنة المؤلمة اذا بنور من القرآن الحكيم وبارشاد من الشيخ الكيلاني (قدس سرّه) يقلب تلك الحالة المحزنة ويجولها الى حالة مفرحة مبهجة، ذات نشوة ولذة، حيث ذكرني النور القادم من القرآن الكريم ونهني الى ما يأتي:

كان لك صديق أو صديقان من الضباط الاسرى عند اسرك في "قوصترما" في شمال شرقي روسيا، وكنت تعلم حتماً انهما سيرجعان الى استانبول. ولو خيّرك احدهما قائلاً: أتذهب الى استانبول أم تريد ان تبقى هنا؟. فلا جرم انك كنت تختار الذهاب الى استانبول لو كان لك مسكة من عقل، بفرح وسرور حيث ان تسعمائة وتسعة وتسعين من الف حبيب وحبيب لك هم الآن في استانبول، وليس لك هنا الا واحد او اثنان، وهم بدورهم سيرحلون الى هناك. فالذهاب الى استانبول بالنسبة لك اذن ليس بفراق حزين، ولا بافتراق أليم.. وها أنتذا قد أتيت اليها، ألم تصبح راضياً شاكراً؟ فلقد نجوت من بلد الاعداء، من لياليها الطوال السوداء، ومن شتائها القارس العاصف، وقدمت استانبول الزاهية الجميلة، كأنها جنة الدنيا!. وهكذا الامر حيث ان تسعاً وتسعين من مائة شخص ممن تحبهم منذ صغرك حتى الآن، قد ارتحلوا الى

#365

المقبرة. تلك التي تبدو لك موحشة مدهشة، ولم يظل منهم في هذه الدنيا الا واحد او اثنان، وهم في طريقهم

اليها كذلك. فوفاتك في الدنيا اذن ليست بفراق، ولا بافتراق، وانما هي وصال ولقاء مع اولئك الاحبة الاعزاء. نعم ان اولئك - اي الارواح الباقية - قد تركوا مأواهم وعشهم المدرس تحت الارض، فيسرح قسم منهم بين النجوم، وقسم آخر بين طبقات عالم البرزخ.

وهكذا ذكرني ذلك النور القرآني.. ولقد أثبت هذه الحقيقة اثباتاً قاطعاً كل من القرآن الكريم، والايمان، بحيث من لم يفقد قلبه وروحه، او لم تغرقه الضلالة لابد ان يصدق بها كأنه يراها؛ ذلك لأن الذي زين هذه الدنيا بأنواع ألطافه التي لاتحد وبأشكال آلائه التي لاتعد مُظهراً بها روبيته الكريمة الرؤوف، حفيظاً حتى على الاشياء الصغيرة الجزئية جداً - كالبذور مثلاً - ذلك الصانع الكريم الرحيم، لابد - بل بالبدهة - لا يُفني هذا الانسان الذي هو اكمل مخلوقاته واکرمها واجمعها واهمها واحبها اليه، ولا يمحوه بالفناء والاعدام النهائي، بلا رحمة وبلا عاقبة - كما يبدو ظاهراً - ولا يضيّعه ابدأ.. بل يضع الخالق الرحيم ذلك المخلوق المحبوب تحت التراب الذي هو باب الرحمة مؤقتاً، كي يعطي ثماره في حياة اخرى، كما يبذر الفلاح البذور على الارض.¹

وبعد ان تلقيت هذا التنبيه القرآني، باتت تلك المقبرة عندي مؤنسة أكثر من استانبول نفسها، واصبحت الحلوة والعزلة عندي أكثر لطافة من المعاشرة والمؤانسة، مما حدا بي ان اجد مكاناً للعزلة في "صاري ير" على البسفور. واصبح الشيخ الكيلاني رضي الله عنه استاذاً لي وطيباً ومرشداً بكتابه "فتوح الغيب"، وصار الامام الرباني رضي الله عنه كذلك بمثابة استاذ أنيس ورؤوف شفيق بكتابه "مكتوبات"

¹ (لقد اثبتت هذه الحقيقة بصورة قاطعة كقطعية (اثنين في اثنين يساوي اربعا) في سائر الرسائل ولاسيما الكلمة العاشرة والكلمة التاسعة والعشرون. - المؤلف.

² هو احمد بن عبد الاحد السرهندي (971 - 1034هـ) الملقب بحق مجدد الالف الثاني. برع في علوم عصره، وجمع معها تربية الروح وتهذيب النفس والاخلاص لله وحضور القلب. رفض المناصب التي عرضت عليه، قاوم فتنة "الملك اكبر" التي كادت ان تحقق الاسلام. وفقه المولى العزيز الى صرف الدولة المغولية القوية من الاحاد والبرهمية الى احتضان الاسلام بما بث من نظام البيعة والاخوة والارشاد بين الناس. طهر معين التصوف من الاكدار. تنامت دعوته في القارة الهندية حتى ظهر من ثمارها الملك الصالح "اورنك زيب" فانتصر الدين في زمانه، وعزّ المسلمون وهان الكفار. له مؤلفات عديدة اشهرها «مكتوبات» ترجمها الى اللغة العربية محمد مراد في مجلدين. - المترجم.

#366

فاصبحت راضياً كلياً وممتناً من دخولي المشيب، ومن عزوفي عن مظاهر الحضارة البراقة ومتعها الزائفة، ومن إنسلالي من الحياة الاجتماعية وانسحابي منها، فشكرت الله على ذلك كثيراً.

فيا من يدلف الى المشيب مثلي.. ويامن يتذكر الموت بنذير الشيب..! ان علينا ان نرضى بالشيخوخة وبالموت

وبالمرض، ونراها لطيفة بنور الايمان الذي أتى به القرآن الكريم، بل علينا ان نحبا - من جهة - فما دمنا نملك ايماناً وهو النعمة الكبرى، فالشيخوخة اذن طيبة والمرض طيب، والموت طيب ايضاً.. وليس هناك شئ قبيح محض في حقيقة الامر الا الاثم والسفه والبدع والضلالة.

الرجاء الحادى عشر

عندما رجعت من الاسر، كنت أسكن مع ابن اخي "عبد الرحمن" ¹ في قصر على قمة "جاملجة" في استانبول. ويمكن ان تعتبر هذه الحياة التي كنت احيها حياة مثالية من الناحية الدنيوية بالنسبة لأمثالنا؛ ذلك لانني قد نجوت من الاسر، وكانت وسائل النشر مفتوحة امامي في "دار الحكمة الاسلامية" ² وبما يناسب مهنتي العلمية، وان الشهرة والصيت والاقبال عليّ تحفّ بي بدرجة لا استحقها، وانا ساكن في اجمل بقعة من استانبول "جاملجة"، وكل شئ بالنسبة لي على ما يرام، حيث أن ابن اخي "عبد الرحمن - رحمه الله - معي، وهو في منتهى الذكاء والفطنة، فهو تلميذ ومضخّ وخادم وكاتب معاً، حتى كنت أعدّه ابناً معنوياً لي. وبينما كنت احس بأني اسعد انسان في العالم، نظرت الى المرأة، ورأيت شعيرات بيضاء في رأسي وفي لحيتي، واذا بتلك الصحوة الروحية التي احسست بها في الاسر في جامع "قوصترما" تبدأ بالظهور. فأخذتُ أنعم النظر وافكر مدققاً في تلك

¹ هو عبد الرحمن بن عبدالله، ابن شقيق الاستاذ النورسي ولد سنة 1903 في نورس وتوفي سنة 1928 ودفن في قرية (ذو الفضل) في افقرة. كتب تاريخ حياة الاستاذ حتى عام 1918 ونشره بكتاب طبع في استانبول. - المترجم.
² هي اعلى مؤسسة علمية تابعة للمشيخة الاسلامية في الدولة العثمانية. - المترجم.

#367

الحالات التي كنت ارتبط بها قلبياً، وكنت اظنها انها هي مدار السعادة الدنيوية. فما من حالة او سبب دقت النظر فيه، الا رأيت أنه سبب تافه وخادع، لا يستحق التعلق به، ولا الارتباط معه. فضلاً عن ذلك وجدت في تلك الاثناء عدم الوفاء وفقدان الصداقة من صديق حميم، يُعدّ من أوفى الاصدقاء لي، وبشكل غير متوقع وبصورة لا تخطر على بال.. كل ذلك أدى الى النفرة والامتعاض من الحياة الدنيا، فقلت لقلبي:

- ياثرى هل انا منخدع كلياً؛ فأرى الكثيرين ينظرون الى حياتنا التي يرثي لها من زاوية الحقيقة نظر الغبطة؟ فهل جنّ جنون جميع هؤلاء الناس؟ أم انا في طريقي الى الجنون، لرؤيتي هؤلاء المفتونين بالدنيا مجانين بلهاء؟! وعلى كل حال.. فالصحوة الشديدة التي صحوتها برؤية الشيب جعلتني ارى اولاً: فناء ما ارتبط به من الاشياء المعرّضة للفناء والزوال!!

ثم التفت الى نفسي، فوجدتها في منتهى العجز!.. عندها صرختُ روحي وهي التي تنشد البقاء دون الفناء

وتشبثت بالاشياء الفانية متوهمة فيها البقاء، صرخت من اعماقها: "مادمث فانية جسماً فأني فائدة ارجوها من هذه الفانيات؟ وما دمث عاجزة فماذا انتظر من العاجزين؟.. فليس لداي دواء الا عند الباقي السرمدي، عند القدير الازلي" فبدأت أبحث وأستقصي.. راجعت اول ما راجعت، تلك العلوم التي اكتسبتها سابقاً، أبحث فيها السلوة والرجاء. ولكن كنت - ويا للأسف - الى ذلك الوقت مغترفاً من العلوم الاسلامية مع العلوم الفلسفية ظناً مني - ظناً خطأ جداً - أن تلك العلوم الفلسفية هي مصدر الرقي والتكامل ومحور الثقافة وتنور الفكر، بينما تلك المسائل الفلسفية هي التي لوثت روحي كثيراً، بل اصبحت عائقة امام سموي المعنوي. نعم، بينما كنت في هذه الحالة، اذا بحكمة القرآن المقدسة تسعفني، رحمة من العلي القدير، وفضلاً وكرماً من عنده سبحانه. فغسلت أدران تلك المسائل الفلسفية، وطهرت روحي منها - كما هو مبين في كثير من الرسائل - اذ كان الظلام الروحي المنبثق من العلوم الفلسفية، يغرق روحي ويطمسها في الكائنات، فايما كنت اتوجه بنظري في تلك المسائل فلا أرى نوراً ولا اجد قبساً، ولم أتمكن من التنفس

#368

والانشراح، حتى جاء نور التوحيد الساطع النابع من القرآن الكريم الذي يلقي "لا اله الا هو" فمزق ذلك الظلام وبدده. فانشرح صدري وتنفس بكل راحة واطمئنان.. ولكن النفس والشيطان، شتاً هجوماً عنيفاً على العقل والقلب وذلك بما أخذه من تعليمات وتلقياه من دروس من اهل الضلالة والفلسفة. فبدأت المناظرة النفسية في هذا الهجوم حتى اختتمت - والله الحمد والمثمة - بانتصار القلب وفوزه.

ولما كان قسم من تلك المناظرات قد ورد في اغلب الرسائل، فحن نكتفي به، الا أننا نبين هنا برهاناً واحداً فقط من بين آلاف البراهين، لنبين انتصار القلب وفوزه على النفس والشيطان، وليقوم ذلك البرهان بتطهير ارواح اولئك الشيوخ الذين لوثوا ارواحهم، واسقموا قلوبهم، واطغوا انفسهم، حتى تجاوزت حدودها، تارة بالضلالة، وتارة بما لايعنيهم من أمور تتستر تحت ستار العلوم الاجنبية والفنون الحضارية ولينجوا - باذن الله - في حق التوحيد، من شرور النفس والشيطان. والمناظرة هي كالاتي:

قالت نفسي مستفسرة باسم العلوم الفلسفية المادية: ان الاشياء الموجودة في الكون، بطبيعتها تتدخل في الموجودات، فكل شئ متوجه الى سبب وصادر منه، فالثمرة تؤخذ من الشجرة، والحبوب تطلب من التراب، فماذا يعني التضرع الى الله وطلب اصغر شئ واكثره جزئية منه سبحانه؟!

انكشف حالا سر التوحيد بنور القرآن الكريم بالصورة الآتية:

أجاب قلبي لنفسي المتفلسفة: ان اصغر شئ واكثره جزئية انما هو كأكبر شئ واعظمه، فهو يصدر من قدرة خالق الكائنات مباشرة، ويأتي من خزينته سبحانه.. فليس هناك صورة اخرى قط، وما الاسباب الا ستائر؛ ذلك لان اصغر المخلوقات وأنفها - حسب ظننا - قد يكون أعظم من أكبر المخلوقات واخصمها، من حيث

الخلقة والصنعة والاتقان. فالذباب مثلاً، ان لم يكن ادق وارقى من حيث الصنعة من الدجاج فليس هو بقاصر عنها، لهذا لا يمكن التمييز بين الصغير والكبير من حيث الخلقة والصنعة فإما أن يُنسب خلق الجميع - صغيره وكبيره - الى الاسباب المادية، وإما أن يُسند الخلق جميعاً الى الواحد الاحد. ومثلما أن الشق الاول محال في محال، فان الشق الثاني واجب الاعتقاد به وضروري. لانه:

#369

ما دام علم الله سبحانه وتعالى يحيط بكل شئ، والذي هو ثابت وجوده بشكل قاطع بانتظام جميع الموجودات والحكم التي فيها.. وما دام كل شئ يتعين مقداره في علمه سبحانه.. وما دامت المصنوعات والمخلوقات وهي في منتهى الروعة والاتقان تأتي بمنتهى السهولة الى الوجود من العدم كل حين كما هو مشاهد.. ومادام ذلك التقدير العليم يملك قدرة مطلقة يمكنه أن يوجد كل شئ بامر "كن فيكون" وفي لمح البصر.. كما بينا ذلك في كثير من الرسائل بدلائل قاطعة ولا سيما في المكتوب العشرين وختام اللمعة الثالثة والعشرين. فلا بد أن السهولة المطلقة المشاهدة، والخارقة للعادة، ماهي الا من تلك الاحاطة العلمية ومن عظمة تلك القدرة المطلقة.

مثلاً: كما انه اذا امرت مادة كيميائية معينة على كتاب كتب بجر كيميائي لا يرى، فان ذلك الكتاب الضخم يظهر عياناً حتى يستقرئ كل ناظر اليه، كذلك يتعين مقدار كل شئ وصورته الخاصة به في العلم المحيط للتقدير الازلي، فيمرر التقدير المطلق قوته - التي هي تجل من قدرته - بكل سهولة ويسر، كإمرار تلك المادة في المثال، على تلك الماهية العلمية، يمرره بأمر "كن فيكون"، وبقدرته المطلقة تلك، وبارادته النافذة.. فيعطي سبحانه ذلك الشئ وجوداً خارجياً، مُظهراً اياه امام الاشهاد، مما يجعلهم يقرأون ما فيه من نقوش حكمته..

ولكن ان لم يُسند خلق جميع الاشياء دفعة واحدة الى العليم المطلق والى التقدير الازلي، فان خلق اصغر شئ عندئذ - كالذباب مثلاً - يستلزم جمع جميع ما له علاقة بالذباب من أكثر انواع العالم، جمعه بميزان خاص ودقيق جداً، اي جمع كل ذلك في جسم الذباب، بل ينبغي ان تكون كل ذرة عاملة في جسم الذباب عالمة تمام العلم بسر خلق الذباب وحكمة وجوده، بل ينبغي أن تكون متقنة لروعة الصنعة التي فيها بدقائقها وتفصيلها كافة. ولما كانت الاسباب المادية او الطبيعية لا يمكنها ان تخلق شيئاً من العدم مطلقاً كما هو بديهي ومتفق عليه عند ارباب العقول؛ لذا فان تلك الاسباب حتى لو تمكنت من الابدان فانها لا تتمكن ذلك الا بالجمع، فما دامت ستقوم بالجمع، وأن الكائن الحي

#370

- اياً كان - ينطوي على اغلب نماذج ما في العالم من عناصر وانواع، وكأنه خلاصة الكائنات او بذرتها، فلا بد اذن من جمع ذرات البذرة من شجرة كاملة، وجمع عناصر الكائن الحي وذراته من ارجاء العالم اجمع، وذلك بعد تصنيفها وتنظيمها وتقديرها بدقة واتقان حسب موازين خاصة ووفق مصاف حساسة ودقيقة جداً.. ولكون الاسباب المادية الطبيعية جاهلة وجامدة، فلا علم لها مطلقاً كي تقدر خطة، وتنظم منهاجاً، وتنسق فهرساً،

وكي تتعامل مع الذرات وفق قوالب معنوية، مصهرة اياها في تلك القوالب لتمنعها من التفرق والتشتت واختلال النظام. بينما يمكن أن يكون شكل كل شئ وهيئته ضمن أنماط لا تحد.. لذا فان اعطاء شكل معين واحد من بين تلك الاشكال غير المحدودة، وتنظيم ذلك الشئ بمقدار معين ضمن تلك المقادير غير المحدودة، دون أن تتبعثر ذرات العناصر الجارية كالسيل وبانتظام كامل. ثم بناؤها وعمارها بعضها فوق بعض بلا قوالب خاصة وبلا تعيين المقادير، ثم اعطاء الكائن الحي وجوداً منتظماً منسقاً.. كل هذا امر واضح أنه خارج عن حدود الامكان، بل خارج عن حدود العقل والاحتمال! فالذي لم يفقد بصيرته يرى ذلك بجلاء! نعم، وتوضيحاً لهذه الحقيقة فقد جاء في القرآن الكريم (انّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له..) (الحج: 73). اي اذا اجتمعت الاسباب المادية كافة لايمكنها أن تجمع وتنسق جسم ذبابة واحدة وأجهزتها وفق موازين دقيقة خاصة حتى لو أوتيت تلك الاسباب ارادةً واختياراً، بل حتى لو تمكنت من تكوين جسم ذباب وجمعه فانها لاتستطيع ابقاءه وادامته على مقداره المعين له، بل حتى لو تمكنت من ابقائه بالمقدار المعين فلن تستطيع ان تحرك بانتظام تلك الذرات التي تتجدد دوماً وترد الى ذلك الوجود لتسعى فيه؛ لذا فمن البدهة أن الاسباب لن تكون مالكة لهذه الاشياء ولن تكون صاحبها مطلقاً. انما صاحبها الحقيقي هو غير الاسباب.. نعم، ان لها مالكاً وصاحباً حقيقياً بحيث أن احياء ما على الارض من كائنات سهل عليه ويسير، كاحياء ذبابة واحدة. وايجاد الربيع عنده سهل وهين كسهولة

#371

ايجاد زهرة واحدة.. كما تبينه الآية الكريمة: (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفيس واحدة) (لقمان: 28) ذلك لأنه غير محتاج الى الجمع، حيث أنه مالك لأمر "كن فيكون" .. ولانه يخلق من العدم في كل ربيع أحوال موجودات الربيع وصفاتها واشكالها، مما سوى عناصرها.. ولان خطة كل شئ ونموذجه وفهرسه ومخططه متعين في علمه سبحانه.. ولان جميع الذرات لاتتحرك الا ضمن دائرة علمه وقدرته؛ لذا فانه يخلق كل شئ ويوجده ايجاداً بلمح البصر وفي منتهى اليسر، ولن يجيد شئ عمّا أنيط به في حركته ولو بمقدار ذرة. فتغدو الكواكب السيارة جيشاً منتظماً طائعاً له، وتصبح الذرات جنوداً مطيعين لأمره، وحيث ان الجميع يسيرون على وفق تلك القدرة الازلية ويتحركون وفق دساتير ذلك العلم الازلي؛ لذا فان هذه الآثار تأتي الى الوجود حسب تلك القدرة، فلا تصغر تلك الآثار بنظر الاستصغار، ولا تكون مهيئة بعدم الاهتمام بها؛ اذ الذبابة المنتسبة الى تلك القدرة تهلك نموداً، والنملة تدمر قصر فرعون، وبذرة الصنوبر المتناهية في الصغر تحمل على اكتافها ثقل شجرة الصنوبر الضخمة كالجبل. فكما اننا اثبتنا هذه الحقيقة في رسائل كثيرة فاننا نقول هنا كذلك: ان الجندي المنتسب الى السلطان بالجندي يمكنه أن يقوم بأعمال تفوق طاقته ألف مرة، كأن يأسر مثلاً قائداً عظيماً للعدو بانتسابه، كذلك فان كل شئ بانتسابه الى تلك القدرة الازلية يكون مصدراً لمعجزات الصنعة والاتقان بما تفوق تلك الاسباب الطبيعية بمائة ألف مرة.

الخلاصة:

ان الصنعة المتقنة البديعة لكل شئ، والسهولة المطلقة في ايجاده، تظهران معاً أن ذلك الشئ من آثار القدير الازلي ذي العلم المحيط، وإلا فهو محال في مائة محال ورود ذلم الشئ الى الوجود، بل يكون - عندئذٍ - خارجاً عن دائرة الامكان وداخلاً في دائرة الامتناع، بل خارجاً من صورة الممكن الى صورة الممتنع وماهية الممتنع، بل لا يمكن ان يرد - عندئذٍ - شئ مهما كان الى الوجود مطلقاً.

وهكذا فان هذا البرهان وهو في منتهى القوة والدقة، ومنتهى العمق والوضوح قد أسكت نفسي التي اصبحت تلميذة مؤقتة للشيطان، ووكيلة لاهل الضلالة والفلسفة، حتى آمنت - والله الحمد - ايماناً راسخاً، وقالت:

#372

نعم انه ينبغي أن يكون لي ربٌ خالق يعلم ويسمع أدق خواطر قلبي وأخفى رجائي ودعائي. ويكون ذا قدرة مطلقة فيسعف أخفى حاجات روجي ويستبدل كذلك بهذه الدنيا الضخمة دنيا اخرى غيرها ليسعدني سعادة ابدية فيقيم الآخرة بعدما يرفع هذه الدنيا، وكما أنه يخلق الذباب فانه يوجد السموات ايجاداً ايضاً. وكما أنه رصع وجه السماء بعين الشمس جعل من الذرة ترصيعاً في بؤبؤ عيني. والأ فان الذي لا يستطيع أن يخلق ذباباً لا يمكنه أن يتدخل في خواطر قلبي، ولن يسمع تضرع روجي. وان الذي لا يستطيع أن يخلق السموات لا يمكنه ان يهني السعادة الابدية؛ لذا فان ربي انما هو الذي يسمع - بل يصلح - خواطر قلبي، فمثلاً أنه يملأ جو السماء بالغيوم ويفرغها منه خلال ساعة فانه سيدبل الآخرة بهذه الدنيا ويعمر الجنة ويفتح أبوابها لي قائلاً: هيا أدخل!! فيا اخوتي الشيوخ، ويا من صرفتم جزءاً من عمركم بسوء حظ النفس وشقاءها - مثل نفسي - في مغالطات العلوم الاجنبية والفلسفة المظلمة.. اعلموا أن الذي يردده القرآن دوماً من "لا اله الا هو" ذلك الامر القدسي، ركن ايماني لا يتزلزل ولا يتصدع ولا يتغير أبداً!! فما اقواه وما اصوبه! حيث بيدد جميع الظلمات ويضمم الجراحات المعنوية.

هذا وان درج هذه الحادثة المطولة ضمن ابواب الرجاء والامل لشيخوختي، لم يكن باختياري، بل لم أكن أرغب درجها هنا، تحاشياً من الملل، الا اني استطيع ان اقول قد كتبتها وأمليت على.. وعلى كل.. لنرجع الى الموضوع الذي نحن بصدده:

نعم، هكذا جاءني النفور من تلك الحياة الدنيوية البهيجة في استانبول التي ظاهرها اللذة، من ذلك التأمل والنظر في شعيرات بيضاء لرأسي ولحيتي، ومن عدم الوفاء الذي بدر من الصديق الوفي المخلص.. حتى بدأت النفس بالبحث والتحري عن اذواق معنوية بدلا عما افتنتت به من اذواق، فطلبت نوراً وسلواناً في هذه الشيخوخة التي تبدو ثقيلة ومزعجة ومقيتة في نظر الغافلين. فله الحمد والمئة وألف شكر وشكر له سبحانه أن وفقني لوجدان تلك الاذواق الايمانية الحقيقية الدائمة في "لا اله الا هو" وفي نور التوحيد بدلا من تلك الاذواق

الدينوية التي لاحقيقة لها ولاذة فيها، بل لا خير في عقباها. وله الحمد أن وفقني كذلك لأجد الشيخوخة خفيفة الظل أتعم بدفئها ونورها بخلاف ما يراه أهل الغفلة من ثقل وبرودة.

#373

نعم يا اخوتي! فما دمتم تملكون الايمان، وما دامت لديكم الصلوات والدعاء اللذان ينوران الايمان، بل بنميانه ويصقلانه.. فانكم تستطيعون اذن أن تنظروا الى شيخوختكم من أنها شباب دائم، بما تكسبكم إياه من شباب خالد في دار الخلود، حيث ان الشيخوخة الباردة حقاً، والثقيلة جداً، والقبيحة، بل المظلمة والمؤلمة تماماً ليس الأ شيخوخة اهل الضلالة، بل ربما عهد شبابهم كذلك.. فليبكوا.. ولينتحبوا.. وليقولوا: وا أسفاه.. واحسرتاه!! أما اتم ايها الشيوخ المؤمنون الموقرون فعليكم أن تشكروا ربكم بكل فرح وسرور قائلين: "الحمد لله على كل حال!".

الرجاء الثاني عشر

بينما كنت وحيداً بلا معين في "بارلا" تلك الناحية التابعة لمحافظة "اسبارطة" أعاني الأسر المعبذب المسمى بالنفي، ممنوعاً من الاختلاط بالناس، بل حتى من المراسلة مع أيّ كان، فوق ما كنت فيه من المرض والشيخوخة والغربة.. فبينما كنت اضرب من هذه الحالة واقاسي الحزن المرير اذا بنور مسلّ يشعّ من الاسرار اللطيفة للقرآن الكريم ومن نكاته الدقيقة، يتفضل الحق سبحانه به عليّ برحمته الكاملة الواسعة، فكنت اعمل جاهداً بذلك النور لتناسي ما انا فيه من الحالة المؤلمة المحزنة، حتى استطعت نسيان بلدي واحبتي واقاربي.. ولكن - يا حسرتاه - لم اتمكن من نسيان واحد منهم أبداً وهو ابن اخي، بل ابني المعنوي، وتلميذي المخلص وصديقي الشجاع "عبد الرحمن" تغمده الله برحمته الذي فارقتي قبل حوالي سبع سنوات، ولا اعلم حاله كي أراسله واتحدث معه ونشارك في الآلام، ولاهو يعلم مكاني كي يسعى لخدمتي وتسليتي، نعم لقد كنت في أمس الحاجة - ولاسيما في الشيخوخة هذه - الى من هو مثل "عبد الرحمن".. ذلك الفدائي الصادق.. وذات يوم وفجأة سلمني أحدهم رسالة، ما إن فتحتها حتى تبين لي انها رسالة تظهر شخصية "عبد الرحمن" تماماً وقد أدرج قسم من تلك الرسالة ضمن فقرات المکتوب السابع والعشرين بما يظهر ثلاث كرامات واضحة.

#374

لقد ابكتني تلك الرسالة كثيراً ولا تزال تبكينني، حيث يبين فيها "عبد الرحمن" بكل صدق وجد انه قد عزف عزوفاً تاماً عن الاذواق الدينوية وعن لذائذها، وان اقصى ما يتمناه هو الوصول الى ليقوم برعايتي في شيخوختي هذه مثلما كنت ارعاه في صغره، وان يساعدني بقلمه السيال في وظيفتي ومهمتي الحقيقية في الدنيا، وهي نشر اسرار القرآن الكريم، حتى انه كان يقول في رسالته: إبعث الى ما يقرب من ثلاثين رسالة كي اكتب وأستكتب من كل منها ثلاثين نسخة.

لقد شدتني هذه الرسالة الى الدنيا بأمل قوي شديد، فقلت في نفسي: ها قد وجدت تلميذي المخلص الشجاع، ذا الذكاء الخارق، وذا الوفاء الخالص، والارتباط الوثيق الذي يفوق وفاء الابن الحقيقي وارتباطه بوالده. فسوف يقوم - باذن الله - برعايتي وخدمتي، بل حتى اني بهذا الامل نسيت ما كنت فيه من الاسر المؤلم ومن عدم وجود معين لي، بل نسيت حتى الغربة والشيخوخة! بايمان وكأن عبدالرحمن قد كتب تلك الرسالة في منتهى القوة وفي غاية اللمعان وهو ينتظر أجله، اذ استطاع ان يحصل على نسخة مطبوعة من الكلمة العاشرة التي كنت قد طبعتها وهي تبحث عن الايمان بالآخرة. فكانت تلك الرسالة بلسماً شافياً له حيث ضممت جميع جراحاته المعنوية التي عاناها عبر سبع سنوات خلت.

وبعد مضي حوالي شهرين وانا اعيش في ذلك الامل لنعيش معاً حياة دنيوية سعيدة.. اذا بي أفاجأ بنياً وفاته، فيا اسفاه.. وياحسرتاه.. لقد هزّني هذا الخبر هزاً عنيفاً، حتى انني لا ازال تحت تأثيره منذ خمس سنوات، واورثني حزناً شديداً وألماً عميقاً للفراق المؤلم يفوق ما كنت اعانيه من ألم الاسر المعبّد وألم الانفراد والغربة الموحشة وألم الشيخوخة والمرض.

كنت اقول: ان نصف دنياي الخاصة قد إنهدت بوفاة أُمِّي، بيد اني رأيت ان النصف الاخر قد توفي ايضاً بوفاة عبد الرحمن، فلم تبق لي اذن علاقة مع الدنيا.. نعم لو كان عبدالرحمن يظل معي في الدنيا لاصبح محوراً تدور حوله وظيفتي الاخرية في الدنيا ولغدا خير خلف لي، ولحلّ مكاني من بعدي، ولكن صديقاً وفاقاً

#375

بل مدار سلوان لي وأنس، ولبات اذكي تلميذ لرسائل النور، والامين المخلص المحافظ عليها.. فضياع مثل هذا الضياع - باعتبار الانسانية - لهو ضياع محرق مؤلم لأمثالي. ورغم اني كنت ابذل الوسع لأتصبر وأتحمل ما كنت اعانيه من الآلام الا أنه كانت هناك عاصفة قوية جداً تعصف باقطار روحي، فلولا ذلك السلوان النابع من نور القرآن الكريم يفيض علىّ احياناً لما كان لمثلي ان يتحمل ويثبت.

كنت اذهب واسرح في وديان "بارلا" واجول في جبالها وحيداً منفرداً واجلس في اماكن خالية منعزلة، حاملاً تلك الهموم والآلام المحزنة، فكانت تمر من امامي لوحات الحياة السعيدة ومناظرها اللطيفة التي كنت قد قضيتها مع طلاي - امثال عبد الرحمن - كالفلم السينمائي. فكلما مرّت تلك اللوحات امام خيالي، سلبت من شدة مقاومتي وقتاً في عضدي، سرعة التأثير النابعة من الشيخوخة والغربة.

ولكن على حين غرة انكشف سرّ الآية الكريمة (كلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لهُ الْحُكْمُ واليه تُرْجَعُونَ) (القصص:88). انكشافاً بيّناً بحيث جعلني أردّد: يا باقي انت الباقي، يا باقي انت الباقي.. وبه اخذت السلوان الحقيقي.

اجل!. رأيت نفسي بسرّ هذه الآية الكريمة، وعبر تلك الوديان الخالية، ومع تلك الحالة المؤلمة، رأيتها على رأس ثلاث جنائز كبرى كما أشرت اليها في رسالة "مرقاة السنّة":

الاولى: رأيت نفسي كشاهد قبر يضم خمساً وخمسين سعيداً ماتوا ودفنوا في حياتي، وضمن عمري الذي يناهز الخامسة والخمسين سنة.

الثانية: رأيت نفسي كالكائن الحي الصغير جداً - كالنملة - يدب على وجه هذا العصر الذي هو بمثابة شاهد قبر للجنائز العظمى لمن هم بنو جنسي ونوعي، والذين دفنوا في قبر الماضي منذ زمن آدم عليه السلام. اما الثالثة: فقد تجسّمت امام خيالي - بسرّ هذه الآية الكريمة - موت هذه الدنيا الضخمة، مثلما تموت دنيا سيارة من على وجه الدنيا كل سنة كما يموت الانسان..

#376

وهكذا فقد أغاثني المعنى الاشاري للآية الكريمة (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (التوبة:129) وأمدني بنور لا يخبو، فبدد ما كنت اعانيه من الحزن النابع من وفاة "عبد الرحمن" واهباً لي التسري والتسلي الحقيقي.

نعم لقد علمتني هذه الآية الكريمة أنه مادام الله سبحانه وتعالى موجوداً فهو البديل عن كل شيء، وما دام باقياً فهو كافٍ عبده، حيث أن تجلياً واحداً من تجليات عنايته سبحانه يعدل العالم كله، وان تجلياً من تجليات نوره العميم يمنح تلك الجنائز الثلاث حياة معنوية أيما حياة، بحيث تظهر انها ليست جنائز، بل ممن أنهموا محامهم ووظائفهم على هذه الارض فارتحلوا الى عالم آخر.

ولما كنا قد اوضحنا هذا السرّ والحكمة في "اللمعة الثالثة" أراني هنا في غير حاجة الى مزيدٍ من التوضيح، الا أنتي اقول:

ان الذي نجّاني من تلك الحالة المحزنة المؤلمة، تكراري لـ "يا باقي انت الباقي.. يا باقي انت الباقي" مرتين والذي هو معنى الآنة الكريمة (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) وتوضيح ذلك:

انتي عندما قلت: "يا باقي انت الباقي" للمرة الاولى، بدأ التداوي والضاد بما يشبه العمليات الجراحية على تلك الجروح المعنوية غير المحدودة الناشئة من زوال الدنيا وزوال مَنْ فيها من الاحبة - من أمثال عبدالرحمن - والمتولدة من انقراط عقد الروابط التي ارتبط بها معهم.

اما في المرة الثانية فقد اصبحت جملة "يا باقي انت الباقي" مرهماً لجميع تلك الجروح المعنوية، بلسماً شافياً لها، وذلك بالتأمل في المعنى الآتي:

ليرحل مَنْ يرحل يا إلهي فانت الباقي وانت الكافي، وما دمت باقياً فَتَجَلِّ من تجليات رحمتك كافٍ لكل شيء يزول، وما دمت موجوداً فكل شيء اذاً موجود لمن يدرك معنى انتسابه اليك بالايان بوجودك ويتحرك على وفق ذلك الانتساب بسر الاسلام، فليس الفناء والزوال ولا الموت والعدم الا ستائر للتجديد، والا وسيلة

#377

للتجول في منازل مختلفة والسير فيها.. فانقلبت بهذا التفكير تلك الحالة الروحية المحرقة الحزينة، وتلك الحالة المظلمة المرعبة الى حالة مسرّة بهيجة ولذيذة، والى حالة منورة محبوبة مؤنسة. فاصبح لساني وقلبي بل كل ذرّة من ذرات جسمي، يردد بلسان الحال قائلاً: الحمد لله.

ولقد تجلّى جزء من ألف جزء من ذلك التجلّى للرحمة بهذه الصورة:

عندما رجعت من موطن حزني.. من تلك الوديان، الى "بارالا" حاملاً معي تلك الاحزان، رأيت شاباً يدعى "مصطفى" قوله أونلى " قد أتاني مستفسراً عن بعض ما يشغله من مسائل الفقه والوضوء والصلاة.. فرغم اني لم اكن استقبل الضيوف في تلك الفترة الا أن روحي كأنها قد قرأت ما في روح ذلك الشاب من الاخلاص، وكأنها شعرت - بحس قبل الوقوع - ما سوف يؤديه هذا الشاب من خدمات لرسائل النور في المستقبل،¹ لذا لم أردّه وقبلته ضيفاً² ثم تبين لي أن الله سبحانه وتعالى قد عوضني بهذا الشاب عن "عبدالرحمن" الذي هو خير خلف لي وفيه بمهمة الوارث الحقيقي في خدمة رسالة النور. وبعث سبحانه وتعالى الي

¹ وهكذا فان الاخ الصغير لهذا الشاب "مصطفى" يدعى "علي الصغير" قد أثبت انه «عبدالرحمن» حقاً، بكتابته أكثر من سبعمائة نسخة من رسائل النور بقلمه الطاهر بل قد ربي " عديداً من عباد الرحمن. - المؤلف.

² نعم فقد اظهر هذا الشاب أنه ليس اهلاً للقبول فحسب، بل هو اهل للاستقبال كذلك. - المؤلف.*

* هذه حادثة ارويا تصديقاً لحكم استاذي من ان مصطفى، وهو اول تلميذ لرسائل النور اهل للاستقبال: كان الاستاذ يرغب في التجول في اليوم السابق ليوم عرفة، فأرسلني لأن أهىء له الفرس، قلت: لا تنزل يا استاذي لغلق الباب فانا سأقله وسأخرج من الباب الخلفي، قال لي: بل اخرج من الباب.. فنزل واغلق الباب بالمزلاج من ورائي، وصعد الى غرفته يضطجع... وبعد ذلك قدم «مصطفى اونلى» بصحبة الحاج عثمان. وكان الاستاذ لا يقبل يوماً أحداً عنده بله ان يقبل في تلك الفترة شخصين معاً! فلا محالة أنه يردهما.. ولكن مصطفى هذا - المذكور في هذا البحث - ما أن أتى الى باب الاستاذ مع الحاج عثمان حتى كأن الباب قد رحّب به بلسان الحال قائلاً: ان استاذي لن يستقبلك، ولكني سأفتح لك فانفتح له الباب المغلق. «نعم ان ما قاله الاستاذ حق حول مصطفى من أنه يستحق الاستقبال والقبول، مثلما أظهر المستقبل ذلك بوضوح فأن باب بيته قد شهد على ذلك ايضاً.. خسرو.

"نعم ان ما كتبه "خسرو" صدق، فأنا اصدقه. فباب البيت الذي اسكنه قد قبل مصطفى واستقبله بدلاً عني". سعيد النورسي

#378

"مصطفى" وكأنه يقول: أخذت منك عبداً للرحمن واحداً وسأعوضك عنه بثلاثين "عبدالرحمن" كهذا الشاب "مصطفى" ممن يسعون في تلك الوظيفة الدينية، وسيكونون لك طلاباً اوفياء، وابناء اخ كرماء، واولاداً معنويين، واخوة طيبين، واصدقاء فدائيين مضيئين..

نعم.. والله الحمد فقد وهبني الباري عز وجل ثلاثين عبداً للرحمن، وعندها خاطبت قلبي: مادمت يا قلبي الباكي المكلوم قد رأيت هذا النموذج وهذا المثال وضمت به أهم جرح من تلك الجروح المعنوية، فعليك ان تسكن وتطمئن بأن الله سبحانه سيضمد الجروح الباقية التي تنقلك وتتألم منها..

فيا أيها الاخوة الشيوخ ويا أيتها الاخوات العجائز.. ويا من فقدتم مثلي أحب ولده اليه زمن الشيخوخة او فارقه احد اقاربه.. ويا من يثقل كاهله وطأة الشيخوخة ويحمل معها على رأسه الهموم الثقيلة الناشئة من الفراق! لقد علمتم وضعي وعرفتم حالي فانه رغم شدته باضعاف ما عندكم من اوضاع وحالات، إلا أن هذه الآية الكريمة قد ضمدهت واسعفته فشفتة باذن الله، فلا شك من أن صيدلية القرآن المقدسة زاخرة بعلاج كل مرض من امراضكم ودواء كل سقم من اسقامكم. فاذا استطعتم مراجعتها بالايان، وقمتم بالتداوي والعلاج بالعبادة، فلا بُدَّ أن تخف وطأة ما تحملون على كاهلكم من أثقال الشيخوخة وما يثقل رؤوسكم من هموم.

هذا وان سبب كتابة هذا البحث كتابة مطوّلة هو رجاء الاكثار من طلب الدعاء للمرحوم "عبدالرحمن". فلا تملّوا ولا تسأموا من طوله. وان قصدي من اظهار جرحي المخيف بهذه الصورة المفجعة المؤلمة، فتتألمون أكثر وتحزنون حتى أنه قد يؤدي الى زيادة الآمكم واحزانكم فتنفرون منه، ليس إلا لبيان ما في البلسم القرآني المقدس من شفاء خارق ومن نور باهر ساطع.

الرجاء الثالث عشر¹

سأبحث في هذا الرجاء عن لوحة مهمة من لوحات وقائع حياتي، فالرجاء ألا تسأموا وتضجروا من طولها.

¹ ان حادثة المدرسة التي يذكرها الرجاء الثالث عشر قد حدثت قبل ثلاث عشر سنة... انه توافق لطيف!! - المؤلف.

#379

بعدما نجوت من أسر الروس في الحرب العالمية الاولى، لبثت في استانبول لخدمة الدين في "دار الحكمة الاسلامية" حوالي ثلاث سنوات. ولكن بارشاد القرآن الكريم وبهمة الشيخ الكيلاني، وبانتباهي بالشيخوخة، تولد عندي سأم وملل من الحياة الحضارية في استانبول، وبت أنفر من حياتها الاجتماعية الهيجة، فساقني الشوق والحنين المسمى بـ"داء الغربة" الى بلدي، اذ كنت اقول: ما دمت سأموت فلأمت اذن في بلدي.. فتوجهت الى مدينة "وان".

وهناك قبل كل شئ ذهبت الى زيارة مدرستي المسماة بـ"خور خور" فرأيت أن الأرمن قد أحرقوها مثلما احرقوا بقية البيوت الموجودة في "وان" اثناء الاحتلال الروسي.. صعدت الى القلعة المشهورة في "وان" وهي كتلة من صخرة صلدة تضم تحتها مدرستي الملاصقة بها تماماً، وكانت تمر من امامي أشباح اولئك الاصدقاء الحقيقيين

والاخوة المؤسسين من طلابي في مدرستي الذين فارقتهم قبل حوالي سبع سنوات خلت، فعلى إثر هذه الكارثة اصبح قسم من اولئك الاصدقاء الفدائيين شهداء حقيقيين وآخرون شهداء معنويين، فلم اتمالك نفسي من البكاء والنحيب.. صعدت الى قمة القلعة وارتقيتها وهي بعلو المنارتين ومدرستي تحتها، وجلست عليها أتأمل، فذهب بي الخيال الى ما يقرب من ثماني سنوات خلّت وجال بي الخيال في ذلك الزمان، لما لخيلي من قوة ولعدم وجود مانع يحول بيني وبين ذلك الخيال ويصرفني عن ذلك الزمان، اذ كنت وحيداً منفرداً.

شاهدت تحولاً هائلاً جداً قد جرى خلال ثماني سنوات حتى أنني كلما كنت افتح عيني أرى كأن عصراً قد ولّى ومضى باحداثه. رأيت ان مركز المدينة المحيطة بمدرستي - الذي هو بجانب القلعة - قد أحرق من اقصاه الى أقصاه ودمّر تدميراً كاملاً. فنظرت الى هذا المنظر نظرة حزن وأسى.. اذ كنت أشعر الفرق الهائل بين ما كنت فيه وبين ما أراه الآن، وكان مائتي سنة قد مرّت على هذه المدينة.. كان أغلب الذين يعمرّون هذه البيوت المهذّمة أصدقائي، وأحبّة اعزّاء عليّ.. فلقد توفّي قسم منهم بالهجرة من المدينة وذاقوا مضاضتها، تغمدهم الله جميعاً برحمته. حيث دُمّرت بيوت المسلمين في المدينة كلياً ولم تبق إلا محلة الأرمن، فتألّمت من الاعماق، وحزنت حزناً شديداً ما لو كان لي ألف عين لكانت تسكب الدموع مداراراً.

#380

كنت أظن أنني قد نجوت من الاغتراب حيث رجعت الى مدينتي، ولكن - وياللاسف - لقد رأيت أفعج غربة في مدينتي نفسها؛ اذ رأيت مئات من طلابي وأحبتي الذين ارتبط بهم روحياً - كعبد الرحمن المارذكره في الرجاء الثاني عشر - رأيهم قد أهيل عليهم التراب والانتقاض، ورأيت أن منازلهم أصبحت أثراً بعد عين، وامام هذه اللوحة الحزينة تجسّد معنى هذه الفقرة لأحدهم والتي كانت في ذاكرتي منذ زمن بعيد إلا أنني لم أكن افهم معناها تماماً: -

لولا مفارقة الاحباب ما وجدّث لها المنايا الى ارواحنا سبلاً¹ أي ان أكثر ما يقضي على الانسان ويهلكه انما هو مفارقة الاحباب.

نعم، انه لم يؤلمني شئ ولم يبكني مثل هذه الحادثة، فلو لم يأتي مددٌ من القرآن الكريم ومن الايمان لكان ذلك الغم والحزن والهّم يؤثر فيّ الى درجة كافية لسلب الروح مني. لقد كان الشعراء منذ القديم يبكون على منازل أحبّتهم عند مرورهم على اطلالها فرأيت يعيني لوحة الفراق الحزينة هذه.. فبكت روحي وقلبي مع عيني بحزن شديد كمن يمرّ بعد مائتي سنة على ديار أحبّته واطلالها..

عند ذلك مرّت الصفحات اللطيفة اللذيذة لحياتي امام عيني وخيالي واحدة تلو الاخرى بكل حيوية، كمرور مشاهد الفلم السينمائي.. تلك الحياة السارة التي قضيتها في تدريس طلابي النجباء بما يقرب من عشرين سنة، وفي هذه الاماكن نفسها، التي كانت عامرة بهيجة وذات نشوة وسرور، فاصبحت الآن خرائب وأطلالاً.

قضيت فترة طويلة امام هذه اللوحات من حياتي، وعندها بدأت أستغرب من حال أهل الدنيا، كيف أنهم يخدعون انفسهم، فالوضع هذا يبيّن بدهاءة ان الدنيا لامحالة فانية، وان الانسان فيها ليس الا عابر سبيل، وضيف راحل. وشاهدت بعيني مدى صدق ما يقوله اهل الحقيقة:
- "لاتنخدعوا بالدنيا فإنها غدارة.. مكاررة.. فانية..".

¹ قول المتنبي: لولا مفارقة الاحباب.. الخ.. في "لها" وجه غريب، وهو أن تقدره جمعاً للهاة، كحصاة وحصا، ويكون "لها" فاعلاً بـ "وجدت" و "المنايا" مضافاً اليه. ويكون اثبات اللهوات للمنايا استعارة شُبهت بشئ يتلغ الناس. ويكون اقام "الها" مقام الافواه، لمجاورة اللهوات للغم. (عن معنى اللبيب 234/1). - المترجم.

#381

ورأيت كذلك أن الانسان ذو علاقة مع مدينته وبلدته بل مع دنياه مثلما له علاقة مع جسمه وبيته، فبينما كنت أريد أن ابكي بعيني لشيوخوتي - باعتبار وجودي - كنت أريد أن أجهش بالبكاء بعشرة عيون لا لمجرد شيخوخة مدرستي، بل لوفاتها، بل كنت أشعر أنني بحاجة الى البكاء بمائة عين على مدينتي الحلوة الشبيهة بالميتة.

لقد ورد في الحديث الشريف من أن ملكاً ينادي كل صباح: (لذوا للموت وابنوا للخراب) ¹ كنت اسمع هذه الحقيقة، اسمعها بعيني لا بأذني، ومثلما أبكاني وضعي في ذلك الوقت، فان خيالي منذ عشرين سنة يذرف الدموع ايضاً كلما مرّ على ذلك الحال. نعم ان دمار تلك البيوت في قمة القلعة التي عمّرت آلاف السنين، واكتهال المدينة التي تحتها خلال ثماني سنوات، حتى كأنه قد مرّت عليها ثمانمائة سنة، ووفاة مدرستي - اسفل القلعة - التي كانت تنبض بالحياة والتي كانت مجمع الاحباب.. تشير الى وفاة جميع المدارس الدينية في الدولة العثمانية. وتبين العظمة المعنوية لجنازتها الكبرى، حتى كأن القلعة التي هي صخرة صلبة واحدة، قد اصبحت شاهدة قبرها. ورأيت ان طلاي - رحمهم الله جميعاً - الذين كانوا معي في تلك المدرسة - قبل ثماني سنوات - وهم راقدون في قبورهم، رأيتهم كأنهم يكون معي، بل تشاركني البكاء والحزن حتى بيوت المدينة المدمّرة، بل حتى جدرانها المنهدّة واحجارها المبعثرة.

نعم اني رأيت كل شئ وكأنه يبكي، وعندئذ علمت اني لا استطيع أن اتحمّل هذه الغربة في مدينتي، ففكرت إما أن أذهب اليهم في قبورهم او عليّ أن انسحب الى مغارة في الجبل منتظراً اجلي، وقلت مادام في الدنيا مثل هذه الفراق والافتراقات التي لا يمكن أن يُصبر عليها، ولا يمكن أن تقاوم، وهي مؤلمة ومحركة الى هذه الدرجة، فلا شك أن الموت افضل من هذه الحياة، ويرجح على مثل هذه الاوضاع التي لاتطاق.. لذا وليت وجهي سارحاً بنظري الى الجهات الست.. فما رأيت فيها الا الظلام الدامس، فالغفلة الناشئة من ذلك التألم الشديد

¹ البيهقي في الشعب من حديث عن ابي هريرة والترمذي مرفوعاً، ابو نعيم في الحلية عن ابي ذر مرفوعاً، واحمد في الزهد عن عبدالواحد قال: قال عيسى عليه السلام، فذكره (الدرر المنتثرة) وانظر كشف الحفاء (2041). - المترجم.

#382

أرتنى الدنيا مخيفة مرعبة، وانها خالية جرداء وكأنها ستنقض على رأسي. كانت روجي تبحث عن نقطة استناد وركن شديد امام البلايا والمصائب غير المحدودة التي اتخذت صورة اعداء الءاء. وكانت تبحث ايضاً عن نقطة استمداد امام رغباتها الكامنة غير المحدودة والتي تمتد الى الابد. فبينما كانت روجي تبحث عن نقطة استناد، وتفتش عن نقطة استمداد وتنظر السلوان والتسري من الهموم والاحزان المتولدة من الفراق والإفترقات غير المحدودة والتخريبات والوفيات الهائلة، اذا بحقيقة آية واحدة من القرآن الكريم المعجز وهي: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ _ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الحديد: 1-2) تتجلى امامي بوضوح وتنقذني من ذلك الخيال الاليم المرعب، وتنجيني من ألم الفراق والافتراق، فاتحة عيني وبصيرتي. فالتفت الى الاثمار المعلقة على الاشجار المثمرة وهي تنظر الى مبتسمة ابتسامة حلوة وتقول لي: "لا تحصرنّ نظرك في الخرائب وحدها.. فهلاً نظرت الينا، وانعمت النظر فينا..". نعم ان حقيقة هذه الاية الكريمة تنبّه بقوة مذكرةً وتقول: لِمَ يُجْزَنُكَ الى هذا الحدّ سقوط رسالة عامرة شيّدت بيد الانسان الضيف على صحيفة مفازة "وان"، حتى اتخذت صورة مدينة مأهولة؟ فَمَ تَحْزَنُ من سقوطها في السيل الجارف الخفيف المسمى بالاحتلال الروسي الذي محآ آثارها واذهب كتابتها؟ إرفع بصرك الى البارى المصوّر وهو ربّ كل شئ ومالكة الحقيقي، فناصيته بيده، وان كتاباته سبحانه على صحيفة "وان" تُكتب مجدداً باستمرار بكمال التوهج والبهجة وان ما شاهدته من اوضاع في الغابر والبكاء والنحيب على خلو تلك الاماكن وعلى دمارها وبقائها مقفرة انما هو من الغفلة عن مالكة الحقيقي، ومن توهم الانسان - خطأً - انه هو المالك لها، ومن عدم تصوره انه عابر سبيل وضيف ليس الآ..

فانفتح من ذلك الوضع المحرق، ومن ذلك الخطأ في التصور بابّ لحقيقة عظيمة، وتبيأت النفس لتقبلها - كالحديد الذي يدخل في النار ليلين ويعطى له شكلاً معيناً نافعاً - اذ اصبحت تلك الحالة المحزنة وذلك الوضع المؤلم، ناراً متأججة ألانت النفس. فأظهر القرآن الكريم لها فيض الحقائق الايمانية بجلاء ووضوح تام من خلال حقيقة تلك الاية المذكورة حتى جعلها تقبل وترسخ.

#383

نعم، فكما أثبتنا في المكتوب العشرين وامثاله من الرسائل، فان حقيقة هذه الاية الكريمة - ولله الحمد - قد وهبت بفيض الايمان نقطة استناد وارتكاز هائلة، وهبتها للروح ومنحتها الى القلب كل حسب ما ينكشف له من

فيض ما يملكه من قوة الايمان، بحيث تستطيع ان تتصدى لتلك المصائب والحالات المرعبة حتى لو تضاعفت مائة مرة، ذلك لانها ذكّرت بأن كل شئ مسخر لأمر خالقك الذي هو المالك الحقيقي لهذه المملكة، فمقاليد كل شئ بيده، وحسبك أن تنتسب اليه سبحانه.

فبعدهما عرفتُ خالقي، وتوكلتُ عليه، ترك كل شئ ما يضره من العداء نحوي حتى بدأت الحالات التي كانت تحزنني وتؤلني، بدأت الآن تسعدني وتسريني.

وكما أثبتنا في كثير من الرسائل براهين قاطعة، فان النور القادم من "الايمان بالآخرة" كذلك اعطى "نقطة استمداد" هائلة جداً تجاه الآمال والرغبات غير المحدودة، بحيث أنها تكفي تلك القوة لا لتلك الميول والرغبات الصغيرة المؤقتة والقصيرة، ولا لتلك الروابط مع احبتي في الدنيا وحدها. بل تكفي ايضاً لرغباتي غير المتناهية في دار الخلود وعالم البقاء وفي السعادة الابدية، ذلك لانه بتجلّي واحد من تجليات رحمة الرحمن الرحيم يُنشر على مائدة الربيع ما لا يعد ولا يحصى من نعمه اللذيذة البديعة على سطح الارض التي هي منزل من منازل دار ضيافة الدنيا المؤقتة، فيمنحها - سبحانه - في كل ربيع الى اولئك الضيوف، وينعم بها عليهم، كي يدخل في قلوبهم السرور لبضع ساعات، وكأنه يطعمهم فطور الصباح، ثم يأخذهم الى مساكنهم الابدية في ثماني جنات خالديات ملاءى بنعم غير محدودة لزمان غير محدود التي اعدّها لعباده، فلاريب ان الذي يؤمن برحمة هذا "الرحمن الرحيم" ويطمئن اليها مدركاً انتسابه اليه سبحانه، لا بدّ أنه يجد نقطة استمداد عظيمة بحيث ان ادنى درجاتها تمدّ آمالاً غير محدودة وتديمها.

هذا وان النور الصادر من ضياء الايمان - بحقيقة تلك الآية - قد تجلّى كذلك تجلياً باهراً ساطعاً حتى أنه تورّ تلك الجهات الست المظلمة تنويراً كالنهار، وتورّ حالتي المؤسفة المبكية على مدرستي هذه وعلى طلابي واحبتي الراحلين تنويراً كافياً حيث نهني الى ان العالم الذي يرحل اليه الاحباب ليس هو بعالم مظلم، بل بدّلوا المكان

#384

ليس الآ، فستتلاقون معاً وستجتمعون ببعضكم.. وبذلك قطع دابر البكاء قطعاً كاملاً، وأفهمني كذلك انني سأجد أمثالهم ومن يحلّ محلهم.

فله الحمد والمئة الذي احيا مدرسة "اسبارطة" عوضاً عن مدرسة "وان" المتوفاة والمتحوّلة الى اطلال، واحيا اولئك الاحبة معنيّ بأكثر وافضل منهم من الطلاب النجباء والاحبة الكرام. وعلمني كذلك ان الدنيا ليست خاوية مقفرة، وانها ليست مدينة خربة مدمّرة، كما كنت أتصورها خطأ، بل ان المالك الحقيقي - كما تقتضي حكمته - يبدل اللوحات المؤقتة والمصنوعة من قبل الانسان بلوحات اخرى ويجدد رسائله، فكما تحل ثمار جديدة كلما قطعت الثمار فكذلك الزوال والفراق في البشرية انما هو تجددّ وتجديد، فلا يبعث حزناً أليماً لانعدام الاحباب نهائياً، بل يبعث من زاوية الايمان حزناً لذيذاً نابغاً من فراق لأجل لقاء في دار اخرى بهيجة.

وكذا نور تلك الحالة المدهشة التي كنت فيها، ونور ما يتراءى لي من الوجه المظلم لموجودات الكون كلها. فأردت ابداء الحمد والشكر على تلك الحالة المنورة في وقته فأنتني الفقرة التالية باللغة العربية مصورةً لتلك الحقيقة كاملة:

[الحمد لله على نور الايمان المصور ما يُتوهم اجانب اعداء امواتاً موحشين أيتاماً باكين، أوداء اخواناً احياءً مؤنسين مرخصين مسرورين ذاكرين مسبحين].

وهي تعني: انني اقدم الى الخالق ذي الجلال حمداً لانهاية له، على ما وهبني من نور الايمان الذي هو منبع جميع هذه النعم الالهية غير المحدودة، بما حوّل تلك اللوحة المرعبة التي أظهرت لنفسي الغافلة فأوهمتها الغفلة - المتولدة من شدة التأثير على تلك الحالة المؤلمة - أن قسماً من موجودات الكون أعداء او اجانب¹ وقسماً آخر جنائز مدهشة مفزعة، وقسماً آخر أيتام باكون حيث لامعين لهم ولامولى، حوّل ذلك النور كل شئ حتى شاهدت بعين اليقين ان الذين كانوا يبديون اجانب وأعداء انما هم اخوة واصدقاء.. وان ما كان يظهر كالجنائز المرعبة؛ قسم منهم أحياء مؤنسون، أو هم ممن أنهم وظائفهم ومهماتهم.. وان ما يتوهم أنها نواح الايتام الباكين، ترانيم ذكر وتراتيل تسبيح. أي أنني اقدم الحمد لله مع جميع الموجودات التي تملأ دنيائي الخاصة التي تسع الدنيا كلها، فأشركها معي في ذلك الحمد والتسبيح لله سبحانه، نيةً

¹ مثل الزلازل والعواصف والطوفان والطاعون والحريق. - المؤلف.

#385

وتصوراً. حيث لي الحق في ذلك، فنقول معاً بلسان حال كل فرد من افراد الموجودات وبلسان حال الجميع ايضاً: "الحمد لله على نور الايمان".

ثم أن لذائد الحياة واذواقها التي تلاشت على اثر تلك الحالة المدهشة الباعثة على الغفلة، والآمال التي انسحبت نهائياً وانكسرت ونضب معينها، والنعم واللذائد الخاصة بي التي ظلّت محصورة في أضيق دائرة وربما فנית، كل ذلك قد تحول وتبدل بنور الايمان - كما أثبتنا ذلك في رسائل اخرى - فوسّع ذلك النور تلك الدائرة الضيقة المطوقة حول القلب الى دائرة واسعة جداً حتى انطوى فيها الكون كله، وجعل دار الدنيا ودار الآخرة سُفرتين مملوءتين بالنعم، وحوّلها الى مائتين ممدتين للرحمة، بدلاً من تلك النعم التي يبست وفقدت لذتها في حديقة "خور خور". ولم يقتصر على ذلك فقط بل جعل كلاً من العين والاذن والقلب وامثالها من الحواس بل مائة من اجهزة الانسان، يداً ممتدة حسب درجات المؤمن تمتد الى السفرتين المملوءتين بالنعم بحيث تتمكن من ان تأخذ النعم وتلتقطها من جميع اقطارها؛ لذا قلت امام هذه الحقيقة الكبرى شكراً لله على تلك النعم غير المحدودة ما يأتي:

[الحمد لله على نور الايمان المصوّر للدارين مملوءتين من النعمة والرحمة، لكل مؤمن حق أن يستفيد منها بحواسه الكثيرة المنكشفة باذن خالقه].

وهذا يعني: الحمد لله الذي وهب لي ذلك الايمان الذي يُري بنعمة نوره أن الدنيا والآخرة مملوءتان بالنعمة والرحمة ويضمن الاستفادة من تينك السفرتين العظيمتين بايدي جميع الحواس المنكشفة بنور الايمان والمنبسطة بنور الاسلام للمؤمنين الحقيقيين، فلو استطعت تقديم الحمد والشكر لله خالقي تجاه ذلك الايمان بجميع ذرات كياني وبملاء الدنيا والآخرة لفعلت.

فما دام الايمان يفعل فعله في هذا العالم بمثل هذه الآثار العظيمة، فلا بد أن له في دار البقاء والخلود ثمراتٍ اعظم وفيوضات اوسع، بحيث لا يمكن أن تستوعبها عقولنا الدنيوية وتعرّفها.

فيا اخوتي الشيوخ، ويا اخواني العجائز، ويا من تتجرعون مثلي الآلام المرّة بفراق كثير من الاحبة بسبب الشيخوخة! اني أخال نفسي اكثر منكم شيباً معني، وان كان يبدو أن فيكم من هو أكبر مني سنّاً، ذلك لانني أتألم - فضلاً عن آلامي - بالآلام

#386

آلاف من اخواني، لما أحمله في فطرتي من الرقة والشفقة الزائدتين الى بني جنسي. فأتألم كأني شيخ يناهز المئات من السنين، أما اتم فهمها تجرعم من آلام الفراق لم تتعرضوا لمثل ما تعرضت له من البلايا والمصائب! انه ليس لي ابن افكر فيه، الا اني اشعر برقة وألم - بسر الشفقة الكامنة في فطرتي - متوجهة الى الآلام ومصائب آلاف من أبناء الاسلام، بل اشعرها حتى لاآلم الحيوانات البريئة. زد على ذلك أنني ارى نفسي متعلقة - من جهة الغيرة على الاسلام - بهذه البلاد، بل بالعالم الاسلامي، وارتبط بهما كأنهما داري، برغم اني لا أملك بيتاً خاصاً بي كي أحصر ذهني فيه؛ لذا فأنني أتألم بالآلام المؤمنين الذين هم في هاتين الدارين وأحزن كثيراً لفراقهم.

ولما كان نور الايمان قد كفاني كفاية تامة وأتى على جميع تأثراتي الناشئة من شيخوختي كلها ومن بلايا الفراق، ووهب لي رجاءً لا يخيب، واملأ لا ينقص، وضياءً لا ينطفئ، وسلواناً لا ينفد، فلا بد أن الايمان ايضاً سيكون كافياً لكم ووافياً ايضاً ازاء الظلمات الناشئة من الشيخوخة، وازاء الغفلة الواردة منها، وازاء التأثيرات والتألمات الصادرة منها. وحقاً ان اعتم شيخوخة انما هي شيخوخة اهل الضلالة والسفاهة وأن أقسى الفراق واشدها ايلاماً انما هي آلامهم وفراقهم!!

نعم، ان تذوق الايمان الذي يبعث الرجاء ويشيع النور وينشر السلوى، وان الشعور بسلوانه والتأذ به هو في التمثل الشعوري للعبودية اللاتئة بالشيخوخة والموافقة للاسلام، وليس هو بتناسي الشيخوخة واللهاث وراء التشبه بالشباب واقتحام غفلتهم المسكرة.. تفكروا دائماً وتأملوا في الحديث النبوي الشريف (خير شبابكم من تشبه بكمهولكم وشر كهولكم من تشبه بشبابكم)¹ او كما قال صلى الله عليه وسلم، اي خير شبابكم من تشبه

بالكحول في التآني والرزانة وتجنبهم السفاهة وشر كهولكم من تشبه بالشباب في السفاهة والانغماس في الغفلة.

¹ اخرج ابو يعلى والطبراني في الكبير من حديث واثلة وغيرهم. قال الحافظ العراقي في تخریج الاحياء 62/3 باسناد ضعيف واخرجه البيهقي في شعب الايمان من حديث انس ومن حديث ابن عباس و اخرجه ابن عدي في الكامل من حديث ابن مسعود وقال ابن الجوزي: لا يصح. انظر فيض القدير 487/3 ورمز السيوطي لحسنه.

#387

فيا اخوتي الشيوخ ويا اخواتي العجائز! لقد ورد في الحديث الشريف ما معناه "ان الرحمة الإلهية لتستحي من أن تردّ يداً ضارعة من شيخ مؤمن او عجوز مؤمنة".¹ فما دامت الرحمة الإلهية تحترمكم هكذا، فعظموها إذن احترامها بعبوديتكم لله.

الرجاء الرابع عشر

جاء في مستهل (الشعاع الرابع) الذي هو تفسير للآية الكريمة: (حسبنا الله ونعم الوكيل) ما خلاصته: حينما جرّدتني أرباب الدنيا من كل شيء، وقعت في خمسة ألوان من الغربة. ولم ألتفت الى ما في "رسائل النور" من أنوار مسليّة ممدّة، جراء غفلة اورثها الضجر والضيق وانما نظرت مباشرة الى قلبي وتحسست روحي، فرأيت انه يسيطر عليّ عشق في منتهى القوة للبقاء، وتهيمن علىّ محبة شديدة للوجود، ويتحكم فيّ شوق عظيم للحياة.. مع ما يمكن فيّ من عجز لاحد له، وفقر لانهاية له. غير ان فناءً مھولاً مدهشاً، يطفئ ذلك البقاء ويزيله، فقلت مثلما قال الشاعر المحترق الفؤاد:

حكمة الأله تقضي فناء الجسد والقلب تواق الى الابد
لهف نفسي من بلاء وكمد حار لقمان في ايجاد الضمد

فطأطأت رأسي يائساً... واذا بالآية الكريمة: (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) تغيثني قائلة: إقرأني جيداً بتدبر وامعان، فقرأتها بدوري خمسمائة مرة في كل يوم، فكلما كنت أتلوها كانت تكشف عن بعض من أنوارها وفيوضاتها الغزيرة، فرأيت منها بعين اليقين - وليس بعلم اليقين - تسع مراتب حسبية:

¹ روى السيوطي في الجامع الكبير عن ابن النجار بسند ضعيف.. ان الله عز وجل يستحي من ذي الشيبة اذا كان مسدداً كروماً للسنة ان يسأله فلا يعطيه. (بأختصار عن كشف الحفاء 244/1). - المترجم.

#388

المرتبة النورية الحسبية الاولى:

ان ما فيّ من عشق البقاء، ليس متوجهاً الى بقائي أنا، بل الى وجود ذلك الكامل المطلق والى كماله وبقائه.

وذلك لوجود ظلٍ لتجلٍ من تجليات اسمٍ من اسماء الجليل والجميل المطلق ذي الكمال المطلق، وهو المحبوب لذاته - اي دون داعٍ الى سبب - في ماهيتي الآن هذه المحبة الفطرية ضلت سبيلها وتاهت بسبب الغفلة، فتشبثت بالظل وعشقت بقاء المرأة.

ولكن ما ان جاءت (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) حتى رفعت الستار. فاحسستُ وشاهدت، وتذوقتُ بحق اليقين:

ان لذة البقاء وسعاده، موجودة بنفسها، بل افضل وأكمل منها، في ايماني واذعاني وايقاني ببقاء الباقي ذي الكمال، وبأنه ربي وإلهي. وقد وضحت دلائل هذا بعمق ودقة متناهية في الرسالة "الحسبية" في اثنتي عشرة كذا.. كذا.. كذا..". وبينت الاستشعار الايماني بما يجعل كل ذي حسّ وشعور في تقدير واعجاب!.

المرتبة النورية الحسبية الثانية

انه مع عجزني غير المتناهي الكامن في فطرتي، ومع الشيخوخة المستقرة في كياني، ومع تلك الغربة التي لفتني، ومع عدم وجود المعين لي، وقد جردت من كل شئ ويهاجمني اهل الدنيا بدسائسهم وبجواسيسهم.. في هذا الوقت بالذات خاطبت قلبي قائلاً:

"ان جيوشاً كثيفة عارمة تهاجم شخصاً واحداً ضعيفاً مريضاً مكبل اليدين.. أو ليس له - اي لي - من نقطة استناد؟".

فراجعت آية (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) فاعلمتني:

انك تنتسب بهوية الانتساب الايماني الى سلطان عظيم ذي قدرة مطلقة، بحيث يجهز بانتظام تام في الربيع جميع ما تحتاجه جيوش النباتات والحيوانات المنتشرة على سطح الارض من معدّات، فيزوّد جميع تلك الجيوش المتشكلة في اربعمائة ألف نوع

#389

من الأمم المختلفة، ويوزع جميع ارزاق الجيش الهائل للأحياء - وفي مقدمتها الانسان - لاشكل ما اكتشفه الانسان في الآونة الأخيرة من مستخلصات اللحم والسكر وغيرها، بل بصورة مستخلصات أكمل وافضل بكثير بل تفوقها مائة مرة، فهي مستخلصات متضمنة جميع انواع الاطعمة. بل هي مستخلصات رحمانية.. تلك التي تسمى البذور والنوى.. زد على ذلك فانه يغلف ايضاً تلك المستخلصات باغلفة قدرية تتناسب مع نضجها وانبساطها ونموها، ويحفظها في غلبيات وصنيدات صغيرة وصغيرة جداً، وهذه الصنيدات ايضاً تُصنع بسرعة متناهية جداً، وبسهولة مطلقة للغاية، وبوفرة هائلة، وذلك في معمل "ك.ن" الموجود في أمر "كُن"، حتى أن القرآن الكريم يقول: (فإنما يقولُ لهُ كُنْ فيكونُ!).

فما دمت قد ظفرت بنقطة استناد مثل هذه بهوية الانتساب الايماني، فيمكنك الاستناد والاطمئنان اذاً الى قوة عظيمة وقدرة مطلقة. وحقاً لقد كنت أحس بقوة معنوية عظيمة كلما كنت أتلقى ذلك الدرس من تلك الآيات الكريمة، فكنت أشعر اني أملك قوة يمكنني أن اتحدى بها جميع اعدائي في العالم وليس الماثلين امامي وحدهم، لذا رددتُ من اعماق روحي: (حسبنا الله ونعم الوكيل).

المرتبة النورية الحسبية الثالثة

حينما اشتد خناق الامراض وألوان الغربة وأنواع الظلم عليّ، وجدت ان علاقتي تنفصم مع الدنيا، وان الايمان يرشدني بانك مرشح لدنيا اخرى ابدية، وانك مؤهل لمملكة باقية وسعادة دائمة. ففي هذه الاثناء تركت كل شيء تقطر منه الحسرة ويجعلني أتأوه وأتأفف، وأبدلته بكل ما يبشّر بالخير والفرح ويجعلني في حمدٍ دائم. ولكن أتي لهذه الغاية أن تتحقق وهي غاية المنى ومبتغى الخيال وهدف الروح ونتيجة الفطرة، الأ بقدره القدير المطلق الذي يعرف جميع حركات مخلوقاته وسكناتهم قولاً وفعلاً، بل يعرف جميع احوالهم واعمالهم ويسجلها كذلك. واتي لها أن تحصل الأ بعنايته الفائقة غير المحدودة لهذا الانسان الصغير الهزيل المنقلب في العجز المطلق حتى كرمه، واتخذ خليلاً مخاطباً، واهباً له المقام السامي بين مخلوقاته.

#390

نعم، حينما كنت أفكر في هاتين النقطتين، اي: في فعالية هذه القدرة غير المحدودة، وفي الاهمية الحقيقية التي أولاها البارئ سبحانه لهذا الانسان الذي يبدو حقيراً. اردت ايضاحاً في هاتين النقطتين ينكشف به الايمان ويُطمئن به القلب. فراجعت بدوري تلك الآيات الكريمة ايضاً، فقالت لي: دقق النظر في "نا" التي في "حسبنا"، وانظر مَنْ هم اولاء ينطقون "حسبنا" معك، سواء ينطقونها بلسان الحال، او بلسان المقال، أنصت اليهم.. نعم هكذا أمرتني الآية!. فنظرت.. فاذا بي أرى طيوراً محلقة لاتحدّ، وطويرات صغيرة صغيرة جداً كالذباب لاتحصى، وحيوانات لا تعد ونباتات لاتنتهي واشجاراً لاآخر لها ولا نهاية...

كل ذلك يردد مثلي بلسان الحال معنى (حسبنا الله ونعم الوكيل)، بل يُذكر الآخرين بها.. أن لهم وكيلاً - نعم الوكيل - تكفل بجميع شرائط حياتهم، حتى انه يخلق من البيوض المتشابهة بعضها مع بعض وهي المترتبة من المواد نفسها، ويخلق من النطف التي هي مثل بعضها البعض، ويخلق من الحبوب التي هي البعض عينه، ويخلق من البذور المتماثلة بعضها مع البعض الآخر مائة الف طراز من الحيوانات ومائة الف شكل من الطيور ومائة الف نوع من النباتات، ومائة الف صنف من الاشجار، يخلقها بلاخطأ وبلا نقص وبلا التباس، يخلقها مزينة جميلة وموزونة منظمة، مع تميز بعضها عن البعض الآخر واختلاف بعضها عن بعض، يخلقها باستمرار ولاسيما ايام كل ربيع امام اعيننا في منتهى الكثرة، وفي منتهى السهولة، وفي منتهى الوفرة.. فخلق جميع هذه المخلوقات متشابهاً ومتداخلاً ومجمتعة على النمط نفسه والاشكال عينها، ضمن عظمة هذه القدرة

المطلقة وحشمتها، يظهر لنا بوضوح: وحدانيته سبحانه وتعالى وأحديته.

وقد أفهمني الآية أنه لا يمكن التدخل مطلقاً ولا المداخلة قطعاً في مثل هذا الفعل للربوبية المطلقة وفي تصرف هذه الخلاقية، اللتين تبرزان هذه المعجزات غير المحدودة وتنشرانها.

فالى الذين يريدون ان يفهموا هويتي الشخصية وماهيتي الانسانية كما هي لكل مؤمن.. والى الذين يرغبون أن يكونوا مثلي، عليهم أن ينظروا الى تفسير نفسي (أنا) في جمع "نا" في الآية الكريمة ويتدبروا في موقعه في ذلك الجمع. وليفهموا ما

#391

وجودي وجسمي الذي يبدو ضئيلاً وفقيراً لا اهمية له - كوجود كل مؤمن -؟! وليعلموا ما الحياة نفسها بل ما الانسانية؟! وما الاسلام؟! وما الايمان التحقيقي؟ وما معرفة الله؟ وكيف تحصل محبة الله؟. فليفهموا.. وليتلقوا درساً في ذلك!

المرتبة النورية الحسبية الرابعة

وافقت العوارض المزلزلة لكياني أمثال الشيب والغربة والمرض وكوني مغلوباً على أمري، وافقت تلك العوارض فترة غفلي، فكأن وجودي الذي أتعلق به بشدة يذهب الى العدم، بل وجود المخلوقات كلها تفتى وتنتهي الى الزوال، فولد عندي ذهاب الجميع الى العدم قلقاً شديداً واضطراباً أليماً فراجعت الآية الكريمة ايضاً (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) فقالت لي: "تدبر في معاني، وانظر اليها بمنظار الايمان" وانا بدوري نظرت الى معانيها بعين الايمان فرأيت:

ان وجودي الذي هو ذرة صغيرة جداً - كوجود كل مؤمن - مرآة لوجود غير محدود، ووسيلة للظفر بانواع من وجود غير محدود يانبساط غير متناه.. وهو بمثابة كلمة حكيمة تثمر من انواع الوجود الكثيرة الباقية ما هو أكثر قيمة من وجودي حتى أن لحظة عيش له من حيث انتسابه الايماني ثمين جداً، وله قيمة عالية كقيمة وجودي أبدي دائم، فعلمت كل ذلك بعلم اليقين؛ لأن معرفتي بالشعور الايماني بان وجودي هذا أثر من آثار واجب الوجود وصنعة من صنعته وجلوة من جلواته جعلتني انجو من ظلمات لا حد لها تورثها أوهام موحشة، واتخلص من الام لا حد لها نابعة من افتراقات وفراقات غير متناهية، ودفعني لأمد روابط اخوة وثيقة الى جميع الموجودات ولاسيما الى ذوي الحياة، روابط بعدد الافعال والاسماء الإلهية المتعلقة بالموجودات. وعلمت أن هناك وصلاً دائماً بهذه الروابط مع جميع ما أحبه من الموجودات من خلال فراق موقت.

وهكذا فان وجودي كوجود كل مؤمن، قد ظفر بالايمان والانتساب الذي فيه بأنوار انواع وجود غير محدودة لا افتراق فيها. فحتى لو ذهب وجودي فان بقاء تلك الأنواع من الوجود من بعده يُطمئن وجودي وكأنه قد بقي بنفسه كاملاً.

والخلاصة: ان الموت ليس فراقاً بل هو وصال وتبديل مكان وإثمار لثمرة باقية...

#392

المرتبة النورية الحسبية الخامسة

لقد تصدّعت حياتي حيناً تحت اعباء ثقيلة جداً، حتى لفتت نظري الى العمر، والى الحياة فرأيت أن عمري يجري حثيثاً الى الآخرة.. وان حياتي المتقرية الى الآخرة قد توجهت نحو الانطفاء تحت المضايقات العديدة، ولكن الوظائف المهمة للحياة ومزاياها الراقية وفوائدها الثمينة لاتليق بهذا الانطفاء السريع، بل تليق بحياة طويلة، مديدة، ففكرت في هذا بكل ألم وأسى، وراجعت استاذي الآية الكريمة (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) فقالت لي: انظر الى الحياة من حيث "الحي القيوم" الذي وهب لك الحياة. فنظرت اليها بهذا المنظار وشاهدت أنه ان كان للحياة وجه واحد متوجه اليّ انا فان لها مائة وجه متوجه الى "الحي المحيي" وان كانت لها نتيجة واحدة تعود اليّ انا، فان لها الفاً من النتائج تعود الى خالقي؛ لذا فان لحظة واحدة من الحياة، او آنأ من الوقت ضمن هذه الجهة كافٍ جداً، فلا حاجة الى زمان طويل.

هذه الحقيقة تتوضح باربع مسائل: فليفتش اولئك الذين ينشدون الحياة او الذين هم ليسوا أمواتاً.. ليفتشوا عن ماهية الحياة وعن حقيقتها وعن حقوقها الحقيقية ضمن تلك المسائل الاربع. فليظفروا.. وليحيوا..

وخلاصتها هي: ان الحياة كلما تتوجه الى الحي القيوم وتتطلع اليه، وكلما كان الايمان حياةً للحياة وروحاً لها تكسب البقاء بل تعطي ثماراً باقية كذلك، بل أنها ترقى وتعلو الى درجة تكتسب تجلى السرمدية، وعندها لاينظر الى قصر العمر وطوله.

المرتبة النورية الحسبية السادسة

من خلال الشيب الذي يذكر بفراقي الخاص، ومن خلال حوادث آخر الزمان التي تنبئ عن دمار الدنيا ضمن الفراقات العامة الشاملة، ومن خلال الانكشاف الواسع فوق العادة في اواخر عمري لأحاسيس الجمال والعشق له والافتتان بالكمالات المغروزة في فطرتي. من خلال كل هذا رأيت ان الزوال والفناء اللذين يدمران دائماً،

#393

وان الموت والعدم اللذين يفرقان باستمرار، رأيتهما يفسدان بشكل مرعب ومخيف، جمال هذه الدنيا الرائعة الجمال ويشوهانه بتحطيمها لها، ويُتلفان لطافة هذه المخلوقات.. فتألّمت من اعماقي بالغ التألم لما رأيت. ففار ما في فطرتي من عشق مجازي فوراً شديداً وبدأ يتاجج بالرفض والعصيان امام هذه الحالة المفجعة، فلم يك لي منها بد الا مراجعة الآية الكريمة ايضاً لأجد المتنفس والسلوان، فقالت: "إقرأني جيداً، أنعم النظر في معاني" وأنا بدوري دخلت الى مركز الارصاد لسورة النور آية (الله نور السموات والارض....) فنظرت من هناك

"بمنظار" الايمان الى أبعد طبقات الآية الحسية، وفي الوقت نفسه نظرت "بمجهر" الشعور الايماني الى أدق اسرارها.. فرأيت انه مثلما تُظهر المرايا والزجاج والمواد الشفافة وحتى حباب البحر الجمال المخفي المتنوع لضوء الشمس، فيظهر كل منها مختلف الجمال للالوان السبعة لذلك الضوء ومثلما يتجدد ذلك الجمال وذلك الحسن بتجدد تلك المواد وبتحركها وحسب قابليتها المختلفة ووفق انكساراتها المتنوعة، اي مثلما أنها تُظهر الجمال المخفي للشمس ولضوئها ولألوانها السبعة - بشكل جميل جذاب - فكذلك الامر في هذه المصنوعات الجميلة وهذه المخلوقات اللطيفة والموجودات الجميلة التي تقوم مقام مرايا عاكسة لذلك الجمال المقدس للجميل ذي الجلال الذي هو "نور الأزل والابد". فهذه المخلوقات لاتلبث أن تذهب دون توقف مجددة بذلك تجليات لأسمائه الحسنى جل وعلا. فالجمال الظاهر في هذه المخلوقات والحسن البارز فيها اذن ليس هو ملك ذاتها، وانما هو اشارات الى ذلك الجمال المقدس السرمدى الذي يريد الظهور، وعلامات واشارات وتجليات لذلك الحسن المجرد والجمال المنزه المتجلي دائماً والذي يريد المشاهدة والاشهاد.

وقد وضحت دلائل هذا مفصلاً في "رسائل النور" لاسيما تلك الرسالة التي تستهل بـ"هنا سنذكر ثلاثة براهين بصورة مختصرة جداً ومعقولة".¹ فأياً إنسان نظر الى هذه الرسالة من اصحاب الذوق السليم لايمكن أن يتالك نفسه من غير الاعجاب والتقدير بل سيرى أن عليه أن يسعى لإفادة الآخرين بعدما أفاد نفسه، ولاسيما النقاط الخمس المذكورة في البرهان الثاني. فلا بد ان من لم يفسد عقله ولم يصدأ قلبه أن يقول مستحسناً ومستصوباً: ماشاء الله.. بارك الله.. ويجعل وجوده الذي يظهر فقيراً حقيراً يسمو ويتعالى.. ويدرك مصداقاً أنه: معجزة خارقة حقاً!!

¹ المقصود "المرتبة النورية السادسة من الشعاع الرابع" - المترجم.

الرجاء الخامس عشر¹

عندما كنت نزيل غرفة في "اميرداغ"² تحت الاقامة الجبرية وحيداً فريداً، كانت عيون التردد تتعقبني وتضايقني دائماً فأتعذب منها أشد العذاب، حتى مللت الحياة نفسها وتأسفت لخروحي من السجن، بل رغبت من كل قلبي في ان اعود الى سجن "دنيزلي" او دخول القبر، حيث السجن او القبر افضل من هذا اللون من الحياة. فأتنتي العناية الإلهية مغيثة، إذ وهبت آلة الرونيو التي ظهرت حديثاً لطلاب "مدرسة الزهراء"³ وهم يحملون اقلاماً ماسية كآلة الرونيو. فباتت "رسائل النور" تظهر بخمسة نسخة بقلم واحد. فتلك الفتوحات التي هيأتها العناية الإلهية لرسائل النور جعلتني أحب تلك الحياة الضجرة القلقة المضطربة، بل جعلتني اردد الف شكر وشكر للبارئ سبحانه وتعالى.

ولكن بعد مرور فترة وجيزة لم يتمكن اعداء رسائل النور المتسترون ان يتحملوا تلك الفتوحات النورية، فنبهوا المسؤولين في الدولة ضدنا وأثاروهم علينا، فاصبحت الحياة - مرة اخرى - ثقيلة مضجرة، إلا ان العناية الإلهية تجلت على حين غرة، حيث ان المسؤولين أنفسهم - وهم أحوج الناس الى رسائل النور - بدأوا فعلاً بقراءة الرسائل المصادرة بشوق واهتمام، وذلك بحكم وظيفتهم. واستطاعت تلك الرسائل بفضل الله أن تليّن قلوبهم وتجعلها تنجح الى جانبها. فتوسعت بذلك دائرة مدارس النور، حيث أنهم بدأوا بتقديرها والاعجاب بها بدلاً من جرحها ونقدها. فأكسبتنا هذه النتيجة منافع جمة، اذ هي خير مائة مرة مما نحن فيه من الاضرار المادية، وأذهبت ما

ما

¹ كُتِبَ هذا الرجاء الخامس عشر كي يكون مصدر تكلمة رسالة الشيوخ وتأليفها من قبل أحد طلاب النور، حيث أن فترة تأليف رسائل النور قد انتهت قبل ثلاث سنوات. - المؤلف.

² قضاء يقع في اواسط الاناضول، نفي اليه الاستاذ النورسي سنة (1944) وظل فيه حتى سنة 1951 - المترجم.

³ سعى الاستاذ النورسي طوال حياته لاقامة هذه المدرسة التي تدمج فيها الدراسة الدينية والعلمية معاً، حتى وضع حجرها الاساس سنة 1911 قرب بحيرة «وان». إلا ان ظروف الحرب العالمية الاولى حالت دون اتمام المشروع، ولكن العناية الربانية عوضت عن تلك المدرسة بمدرسة معنوية امتدت اغصانها الوارفة في طول البلاد وعرضها، تلك هي المدارس المعنوية النورية، ومن هنا كان الاستاذ النورسي يعد طلاب النور طلاب مدرسة الزهراء. - المترجم.

#395

نعانيه من اضطراب وقلق. ولكن ما ان مرت فترة وجيزة، حتى حوّل المنافقون - وهم الاعداء المتسترون - نظر الحكومة الى شخصي أنا، ونهبوا أذهانها الى حياتي السياسية السابقة، فأثاروا الأوهام والشكوك، وبنوا المخاوف من حولي في صفوف دوائر العدل والمعارف (التربية) والامن ووزارة الداخلية. ومما وسّع تلك المخاوف لديهم ما يجري من المشاحنات بين الاحزاب السياسية، وما أثاره الفوضويون والارهابيون - وهم واجهة الشيوعيين - حتى أن الحكومة قامت إثر ذلك بحملة توقيف وتضييق شديد علينا، وبمصادرة ما تمكنت من الحصول عليه من الرسائل، فتوقف نشاط طلاب النور وفعاليتهم.

وبالرغم من أن بعض الموظفين المسؤولين أشاعوا دعايات مغرضة عجيبية لجرح شخصيتي وذمّها - مما لا يمكن أن يصدّقها أحد - إلا أنهم باؤوا بالاخفاق الذريع، فلم يستطيعوا ان يقنعوا احداً بها. ومع ذلك احوالي الى الموقف لمدة يومين بحجج رخيصة تافهة جداً، ووضعوني في قاعة واسعة جداً وحيداً في تلك الايام الشديدة البرد كالزهرير، علماً اني ما كنت اتحمل البرد في بيتي الأعلى مضض وكنت اقاومه بشدة بإشعال الموقد دائماً وباشعال المدفأة عدة مرات يومياً، وذلك لما أعانيه من ضعف ومرض.

فبينما كنت اتقلب من شدة الحمى المتولدة من البرد، واتملل من حالي النفسية المتضايقة جداً، انكشفت في قلبي حقيقة عناية إلهية، ونُبّهت الى ما يأتي:

" أنك قد اطلقت على السجن اسم "المدرسة اليوسفية"، وقد وهب لك "سجن ديزلي" من النتائج والفوائد اضعاف اضعاف ما اذاقكم من الضيق والشدة، ومنحك فرحاً شديداً وسروراً عظيماً وغنائم معنوية كثيرة: واستفادة المساجين معكم من رسائل النور، وقراءة رسائل النور في الاوساط الرسمية العليا وغيرها من الفوائد، حتى جعلتكم في شكر دائم مستمر بدل التشكي والضجر محوّلة كل ساعة من ساعات السجن والضيق الى عشر ساعات من العبادة، فخلّدت تلك الساعات الفانية، فهذه "المدرسة اليوسفية الثالثة"¹ كذلك ستعطي - باذن الله - من الحرارة الكافية ما

¹ المقصود سجن آفيون سنة 1948. - المترجم.

#396

يدفيء هذا البرد الشديد، وستمح من الفرح والبهجة ما يرفع هذا الضيق الثقيل، باستفادة اهل المصائب والبلاء معكم من رسائل النور ووجدانهم السلوان فيها. أما الذين غضبت واحتديت عليهم، فان كانوا من المغرّ بهم ومن المخدوعين فلا يستحقون الغضب والحدة، اذ انهم يظلمونك دون قصد ولا علم ولا شعور. وان كانوا يعذبونك ويشددون عليك الخناق وهم يقومون بهذا عن علم وعن حقد دفين ارضاء لأهل الضلالة فإنهم سيعذبون عن قريب بالموت الذي يتصورونه إعداماً أبدياً، وسيرون الضيق الشديد الدائم المقيم في السجن المنفرد وهو القبر. وانت بدورك تكسب ثواباً عظيماً - نتيجة ظلمهم - وتظفر بخلود ساعاتك الفانية، وتغنم لذائد روحية معنوية فضلاً عن قيامك بمهمتك العلمية والدينية باخلاص.

هكذا ورد الى روعي هذا المعنى فقلت بكل ما أوتيت من قوة: "الحمد لله". واشفقت على اولئك الظلمة بحكم انسانيتي ودعوت: ياربّي أصلح شأن هؤلاء..

ولقد ثبت في افادتي التي كتبتها الى وزارة الداخلية: ان هذه الحادثة الجديدة غير قانونية، وأثبتها بعشرة أوجه، بل ان هؤلاء الظلمة الذين يخرقون القانون باسم القانون هم المجرمون حقاً، حيث بدأوا بالبحث عن حجج واهية جداً وتتبعوا افتراءات مختلفة الى حدّ ان جلبوا سخرية السامعين وابكت اهل الحق المنصفين، وأظهروا لأهل الانصاف أنهم لا يجدون باسم القانون والحق اي مسوّغ للتعرض لرسائل النور ومسّ طلابها بسوء، فيزّلون الى البلاهة والجنون ويتخبطون خبط عشواء.

مثال ذلك:

لم يجد الجواسيس الذين راقبونا لمدة شهر شيئاً علينا، لذا لَقَقُوا التقرير الآتي: "ان خادم "سعيد" قد اشترى له

الحمر من حانوت". الأ أنهم لم يجدوا أحداً يوقع على هذا التقرير تصديقاً لهم، إلا شخصاً غريباً وسكيراً في الوقت نفسه، فطلبوا منه - تحت الضغط والتهديد - ان يوقع مصداقاً على ذلك التقرير، فردّ عليهم: "استغفر الله من يستطيع أن يوقع مصداقاً هذا الكذب العجيب" فاضطروا الى اتلاف التقرير.

#397

مثال آخر

لحاجتي الشديدة لاستنشاق الهواء النقي، ولما يُعلم من اعتلال صحي، فقد أعارني شخص لا أعرفه - ولم اتعرف عليه لحدّ الآن - عربة ذات حصان، لأتنزه بها خارج البلدة فكنت اقضي ساعة او ساعتين في هذه النزهة. وكنت قد وعدت صاحب العربة والحصان بأن أوفي اجرتها كتباً تتن بمخمين ليرة، لئلا أحميد عن قاعدتي التي اتخذتها لنفسي، ولئلا أظل تحت منّة أحد من الناس واذاه.. فهل هناك احتمال لان ينجم ضرر ما من هذا العمل؟! غير أن دائرة الشرطة ودائرة العدل والامن الداخلي وحتى المحافظ نفسه استفسر بأكثر من خمسين مرة: لمن هذا الحصان؟ ولمن هذه العربة؟ وكأنه قد حدثت حادثة سياسية خطيرة للاخلال بالأمن والنظام! مما اضطر ان يتطوع أحد الاشخاص لقطع دابر هذه الاستفسارات السخيفة المتتالية فيدّعي أن الحصان ملكه، وادّعى آخر بان العربة له، فصدر الامر بالقبض عليهما وادعا معي في السجن. فبمثل هذه النماذج اصبحنا من المتفرجين على لعب الصبيان ودُمَاهم، فبكيننا ضاحكين وحرثاً ساخرين، وعرفنا أن كل من يتعرض لرسائل النور ولطلابها يصبح اضحوكة وموضع هزء وسخرية.

واليك محاوره لطيفة من تلك النماذج: لقد قلتُ للمدعي العام - قبل ان اطّلع على ماكتب في محضر اتهامي من الاخلال بالامن - قلت له: لقد اغتبتك امس اذ قلت لأحد افراد الشرطة الذي استجبوني نيابة عن مدير الامن: "ليهلكي الله - ثلاث مرات - ان لم أكن قد خدمت الامن العام لهذا البلد أكثر من الف مدير أمن وأكثر من ألف مدع عام..".

ثم انني في الوقت الذي كنتُ في أمس الحاجة الى الاخلاص الى الراحة وعدم الاهتمام بهوم الدنيا والابتعاد نهائياً عن البرد، فان قيام هؤلاء بنفيي - في هذه الفترة من البرد بالذات - وتهجيرني من مدينة لاخرى بما يفوق تحملي، ومن ثم توقيفي والتضييق عليّ بأكثر من طاقتي وبما يشعر أنه حقدٌ دفين وأمر متعمد مقصود.. كل ذلك ولّد عندي غيظاً وامتعاضاً غير اعتيادي تجاه هؤلاء. ولكن العناية الإلهية أغانثني فنبهت القلب الى هذا المعنى:

#398

ان للقدر الإلهي - الذي هو عدل محض - حصّة عظيمة جداً فيما يسلطه عليك هؤلاء البشر من الظلم البين، وان رزقك في السجن هو الذي دعاك الى السجن، فينبغي اذاً ان تقابل هذه الحصّة بالرضى والتسليم. وان للحكمة الربانية ورحمتها حظاً وافراً ايضاً كفتح طريق النور والهداية الى قلوب المساجين وبث السلوان

والأمل فيهم، ومن ثم احراز الثواب لكم؛ لذا ينبغي تقديم آلاف الحمد والشكر لله - من خلال الصبر - تجاه هذا الحظ العظيم.

وكذا فان لنفسك انت ايضاً حصتها حيث ان لها مالاتعرف من التقصيرات.. فينبغي مقابلة هذه الحصة ايضاً بالاستغفار والتوبة والانابة الى الله وتائب النفس بأنها مستحقة لهذه الصفة.

وكذا فان بعض الموظفين السذج والجناء المنخدعين الذين يساقون الى ذلك الظلم بدسائس الاعداء المتسترين منهم حصة ايضاً ونصيب، فرسائل النور قد تأثرت لك ثاراً كاملاً من هؤلاء المنافقين بما أنزلت بهم من صفعاتها المعنوية المدهشة. فحسبهم تلك الضربات.

أما الحصة الاخيرة فهي لاولئك الموظفين الذين هم وسائط فعلية. ولكن لكونهم منتفعين حتماً من جهة الايمان - سواء أرادوا أم لم يريدوا - عند نظرهم الى رسائل النور وقراءتهم لها بنيتة النقد او الجرح، فان العفو والتجاوز عنهم وفق دستور (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) هو شهامة ونجاة.

وبعد ان تلقيت هذا التنبيه والتحذير الذي كلّه حق وحقيقة قررت أن أظل صابراً وشاكراً جداً في هذه المدرسة اليوسفية الجديدة. بل قررت أن اعاقب نفسي بتقصير لا ضرر فيه فأساعد حتى اولئك الذين يسيئون اليّ ويخاصمونني وأعاونهم.

ثم ان من كان مثلي في الخامسة والسبعين من عمره، وقد انقطعت علاقاته مع الدنيا ولم يبق من احبابه في الدنيا الا خمس من كل سبعين شخصاً، وتقوم سبعون ألف نسخة من رسائل النور بمهمته النورية بكل حرية، وله من الاخوان ومن الورثة من يؤدون وظيفة الايمان بالآلاف الالسنة بدلاً من لسان واحد.. فالقبر لمثلي اذا خير

#399

وأفضل مائة مرّة من هذا السجن. فضلاً عن أن هذا السجن هو أكثر نفعاً وأكثر راحة بمائة مرة من الحرية المقيدة في الخارج، ومن الحياة تحت تحكّم الآخرين وسيطرتهم؛ لان المرء يتحمل مضطراً مع مئات المساجين تحكماً من بعض المسؤولين؛ امثال المدير ورئيس الحراس بحكم وظيفتهم، فيجد سلواناً وكراماً أخوياً من اصدقاء كثيرين من حوله، بينما يتحمل وحده في الخارج سيطرة مئات الموظفين والمسؤولين.

وكذلك الرأفة الاسلامية والفترة البشرية تسعيان بالرحمة للشيوخ ولاسيما من هم في هذه الحالة، فتبدلان مشقة السجن وعذابه الى رحمة ايضاً.. لاجل كل ذلك فقد رضيت بالسجن..

وحينما قُدمت الى هذه المحكمة الثالثة جلست على كرسي خارج باب المحكمة لما كنت أحس من النصب والضييق في الوقوف لشدة ضعفي وشيخوختي ومرضي. وفجأة أتى الحاكم وقال مغاضباً مع إهانة وتحقير: لِمَ لا ينتظر هذا واقفاً؟!.

ففار الغضب في اعماقي على انعدام الرحمة للشيب، والتفتُّ واذا بجمع غفير من المسلمين قد احتشدوا حولنا

ينظرون الينا بعيون ملؤها الرأفة، بقلوب ملؤها الرحمة والاخوة، حتى لم يستطع أحد من صرفهم عن هذا التجمع، وهنا وردت الى القلب هاتان الحقيقتان:

الاولى

ان اعدائي، واعداء النور المتسترين قد اقموا بعض الموظفين الغافلين وساقوهم الى مثل هذه المعاملات المهينة كي يحطموا شخصيتي امام أنظار الناس، ويصرفوا ما لا أرغبه أبداً من توجه الناس واقبالهم عليّ، ظناً منهم أنهم يتمكنون بذلك من إقامة سدّ منبع امام سيل فتوحات النور. فتجاه تلك الاهانة الصادرة من رجل واحد فقد صرفت العناية الإلهية نظري الى هؤلاء "المائة" إكراماً منها للخدمة الايمانية التي تقدمها رسائل النور وطلابها قائلة: "انظر الى هؤلاء، فقد أتوا للترحيب بكم لخدمتكم تلك، بقلوب مملأى بالرأفة والحزن والاعجاب والارتباط الوثيق".

#400

بل حتى في اليوم الثاني عندما كنت أجيب عن اسئلة حاكم التحقيق؛ إحتشد أُلْف من الناس في الساحة المقابلة لنوافذ المقر. كانت ملامح وجوههم تعبر عن وضعهم، وتقول: "لاتضايقوا هؤلاء". ولشدة ارتباطهم بنا، عجزت الشرطة عن ان تفرقهم. وعند ذلك ورد الى القلب:

"ان هؤلاء الناس في هذا الوقت العصيب؛ ينشدون سلواناً كاملاً، ونوراً لا ينطفئ، وايماناً راسخاً، وبشارة صادقة بالسعادة الابدية، بل يبحثون عنها بفطرتهم، وقد طرق سمعهم أن ما يبحثون عنه موجود فعلاً في رسائل النور، لذا يبذلون هذا الاحترام والتقدير لشخصي - الذي لا اهمية له - بما يفوق طاقتي وحدي، من موقع كوني خادماً للايمان، وعسى أن أكون قد قمت بشئ من الخدمة له".

الحقيقة الثانية

لقد ورد الى القلب: انه حيال اهانتنا والاستخفاف بنا بحجة اخلالنا بالامن العام، وازاء صرف اقبال الناس عنا بالمعاملات الدنيئة التي يقوم بها اشخاص معدودون من المغرر بهم.. فان هناك الترحيب الحار والقدر اللائق لكم من قبل اهل الحقيقة وابناء الجيل القادم. نعم، في الوقت الذي تنشط الفوضى والارهاب المتستر بستر الشيوعية للاخلال بالامن العام، فان طلاب رسائل النور يقفون ذلك الأفساد المرعب، في جميع ارجاء البلاد ويكسرون شوكته بقوة الايمان الحقيقي، ويسعون حثيثاً لإحلال الأمن والنظام مكان الخوف والفوضى. فلم تظهر في العشرين سنة السابقة اية حادثة كانت حول اخلاصهم بالامن، رغم كثرة طلاب النور وانتشارهم في جميع انحاء البلاد، فلم يجد ولم يسجل عليهم أحد من الضباط المسؤولين حدثاً، في عشر ولايات وعبر حوالي اربع محاكم ذات علاقة، بل لقد قال ضباط منصفون لثلاث ولايات: "ان طلاب النور ضباط معنويون للأمن في البلاد، انهم يساعدوننا في الحفاظ على الامن والنظام لما يجعلون من فكر كل من يقرأ رسائل النور بالايمان

التحقيقي حارساً ورقبياً عليه فيسعون بذلك للحفاظ على الأمن العام".
وسجن "دينزلي" مثال واضح ونموذج جيد لهذا الكلام، فما ان دخل طلاب النور ورسالة "الثمرة" التي كتبت
للمسجونين حتى تاب أكثر من مائتي سجين وتحلوا

#401

بالطاعة والصلاح، وذلك في غضون ثلاثة أشهر أو تزيد. حتى أن قاتلاً لأكثر من ثلاثة اشخاص كان يتحاشى
أن يقتل (بقة الفراش). فلم يعد عضواً لا يضر، بل أصبح نافعاً رحيماً للبلاد.
فكان الموظفون المسؤولون ينظرون الى هذا الوضع بحيرة وعجاب، حتى صرّح بعض الشباب قبل ان يستلموا
قرار المحكمة: "اذا لبث طلاب النور في السجن فسنحكم على انفسنا وندينها لنظل معهم ونتلمذ عليهم ونصلح
انفسنا بارشاداتهم لنكون امثالهم". فالذين يتهمون طلاب النور الذين لهم هذه الخصائص والخصال ياخذون
الامن لامحالة قد انخدعوا بشكل مفرح، او خُدعوا، او انهم يستغلون اركان الحكومة في سبيل الفوضى
والارهاب - من حيث يعلمون او لا يعلمون - لذا يسعون لإبادتنا واقتلنا في العذاب.
فنحن نقول لهؤلاء:

"مادام الموت لا يقتل والقبر لا يُغلق بابه، وقوافل البشرية في دار ضيافة الدنيا تغيب وتتوارى فيما وراء التراب
بسرعة مذهلة.. فلا مناص اننا سنفترق في اقرب وقت، وسترون جزاء ظلمكم جزاءً رهيباً، وفي الاقل
ستذوقون الموت الذي هو رخصة من الحياة عند اهل الايمان المظلومين، ستذوقونه إعداماً ابدياً لكم،
فالاذواق الفانية التي تكسبونها بتوهمكم الخلود في الدنيا ستنتقل الى آلام باقية مؤلمة دائماً..

ان حقيقة الاسلام التي ظفرت بها هذه الامة المتدينة وحافظت عليها بدماء مئات الملايين من شهدائها الذين
هم بمرتبة الاولياء وسيوف ابطالها المجاهدين يطلق عليها اليوم - مع الاسف - اعداؤنا المنافقون المتسترون اسم
"الطريقة الصوفية" احياناً، ويظهرون الطريقة الصوفية التي هي شعاع واحد من اشعة تلك الشمس المنيرة انها
الشمس نفسها ليموهوا على بعض الموظفين السطحيين. مطلقين على طلاب النور الذين يسعون بجد ونشاط
لابراز حقيقة القرآن وحقائق الايمان اسم "اهل الطريقة الصوفية" او "جمعية سياسية" ولا ييغون من ورائها الآ
التشويه والتحريض علينا. فنحن نقول لهؤلاء ولكل من يصغي اليهم قولتنا التي قلناها امام محكمة دينزلي العادلة:

#402

"ان الحقيقة المقدسة التي افتدتها ملايين الرؤوس فداءً لها رأسنا ايضاً، فلو اشعلتم الدنيا على رؤوسنا ناراً فلن
ترضح تلك الرؤوس التي افتدت الحقيقة القرآنية ولن تسلم القيادة للزندقة ولن تتخلى عن مهمتها المقدسة باذن
الله".

وهكذا فلا أستبدل بسنة واحدة من شيخوختي التي أنشأت حوادثها اليأس والاعباء الثقيلة والتي اسعفها

السلوان النزيه النابع من الايمان والقرآن، مع ما فيها من معاناة وضيق، عشر سنوات بهيجة سارة من حياة شبابي. وبالاخص اذا كان كل ساعة من ساعات التائب المقيم لفرائضه في السجن بحكم عشر ساعات له من العبادة، وان كل يوم يمرّ بالمريض وهو مظلوم يجعل صاحبه يفوز بثواب عشرة ايام خالدة، فكم يكون مثل هذه الحياة مبعث شكر وامتنان لله لمثلي الذي يترب دوره وهو على شفير القبر.

نعم، فهذا هو الذي فهمته من ذلك التنبيه المعنوي، فقلت: شكراً لله بلا نهاية.. وفرحت بشيخوختي ورضيت بالسجن. حيث ان العمر لا يتوقف بل يمضي مسرعاً، فان مضى باللذة والفرح فانه يورث الحزن والاسى؛ لان زوال اللذة يورث الألم، وان مضى مشبعاً بالغفلة خاوياً من الشكر. فانه يترك بعض آثار الآثام ويفنى هو ويمضي. ولكن اذا مضى العمر بالعناء والسجن، فلكون زوال الألم يورث لذة معنوية، وأن مثل هذا العمر يعدّ نوعاً من العبادة؛ لذا يظل باقياً من جهة، فيجعل صاحبه يفوز بعمر خالد بثمرات خالدة خيرة، ومن جهة اخرى يكون كقارة للذنوب السابقة وتزكية للاخطاء التي سببت السجن. فمن زاوية النظر هذه على المسجونين الذين يؤدون الفرائض أن يشكروا الله تعالى ضمن الصبر.

الرجاء السادس عشر

عندما ساقوني منفيّاً الى قسطنطيني¹ بعد أن اكملت سنة محكوميتي في سجن "اسكي شهر" وانا الشيخ الهرم، مكثت موقوفاً هناك في مركز الشرطة حوالي ثلاثة

¹ مدينة تقع في شمالي تركيا، نفي اليها الاستاذ النورسي سنة 1936 وظل فيها تحت الاقامة الاجبارية في غرفة مقابل مخفر الشرطة الى ان سيق منها (سنة 1943) موقوفاً لمحاكمته في محكمة الجزاء الكبرى في "دينزلي". - المترجم.

#403

اشهر. ولا يخفى عليكم مدى الأذى الذي يلحق بمثلي في مثل هذه الاماكن، وقد انزل عن الناس، ولا يتحمل البقاء حتى مع اصدقائه الاوفياء، ولا يطيق أن يبدل زيّه الذي اعتاد عليه. ¹ فبينما كان اليأس يحيط بي من كل جانب، اذا بالعناية الإلهية تغيث شيخوختي، اذ اصبح افراد الشرطة المسؤولين في ذلك المخفر بمثابة اصدقاء أوفياء، حتى كانوا يخرجونني متى شئت للاستحمام والتجوال في سياحة حول المدينة وقاموا بخدمتي كأبي خادم خاص، فضلاً عن أنهم لم يصروا عليّ بلبس القبعة مطلقاً.

ثم دخلت المدرسة النورية التي كانت مقابل ذلك المخفر في قسطنطيني وبدأت بتأليف الرسائل، وبدأ كل من "فيضي وامين وحلمي وصادق ونظيف وصلاح الدين" وامثالهم من ابطال النور يداومون في تلك المدرسة لاجل نشر الرسائل وتكثيرها، وأبدوا في مذكراتهم العلمية القيمة التي أمضوها هناك جدارة تفوق ما كنت قضيتها ايام شبابي مع طلابي السابقين.

ثم بدأ أعداؤنا المتسترون يجرّضون علينا بعضاً من المسؤولين وبعضاً ممن يعتدون بأنفسهم والمغرورين من العلماء والمشايخ الصوفية، فأصبحوا الوسيلة في جمعنا في تلك المدرسة اليوسفية "سجن ديزلي" مع طلاب النور القادمين من عدة ولايات.

هذا وان تفاصيل هذا الرجاء السادس عشر هي في تلك الرسائل التي ارسلتها سرّاً من "قسطموني" والتي ضمت في كتاب "ملحق قسطموني" وفي الرسائل المقتضبة السرية التي كنت قد ارسلتها الى اخواني من سجن ديزلي. ويرد تفاصيله ايضاً في "الدفاع" المرفوع امام محكمة ديزلي.

فحقيقة هذا الرجاء تظهر بوضوح في ذلك، نحيل الى تلك التفاصيل المذكورة في (الملحق) و (الدفاع) ونشير هنا اشارة مختصرة اليها:

¹ حيث اكره الناس على لبس القبعة والزي الاوروي بعد صدور (قانون القيافة). - المترجم.

#404

لقد خبأت بعض الرسائل الخاصة والمجموعات المهمة ولاسيما التي تبحت عن دجال المسلمين (السفياي) وعن كرامات رسائل النور، خبأتها تحت أكوام من الحطب والفحم لأجل أن تنشر بعد وفاتي، او بعد أن تصغي آذان الرؤساء وتعي رؤوسهم الحقيقة ويرجعوا الى صوابهم. كنت مطمئن البال من هذا العمل، ولكن ما ان داهم موظفو التحريات ومعاون المدعي العام البيت واخرجوا تلك الرسائل المهمة المخبوءة من تحت اكوام الفحم والحطب، ساقوني الى سجن "اسبارطة" وانا اعاني من اعتلال صحي ما اعاني. وبينما كنت متألماً بالغ الالم ومستغرقاً في التفكير حول ما اصاب رسائل النور من اضرار، اذا بالعناية الربانية تأتي لأغاثتنا جميعاً حيث بدأ المسؤولون الذين هم في أمس الحاجة الى قراءة تلك الرسائل المخبوءة القيمة، بدأوا بدراستها بكل اهتمام ولهفة، فتحوّلت تلك المحافل الرسمية الى ما يشبه المدارس النورية، اذ انقلب النقد والجرح عندهم الى نظرة الاعجاب والتقدير. حتى انه في (ديزلي) قرأ الكثيرون سواء من المسؤولين او غيرهم - دون علمنا - رسالة "الآية الكبرى" المطبوعة بسرية تامة فازدادوا ايماناً واصبحوا سبباً لجعل مصيبتنا كأن لم تكن.

ثم ساقونا الى سجن ديزلي وزجوني في ردهة كبيرة ذات عفونة ورطوبة شديدتين فوق ما فيها من برودة شديدة، فاعتزاني حزن وألم شديدان من جراء ابتلاء اصدقائي الابرياء بسببي فضلاً عن الحزن النابع مما اصاب انتشار "النور" من عطل ومصادرة مع ما كنت اعانيه من الشيب والمرض.. كل ذلك جعلني اتقلب مضطرباً في ضجر وسأم.. حتى اغاثتني العناية الربانية فحوّلت ذلك السجن الرهيب الى مدرسة نورية، فحقاً ان السجن مدرسة يوسفية، وبدأت رسائل النور بالانتشار والتوسع حيث بدأ أبطال "مدرسة الزهراء" بكتابة تلك الرسائل بأقلامهم الالماسية. حتى أن بطل النور قد استنسخ اكثر من عشرين نسخة من رسالتي

"الثمره" و"الذفاع" خلال مدة لم تتجاوز اربعة اشهر، مع ضراوة تلك الظروف المحيطة، فكانت تلك النسخ سبباً للفتوحات في السجن وفي خارجه فحول ضررنا في تلك المصيبة الى منافع وبدل ضجرنا وحزننا الى افراح، مبدياً مرة اخرى سرّاً من اسرار الآيه الكريمة (وعسى أن تكررهما شيئاً وهو خير لكم) (البقرة: 216).

#405

ثم وُزِعَ ضدنا بيان شديد اللهجة بناء على التقرير السطحي الخاطئ المقدم من قبل "الخبراء الاوليين" وشنّ وزير التربية هجوماً عنيفاً علينا، مما حدا بالبعض أن يطالب باعدامنا بل قد سعوا في الامر.

وفي هذا الوقت العصيب بالذات جاءتنا العناية الربانية فأسعفتنا ايضاً، اذ بينا ننتظر انتقادات لاذعة عنيفة من "خبراء انقره" اذا بتقاريرهم المتضمنة للاعجاب والتقدير برسائل النور، واذا بهم لم يجدوا من مجموع خمسة صناديق من رسائل النور الا بضعة اخطاء لاتتجاوز العشرة. وقد وضحنا امام المحكمة واثبتنا كذلك ان هذه الاخطاء التي اوردوها ليست أخطاءً، بل الحقيقة بعينها، وان الخبراء هم انفسهم على خطأ فيما يدعون، وبيّنا أن في تقريرهم المتكون من خمس اوراق حوالي عشرة اخطاء.

وبينما كنا ننتظر التهديد والايامر المشددة من الدوائر الرسمية السبع التي ارسلت اليها رسائل الثمرة والذفاع كما أرسلت الى دائرة العدل جميع الرسائل، ولاسيما تلك الرسائل الخاصة المتضمنة للصفعات الشديدة والتعرض لاهل الضلالة.. اجل بينما كنا ننتظر التهديد العنيف منهم، إذا بتقاريرهم المسلية وهي في منتهى اللين والرقه - الشبيهة بتلك الرسالة التي بعثها رئيس الوزراء الينا - وكأنهم يريدون رغبتهم في المصالحة معنا. فأثبت - كل هذا - اثباتاً قاطعاً ان حقائق رسائل النور بفضل العناية الإلهية وكرامتها قد غلبتهم وانتصرت عليهم حتى جعلتهم يقرأونها ويستترشدون بها، وحولت تلك الدوائر الرسمية الواسعة الى ما يشبه المدارس النورية، وانقذت كثيراً من الحيارى والمترددین وشدّت من ايمانهم، مما ملأنا بهجة وسروراً هو اضعاف اضعاف ما كنا نعانیه من ضيق وضجر.

ثم دسّ الاعداء المتسترون السُّم في طعامي، ونقل بطل النور الشهيد (حافظ علي) على اثرها الى المستشفى بدلاً عني، ومن ثم ارتحل الى عالم البرزخ ايضاً عوضاً عني، مما جعلنا نحزن كثيراً ونبكي بكاءً حاراً عليه.

لقد قلت يوماً - قبل نزول هذه المصيبة بنا - وانا على جبل قسطنطيني. بل صرخت مراراً: يا اخواني "لا تلتقوا اللحم امام الحصان ولا العشب امام الاسد" بمعنى: لا تعطوا كل رسالة أياً كان حذراً من أن يتعرضوا لنا بسوء. وكان الاخ

#406

"حافظ علي" قد سمع بهاتفه المعنوي كلامي هذا (وهو على بعد مسيرة سبعة ايام). فكتب اليّ - في الوقت نفسه - يقول: "نعم يا استاذي.. انها من احدى كرامات رسائل النور وخصائصها أنها لاتعطي اللحم الحصان ولا

العشب الأسود، بل تعطى العشب الحصان واللحم الأسود!" حتى اعطى ذلك العالم رسالة الاخلاص، وبعد سبعة ايام تسلمنا رسالته هذه، وبدأنا بالعدّ والحساب فعلمنا انه قد كتب تلك العبارة الغريبة نفسها في الوقت الذي كنت ارددها من فوق جبل قسطنطيني.

ف وفاة بطل معنوي مثل هذا البطل من ابطال النور، والمنافقون يسعون لادانتنا وانزال العقوبة بنا، علاوة على قلتي المستمر من اخذهم اياي بأمر رسمي الى المستشفى لمرضي الناشئ من التسمم.. في هذا الوقت وجميع هذه المضايقات تحيط بنا، اذا بالعبارة الإلهية تأتي لإمدادنا؛ فلقد أزال الدعاء الخالص المرفوع من قبل اخواني الطيبين خطر التسمم. وهناك أمارات قوية جداً تدل على أن ذلك البطل الشهيد منهمك في قبره برسائل النور، وانه يجيب بها عن اسئلة الملائكة. وان بطل دنيزلي "حسن فيضي" (تغمده الله برحمته) واصدقاءه الاوفياء سيحلون محله فيقومون بمهمته في خدمة النور سراً.. وان اعداءنا قد انضموا الى الرأي القائل بضرورة اخراجنا من السجن خوفاً من سعة انتشار الرسائل بين المساجين وسرعة استجابتهم لها ليحولوا بيننا وبين السجناء وقد حوّل تلاميذ النور تلك الخلوة المزعجة الى ما يشبه كهف اصحاب الكهف، اولئك الفتيّة المؤمنون، أو ما يشبه مغارات المنزويين من الزهاد، وسعوا بكل اطمئنان وسكينة في كتابة الرسائل ونشرها.. كل ذلك أثبت ان العناية الإلهية كانت تمدنا وتغيثنا.

ولقد خطر للقلب: ما دام الامام الاعظم "ابو حنيفة النعمان" وامثاله من الائمة المجتهدين قد اوذوا بالسجن وتحملوا عذابه، وان الامام احمد بن حنبل وامثاله من المجاهدين العظام قد عذبوا كثيراً لاجل مسألة واحدة من مسائل القرآن الكريم. وقد ثبت للجميع امام تلك المحن القاسية وكانوا في قمة الصبر والجلد، فلم يُبد احدهم الضجر والشكوى، ولم يتراجع عن مسألته التي قالها. وكذا علماء عظام كثيرون وأئمة عديدون لم يتزلزلوا قط امام الآلام والاذى الذي نزل بهم، بل صبروا شاكرين لله تعالى، مع أن البلاء الذي نزل بهم كان أشدّ مما هو نازل بكم، فلا بد أن في

#407

اعناقكم دين الشكر لله تبارك وتعالى شكراً جزيلاً على ما تتحملونه من العذاب القليل والمشقة اليسيرة النازلة بكم في سبيل حقائق عديدة للقرآن الكريم مع الثواب الجزيل والاجر العميم.

وسأين هنا باختصار احدى تجليات العناية الربانية من خلال الظلم الذي يقترفه البشر:

كنت اكرر واقول في العشرين من عمري: سأنزوي في اخريات حياتي في مغارة، مبتعداً عن الحياة الاجتماعية كما كان ينزوي الزهاد في الجبال، وكذلك قررت عندما كنت اسيراً في شمال شرقي روسيا في الحرب العالمية الاولى أن سأقضي بقية ايام عمري في الكهوف والمغارات منسلاً عن الحياة الاجتماعية والسياسية. كفاني تدخلاً.. فتجلت العناية الربانية وعدالة القدر - رحمة بشيخوختي - وحوّلنا تلك المغارات التي كنت أتصورها

الى ما هو خير وافضل منها، وبما يفوق كثيراً رغبتى وقرارى.. حوّلتها الى سجون انزواء وانفراد، ومنحتنا لي "مدارس يوسفية" بدلاً عن تلك المغارات في الجبال للمنزوين واهل الرياضة الروحية، لئلا تضيع اوقاتنا سدى، حيث ان في تلك المغارات فوائد اخروية زيادة عما فيها من اداء مهمة الجهاد لاجل القرآن والحقائق الايمانية. حتى عزمت - بعد الافراج عن اخواني وتبرّتهم - أن أظهر شيئاً يدينني ويقيني في زنازة السجن مع "خسرو وفيضي" وامثالهم من المجاهدين المخلصين المتفرغين للخدمة لأتخذها حجة تغنيني عن الاختلاط بالناس ولئلا أضيع شيئاً من وقتي فيما لايعني من الامور وبالتصنع وحب الظهور، حيث البقاء في ردهات السجن افضل، الا ان القدر الإلهي وما قسم الله لنا من رزق قد ساقني الى محل انزواء آخر. فحسب مضمون (الخير فيما اختاره الله) وبسر الآية الكريمة (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) ورحمة بشيخوختي، ولجل ان نسعى بشوق أكثر في الخدمة الايمانية، فقد وُهبْتُ لنا مهمة، وأوكلت الينا وظيفة، هي خارج إرادتنا وطوقنا في هذه المدرسة اليوسفية الثالثة.

نعم ان في تحويل العناية الإلهية مغارات عهد الشباب الذي لم يكن له اعداء شرسون، الى ردهات السجن المنفرد، ثلاث حِكْم وثلاث فوائد مهمة لخدمة النور:

#408

* الحكمة والفائدة الاولى

اجتماع طلاب النور في هذا الوقت دون ان يتضرر منهم احد اتما يكون في "المدرسة اليوسفية". حيث ان اللقاء فيما بينهم في الخارج قد يثير الشبهة ويحتاج الى مصاريف، اذ كان بعضهم ينفق حوالي خمسين ليرة لاجل لقائي مدة لاتزيد عن عشرين دقيقة، او كان يرجع دون أن يتمكن من مقابلي. لذا فأنا اتحمل ضيق السجن بل أتقبله مسروراً لاجل اللقاء عن قرب مع بعض اخوتي الاوفياء، فالسجن بالنسبة لنا اذن نعمة ورحمة.

* الحكمة والفائدة الثانية

انه لا بدّ من الاعلان والتبليغ في كل جهة في وقتنا هذا عن خدمة الايمان برسائل النور، ولفت أنظار المحتاجين اليها في كل مكان. فدخولنا السجن يلفت الانظار الى الرسائل، فيكون اذن بمثابة اعلان عنها، فيجدها اعنى المعاندين والمحتاجين فتكسر بها شوكة عنادهم وينقدون بها ايمانهم، وينجون من المهالك، وتتوسع دائرة مدارس النور.

* الحكمة والفائدة الثالثة

ان طلاب النور الذين دخلوا السجن يتعرف كل منهم على احوال الآخر، ويتعلم كل منهم من الآخر السجايا الحميدة والاخلاص والتضحية، فلا يباليون بعدئذٍ بالمنافع الدنيوية في الخدمة النورية.

نعم انهم يوقفون بالظفر بالاخلاص الكامل لما يجدون ويرون من أمارات كثيرة تدل على ان كل ضيق ومشقة

في المدرسة اليوسفية لها عشرة اضعافها من الفوائد المعنوية والمادية، ومن النتائج اللطيفة، ومن الخدمات الواسعة الخاصة للايمان، بل قد تصل الى مائة ضعف، وعندئذ لا يتنازلون لكسب المنافع الخاصة الجزئية. وبالنسبة لي فان لأماكن الانزواء والمعتكفات هذه لطافة حزينة الا أنها لذيدة وهي كما يأتي:

اني أجد هنا من الاوضاع والاحوال ما كنت اجدتها في ايام شبابي في بلدي وفي مدرستي القديمة، حيث كان طعام قسم من طلاب المدارس - حسب عادة

#409

الولايات الشرقية - يأتيهم من خارج المدرسة وقسم آخر يطبخونه فيما بينهم في المدرسة، فكلمنا نظرت هنا - مع حالات اخرى متشابهة - تذكرت تلك الحالة ايام شبابي من خلال حسرة لذيدة فأذهب خيالاً الى تلك الايام، وأنسى حالات شيخوختي.

ذيل اللعة السادسة والعشرين

هو المکتوب الحادي والعشرون، نشر ضمن "المكتوبات".

%

اللعة السابعة والعشرون

هي دفاع الاستاذ النورسي امام محكمة اسكي شهر، ينشر في مجموعة "سيرة ذاتية"

#410

%

اللعة الثامنة والعشرون

هذه اللعة عبارة عن فقرات مختصرة كتبها لبعث السلوان الى قلوب اخواني الذين كانوا معي، حينما كنت ممنوعاً عن التكلم والاختلاط مع الاخرين في سجن "اسكي شهر".

محاوره لطيفة

مع سليمان رشدي¹ الذي هو رمز الوفاء والاخلاص، المتميز ببقاء السريرة.

عندما يقترب زمن تسريح الذباب من مهمة الحياة وذلك في موسم الخريف، يستعمل بعض من يقصد نفعه بالذات دواءً لمكافحة الذباب ليحولوا دون ان يسهم شئ من الازعاج. فمس ذلك رقة قلبي واثر في كثيرًا. علماً ان الذباب قد تكاثر أكثر من قبل على الرغم من استعمال الدواء القاتل. وكان في غرفتي في السجن حبل لنشر الملابس لأجل تنشيفها فكانت تلك الطويرات الصغيرة جداً تتراصف على ذلك الحبل مساءً تراصفاً جميلاً

منتظماً. فقلت لرشدي: لا تتعرض لهذه الطويرات الصغيرة، انشر الملابس في مكان آخر. فردّ عليّ بجدّ: اننا بحاجة الى هذا الحبل، فلتجد الذبان لها موضعاً آخر!
وعلى كل حال، ولمناسبة المحاورة اللطيفة التي جرت بيننا انفتح باب البحث عن الذباب والنحل وما شابههما من الحشرات الكثيرة، فدار الكلام حولها.

¹ من تلاميذ الاستاذ النورسي الأوائل في اسبارطة. المترجم.

#411

فقلت له:

ان مثل هذه الانواع من الحيوانات التي تتكاثر نسخها بكثرة هائلة، لها وظائف مهمة. فالكتاب يطبع طبعات كثيرة نظراً لقيّمته. بمعنى ان جنس الذباب¹ له وظيفة مهمة وقيمة كبيرة حيث يُكثر الفاطر الحكيم من نسخ تلك الرسائل القَدْرِيّة وكلمات القدرة الإلهية.

نعم! ان هذه الطائفة من الذباب التي تنظّف وجهها وعينيها وجناحيها كل حين، وكأنها تتوضأ، تشكل موضوعاً مهماً للآية الكريمة: (يا ايها الناس ضُربْ مثلاً فاستمعوا له إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) (الحج:73).

بمعنى ان الاسباب وما يدعيه اهل الضلالة من ألوهية من دون الله لو اجتمعت على خلق ذبابة واحدة لعجزت. اي ان خلق الذباب معجزة ربانية وآية تكوينية عظيمة، بحيث لو اجتمعت الاسباب كلها لما خلقت مثل تلك الآيات الربانية ولا استطاعت ان تعارضها ولا تقلدها قطعاً. فتلك المعجزة قهرت نمرود، ودافعت عن حكمة خلقها دفاعاً فاق ألف اعتراض، لما شكى موسى عليه السلام من ازعاجاتها قائلاً: يا رب لِمَ اكثرت من نسل هذه المخلوقات المزعجة.. أجب إلهاماً: لقد اعترضت مرة على الذبان، وهي كثيراً ما تسأل: يا رب ان هذا الانسان الكبير ذا الرأس الضخم لا يذكر الألسان واحد بل يغفل احياناً عن ذكرك، فلو خلقت من رأسه فحسب مخلوقات من امثالنا لكانت الوف المخلوقات ذاكرة لك.

وفضلاً عن هذا فان الذباب يرفع النظافة ايّما رعاية، اذ ينظف وجهه وعينه باستمرار ويمسح على اجنحته دوماً ويؤدي كل ذلك كمن يتوضأ. اذاً لهذه الطائفة وظائف مهمة وجميلة بلاشك، الا ان نظر الحكمة البشرية وعلمها قاصر لم يحط بعد بتلك الوظائف.

نعم، ان الله سبحانه وتعالى قد خلق قسماً من الحيوانات مفترسة آكلة للحوم، وكأنها موظفات صحيات ومأمورات للتنظيف تؤدي وظيفتها في غاية الاتقان،

¹ الذباب: يطلق على كل حشرة طائرة (ج) أذبة وذبان. المترجم.

#412

بتنظيفها وجه البحر وجمعها لجثث ملايين الحيوانات البحرية يومياً، وانقاذ وجه البحر من المناظر القذرة .
¹ فان لم توف هذه الحيوانات بوظيفتها الصحية حق الوفاء وعلى اجمل وجه لما تلاً وجه البحر كالمراة الساطعة، وكان البحر يورث الكآبة والحزن.

وكذا فانه سبحانه قد خلق حيوانات مفترسة وطيوراً جارحة بمثابة مأمورات للنظافة والامور الصحية، تقوم بتنظيف وجه الارض يومياً من جثث مليارات من الحيوانات البرية والطيور وانقاذها من التعفن، وانقاذ ذوي الحياة من ذلك المنظر الكئيب الأليم. حيث تستطيع تلك الحيوانات ان تتحسس مواضع تلك الجثث الخفية والبعيدة من مسافة تبلغ حوالي ست ساعات، وذلك بسوق من إلهام رباني، فتنتقل الى تلك المواضع وتزيل الجثث. فلولا هذه الموظفين الصحيات البرية وهي تؤدي وظائفها على افضل وجه لكان وجه الارض في حالة يرثى لها.

نعم، ان الرزق الحلال للحيوانات الوحشية المفترسة هو لحوم الحيوانات الميتة، وحرام عليها لحوم الحيوانات الحية، بل لها جزاء إن أكلت منها. فالحديث الشريف (حتى يقتصّ الجماءُ من القرناء).² يدل على أن الحيوانات التي تبقى ارواحها رغم فناء اجسادها لها جزاء وثواب يناسبها في دار البقاء. فعلى هذا يصح القول ان لحوم الحيوانات الحية حرام على المفترسات.

وكذا النمل موظف بجمع شتات القطع الصغيرة للنعم الإلهية وصيانتها من التلف والامتهان لثلاث تداس تحت الاقدام، فضلاً عن جمعه جثث الحيوانات الصغيرة وكأنه موظف صحي.

¹ نعم، ان سمكة واحدة تضع الوفاً من البويضات، فتخرج منها الوفاً من الصغار وحياناً تخرج من مبيضها مليوناً من البويضات، فتكون مواليد الاسماك متناسبة مع وفياتها، كي يمكن ان تحافظ على التوازن في البحر. ومن ألطاف تجليات الرحمن الإلهية تتفاوت اجسام الوالدات تفاوتاً كبيراً مع اجسام صغارها، فلا تستطيع ان تقود صغارها ايما ذهبت، حيث لا يمكنها الدخول في امكان تدخلها الصغار، فيولد الحكيم الرحيم سبحانه قائداً صغيراً من بين الصغيرات ويسخرها في وظيفة الوالدات. -المولف.

² عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لتؤدّن الحقوق الى اهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلهاء من الشاة القرناء) رواه مسلم برقم 2582 والترمذي 2535 (تحفة الأحوذى) وقال: في الباب عن ابي ذر وعبدالله بن أنيس. حديث ابي هريرة حديث حسن صحيح (ومعنى الجلهاء: اي التي لا قرن لها).

#413

وكذا الذبان لها وظائف - اهم مما ذكر - فهي مأمورة بتنظيف مالا يراه الانسان من جراثيم مرضية وتطهير المواد السامة. فهي ليست ناقلة للجراثيم، بل العكس تهلك تلك الجراثيم المضرة وتمحيها بمصها لها واكلها، وتحيل تلك

المواد السامة الى مواد اخرى. فتحوّل دون سريان كثير من الامراض، وتوقفها عند حدّها. والدليل على أن الذباب موظفات صحيات، ومأمورات تنظيف وكيمياويات حاذقات، وان لوجودها حكمة الهية واسعة.. هو كثرتها المتناهية، اذ المواد النافعة والثمينة يكثر منها¹. ايها الانسان الذي يقصد نفع ذاته وحده! انظر الى فائدة واحدة للذباب تعود اليك فحسب مما سوى فوائده ومنافعه للحياة. وتخلّ عن عدائك له. فكما انه يورثك الانس والسلوان في الاغتراب والوحدة والافراد، كذلك يوقظك من نوم الغفلة وغمرات تشتت الفكر، فيذكرك بوظائف انسانية كالحركة والنشاط والنظافة الدائمة بوضوئه وصلاته وتنظيفه وجهه وعينه، كما هو مشاهد.

وكذا النحل - وهي صنف من الذباب - تطعمك العسل الذي هو ألدّ غذاء وألطفه، وهي الملمهة بالوحي الإلهي كما نص عليه القرآن الكريم. فعليك ان توليها حبّك.

ان العداء للذباب لا معنى له، بل هو ظلم واجحاف بحق تلك الحيوانات التي تعاون الانسان وتسعى لصداقته وتتحمّل أذاه. وانما يجوز مكافحة المصرة منها فحسب، وذلك دفعاً لأضرارها، كدفع ضرر الذئب عن الاغنام. فيا ترى أليس من المحتمل ان يكون البعوض والبرغوث المسلّطين علينا حجّامات فطرية، اي موظفات بمص الدم الفاسد الجاري في الاوردة وقت الحر وزيادة الدم أكثر من حاجة الجسم؟.. سبحان من تحيّر في صنعه العقول..

¹ ان الفقرة الآتية للصوفي الشهير "يونس أمره" لطيفة جداً في اشارتها الى مدى "ما في جناح الذباب من خوارق وابداع، ومدى كون الذباب نفسه صنعة ربانية عظيمة: "حملت جناح ذباب على اربعين حمل، فعجزت الاربعون عن حملها وظلت مسطورة هكذا". -المؤلف.

#414

كنت يوماً في جدال مع نفسي، اذ اغترت بما انعم الله عليها، وتوهمت انها مالكة لها، وبدأت بالفخر والمدح. فقلت لها: انك لا تملكين شيئاً بل هو أمانة. فتركت الغرور والفخر. ولكنها تكاسلت قائلة: لِمَ أرعى ما ليس لي؟ وماذا عليّ لو ضاع؟.

وفجأة رأيت ذبابة وقفت على يدي وبدأت بتنظيف وجهها وعينها وجناحها وهي امانات لديها تنظيفاً على اجمل ما يكون، مثلما ينظف الجندي سلاحه وملابسه التي سلّمها له الدولة، فقلت لنفسي: انظري الى هذه الذبابة، فنظرت وتعلّمت منها درساً بليغاً. وهكذا اصبح الذباب استاذاً لنفسي الكسلانة.

ان فضلات الذباب لا ضرر لها من حيث الطب، بل قد تكون شراباً حلوّاً (وغذاء لحشرات اخرى) اذ ليس من المستبعد عن الحكمة الإلهية، بل من شأنها ان تجعل من الذباب مكائن تصفية واجهزة استحالة، نظراً لأكلها

الوف الأصناف من مواد هي منشأ الجراثيم والسموم.
 نعم ان من طوائف الذباب - مما سوى النحل - طائفة تأكل المواد المتعفنة المختلفة¹ فتقطر دوماً قطرات من مواد حلوة بدلاً من فضلاتها - كنزول المنّ على اوراق الاشجار - فتثبت انها مكائن استحالة.
 وهكذا يتبين امام الانظار مدى عظمة امة الذباب الصغير هذا، ومدى عظمة وظائفها. وكأنها تقول بلسان الحال: لا تنظروا الى صغر اجسامنا بل الى عِظَم وظائفنا. وقولوا: سبحان الله.

¹ ان طائفة صغيرة جداً من الذباب تُخلق على هيئة كتلة سوداء، على اغصان اللوز والمشمش، في اواخر الربيع، وتبقى ملتصقة بالغصن، وتسيل منها بدلاً من الفضلات، قطرات شبيهة بالعسل فتتجمع حولها انواع الذباب الاخرى وتمصها. وطائفة اخرى من الذباب تستخدم في تلقيح بعض ازاهير النباتات والاشجار المثمرة، كالتين. وطائفة اخرى للذباب، هي اليراع، المتلمعة ليلاً، وهي العجوبة تلفت الانظار وتدعو الى التدبر والتأمل، كما ان قسماً منها تتلمع لمعان الذهب. ولا ينبغي أن ننسى البعوض والزنابير المجندات الحاملات للرمح. فلو لم تكن زمام هذه الذبان بيد الخالق الرحيم، واغارت على الاحياء والانسان لأفنت نوع الانسان كما قتلت نمرد، وفسّرت لنا المعنى الاشاري للآية الكريمة (وان يسلمهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه). ولهذا فان جنس الذباب الذي يضم مائة من الطوائف المألوفة للمزاي والخواص المذكورة، لها اهميتها التي أهلتها لتكون موضوع الآية الكريمة (يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له..)-المؤلف.

#415

"الحروف القرآنية"¹

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس:82)

يفهم من اشارة هذه الآية الكريمة: ان الخلق يتم بالأمر ، وان خزائن القدرة الإلهية بين الكاف والنون. ولهذا السر الدقيق وجوه كثيرة، وقد ذكر بعضها في الرسائل.

اما الآن فنحاول ان نفهم هذا السر وفق مثال مادي محسوس لأجل تقريب الأحاديث النبوية الواردة حول خواص الحروف القرآنية ومزاياها وتأثيراتها المادية - ولاسيما الحروف المقطعة في اوائل السور- الى نظر هذا العصر المادي، وذلك:

ان للخالق الجليل ذي العرش العظيم سبحانه وتعالى أربعة عروش إلهية، هي محاور لتدبير امور المخلوقات الموجودة على كرة الارض، التي هي بمثابة مركز معنوي للعالم وقلب الكائنات وقبلتها.
 احدها: هو عرش الحفظ والحياة وهو التراب، المظهر لتجلي اسم الحفيظ والمحيي.
 ثانيها: هو عرش الفضل والرحمة وهو عنصر الماء.

ثالثها: هو عرش العلم والحكمة وهو عنصر النور.

رابعها: هو عرش الامر والارادة وهو عنصر الهواء.

اننا نشاهد بابصارنا ظهور المعادن التي تدور عليها حاجات غير محدودة حيوانية وانسانية، وظهور ما لا يحد من النباتات المختلفة، من تراب بسيط كما نشاهد ظهور ما لا يحد من معجزات الصنعة الإلهية ولا سيما من نطف الحيوانات التي هي سائل شبيه بالماء، ظهورها في الاحياء المختلفة بالماء .. اي ظهور تلك الكثرة الكثيرة والانواع

¹ هذه العناوين الصغيرة وضعت من قبلنا. - المترجم.

#416

المختلفة من عنصر بسيط، وبانتظام تام وكتابتها على صحيفة بسيطة على صورة نقوش بديعة لاتحد، مما يدلنا على ان النور والهواء ايضاً - كهذين العرشين - مظاهر لمعجزات عجيبة لقلم علم المصور الازلي العليم الجليل وقلم ارادته وأمره كالعرشين السابقين، رغم بساطتهما.

سندع حالياً عنصر النور. ولمناسبة مسألتنا نحاول كشف الحجاب عما يستر عجائب الامر والارادة وغرائبها في عنصر الهواء الذي يمثل عرش الامر والارادة بالنسبة الى كرة الارض. وذلك:

كما اننا نزرع الحروف والكلمات بالهواء الذي في افواهنا، واذا بها تتسنبل وتثمر، اي ان الكلمة تصبح حبة في آن واحد كأنه بلازمان وتتسنبل في الهواء الخارجي، هواءً حاوياً على ما لا يحد من الكلمة نفسها، صغيرها وكبيرها. كذلك ننظر الى عنصر الهواء فنرى انه مطيع ومنقاد لأمر "كن فيكون" ومسخر له الى حد عظيم حتى كأن كل ذرة من ذراته جندي لجيش منظم متأهب لتلقي الأمر في كل آن، ويُظهر الطاعة والامتثال للارادة المتجلية في أمر "كن" بلازمان، سواءً في ذلك أبعد الذرات وأقربها.

مثلاً: ان الخطاب الذي يلقيه انسان من الاذاعة يُسمع في كل مكان في الارض في الوقت نفسه وكأنه بلا زمان - بشرط وجود الراديو - مما يبين مدى امتثال كل ذرة من ذرات الهواء لتجلي امر "كن فيكون" امتثالاً كاملاً. فالأمر كذلك في الحروف التي هي غير مستقرة في الهواء، يمكن ان تصبح بكيفياتها القدسية مظاهر لتأثيرات خارجية ولخواص مادية كثيرة حسب سر الامتثال هذا. فنشاهد فيها خاصية، كأنها تقلب المعنويات الى ماديات وتحول الغيب الى شهادة.

وهكذا يمثل هذه الامارة، فان امارات اخرى لا تحد تظهر لنا ان الحروف التي هي موجودات هوائية، ولا سيما الحروف المقدسة والحروف القرآنية وبخاصة حروف الشفقات الإلهية وهي المقطعات التي في اوائل السور، تسمع الاوامر وتمثلها امتثالاً في غاية الانتظام والشعور التام والحساسية الكاملة وبلا حاجة الى زمان. فلا

شك ان هذا يحمل المرء على التسليم بالخواص المادية والمزايا الخارقة المروية للحروف التي في

#417

ذرات الهواء ومن حيث القدسية، والتي ينعكس فيها تجلي الارادة الازلية وجلوة من أمر "كن فيكون". وهكذا فان تعابير القرآن الكريم التي تبين احياناً اثر القدرة كأنها صادرة من صفة الارادة وصفة الكلام مبني على هذا السر. فتلك التعابير القرآنية تدل على ان الموجودات تُخلق في منتهى السرعة ومسحرة ومنقادة انقياداً تاماً للأوامر حتى لكأن الأمر ينقذ حكمه كالقدرة.

اي ان الحروف الآتية من الأمر التكويني تؤثر في وجود الاشياء وكأنها قوة مادية، ويظهر الامر التكويني كأنه القدرة نفسها والارادة نفسها. نعم ان هذه الموجودات الخفية التي وجودها المادي هوائي وهي في غاية الخفاء، حتى كأنها موجودات نصف معنوية ونصف مادية، تشاهد فيها آثار الامر والارادة بحيث يشبه الامر التكويني كالقدرة بعينها، بل يصبح القدرة نفسها.

وهكذا لأجل جلب الانظار والحث على التدبر في موجودات كأنها برزخ بين المعنويات والماديات يقول القرآن الكريم: (انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون). لذا فمن المعقول جداً ان تكون الحروف المقطعة التي في اوائل السور امثال: الم، طس، حم، وماشابهها من الشفرات الإلهية، عقداً وازراراً حرفية تستطيع ان تهز أوتار العلاقات الدقيقة الخفية بين ذرات الهواء بلا زمان، بل هذا من شأن تلك الحروف ومن وظائفها أن تؤدي مخبرات قدسية -كاللاسلكي المعنوي- من الارض الى العرش.

نعم ان كل ذرة بل كل ذرات الهواء المنتشرة في اقطار العالم تمتثل الاوامر وتنقلها عبر اللاسلكي والهاتف والبرقية، فضلاً عن نقلها سائر السيلالات اللطيفة كالكهرباء. فلقد شاهدت بالحدس القطعي بل بالمشاهدة الحقة احدي وظائفها - مما سوى المذكورة - في ازاهير اللوز، وهي: ان الاشجار المنتشرة في اقطار الارض كأنها جيش منظم يستلم الامر نفسه في آن واحد. فبمجرد هبوب نسيم رقيق تستلم الامر من تلك الذرات، وتظهر وضعاً معيناً. مما اورثني تلك الحالة يقيناً تاماً وقناعة كاملة. بمعنى ان قيام الهواء في سطح الارض كخادم امين نشط فعال، يخدم ضيوف الرحمن

#418

الرحيم الذين يسكنون سطح الارض، يبلغ في الوقت نفسه أوامر الرحمن بذراته الشبيهة باللاسلكي الى النباتات والحيوانات، بحيث تكون ذراته كلها في حكم خدام الامر وشبيهة بلا قطرات اللاسلكي والهاتف. وفي الوقت نفسه يؤدي بأمر "كن" مهمات جليلة ووظائف منتظمة كثيرة، من امثال تشكيل الحروف في الفم بعد خروجه منه، وتهوية الانفاس واسترواح النفوس، اي بعد ادائه وظيفة تنقية الدم الباعث على الحياة، واشعال الحرارة الغريزية التي هي وقود الحياة، ثم يخرج الهواء من الفم ويكون مبعث نطق الحروف وانطلاقها.. وهكذا

تجري وظائف كثيرة بأمر "كن فيكون".

فبناء على خاصية الهواء هذه، فإن الحروف التي هي موجودات هوائية كلما اكتسبت قداسة، اي اتخذت اوضاع البث والالتقاط يصبح لها حظ وافر من تلك الخاصة.

لذا فلكون حروف القرآن، وهي في حكم العقد، وحروف المقطعات في حكم المركز لرؤوس تلك المناسبات الخفية، وفي حكم عقدها وازرارها الحساسة، يكون وجودها الهوائي مالكا لهذه الخاصة، كما ان وجودها الذهني، بل وجودها النقشي ايضا، لهما خاصية من تلك الخاصة.

اي يمكن بقراءة تلك الحروف وبكتابتها كسب الشفاء - كالدواء المادي - والحصول على مقاصد اخرى.

سعيد النورسي

#419

"الكلمات الإلهية"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (الكهف:109)

ان هذه الآية اللطيفة بحر واسع رفيع زاخر بالآلئ والدرر، ينبغي لكتابة جواهرها النفيسة كتابة مجلد ضخمة، لذا نعلقها الى وقت آخر بمشيئة الله. ولقد تراءى لي من بعيد شعاع صدر من نكتة من نكاتها الدقيقة، فلفت نظر فكري اليه بعد اذكار الصلاة التي اعدّها افضل وقت لخطور الحقائق. الأ أنني لم اتمكن من تسجيل تلك النكتة في حينه، فتباعد ذلك الشعاع كلما مرّ الزمان، فنذكر هنا بضع كلماتٍ لتخط حوله دوائر لاقتناص جلوة منها قبل ان يغيب كلياً ويتوارى عن الانظار.

الكلمة الأولى:

ان الكلام الازلي صفة إلهية، كالعلم والقدرة، لذا فهو غير محدد وغير متناه، والذي لا نهاية له لا ينفد ولو كان البحر مداداً له.

الكلمة الثانية:

ان اظهر شئ للإشعار بوجود شخص ما هو تكلمه، فهو أقوى أثر للدلالة عليه؛ اذ سماع كلام صادر من شخص ما، يثبت وجوده اثباتاً يفوق الف دليل، بل بدرجة الشهود. لذا فان هذه الآية تقول بمعناها الاشاري:

لو كان البحر مداداً لعدّ الكلام الإلهي الدال على وجوده سبحانه وتعالى وكانت الاشجار اقلاماً تكتب ذلك العدد، ما نفذ كلام الله. بمعنى أن ما يدل على الأحد الصمد - دلالة الكلام على المتكلم - لا يعد ولا يحصى

ولا حدّ له، حتى لو كانت البحار مداداً له.

#420

الكلمة الثالثة:

لما كان القرآن الكريم يرشد جميع الطبقات البشرية الى حقائق الايمان، يكرر ظاهراً الحقيقة الواحدة بمقتضى تقريرها في القلوب وتثبيتها في أفكار العامة وإقناعهم.

لذا فهذه الآية الكريمة جواب ضمني لأهل العلم وعلماء اليهود من اهل الكتاب في ذلك الوقت، على اعتراضهم المحجف الظالم ظلاماً بيناً على أمة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وعلى قلة علمه.

فالآية تقول: ان تكرر المسائل الجليلة التي لكل منها قيمة الف مسألة وتتضمن الوفاً من الحقائق - كما هي في مسائل الاركان الايمانية - تكراراً معجزاً وبأساليب شتى، وان تكرر حقيقة واحدة وهي تتضمن كثيراً جداً من النتائج من حيث الفوائد المتنوعة، لإقرارها في قلوب الناس كافة ولا سيما العوام.. هذا التكرار الذي تقتضيه حكم كثيرة - كالتقرير والإقناع والتحقيق - لا يعدّ حصراً للكلام ولا هو نابع من قصور الذهن ولا من قلة البضاعة وقصر الباع، بل لو كانت البحار مداداً، وذوو الشعور كتاباً والنباتات اقلاماً، بل حتى الذرات لو كانت رؤوس اقلام وقامت كلها بعدد كلمات الكلام الإلهي الازلي، ما نفذت ايضاً، لأن كل ما ذكر من امور هي متناهية، وكلمات الله غير متناهية، وهي منبع القرآن الكريم المتوجه الى عالم الشهادة من عالم الغيب مخاطباً الجن والانس والملائكة والروحانيين، فيرّ في اسماع كل فرد منهم. ولا غرو فهو النازل من خزينة الكلام الإلهي الذي لا ينفد.

الكلمة الرابعة:

من المعلوم ان صدور كلامٍ مما لا يُتوقع منه الكلام، يمنح الكلام اهمية ويدفع الى سماعه، ولا سيما الاصداء الشبيهة بالكلام، الصادرة من الاجسام الضخمة كالسحاب وجوّ السماء، فانها تحمل كل احد على سماعها باهتمام بالغ، وبخاصة النغمات التي يطلقها جهاز ضخّم ضخامة الجبل فانها تجلب الاسماع اليها اكثر. ولا سيما الصدى السماوي القرآني الذي يبث - بالراديو - فترن به السموات العلى حتى تسمع هامة الكرة الارضية برمتها. فتصبح ذرات الهواء بمثابة لاقطات تلك الحروف القرآنية ومراكز بثّها. فتكون الذرات بمثابة المرايا العاكسة للانوار والاذان الصاغية

#421

للأصداء، والألسنة الذاكرة لها، وكأنها نهايات إبر لجهاز حاك عظيم تخرج الاصوات.

فالآية تبين رمزاً مدى اهمية الحروف القرآنية ومدى قيمتها ومزاياها وكونها نابضة بالحياة، فتقول بمعناها الاشاري: ان القرآن الكريم الذي هو كلام الله، حي يتدفق بالحيوية، رفيع سام الى حدّ لا ينفد عدد الاسماع التي تنصت

اليه ولا عدد الكلمات المقدسة التي تدخل تلك الاسماع.. لا تنفذ تلك الاعداد حتى لو كانت البحار مداداً والملائكة ككتاباً لها والذرات نقاطاً والنباتات والشعور اقلاماً.

نعم، لا تنفذ، لان الله سبحانه الذي يُكثر في الهواء عدد ما لا روح فيه ولا حياة من كلام الانسان الضعيف، الى الملايين فكيف بعدد كل كلمة من كلام رب السموات والارض الذي لا شريك له والمتوجه الى جميع ذوي الشعور في السموات والارضين.

الكلمة الخامسة: عبارة عن حرفين:

الحرف الاول: كما أن لصفة الكلام كلمات، كذلك لصفة القدرة كلمات مجسمة. ولصفة العلم كلمات قَدَرِيَّة حكيمة وهي الموجودات ولاسيما الأحياء ولاسيما المخلوقات الصغيرة، فكل منها كلمة ربانية بحيث تشير الى المتكلم الازلي اشارة اقوى من الكلام. فهذه الآية الكريمة تومئ الى هذا المعنى: ان إحصاء عدد تلك المخلوقات لا ينفذ حتى لو كانت البحار مداداً له.

الحرف الثاني: ان جميع انواع الالهام الآتي الى الملائكة والانسان وحتى الى الحيوانات، نوع من كلام إلهي. فلاشك ان كلمات هذا الكلام غير متناهية. فان الآية الكريمة تخبرنا عن مدى كثرة ولا نهائية عدد كلمات الالهام والامر الإلهي الذي يستلهمه دوماً ما لا يعد ولا يحصى من جنود رب السموات والارض .

والعلم عند الله .. ولا يعلم الغيب إلا الله

#422

"انزال الحديد"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ) (الحديد:25)

جواب مهم جداً ومختصر عن سؤال يخص هذه الآية الكريمة، طرحه رجل له اهميته وعلى علم واسع، وألزم به بعض العلماء.

سؤال:

يقال: ان الحديد يخرج من الارض ولا ينزل من السماء حتى يقال: "انزلنا". فلم لم يقل القران الكريم: "اخرجنا" بدلاً عن "انزلنا" الذي لا يوافق الواقع ظاهراً؟

الجواب: ان القرآن الكريم قد قال كلمة "انزلنا" لأجل التنبيه الى جهة النعمة العظيمة التي ينطوي عليها الحديد والتي لها اهميتها في الحياة. فالقرآن الكريم لا يلفت الانظار الى مادة الحديد نفسها ليقول "اخرجنا" بل يقول "انزلنا" للتنبيه الى النعمة العظيمة التي في الحديد والى مدى حاجة البشر اليه. وحيث ان جهة النعمة لا تخرج

من الاسفل الى الاعلى بل تأتي من خزينة الرحمة، وخزينة الرحمة بلا شك عالية وفي مرتبة رفيعة معنى، فلا بد ان النعمة تنزل من الاعلى الى الاسفل، وان مرتبة البشر المحتاج اليها في الاسفل، وان الإنعام هو فوق الحاجة. ولهذا فالتعبير الحق الصائب لورود النعمة من جهة الرحمة اسعافاً لحاجة البشر هو: "انزلنا" وليس "اخرجنا".

ولما كان الاخراج التدريجي يتم بيد البشر، فان كلمة "الاجراج" لا يُشعر جهة النعمة ولا يجعلها محسوسةً بأنظار الغافلين.

نعم لو كانت مادة الحديد هي المرادة، فالتعبير يكون "الاجراج" باعتبار المكان المادي. ولكن صفات الحديد، والنعمة التي هي المعنى المقصود هنا، معنويتان؛ لذا لا يتوجه هذا المعنى الى المكان المادي، بل الى المرتبة المعنوية.

#423

فالنعمة الآتية من خزينة الرحمة التي هي احدى تجليات مراتب سمو الرحمن ورفعته غير المتناهية تُرسل من اعلى مقام الى اسفل مرتبة بلاشك؛ لذا فالتعبير الحق لهذا هو: انزلنا. والقرآن الكريم ينبه البشر بهذا التعبير الى ان الحديد نعمة إلهية عظيمة. نعم، ان الحديد هو منشأ جميع الصناعات البشرية ومنبع جميع رقيها ومحور قوتها، فلاجل التذكير بهذه النعمة العظمى يذكر القرآن بكل عظمة وهيبة وفي مقام الامتنان والإنعام قائلاً: (وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) كما يعبر عن اعظم معجزة لسيدنا داود عليه السلام بقوله تعالى (وألثنا له الحديد). اي انه يبين تلين الحديد معجزة عظيمة ونعمة عظيمة لنبي عظيم.

ثانياً: ان "الاعلى" و"الاسفل" تعبيران نسيان، فيكون الاعلى والاسفل بالنسبة الى مركز الكرة الارضية. حتى ان الذي هو اسفل بالنسبة لنا هو الاعلى بالنسبة لقارة امريكا. بمعنى ان المواد الآتية من المركز الى سطح الارض تتغير اوضاعها بالنسبة الى من هم على سطح الارض.

فالقرآن المعجز البيان يقول بلسان الاعجاز: ان للحديد منافع كثيرة وفوائد واسعة، بحيث انه ليس مادة اعتيادية تخرج من مخزن الارض التي هي مسكن الانسان، وليس هو معدناً فطرياً يستعمل في الحاجات كيفما اتفق. بل هو نعمة عظيمة أنزلها خالق الكون بصفته المهيبه "رب السموات والارض" انزلها من خزينة الرحمة وهياًها في المصنع العظيم للكون، ليكون مداراً لحاجات سكنة الارض. فعبر عنه بالانزال قائلاً (وانزلنا الحديد) لأجل بيان المنافع العامة التي ينطوي عليها الحديد وفوائده الشاملة، كما للحركة والحرارة والضياء الآتي من السماء فوائد. تلك التي ترسل من مصنع الكون. فالحديد لا يخرج من المخازن الضيقة لكرة الارض، بل هو في خزينة الرحمة التي هي في قصر الكون العظيم ثم ارسل الى الارض ووضع في مخزنها كما يمكن استخراجها من ذلك المخزن حسب حاجة العصور تدريجياً.

فلا يريد القرآن الكريم ان يبين استخراج الحديد هذا تدريجياً من هذا المخزن الصغير، الارض. بل يريد ان يبين ان تلك النعمة العظمى قد انزلت من الخزينة الكبرى للكون مع كرة الارض، وذلك لاطهار الحديد انه هو اكثر ضرورة لخزينة الارض. بحيث ان الخالق الجليل عندما فصل الارض من الشمس انزل معها الحديد

#424

ليحقق اكثر حاجات البشر ويضمنها. فالقرآن الحكيم يقول باعجاز، ما معناه: انجزوا بهذا الحديد اعمالكم واسعوا للاستفادة منه باخراجه من باطن الارض.

وهذه الآية الجليلة تبين نوعين من النعم التي هي محور لدفع الاعداء وجلب المنافع. ولقد شوهد تحقق منافع الحديد المهمة للبشرية قبل نزول القرآن، إلا ان القرآن يبين ان الحديد سيكون في المستقبل في صور تحيّر العقول سيراً في البحر والهواء والارض حتى انه يسخر الارض ويظهر قوة خارقة تهدد بالموت، وذلك بقوله تعالى (فيه بأس شديد) مظهراً لمعة اعجاز في اخبار غيبي.

* * *

عندما تطرق البحث عن النكتة السابقة انفتح الكلام حول هدهد سليمان. فيسأل احد اخواننا الذي يلح في السؤال: ¹ ان الهدهد يصف الخالق الكريم سبحانه بقوله (يخرج الخبء في السموات والارض) (النمل:25) فما سبب ذكره في هذا المقام الجليل هذا الوصف الرقيق بالنسبة الى الاوصاف الجليلة؟.

الجواب: ان احدى مزايا الكلام البليغ هو ان يُشعر الكلامُ صنعة المتكلم التي ينشغل بها. فهدهد سليمان الذي يمثل عريف الطيور والحيوانات كالبديوي العارف الذي يكشف بالفراسة الشبيهة بالكرامة مواضع الماء الخفية في صحراء جزيرة العرب الشحيحة بالماء. فهو طير ميمون مأمور بايجاد الماء ويعمل عمل المهندس لدى سيدنا سليمان عليه السلام، فلذلك يُثبت بمقياس صنعته الدقيقة، كون الله معبوداً ومسجوداً له، باخراجه سبحانه ما خبي في السموات والارض، فيعرّف اثباته هذا بصنعته الدقيقة.

ألا ما أحسن رؤية الهدهد! اذ ليس من مقتضى فطرة ما تحت التراب من المعادن والنوى والبذور التي لا تحصى، ان تخرج من الاسفل الاعلى. لأن الاجسام الثقيلة التي لا روح لها ولا اختيار لا تصعد بنفسها الى الاعلى، وانما تسقط من الاعلى الى الاسفل. فاخراج جسم مخفي تحت التراب، من الاسفل الى الاعلى ونفض التراب الثقيل الجسيم من على كاهله الجامد لا بد ان يكون بقدره خارقة لا بذاته. فادرك الهدهد أخفى براهين كون الله تعالى معبوداً ومسجوداً له وكشفها بعارفيته ووجد أهم تلك البراهين بصنعته، والقرآن الحكيم منح اعجازاً بالتعبير عنه.

¹ هو "رافت" الغيور في طرح الاسئلة والمتكاسل في كتابة الرسائل. المؤلف.

"انزال الأنعام"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ..) (الزمر: 6)
ان هذه الآية الكريمة تتضمن النكته نفسها التي بيّناها في الآية الكريمة: (وانزلنا الحديد) فهي تؤيدها وتتأيد بها في الوقت نفسه.

نعم، ان القرآن الكريم يقول في سورة الزمر: (وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج) ولا يقول: "وخلق لكم من الانعام ثمانية ازواج" وذلك للإفادة بان ثمانية ازواج من الحيوانات المباركة قد انزلت لكم وارسلت اليكم من خزينة الرحمة الإلهية وكأنها مرسله من الجنة، لان تلك الحيوانات المباركة نعمة بجميع جهاتها للبشرية كافة. فمن أشعارها واوبارها يستفيد البدو في حلّهم وترحالهم، ومنها تنسج الملابس، ومن لحومها تهبأ اللذّ المأكولات، ومن ألبانها تستخرج أطيب الاطعمة، ومن جلودها تصنع الاحذية والنعال وغيرها من المواد النافعة، حتى ان روثها يكون رزقاً للنباتات ووقوداً للانسان. فكأن تلك الحيوانات المباركة قد تجسمت واصبحت النعمة بعينها والرحمة بنفسها. ولهذا أطلق عليها اسم "الأنعام" مثلما اطلق على المطر اسم "الرحمة". فكأن الرحمة قد تجسمت مطراً والنعمة تجسدت في صور شتى من اشكال المعزى والضأن والبقر والجاموس والابل.

وعلى الرغم من ان موادها الجسمانية تُخلق في الارض، فان صفة النعمة ومعنى الرحمة قد غلبتا واستحوذتا على مادتها، فعبر القرآن عنها بـ "انزلنا" الذي يفيد: ان الخالق قد أنزل هذه الحيوانات المباركة من خزينة الرحمة مباشرة، اي ان الخالق الرحيم قد ارسلها من مرتبة رحمته الرفيعة، ومن جنته المعنوية العالية، هدية الى وجه الارض بلا وساطة.

نعم، تُدرج احياناً صنعةٌ تقدّر بخمس ليرات في مادة لا تساوي خمسة قروش، فلا تؤخذ مادة الشئ بنظر الاعتبار، بل تعطى الاهمية للصنعة الموجودة عليها، كالصنعة الربانية العظيمة الموجودة في الجرم الصغير للذباب. وحياناً تكون صنعة زهيدة في مادة ثمينة، فالحكم عندئذٍ للمادة.

على غرار هذا المثال: فان مادة جسمانية قد تحمل من معاني الرحمة ومعاني النعمة الكثيرة بحيث تفوق مائة مرة في الاهمية على مادتها. حتى لكأن مادة ذلك الشئ تخفي وتزوي امام عظم اهمية النعمة والرحمة، لذا فالحكم هنا يتوجه الى حيث النعمة.

وكما تخفي المنافع العظيمة للحديد وفوائده الكثيرة مادته المادية، فان النعمة الموجودة في كل جزء من اجزاء هذه الحيوانات المباركة المذكورة كأنها قد قلبت مادتها الجسمانية الى نعمة، فأخذت صفاتها المعنوية بنظر الاعتبار

دون مادتها الجسمانية. لذا عُبِّرت عنها في الآية الكريمة "وانزل ... وانزلنا".

نعم، ان عبارة "وانزل.. وانزلنا" كما تفيد النكات السابقة من حيث الحقيقة فانها تفيد ايضاً معنى بلاغياً مهماً إفادة معجزة. وذلك :

ان منح الحديد خواص مميزة، كوجوده في كل مكان، وسهولة تليينه كالعجين، نعمة إلهية. حيث يمكن الحصول عليه واستعماله في كل عمل رغم صلابته واختفائه ووجوده في الاعماق فطرة، لذا فان التعبير بـ (وانزلنا الحديد) انما يبين هذا المعنى اي كأن الحديد نعمة من النعم الفطرية السماوية التي يمكن الحصول عليها بيسر، وكأن مادة الحديد تنزل من مصنع علوي رفيع وتسلم بيد الانسان بسهولة.

وكذلك الحيوانات الضخمة كالبقرة والجاموس والابل وغيرها من المخلوقات الجسمية، مسخرة وذليلة ومطبعة ومنقادة حتى لصبي صغير ، اذ تسلم قيادها له وتطيعه. لذا فالتعبير بـ (وانزل لكم من الانعام) يفيد ان هذه الحيوانات المباركة ليست حيوانات دنيوية يُستوحش منها وتلحق بنا الضرر كالبعوض والحية والعقرب والذئب والسبع وما شابهها من الضواري المفترسة، بل كأنها حيوانات آتية من جنة معنوية، لها منافع جليلة، ولا يأتي منها ضرر، بل كأنها تنزل من الاعلى ، اي من خزينة الرحمة.

#427

ولعل المقصود من قول بعض المفسرين: ان هذه الحيوانات قد أنزلت من الجنة ناشئ من هذا المعنى المذكور .¹ ان كتابة صحيفة كاملة حول ايضاح ما في حرف واحد من القرآن الكريم من مسائل ونكات لا تعد اطناباً، فليس اذن من الاسراف في شئ كتابتنا ثلاث صفحات لبيان نكات العبارة القرآنية "انزلنا". بل قد يكون احياناً حرف واحد من القرآن الكريم مفتاحاً لخزينة معنوية عظيمة.

دستور

ان طلاب النور لا يتحرّون عن نورٍ خارج دائرة رسائل النور، وما ينبغي لهم. ولو تحرّى أحدٌ منهم فلا يجد الاً مصباحاً بدلاً من شمس معنوية تضيء من نافذة رسائل النور، بل قد يفقد الشمس.

ثم ان ما في دائرة رسائل النور من مشرب الخلة ومسلك الاخوة، هذا المشرب الخالص والمسلك القوي الذي يكسب الفرد الواحد ارواحاً كثيرة ويظهر سراً من اسرار الاخوة التي ورثها الصحابة الكرام من نور النبوة، هذا المشرب لا يدع حاجة الى البحث عن المرشد الوالد في الخارج - مع إضرار به بثلاث جهات - بل يوجد له بدلاً من الوالد المرشد الواحد، اخواناً كباراً كثيرين. فلاشك ان ما تسبغه انواع الشفقة النابعة من قلوب اخوة كبار، يزيل شفقة الوالد الواحد.

نعم، ان الذي اتخذ لنفسه شيخاً قبل دخوله الدائرة يمكنه ان يحافظ على رابطة بشيخه ومرشده ضمن الدائرة ايضاً، ولكن من لم يكن له شيخ بعد الدخول في الدائرة، ليس له ان يتخذ شيخاً إلا ضمن الدائرة.

¹ لقد قال بعض المفسرين : ان مبادئ هذه الحيوانات قد أتت من السموات. ومرادهم في ذلك: ان بقاء هذه الحيوانات المسماة بالأنعام، انما هو بالرزق، وان ارزاقها هي الاعشاب والنباتات، ورزق الاعشاب آت من المطر، والمطر باعث على الحياة ورحمة نازلة من السماء، فالرزق آت من السموات. والآية الكريمة (وفي السماء رزقكم) (الذاريات:22) تشير الى هذا المعنى. اذ لما كانت ادامة اجسام الحيوانات المتجددة هي بالمطر النازل من السموات، فان التعبير بـ «انزلنا» هو في موضعه اللائق - المؤلف.

#428

ثم ان ما في درس رسائل النور للحقائق من علم الحقيقة الذي يمنح فيض الولاية الكبرى النابعة من سر الوراثة النبوية، لا يدع حاجة الى الانتماء الى الطرق الصوفية خارج الدائرة، إلا من فهم الطريقة على غير وجهها وكأنها رؤى جميلة وخيالات وانوار وأذواق، ويرغب في الحصول على اذواق الدنيا وهوساتها مما سوى فضائل الآخرة، ويطلب مقام المرجعية كعبدة النفس. ان هذه الدنيا دار حكمة. والأجر والثواب فيها على قدر المشقات والتكاليف، وهي ليست دار مكافأة وجزاء. ولهذا لا يهتم اهل الحقيقة بالاذواق والانوار التي في الكشف والكرامات، بل قد يفترّون منها ويريدون سترها.

ثم ان دائرة رسائل النور دائرة واسعة جداً، وطلابها كثيرون جداً، فلا تعقب الذين يهربون منها، ولا تهتم بهم. وربما لا تدخلهم ضمن دائرتها مرة اخرى. لأن الانسان يملك قلباً واحداً والقلب الواحد لا يمكن أن يكون في داخل الدائرة وخارجها معاً.

ثم ان الراغبين في ارشاد الآخرين ممن هم خارج دائرة النور، عليهم ألا ينشغلوا بطلاب النور لأن احتمال خسرانهم بثلاث جهات وارد. فالطلاب الذين هم في دائرة التقوى ليسوا بحاجة الى الارشاد، علماً ان في الخارج الكثيرين من تاركي الصلاة، فترك اولئك والانشغال بهؤلاء المتقين ليس من الارشاد في شئ. فان كان ممن يجب هؤلاء الطلاب فليدخل اولاً ضمن الدائرة، وليكن لهم أخاً، وان كان ذو مزايا وفضائل فليكن لهم اخاً كبيراً.

ولقد تبين في هذه الحادثة ان للانتساب الى رسائل النور اهمية عظيمة وثمناً غالياً جداً، فالراشد الذي بذل هذه التضحيات وجاهد الاحاد باسم العالم الاسلامي، لا يترك هذا المسلك الذي هو أتمن من الألباس ولا يستطيع ان يدخل مسالك اخرى غيره.

سعيد النورسي

#429

فقرة

كتبت في سجن "اسكي شهر"

اخوتي!

لقد دافعتُ دفاعات عديدة عن طلاب النور بما يليق بهم من دفاع، وسأقولها باذن الله في المحكمة وبأعلى صوتي، وسأسمع صوت رسائل النور ومنزلة طلابها الى الدنيا بأسرها. إلا أنني انبهكم الى ما يأتي:
ان شرط الحفاظ على ما في دفاعي من قيمة، هو عدم هجر رسائل النور بمضايقات هذه الحادثة وامثالها، وعدم استياء الأخ من استاذة، وعدم النفور من اخوانه مما يسببه الضيق والضجر، وعدم تتبع عورات الآخرين وتقصيراتهم.

انكم تذكرون ما اثبتناه في رسالة القدر: ان في الظلم النازل بالانسان جھتين وحكمين.

الجهة الأولى: للانسان. والاخرى: للقدر الإلهي

ففي الحادثة الواحدة يظلم الانسان فيما يعدل القدر وهو العادل.

فعلينا ان نفكر - في قضيتنا هذه - في عدالة القدر الإلهي والحكمة الإلهية أكثر مما نفكر في ظلم الانسان.

نعم! ان القدر قد دعا طلاب النور الى هذا المجلس. وان حكمة ظهور الجهاد المعنوي قد ساقتهم الى هذه

المدرسة اليوسفية التي هي حقاً ضجرة وخانقة، فصار ظلم الانسان وسيلة لذلك.

ولهذا، اياكم ان يقول بعضكم لبعض: "لو لم افعل كذا لما اعتقلت".

سعيد النورسي

#430

"شرف الرسائل الرفيع"

اخواني!

لقد أخطر الى قلبي: كما ان المثنوي الرومي قد اصبح مرآة لحقيقة واحدة من الحقائق السبع المفاضة من نور

شمس القرآن الكريم، فاكسب منزلة سامية وشرفاً رفيعاً حتى اصبح مرشداً خالداً لكثير من اهل القلب

فضلاً عن المولويين. كذلك رسائل النور ستنال باذن الله شرفاً رفيعاً سامياً بسبع جهات، وستكون لدى اهل

الحقيقة بمثل مرشدة خالدة رائدة باقية بسبعة اضعاف المثنوي الرومي. لأنها تمثل الانوار السبعة لنور شمس

القرآن الكريم والالوان السبعة المتنوعة في ضيائها، تمثلها دفعة واحدة في مرآتها.

سعيد النورسي

"لطمة رحمة"

اخوتي!

لقد ادركت ان التي نزلت بنا - مع الاسف - هي لطمة رحمة. ادركتها منذ حوالى ثلاثة ايام ويقناعة تامة. حتى انى فهمت اشارة من الاشارات الكثيرة للآية الكريمة الواردة بحق العاصين لله، فهمتها كأنها متوجهة اليها وتلك الآية الكريمة هي: (فلما نسوا ما ذكروا به..... اخذناهم)¹ اي: لما نسي الذين ذكروا بالنصائح، ولم يعملوا بمقتضاها .. اخذناهم بالمصيبة والبلاء.

نعم، لقد كتبتنا مؤخراً رسالة تخص سر الاخلاص، وكانت حقاً رسالة رفيعة سامية، ودستوراً اخوياً نورانياً، بحيث ان الحوادث والمصائب التي لا يمكن الصمود تجاهها الا بعشرة الآف شخص، يمكن مقاومتها - بسر ذلك الاخلاص - بعشرة اشخاص فقط. ولكن أقولها أسفاً: اننا لم نستطع وفي المقدمة أنا، ان نعمل بموجب ذلك التنبيه المعنوي، فأخذتنا هذه الآية الكريمة - بمعناها الاشارى - فابتلي قسم منا بلطمة تأديب ورحمة، بينما لم تكن لطمة تأديب لقسم آخر بل مدار سلوان لهم، وليكسبوا بها لأنفسهم الثواب.

¹ نص الآية الكريمة: (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) (الانعام:44)

#431

نعم، انى لكونى ممنوعاً عن الاختلاط منذ ثلاثة شهور لم استطع ان اطلع على احوال اخوانى الآ منذ ثلاثة أيام، فلقد صدر - مالا يخطر ببالي قط - ممن كنت احسبهم من اخلص اخوانى اعمالاً منافية لسر الاخلاص. ففهمت من ذلك ان معنى اشارياً للآية الكريمة (فلما نسوا ما ذكروا به... اخذناهم) يتوجه اليها من بعيد.

ان هذه الآية الكريمة التي نزلت بحق اهل الضلال مبعث عذاب لهم، هي لطمة رحمة وتأديب لنا؛ لتربية النفوس وتكفير الذنوب وتزبيد الدرجات. والدليل على أننا لم نقدر قيمة ما نملك من نعمة إلهية حق قدرها هو: اننا لم نقتنع بخدمتنا القدسية برسائل النور المتضمنة لأقدس جهاد معنوي، ونالت الولاية الكبرى بفيض الوراثة النبوية وهى مدار سر المشرب الذى تحلى به الصحابه الكرام. وان الشغف بالطرق الصوفية التي نفعها قليل لنا في الوقت الحاضر، واحتمال إلحاقها الضرر بوضعنا الحالى ممكن، قد سُدَّ امامه بتنبيهي الشديد عليه.. والآ لأفسد ذلك الهوى وحدتنا، وادى الى تشتت الافكار الذى ينزل قيمة الترابط والتساند من ألف ومائة وأحد عشر الناشئة من اتحاد أربعة آحاد، ينزلها الى قيمة أربعة فحسب، وادى الى تنافر القلوب الذى يبّد قوتنا إزاء هذه الحادثة الثقيلة ويجعلها أثراً بعد عين.

أورد الشيخ سعدى الشيرازى¹ صاحب كتاب "كلستان" ما مضمونه:

لقد رأيت أحد المتقين من أهل القلب في زاوية "التكية" يزاول السير والسلوك، ولكن بعد مضي بضعة أيام شاهدته في المدرسة بين طلاب العلوم الشرعية، فسألته: لِمَ تركت الزاوية التي تفيض الانوار واتيت الى هذه المدرسة؟ قال: هؤلاء النجباء ذوو الهمم العالية يسعون لإنقاذ الآخرين مع انقاذهم لأنفسهم بينما أولئك يسعون لإنقاذ أنفسهم وحدها إن وفقوا إليها. فالنجابة وعلو المهمة لدى هؤلاء والفضيلة والهمة عندهم، ولأجل هذا جئت الى هنا. هكذا سجل الشيخ سعدى خلاصة هذه الحادثة في كتابه "كلستان".

فلئن رُجِّحت المسائل البسيطة للنحو والصرف التي يقرأها الطلاب مثل: نصر

¹ السعدي شيخ مصلح الدين من شعراء الصوفية الكبار، ومن أرقهم تعبيراً، ولد في مدينة "شيراز"، قدم بغداد استكمالاً لدراساته في علوم الدين في المدرسة النظامية، كان من مريدي الشيخ عبدالقادر الكيلاني، قضى ثلاثين سنة من عمره في الاسفار ونظم الشعر، وكتابه «كلستان» مشهور. - المترجم.

#432

نصراً، نصروا.. على الاوراد التي تُذكر في الزوايا، فكيف برسائل النور الحاوية على الحقائق الايمانية المقدسة في "آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر". ففي الوقت الذي ترشد رسائل النور الى تلك الحقائق باوضح صورة واكثرها قطعياً وثبوتاً حتى لأعتى المعاندين المكابرين من الزنادقة وأشد الفلاسفة تمرداً، وتلزمهم الحجة، كم يكون على خطأ من يترك هذه السبيل او يعطلها او لايقنع بها ويدخل الزوايا المغلقة دون استئذان من الرسائل تبعاً لهواه! ويبين في الوقت نفسه مدى كوننا مستحقين لهذه الصفة، صفة الرحمة والتأديب.

سعيد النورسى

تنبيه

حكایتان صغيرتان

الحكاية الأولى: عندما كنت اسيراً في شمالي روسيا قبل خمسة أعوام¹ في قاعة مصنع كبير، مع تسعين من ضباطنا، كانت المناقشات تحتد والاصوات تتعالى نتيجة الضجر وضيق المكان. وكنت اهدئهم حيث كانوا جميعاً يحترموني. ثم عينت خمساً من الضباط لإقرار الهدوء وقلت لهم: اذا سمعتم الضوضاء في أية ناحية اسرعوا إليها، وعاونوا الجهة غير المحقة. وحقاً لقد انتهت الضوضاء نتيجة هذا العمل. فسألوني: لِمَ قلت: عاونوا غير المحق؟ وقد أجبته حينها: ان غير المحق، هو غير منصف، لا يدع درهماً من راحته لأربعين درهماً من راحة الجميع. اما المحق فيكون ذا انصاف يضحي براحته التي تعدل درهماً، لراحة صديقه التي تعدل اربعين درهماً. وبتخليه عن

راحتة هذه، تسكن الضوضاء وينتهي الصخب ويعم الهدوء. فيرتاح الضباط التسعون الساكنون في هذه القاعة. ولكن اذا مدّ المحقّق بقوة يزداد الصخب أكثر. ففي مثل هذه الحياة الاجتماعية تؤخذ المصلحة العامة بنظر الاعتبار.

¹ المقصود سنة 1916م. - المترجم.

#433

فيا اخوتي!! لا يستاء بعضكم من بعض قائلاً: ان اخي هذا لم ينصفني او اجحف بحقي.. فهذا خطأ جسيم في هذه الحياة وفي اجتماعنا هذا. فلئن اضرك صاحبك بدرهم من الضرر، فانك باستيائك منه وهجرك اياه تلحق اربعين درهماً من الاضرار. بل يجتمل إلحاق اربعين ليرة من الاضرار برسائل النور. ولكن والله الحمد فان دفاعاتنا الحقّة القوية والصائبة جداً قد حالت دون أخذ اصدقائنا الى الاستجواب واخذ افادتهم المكررة، فانقطع دابر الفاسد. والألّ كان الاستياء الذي وقع بين الاخوة يلحق بنا اضراراً جسيمة. كسقوط قشة في العين او سقوط شرارة في البارود.

الحكاية الثانية: كانت لعجوز ثمانية ابناء. اعطت لكل منهم رغيفاً دون ان تستبقي لها شيئاً. ثم ارجع كل منهم نصف رغيفه اليها. فاصبحت لديها اربعة ارغفة، بينما لدى كل منهم نصف رغيف. اخوتي اني اشعر في نفسي نصف ما يتألم به كل منكم من آلام معنوية واتمّ تبلغون الاربعين، اني لا ابالي بالآمي الشخصية. ولكن اضطرت يوماً فقلت: "أهذا عقاب لخطأي وأعاقب به" فتحرّيت عن الحالات السابقة. فشاهدت انه ليس لدي شيء من تهيج هذه المصيبة واثارتها، بل كنت اتخذ منتهى الحذر لأتجنبها. بمعنى ان هذه المصيبة قضاء إلهي نازل بنا.. فلقد دبرتّ ضدنا منذ سنة من قبل المفسدين فما كان بطوقنا تجنبها، فلقد حملونا تبعاتها فلا مناص لنا ممّا كنا نفعل.

فله الحمد والمنة أن هون من شدة المصيبة من المائة الى الواحد.

بناء على هذه الحقيقة: فلا تمنّوا عليّ بقولكم: اننا نعاقب بهذه المصيبة من جرائمك. بل سامحوني وادعوا لي. ولا ينتقدن بعضكم بعضاً. ولا تقولوا: لو لم تفعل كذا لما حدث كذا.. فمثلاً ان اعتراف احد اخواننا عن عدد من اصحاب التواقيع (على الرسائل) انقذ الكثيرين. فهون من شأن الخطة المرسومة في اذهان المفسدين الذين يستعظمون القضية. فليس في هذا ضرر، بل فيه نفع عام عظيم. لانها اصبحت وسيلة لاقتاد الكثيرين من الابرياء.

سعيد النورسي

#434

الفقرات التالية عبارة عن نكتتين:

الأولى: تخص الاخلاق، كتبت لمناسبة ظهور حالات غير مريحة في سجن اسكي شهر من جراء انقباض النفوس.

الثانية: نكتة لطيفة لآية كريمة لطيفة مشهورة الا انها ظلت مستورة.

النكتة الاولى:

ان من كمال الله سبحانه وسعة رحمته وطلاقة عدالته ان ادرج ثواباً ضمن اعمال البر، واخفي عقاباً معجلاً في اعمال الفساد والسيئات. فقد ادرج طي الحسنات لذائد وجدانية معنوية بما يذكر بنعم الآخرة، وادرج في ثنايا السيئات اعذبة معنوية بما يحسس بعذاب الآخرة الاليم.

فمثلاً: ان افشاء المحبة والسلام في صفوف المؤمنين، انما هو حسنة كريمة للمؤمن، فله ضمن هذه الحسنة لذة معنوية وذوقاً وجدانياً وانشراحاً قلبياً ما يذكر بثواب الآخرة المادي. ومن يتفقد قلبه يشعر بهذا الذوق.

ومثلاً: ان بث الخصومة والعداء بين المؤمنين انما هو سيئة قبيحة. فهذه السيئة تنطوي على عذاب وجداني واي عذاب، بحيث يأخذ بخناق القلب والروح معاً، فكل من يملك روحاً حساسة وهمة عالية يشعر بهذا العذاب. ولقد مررت بنفسي - طوال حياتي - بأكثر من مائة تجربة على هذا النوع من السيئات. فكنت كلما حملت عداء على اخ مؤمن تجرعت عذاب تلك العداوة، حتى لم يبق لي ريب من ان هذا العذاب انما هو عقاب معجل لسيئتي التي ارتكبتها. فاعاقب عليها واعذب بها.

ومثلاً: ان توقير الجديرين بالاحترام والتوقير وابداء العطف والرحمة لمن يستحقها عمل صالح وحسنة للمؤمن. ففي هذه الحسنة تكمن لذة عظيمة ومنتعة وجدانية الى حدٍ قد تسوق صاحبها الى التضحية حتى بحياته. فان شئت فانظر الى اللذة التي

#435

تكسبها الوالدات من بذل شفقتن لاولادهن، حتى أن الوالدة تمضي في سبيل تلك الرأفة والشفقة الى الجود بنفسها. بل ترى هذه الحقيقة واضحة حتى في عالم الحيوان، فالدجاجة تهاجم الاسد دفاعاً عن فراخها.

اذن ففي الاحترام والرأفة اجرة معجلة. يشعر بهذه اللذة اولئك الذين يملكون ارواحاً عالية ونفوساً ابية شهمة. ومثلاً: ان في الحرص والاسراف عقوبة معنوية معجلة وجزاء قلبياً، اذ يجعل صاحبه ثملاً من كثرة الشكوى والقلق، فترى العقوبة نفسها بل اشد منها في الحسد والتنافس والغيرة، حتى ان الحسد يحرق صاحبه قبل غيره. وتنقلب الآية في التوكل والقناعة اذ فيها ثواب واي ثواب بحيث انه يزيل آثار المصائب واوضار الفاقة والحاجة.

ومثلاً: ان الغرور والتكبر حمل ثقيل مقيت على كاهل الانسان، حيث انه يتعذب من رؤيته استئقال الآخرين له في الوقت الذي ينتظر منهم احترامه.

نعم! ان الاحترام والطاعة توهب ولا تطلب.

ومثلاً: ان في التواضع وترك الغرور والكبر لذة عاجلة ومكافأة آنية يخلص المتواضع من عبء ثقيل وهو التصنع والرياء.

ومثلاً: ان في سوء الظن وسوء التأويل جزاء معجلاً في هذه الدنيا. حتى غدت "مَنْ دُقَّ دُقٌّ" قاعدة مطردة. فالذي يسئ الظن بالناس يتعرض حتماً لسوء ظنهم. والذي يؤول تصرفات اخوانه المؤمنين تأويلاً سيئاً، لا محالة سيتعرض للجزاء نفسه في وقت قريب.

وهكذا فقس على هذا المنوال جميع الخصال الحسنة والذميمة.

نسأل الله الرحيم ان يرزق الذين يتذوقون طعوم الاعجاز القرآني المعنوي المنبعث من رسائل النور في زماننا هذا ذوق تلك اللذائذ المعنوية المذكورة، فلا تقرب اليهم بأذن الله الاخلاق الذميمة.

#436

النكتة الثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ — مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا — إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ)

(الذاريات: 56-58)

ان ظاهر معنى هذه الآية الكريمة لايبين الاسلوب الرفيع المنسجم مع بلاغة القرآن المعجزة، مثلما جاء في اغلب التفاسير. لذا كان يشغل فكري في كثير من الاحيان. فبين ثلاثة أوجه اجمالاً، من بين المعاني الجميلة الرفيعة التي وردت من فيض القرآن الكريم.

الوجه الاول:

ان الله سبحانه يسند احياناً الى نفسه ما يمكن ان يعود الى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم من حالات، وذلك تكريماً له وتشريفاً.

فها هنا كذلك، اذ المعنى المراد من الآية الكريمة المتصدرة، لا بد ان يكون الاطعام والارزاق الذي يعود الى الرسول صلى الله عليه وسلم، اي:

ان رسولي في ادائه مهمة الرسالة وتبليغه العبودية لله، لا يريد منكم اجراً ولا اجرة ولاجزاءً ولا إطعاماً.. وإلا إن

لم يكن المراد هذا المعنى لكان اعلماً معلوم في منتهى البدهة، مما لا ينسجم وبلاغة القرآن المعجزة.

#437

الوجه الثاني:

الانسان مغرم بالرزق كثيراً، ويتوهم ان السعي الى الرزق يمنعه عن العبودية، فلاجل دفع هذا التوهم، ولكي لا يُنَحَذَ ذريعة لترك العبادة تقول الآية الكريمة (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وتخصر الغاية من الخلق في العبودية لله، وان السعي الى الرزق - من حيث الامر الإلهي - عبودية لله ايضاً. أما احضار الرزق لمخلوقاتي ولأنفسكم واهليكم وحتى رزق حيواناتكم فأنا الكفيل به. فأنتم لم تخلقوا له، فكل ما يخص الرزق والاطعام يخصني أنا وأنا الرزاق ذو القوة المتين.. فلا تحتجوا بهذا فتركوا العبادة، فانا الذي ارسل رزق من يتعلق بكم من عبادي..

ولو لم يكن هذا المعنى هو المراد، لكان من قبيل اعلام المعلوم، لأن رزق الله سبحانه وتعالى واطعامه محال بديهي ومعلوم واضح. وهناك قاعدة مقررة في علم البلاغة تفيد:

ان كان معنى الكلام معلوماً وبديئياً، فلا يكون هذا المعنى مراداً، بل المراد لازمه او تابع من توابعه. فمثلاً: ان قلت لاحدهم وهو حافظ للقرآن الكريم: انت حافظ. فهذا الكلام اعلام بما هو معلوم لديه، فاذا المراد منه هو: انتي اعلم انك حافظ للقرآن، اي: أعلمه بما لا يعلمه، وهو علمي أنه حافظ للقرآن. فبناء على هذه القاعدة يكون معنى الآية التي هي كناية عن نفي رزق الله واطعامه هو: انكم لم تخلقوا لإيصال الرزق الى مخلوقاتي التي تعهدت انا برزقهم. فالرزق أنا به زعيم. فواجبكم الاساس هو العبودية، والسعي على وفق اوامري للحصول على الرزق، وهو بذاته نوع من العبادة.

#438

الوجه الثالث:

ان المعنى الظاهري للآية الكريمة (لم يلد ولم يولد) في سورة الاخلاص، معلوم وبديهي. فيكون المقصود لازماً من لوازم ذلك المعنى. اي: ان الذين لهم والدة وولد لا يكونون الهاً قطعاً.

فيقضي سبحانه وتعالى بقوله (لم يلد ولم يولد) الذي هو بدهي ومعلوم ويعني انه ازلي وابدوي، لاجل نفي الالهية عن سيدنا عيسى عليه السلام وعزير عليه السلام والملائكة والنجوم والمعبودات الباطلة.

فكما أن هذه الآية هكذا فهنا ايضاً يكون معنى الآية الكريمة (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون) ان كل ما يُرزق ويُطعم وله استعداد للرزق والاطعام لا يمكن ان يكون الهاً. فلا تليق الالهية بمن هو محتاج الى الرزق والإطعام.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
(أَوْ هُمْ قَائِلُونَ) (الاعراف: 4)

لقد اهتم "رأفت" بمعنى كلمة "قائلون" الواردة في الآية الكريمة:

(أَوْ هُمْ قَائِلُونَ)

فكُتِبَ هذا البحث لمناسبة استفساره عنها، ولئلا يعطل قلمه الالماسي، بما يصيبه من انحلال في الجسم بسبب نومه بعد صلاة الفجر كالأخرين معه في السجن.

النوم على انواع ثلاثة:

الاول: الغيلولة:

وهي النوم بعد الفجر حتى انتهاء وقت الكراهة. هذا النوم مخالف للسنة المطهرة؛ اذ يورث نقصان الرزق، وزوال بركته، كما هو وارد في الحديث الشريف. حيث ان افضل وقت لتهيئة مقدمات السعي لكسب الرزق هو في الجو اللطيف، عقب الفجر، ولكن بعد مضيه يطرأ على الانسان خمول وانحلال، مما يضرّ بسعيه في ذلك اليوم، وبدوره يضر بالرزق، كما يسبب زوال بركته، وقد ثبت هذا بتجارب كثيرة.

الثاني: الفيولة:

وهي النوم بعد صلاة العصر حتى المغرب، هذا النوم يسبب نقصان العمر، اي: يتناقص عمر الانسان مادياً في اليوم الذي يشوّب بالنوم المورث للغفلة؛ اذ يبدو ذلك اليوم قصيراً ناقصاً مثلما يكون قضاء وقت العصر بالنوم في حكم عدم رؤية نتائج معنوية لذلك اليوم، تلك النتائج التي تتظاهر على الاغلب في ذلك الوقت. فيكون الانسان كأنه لم يعيش ذلك اليوم.

الثالث: القيلولة:

وهي سنة نبوية شريفة، ويبدأ وقتها من الضحى الى ما بعد الظهر بقليل. ومع كون

هذا النوم من السنة المطهرة¹ فانه يعين على قيام الليل، وقد رَسَّخَ هذه السنة النبوية ما اعتاد عليه اهل الجزيرة العربية من تعطيل نسبي للاعمال عند اشتداد الحر من الظهر حسب محيطهم. وهذا النوم يطيل العمر ويزيد الرزق؛ لان نصف ساعة من القيلولة يعادل ساعتين من نوم الليل، اي انه يزيد عمر يومه ساعة ونصف

الساعة. وينتقد ساعة ونصف الساعة ايضاً من النوم الذي هو صنو الموت، ويحييها بتزويد وقت عمله كسباً للرزق، فيطيل زمن السعي والعمل.

سعيد النورسي

* * *

¹ عن انس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قلوا فان الشياطين لاتقيل» حديث حسن اخرجه ابو نعيم في الطب 1/12 كما في الاحاديث الصحيحة، واخرجه الطبراني في الاوسط 2725، وقال الحافظ في الفتح 70/11 وفي سنده كثير بن مروان وهو متروك ورمز السيوطي لحسنه، وهو كما قال (انظر فيض القدير 531/4 والمقاصد الحسنة 56 وكشف الخفاء 330 وصحيح الجامع الصغير برقم 4307. وعن انس رضي الله عنه قال: كنا نبكر بالجمعة ونقيل بعد الجمعة، اخرجه البخاري برقم 905، 940، وعن سهل بن ساعد قال: ما كنا نقيل ولا نتغذى الا بعد الجمعة، اخرجه البخاري 939. قال الحافظ في الفتح 70/11: اخرج سفيان بن عيينة في جامعه من حديث خوان بن جبير رضي الله عنه موقوفاً قال: نوم اول النهار حرق واوسطه خلق واخره حمق. وانظر الفتح 428/2 انهم كانوا يؤخرون القائلة حتى تكون بعد صلاة الجمعة اذ العادة في القائلة ان تكون قبل الزوال.

#441

وهذه خاطرة جميلة

حينما كنت اقرأ جملة "ألف ألف صلاة وألف سلام عليك يا رسول الله" عقب الصلاة، تراءت لي من بعيد خاطرة لطيفة انكشفت من تلك الصلوات، الا اني لم أتمكن من اقتناصها كاملة، ولكن ساشير الى بعض جملها:

رأيت ان عالم الليل شبيه بمنزل جديد يفتح لدار الدنيا.. دخلت ذلك العالم في صلاة العشاء، ومن انبساط فوق العادة للخيال وبحكم ارتباط ماهية الانسان مع الدنيا قاطبة رأيت ان هذه الدنيا العظيمة قد اصبحت في ذلك الليل منزلاً صغيراً جداً حتى لا يكاد يرى ما فيه من بشر وذوي حياة. ورأيت خيلاً أن ليس هناك من ينور ذلك المنزل الا الشخصية المعنوية للرسول صلى الله عليه وسلم حتى امتلأت ارجاؤه بهجة وانساً وسروراً. وكما يبدأ الشخص بالسلام عند دخوله المنزل، كذلك وجدت في نفسي شوقاً هائلاً ورغبة جياشة الى القول: ألف ألف سلام عليك يا رسول الله .. ¹ ومن هنا وجدت نفسي كأنتي اسلم عليه بعدد الانس والجن واعبر بسلامي هذا عن تجديد البيعة له والرضى برسالته وقبولها منه واطاعة القوانين التي أتى بها، والتسليم لاوامره وسلامته من بلايانا. أي كأنتي اقدم هذا السلام - ناطقاً تلك المعاني - باسم كل فرد من افراد عالمي وهم ذوو الشعور من جن وانس، وجميع المخلوقات.

وكذا فان ما جاء به من النور العظيم والهدية الغالية ينور عالمي الخاص هذا كما ينور العالم الخاص لكل احد في هذه الدنيا، فيحوّل عالمنا الى عالم زاخر بالنعم. فقلت

1 ذلك لان الرحمة النازلة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هي متوجهة لحاجة الامة قاطبة في زمن ابدى، لذا فالصلاة غير المتناهية التي تهدي اليه منسجمة جداً.

فلو دخل شخص بيتاً خالياً مظلماً موحشاً - كالدنيا المظلمة الموحشة بالغفلة - كم سيأخذ الرعب والدهشة والاضطراب؟ ولكن كم يسره ويؤنسه ويفرحه وينوره لو رأى أن شخصاً قد تصدر ذلك البيت يعرفه بجميع ما فيه؟ فما بالك لو كان هذا الشخص هو الحبيب المحبوب والانس المأنوس وهو الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم، متصدر بيت العالم، يعرف لنا المالك الرحيم الكريم بما فيه من اشياء.

قس هكذا لكي تقدر بنفسك قيمة الصلوات عليه ولذتها. - المؤلف.

#442

تجاه هذه النعمة الهائلة: "اللهم أنزل ألف صلاة عليه" علماً تكون شكراناً و عرفانا للجميل على ذلك النور الحبيب والهدية الغالية، اذ اننا لانستطيع أن نرد جميله واحسانه الينا أبداً، فأظهرنا تضرعنا الى الله جل وعلا بالدعاء والتوسل كي ينزل من خزائن رحمته رحمة عليه بعدد اهل السموات جميعاً.. هكذا احسست خيلاً.

فهو صلى الله عليه وسلم يطلب صلاة بمعنى "الرحمة" من حيث هو "عبد" ومتوجه من الخلق الى الحق سبحانه. ويستحق "السلام" من حيث أنه "رسول" من الحق سبحانه الى الخلق.

وكما اننا نرفع اليه سلاماً بعدد الانس والجن، ونجدد له البيعة العامة بعددها ايضاً، فانه صلى الله عليه وسلم يستحق ايضاً صلاة من خزائن الرحمة الإلهية بعدد اهل السموات، وبأسم كل واحد منهم؛ ذلك لان النور الذي جاء به هو الذي يظهر كمال كل شئ في الوجود، ويبرز قيمة كل موجود، وتُشاهد به الوظيفة الربانية لكل مخلوق، وتتجلى به المقاصد الإلهية من كل مصنوع. لذلك لو كان لكل شئ لسان لكان يردد قولاً كما يردد حالاً: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله.. فنحن بدورنا نقول بدلا عن المخلوقات كافة:

- ألف ألف صلاة وألف ألف سلام عليك يا رسول الله بعدد الانس والجن وبعدد الملك والنجوم.

فيكفيك ان الله صلى بنفسه واملأكه صلت عليه وسلمت

سعيد النورسي

* * *

#443

اخي العزيز:

تطلبون شيئاً من الايضاح حول "وحدة الوجود" ففي احدى لمعات "المكتوب الحادي والثلاثين" جواب شاف وقوي واضح إزاء رأي محي الدين بن عربي في هذه المسألة.

اما هنا فنكتفي بهذا القدر ونقول:

ان تلقين مسألة "وحدة الوجود" في الوقت الحاضر للناس يضرهم ضرراً بالغاً، اذ كما ان التشبيهات والتمثيلات¹، اذا خرجت من ايدي الخواص ودخلت ايدي العوام وسرت من يد العلم الى يد الجهل تُتلقى حقائق كذلك وحدة الوجود وامثالها من الحقائق العالية، اذا ما دخلت بين العوام الغافلين السارحين في تأثير الاسباب، يتلقونها "طبيعة" وتولد ثلاث مضار مهمة.

الضرر الاول:

ان مشرب وحدة الوجود، مع انه في حكم انكار وجود الكائنات ازاء وجود الله سبحانه، الا انه كلما دخل بين العوام يمضي بهم الى أن يصل في فكر الغافلين منهم ولاسيما الملوثين بالماديات الى انكار الالهية ازاء الكون والماديات.

الضرر الثاني:

ان مشرب وحدة الوجود، يردّ رداً شديداً ربوبية ما سوى الله تعالى، حتى انه ينكر ما سواه تعالى ويرفع الثنائية، فلا يرى وجوداً مستقلاً للنفس الامارة ولا لأي شيء كان، ولكن في هذا الزمان، الذي استولت فيه مفاهيم الطبيعة وتفرعت نفوس امارة وبخاصة من له استعداد ليتخذ نفسه معبوده من دون الله، ونفخ الغرور والاثانية في اوداجه، فضلا عن نسيان الخالق والآخرة الى حد ما. فتلقين هؤلاء بوحدة الوجود يطغي نفوسهم حتى لايسعها شيء، والعياذ بالله.

¹ كالمملكين العظمين المسميين بالثور والحوت، انقلبا بسر التشبيه عند العوام الى صورة ثور ضخّم وحوت كبير. - المؤلف.

الضرر الثالث:

انه يورث افكارا وتصورات لاتليق بوجوب وجود الذات الجليلة، المنزهة المبرأة المتعالية المقدسة عن التغير والتبدل والتجزؤ والتحيز، ولاتلائم تنزهه وتقدهه سبحانه بحال، فيكون بذلك سببا لتلقيينات باطلة. نعم! ان من يتكلم عن وحدة الوجود عليه ان يعرج فكراً من الثرى الى الثريا تاركاً الكائنات وراءه ظهريا، محققاً بنظره الى العرش الاعلى، عاداً الكائنات معدومة في حالة الاستغراق، فيمكنه ان يرى بقوة الايمان ان كل شيء من الواحد الاحد سبحانه مباشرة. والا فان من يقف وراء الكائنات وينظر اليها ويرى الاسباب امامه

وينظر من الارض ، فانه يحتمل ان يغرق في تأثير الاسباب ويقع في مستنقع الطبيعة ، بينما الذي يعرج فكراً الى العرش كجلال الدين الرومي ¹ يستطيع ان يقول: "افتح سمعك فانك تستطيع أن تسمع من كل أحد - كأنه حاك فطري - ما تسمعه من الحق تعالى". والا فمن لا يستطيع العروج مثله الى هذه المرتبة الرفيعة ولا يرى الموجودات من الفرش الى العرش على صورة مرايا (لتجلياته) ان قلت له:

"اصغ الى كل أحد تسمع منه كلام الله" فانه يبتلى بتصورات باطلة مخالفة للحقيقة كمن يهوي معنى من العرش الى الفرش.

(قل الله ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) (الانعام: 91).

ما للتراب ولرب الارباب.

سبحان من تقدس عن الاشباه ذاته وتزهت عن مشابهة الامثال صفاته وشهد على ربوبيته آياته جل جلاله ولااله الا هو.

سعيد النورسي

* * *

¹ الرومي (مولانا جلال الدين): (604 - 672هـ) (1207 - 1273م) عالم بفقہ الحنفية والخلاف وانواع العلوم، ثم متصوف صاحب (المثنوي) المشهور بالفارسية المستغني عن التعريف في ستة وعشرين ألف بيت، وصاحب الطريقة المولوية. ولد في بلخ (بفارس) استقر في (قونية) سنة 623هـ عرف بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الاسلامية، فتولى التدريس بقونية في اربع مدارس بعد وفاة ابيه سنة 628 هـ ، من مؤلفاته: ديوان كبير، فيه ما فيه، مكتوبات. - المترجم.

#445

جواب عن سؤال

لايسعني الوقت الكافي لعقد موازنة بين افكار كل من مصطفى صبري ¹ وموسى باكوف ² الا اني اکتفي بالقول الآتي:

ان احدهما قد افرط والآخر يفرط. فمع ان مصطفى صبري محق في دفاعاته بالنسبة الى موسى باكوف الا انه ليس له حق تزيف شخص محي الدين بن عربي الذي هو خارقة من خوارق العلوم الاسلامية.

نعم، ان محي الدين بن عربي مهتد ومقبول ولكنه ليس بمرشد ولاهاد وقدوة في جميع كتاباته، اذ يمضي غالباً دون ميزان في الحقائق، فيخالف القواعد الثابتة لأهل السنة، ويفيد بعض أقواله - ظاهراً - الضلالة غير انه برىء من الضلالة، اذ الكلام قد يبدو كفراً بظاهره، الا أن قائله لا يكون كافراً.

فمصطفى صبري لم يراع هذه النقاط بنظر الاعتبار ففرط في بعض النقاط لتعصبه لقواعد اهل السنة. أما موسى باكوف فهو يخطئ كثيراً بافكاره التي تماشي التمدن والمنحازة شديداً للتجدد. اذ يحرف بعض الحقائق الاسلامية بتأويلات خاطئة ويتخذ شخصاً مردوداً كابي العلاء المعري في مستوى اعلى من علماء الاسلام المحققين وقد غالى كثيراً لانحيازه الشديد الى تلك المسائل التي خالف فيها محي الدين اهل السنة والتي تنسجم مع افكاره.

ولقد قال محي الدين: "تحرم مطالعة كتبنا على من ليس منا" أي على من لايعرف مقامنا. نعم ان قراءة كتب محي الدين ولاسيما مسائله التي تبحث في وحدة الوجود مضرّة في هذا الزمان.
سعيد النورسي

1 مصطفى صبري (1869 - 1954) تولى مشيخة الاسلام في الدولة العثمانية، قاوم الحركة الكمالية، هاجر الى مصر، ألف كتباً اهمها (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المسلمين). - المترجم.
2 موسى جارالله (باكوف) تركستاني، قازاني، شيخ الاسلام في روسيا قبل الثورة البلشفية، ألف ما يقارب (120) كتاباً في مختلف موضوعات الاسلام آراؤه تنحو منحى التجدد والتحرر، أيد الثورة مدة من الزمن تخلصاً من القيصرية ثم تبين له الامر، فسجن عدة مرات. سافر الى بلدان كثيرة، وأهم مؤلفاته: الوشيعة في نقد عقائد الشيعة - توفي في ملجأ العجزة بالقاهرة. - المترجم.

#446

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

عندما كنت انظر من نافذة السجن، الى ضحكات البشرية المبكية، في مهرجان الليل البهيج، انظر اليها من خلال عدسة التفكير في المستقبل والقلق عليه، انكشف امام نظر خيالي هذا الوضع، الذي ابينه: مثلاً تشاهد في السينما اوضاع الحياة لمن هم الآن راقدون في القبر، فكأنني شاهدت امامي الجنائز المتحركة لمن سيكونون في المستقبل القريب من اصحاب القبور.. بكيت على اولئك الضاحكين الآن، فانتابني شعور بالوحشة والالام. راجعت عقلي، وسألت عن الحقيقة قائلاً: ما هذا الخيال؟ قالت الحقيقة: ان خمسة من كل خمسين من هؤلاء البائسين الضاحكين الآن والذين يرحون في نشوة وبهجة سيكونون كهولاً بعد خمسين عاماً، وقد انخنت منهم الظهور وناهز العمر السبعين. والخمسة والاربعين الباقية يُرمون في القبور. فتلك الوجوه الملاح، وتلك الضحكات البهيجة، تنقلب الى أضدادها. وحسب قاعدة "كل آتٍ قريب" ¹ فان مشاهدة ما سيأتي كأنه آتٍ الآن تنطوي على حقيقة، فما شاهدته اذاً ليس خيلاً.

فما دامت ضحكات الدنيا المتسمة بالغفلة مؤقتة ومعرضة الى الزوال، وهي تستر مثل هذه الاحوال المؤلمة

المبكية. فلا بد أن ما يسرّ قلب الانسان البائس العاشق للخلود، ويفرح روحه الولهان بعشق البقاء، هو ذلك اللهو البرئ والمتعة النزيهة وافراح ومسرات تخلد بثوابه، ضمن نطاق الشرع، مع اداء الشكر باطمئنان القلب وحضوره بعيداً عن الغفلة. ولئلا تقوى الغفلة في النفوس في الاعياد، وتدفع الانسان الى الخروج عن دائرة الشرع، ورد في الاحاديث الشريفة ترغيب قوي وكثير في الشكر وذكر الله في تلك الايام. وذلك لتقلب نعم الفرح والسرور الى شكر يديم تلك النعمة ويزيدها، اذ الشكر يزيد النعم ويزيل الغفلة.

سعيد النورسي

¹ رواه ابن مردويه عن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً، وروى البيهقي في الأسماء والصفات عن ابي شهاب مرسلأً (كشفت الخفاء 114/2)- المترجم.

#447

بسم الله الرحمن الرحيم
نكتة من نكات الآية الكريمة:

(ان النفس لأمارة بالسوء) (يوسف: 53)

والحديث الشريف: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك). ¹ نعم! ان الذي يجب نفسه الامارة بالسوء - غير المزكاة - ويعجب بها، هو في الحقيقة لا يجب أحداً غيرها، وحتى لو ابدى للغير حباً فلا يحبه من صميم قلبه، بل ربما يحبه لمنافعه، ولما يتوقع منه من متاع. فهو في محاولة دائمة لتحجيب نفسه للآخرين وفي سعي متواصل لأثارة اعجابهم به، يصرف كل قصور عن نفسه فلا يحمّلها اي نقص كان، بل يدافع دفاع المحامي المخلص لإبراء ساحتها، ويمدحها بمبالغات بل بأكاذيب لينزّها عن كل عيب او قصور، حتى يقربها الى التقديس، بل يبلغ به الامر ان يكون مصداق الآية الكريمة (من أتخذ ألهه هواه) (الفرقان: 43) عندها تتوالى عليه صفعات هذه الآية الكريمة - حسب درجته - فينقلب مدحُه الى إعراض الناس عنه، ويتحول تحجيب نفسه اليهم الى استنقالهم له، فيجد عكس ما كان يروم، فضلاً عن أنه يضيّع الاخلاص، لما يخلط من رياء وتصنع في اعماله الأخروية، فيكون مغلوباً على أمره امام شهواته وهواه ومشاعره، تلك التي لاتبصر العقبي ولاتفكر في النتائج والمغرمة بالتلذذ الآني. بل قد تبرر له اهواؤه الضالة اموراً يرتكبها لاجل متعة لاتدوم ساعة يفضي به ان يلتقي في السجن لسنة كاملة. وقد يقاسي عشر سنوات من الجزاء العادل لاجل تسكين روح الثأر لديه وشهوة الغرور التي لا تستغرق دقيقة واحدة. فيكون مثله كمثل ذلك الطفل الابله الذي لايقدر قيمة جزء المصحف الشريف الذي يتلوه ويدرسه فيبيعه بقطعة حلوى رخيصة، اذ يصرف حسناته التي هي اغلى من الالماس ويبدلها بما يشبه في تفاهتها قطع الزجاج، تلك هي حسياته وهواه وغروره. فيخسر خسارة جسيمة فيما كان ينبغي له ان يربح

ربحاً عظيماً.

اللهم احفظنا من شر النفس والشيطان ومن شر الجن والانس.

¹ اعدى اعدائك نفسك التي بين جنبيك»، رواه البيهقي في الزهد باسناد ضعيف وله شاهد من حديث أنس.. والمشهور على الالسنة: اعدى عدوك..إهد (كشف الحفاء 143/1) قال العراقي في تخریج الاحياء (كتاب عجائب القلب): اخرجته البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان احد الوضاعين.إهد وقال الزبيدي في شرح الاحياء 206/7 تعقيماً على العراقي: ووجدت بخط ابن حجر ما نصّه: وللحديث طرق اخرى غير هذه من حديث أنس.

#448

سؤال:

كيف يكون البقاء في سجن جهنم بقاءً خالداً جزاءً عادلاً لكفر في زمن قصير؟

الجواب: ان القتل الذي يحصل في دقيقة واحدة يعاقب عليه بسبع ملايين وثمانمائة واربع وثمانين الفاً من الدقائق - على اعتبار السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً. فان كان هذا قانوناً عادلاً، فالذي يقضي عشرين سنة من عمره في احضان الكفر ويموت عليه يستحق جزاءً بمقتضى هذا القانون العادل للبشر سجنًا يدوم سبعة وخمسين ترليوناً وواحداً ومائتي ملياراً ومائتي مليوناً من السنين، باعتبار دقيقة من الكفر تعادل ألف قتل ويمكن ان يفهم من هذا وجه الانسجام مع عدالة قوله تعالى: (خالدين فيها ابداً) (البيّنة: 8).

ان سر العلاقة بين العديدين المتباعدين جداً بعضهما عن بعض، هو ان الكفر والقتل تخريب وتعدّد على الآخرين، ولهما تأثير في الآخرين، فالقتل الذي يحصل في دقيقة واحدة يسلب خمس عشرة سنة في الاقل من حياة المقتول، حسب ظاهر الحال، لذا يسجن القاتل بدلاً منه، فدقيقة واحدة في الكفر الذي هو انكار لألف اسم واسم من الاسماء الحسنی وتزييف لنقوشها البديعة.. واعتداء على حقوق الكائنات.. وانكار لكمالاتها.. وتكذيب لدلائل الوحدانية التي لا يحد وردّ لشهاداتها.. تلقي بالكافر في اسفل سافلين لاكثر من الف سنة، فتسجنه في قوله تعالى (خالدين....)

سعيد النورسي

* * *

#449

توافق لطيف ذو مغزى:

ان المادة (163) من القانون التي يتهم بموجها طلاب النور، ويُطالب بها انزال العقوبة عليهم. هذا الرقم يتوافق

مع عدد النواب الذين وافقوا على لائحة البرلمان الخاصة بمنح مائة وخمسين الف ليرة لبناء مدرسة مؤلف رسائل النور، وقد كانوا (163) نائباً من بين (200) نائباً في مجلس الأمة التركي.

هذا التوافق يقول معنى: ان توافق (163) نائباً من نواب حكومة الجمهورية على وجه التقدير والاعجاب بخدمته يُبطل حكم المادة (163) بحقه.

وكذا من بين التوافقات اللطيفة ذات المغزى:

لقد كان القبض على مؤلف رسائل النور وطلابه واعتقالهم في 27/نيسان/1935 بينما كان قرار المحكمة بحقهم في 19/آب/1935 اي بعد (115) يوماً. هذا الرقم يتوافق مع عدد كتب رسائل النور وهو (115) كتاباً يضم (128) رسالة.

كما انه يوافق عدد المتهمين المائة وخمسة عشر من طلاب النور الذين استجوبوا واتهموا.

فهذا التوافق يدل على ان المصيبة التي ابتلي بها مؤلف رسائل النور وطلابه انما تُنظَم بيد من العناية (الإلهية).

1

* * *

¹ انه جدير بالملاحظة لقد بدأ القبض على قسم من طلاب النور واعتقلوا في 25/نيسان/1935 وكان عدد الذين اتهموا بقرار المحكمة (117) شخصاً حيث كرر اسم اثنين منهم.

فيتوافق بهذا عدد الطلاب (117) طالباً مع عدد ايام الاعتقال البالغ (117) يوماً اعتباراً من اعتقال ذلك القسم من الطلاب الى يوم قرار المحكمة.

فيخرج هذا التوافق لطافة اخرى الى لطافة التوافقات السابقة. - المؤلف.

#450

النكتة الثامنة والعشرون

من اللمعة الثامنة والعشرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(لايسمعون الى الملاء الاعلى ويُتذفون من كل جانب _ دحوراً ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة

فاتبعه شهاب ثاقب) (الصفات: 8 - 9)

(ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) (المالك: 5)

سنتين نكتة مهمة من نكات هذه الآيات الكريمة وامثالها من الآيات لمناسبة اعتراض يرد من اهل الضلالة على

وجه النقد.

تفيد هذه الآيات الكريمة ان جواسيس الجن والشياطين يسترقون السمع الى اخبار السموات ويجلبون منها الاخبار الغيبية الى الكهان والماديين، والذين يعملون في تحضير الارواح. فحيل بين هذه الاخبار وبين التجسس الدائم لأولئك الجواسيس ورجموا بالشهاب أزيد ما كان في تلك الفترة من بداية الوحي، وذلك لئلا يلتبس شئ على الوحي.

نين جواباً في غاية الاختصار عن سؤال في غاية الاهمية وهو ذو ثلاث شعب.

سؤال:

يفهم من امثال هذه الآيات الكريمة المتصدرة انه لاجل استراق السمع وتلقي الخبر الغيبي حتى في الحوادث الجزئية بل احياناً حوادث شخصية تقتحم جواسيس الشياطين مملكة السموات التي هي في غاية البعد، لكأن تلك الحادثة الجزئية هي موضع بحث في كل جزء من اجزاء تلك المملكة الواسعة، ويمكن لاي شيطان كان، ومن اي مكان دخل الى السموات، التنصت ولو بصورة مرقعة الى ذلك الخبر وجلبه هكذا الى الارض. هذا المعنى الذي يفهم من الآيات الكريمة لا يقبل به العقل والحكمة. ثم ان قسماً من الانبياء وهم اهل الرسالة، والاولياء وهم اهل الكرامة يتسلمون ثمار الجنة التي هي فوق السموات العلى - بنص الآية - وكأنهم يأخذونها من مكان قريب، وحياناً يشاهدون الجنة من قريب. هذه المسألة تعني: نهاية البعد في نهاية القرب بحيث لايسعها عقل هذا العصر.

#451

ثم أن حالة من احوال جزئية لشخص جزئي يكون موضع ذكر وكلام لدى الملائكة الاعلى في السموات العلى الواسعة جداً، هذه المسألة لاتوافق ادارة الكون التي تسير في منتهى الحكمة. علماً أن هذه المسائل الثلاث تعد من الحقائق الاسلامية.

الجواب:

اولاً: ان الآية الكريمة: (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رُجوماً للشياطين) هذه الآية تفيد أن جواسيس الشياطين التي تحاول الصعود الى السموات للتجسس تُطرد بنجوم السموات. فقد بحثت هذه المسألة بحثاً جيداً في الكلمة الخامسة عشرة، وأثبتت اثباتاً يقنع حتى أعتى الماديين، بل يلجؤهم الى السكوت والقبول، وذلك بسبع مقدمات قاطعة هي بمثابة سبع مراتب للصعود الى فهم الآية الكريمة. ثانياً: نشير الى هذه الحقائق الاسلامية الثلاث التي تُظن انها بعيدة (عن العقل) بتمثيل وذلك لتقربها الى الاذهان القاصرة الضيقة.

هب ان الدائرة العسكرية لحكومة تقع في شرقي البلاد، ودائرتها العدلية في الغرب ودائرة المعارف في الشمال ودائرة الشؤون الدينية (المشيخة) في الجنوب، ودائرة الموظفين الاداريين في الوسط وهكذا.

فعلى الرغم من البعد بين دوائر هذه الحكومة، فان كل دائرة لو استخبرت الاوضاع فيما بينها بالتلفون او التلغراف ارتباطاً تاماً: عندها تكون البلاد كلها كأنها دائرة واحدة هي دائرة العدل، او الدائرة العسكرية او الدينية، او الادارية وهكذا.

مثال آخر: يحدث احياناً أن دولاً متعددة ذات عواصم مختلفة. تشترك معاً في مملكة واحدة، بسطات متباينة، من حيث مصالحها الاستعمارية فيها، او لوجود امتيازات خاصة بها، او من حيث المعاملات التجارية وغيرها. فكل حكومة عندئذ ترتبط بعلاقة مع تلك الرعية من حيث امتيازاتها، فعلى الرغم من انها رعية واحدة وأمة واحدة، فان معاملات تلك الحكومات المتباينة - التي هي في غاية البعد - تتماس وتتقارب كلٌّ منها مع الاخرى في البيت الواحد بل تشترك في كل انسان.

#452

حتى تُشاهد مسائلها الجزئية في الدوائر الجزئية وهي نقاط التماس والتقارب، ولا تؤخذ كل مسألة جزئية من الدائرة الكلية. ولكن عندما تبحث تلك المسائل الجزئية، تبحث كأنها أخذت من الدائرة الكلية وذلك لارتباطها بالقوانين الكلية لتلك الدائرة. وتعطى لها صورة كأنها مسألة اصبحت موضع بحث في تلك الدائرة الكلية.

وهكذا ففي ضوء هذين المثالين:

ان مملكة السموات التي هي في غاية البعد، من حيث العاصمة والمركز، فان لها هواتف معنوية تمتد منها الى قلوب الناس في مملكة الارض. فضلاً عن أن عالم السموات لا يشرف على العالم الجسماني وحده بل يتضمن عالم الارواح وعالم الملكوت؛ لذا فعالم السموات يحيط بجهة بعالم الشهادة تحت ستار.

وكذلك اللجنة التي هي من العوالم الباقية، وهي دار البقاء، فمع انها في غاية البعد، إلا ان دائرة تصرفاتها تمتد امتداداً نورانياً وتنتشر الى كل جهة تحت ستار عالم الشهادة.

فكما ان حواس الانسان التي اودعها الصانع الحكيم الجليل بحكمته وبقدرته في رأس الانسان، فعلى الرغم من ان مراكزها مختلفة، فان كلاً منها تسيطر على الجسم كله، وتأخذه ضمن دائرة تصرفها.

كذلك الكون الذي هو انسان اكبر يضم الوف العوالم الشبيهة بالدوائر المتداخلة. فالاحوال الجارية في تلك العوالم والحوادث التي تقع فيها تكون موضع النظر من حيث جزئياتها وكمياتها، وخصوصياتها وعظمتها.

بمعنى ان الجزئيات تُشاهد في الاماكن الجزئية والقريبة، بينما الكميات والامور العظيمة تُرى في المقامات الكلية والعظيمة.

ولكن قد تستولي حادثة جزئية خصوصية على عالم عظيم فاينما يُلقى السمع تُسمع تلك الحادثة. واحياناً تحشد الجنود الهائلة اظهارة للعظمة والهيبة وليس لقوة العدو. فمثلاً:

ان حادثة الرسالة المحمدية، ونزول الوحي القرآني، لكونها حادثة جليلة، فان عالم السموات كله، بل حتى كل زاوية من زواياه متأهب، وقد صفت فيه الحراس،

#453

في تلك البروج العظيمة، من تلك السموات العالية الرفيعة والبعيدة بعداً عظيماً. ويقذفون من النجوم المجانيق، طرداً لجواسيس الشياطين ودفعاً بهم عن السموات.

فالآية الكريمة عندما تبرز المسألة هكذا برجم الشياطين بكثرة هائلة والقذف بالشهب ولاسيما في بداية الوحي في ذلك الوقت. تبين اشارة ربانية الى الاعلان عن درجة عظمة الوحي القرآني وشعشة سلطانه، والى درجة أحقيته وصوابه والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وهكذا يترجم القرآن الكريم ذلك الاعلان الكوني العظيم ويشير الى تلك الاشارات السماوية نعم! ان اظهر هذه الاشارات العظيمة السماوية، وابرز مبارزة الشياطين للملائكة، مع إمكان طرد جواسيس الشياطين بنفخ من ملك، انما هو لاظهار عظمة الوحي القرآني وعلوه ورفعته.

ثم ان هذا البيان القرآني المهيّب، واظهار الحشود السماوية العظيمة، ليس تعبيراً عن أن للجن والشياطين قوة واقتداراً بحيث تسوق اهل السموات الى المبارزة والمدافعة معهم، بل هي اشارة الى أنه لا دخل للشياطين والجن في اي موضع من مواضع هذا الطريق الطويل الممتد من قلب الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم الى عالم السموات الى العرش الاعظم.

وبهذا يعبر القرآن الكريم عن ان الوحي القرآني حقيقة جليلة حقيق ان يكون موضع ذكر وبجث لدى الملائكة الاعلى والملائكة كلهم في تلك السموات الهائلة، بحيث يضطر الشياطين الى الصعود الى السموات لينالوا شيئاً من اخبارها فيرجمون ولاينالون شيئاً.

فيشير القرآن الكريم بهذا الرجم الى ان الوحي القرآني النازل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وجبرائيل عليه السلام الذي نزل الى مجلسه والحقائق الغيبية المشهودة لنظره، سليمة، صائبة، صحيحة، لا تدخل فيها شبهة قط وفي أية جملة منها قط.

وهكذا يعبر القرآن الكريم عن هذه المسألة باعجازه البليغ.

أما مشاهدة الجنة في أقرب الاماكن وقطف الثمار منها احياناً، مع كونها بعيدة كل البعد عنا وكونها من عالم البقاء، فبدلالة التمثيلين السابقين يُفهم:

#454

ان هذا العالم الفاني، عالم الشهادة، حجاب لعالم الغيب وعالم البقاء. انه يمكن رؤية الجنة في كل جهة مع أن مركزها العظيم في مكان بعيد جداً، وذلك بوساطة مرآة عالم المثل. ويمكن أيضاً بوساطة الايمان البالغ درجة حق اليقين ان تكون للجنة دوائر ومستعمرات (لامشاحة في الامثال) في هذا العالم الفاني ويمكن أن تكون هناك مخبرات واتصالات معها بالارواح الرفيعة وبهاتف القلب ويمكن أن ترد منها الثمار.

أما انشغال دائرة كلية بحادثة شخصية جزئية، اي: ما ورد في التفاسير من ان الشياطين يصعدون الى السموات ويسترقون السمع هناك ويأتون باخبار غيبية ملفقة للكهان، فينبغي أن تكون حقيقته هكذا:

انه لاصعود الى عاصمة عالم السموات لتلقي ذلك الخبر الجزئي، بل هو صعود الى بعض المواقع الجزئية في جو الهواء - الذي يشمل معنى السموات - والذي فيه مواضع بمثابة مخافر (لامشاحة في الامثال) للسموات، وتقع علاقات في هذه المواقع الجزئية مع مملكة الارض. فالشياطين يسترقون السمع في تلك المواقع الجزئية لتلقي الاحداث الجزئية، حتى ان قلب الانسان هو احد تلك المقامات حيث يبارز فيه ملك الالهام الشيطان الخاص.

أما حقائق القرآن والايان وحوادث الرسول صلى الله عليه وسلم، فمهما كانت جزئية فهي بمثابة اعظم حادثة واجلها في دائرة السموات وفي العرش الاعظم. حتى كأنها تنشر في الصحف المعنوية للمقدرات الالهية الكونية (لامشاحة في الامثال) بحيث يذكر عنها ويبحث مسائلها في كل زاوية من زوايا السموات، حيث أنه ابتداءً من قلب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وانتهاءً الى دائرة العرش الاعظم مصون من اي تدخل كان من الشياطين.

فان القرآن مع بيانه لهذا انما يعبر بتلك الايات الجليلة أنه: لاحيلة ولا وسيلة للشيطان لتلقي اخبار السموات الاً استراق السمع.

فيبين القرآن بهذا بياناً معجزاً بليغاً: ما اعظم الوحي القرآني وما اعظم قدره! وما اصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما اصوبها! حتى لا يمكن الدنو اليها بأية شبهة كانت وبأي شكل من الاشكال.

سعيد النورسي

#455

%

اللمعة التاسعة والعشرون

رسالة التفكير الايماني الرفيع

والمعرفة التوحيدية السامية¹

باسمه سبحانه

اخوتي!

ان رسالة التفكر هذه جليلة القدر. وان اطلاق الامام علي رضي الله عنه عليها - من جهة - اسم الآية الكبرى يبين قيمتها الرفيعة تماماً.

فهي رسالة معرفة ايمانية وردت الى القلب بعين اليقين، اثناء اذكار الصلاة. واثرت كثيراً من الرسائل. واصبحت غذاء للعقل والفكر وعلاجاً لهما طوال ثلاثين سنة. فمن الأنسب أن تُدرج ضمن "اللمعات" وان يُطبع منها اربعون او خمسون نسخة مستقلة.

سعيد النورسي

¹ كتب الاستاذ النورسي هذه الرسالة باللغة العربية، سوى المقدمات والهوامش التي كتبها بالتركية، واستنسخها المستنسخون مع ضبط الحروف ووضع الحركات تسهيلاً لقراءتها قراءة صحيحة، ولا سيما لغير قراء العربية. وقد احتفظنا بالنص كما هو مع ترجمة المقدمات والهوامش. - المترجم.

#456

هذه اللمعة كتبت في التجريد المطلق

في سجن "اسكي شهر" قبل عشرين سنة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه اجمعين.

ايضاح

لقد امتزج قلبي بعقلي منذ ثلاثة عشر عاماً ضمن انتهاج مسلك التفكر الذي يأمر به القرآن المعجز البيان كقوله تعالى (لعلكم تتفكرون) (لعلهم يتفكرون) (أو لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض..) (آيات لقوم يتفكرون) وامثالها من الآيات التي تحث على التفكر مثلما يحث عليه حثاً عظيماً الحديث الشريف كقوله صلى الله عليه وسلم (تفكر ساعة خير من عبادة سنة)¹

ولقد تواردت في غضون هذه السنوات الثلاثين على عقلي وقلبي ضمن انتهاج مسلك التفكر، انوار عظيمة

وحقائق متسلسلة طويلة. فوضعت بضع كلمات - من قبيل الاشارات - لا للدلالة على تلك الانوار، بل للاشارة الى وجودها ولتسهيل التفكير فيها وللمحافظة على انتظامها.

وكنت اردد بيني وبين نفسي تلك الكلمات لساناً بعبارات عربية في غاية الاختلاف. وعلى الرغم من تكراري لها آلاف المرات خلال هذه الفترة الطويلة وانا انتهج هذا التفكير لم يطرأ عليّ السأم ولم يعتر تذوقها النقص، ولم تنتف حاجة الروح

¹ قال الحافظ العراقي في تخریج الاحياء 58/1:

حديث تفكر ساعة خير من عبادة سنة: ابن حبان في كتاب العظمة من حديث ابي هريرة بلفظ ستين سنة باسناد ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ورواه ابو المنصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث انس بلفظ ثمانين سنة واسناده ضعيف جداً، ورواه ابو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ خير من قيام ليلة. اهـ. وانظر كشف الحفاء 310/1 والاحاديث المشككة ص113.

#457

اليها. لأن ذلك التفكير لمعات تلمعت من آيات القرآن الكريم فتمثلت فيه جلوة من خصائص الآيات، تلك هي عدم الاستشعار بالسأم والملل والحفاظ على حلاوتها وطراوتها.

وقد رأيت في الآونة الاخيرة ان العقدة الحياتية القوية والانوار الساطعة التي تحتويها اجزاء رسائل النور ما هي الا لمعات سلسلة ذلك التفكير، فنويت كتابة مجموعها في اخريات ايام عمري، على أمل تأثيرها في غيري مثلما اثرت فيّ. وستكون لمجموعها قوة وقيمة اخرى وإن ادرجت اهم اجزائها في الرسائل.

ولما كان اخر المطاف في رحلة العمر غير معيّن. وان اوضاعي في سجن "اسكي شهر" قد بلغت حداً أشد من الموت بكثير، فقد كتبت تلك السلسلة من التفكير دون انتظار لآخر الحياة، ودون تغيير فيها، وبناء على رغبة اخوة النور واصرارهم بقصد استفادتهم. وجعلتها في سبعة ابواب.

ولما كانت الاكثرية المطلقة من هذا النوع من الحقائق تخطر بالبال اثناء اذكار الصلاة، وان كل كلمة من كلمات الاذكار بمثابة منبع تلك الحقائق. كان ينبغي ان تكتب على وفق ترتيبها وتسلسلها في اذكار الصلاة، أي (سبحان الله والحمد لله والله اكبر ولا اله الا الله) الا أن ظروف السجن المنفرد المضطربة آنذاك قد أخلّت بذلك الترتيب.

أما الآن فستكون الابواب على النحو الآتي:

الباب الاول: في (سبحان الله)

الباب الثاني: في (الحمد لله)

والباب الثالث: في (الله أكبر)

والباب الرابع: في (لا اله الا الله)

وذلك لأن معظم الشافعية يذكرون: (لا اله الا الله) ثلاثاً وثلاثين مرة بعد ذكرهم كلاً من سبحان الله، والمحمد لله، والله أكبر ثلاثاً وثلاثين مرة.

سعيد النورسي

#458

الباب الأول

في "سبحان الله"

وهو ثلاثة فصول

(الفصل الأول)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَسُبْحَانَكَ يَا مَنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ السَّمَاءُ بِكَلِمَاتٍ مُجُومِهَا وَشُمُوسُهَا وَأَقْمَارُهَا، بِرُؤُوسِ حِكْمِهَا.

وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ الْجَوُّ بِكَلِمَاتٍ سَحَابَاتِهِ وَرُغُودِهَا وَبُرُوقِهَا وَأَمْطَارِهَا، بِإِشَارَاتٍ فَوَائِدِهَا.

وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ رَأْسُ الْأَرْضِ بِكَلِمَاتٍ مَعَادِنِهَا وَنَبَاتَاتِهَا وَأَشْجَارِهَا وَحَيَوَانَاتِهَا، بِدَلَالَاتٍ إِنْشِطَامَاتِهَا.

وَتُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ النَّبَاتَاتُ وَالْأَشْجَارُ بِكَلِمَاتٍ أَوْرَاقِهَا وَأَزْهَارِهَا وَثَمَرَاتِهَا، بِتَصْرِیحاتٍ مَنَافِعِهَا.

وَتُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ الْأَزْهَارُ وَالْأَثْمَارُ بِكَلِمَاتٍ بُدُورِهَا وَأَجْنِحَتِهَا وَنَوَاتَاتِهَا، بِعَجَائِبِ صَنَعَتِهَا.

وَتُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ النَّوَاتَاتُ وَالْبُدُورُ بِاللِّسَنَةِ سَنَابِلِهَا وَكَلِمَاتِ حَبَّاتِهَا بِالْمُشَاهَدَةِ.

وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ كُلُّ نَبَاتٍ بِغَايَةِ الْوُضُوحِ وَالظُّهُورِ عِنْدَ انْكِشَافِ أَكْمَامِهَا وَتَبَسُّمِ بَنَاتِهَا بِأَفْوَاهِ مُرَيَّبَاتِ أَزْهِيرِهَا

وَمُنْتَظَمَاتِ سَنَابِلِهَا، بِكَلِمَاتٍ مَوْزُونَاتِ بُدُورِهَا

#459

وَمَنْظُومَاتِ حَبَّاتِهَا، بِلِسَانِ نِظَامِهَا فِي مِيزَانِهَا فِي تَنْظِيمِهَا فِي تَوْزِينِهَا فِي صَنَعَتِهَا فِي صِبْغَتِهَا فِي زِينَتِهَا فِي نُقُوشِهَا فِي

رَوَائِحِهَا فِي طُعُومِهَا فِي أَلْوَانِهَا فِي أَشْكَالِهَا، كَمَا تَصِفُ تَجَلِّيَاتِ صِفَاتِكَ وَتُعَرِّفُ جَلَوَاتِ أَسْمَائِكَ وَتُفَسِّرُ تَوَدُّدِكَ

وَتُعَرِّفُكَ بِمَا يَتَقَطَّرُ مِنْ ظَرَفَةِ عَيْونِ أَزْهِيرِهَا وَمِنْ طَرَاوَةِ أَسْنَانِ سَنَابِلِهَا مِنْ رَشْحَاتِ لَمَعَاتِ جَلَوَاتِ تَوَدُّدِكَ

وَتُعَرِّفُكَ إِلَى عِبَادِكَ.

سُبْحَانَكَ يَا وَدُودُ يَا مَعْرُوفُ مَا أَحْسَنَ صُنْعَكَ وَمَا أَزِينَهُ وَمَا أَيْبَنَهُ وَمَا أَنْقَنَهُ!

سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ جَمِيعُ الْأَشْجَارِ بِكَمَالِ الصَّرَاحَةِ وَالْبَيَانِ عِنْدَ انْفِتَاحِ أَكْمَامِهَا وَانْكِشَافِ أَزْهَارِهَا وَتَزَايِدِ

أوراقها وتكامل أثمارها ورُفص نباتها على أيادي أعصابها حامدة بأفواه أوراقها الخضرة بكرمك، وأزهارها المتبسمة بلطفك، وثمارها الضاحكة برحمتك، بالسنة نظامها في ميزانها في تنظيمها في توزيعها في صنعها في صبغتها في زينتها في نفوسها في طعومها في روائحها في ألوانها في أشكالها في اختلاف لحومها في كثرة تنوعها في عجائب² خلقتها كما تصف صفاتك وتعرف أسماءك وتفسر تحببك وتعهّدك لمصنوعاتك بما يترشح من شفاها ثمارها من قطرات رشحات لمعات جلوات تحببك وتعهّدك لمخلوقاتك.

حتى كأن الشجر المزهرة قصيدة منظومة محرّرة، لتُنشد للصانع المدائح المبهرة.

أو فتحت بكثرة عيونها المبصرة لتُنظر للفاطر العجائب المنشرة.

أو زينت لعديها أعضائها المخضرة ليشهد سلطانها آثارها المتورة. وتُشهر في المشهر مرصعات الجواهر. وتُعلن للبشر حكمة خلق الشجر.

¹ ان اثني عشر مشهداً وحجاباً، مشهداً فوق مشهد، برهاناً ضمن برهان، دليلاً خلال دليل؛ تنبعث كلها من زهرة واحدة بنغات متنوعة ولمعات متباينة فُتري القلب المصور الأزلي، وتلفت عين العقل اليه. - المؤلف.

² هذه الدلائل الخمسة عشر، الدليل ضمن الدليل، والبرهان داخل البرهان تشير الى الصانع الجليل. - المؤلف.

#460

سُبْحَانَكَ مَا أَحْسَنَ إِحْسَانِكَ مَا أَيْبَنَ تَبَيُّانِكَ مَا أَمَّهَرَ بُرْهَانَكَ وَمَا أَظْهَرَهُ وَمَا أَنْوَرَهُ!. سُبْحَانَكَ مَا أَعْجَبَ صَنْعَتَكَ!
تَلَأَلُو الصِّيَاءِ بِدَلَالَةِ حِكْمِهَا؛ مِنْ تَنْوِيرِكَ، تَشْهِيرِكَ.. تَمَوْجُ الْأَعْصَارِ بِسِرِّ وَطَائِفِهَا - خُصُوصاً فِي ثَقَلِ الْكَلِمَاتِ -
مِنْ تَصْرِيْفِكَ، تَوْظِيْفِكَ.. تَفَجَّرَ الْأَنْهَارُ بِإِشَارَةِ فَوَائِدِهَا؛ مِنْ تَدْخِيرِكَ، تَسْخِيرِكَ.. تَرَيُّنُ الْأَحْجَارِ وَالْحَدِيدِ بِرُمُوزِ
خَوَاصِّهَا وَمَنَافِعِهَا - خُصُوصاً فِي ثَقَلِ الْأَصْوَاتِ وَالْمَخَابِرَاتِ - مِنْ تَدْبِيرِكَ، تَصْوِيرِكَ.. تَبَسُّمُ الْأَزْهَارِ بِعَجَائِبِ
حِكْمِهَا؛ مِنْ تَحْسِينِكَ، تَزْيِينِكَ.. تَبْرُّجُ الْأَثْمَارِ بِدَلَالَةِ فَوَائِدِهَا؛ مِنْ إِنْعَامِكَ، إِكْرَامِكَ.. تَسْجُعُ الْأَطْيَارِ بِإِشَارَةِ
إِنْتِظَامِ شَرَائِطِ حَيَاتِهَا؛ مِنْ إِنْطَاقِكَ إِرْفَاقِكَ.. تَهْرُجُ الْأَمْطَارُ بِشَهَادَةِ فَوَائِدِهَا؛ مِنْ تَزْيِيلِكَ، تَفْضِيلِكَ.. تَحْرُّكُ
الْأَقْمَارِ بِشَهَادَةِ حِكْمِ حَرَكَاتِهَا؛ مِنْ تَقْدِيرِكَ، تَدْبِيرِكَ، تَدْوِيرِكَ، تَنْوِيرِكَ.

سُبْحَانَكَ مَا أَنْوَرَ بُرْهَانَكَ مَا أَمَّهَرَ سُلْطَانَكَ!

(الفصل الثاني)

سُبْحَانَكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي فَرْقَانِكَ. وَأَنْتَ عَلَيْنِكَ حَيْبُكَ يَا ذُنُوكَ. وَأَنْتَ عَلَيْنِكَ
جَمِيعَ مَصْنُوعَاتِكَ يَا نَاطِقَكَ.

سُبْحَانَكَ مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ يَا مَعْرُوفُ بِمُعْجَزَاتِ جَمِيعِ مَصْنُوعَاتِكَ وَبِتَوْصِيفَاتِ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِكَ

وَبَتَّعِرِيَّاتٍ جَمِيعٍ مَوْجُودَاتِكَ.

سُبْحَانَكَ مَا ذَكَرْنَاكَ حَقَّ ذِكْرِكَ يَا مَذْكَورُ بِالسِّنَةِ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِكَ وَبِأَنْفُسِ جَمِيعِ كَلِمَاتِ كِتَابِ كَاتِبَاتِكَ
وَبِتَّحِيَّاتٍ جَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ مِنْ مَخْلُوقَاتِكَ لَكَ وَبِمَوْزُونَاتٍ جَمِيعِ الْأَوْرَاقِ الْمُهَيَّزَةِ الذَّاكِرَةِ فِي جَمِيعِ أَشْجَارِكَ
وَبِنَبَاتَاتِكَ.

#461

سُبْحَانَكَ مَا شَكَرْنَاكَ حَقَّ شُكْرِكَ يَا مَشْكُورُ بِأَثْنِيَّةِ جَمِيعِ إِحْسَانَاتِكَ عَلَى إِحْسَانِكَ عَلَى رُؤْسِ الْأَشْهَادِ
وَبِأَعْلَانَاتٍ جَمِيعِ نِعْمِكَ عَلَى إِنْعَامِكَ فِي سُوقِ الْكَائِنَاتِ وَبِمَنْظُومَاتٍ جَمِيعِ ثَمَرَاتِ رَحْمَتِكَ وَنِعْمَتِكَ لَدَى أَنْظَارِ
الْمَخْلُوقَاتِ وَبِتَّحْمِيدَاتٍ جَمِيعِ مَوْزُونَاتِ أَزَاهِيرِكَ وَعَنْاقِيدِكَ الْمُنْتَظَمَةِ فِي خُيُوطِ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ.

سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ وَمَا أَزِينُ بُرْهَانَكَ وَمَا أَظْهَرَهُ وَمَا أَبْهَرَهُ!

سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ يَا مَعْبُودَ جَمِيعِ الْمَلِكَةِ وَجَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ وَجَمِيعِ الْعِنَاصِرِ وَالْمَخْلُوقَاتِ، بِكَمَالِ
الْإِطَاعَةِ وَالْإِمْتِنَالِ وَالْإِنْتِظَامِ وَالْإِتْقَانِ وَالْإِشْتِيَاقِ.

سُبْحَانَكَ مَا سَبَّحْنَاكَ حَقَّ تَسْبِيحِكَ يَا مَنْ (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ
إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ).

سُبْحَانَكَ تَسْبِيحُ بِحَمْدِكَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِجَمِيعِ تَسْبِيحَاتِ جَمِيعِ مَصْنُوعَاتِكَ وَبِجَمِيعِ تَحْمِيدَاتِ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِكَ
لَكَ.

سُبْحَانَكَ تَسْبِيحُ بِحَمْدِكَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ بِجَمِيعِ تَسْبِيحَاتِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وَمَلَائِكَتِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُكَ
وَتَسْلِيمَاتُكَ.

سُبْحَانَكَ تَسْبِيحُ بِحَمْدِكَ الْكَائِنَاتِ بِجَمِيعِ تَسْبِيحَاتِ حَبِيبِكَ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَبِجَمِيعِ تَحْمِيدَاتِ
رَسُولِكَ الْأَعْظَمِ لَكَ، عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلُ صَلَوَاتِكَ وَأَتْمُ تَسْلِيمَاتِكَ.

سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تَسْبِيحُ بِحَمْدِكَ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ بِأُصْدِيَّةِ تَسْبِيحَاتِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَكَ؛ إِذْ هُوَ الَّذِي
تَتَمَوَّجُ أُصْدِيئُهُ تَسْبِيحَاتِهِ لَكَ عَلَى أَمْوَاجِ الْأَعْصَارِ وَأَفْوَاجِ الْأَجْيَالِ.

#462

اللَّهُمَّ فَأَبْدُ عَلَى صَفَحَاتِ الْكَائِنَاتِ وَأَوْرَاقِ الْأَوْقَاتِ إِلَى قِيَامِ الْعَرَصَاتِ أُصْدِيَّةِ تَسْبِيحَاتِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالتَّسْلِيَّاتِ.

سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تَسْبِيحُ بِحَمْدِكَ الدُّنْيَا بِآثَارِ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. اللَّهُمَّ فَزَيِّنِ الدُّنْيَا بِآثَارِ دِيَانَةِ مُحَمَّدٍ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ.

سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تَسْبِيحُ بِحَمْدِكَ الْأَرْضِ سَاجِدَةً تَحْتَ عَرْشِ عَظْمَةِ قُدْرَتِكَ بِلِسَانِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ.

اللَّهُمَّ فَانطِقِ الارضَ بِأَفْطَارِهَا بِلِسَانِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى يَوْمِ البُعْثِ وَالقيَامِ.
سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي جَمِيعِ الْأَمْكِنَةِ وَالْأَوْقَاتِ بِلِسَانِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

اللَّهُمَّ فَانطِقِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ بِأَصْدِيَةِ تَسْبِيحَاتِ مُحَمَّدٍ لَكَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(الفصل الثالث)

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْإِضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ وَالشَّرْكَاءِ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْقَدِيرِ الْأَزَلِيِّ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْمَعِينِ وَالْوُزَرَءِ.

#463

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْقَدِيمِ الْأَزَلِيِّ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ مُشَابَهَةِ الْمُحَدَّثَاتِ الزَّائِلَاتِ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْوَاجِبِ وَجُودُهُ الْمُتَمَتِّعِ نَظَرُهُ الْمُمَكِّنِ كُلِّ مَا سِوَاهُ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ لَوَازِمِ مَاهِيَاتِ
الْمُمْكِنَاتِ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) الْمُتَقَدِّسُ الْمُتَنَزِّهُ عَمَّا تَتَّصَوَّرُهُ الْأَوْهَامُ
الْقَاصِرَةُ الْخَاطِئَةُ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي (لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) الْمُتَقَدِّسُ الْمُتَنَزِّهُ عَمَّا
تَصِفُهُ الْعَقَائِدُ النَّاقِصَةُ الْبَاطِلَةُ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ الْغَنِيِّ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْعِجْزِ وَالِاحْتِياجِ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْكَامِلِ الْمُطْلَقِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْقُصُورِ وَالنُّقْصَانِ،

بِشَهَادَاتِ كَلِمَاتِ الْكَائِنَاتِ. إِذْ مَجْمُوعُ مَا فِي الْكَائِنَاتِ مِنَ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ ظِلٌّ ضَعِيفٌ بِالنُّسْبَةِ إِلَى كَمَالِهِ

سُبْحَانَهُ، بِالْحَدْسِ الصَّادِقِ وَبِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ وَبِالدَّلِيلِ الْوَاضِحِ. إِذِ التَّنْوِيرُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ الثُّورَانِيِّ وَبِدَوَامِ تَجَلِّي
الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ مَعَ تَقَايِي الْمُرَايَا وَسَيَالِيَةِ الْمَظَاهِرِ وَبِاجْتِمَاعِ وَاتِّفَاقِ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْأَعَاظِمِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْمَشَارِبِ
وَالْكَشْفِيَّاتِ الْمُتَّفِقِينَ عَلَى ظَلِيَّةِ كَلِمَاتِ الْكَائِنَاتِ لِأَنْوَارِ كَمَالِ الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ.

#464

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ السَّرْمَدِيِّ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ التَّغْيِيرِ وَالتَّبَدُّلِ اللَّازِمِينَ لِلْمُحَدَّثَاتِ
الْمُتَجَدِّدَاتِ الْمُتَكَامِلَاتِ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ الْكَوْنِ وَالْمَكَانِ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ التَّحْيِزِ وَالتَّجَرُّءِ اللَّازِمِينَ لِلْمَادِّيَّاتِ وَالْمُمْكِنَاتِ

الكثيقات الكثيرات المقيّدات المحدودات.

ذو الجلال سبحان الله القديم الباقي المتقدّس المتّزّه عن الحدوث والزوال.

ذو الجلال سبحان الله الواجب الوجود المتقدّس المتّزّه عن الولد والوالد وعن الحلول والإتحاد وعن الحصر والتّحديد وعمّا لا يليق بجنابه وما لا يتناسب وجوب وجوده وعمّا لا يوافق آزيّته وأبديته. جلّ جلاله. ولا إله إلا هو

#465

الباب الثاني

في " الحمد لله..¹

في هذا الباب تسع نقاط..

النقطة الاولى:

الحمد لله على نعمة الايمان المزيل عنا ظلمات الجهات الست.

إذ جهة الماضي في حكم يميننا مظلمة وموحشة بكونها مزاراً أكبر. وبنعمة الايمان تزول تلك الظلمة وينكشف المزار الأكبر عن مجلس منور.

ويسارنا الذي هو الجهة المستقبلة، مظلمة وموحشة بكونها قبراً عظيماً لنا. وبنعمة الايمان تنكشف عن جنان مزينة فيها ضيافات رحمانية.

وجهة فوق وهو عالم السموات موحشة مذهشة بنظر الفلسفة. فبنعمة الايمان تتكشف تلك الجهة عن مصابيح متبسمة مسخرة بأمر من زين وجه السماء بها يستأنس بها ولا يتوحش منها.

وجهة تحت وهي عالم الأرض موحشة بوضعيتها في نفسها بنظر الفلسفة الصالحة. فبنعمة الايمان تتكشف عن سفينة ربانية مسخرة ومشحونة بأنواع اللذائذ والمطعومات؛ قد أركبها صانعها نوع البشر وجنس الحيوان للسياحة في أطراف مملكة الرحمن.

¹ لما كان الشكر أهم اسس رسائل النور بعد التفكير، وان أكثر مراتب الشكر والحمد وحقائقها قد أوضحت ايضاحاً كاملاً في اجزاء رسائل النور؛ لذا يذكر هنا بعض مراتب الحمد الذي يقابل نعمة الايمان ذكراً مختصراً جداً، اكفاء بتلك المراتب المذكورة. فان للحمد مراتب حسب مراتب نعمة الايمان. - المؤلف.

#466

وجهة الأمام الذي يتوجه الى تلك الجهة كل ذوي الحياة مسرعة قافلة خلف قافلة، تغيب تلك القوافل في

ظَلَمَاتِ الْعَدَمِ بِلا رُجُوعٍ. وَبِنِعْمَةِ الْإِيْمَانِ تَتَكشَّفُ تِلْكَ السِّيَاحَةُ عَنِ انْتِقَالِ ذَوِي الْحَيَاةِ مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ إِلَى دَارِ الْبَقَاةِ، وَمِنْ مَكَانِ الْخِدْمَةِ إِلَى مَوْضِعِ أَخْذِ الْأَجْرَةِ، وَمِنْ مَحَلِّ الرِّحْمَةِ إِلَى مَقَامِ الرِّحْمَةِ وَالاسْتِرَاحَةِ. وَأَمَّا سُرْعَةُ ذَوِي الْحَيَاةِ فِي أَمْوَاجِ الْمَوْتِ، فَلَيْسَتْ سُقُوطاً وَمُصِيبَةً، بَلْ هِيَ صُعودٌ بِاشْتِيَاقٍ وَتَسَارُعٍ إِلَى سَعَادَاتِهِمْ.

وَجِهَةٌ الْخَلْفِ اِيضاً مُظْلِمَةٌ مُوحِشَةٌ. فَكُلُّ ذِي شُعُورٍ يَتَحَيَّرُ مُتَرَدِّداً وَمُسْتَفْسِراً بـ"مَنْ أَيْنَ؟ إِلَى أَيْنَ؟". فَلَأَنَّ الْعَقْلَةَ لَا تُعْطِي لَهُ جَوَاباً، يَصِيرُ التَّرَدُّدُ وَالتَّحَيَّرُ ظُلُمَاتٍ فِي رُوحِهِ.. فَبِنِعْمَةِ الْإِيْمَانِ تَتَكشَّفُ تِلْكَ الْجِهَةٌ عَنِ مَبْدَأِ الْإِنْسَانِ وَوُضُوعِهِ، وَبِأَنَّ السُّلْطَانَ الْأَرْبِيَّ أَرْسَلَهُمْ مُوظَّفِينَ إِلَى دَارِ الْإِمْتِحَانِ..

فَمِنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ يَكُونُ "الْحَمْدُ" عَلَى نِعْمَةِ الْإِيْمَانِ الْمَزِيلِ لِلظُّلُمَاتِ عَنِ هَذِهِ الْجِهَاتِ السِّتِّ اِيضاً نِعْمَةً عَظِيمَةً تَسْتَلْزِمُ "الْحَمْدُ". إِذْ بـ"الْحَمْدِ" يُفْهَمُ دَرَجَةُ هَذِهِ النِّعْمَةِ وَوَدْنَتُهَا. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى "الْحَمْدِ لِلَّهِ فِي تَسْلُسُلٍ يَتَسَلْسَلُ فِي دَوْرٍ دَائِرٍ بِلا نِهَايَةٍ".

النُّقْطَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِيْمَانِ الْمُتَوَرِّ لَنَا الْجِهَاتِ السِّتِّ. فَكَمَا أَنَّ الْإِيْمَانَ بِإِرَاتِهِ لِظُلُمَاتِ الْجِهَاتِ السِّتِّ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ جِهَةِ دَفْعِ الْبَلَايَا؛ كَذَلِكَ أَنَّ الْإِيْمَانَ لِتَنْوِيرِهِ لِلجِهَاتِ السِّتِّ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ أُخْرَى مِنْ جِهَةِ جَلْبِ الْمَنَافِعِ. فَالْإِنْسَانُ لِعِلَاقَتِهِ بِجَامِعِيَّةِ فِطْرَتِهِ بِمَا فِي الْجِهَاتِ السِّتِّ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ. وَبِنِعْمَةِ الْإِيْمَانِ يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ اسْتِيفَادَةً مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ السِّتِّ ِِِِِِ اَيْنَمَا يَتَوَجَّهُ. فَبِسِرِّ (فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَوَجَّهَ اللَّهُ) (البقرة: 115) تَنْتَوَّرُ لَهُ تِلْكَ الْجِهَةُ بِمَسَافَتِهَا الطَّوِيلَةَ بِلا حَدِّ. حَتَّى كَأَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ لَهُ عُمُرٌ

#467

مَعْتَوِيٌّ يَمْتَدُّ مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَا إِلَى آخِرِهَا، يَسْتَمِدُّ ذَلِكَ الْعُمُرَ مِنْ نُورِ حَيَاةٍ مُمْتَدَّةٍ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ. وَحَتَّى إِذَا الْإِنْسَانُ بِسِرِّ تَنْوِيرِ الْإِيْمَانِ لِجِهَاتِهِ يَخْرُجُ عَنِ مَضِيْقِ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ وَالْمَكَانِ الضَّيِّقِ إِلَى سَاحَةِ وَسَعَةِ الْعَالَمِ، وَيَصِيرُ الْعَالَمُ كَبَيْتِهِ، وَالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلُ زَمَاناً حَاضِراً لِرُوحِهِ وَقَلْبِهِ. وَهَكَذَا فَحَسْ...

النُّقْطَةُ الثَّلَاثَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْإِيْمَانِ الْحَاوِي لِتَقْطِيِ اسْتِنَادِ وَالاسْتِمْدَادِ.

نَعَمْ، بِسِرِّ غَايَةِ عَجْزِ الْبَشَرِ وَكَثْرَةِ أَعْدَائِهِ يَحْتَاجُ الْبَشَرُ أَشَدَّ احْتِيَاجٍ إِلَى نُقْطَةِ اسْتِنَادٍ يَلْتَجِئُ إِلَيْهَا لِدَفْعِ أَعْدَائِهِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ، وَبِغَايَةِ فَقْرِ الْإِنْسَانِ مَعَ غَايَةِ كَثْرَةِ حَاجَاتِهِ وَأَمَالِهِ يَحْتَاجُ أَشَدَّ احْتِيَاجٍ إِلَى نُقْطَةِ اسْتِمْدَادٍ يَسْتَمِدُّ مِنْهَا، وَيَسْأَلُ حَاجَاتِهِ بِهَا.

فَالْإِيْمَانُ بِاللَّهِ هِيَ نُقْطَةُ اسْتِنَادٍ لِفِطْرَةِ الْبَشَرِ. وَالْإِيْمَانُ بِالْآخِرَةِ هُوَ نُقْطَةُ اسْتِمْدَادٍ لِوُجْدَانِهِ. فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَاتَيْنِ النُّقْطَتَيْنِ يَتَوَحَّشُ عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَرُوحُهُ، وَبُعْدِبُهُ وَجَدَانُهُ دَائِماً. وَمَنْ اسْتَنَّدَ بِالْإِيْمَانِ إِلَى النُّقْطَةِ الْأُولَى، وَاسْتَمَدَّ مِنَ

النقطة الثانية أحس من أعماق روحه لذائد معنوية وأنسيه مسلية واعتماداً يطمئن بها وجدانه.

النقطة الرابعة

الحمد لله على نور الايمان المزيل للآلام عن اللذائد المشروعة بإراءة دوران الامثال، والمديم للنعم بإراءة شجرة الإنعام، والمزيل آلام الفراق بإراءة لذة تجدد الامثال. يعني أن في كل لذة آلاماً تنشأ من زوالها. فبنور الايمان يزول الزوال، وينقلب الى تجدد الامثال. وفي التجدد لذة أخرى..

فكما أن الثمرة إذا لم تُعرف شجرتها تنحصر النعمة في تلك الثمرة. فتزول بالكُلِّ لها.

¹ جاء في المصباح المنير، في مادة (غير) ما نصه:

"... وقوله تعالى: غير المغضوب عليهم انما وصف بها المعرفة، لأنها أشبهت المعرفة باضافتها الى المعرفة، فعولمت معاملتها. ومن هنا اجترأ بعضهم فادخل عليها الألف واللام، لأنها لما شابهت المعرفة، باضافتها الى المعرفة، جاز ان يدخلها ما يعقب الاضافة، وهو الالف واللام...". - المترجم.

#468

وتورث تأسفاً على فقدها. وإذا عرفت شجرتها وشوهدت، يزول الألم في زوالها لبقاء شجرتها الحاضرة، وتبديل الثمرة الفانية بأمثالها. وكذا إن من أشد حالات روح البشر هي التللمات الناشئة من الفراق. فبنور الايمان تفترق الفراق وتنعدم. بل تنقلب بتجدد الامثال الذي فيه لذة أخرى إذ "كلُّ جديدٍ لذيذٌ..."

النقطة الخامسة

الحمد لله على نور الايمان الذي يَصَوِّرُ مَا يُتَوَهَّمُ أَعْدَاءَ وَاجَانِبَ وَأَمْوَاتاً مُوحِشِينَ، وَإَيْتَاماً بَاكِينَ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، أَحْبَاباً وَإِخْوَاناً وَأَحْيَاءَ مُونِسِينَ، وَعِبَاداً مُسَبِّحِينَ ذَاكِرِينَ..

يعني أن نَظَرَ الْعَفْلَةِ يَرَى مَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ مُضْرِبِينَ كَالْأَعْدَاءِ وَيَتَوَحَّشُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَرَى الْأَشْيَاءَ كَالْجَانِبِ. إذ في نَظَرِ الضَّلَالَةِ تَنْقَطِعُ عِلَاقَةُ الْأُخُوَّةِ فِي كُلِّ الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ وَالْإِسْتِقْبَالِيَةِ. وَمَا أُخُوَّتُهُ وَعِلَاقَتُهُ إِلَّا فِي زَمَانٍ حَاضِرٍ صَغِيرٍ قَلِيلٍ. فَأُخُوَّةُ أَهْلِ الضَّلَالَةِ كَدَقِيقَةِ فِي الْوَفِّ سَنَةِ مِنَ الْأَجْنِبِيَّةِ. وَأُخُوَّةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ تَمْتَدُّ مِنْ مَبْدَأِ الْمَاضِيِ إِلَى مُنْتَهَى الْإِسْتِقْبَالِ. وَإِنَّ نَظَرَ الضَّلَالَةِ يَرَى أَجْرَامَ الْكَاثِنَاتِ أَمْوَاتاً مُوحِشِينَ. وَنَظَرَ الْإِيمَانِ يُشَاهِدُ أَوْلِيَاءَ الْأَجْرَامِ أَحْيَاءَ مُونِسِينَ يَتَكَلَّمُ كُلُّ جِزْمٍ بِلِسَانِ حَالِهِ بِتَسْبِيحَاتِ فَاطِرِهِ. فَلَهَا رُوحٌ وَحَيَاةٌ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ. فَلَا تَكُونُ مُوحِشاً مُدهِشاً، بَلْ أَيْساً مُونِساً. وَإِنَّ نَظَرَ الضَّلَالَةِ يَرَى ذَوِي الْحَيَاةِ الْعَاجِزِينَ عَنِ مَطَالِبِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ حَامٍ مُتَوَدِّدٍ وَصَاحِبٍ مُتَعَهِّدٍ. كَأَنَّهَا أَيْتَامٌ يَبْكُونَ مِنْ عَجْزِهِمْ وَحُزْنِهِمْ وَيَأْسِهِمْ. وَنَظَرَ الْإِيمَانِ يَقُولُ: إِنَّ ذَوِي الْحَيَاةِ لَيْسُوا أَيْتَاماً بَاكِينَ، بَلْ هُمْ عِبَادٌ مُكَلَّفُونَ وَمَأْمُورُونَ وَمُوظَّفُونَ وَذَاكِرُونَ مُسَبِّحُونَ.

#469

النقطة السادسة

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نُورِ الْإِيمَانِ الْمَصُورِ لِلدَّارَيْنِ كَسْفَرَتَيْنِ مَمْلُوءَتَيْنِ مِنَ النِّعَمِ يَسْتَفِيدُ مِنْهُمَا الْمُؤْمِنُ بِيَدِ الْإِيمَانِ بِأَنْوَاعِ حَوَاسِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَأَقْسَامِ لَطَائِفِهِ الْمُعْنَوِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ الْمُكْشَفَةِ بِضِيَاءِ الْإِيمَانِ.

نَعْم: إِنَّ فِي نَظَرِ الضَّلَالَةِ تَتَصَاعَرُ دَائِرَةُ اسْتِفَادَةِ ذَوِي الْحَيَاةِ إِلَى دَائِرَةِ لَدَائِدِهِ الْمَادِّيَّةِ الْمُتَّعِصَةِ بِزَوَالِهَا. وَبُنُورِ الْإِيمَانِ تَتَوَسَّعُ دَائِرَةُ الاسْتِفَادَةِ إِلَى دَائِرَةِ مُحِيطِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلْ بِالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَالْمُؤْمِنُ يَرَى الشَّمْسَ كَسِرَاحٍ فِي بَيْتِهِ وَرَفِيقاً فِي وَطَنِهِ وَأُنَيْساً فِي سَفَرِهِ؛ وَتَكُونُ الشَّمْسُ نِعْمَةً مِنْ نِعْمَةٍ. وَمَنْ تَكُونُ الشَّمْسُ نِعْمَةً لَهُ؛ تَكُونُ دَائِرَةُ اسْتِفَادَتِهِ وَسَفَرُهُ نِعْمَتِهِ أَوْسَعَ مِنَ السَّمَوَاتِ.

فَالْقُرْآنُ الْمُعْجِزُ الْبَيِّنُ بِأَمْثَالِ (وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ) يُشِيرُ بِبَلَاغَتِهِ إِلَى هَذِهِ الْإِحْسَانَاتِ الْخَارِقَةِ النَّاشِئَةِ مِنَ الْإِيمَانِ.

النقطة السابعة

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى اللَّهِ. فَوْجُودُ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ نِعْمَةٌ لَيْسَتْ فَوْقَهَا نِعْمَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ وَلِكُلِّ مَوْجُودٍ. وَهَذِهِ النِّعْمَةُ تَتَّصِفُ بِأَنْوَاعِ نِعَمٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا، وَأَجْنَاسِ إِحْسَانَاتٍ لَا غَايَةَ لَهَا، وَأَصْنَافِ عَطِيَّاتٍ لَا حَدَّ لَهَا.

قد اشير الى قسم منها في اجزاء "رسالة النور" وبالخاصة (في الموقف الثالث من الرسالة الثانية والثلاثين). وكل الرسائل الباحثة عن الايمان بالله من اجزاء رسالة النور تكشف الحجاب عن وجه هذه النعمة. فإكتفاء بها تقتصر هنا.

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى رَحْمَانِيَّتِهِ تَعَالَى الَّتِي تَتَّصِفُ نِعْمَةً بَعْدَ مَنْ تَعَلَّقَ بِهِ الرَّحْمَةُ مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ. إِذْ فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ بِسِرِّ جَامِعِيَّتِهِ عِلَاقَاتٌ بِكُلِّ ذَوِي الْحَيَاةِ تَحْصُلُ لَهُ

#470

سَعَادَةً مُعْنَوِيَّةً بِسَبَبِ سَعَادَاتِهِمْ. وَفِي فِطْرَتِهِ تَأْتُرُ بِالْأَمِهِمْ. فَالنِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ تَكُونُ نَوْعَ نِعْمَةٍ لِذَلِكَ الْإِنْسَانِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى رَحِيمِيَّتِهِ تَعَالَى بَعْدَ الْإِطْفَالِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ بِشَفَقَاتِ وَالِدَاتِهِمْ. إِذْ كَمَا أَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ فِطْرَةٌ سَلِيمَةٌ يَتَأَلَّمُ وَيَتَوَجَّعُ مِنْ بُكَاءِ طِفْلِ جَائِعٍ لَا وَالِدَةَ لَهُ؛ كَذَلِكَ يَتَنَعَّمُ بِتَعَطُّفِ الْوَالِدَاتِ عَلَى أَطْفَالِهَا.

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حَكِيمِيَّتِهِ تَعَالَى بَعْدَ دَقَائِقِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ حِكْمَتِهِ فِي الْكَائِنَاتِ. إِذْ كَمَا تَتَنَعَّمُ نَفْسُ الْإِنْسَانِ بِجَلَوَاتِ رَحْمَانِيَّتِهِ، وَيَتَنَعَّمُ قَلْبُ الْإِنْسَانِ بِتَجَلِّيَّاتِ رَحِيمِيَّتِهِ؛ كَذَلِكَ يَتَلَدَّدُ عَقْلُ الْإِنْسَانِ بِلَطَائِفِ حِكْمَتِهِ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حَفِيزِيَّتِهِ تَعَالَى بَعْدَ تَجَلِّيَّاتِ اسْمِهِ "الْوَارِثِ"، وَبَعْدَ جَمِيعِ مَا بَقِيَ بَعْدَ فَوَاتِ أُصُولِهَا وَآبَائِهَا وَصَوَاحِبِهَا، وَبَعْدَ مَوْجُودَاتِ دَارِ الْآخِرَةِ، وَبَعْدَ آمَالِ الْبَشَرِ الْمُحْفُوظَةِ لِأَجْلِ الْمُكَافَأَةِ الْآخِرَوِيَّةِ. إِذْ دَوَامُ النِّعْمَةِ أَكْبَرُ نِعْمَةً مِنْ نَفْسِ النِّعْمَةِ؛ وَبَقَاءُ اللَّذَّةِ لَذَّةٌ أَعْلَى لَذَّةً مِنْ نَفْسِ اللَّذَّةِ؛ وَالْحُلُودُ فِي الْجَنَّةِ نِعْمَةٌ فَوْقَ نَفْسِ الْجَنَّةِ.

وهكذا.

فَحَفِيفِيَّتُهُ تَعَالَى تَتَّصَمَنُ نِعْمًا أَكْثَرَ وَأَزِيدَ وَاعْلَى مِنْ جَمِيعِ النِّعَمِ عَلَى الْمَوْجُودَاتِ فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ.
وهكذا، فِقِسْ عَلَى اسْمِ "الرَّحْمَنِ وَالرَّحِيمِ وَالْحَكِيمِ وَالْحَفِيفِ" سَائِرِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى.
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى حَمْدًا بِلَا نِهَآيَةٍ لِمَا أَنَّ فِي كُلِّ اسْمٍ مِنْهَا نِعْمًا بِلَا نِهَآيَةٍ.

#471

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ تَرْجَمَانُ لِكُلِّ مَا مَضَى مِنْ جَمِيعِ الْإِنْعَامَاتِ الَّتِي لَا نِهَآيَةَ لَهَا حَمْدًا بِلَا نِهَآيَةٍ.
الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَمْدًا بِلَا نِهَآيَةٍ. إِذْ هُوَ الْوَسِيلَةُ لِلْإِيمَانِ الَّذِي فِيهِ جَمِيعُ الْمَفَاتِيحِ
لِجَمِيعِ خَزَائِنِ النِّعَمِ الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا فِي هَذَا الْبَابِ الثَّانِي آفَاقًا.
الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَرْضِيَّاتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَفَهْرِسْتُهُ لِأَنْوَاعِ نِعْمِهِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، حَمْدًا
بِلَا نِهَآيَةٍ.

النقطة الثامنة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَحْمَدُ لَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِإِظْهَارِ أَوْصَافِ جَمَالِهِ وَكَمَالِهِ، هَذَا الْكِتَابُ الْكَبِيرُ الْمُسَمَّى بِ"الْكَائِنَاتِ" بِجَمِيعِ
أَبْوَابِهِ وَفُضُولِهَا، وَجَمِيعِ صَحَائِفِهِ وَسُطُورِهَا، وَجَمِيعِ كَلِمَاتِهِ وَحُرُوفِهَا، كُلُّ بِقَدْرِ نِسْبَتِهِ يَحْمَدُهُ تَعَالَى وَيُسَبِّحُهُ
بِإِظْهَارِ بَوَارِقِ أَوْصَافِ جَلَالِ نِقَاشِهِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ بِمُظْهَرِيَّةِ كُلِّ بِقَدْرِ نِسْبَتِهِ لِأَضْوَاءِ أَوْصَافِ جَمَالِ كَاتِبِهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ، وَبِمُظْهَرِيَّةِ كُلِّ بِقَدْرِ نِسْبَتِهِ لِأَنْوَارِ أَوْصَافِ كَمَالِ مُنْشِئِهَا وَمُنْشِدِهَا الْقَدِيرِ الْعَلِيمِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ،
وَبِمِرَاتِيَّةِ كُلِّ بِقَدْرِ نِسْبَتِهِ لِأَشْعَةِ تَجَلِّيَاتِ أَسْمَاءِ مَنْ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى. جَلَّ جَلَالُهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

النقطة التاسعة

الْحَمْدُ - مِنْ اللَّهِ بِاللَّهِ عَلَى اللَّهِ - اللَّهُ بِعَدَدِ ضَرْبِ ذَرَّاتِ الْكَائِنَاتِ مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَا إِلَى آخِرِ الْخَلْقَةِ فِي عَاشِرَاتِ
دَقَائِقِ الْأَزْمَةِ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ.

#472

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى "الْحَمْدُ لِلَّهِ" بِدَوْرِ دَائِرٍ فِي تَسْلُسُلٍ¹ يَتَسَلْسَلُ إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى.
الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ عَلَيَّ وَعَلَى إِخْوَانِي بِعَدَدِ ضَرْبِ ذَرَّاتِ وَجُودِي فِي عَاشِرَاتِ دَقَائِقِ عُمْرِي
فِي الدُّنْيَا، وَبِقَائِي وَبِقَائِهِمْ فِي الْآخِرَةِ.

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَيْتَنَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ)

لَوْلَا أَنْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بِعَدَدِ حَسَنَاتِ أُمَّتِهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ آمِينَ.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الدور والتسلسل محالان في دائرة الممكنات. لأنها يقتضيان عدم التناهي، ودائرة الممكنات متناهية فلا تسع غير المتناهي. اما الحمد المتعلق بدائرة الوجوب فهو غير متناه. فيدخل بالدور والتسلسل في دائرة غير متناهية فيتمكن فيها وتسعه. - المؤلف.

#473

الباب الثالث

في مراتب

"الله أكبر"

"سنذكر سبعا من ثلاث وثلاثين مرتبة لهذا الباب، حيث قد ذكر قسم مهم من تلك المراتب في المقام الثاني من المکتوب العشرين، وفي نهاية الموقف الثاني من الكلمة الثانية والثلاثين، وفي بداية الموقف الثالث منها. فمن شاء أن يطلع على حقيقة هذه المراتب، فليراجع تلك الرسائل"

المرتبة الاولى

(وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا)
(الاسراء: 111). لَبِيكَ وَسَعْدِيكَ..

جلّ جلاله الله أكبر من كلّ شيء قدرةً وعِلماً، إذ هو الخالق البارئ المصور الذي صنع الانسان بقدرته كالكاينات، وكتب الكاينات بقلم قدره كما كتب الانسان بذلك القلم. إذ ذاك العالم الكبير كهذا العالم الصغير مصنوع قدرته مکتوب قدره. إبداعه إبداع صيره مسجداً. إيجاده لهذا صيره ساجداً. إنشأوه لذلك صير ذلك ملكاً. بناؤه لهذا صيره مملوكاً. صنعته في ذلك تظاهرت كتاباً. صبغته في هذا تراهرت خطاباً. قدرته في ذلك تظهر حشمته. رحمته في هذا تنظم نعمته. حشمته في ذلك تشهد هو الواحد. نعمته في هذا تعلن هو الأحد. سكتته في ذلك في الكلّ والأجزاء سُكوناً حركةً. خاتمته في هذا في الجسم والأعضاء حُجيرةً ذرّةً.

#474

فانظر إلى آثاره المتسقة كيف ترى كالفلق سخاوةً مُطلقةً مع انتظام مُطلق، في سرعة مُطلقةً مع اتزان مُطلق، في سهولة مُطلقةً مع اتقان مُطلق، في وسعة مُطلقةً مع حسن صنع مُطلق، في بَعْدَة مُطلقةً مع اتّفاق مُطلق، في خِلْطَة مُطلقةً مع امتياز مُطلق، في رُحْصَة مُطلقةً مع علو مُطلق. فهذه الكيفية المشهوده شاهده للعاقل المحقق، مُجبره للأحقق المتأفق على قبول الصنعة والوحدة للحق ذي القدرة المطلقة، وهو العليم المطلق.

وَفِي الْوَحْدَةِ سُهولةٌ مُطلَقَةٌ، وَفِي الْكثْرَةِ وَالشَّرْكََةِ صُعُوبَةٌ مُنْغَلِقَةٌ:

إِنْ أُسْنِدَ كُلُّ الْأَشْيَاءِ لِلوَاحِدِ، فَالْكَائِنَاتُ كَالنَّخْلَةِ، وَالنَّخْلَةُ كَالثَّمَرَةِ سُهولةٌ فِي الْإِبْتِدَاعِ. وَإِنْ أُسْنِدَ لِلْكَثْرَةِ فَالنَّخْلَةُ كَالْكَائِنَاتِ، وَالثَّمَرَةُ كَالشَّجَرَاتِ صُعُوبَةٌ فِي الْاِمْتِنَاعِ. إِذِ الْوَاحِدُ بِالْفِعْلِ الْوَاحِدِ يُحْصِلُ نَتِيجَةً وَوَضْعِيَةً لِلْكَثِيرِ بِلَا كُفَّةٍ وَلَا مُبَاشَرَةٍ؛ وَلَوْ أُحِيلَتْ تِلْكَ الْوَضْعِيَةُ وَالتَّنِيجَةُ إِلَى الْكثْرَةِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا إِلَّا بِتَكْلُفَاتٍ وَمُبَاشَرَاتٍ وَمُشَاجِرَاتٍ كَالْأَمِيرِ مَعَ التَّقَرَاتِ، وَالبَانِي مَعَ الْحَجَرَاتِ، وَالأَرْضِ مَعَ السِّيَّارَاتِ، وَالفَوَّارَةِ مَعَ الْقَطْرَاتِ، وَنُقْطَةِ الْمَرْكَزِ مَعَ التَّقْطِ فِي الدَّائِرَةِ.

بِسِرِّ أَنْ فِي الْوَحْدَةِ يَقُومُ الْاِنْتِسَابُ مَقَامَ قُدْرَةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ. وَلَا يَضْطَرُّ السَّبَبُ لِحَمْلِ مَنَابِعِ قُوَّتِهِ وَيَتَعَاطَمُ الْاِثْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ. وَفِي الشَّرْكََةِ يَضْطَرُّ كُلُّ سَبَبٍ لِحَمْلِ مَنَابِعِ قُوَّتِهِ؛ فَيَتَصَاغَرُ الْاِثْرُ بِنِسْبَةِ جِزْمِهِ. وَمِنْ هُنَا غَلَبَتِ التَّمْلَةُ وَالدُّبَابَةُ عَلَى الْجَبَابِرَةِ، وَحَمَلَتِ النُّوَاهُ الصَّغِيرَةَ شَجَرَةً عَظِيمَةً.

وَبِسِرِّ أَنْ فِي إِسْنَادِ كُلِّ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْوَاحِدِ لَا يَكُونُ الْاِيجَادُ مِنَ الْعَدَمِ الْمَطْلُوقِ. بَلْ يَكُونُ الْاِيجَادُ عَيْنَ تَقْلِ الْمَوْجُودِ الْعِلْمِيِّ إِلَى الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ، كَتَقْلِ الصُّورَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ

#475

فِي الْمِرَاةِ إِلَى الصَّحِيفَةِ الْفُوطُوغْرَافِيَّةِ لِتَثْبِيتِ وُجُودِ خَارِجِيٍّ لَهَا بِكَمَالِ السُّهُولَةِ، أَوْ إِظْهَارِ الْخَطِّ الْمَكْتُوبِ بِمَدَادٍ لَا يُرَى، بِوَاسِطَةِ مَادَّةٍ مُظْهِرَةٍ لِلْكِتَابَةِ الْمُسْتَوْرَةِ. وَفِي إِسْنَادِ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْأَسْبَابِ وَالْكَثْرَةِ يَلْزَمُ الْاِيجَادُ مِنَ الْعَدَمِ الْمَطْلُوقِ، وَهُوَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَالًا يَكُونُ أَصْعَبَ الْأَشْيَاءِ. فَالسُّهُولَةُ فِي الْوَحْدَةِ وَاصِلَةٌ إِلَى دَرَجَةِ الْوُجُوبِ، وَالصُّعُوبَةُ فِي الْكثْرَةِ وَاصِلَةٌ إِلَى دَرَجَةِ الْاِمْتِنَاعِ. وَبِحِكْمَةٍ أَنْ فِي الْوَحْدَةِ يُمَكِّنُ الْإِبْدَاعَ وَاِيجَادَ "الْأَيْسِ مِنَ الْلَيْسِ" يَعْنِي إِبْدَاعَ الْمَوْجُودِ مِنَ الْعَدَمِ الصَّرْفِ بِلَا مُدَّةٍ وَلَا مَادَّةٍ، وَإِفْرَاقَ الذَّرَاتِ فِي الْقَالِبِ الْعِلْمِيِّ بِلَا كُفَّةٍ وَلَا خِلْطَةٍ. وَفِي الشَّرْكََةِ وَالْكَثْرَةِ لَا يُمَكِّنُ الْإِبْدَاعَ مِنَ الْعَدَمِ بِاتِّفَاقِ كُلِّ أَهْلِ الْعَقْلِ. فَلَا بُدَّ لِوُجُودِ ذِي حَيَاةٍ جَمْعِ ذَرَاتٍ مُنْتَشِرَةٍ فِي الأَرْضِ وَالْعُنَاصِرِ؛ وَبِعَدَمِ الْقَالِبِ الْعِلْمِيِّ يَلْزَمُ لِمَحَافَظَةِ الذَّرَاتِ فِي جِسْمِ ذِي الْحَيَاةِ وُجُودَ عِلْمٍ كَلْبِيِّ، وَإِرَادَةَ مُطْلَقَةٍ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ. وَمَعَ ذَلِكَ إِنَّ الشُّرَكَاءَ مُسْتَعْنِيَةً عَنْهَا وَمُتَبِعَةً بِالدَّاتِ وَتَحْكُمِيَّةً مَحْضَةً، لَا أَمَارَةَ عَلَيْهَا وَلَا إِشَارَةَ إِلَيْهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ. إِذْ خَلَقَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ تَسْتَلْزِمُ قُدْرَةً كَامِلَةً غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ بِالضَّرُورَةِ. فَاسْتَعْنِي عَنِ الشُّرَكَاءِ؛ وَإِلَّا لَزِمَ تَحْدِيدُ وَائْتِهَاءُ قُدْرَةٍ كَامِلَةٍ غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ فِي وَقْتِ عَدَمِ التَّنَاهِي بِقُوَّةِ مُتَنَاهِيَةٍ بِلَا ضَرُورَةٍ، مَعَ الضَّرُورَةِ فِي عَكْسِهِ؛ وَهُوَ مُحَالٌ فِي حَمْسَةِ أَوْجِهِ. فَامْتَنَعَتِ الشُّرَكَاءُ، مَعَ أَنَّ الشُّرَكَاءَ الْمُتَمَنِّعَةَ بِتِلْكَ الْوُجُوهِ لَا إِشَارَةَ إِلَى وُجُودِهَا، وَلَا أَمَارَةَ عَلَى تَحْقُوقِهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ.

فقد استفسرنا هذه المسألة في "الموقف الأول من الرسالة الثانية والثلاثين" من الذرات الى السيارات وفي "الموقف الثاني" من السموات الى التشخصات الوجيهة فاعطت جميعها جواب رد الشرك بإراءة سكة التوحيد.

فَكَمَا لَا شُرَكَاءَ لَهُ؛ كَذَلِكَ لَا مُعِينَ وَلَا وُزَرَءَ لَهُ. وَمَا الْاِسْبَابُ إِلَّا حِجَابٌ رَقِيقٌ عَلَى تَصَرُّفِ الْقُدْرَةِ الْاِرْتِلِيَّةِ، لَيْسَ

لَهَا تَأْتِيرُ إِيجَادِي فِي نَفْسِ الْأَمْرِ. إِذْ أَشْرَفَ

#476

الاسْتَبَابِ وَأَوْسَعَهَا اخْتِيَاراً هُوَ الْإِنْسَانُ؛ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِهِ مِنْ أَظْهَرِ أَفْعَالِهِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ كَمَا "الْأَكْلِ وَالْكَلَامِ وَالْفِكْرِ" مِنْ مِثَالِ أَجْزَاءِ الْإِلَاحِ وَوَحْدِ مَشْكُوكٍ. فَإِذَا كَانَ السَّبَبُ الْأَشْرَفُ وَالْأَوْسَعُ اخْتِيَاراً مَغْلُوبَ الْأَيْدِي عَنِ التَّصَرُّفِ الْحَقِيقِيِّ كَمَا تَرَى؛ فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ الْبَهَائِثُ وَالْجَمَادَاتُ شَرِيكَةً فِي الْإِيجَادِ وَالرُّبُوبِيَّةِ لِخَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ. فَكَمَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الظَّرْفُ الَّذِي وَضَعَ السُّلْطَانَ فِيهِ الْهَدِيَّةَ، أَوْ الْمَنْدِيلُ الَّذِي لَفَّ فِيهِ الْعَطِيَّةَ، أَوْ التَّنْفَرُ الَّذِي أَرْسَلَ عَلَى يَدِهِ التَّعَمَّةَ إِلَيْكَ، شُرَكَاءَ لِلسُّلْطَانِ فِي سُلْطَنَتِهِ؛ كَذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْإِسْتَبَابُ الْمُرْسَلَةُ عَلَى أَيْدِيهِمُ التَّعَمُّ إِلَيْنَا، وَالظَّرُوفُ الَّتِي هِيَ صِنَادِيقُ التَّعَمِّ الْمُدْحَرَّةُ لَنَا، وَالْإِسْتَبَابُ الَّتِي التَّقْتُّ عَلَى عَطَايَا إِلَهِيَّةٍ مُهْدَاةٍ إِلَيْنَا، شُرَكَاءَ أَعْوَاناً أَوْ وَسَائِطَ مُؤَثَّرَةً.

المرتبة الثانية

جَلَّ جَلَالُهُ اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْماً، إِذْ هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ الصَّانِعُ الْحَكِيمُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الَّذِي هَذِهِ الْمَوْجُودَاتُ الْأَرْضِيَّةُ وَالْأَجْرَامُ الْعُلُوبِيَّةُ فِي بُسْتَانِ الْكَائِنَاتِ مُعْجَزَاتُ قُدْرَةِ خَلْقٍ عَالِمٍ بِالْبَدَاهَةِ، وَهَذِهِ النَّبَاتَاتُ الْمُتَلَوِّتَةُ الْمُتَزَيِّتَةُ الْمُنْثَوْرَةُ، وَهَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ الْمُتَنَوِّعَةُ الْمُتَبَرِّجَةُ الْمُنْشَوْرَةُ فِي حَدِيقَةِ الْأَرْضِ خَوَارِقُ صُنْعَةِ صَانِعٍ حَكِيمٍ بِالضَّرُورَةِ، وَهَذِهِ الْأَزْهَارُ الْمُتَبَسِّمَةُ وَالْأَثْمَارُ الْمُتَزَيِّتَةُ فِي جَنَّانِ هَذِهِ الْحَدِيقَةِ هَدَايَا رَحْمَةٍ رَحْمَنٍ رَحِيمٍ بِالْمُشَاهَدَةِ. تَشْهَدُ هَاتِيكَ وَتُنَادِي تَاكَ وَتُعَلِّقُ هَذِهِ بِأَنَّ خَلْقَ هَاتِيكَ وَمُصَوِّرَ تَاكَ وَوَاهِبَ هَذِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً، تَنْسَاوِي بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ الذَّرَاتُ وَالنُّجُومُ وَالْقَلِيلُ وَالكَثِيرُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالْمُنْتَاهِي وَعَبْرَ الْمُنْتَاهِي. وَكُلُّ الْوُقُوعَاتِ الْمَاضِيَةِ وَعَرَائِبِهَا مُعْجَزَاتُ

#477

صُنْعَةِ صَانِعٍ حَكِيمٍ تَشْهَدُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الصَّانِعَ قَدِيرٌ عَلَى كُلِّ الْإِمْكَانَاتِ الْإِسْتَيْبَالِيَّةِ وَعَجَائِبِهَا، إِذْ هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ وَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ حَدِيقَةَ أَرْضِهِ مَشْهَرًا صُنْعَتِهِ. مَحْشَرًا فِطْرَتِهِ. مَظْهَرًا قُدْرَتِهِ. مَدَارًا حِكْمَتِهِ. مَزْهَرًا رَحْمَتِهِ. مَزْرَعًا جَنَّتِهِ. مَمَرًا الْمَخْلُوقَاتِ. مَسِيلًا الْمَوْجُودَاتِ. مَكِيلًا الْمَصْنُوعَاتِ.

فَمَزَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ مُنْقَشَ الطُّيُورَاتِ مُنَمَّرَ الشَّجَرَاتِ مُزَهَّرَ النَّبَاتَاتِ مُعْجَزَاتِ عِلْمِهِ. خَوَارِقُ صُنْعِهِ. هَدَايَا جُودِهِ. بَرَاهِينُ لُطْفِهِ.

تَبَسُّمُ الْأَزْهَارِ مِنْ زَيْتَةِ الْأَثْمَارِ، تَسْجُعُ الْإِطْيَارِ فِي نَسْمَةِ الْأَشْعَارِ، تَهْرُجُ الْأَمْطَارِ عَلَى حُدُودِ الْأَزْهَارِ، تَرْحُمُ الْوَالِدَاتِ عَلَى الْأَطْفَالِ الصَّغَارِ.. تَعْرِفُ وَدُودِ، تَوَدُّدُ رَحْمَنٍ، تَرْحُمُ حَنَّانٍ، تَحْتُنُّ مَنَانَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَانَ وَالرُّوحَ وَالْحَيَوَانَ وَالْمَلَكِ وَالْجَانِّ.

وَالْبُدُورُ وَالْأَثْمَارُ، وَالْحُبُوبُ وَالْأَزْهَارُ، مُعْجَزَاتُ الْحِكْمَةِ. خَوَارِقُ الصَّنْعَةِ. هَدَايَا الرَّحْمَةِ. بَرَاهِينُ الْوَحْدَةِ. شَوَاهِدُ لُطْفِهِ فِي دَارِ الْآخِرَةِ. شَوَاهِدُ صَادِقَةٌ أَنَّ خَلْقَهَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ بِالرَّحْمَةِ وَالْعِلْمِ وَالخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّصْوِيرِ. فَالتَّشْمُسُ كَالْبَدْرَةِ وَالتَّجْمُ كَالزُّهْرَةِ وَالْأَرْضُ كَالْحَبَّةِ لَا تُثْقَلُ عَلَيْهِ بِالخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّصْوِيرِ. فَالْبُدُورُ وَالْأَثْمَارُ مَرَايَا الْوَحْدَةِ فِي أَفْطَارِ الْكَثْرَةِ. إِشَارَاتُ الْقَدْرِ. رُمُوزَاتُ الْقُدْرَةِ أَنَّ تِلْكَ الْكَثْرَةَ مِنْ مَنبَعِ الْوَحْدَةِ، تَصْدُرُ شَاهِدَةً لَوْحَدَةِ الْفَاطِرِ فِي الصَّنْعِ وَالتَّصْوِيرِ. ثُمَّ إِلَى الْوَحْدَةِ تَنْتَهِي ذَاكِرَةً لِحِكْمَةِ الصَّانِعِ فِي الخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ. وَتَلْوِيحَاتُ الْحِكْمَةِ أَنَّ خَالِقَ الْكُلِّ بِكَيْفِيَةِ النَّظَرِ إِلَى الْجُزْئِيِّ يَنْظُرُ، ثُمَّ إِلَى جُزْئِهِ. إِذْ إِنَّ كَانَ ثَمَرًا فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْإِظْهَرُ مِنْ خَلْقِ هَذَا الشَّجَرِ. فَالْبَشَرُ

#478

ثَمَرٌ لِهَذِهِ الْكَائِنَاتِ، فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْإِظْهَرُ لِخَالِقِ الْمَوْجُودَاتِ. وَالْقَلْبُ كَالثُّوَاءِ، فَهُوَ الْمِرَاةُ الْإِنْوَرُ لِصَانِعِ الْمَخْلُوقَاتِ. وَمِنْ هَذِهِ الْحِكْمَةِ فَالْإِنْسَانُ الْأَصْغَرُ فِي هَذِهِ الْكَائِنَاتِ هُوَ الْمَدَارُ الْإِظْهَرُ لِلنَّشْرِ وَالْمَحْشَرِ فِي هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ، وَالتَّخْرِيْبِ وَالتَّبْدِيلِ وَالتَّحْوِيلِ وَالتَّجْدِيدِ لِهَذِهِ الْكَائِنَاتِ. اللَّهُ أَكْبَرُ يَا كَبِيرُ أَنْتَ الَّذِي لَا تَهْدِي الْعُقُولُ لِكُنْهِ عَظَمَتِهِ.

كِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بَرَابَرِي زَنْدُ هَرَشِي

دَمَادَمُ جُو يَدَنْدُ: "يَا حَقُّ" سَرَّاسَرُ كُوَيْدَنْدُ: "يَا حَيِّ"

المرتبة الثالثة¹

إيضاحها في رأس "الموقف الثالث" من "الرسالة الثانية والثلاثين".

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْمًا إِذْ هُوَ الْقَدِيرُ الْمُقَدِّرُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ الْمَصُورُ الْكَرِيمُ اللَّطِيفُ الْمُرِيءُ الْمُنْعِمُ الْوَدُودُ الْمُتَعَرِّفُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمُتَحَيِّنُ الْجَمِيلُ ذُو الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ الْمُطَلِّقُ التَّقَاشُ الْأَزَلِيُّ الَّذِي مَا حَقَائِقُ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ كَلًّا وَأَجْزَاءً وَصَحَائِفَ وَطَبَقَاتٍ، وَمَا حَقَائِقُ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّيًّا وَجُزْئِيًّا وَوُجُودًا وَبَقَاءً:

¹ هذه المرتبة الثالثة تأخذ بعين الاعتبار زهرة جزئية وحسنة جميلة، فالربيع الزاهر كتلك الزهرة والجنة العظيمة مثلها؛ إذ هما مظهران من مظاهر تلك المرتبة، كما أن العالم إنساناً جميلاً وعظيماً، وكذا الحور العين والروحانيات وجنس الحيوان وصنف الإنسان.. كل منها كأنه في هيئة إنسان جميل يعكس بصفحاته هذه الأسماء التي تعكسها هذه المرتبة. - المؤلف.

#479

إِلَّا خُطُوطٌ قَلَمٌ قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ بِتَنْظِيمٍ وَتَقْدِيرٍ وَعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ.
وَالْأَنْفُوسُ بَرَكَارِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ بِصُنْعٍ وَتَصْوِيرٍ.

وَالْأَ تَزِينَاتُ يَدِ بَيْضَاءِ صُنْعِهِ وَتَصْوِيرِهِ وَتَزِينِهِ وَتَنْوِيرِهِ بِلُطْفٍ وَكَرَمٍ.

وَالْأَ أَزَاهِيرُ لَطَائِفِ لُطْفِهِ وَكَرَمِهِ وَتَعَرُّفِهِ وَتَوَدُّدِهِ بِرَحْمَةٍ وَنِعْمَةٍ.

وَالْأَ ثَمَرَاتُ فَيْاضِ عَيْنِ رَحْمَتِهِ وَنِعْمَتِهِ وَتَرْحُمِهِ وَتَحْنُنِهِ بِجَمَالٍ وَكَمَالٍ.

وَالْأَ لَمَعَاتُ جَمَالِ سَرْمَدِيٍّ وَكَمَالِ دَيْمُومِيٍّ بِشَهَادَةِ تَفَاتِيهِ الْمَرَايَا وَسَيَالِيَةِ الْمَظَاهِيرِ ، مَعَ دَوَامِ تَجَلِّيِ الْجَمَالِ عَلَى مَرِّ الْفُصُولِ وَالْعُصُورِ وَالْأَدْوَارِ ، وَمَعَ دَوَامِ الْإِنْعَامِ عَلَى مَرِّ الْأَنَامِ وَالْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ.

نَعَمْ تَقَانِي الْمِرَاةِ زَوَالِ الْمَوْجُودَاتِ مَعَ التَّجَلِّيِ الدَّائِمِ مَعَ الْفَيْضِ الْمَلَاذِمِ مِنْ أَظْهَرِ الظُّوَاهِرِ مِنْ أَمْبَرِ الْبَوَاهِرِ عَلَى أَنَّ الْجَمَالَ الظَّاهِرَ أَنَّ الْكَمَالَ الرَّاهِرَ لَيْسَا مُلْكُ الْمَظَاهِرِ مِنْ أَفْصَحِ تَبْيَانٍ مِنْ أَوْصَحِ بُرْهَانٍ لِلْجَمَالِ الْمُجَرَّدِ لِلْإِحْسَانِ الْمَجْدِّ لِلْوَاجِبِ الْوُجُودِ لِلْبَاقِيِ الْوُدُودِ.

نَعَمْ فَلَا تَرَى الْمُكْمَلُ يَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ عَلَى الْفِعْلِ الْمُكْمَلِ. ثُمَّ الْفِعْلُ الْمُكْمَلُ يَدُلُّ بِالضَّرُورَةِ عَلَى الْاسْمِ الْمُكْمَلِ وَالْفَاعِلِ الْمُكْمَلِ ثُمَّ الْاسْمُ الْمُكْمَلُ يَدُلُّ بِالرَّيْبِ عَلَى الْوَصْفِ الْمُكْمَلِ. ثُمَّ الْوَصْفُ الْمُكْمَلُ يَدُلُّ بِالِشَّكِّ عَلَى الشَّانِ الْمُكْمَلِ. ثُمَّ الشَّانُ الْمُكْمَلُ يَدُلُّ بِالْيَقِينِ عَلَى كَمَالِ النَّاتِ بِمَا يَلِيْقُ بِالنَّاتِ وَهُوَ الْحَقُّ الْيَقِينُ.

المرتبة الرابعة

جَلَّ جَلَالُهُ اللهُ أَكْبَرُ إِذْ هُوَ الْعَدْلُ الْعَادِلُ الْحَكْمُ الْحَاكِمُ الْحَكِيمُ الْأَرْزِيُّ الَّذِي أَسَّسَ بُنْيَانَ شَجَرَةِ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ بِأُصُولِ مَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ. وَفَصَّلَهَا بِدَسَاتِيرِ

#480

قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ. وَنَظَّمَهَا بِقَوَانِينِ عَادَتِهِ وَسُنَّتِهِ. وَرَزَيْهَا بِنَوَامِيسِ عِنَايَتِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَتَوَرَّهَا بِجَلَوَاتِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِشَهَادَاتِ انْتِظَامَاتِ مَصْنُوعَاتِهِ وَتَزِينَاتِ مَوْجُودَاتِهِ وَتَشَابُهَاتِهَا وَتَنَاسُبَاتِهَا وَتَجَاوُزَاتِهَا وَتَعَاوُنَاتِهَا وَتَعَانُقَاتِهَا، وَانْتِقَانِ الصَّنْعَةِ الشُّعُورِيَّةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَلَى مِقْدَارِ قَامَةِ قَابِلِيَّتِهِ الْمَقْدَرَةِ بِتَقْدِيرِ الْقَدْرِ.

فَالْحِكْمَةُ الْعَامَّةُ فِي تَنْظِيمَاتِهَا.. وَالْعِنَايَةُ التَّامَّةُ فِي تَزِينَاتِهَا.. وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ فِي تَلَطُّفَاتِهَا.. وَالْأَرْزَاقُ وَالْإِعَاشَةُ الشَّامِلَةُ فِي تَرْبِيَّتِهَا.. وَالْحَيَاةُ الْعَجِيبَةُ الصَّنْعَةُ بِمَظْهَرِيَّتِهَا لِلشُّعُورِ الدَّائِيَّةِ لِقَاطِرِهَا.. وَالْمَحَاسِنُ الْقَصْدِيَّةُ فِي تَحْسِينَاتِهَا.. وَدَوَامُ تَجَلِّيِ الْجَمَالِ الْمُنْعَكِسِ مَعَ زَوَالِهَا.. وَالْعَشْقُ الصَّادِقُ فِي قَلْبِهَا لِمَعْبُودِهَا.. وَالْإِنْجِدَابُ الظَّاهِرُ فِي جَذْبَاتِهَا.. وَاتِّفَاقُ كُلِّ كَمَلٍ عَلَى وَحْدَةٍ فَاطِرِهَا.. وَالتَّصَرُّفُ لِمَصَالِحِ فِي أَجْزَائِهَا.. وَالتَّدْبِيرُ الْحَكِيمُ لِنَبَاتَاتِهَا.. وَالتَّرْبِيَةُ الْكَرِيمَةُ لِحَيَوَانَاتِهَا.. وَالْإِنْتِظَامُ الْمُكْمَلُ فِي تَغْيِرَاتِ أَرْكَانِهَا.. وَالْغَايَاتُ الْجَسْمِيَّةُ فِي انْتِظَامِ كَلْبَتِهَا.. وَالْحُدُوثُ دَفْعَةٌ مَعَ غَايَةِ كَمَالٍ حُسْنِ صَنْعَتِهَا بِلا احتياجٍ إِلَى مَدَّةٍ وَمَادَّةٍ.. وَالتَّشْخُصَاتُ الْحَكِيمَةُ مَعَ عَدَمِ تَحْدِيدِ تَرَدُّدِ إِمْكَانَاتِهَا.. وَقَضَاءُ حَاجَاتِهَا عَلَى غَايَةِ كَثْرَتِهَا وَتَنَوُّعِهَا فِي أَوْقَاتِهَا اللَّائِقَةِ الْمُنَاسِبَةِ، مِنْ حَيْثُ لَا يُحْتَسَبُ وَمِنْ حَيْثُ لَا يُشْعَرُ مَعَ قَصْرِ أَيْدِيهَا مِنْ أَصْغَرِ مَطَالِبِهَا.. وَالقُوَّةُ الْمَطْلُوقَةُ فِي مَعْدَنِ صُغْفَرِهَا.. وَالقُدْرَةُ الْمَطْلُوقَةُ فِي مَنَبَعِ عَجْزِهَا..

وَالْحَيَاةَ الظَّاهِرَةَ فِي جُمُودِهَا.. وَالشُّعُورَ المُحِيطُ فِي جَمَلِهَا.. وَالِاتِّبَاعَ المُكَمَّلُ فِي تَغْيِيرَاتِهَا المُسْتَلزِمُ لِوُجُودِ المُغَيَّرِ
الغَيْرِ المُتَغَيَّرِ.. وَالِاتِّفَاقُ فِي تَسْبِيحَاتِهَا كَالدَّوَائِرِ المُتَدَاخِلَةِ المُتَّحِدَةِ المَرْكَزِ.. وَالْمَقْبُولِيَّةُ فِي دَعَوَاتِهَا الثَّلَاثِ "بِلِسَانِ
اسْتِعْدَادِهَا، وَبِلِسَانِ احْتِيَاجَاتِهَا الفِطْرِيَّةِ، وَبِلِسَانِ اضْطِرَارِهَا".. وَالْمُنَاجَاةَ وَالشُّهُودَاتِ وَالْفِيُوضَاتِ فِي
عِبَادَاتِهَا.. وَالِاتِّبَاعَ فِي قَدَرِهَا.. وَالِاطْمِئْنَانَ بِذِكْرِ فَاطِرِهَا..

#481

وَكَوْنُ العِبَادَةِ فِيهَا خَيْطُ الوُصْلَةِ بَيْنَ مُنْتَهَاهَا وَمَبْدَأِهَا.. وَسَبَبُ ظُهُورِ كَمَالِهَا وَلِتَحَقُّقِ مَقَاصِدِ صَانِعِهَا..
وَهَكَذَا بِسَائِرِ شُؤُونَاتِهَا وَاحْوَالِهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا شَاهِدَاتٌ بِأَنَّهَا كُلُّهَا بِتَدْيِيرِ مُدِيرٍ حَكِيمٍ وَاحِدٍ.. وَفِي تَرْبِيَةِ مُرَبِّ كَرِيمٍ
أَحَدٍ صَمَدٍ.. وَكُلُّهَا خُدَامُ سَيِّدٍ وَاحِدٍ.. وَتَحْتَ تَصَرُّفِ مُتَصَرِّفٍ وَاحِدٍ.. وَمَصْدَرُهُ ١٠ قُدْرَةٌ وَاحِدٌ الَّذِي تَظَاهَرَتْ
وَتَكَاثَرَتْ خَوَاتِيمُ وَحَدِيثِهِ عَلَى كُلِّ مَكْتُوبٍ مِنْ مَكْتُوبَاتِهِ فِي كُلِّ صَفْحَةٍ مِنْ صَفْحَاتِ مَوْجُودَاتِهِ.
نَعَمْ: فَكُلُّ زَهْرَةٍ وَثَمَرٍ، وَكُلُّ نَبَاتٍ وَشَجَرٍ، بَلْ كُلُّ حَيَوَانٍ وَحَجَرٍ، بَلْ كُلُّ ذَرٍّ وَمَدَرٍ، فِي كُلِّ وَادٍ وَجَبَلٍ، وَكُلِّ
بَادٍ وَقَفْرٍ ١ خَاتَمٌ بَيْنَ النَّقْشِ وَالْأَثَرِ، يُظْهِرُ لِدِقَّةِ النَّظَرِ أَنَّ ذَاكَ الْأَثَرَ هُوَ كَاتِبُ ذَاكَ الْمَكَانِ بِالْعَبْرِ؛ فَهُوَ كَاتِبُ
ظَهْرِ الْبَرِّ وَبَطْنِ الْبَحْرِ؛ فَهُوَ نَقَّاشُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي صَحِيفَةِ السَّمَوَاتِ ذَاتِ الْعَبْرِ. جَلَّ جَلَالُ نَقَّاشِهَا اللهُ أَكْبَرُ.
كِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. بَرَابِرُ مِي زَنْدِ عَالَمِ

المرتبة الخامسة¹

الله أَكْبَرُ إِذْ هُوَ الْخَلَّاقُ الْقَدِيرُ الْمُصَوِّرُ الْبَصِيرُ الَّذِي هَذِهِ الْأَجْرَامُ الْعُلُويَّةُ وَالْكَوَاكِبُ الدَّرِّيَّةُ نِيَّاتٌ بَرَاهِينِ
الْوَهْيِيَّةِ وَعَظْمَتِهِ، وَشُعَاعَاتُ شَوَاهِدِ رُبُوبِيَّتِهِ وَعَزَّتِيهِ؛ تَشْهَدُ وَتُنَادِي عَلَى شَعْشَعَةِ سُلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِهِ وَتُنَادِي عَلَى
وُسْعَةِ حُكْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَعَلَى حِشْمَةِ عَظْمَةِ قُدْرَتِهِ. فَاسْتَمِعْ إِلَى آيَةِ:
(أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَزَيْنَاهَا..) (ق: 6).

¹ لقد وضحت هذه المرتبة في ذيل الموقف الاول من الكلمة الثانية والثلاثين، وفي المقام الثاني من المكنوب العشرين.
- المؤلف.

#482

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى وَجْهِ السَّمَاءِ كَيْفَ تَرَى سُكُونًا فِي سُكُونَةٍ، حَرَكَةً فِي حِكْمَةٍ، تَلَالُؤًا فِي حِشْمَةٍ، تَبَسُّمًا فِي زِينَةٍ مَعَ
انْتِظَامِ الْخِلْقَةِ مَعَ اتِّزَانِ الصَّنْعَةِ.
تَشْعُشُعُ سِرَاجِهَا لِتَبْدِيلِ الْمَوَاسِمِ، تَهْلُهُلُ مِضْبَاحِهَا لِتَنْوِيرِ الْمَعَالِمِ، تَلَالُؤُ نُجُومِهَا لِتَزِينِ الْعَوَالِمِ. نُعْلِنُ لِأَهْلِ النَّهْيِ
سُلْطَنَتَهُ بِلَا انْتِهَاءٍ لِتَدْيِيرِ هَذَا الْعَالَمِ.
فَذَلِكَ الْخَلَّاقُ الْقَدِيرُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمُرِيدٌ بِإِرَادَةٍ شَامِلَةٍ مَا شَاءَ كَانَ وَمَالَمَ يَشَاءُ لَمْ يَكُنْ. وَهُوَ قَدِيرٌ عَلَى كُلِّ

شيءٍ بِقُدْرَةِ مُطْلَقَةٍ مُحِيطَةٍ ذَاتِيَّةٍ. وَكَمَا لَا يُمَكِّنُ وَلَا يُتَصَوَّرُ وُجُودَ هَذِهِ الشَّمْسِ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِإِلَّا ضِيَاءٍ وَلَا حَرَارَةٍ؛ كَذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ وَلَا يُتَصَوَّرُ وُجُودَ إِلَهٍ خَالِقٍ لِلسَّمَوَاتِ بِإِلَّا عِلْمٍ مُحِيطٍ، وَبِإِلَّا قُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ. فَهُوَ بِالضَّرُورَةِ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ بِعِلْمٍ مُحِيطٍ لِأَزْمِ ذَاتِيٍّ لِلذَّاتِ، يَلْزَمُ تَعَلُّقَ ذَلِكَ الْعِلْمِ بِكُلِّ الْأَشْيَاءِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْفَكَّ عَنْهُ شَيْءٌ بِسِرِّ الْحُضُورِ وَالشُّهُودِ وَالنُّفُودِ وَالْإِحَاطَةِ التُّورَانِيَّةِ.

فَمَا يُشَاهَدُ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الْإِنْتِظَامَاتِ الْمَوْزُونَةِ، وَالْإِتْرَانَاتِ الْمُنْظُومَةِ، وَالْحِكْمِ الْعَامَّةِ، وَالْعِنَايَاتِ التَّامَّةِ، وَالْأَقْدَارِ الْمُنْتَضِمَّةِ، وَالْأَقْضِيَّةِ الْمُثْمِرَةِ، وَالْأَجَالِ الْمُعَيَّنَةِ، وَالْأَرْزَاقِ الْمُقَنَّنَةِ، وَالْإِتْقَانَاتِ الْمُفَنَّنَةِ، وَالْإِهْتِمَامَاتِ الْمَزِينَةِ، وَعَايَةِ كَمَالِ الْإِمْتِيَازِ وَالْإِتْرَانِ وَالْإِنْتِظَامِ وَالْإِتْقَانِ، وَالسُّهُولَةِ الْمَطْلَقَةِ شَاهِدَاتٌ عَلَى إِحَاطَةِ عِلْمِ عَلَامِ الْغُيُوبِ بِكُلِّ شَيْءٍ.

وَأَنَّ آيَةَ (الْأَيْعَلْمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك: 14) تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوُجُودَ فِي الشَّيْءِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِهِ. وَنُورَ الْوُجُودِ فِي الْأَشْيَاءِ يَسْتَلْزِمُ نُورَ الْعِلْمِ فِيهَا.

فَنِسْبَةُ دَلَالَةِ حُسْنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى شُعُورِهِ، إِلَى نِسْبَةِ دَلَالَةِ خَلْقَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى عِلْمِ خَالِقِهِ، كَنِسْبَةِ لَمِيعَةِ نُجُيْمَةِ الدُّبِّيَّةِ فِي اللَّيْلَةِ الدَّهْمَاءِ إِلَى شَعَشَعَةِ الشَّمْسِ فِي نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى وَجْهِ الْعَبْرَاءِ.

#483

وَكَأَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ مُرِيدٌ لِكُلِّ شَيْءٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ شَيْءٌ بِدُونِ مَشِيئَتِهِ. وَكَمَا أَنَّ الْقُدْرَةَ تُؤَثِّرُ، وَأَنَّ الْعِلْمَ يُمَيِّزُ؛ كَذَلِكَ أَنَّ الْإِرَادَةَ تُخَصِّصُ، ثُمَّ يَتَحَقَّقُ وُجُودُ الْأَشْيَاءِ.

فَالشَّوَاهِدُ عَلَى وُجُودِ إِرَادَتِهِ تَعَالَى وَاخْتِيَارِهِ سُبْحَانَهُ بِعَدَدِ كَيْفِيَّاتِ الْأَشْيَاءِ وَأَحْوَالِهَا وَشُؤُونَاتِهَا.

نَعَمْ، فَتَنْظِيمُ الْمَوْجُودَاتِ وَتَخْصِيصُهَا بِصِفَاتِهَا مِنْ بَيْنِ الْإِمْكَانَاتِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ، وَمِنْ بَيْنِ الطَّرِيقِ الْعَقِيمَةِ، وَمِنْ بَيْنِ الْإِحْتِمَالَاتِ الْمَشْوَشَةِ، وَتَحْتَ أَيْدِي السُّيُولِ الْمُتَشَاكِسَةِ، بِهَذَا النَّظَامِ الْأَدَقِّ الْأَرَقِّ، وَتَوْزِينِهَا بِهَذَا الْمِيزَانِ الْحَسَّاسِ الْجَسَّاسِ الْمَشْهُودَيْنِ؛ وَأَنَّ خَلْقَ الْمَوْجُودَاتِ الْمُخْتَلِفَاتِ الْمُنْتَضِمَاتِ الْحَيَوِيَّةِ مِنَ الْبَسَائِطِ الْجَامِدَةِ -

كَالْإِنْسَانِ بِجِهَازَاتِهِ مِنَ النَّطْفَةِ، وَالطَّيْرِ بِجَوَارِحِهِ مِنَ الْبَيْضَةِ، وَالشَّجَرِ بِأَعْضَائِهِ الْمُنْتَوَعَةِ مِنَ النَّوَاةِ - تَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَخْصِيصَ كُلِّ شَيْءٍ وَتَعْيِينَهُ بِإِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ وَمَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ. فَكَمَا أَنَّ تَوَافُقَ الْأَشْيَاءِ مِنْ جِنْسٍ، وَالْأَفْرَادِ مِنْ نَوْعٍ فِي آسَاسَاتِ الْأَعْضَاءِ، يَدُلُّ بِالضَّرُورَةِ عَلَى أَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ أَحَدٌ؛ كَذَلِكَ أَنَّ تَمَايُزَهَا فِي التَّشْخِصَاتِ الْحَكِيمَةِ الْمَشْتَمِلَةِ عَلَى عِلَامَاتٍ فَارِقَةٍ مُنْتَضِمَةٍ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الصَّانِعَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ هُوَ فَاعِلٌ مُخْتَارٌ مُرِيدٌ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ جَلَّ جَلَالُهُ.

وَكَأَنَّ ذَلِكَ الْخَلَّاقَ الْعَلِيمَ الْمُرِيدَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمُرِيدٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، لَهُ عِلْمٌ مُحِيطٌ، وَإِرَادَةٌ شَامِلَةٌ، وَاخْتِيَارٌ تَامٌّ؛ كَذَلِكَ لَهُ قُدْرَةٌ كَامِلَةٌ ضَرُورِيَّةٌ ذَاتِيَّةٌ نَاشِئَةٌ مِنَ الذَّاتِ وَلَازِمَةٌ لِلذَّاتِ. فَمَحَالٌ تَدَاخُلُ ضِدِّهَا. وَالْأَلْزَمُ جَمْعُ الضَّدِّيْنِ الْمَحَالُّ بِالِاتِّفَاقِ.

فَلَا مَرَاتِبَ فِي تِلْكَ الْقُدْرَةِ. فَتَسَاوَى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا الذَّرَاتُ وَالنُّجُومُ وَالْقَلِيلُ وَالكَثِيرُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالْجُزْئِيُّ وَالْكُلِّيُّ وَالْجُزْءُ وَالْكُلُّ وَالْإِنْسَانُ وَالْعَالَمُ وَالنُّوَاهُ وَالشَّجَرُ:
بِسْرِ الثُّورَانِيَّةِ وَالشَّفَافِيَّةِ وَالْمُقَابَلَةِ وَالْمُوازِنَةِ وَالانْتِظَامِ وَالْإِمْتِثَالِ.
بِشَهَادَةِ الْانْتِظَامِ الْمَطْلَقِ وَالْإِتْزَانِ الْمَطْلَقِ وَالْإِمْتِيزَانِ الْمَطْلَقِ فِي السَّرْعَةِ وَالسُّهُولَةِ وَالكَثْرَةِ الْمَطْلَقَاتِ.
بِسْرِ إِمدَادِ الْوَاحِدِيَّةِ وَيُسْرِ الْوَاحِدَةِ وَتَجَلِّي الْأَحَدِيَّةِ.
بِحِكْمَةِ الْوُجُوبِ وَالْتَجَرُّدِ وَمُبَايَنَةِ الْمَاهِيَّةِ.
بِسْرِ عَدَمِ التَّقْيِيدِ وَعَدَمِ التَّحْيِيزِ وَعَدَمِ التَّجَرُّدِ.
بِحِكْمَةِ انْقِلَابِ الْعَوَائِقِ وَالْمَوَانِعِ إِلَى الْوَسَائِلِ فِي التَّسْهِيلِ إِنْ اِخْتِيجَ إِلَيْهِ. وَالْحَالُ أَنَّهُ لِاِحْتِيَاجِ، كَاعْصَابِ
الْإِنْسَانِ، وَالْخُطُوطِ الْحَدِيدِيَّةِ لِنَقْلِ السِّيَّالَاتِ اللَّطِيفَةِ.
بِحِكْمَةِ أَنَّ الذَّرَّةَ وَالْجُزْءَ وَالْجُزْئِيَّ وَالْقَلِيلَ وَالصَّغِيرَ وَالْإِنْسَانَ وَالنُّوَاهُ لَيْسَتْ بِأَقْلَ جَزْأَلَهُ مِنَ النَّجْمِ وَالنُّوَعِ وَالْكُلِّ
وَالْكُلِّيِّ وَالكَثِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالْعَالَمِ وَالشَّجَرِ.
فَمَنْ خَلَقَ هَؤُلَاءِ لَا يُسْتَبَعَدُ مِنْهُ خَلْقُ هَذِهِ. إِذْ الْمَحَاطَاتُ كَالْمِثَالَةِ الْمَكْتُوبَةِ الْمُصَغَّرَةِ، أَوْ كَالنُّقْطِ الْمَحْلُوبَةِ الْمُعْصَرَةِ.
فَلَا بُدَّ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ الْمَحِيطُ فِي قَبْضَةِ تَصَرُّفِ خَالِقِ الْمَحَاطِ، لِيُدْرَجَ مِثَالِ الْمَحِيطِ فِي الْمَحَاطَاتِ بِدَسَاتِيرِ
عِلْمِهِ، وَأَنْ يَعْصُرَهَا مِنْهُ بِمَوَازِينِ حِكْمَتِهِ. فَالْقُدْرَةُ الَّتِي أَبْرَزَتْ هَاتِيكَ الْجُزْئِيَّاتِ لَا يَتَعَسَّرُ عَلَيْهَا إِبْرَازُ تَاكُ الْكُلِّيَّاتِ.
فَكَمَا أَنَّ نُسخَةَ قُرْآنِ الْحِكْمَةِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَى الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ بِذَّرَاتِ الْإِثِيرِ لَيْسَتْ بِأَقْلَ جَزْأَلَهُ مِنْ نُسخَةِ قُرْآنِ الْعِظْمَةِ
الْمَكْتُوبَةِ عَلَى صَحَائِفِ السَّمَوَاتِ بِمدَادِ النُّجُومِ

وَالشُّمُوسِ؛ كَذَلِكَ لَيْسَتْ خَلْقُهُ نَحْلَةً وَنَمْلَةً بِأَقْلَ جَزْأَلَهُ مِنْ خَلْقَةِ النَّحْلَةِ وَالْفِيلِ، وَلَا صَنْعُهُ وَرْدِ الزَّهْرَةِ بِأَقْلَ
جَزْأَلَهُ مِنْ صَنْعَةِ دُرِّيِّ نَجْمِ الزَّهْرَةِ. وَهَكَذَا فَحَسْ.
فَكَمَا أَنَّ غَايَةَ كَمَالِ السُّهُولَةِ فِي إِيجَادِ الْأَشْيَاءِ أَوْقَعَتْ أَهْلَ الصَّلَاةِ فِي التَّيَّاسِ التَّشْكِيلِ بِالتَّشْكِيلِ الْمُسْتَلْزِمِ
لِلْمَحَالِّاتِ الْخُرَافِيَّةِ الَّتِي تَمَّجُّهَا الْعُقُولُ، بَلْ تَنْتَفِرُ عَنْهَا الْأَوْهَامُ؛ كَذَلِكَ أَثْبَتَتْ بِالْقَطْعِ وَالضَّرُورَةِ لِأَهْلِ الْحَقِّ
وَالْحَقِيقَةِ تَسَاوِي السِّيَّارَاتِ مَعَ الذَّرَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ.
جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ شَأْنُهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

المرتبة السادسة¹

جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ شَأْنُهُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْمًا، إِذْ هُوَ الْعَادِلُ الْحَكِيمُ الْقَادِرُ الْعَلِيمُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ

السُّلْطَانُ الْأَرْزَلِيُّ الَّذِي هَذِهِ الْعَوَالِمُ كُلُّهَا فِي تَصَرُّفِ قَبَضَتِي نِظَامِهِ وَمِيزَانِهِ وَتَنْظِيمِهِ وَتَوَازِينِهِ وَعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَمَظْهَرُ سِرِّ وَاحِدِيَّتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ بِالْحَدْسِ الشُّهُودِيِّ بَلْ بِالمُشَاهَدَةِ. إِذْ لَا خَارِجَ فِي الْكَوْنِ مِنْ دَائِرَةِ النِّظَامِ وَالْمِيزَانِ وَالتَّنْظِيمِ وَالتَّوْزِينِ؛ وَهُمَا بَابَانِ مِنَ "الإمام المبين والكتاب المبين". وَهُمَا عُنْوَانَانِ لِعِلْمِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ وَأَمْرِهِ وَقُدْرَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ وَإِرَادَتِهِ. فَذَلِكَ النِّظَامُ مَعَ ذَلِكَ الْمِيزَانِ، فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ مَعَ ذَلِكَ الْإِمَامِ بُرْهَانَانِ يُبْرَانِ لِمَنْ لَهُ فِي رَأْسِهِ إِذْعَانُ، وَفِي وَجْهِهِ الْعَيْنَانِ، أَنْ لَا شَيْءَ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي الْكَوْنِ وَالزَّمَانِ يُخْرُجُ مِنْ قَبْضَةِ تَصَرُّفِ رَحْمَنِ، وَتَنْظِيمِ حَتَّانِ، وَتَرْيِينِ مَنَّانِ، وَتَوَازِينِ دَيَّانِ.

¹ لو كتبت هذه المرتبة السادسة كسائر المراتب لطالت جداً، لأن «الإمام المبين والكتاب المبين» لا يمكن بيانها باختصار، وحيث أننا ذكرنا نبذة منها في «الكلمة الثلاثين» فقد أجملنا هنا، لأننا أسردنا بعض الايضاحات أثناء الدرس. - المؤلف.

#486

الحاصل:

أَنَّ تَجَلِّيَ الْإِسْمِ "الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ" فِي الْخَلَاقِيَّةِ، التَّاطِرِينَ إِلَى الْمَبْدَأِ وَالْمُنْتَهَى وَالْأَصْلِ وَالنَّسْلِ وَالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ وَالْأَمْرِ وَالْعِلْمِ، مُشِيرَانِ إِلَى "الإمام المبين". وَتَجَلِّيَ الْإِسْمِ "الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ" عَلَى الْأَشْيَاءِ فِي ضَمَنِ الْخَلَاقِيَّةِ يُشِيرَانِ إِلَى "الكتاب المبين".

فَالْكَائِنَاتُ كَشَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ، وَكُلُّ عَالَمٍ مِنْهَا أَيْضاً كَالشَّجَرَةِ. فَنَمَثِلُ شَجَرَةً جُزْئِيَّةً لِخِلْقَةِ الْكَائِنَاتِ وَأَنْوَاعِهَا وَعَوَالِمِهَا. وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ الْجُزْئِيَّةُ لَهَا أَسْلٌ وَمَبْدَأٌ وَهُوَ التَّوَاتُةُ الَّتِي تَنْبُتُ عَلَيْهَا، وَكَذَا لَهَا نَسْلٌ يُدِيمُ وَظِيْفَتَهَا بَعْدَ مَوْتِهَا وَهُوَ التَّوَاتُةُ فِي ثَمَرَاتِهَا.

فَالْمَبْدَأُ وَالْمُنْتَهَى مَظْهَرَانِ لِتَجَلِّيِ الْإِسْمِ "الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ". فَكَأَنَّ الْمَبْدَأَ وَالتَّوَاتُةَ الْأَصْلِيَّةَ بِالْإِنْتِظَامِ وَالْحِكْمَةِ، فَهَرِسْتُهُ وَتَعْرِفُهُ مُرَكَّبَةٌ مِنْ مَجْمُوعِ دَسَاتِيرِ تَشَكُّلِ الشَّجَرَةِ. وَالتَّوَاتُاتُ فِي ثَمَرَاتِهَا الَّتِي فِي نَهَايَاتِهَا مَظْهَرٌ لِتَجَلِّيِ الْإِسْمِ الْآخِرِ.

فَتِلْكَ التَّوَاتُاتُ فِي الثَّمَرَاتِ بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ، كَأَنَّهَا صُنَيْدِيَقَاتُ صَغِيرَةٌ أُودِعَتْ فِيهَا فَهَرِسْتُهُ وَتَعْرِفُهُ لِتَشَكُّلِ مَا يُشَابِهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ. وَكَأَنَّهَا كُتِبَ فِيهَا بِقَلَمِ الْقَدْرِ دَسَاتِيرُ تَشَكُّلِ شَجَرَاتٍ آتِيَةٍ.

وَظَاهِرُ الشَّجَرَةِ مَظْهَرٌ لِتَجَلِّيِ الْإِسْمِ "الظَّاهِرِ". فَظَاهِرُهَا بِكَمَالِ الْإِنْتِظَامِ وَالتَّزْيِينِ وَالْحِكْمَةِ، كَأَنَّهَا حُلَّةٌ مُنْتَظَمَةٌ مُرَيَّبَةٌ مُرْصَعَةٌ قَدْ قُدَّتْ عَلَى مِقْدَارِ قَامَتِهَا بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ وَالْعِنَايَةِ.

وَبَاطِنُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ مَظْهَرٌ لِتَجَلِّيِ الْإِسْمِ "الْبَاطِنِ". فَبِكَمَالِ الْإِنْتِظَامِ وَالتَّدْبِيرِ الْمُحَيَّرِ لِلْعُقُولِ، وَتَوَازِينِ مَوَادِّ الْحَيَاةِ إِلَى الْأَعْضَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ بِكَمَالِ الْإِنْتِظَامِ، كَأَنَّ بَاطِنَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ مَآكِينَةٌ خَارِقَةٌ فِي غَايَةِ الْإِنْتِظَامِ وَالْإِتْرَانِ.

#487

فَكَمَا أَنَّ أَوْلَهَا تَعْرِفَةٌ عَجِيبَةٌ، وَآخِرَهَا فِهْرَسْتَةٌ خَارِقَةٌ تُشِيرَانِ إِلَى "الإمام المبین"؛ كَذَلِكَ إِنَّ ظَاهِرَهَا كَحَلَّةٍ عَجِيبَةٍ الصَّنْعَةِ، وَبَاطِنَهَا كَكَايْتَةٍ فِي غَايَةِ الإِنْتِظَامِ، تُشِيرَانِ إِلَى "الكِتَابِ المُبِينِ".

فَكَمَا أَنَّ القُوَّاتِ الحَافِظَاتِ فِي الإِنْسَانِ تُشِيرُ إِلَى "اللُّوحِ المَحْفُوظِ" وَتَدُلُّ عَلَيْهِ؛ كَذَلِكَ إِنَّ النُّوَاتِ الأَصْلِيَّةَ وَالثَّمَرَاتِ تُشِيرَانِ فِي كُلِّ شَجَرَةٍ إِلَى "الإمام المبین". وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ يَرْمُزَانِ إِلَى "الكِتَابِ المُبِينِ". فَقَسَّ عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةَ الجُزْئِيَّةَ شَجَرَةَ الأَرْضِ بِمَا ضَمَّهَا وَمُسْتَقْبَلَهَا، وَشَجَرَةَ الكَائِنَاتِ بِأَوَائِلِهَا وَآخِرِهَا، وَشَجَرَةَ الإِنْسَانِ بِأَجْدَادِهَا وَآنْسَالِهَا. وَهَكَذَا...

جَلَّ جَلَالُ خَالِقِهَا وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

يَا كَبِيرُ أَنْتَ الَّذِي لَا تَهْدِي العُقُولَ لَوْصِفَ عَظَمَتِهِ وَلَا تَصِلُ الأَفْكَارُ إِلَى كُنْهِ جَبْرُوتِهِ.

المرتبة السابعة

جَلَّ جَلَالُهُ اللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْمًا. إِذْ هُوَ ¹ الحَلَّاقُ الفَتَّاحُ الفَعَّالُ العَلَامُ الوَهَّابُ الفَيَّاضُ شَمْسُ الأَزَلِ الَّذِي هَذِهِ الكَائِنَاتُ بِأَنْوَاعِهَا وَمَوْجُودَاتِهَا ظِلَالُ أنوارِهِ، وَأَثَارُ أفعالِهِ، وَأَلْوَانُ نُقُوشِ أَنْوَاعِ تَجَلِّيَّاتِ أَسْمَائِهِ، وَخُطُوطُ قَلَمِ قَضَائِهِ وَقُدْرِهِ، وَمَرَايَا تَجَلِّيَّاتِ صِفَاتِهِ وَجَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ..
يَاجْمَاعُ الشَّاهِدِ الأَزَلِيِّ بِجَمِيعِ كُتُبِهِ وَصُحُفِهِ وَأَيَاتِهِ التَّكْوِينِيَّةَ وَالقُرْآنِيَّةَ..

¹ يمكن الانتقال الى المسمى ذي الجلال والاکرام اذا مانظر بمنظار هذه الاسماء المباركة الى مظاهر الافعال والآثار الإلهية وراء هذه الموجودات.. - المؤلف.

#488

وَبِاجْمَاعِ الأَرْضِ مَعَ العَالَمِ بِإِفْتِقَارَاتِهَا وَاحْتِيَاجَاتِهَا فِي ذَاتِهَا وَذَرَاتِهَا مَعَ تَظَاهِرِ العَنَاءِ المُطَلَقِ وَالثَّرْوَةِ المُطَلَقَةِ عَلَيْهَا..
وَيَاجْمَاعِ كُلِّ أَهْلِ الشُّهُودِ مِنْ ذَوِي الأرواحِ النَّيِّرَةِ وَالقُلُوبِ المُتَوَرِّةِ وَالعُقُولِ الثُّورَانِيَّةِ مِنَ الأنبياءِ والأولياءِ والأصفياءِ بِجَمِيعِ تَحْقِيقَاتِهِمْ وَكُشُوفَاتِهِمْ وَفِيُوضَاتِهِمْ وَمُنَاجَاتِهِمْ..
قَدْ اتَّفَقَ الكُلُّ مِنْهُمْ، وَمِنَ الأَرْضِ والأَجْرَامِ العُلُويَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ بِمَا لَا يُجَدُّ مِنْ شَهَادَاتِهِمُ القَطْعِيَّةِ وَتَصْدِيقَاتِهِمُ اليَقِينِيَّةِ بِقَبُولِ شَهَادَاتِ الآيَاتِ التَّكْوِينِيَّةِ وَالقُرْآنِيَّةِ وَشَهَادَاتِ الصُّحُفِ وَالكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي هِيَ شَهَادَةُ الوَاجِبِ الوُجُودِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ المَوْجُودَاتِ أَثَارُ قُدْرَتِهِ وَمَكْتُوباتُ قُدْرِهِ وَمَرَايَا أَسْمَائِهِ وَتَمَثُّلَاتُ أنوارِهِ.
جَلَّ جَلَالُهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

#489

الباب الرابع

فصلان

الفصل الاول

هذا الفصل يشير الى ثلاثٍ وستين مرتبة من مراتب معرفة الله وتوحيده سبحانه متخذاً ورداً مهماً ومشهوراً لسيدنا الخضر عليه السلام كمبدأ واساس لهذا الورد. علماً أن كل مرتبة من المراتب الثلاث والستين عبارة عن جملتين.

فكلمة "لا اله الا الله" تثبت الوجدانية، كما أن الاسماء التي تبدأ بـ"هو" تثبت وجود واجب الوجود. فعندما تشير الجملة الاولى الى الوجدانية، يخطر بالبال سؤال مقدر، كأن يقال: ومن هو الواحد؟ وكيف نعرفه؟ فيكون جوابه: هو الرحمن الرحيم.. مثلاً. اي أن آثار الشفقة والرحمة التي تملأ الكون كله تعرّف ذلك الرحمن وتدل عليه. وهكذا قس الباقي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَقْدِمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ نِعْمَةٍ وَرَحْمَةٍ وَحِكْمَةٍ وَعِنَايَةٍ، وَبَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ حَيَاةٍ وَمَمَاتٍ وَحَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ، وَبَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ زَهْرَةٍ وَثَمَرَةٍ وَحَبَّةٍ وَبَذْرَةٍ، وَبَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ صَنْعَةٍ وَصِبْغَةٍ وَنِظَامٍ وَمِيزَانٍ، وَبَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ تَنْظِيمٍ وَتَوْزِينٍ وَتَمْيِيزٍ فِي كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ وَذَرَاتِهَا، شَهَادَةً نَشْهَدُ¹ أَنْ:

¹ في هذه الشهادات حكامان: احدهما يدل على الوجدانية، وهو قوله: (لا اله الا الله) والآخر، يثبت وجود ذلك الواحد، وهو الاسماء التي تبدأ بـ"هو". فكلما ورد ضمير "هو" فهو جواب لسؤال مقدر. وكأنه يقال: كيف نعرف ذلك الاله الواحد؟ فيجيبه مثلاً بقول: «هو السميع البصير» فيقول في هذا: ان هناك مَنْ يرى ويسمع حاجات هذه الموجودات وادعيتها فيخلق ما تطلبه ويفعل ما تريده. وهكذا مثل هذه الآثار، تثبت الافعال الإلهية، وتلك الافعال تثبت اسماء كالسميع والبصير، وتدل تلك الاسماء على وجود موصوفاتها. فجميع هذه الجمل تسير على هذا المنوال، فتثبت بالآثار الافعال، وبالافعال الاسماء، وبالاسماء وجود واجب الوجود.. المؤلف.

#490

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ	لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْبَاقِي الدَّيْمُومُ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ	لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَفَّارُ	لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ	لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ	لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الشَّكُورُ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْخَلَّاقُ الْقَدِيرُ	لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمُصَوِّرُ الْبَصِيرُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَغْنِي الْكَرِيمُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمُرَبِّي الرَّحِيمُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْقَوِيُّ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الشَّهِيدُ الرَّقِيبُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْبَاقِي الْأَمَّجْدُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْبَاقِي الْبَاعِثُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ اللَّطِيفُ الْمُدَبِّرُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْعَدْلُ الْحَكَمُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمُحْيِي الْعَلِيمُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمُدَبِّرُ الْحَكِيمُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ الْغَنِيُّ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْقَرِيبُ الْمُجِيبُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْخَلَّاقُ الْحَكِيمُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَلِكُ الْوَارِثُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْبَارِي الْمُصَوِّرُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ السَّيِّدُ الدِّيَّانُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ السُّبُوحُ الْقُدُّوسُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْفَرْدُ الصَّمَدُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ النَّوْرُ الْهَادِي..
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَعْرُوفُ لِكُلِّ الْعَارِفِينَ¹
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَعْبُودُ الْحَقُّ لِكُلِّ الْعَابِدِينَ..
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَشْكُورُ لِكُلِّ الشَّاكِرِينَ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَذْكُورُ لِكُلِّ الدَّاكِرِينَ..
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَحْمُودُ لِكُلِّ الْحَامِدِينَ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَوْجُودُ لِكُلِّ الطَّالِبِينَ..
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَوْصُوفُ لِكُلِّ الْمُؤَخِّدِينَ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَحْبُوبُ الْحَقُّ لِكُلِّ الْمُحِبِّينَ..
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَرْغُوبُ لِكُلِّ الْمُرِيدِينَ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ لِكُلِّ الْمُتَبِعِينَ..

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ لِكُلِّ الْجَنَانِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَوْجِدُ لِكُلِّ الْأَنَامِ..
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَوْجُودُ فِي كُلِّ زَمَانٍ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَعْبُودُ فِي كُلِّ مَكَانٍ..
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَذْكُورُ بِكُلِّ لِسَانٍ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَشْكُورُ بِكُلِّ إِحْسَانٍ..
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمُتَعَمُّ بِلَا إِمْتِنَانٍ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِيْمَانًا بِاللَّهِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَانَةً عِنْدَ اللَّهِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذْعَانًا وَصِدْقًا
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ الصَّادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَانًا مِّنَ اللَّهِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا حَقًّا
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعْبُدًا وَرَقًا
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ الصَّادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ

¹ وفحوى هذه الفقرة والتي تليها من الفقرات، الآتي:

ان كنت تريد معرفة ذلك، فانظر! ان ما عرفه جميع العارفين الذين اتوا في نوع البشر، بدلائلهم المختلفة وطرقهم المتباينة هو «معروف» واحد. فذلك المعروف هو الإله الواحد، فيظهر، وجود من يعرفه اهل المعرفة الذين لا يحصيهم العدّ بوجوه لاتعد ولا تحصى، وضوحاً ظاهراً كالشمس: وكذا، ان العابدين الذين لا يحصرهم العدّ في نوع البشر لعبادتهم معبوداً واحداً وجنهم الثمرات المعنوية ازاء تلك العبادات، وحظوتهم بالمناجاة والفيوضات، يدل على وجود ذلك المعبود بتواتر مضاعف. وهكذا فقس على سائر الفقرات. - المؤلف.

#492

الفصل الثاني

ان هذه السطور الخمسة او الستة من التمجيد والتعظيم التي تعتبر فاتحة اوراد الصباح لدى معظم الاقطاب. وعلى الاخص الشيخ الكيلاني، قد اصبحت كنواة لسلسلة فكرية طويلة. وانبثت سنبلًا معنويًا من قبيل الاشارة الى تسع وتسعين مرتبة من مراتب المعرفة والتوحيد. وقد ذكرت هنا تسع وسبعون مرتبة من تلك المراتب التسع والتسعين، وهي تتوجه في كل فقرة من تلك الاشارات، الى الذات الإلهية المقدسة بجهتين:
الاولى: انها تشهد على الله سبحانه بالحال الحاضرة المشهودة، فيعبّر عن ذلك المعنى بعبارة لله شهيد.

الثانية: انها تدلّ بعبارة على الله دليل على اشارة السلسلة التي تظهر بتعاقب الأمثال بعضها وراء بعض.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أَصْبَحْنَا¹ وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ لِلَّهِ شَهِيدًا. وَالْكَبْرِيَاءُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ

وَالْعَظَمَةُ لِلَّهِ شَهِيدًا. وَالْهَيْبَةُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ

وَالْقُوَّةُ لِلَّهِ شَهِيدًا. وَالْقُدْرَةُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ

¹ اصبحنا: اي دخلنا الصباح (صباحاً) ومُلك هذا الصباح شاهد لله ايضاً.

وفي الباب نكتتان:

النكتة الاولى: ان كل شئ بوجوده الحاضر يشهد على وجود الله ووحدانته كما ان تبدله المنظم وذهابه كي يفسح المجال لمن يأتي بعده من امثاله، وابرازه سلسلة عظيمة تحت صورة التجدد.. كل ذلك دليل على وجود وجوده تعالى وعلى وحدانيته.

والحاصل: يدل بفقرة "شاهد" على الحالة الراهنة. وبجملة "دليل" يدل على السلسلة المتشكلة نتيجة تركب امثالها المتعاقبة.

النكتة الثانية: من المعلوم حسب القاعدة النحوية ان يقال: "الآلاء على الله شهيدة" ولكن عدل عن ذلك الى اللفظ المذكور "شاهد" ليدل على ان كل فرد يشهد بذلك. ولو قيل: "شهيدة" لأفاد معنى الجماعة. ويقال: "الربوبية على الله شهيد" مثلاً: لأن المراد من الربوبية هو: ان انواع التربية والتدبير التي أوجدها الله بربوبيته، تشهد بذلك، اذ الربوبية نفسها لاتشاهد، بينما تشاهد انواع التربية والتدبير التي هي آثارها. فقيل: "شاهد" ليجعل كل شئ مشهود. فلو قيل "شهيدة" لكان راجعاً الى الربوبية نفسها.

وكذلك النكتة في الآية الكريمة ان رحمت الله قريب من المحسنين فمع ان الرحمة مؤنثة لم يُعبر عنها بـ"قريبة" وانما عبر بـ"قريب" لأن المراد: ليس افادة قرب تلك الرحمة العالية الكلية التي هي كالشمس فقط. بدل افادة قرب الاحسانات الخاصة ايضاً والتي هي بمثابة اشعة تلك الشمس. فيرى لكل محسن احسان قريب. ولفظ "الاحسان" مذكر. فمن حقه اذن أن يخبر عنه بـ"قريب". كما أن الآية تفيد: (ان الله قريب من المحسنين) برحمته لذا لم يقل "قريبة". - المؤلف.

#493

وَالْآلَاءُ لِلَّهِ شَهِيدٌ¹ وَالْإِنْعَامُ الدَّائِمُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ

وَالْبَهَاءُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْجَمَالُ السَّرْمَدُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ

وَالْجَلالُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْكَمالُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ

وَالْعَظْمُوْتُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْجَبْرُوْتُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ

وَالرُّبُوبِيَّةُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْأُلُوهِيَّةُ الْمَطْلَقَةُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالسَّلْطَنَةُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَجُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالْأَقْضِيَّةُ² لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالتَّقْدِيرُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالتَّرْبِيَّةُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالتَّدْبِيرُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالتَّصْوِيرُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالتَّنْظِيمُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالتَّزْيِينُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالتَّوْزِينُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالِاتِّقَانُ³ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْجُودُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالخَلْقُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْإِيجَادُ الدَّائِمُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ

¹ في امثال هذا كان ينبغي ان يقال "شهيد" غير انه استعمل اللفظ المذكور للنكتة المذكورة في كلمة "قريب" بل "قريبة" في قوله تعالى (ان رحمت الله قريب من المحسنين). ولئن جاء في بعض الاماكن جمعاً، الا انه ورد بلفظ "شهيد" المذكور لأن المراد كل واحد- المؤلف.

² الاقضية: كما ان الحالة الحاضرة والمقادير المخصوصة والمنتظمة للجزئيات تشهد على وجود الفاطر الحكيم، فان زوال الامور الكلية وزوال الجزئيات الذي يتم بتقدير ومقدار منتظم - والذي عبر عنه بـ"التقدير" - يدل كذلك على وجود ذلك الفاطر الحكيم. وكان الانتظامات المقتضية تشهد على ان مناوبة الحياة والموت وتجلي القدر والتقدير المنتظم في مناوبة الاحياء والاماتة، كلها تدل على وجوده سبحانه. فمثلاً "التربية" تعني ادارة وجود الشئ ضمن شرائطه. و"التدبير" يعني تغيير ذلك. فلكل منهما دلالة مختلفة. وتستطيع ان تقيس سائر الفقرات على هذا- المؤلف.

³ الاتقان: هو الصنع باهتمام وجودة. واللطائف: اريد بها صور المحاسن المعنوية والمثالية بزوال صورها المشهودة. او المراد بها: محاسن تلك السلسلة المتعاقبة- المؤلف.

#494

وَالْحَكْمُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْأَمْرُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالْمَحَاسِنُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَاللَّطَائِفُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالْمَحَامِدُ⁽¹⁾ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْمَدَائِحُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالْعِبَادَاتُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْكَمَالَاتُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالتَّحِيَّاتُ² لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْبَرَكَاتُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالصَّلَوَاتُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالتَّطِيَّباتُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ

وَالْمَخْلُوقَاتُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْحَوَارِيقُ الْمَاضِيَةُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالْمَوْجُودَاتُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْمُعْجَزَاتُ الْآتِيَةُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالسَّمَوَاتُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْعَرْشُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالشُّمُوسُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْأَقْمَارُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالنُّجُومُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالسَّيَّارَاتُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ
وَالجَوُّ بِتَصْرُفَاتِهِ وَامطَارِهِ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْأَرْضُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ

¹ المحامد: المراد انواع الحمد الحاضرة. والمدائح: هي الاثنية الثابتة الدائمة، وكأنها اثنية منبعثة من سلسلة الامثال المحيطة بالمحامد الماضية والمستقبلية.

الكلمات: تعني الكلمات التي تستلزم العبودية. اي حتى اذا ذهب العابدون بعباداتهم فان الكلمات التي تقتضي العبودية باقية. وهي - اي الكلمات - تسوق الى العبادة بدلاً عن السلاسل الماضية. - المؤلف.

(2) التحيات: اي أن جميع ذوي الحياة من حيث اظهارها آثار حياتها ضمن دائرة المراد الإلهي اظهاراً منتظماً، ترخّب وتهنئ صنعة صانعها الجليل. يمثل ما اذا صنع شخص ماكينة خارقةً بديعة ركب على رأسها اجهزة لتسجيل الصوت والتصوير، وتعمل بنفسها، فتتحدث وتكتب وتخابر بصورة ذاتية، وعملت تلك الماكينة على الوجه الذي يريده صانعها واعطت نتائجها الحسنة. فكما ان الناظر الى تلك الماكينة يبارك ويهنئ ذلك الرجل قائلاً: ماشاء الله! بارك الله! ويمنحه هدايا معنوية. كذلك اجهزة تلك الماكينة باظهارها النتائج المقصودة منها واظهار اثارها على أكمل وجه، انما تشكر وتقدر وتحيي صانعها بلسان حالها، وتقدم التهاني والتبريك بقولها.. ماشاء الله معني.

وهكذا ففي رأس كل ذي حياة آلات واهزمة كبيرة ومختلفة كاهزمة تسجيل الاصوات والتقاط الصور والبرقيات والهواتف. وهي باظهارها ما في خلقها من مقاصد ونتائج على أكمل وجه وأتمه، انما تعلن عن تسيحات لصانعها وعن كمال صنعته التي تعبر عنها بـ«التحيات» باستحساناتها وتهليلاتها وتكبيراتها وهداياتها المعنوية.

أما نحن فبقولنا «التحيات» انما نتذكر تلك التحيات ونقدمها الى الحضرة الإلهية تعبيراً عن انفسنا، واللسان بجد ذاته حمّاز من تلك الاجهزة فأولى النتائج المطلوبة منها أن يكون مترجماً لهذه التحيات. - المؤلف.

#495

يعني:

(وَالْقُدْرَةُ الظَّاهِرَةُ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِكْمَةُ الْبَاهِرَةُ فِيهَا، وَالصَّنْعَةُ الْمَكْمَلَةُ فِيهَا، وَالصَّبْغَةُ الْمُتَرْتِبَةُ فِيهَا، وَالنِّعْمَةُ الْمُتَنَوِّعَةُ فِيهَا، وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ فِيهَا عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ).

وَالْقُرْآنُ بِالْوَفِّ آيَاتِهِ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَمُحَمَّدٌ بِالْآلِفِ مُعْجَزَاتِهِ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ

وَالْبَحَارُ بِعَجَائِبِهَا وَغَرَائِبِهَا لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالنباتاتُ بأوراقِها بأزهارِها بِأثمارِها عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ

يعني:

(فالدلائلُ الْمُتَزَيِّنَاتُ الْمُتَزَهَّرَاتُ الْمُثْمِرَاتُ المُسَبِّحَاتُ بأوراقِها، وَالْحَامِدَاتُ بِأزهارِها، وَالْمُكَبِّرَاتُ بِأثمارِها، عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ)

وَالأشجارُ بأوراقِها المُسَبِّحَاتُ وَأزهارِها الْحَامِدَاتُ وَأثمارِها الْمُكَبِّرَاتُ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْحَيواناتُ الْمُكَبِّرَاتُ، وَالْحَوِيَّاتُ المُسَبِّحَاتُ، وَالطُّوِيرَاتُ الْحَامِدَاتُ، وَالطُّوِيرَاتُ الصَّاقَّةُ الْمَهْلَلَاتُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.

وَالإنسُ وَالجنُّ بِعِبَادَتِهِمْ وَصَلَوَاتِهِمْ فِي مَسْجِدِ الكَائِنَاتِ لِلَّهِ شَهِيدٌ. وَالْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِي مَسْجِدِ الْعَالَمِ بِتَسْبِيحَاتِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.

وَالصَّنْعَةُ لِلَّهِ فَالْمَدْحُ لِلَّهِ..

وَالصَّبْغَةُ لِلَّهِ فَالْتَّنَاءُ لِلَّهِ..

وَالنَّعْمَةُ لِلَّهِ فَالشُّكْرُ لِلَّهِ..

وَالرَّحْمَةُ لِلَّهِ..

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

#496

في شهادة:

نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ

اللَّهُمَّ يَا رَبَّ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ. وَيَا رَبَّ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. وَيَا رَبَّ النَّبِيِّينَ وَالْأَخْيَارِ، يَا رَبَّ الصِّدِّيقِينَ وَالْأَبْرَارِ. يَا رَبَّ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ. يَا رَبَّ الْحُبُوبِ وَالْأَثْمَارِ. يَا رَبَّ الْأَنْهَارِ وَالْأَشْجَارِ. يَا رَبَّ الصَّحَارَى وَالْقِفَارِ. يَا رَبَّ الْعَبِيدِ وَالْأَحْرَارِ. يَا رَبَّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

أَمْسِينَا وَأَصْبَحْنَا نَشْهَدُكَ وَنَشْهَدُ جَمِيعَ صِفَاتِكَ الْمُتَقَدِّسَةِ.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ أَسْمَائِكَ الْحُسْنَى.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ مَلَائِكَتِكَ

الْعُلَيَّا.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِكَ الشَّتَّى.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ أَنْبِيَاءِكَ الْعُظْمَى. وَجَمِيعَ أَوْلِيَاءِكَ الْكُبْرَى. وَجَمِيعَ أَصْفِيَاءِكَ

الْعُلَيَّا.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ آيَاتِكَ التَّكْوِينِيَّةِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ مَصْنُوعَاتِكَ الْمُرْتَبَاتِ الْمُوزُونَاتِ

الْمَنْظُومَاتِ الْمُتَمَاثِلَاتِ.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ ذَرَّاتِ الكَائِنَاتِ الْعَاجِزَاتِ. الْجَامِدَاتِ الْجَاهِلَاتِ وَالْحَامِلَةَ بِحَوْلِكَ وَطَوْلِكَ

وَأَمْرِكَ وَإِذْنِكَ عَجَائِبِ الْوُظَائِفِ الْمُنتَظَمَاتِ.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ مُرَكَّبَاتِ الذَّرَاتِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَاتِ الْمُتَنَوِّعَاتِ

الْمُنْتَظَمَاتِ الْمُتَقَنَاتِ الْمَصْنُوعَاتِ مِنْ البَسَائِطِ الْجَامِدَاتِ.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ تَرْكُوبَاتِ الْمَوْجُودَاتِ النَّامِيَّاتِ الْمُخْتَلِطَةِ

مَوَادِّ حَيَاتِهَا فِي غَايَةِ الْاِخْتِلَاطِ وَالْمُتَمَيِّزَةِ دَفْعَةً فِي غَايَةِ الْاِمْتِيَازِ.. وَنَشْهَدُ حَبِيبَكَ الْاَكْرَمَ سُلْطَانَ الْاَنْبِيَاءِ وَالْاَوْلِيَاءِ

أَفْضَلَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَا الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالتَّسْلِيمَاتِ .. وَنُشْهُدُ فُرْقَانَكَ الْحَكِيمَ ذَا
الآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْبَرَاهِينَ النَّيِّرَاتِ وَالِدَلَائِلِ الْوَاضِحَاتِ وَالْأَنْوَارِ السَّاطِعَاتِ: بَإِنَّا كُنَّا نَشْهَدُ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ
الْوَاحِدُ الْوَجُودِ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ الْقَدِيرُ الْمُرِيدُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
الْعَدْلُ الْحَكْمُ الْمُقْتَدِرُ الْمُتَكَلِّمُ، لَكَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى .. وَكَذَا نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ

#497

وَأَنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .. وَكَذَا نَشْهَدُ بِكُلِّ مَا مَرَّ وَمَعَ كُلِّ مَا مَرَّ بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ
وَصَفِيُّكَ وَخَلِيلُكَ. وَجَمَالَ مُلْكِكَ. وَمَلِيكَ صُنْعِكَ. وَعَيْنُ عِنَايَتِكَ. وَشَمْسُ هِدَايَتِكَ. وَلِسَانُ مَحَبَّتِكَ. وَمِثْلُ
رَحْمَتِكَ. وَنُورُ خَلْقِكَ. وَشَرَفُ مَوْجُودَاتِكَ .¹ وَكَشَافُ طَلْسِمِ كَائِنَاتِكَ. وَدَلَالُ سُلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِكَ. وَمُعْرِفُ كُنُوزِ
أَسْمَائِكَ. وَمُعَلِّمُ أَوْامِرِكَ لِعِبَادِكَ وَمُفَسِّرُ آيَاتِ كِتَابِ كَائِنَاتِكَ. وَمَدَارُ شُهُودِكَ وَإِشْهَادِكَ. وَمِرَاةُ مَحَبَّتِكَ لِجَمَالِكَ
وَأَسْمَائِكَ، وَمَحَبَّتِكَ لِصُنْعَتِكَ وَمَصْنُوعَاتِكَ، وَمَحَاسِنِ مَخْلُوقَاتِكَ. وَحَبِيبُكَ وَرَسُولُكَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ. وَلِبَيَانِ مَحَاسِنِ كِمَالَاتِ سُلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِكَ بِحِكْمَةٍ صَنَعَةٍ صَبْغَةٍ نُفُوشِ قَصْرِ الْعَالَمِينَ. وَلِتَعْرِيفِ كُنُوزِ
أَسْمَائِكَ بِإِشَارَاتِ حِكْمِيَّاتِ كَلِمَاتِ آيَاتِ سُطُورِ كِتَابِ الْعَالَمِينَ. وَلِبَيَانِ مَرْضِيَّاتِكَ يَا رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ.
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ أَلْفُ أَلْفِ صَلَاةٍ وَسَلَامٍ فِي كُلِّ آنٍ وَزَمَانٍ.
اللَّهُمَّ يَا حَفِيزُ يَا حَافِظُ يَا خَيْرَ الْحَافِظِينَ نَسْتَوِدُّ بِحِفْظِكَ وَجَمَائِكَ وَرَحْمَتِكَ هَذِهِ الشَّهَادَاتِ الَّتِي أَنْعَمْتَهَا عَلَيْنَا.
فَاحْفَظْهَا إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْمِيزَانِ آمِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي² دَلَّ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِهِ، وَدَلَّ النَّاسَ عَلَى أَوْصَافِ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَشَهِدَ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ
فَرْدٌ صَمَدٌ: الشَّاهِدُ الصَّادِقُ وَالْبُرْهَانُ

¹ ان كل كلمة في هذه الشهادة الثانية تومئ الى برهان صادق حق من البراهين الحقة للنبوّة الاحمدية، كما تشير الى وظيفة
من وظائف النبوّة، والى مقام من المقامات المحمدية، مثلما كل فقرة في الشهادة الاولى تدل على كثير من براهين
الوحدانية، فكان كلاً من تلك الكلمات وال فقرات شاهدة لي، وتشهد معي، وانا بنيتي اقلب شهادتها التي هي بلسان الحال
الى لسان المقال، فنشهد معاً. - المؤلف.

² ان ايضاح هذا المقام هو في آخر المکتوب التاسع عشر وهو رسالة المعجزات الاحمدية، وان كل قيد وكل كلمة فيه
يشير الى دليل من دلائل الرسالة الاحمدية كما انه يومئ الى البراهين الدالة على أن القرآن الحكيم هو كلام الله.
ولقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم هنا، على ان كل واحد منهما دليل سامٍ للغاية على وحدانية الله سبحانه
وتعالى . - المؤلف.

#498

الْمُصَدِّقُ النَّاطِقُ الْمُحَقِّقُ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ. الْحَاوِي لِسِرِّ إِجْمَاعِهِمْ وَتَصَدِيقِهِمْ وَمُعْجَزَاتِهِمْ. وَإِمَامُ الْأَوْلِيَاءِ

وَالصَّادِقِينَ. الْحَاوِي لِسِرِّ إِتْفَاقِهِمْ وَتَحْقِيقِهِمْ وَكَرَامَاتِهِمْ. ذُو الْإِرْهَاصَاتِ الْحَارِقَةِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ الْوَاضِحَةِ. ذُو الْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ فِي ذَاتِهِ. وَالْخِصَالِ الْعَالِيَةِ فِي وَظِيفَتِهِ. وَالسَّجَايَا السَّامِيَةِ فِي شَرِيعَتِهِ. مَهْبِطُ الْوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ بِإِجْمَاعِ الْمُنْزِلِ بِتَوْفِيقِ لَهُ. وَالْمُنْزَلِ بِإِعْجَازِهِ. وَالْمُنْزَلِ عَلَيْهِ بِقُوَّةِ إِيمَانِهِ. وَالْمُنْزَلِ إِلَيْهِمْ بِكُشُوفِهِمْ وَتَحْقِيقَاتِهِمْ. سَيَّارُ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالْمَلَكُوتِ. مُشَاهِدُ الْأَرْوَاحِ وَمُصَاحِبُ الْمَلَكَةِ مُرْشِدُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ. وَأَنْوَارُ ثَمَرَاتِ شَجَرَةِ الْخَلْقَةِ. سِرَاجُ الْحَقِّ. بُرْهَانُ الْحَقِيقَةِ. لِسَانِ الْحُبَّةِ. مِثَالُ الرَّحْمَةِ. كَاشِفُ طَلْسِمِ الْكَاثِنَاتِ. حَلَالُ مُعْتَى الْخَلْقَةِ. دَلَالُ سُلْطَنَةِ الرُّبُوبِيَّةِ. مَدَارُ ظُهُورِ مَقَاصِدِ خَالِقِ الْكَاثِنَاتِ فِي خَلْقِ الْمَوْجُودَاتِ. وَوَاسِطَةُ تَظَاهِرِ كِمَالَاتِ الْكَاثِنَاتِ، الْمُرْمُزُ بِشَخْصِيَّتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ إِلَى أَنَّهُ نَصَبَ عَيْنِ فَاطِرِ الْكَوْنِ فِي خَلْقِ الْكَاثِنَاتِ "يَعْنِي أَنَّ الصَّانِعَ نَظَرَ إِلَيْهِ وَخَلَقَ لِأَجْلِهِ وَلَا مِثَالَهُ هَذَا الْعَالَمُ" ذُو الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي هِيَ بَدَسَاتِيرُهَا أَمْوُذُجُ دَسَاتِيرِ السَّعَادَةِ فِي الدَّارِينَ. كَأَنَّ ذَلِكَ الدِّينَ فَهْرِسْتَهُ أُخْرِجَتْ مِنْ كِتَابِ الْكَاثِنَاتِ. فَكَانَ الْقُرْآنَ الْمُنْزَلَ عَلَيْهِ قِرَاءَةً لِآيَاتِ الْكَاثِنَاتِ. الْمَشِيرُ دِينَهُ الْحَقُّ إِلَى أَنَّهُ نِظَامُ نَاطِمِ الْكَوْنِ. فَتَاطِمُ هَذِهِ الْكَاثِنَاتِ بِهَذَا النِّظَامِ الْأَكْمَلِ هُوَ نَاطِمُ ذَلِكَ الدِّينِ الْجَامِعِ بِهَذَا التَّنْظِيمِ الْأَحْسَنِ الْأَجْمَلِ، سَيِّدُنَا نَحْنُ مَعَاشِرَ بَنِي آدَمَ، وَمُهْدِينَا إِلَى الْإِيمَانِ نَحْنُ مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَآمُّ التَّسْلِيَمَاتِ مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ. فَإِنَّ ذَلِكَ الشَّاهِدَ يَشْهَدُ عَنِ الْغَيْبِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ عَلَى رُؤْسِ الْأَشْهَادِ بِطَوْرِ الْمَشَاهِدِ.

#499

نَعَمْ؛ يُشَاهِدُ أَنَّهُ يُشَاهِدُ ثُمَّ يَشْهَدُ مُنَادِيًا لِأَجْيَالِ الْبَشَرِ خَلْفَ الْأَعْصَارِ وَالْأَقْطَارِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ. نَعَمْ؛ فَهَذَا صَدَى صَوْتِهِ يُسْمَعُ مِنْ أَعْمَاقِ الْمَاضِي إِلَى شَوَاهِقِ الْإِسْتِقْبَالِ وَبِجَمِيعِ قُوَّتِهِ. نَعَمْ؛ فَقَدْ اسْتَوَى عَلَى نِصْفِ الْأَرْضِ. وَانْصَبَعَ بِصَبْغِهِ السَّمَاوِيَّ خُمْسَ بَنِي آدَمَ. وَدَامَتْ سُلْطَنَتُهُ الْمَعْنَوِيَّةُ أَلْفًا وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِينَ سَنَةً فِي كُلِّ زَمَانٍ، يَحْكُمُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا عَلَى ثَلَاثِينَ وَخَمْسِينَ مِليُونًا مِنْ رَعِيَّتِهِ الصَّادِقَةِ الْمُطِيعَةِ بِانْقِيَادِ نَفْسِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ وَعُقُولِهِمْ لِأَوَامِرِ سَيِّدِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ. وَبِغَايَةِ جِدِّيَّتِهِ بِشَهَادَاتِ قُوَّةِ دَسَاتِيرِهِ الْمُسَمَّرَةِ عَلَى صُخُورِ الدُّهُورِ وَعَلَى جِبَاهِ الْأَقْطَارِ. وَبِغَايَةِ وَثُوقِهِ بِشَهَادَةِ زُهْدِهِ وَاسْتِغْنَائِهِ عَنِ الدُّنْيَا. وَبِغَايَةِ اطمئنانه وَوُثُوقِهِ ۞ ۞ ۞ بِشَهَادَةِ سِيرِهِ وَبِغَايَةِ قُوَّةِ إِيمَانِهِ بِشَهَادَةِ أَنَّهُ أَعْبَدُ وَاتَّقَى مِنَ الْكَلِّ بِاتِّفَاقِ الْكَلِّ، شَهَادَةٌ جَازِمَةٌ مُكْرَّرَةٌ ب:

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) الَّذِي دَلَّ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِهِ، وَصَرَّحَ بِأَوْصَافِ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَشَهِدَ أَنَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ فَردٌ صَمَدٌ، الْفُرْقَانُ الْحَكِيمُ الْحَاوِي لِسِرِّ إِجْمَاعِ كُلِّ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمُؤَحِّدِينَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْمَشَارِبِ وَالْمَسَالِكِ الْمُتَّفِقَةَ قُلُوبُ هُوَلَاءِ وَعُقُولُ أَوْلِيَاءِكَ بِحَقَائِقِ كُتُبِهِمْ عَلَى تَصْدِيقِ أُسَاسَاتِ الْقُرْآنِ الْمُنَوَّرِ جِهَاتُهُ السَّبْتُ. إِذْ عَلَى ظَهْرِهِ سِكَّةُ الْإِعْجَازِ. وَفِي بَطْنِهِ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ. وَتَحْتَهُ بَرَاهِينُ الْإِذْعَانِ. وَهَدَفُهُ سَعَادَةُ الدَّارِينَ. وَنُقْطَةُ اسْتِنَادِهِ مَحْضُ الْوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ بِإِجْمَاعِ الْمُنْزِلِ

#500

بآياته. وَالْمُنْزِلِ بِعَجَازِهِ. وَالْمُنْزِلِ عَلَيْهِ بِقُوَّةِ إِيْمَانِهِ وَآمِنِيَّتِهِ. وَكَمَالِ تَسْلِيمِيَّتِهِ وَصَفْوَتِهِ. وَوَضْعِيَّتِهِ الْمَعْلُومَةِ عِنْدَ نُزُولِهِ. مَجْمَعُ الْحَقَائِقِ بِالْيَقِينِ. وَمَنْبَعُ أَنْوَارِ الْإِيْمَانِ بِالْبَدَاهَةِ. الْمُوَصَّلُ إِلَى السَّعَادَاتِ بِالْيَقِينِ. ذُو الْأَثْمَارِ الْكَامِلِينَ بِالْمُشَاهَدَةِ. مَقْبُولُ الْمَلِكِ وَالْإِنْسِ وَالْحَيَاةِ بِالْحَدْسِ الصَّادِقِ مِنْ تَفَارِيقِ الْأَمَارَاتِ. الْمُؤَيَّدُ بِالذَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ الْكَامِلِينَ. وَالْمُصَدِّقُ بِالْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ بِشَهَادَةِ أَطْمِئِنَانِ الْوَجْدَانِ بِهِ. الْمُعْجِزَةُ الْإِبْدِيَّةُ بِالْمُشَاهَدَةِ. ذُو الْبَصْرِ الْمَطْلَقِ يَرَى الْأَشْيَاءَ بِكَمَالِ الْوُضُوحِ، يَرَى الْغَائِبَ الْبَعِيدَ كَالْحَاضِرِ الْقَرِيبِ. ذُو الْإِنْسِاطِ الْمَطْلَقِ يُعَلِّمُ الْمَلَأَ الْأَعْلَى مِنَ الْمُقَرَّبِينَ بِدَرَسِ، وَيُعَلِّمُ أَطْفَالَ الْبَشَرِ بَعِينَ ذَلِكَ الدَّرْسِ، وَيَشْمَلُ تَعْلِيمُهُ وَتَعْلِيمَاتُهُ طَبَقَاتِ ذَوِي الشُّعُورِ مِنْ أَعْلَى الْأَعْلَى إِلَى أَسْفَلِ الْبَسَائِطِ. لِسَانُ الْغَيْبِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ، شَهَادَةٌ جَازِمَةٌ مُكْرَرَةٌ "لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" وَ (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

#501

الباب الخامس

في مراتب

(حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ).¹

وَهُوَ خَمْسُ نَكَتٍ

* النكته الاولى

فهذا الكلام دواء مجرب لمرض العجز البشري وسقم الفقر الانساني
(حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)² إِذْ هُوَ الْمَوْجِدُ الْمَوْجُودُ الْبَاقِي فَلَا بَأْسَ بِرِزْوَالِ الْمَوْجُودَاتِ لِذَوَامِ الْوُجُودِ الْمَحْبُوبِ
بِبَقَاءِ مُوجِدِهِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ .
وَهُوَ الصَّانِعُ الْفَاطِرُ الْبَاقِي فَلَا حُزْنَ عَلَى رِزْوَالِ الْمَصْنُوعِ لِبَقَاءِ مَدَارِ الْمَحَبَّةِ فِي صَانِعِهِ.

¹ قبل ثلاثة عشر عاماً أَلْقَيْتَ نَظْرَةَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ عَلَى قَمَّةِ تَلِّ (يُوشَع) الشَّاهِقِ.. وَكُنْتُ كَسَاءِرِ النَّاسِ مَفْتُونًا بِطَبَقَاتِ الْمَوْجُودَاتِ الْمَتَدَاخِلَةِ وَمَحَاسِنِهَا. كَمَا كُنْتُ مَشْدُودًا إِلَيْهَا بِحُبِّ شَدِيدٍ؛ مَعَ أَنْتِي شَاهِدَتْ بِعَقْلِي انْحِدَارَهَا إِلَى الْفَنَاءِ وَالزَّوَالِ بِشَكْلِ ظَاهِرٍ وَوَاضِحٍ جَدًّا. فَأَحْسَسْتُ أَلْمًا وَفِرَاقًا؛ بَلْ أَحْسَسْتُ ظَلْمَةَ آتِيَةٍ مِنْ فِرَاقَاتِ لِأَحَدِهَا. فَأَغَاثَنِي فَجَاءَ آيَةٌ (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) بِمَرَاتِبِهَا الثَّلَاثَةِ وَالثَّلَاثِينَ. فَبَدَأْتُ أَقْرَأُهَا بِشَكْلِ رَمْزِيٍّ عَلَى نَحْوِ مَا سَيَذْكَرُ.

ان كل جملة من الجمل السبع المباركة التي كنت أواظب عليها بين المغرب والعشاء ستكون لمعة ضمن لمعات (المكتوب الحادي والثلاثين). وقد دخلت خمس جمل منها وبقيت هاتان الجملتان. لذا بقي مكان اللعة الرابعة واللعة الخامسة فارغاً. وستكون احدى الجمل حول مراتب (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ). أما الأخرى فحول مراتب (لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم). ولما كانت مراتب هاتين الجملتين المباركتين عبارة عن الذكر والفكر أكثر من كونها علماً، فقد ذكرت في الباب

الخامس بالعربية.. المؤلف.

² لقد رأيت في وقت ما أنواراً ومقامات كثيرة لهذه الجملة المباركة. فأقذتني من ورطات وظلمات رهيبة. وكنت قد وضعت إشارات إلى تلك الأحوال والمقامات: فتارة في صورة فقرة مختصرة جداً، وأخرى بكلمات معدودات لاجل تذكير نفسي. أما تلك الفقرة الأولى، فكنت كلما فكرت في موت ذوي الحياة يموت وفناء الدنيا الضخمة التي هي محبوبتي كما هي محبوبة للآخرين، وجدت أن ضهاد آلامي وهومي العميقة هو: حسبنا الله ونعم الوكيل. والجميل التي في البداية تسير حسب هذا السر.. المؤلف.

#502

وَهُوَ الْمَلِكُ الْمَالِكُ الْبَاقِي فَلَا تَأْسَفْ عَلَى زَوَالِ الْمَلِكِ الْمُتَجَدِّدِ فِي زَوَالٍ وَذَهَابٍ.
وَهُوَ الشَّاهِدُ الْعَالِمُ الْبَاقِي فَلَا تَحْسُرْ عَلَى غَيْبُوبَةِ الْمَحْبُوبَاتِ مِنَ الدُّنْيَا لِبَقَائِهَا فِي دَائِرَةِ عِلْمٍ شَاهِدِهَا وَفِي نَظَرِهِ.
وَهُوَ الصَّاحِبُ الْفَاطِرُ الْبَاقِي فَلَا كَدَرَ عَلَى زَوَالِ الْمُسْتَحْسَنَاتِ لِدَوَامِ مَنْشَأِ مَحَاسِنِهَا فِي أَسْمَاءِ فَاطِرِهَا.
وَهُوَ الْوَارِثُ الْبَاعِثُ الْبَاقِي فَلَا تَلْهُفْ عَلَى فِرَاقِ الْأَحْبَابِ لِبَقَاءِ مَنْ يَرِثُهُمْ وَيَبْعَثُهُمْ.
وَهُوَ الْجَمِيلُ الْجَلِيلُ الْبَاقِي فَلَا تَحْزَنْ عَلَى زَوَالِ الْجَمِيلَاتِ الَّتِي هِيَ مَرَايَا لِلْأَسْمَاءِ الْجَمِيلَاتِ لِبَقَاءِ الْأَسْمَاءِ بِجَمَالِهَا بَعْدَ زَوَالِ الْمَرَايَا.

وَهُوَ الْمَعْبُودُ الْمَحْبُوبُ الْبَاقِي فَلَا تَأَلَّمْ مِنْ زَوَالِ الْمَحْبُوبَاتِ الْمَجَازِيَّةِ لِبَقَاءِ الْمَحْبُوبِ الْحَقِيقِيِّ.
وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْوَدُودُ الرَّؤُوفُ الْبَاقِي فَلَا غَمٍّ وَلَا مَأْيُوسِيَّةَ وَلَا أَهْمِيَّةَ مِنْ زَوَالِ الْمُنْعَمِينَ الْمُشْفِقِينَ الظَّاهِرِينَ لِبَقَاءِ مَنْ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ وَشَفَقَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ.
وَهُوَ الْجَمِيلُ اللَّطِيفُ الْعَطُوفُ الْبَاقِي فَلَا حِرْقَةَ وَلَا عِبْرَةَ بِزَوَالِ اللَّطِيفَاتِ الْمُشْفِقَاتِ لِبَقَاءِ مَنْ يَقُومُ مَقَامَ كُلِّهَا، وَلَا يَقُومُ الْكُلُّ مَقَامَ تَجَلٍّ وَاحِدٍ مِنْ تَجَلِّيَاتِهِ؛ فَبِقَاؤُهُ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ يَقُومُ مَقَامَ كُلِّ مَا فِي وَرَائِهِ مِنْ أَنْوَاعِ مَحْبُوبَاتِ كُلِّ أَحَدٍ مِنَ الدُّنْيَا. (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)
نَعْمَ حَسْبِي مِنْ بَقَاءِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا بَقَاءُ مَالِكِهَا وَصَانِعِهَا وَفَاطِرِهَا.

#503

التُّكْنَةُ الثَّانِيَّةُ

¹ مِنْ بَقَائِي أَنَّ اللَّهَ هُوَ إِلَهِي الْبَاقِي، وَخَالِقِي الْبَاقِي، وَمُوجِدِي الْبَاقِي، وَفَاطِرِي الْبَاقِي، وَمَالِكِي الْبَاقِي، وَشَاهِدِي الْبَاقِي، وَمَعْبُودِي الْبَاقِي وَبَاعِثِي الْبَاقِي، فَلَا بَأْسَ وَلَا حُزْنَ وَلَا تَأْسَفَ وَلَا تَحْسُرَ عَلَى زَوَالِ وَجُودِي لِبَقَاءِ مُوجِدِي، وَإِيجَادِهِ بِأَسْمَائِهِ. وَمَا فِي شَخْصِي مِنْ صِفَةٍ إِلَّا وَهِيَ مِنْ شُعَاعِ إِسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الْبَاقِيَةِ؛ فَزَوَالُ تِلْكَ الصِّفَةِ وَفَنَائُهَا لَيْسَ إِعْدَامًا لَهَا، لِأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي دَائِرَةِ الْعِلْمِ وَبَاقِيَةٌ وَمَشْهُودَةٌ لِخَالِقِهَا.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْبَقَاءِ وَلَدَيْهِ عِلْمِي وَإِدْعَائِي وَشُعُورِي وَإِيمَانِي بِأَنَّهُ إِلَهِي الْبَاقِي الْمُتَمَثِّلُ شُعَاعُ إِسْمِهِ الْبَاقِي فِي مِرَاةِ

مَا هَيْتِي؛ وَمَا حَقِيقَةُ مَا هَيْتِي إِلَّا ظِلُّ لِدَلِكِ الْإِسْمِ. فَدَسِرَّ تَمَثُّلُهُ فِي مِرَاةِ حَقِيقَتِي صَارَتْ نَفْسُ حَقِيقَتِي مَحْبُوبَةً،
لَا لِذَاتِهَا بَلْ بِسِرِّ مَا فِيهَا وَبَقَاءِ مَا تَمَثَّلَ فِيهَا أَنْوَاعُ بَقَاءِ لَهَا.

1 مثلما رأيت جلوات الاسماء الباقية للباقي ذي الجلال وراء فناء الدنيا وزوال الآفاق، فشعرت بسلوان تام، كذلك نظرت الى شخصي. فاذا بمختلف طبقات الموجودات النفسية العديدة والصفات الشخصية وحقائقها التي افتتنت بها في شخصي تجري بسرعة نحو الزوال والفناء، فبحثت في تلك الفانيات عن البقاء بسرّ ما غرز في فطرة الانسان من عشق البقاء، فوجدت جلوة اسماء خالقي الباقي، ورأيت في زوال كلّ صفة من صفاتي جلوة باقية من جلوات اسم من الاسماء الممتثلة فيها. عند ذلك أدركت إدراكاً قاطعاً أن عشق البقاء الكامن في فطرة الانسان محبة متشعبة عن المحبة الإلهية. بيد ان الانسان يتحرّى محبوبه بشكل خطأ؛ فينما يلزم عليه حب الممثل في المرآة والبحث عنه، يبدأ بحب المرآة او حب كيفية التمثل فيها والتي تعد بمثابة الزينة لها. فيعبد «أنا» بدلاً من أن يعبد "هو". ولكن يدرك خطأه بعد زواله. إنّ القلب وماهية الانسان مرآة ذات شعور، تحس ما يمثّل فيها بشعور، وتحبه بعشق البقاء.. المؤلف.
2 إن حرف "الياء" التي تتكرر في الكلمات الثانية، ضمير متكلم تبين نفسها. المؤلف.

#504

الْكُتَّةُ الثَّلَاثَةُ¹

(حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) إِذْ هُوَ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ الَّذِي مَا هَذِهِ الْمَوْجُودَاتُ السَّيَّالَاتُ إِلَّا مَظَاهِرٌ لِتَجَدُّدِ تَجَلِّيَاتِ إِجَادِهِ وَوُجُودِهِ؛ بِهِ وَبِالْإِتْسَابِ إِلَيْهِ وَبِمَعْرِفَتِهِ أَنْوَارُ الْوُجُودِ بِلَا حَدٍّ. وَيُدُونُهُ ظُلُمَاتُ الْعَدَمَاتِ وَالْأَمْ الْفِرَاقَاتِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَاتِ.

وَمَا هَذِهِ الْمَوْجُودَاتُ السَّيَّالَةُ إِلَّا وَهِيَ مَرَايَا وَهِيَ مُتَجَدِّدَةٌ بِتَبَدُّلِ التَّغَيُّبَاتِ الْإِعْتِبَارِيَّةِ فِي فَنَائِهَا وَزَوَالِهَا وَبَقَائِهَا بِسِنَّةٍ وَجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: بَقَاءُ مَعَانِيهَا الْجَمِيلَةِ وَهُوَ يَاتِيهَا الْمِثَالِيَّةِ.

وَالثَّانِي: بَقَاءُ صُورِهَا فِي الْأَلْوَابِ الْمِثَالِيَّةِ.

وَالثَّلَاثُ: بَقَاءُ ثَمَرَاتِهَا الْأَخْرَوِيَّةِ.

وَالرَّابِعُ بَقَاءُ تَسْبِيحَاتِ هَا الرَّبَّانِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ لَهَا الَّتِي هِيَ نَوْعٌ وَجُودٍ لَهَا.

وَالْخَامِسُ: بَقَاؤُهَا فِي الْمَشَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْمَنَاطِرِ السَّرْمَدِيَّةِ.

وَالسَّادِسُ: بَقَاءُ أَرْوَاحِهَا إِنْ كَانَتْ مِنْ ذَوِي الْأَرْوَاحِ. وَمَا وَظِيفَتُهَا فِي كَيْفِيَّاتِهَا الْمُتَخَالِفَةِ فِي مَوْتِهَا وَفَنَائِهَا وَزَوَالِهَا

وَعَدَمِهَا وَظُهُورِهَا وَإِنْفِئَاتِهَا: إِلَّا أَظْهَارُ

¹ كنت أفكر منذ امد بعيد ان اشير اشارة عابرة مجملة الى مراتب حقيقة هامة؛ تم ايضاحها بخمسة رموز وخمس إشارات في "المكتوب الرابع والعشرين" الذي يكشف عن طلسم الفعالية الدائمة التي هي من أهم معميات الكون والتي تجري بصفة دائمة في خضم الموت والحياة والفناء والزوال. أما الفناء والزوال والعدم فمسائل تعبر عن عناوين لأنواع مختلفة من الوجود، وتثمر كثيراً من انماطها، وأن الشئ الأيل الى الزوال يتك وراءه اضراباً كثيرة من الوجود. وإن موت ذي حياة وزواله يثمر وجودات كثيرة، يتركها وراءه ثم يذهب. نعم إن الشئ الفاني يظل باقياً من جهات متعددة. فالحبة تموت باليل والتعفن، ولكنها تترك مكانها سنبله جامعة لمائة حبة. وهكذا، وبناء على هذا السر فالخوف من الموت والعدم، والتأسف على الزوال ليس أمراً في موضعه.. المؤلف.

² كما برهن على بقائها بالقطع والضرورة براهين باهرة في «الكلمة التاسعة والعشرين». وان لم يكن من ذوي الارواح، تبقى قوانين حقيقتها وخلقتها ونواميس ماهيتها وديساتير تشكلها. فان ذلك القانون والناموس والدستور روح أمري لذلك الفرد ولنوعه. كما ان شجرة التينة تموت وتنعدم ويبقى روحها الامري الذي هو قوانين تشكله ويدوم في نويته الصغيرة؛ فذلك الروح الامري لا يموت بل يتجدد عليه الصور، بل تدوم ماهيته للحياة. اذ ماهيتها ظل لاسم من الاسماء الحسنى الباقية، فتبقى تلك الماهية تحت شعاع الاسم الباقي، وتبقى هويته ايضاً في كثير من الالواح المثالية. فلا يكون العدم الا عنواناً لانتقال وجود زائل الى انواع من وجود دائم. - المؤلف.

#505

المُقْتَضِيَاتِ لِلْأَسْمَاءِ الإِلَهِيَّةِ، فَمِنْ سِرِّ هَذِهِ الْوُضُوفِ صَارَتْ الْمَوْجُودَاتُ كَسَيْلٍ فِي غَايَةِ السُّرْعَةِ تَتَمَوَّجُ مَوْتًا وَحَيَاةً وَوُجُودًا وَعَدَمًا. وَمِنْ هَذِهِ الْوُضُوفِ تَتَظَاهَرُ الْفَعَالِيَّةُ الدَّائِمَةُ وَالْخَلَّاقِيَّةُ الْمُسْتَمِرَّةُ. فَلَا بُدَّ لِي وَلكلِّ أَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) يَعْنِي؛ حَسْبِي مِنَ الْوُجُودِ أَيُّ أَثَرٍ مِنْ آثَارِ وَاجِبِ الْوُجُودِ. كَفَانِي أَنْ سَيِّئًا مِنْ هَذَا الْوُجُودِ الْمُتَوَرِّ الْمَظْهَرِ مِنْ مَلَائِينَ سَنَةٍ مِنَ الْوُجُودِ الْمُرَوَّرِ الْآبَتِ.

نَعَمْ بِسِرِّ الْإِنْتِسَابِ الْإِيمَانِيِّ تَقُومُ دَقِيقَةٌ مِنَ الْوُجُودِ؛ مَقَامَ أَلُوفِ سَنَةٍ بِلَا إِنْتِسَابِ إِيْمَانِي، بَلْ تِلْكَ الدَّقِيقَةُ أَمُّ وَأَوْسَعُ بِمَرَاتِبٍ مِنْ تِلْكَ الْأَلُوفِ سَنَةٍ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْوُجُودِ وَقِيَمَتِهِ أَيُّ صَنْعَةٍ مِنْهُ هُوَ فِي السَّمَاءِ عَظَمَتُهُ، وَفِي الْأَرْضِ آيَاتُهُ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْوُجُودِ وَكَمَالِهِ أَيُّ مَصْنُوعٍ مِنْ رِزْنٍ وَتَوَرِّ السَّمَاءِ بِمَصَابِيحِ، وَرِزْنٍ وَبَهْرِ الْأَرْضِ بِأَزْهَابِهَا. وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْفَخْرِ وَالشَّرَفِ أَيُّ مَخْلُوقٍ وَمَمْلُوكٍ وَعَبْدٌ لِمَنْ هَذِهِ الْكَائِنَاتُ بِجَمِيعِ كَمَالَاتِهَا وَمَحَاسِنِهَا ظِلٌّ ضَعِيفٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَمَالِهِ وَجَمَالِهِ، وَمِنْ آيَاتِ كَمَالِهِ وَإِشَارَاتِ جَمَالِهِ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَنْ يَدَّخِرُ مَا لَا يَعْدُ وَلَا يَحُصُّ مِنْ نِعْمِهِ فِي صُنَيْدِقَاتِ لَطِيفَةٍ هِيَ بَيْنَ "الْكَافِ وَاللُّونِ" فَيَدَّخِرُ بِقُدْرَتِهِ مَلَائِينَ قَنْطَارًا فِي قَنْصَةٍ وَاحِدَةٍ فِيهَا صُنَيْدِقَاتٌ لَطِيفَةٌ تُسَمَّى بُدُورًا وَنَوَايَا.

وَكَذَا حَسْبِي مِنْ كُلِّ ذِي جَمَالٍ وَذِي إِحْسَانٍ؛ الْجَمِيلُ الرَّحِيمُ الَّذِي مَا هَذِهِ الْمَصْنُوعَاتُ الْجَمِيلَاتُ إِلَّا مَرَايَا مُتَقَانِيَّةٌ لِتَجَدُّدِ أَنْوَارِ جَمَالِهِ بِمَرِّ الْفُضُولِ وَالْعُصُورِ وَالذُّهُورِ. وَهَذِهِ النَّعْمُ الْمُتَوَاتِرَةُ وَالْأَثْمَارُ الْمُتَعَاقِبَةُ فِي الرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ مَظَاهِرٌ لِتَجَدُّدِ مَرَاتِبِ إِنْعَامِهِ الدَّائِمِ عَلَى مَرِّ الْأَنَامِ وَالْإَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ.

#506

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَمَاهِيَّتِهَا أَنِّي خَرِيطَةٌ وَفَهْرَسْتَةٌ وَفَذَلِكَةٌ وَمِيزَانٌ وَمِقْيَاسٌ لِجَلَوَاتِ أَسْمَاءِ خَالِقِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَوُضِيفَتْهَا كَوْنِي ككَلِمَةٍ مَكْتُوبَةٍ بِقَلَمِ الْقُدْرَةِ، وَمُفْهِمَةٍ دَالَّةٍ عَلَى أَسْمَاءِ الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ بِمُظَهَّرِيَّةِ حَيَاتِي لِلشُّنُونِ الدَّائِيَّةِ لِخَالِقِي الَّذِي لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَحُقُوقِهَا إِعْلَانِي وَتَشْهِيرِي بَيْنَ إِخْوَانِي الْمَخْلُوقَاتِ وَإِعْلَانِي وَإِطْهَارِي لِتَنْظَرِ شُهُودِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ بِتَرْيُّبِي بِجَلَوَاتِ أَسْمَاءِ خَالِقِي الَّذِي رَبَّنِي بِمُرْصَعَاتِ حُلَّةِ وَجُودِي وَخَلَعَهُ فِطْرَتِي وَقِلَادَةَ حَيَاتِي الْمُنتَظِمَةَ الَّتِي فِيهَا مُرَيَّبَاتٌ هَدَايَا رَحْمَتِهِ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنْ حُقُوقِ حَيَاتِي فَهْمِي لِتَحِيَّاتِ ذَوِي الْحَيَاةِ لِوَاهِبِ الْحَيَاةِ وَشُهُودِي لَهَا وَشَهَادَاتٍ عَلَيْهَا.

وَكَذَا حَسْبِي مِنْ حُقُوقِ حَيَاتِي تَبَرُّجِي وَتَرْيُّبِي بِمُرْصَعَاتِ جَوَاهِرِ إِحْسَانِهِ بِشُعُورِ إِيمَانِي لِلْعُرْضِ لِتَنْظَرِ شُهُودِ سُلْطَانِي الْأَرْيُّبِي.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَلَدَّتْهَا عِلْمِي وَإِدْعَانِي وَشُعُورِي وَإِيمَانِي، بِأَنِّي عَبْدُهُ وَمَصْنُوعُهُ وَمَخْلُوقُهُ وَفَقِيرُهُ وَمُحْتَاجٌ إِلَيْهِ؛ وَهُوَ خَالِقِي رَحِيمٌ بِي كَرِيمٌ لَطِيفٌ مُنْعَمٌ عَلَيَّ، يُرَبِّنِي كَمَا يَلْبِقُ بِحُكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَقِيمَتِهَا مَقْيَاسِيَّتِي بِأَمْثَالِ عَجْزِي الْمُطْلَقِ وَقَفْرِي الْمُطْلَقِ وَصَغْفِي الْمُطْلَقِ لِمَرَاتِبِ قُدْرَةِ الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ، وَدَرَجَاتِ رَحْمَةِ الرَّحِيمِ الْمُطْلَقِ، وَطَبَقَاتِ قُوَّةِ الْقَوِيِّ الْمُطْلَقِ.

#507

وَكَذَا حَسْبِي بِمَعْكَسِيَّتِي بِجُزْئِيَّاتِ صِفَاتِي مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ الْجُزْئِيَّةِ لِفَهْمِ الصِّفَاتِ الْمُحِيطةِ لِخَالِقِي. فَافْهَمْ عِلْمَهُ الْمُحِيطةَ بِمِيزَانِ عِلْمِي الْجُزْئِيِّ.

وَهَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْكَمَالِ؛ عِلْمِي بِأَنَّ الْهَيْ هُوَ الْكَامِلُ الْمُطْلَقُ. فَكُلُّ مَا فِي الْكُونِ مِنَ الْكَمَالِ مِنْ آيَاتِ كَمَالِهِ، وَأَشَارَاتٍ إِلَى كَمَالِهِ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْكَمَالِ فِي نَفْسِي، الْإِيمَانُ بِاللَّهِ. إِذَا الْإِيمَانُ لِلْبَشَرِ مَنَّبَعٌ لِكُلِّ كَمَالٍ كَمَالَتِهِ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لِأَنْوَاعِ حَاجَاتِي الْمَطْلُوبَةِ بِأَنْوَاعِ السِّنَّةِ جَهَازَاتِي الْمُخْتَلِفَةِ، إِلَهِي وَرَبِّي وَخَالِقِي وَمُصَوِّرِي الَّذِي لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي وَيُرَبِّنِي وَيُدَبِّرُنِي وَيَكْمِلُنِي، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَمَّ نَوَالُهُ.

الْثُّكَّةُ الرَّابِعَةُ

حَسْبِي لِكُلِّ مَطَالِبِي مَنْ فَتَحَ صُورَتِي وَصُورَةَ امْتَالِي مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ فِي الْمَاءِ بِلَطِيفِ صُنْعِهِ وَلَطِيفِ قُدْرَتِهِ
وَأَطِيفِ حِكْمَتِهِ وَأَطِيفِ رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكَذَا حَسْبِي لِكُلِّ مَقَاصِدِي مَنْ أَنْشَأَنِي وَشَقَّ سَمْعِي وَبَصَرِي، وَأَدْرَجَ فِي جِسْمِي لِسَانًا وَجَنَانًا، وَأَوْدَعَ فِيهَا وَفِي
جِهَازَاتِي؛ مَوَازِينَ حَسَّاسَةً لَا تُعَدُّ لَوْزَنَ مُدَّخِرَاتِ أَنْوَاعِ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ. وَكَذَا أَدْمَجَ فِي لِسَانِي وَجَنَانِي وَفَطْرَتِي
آلَاتِ جَسَّاسَةً لَا تُحْصَى لِفَهْمِ أَنْوَاعِ كُنُوزِ أَسْمَائِهِ.

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ أَدْرَجَ فِي شَخْصِي الصَّغِيرِ الْحَقِيرِ، وَأَدْمَجَ فِي وُجُودِي الضَّعِيفِ الْفَقِيرِ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ وَالْآلَاتِ
وَهَذِهِ الْجَوَارِحَ وَالْجِهَازَاتِ وَهَذِهِ الْحَوَاسَّ وَالْحِسِّيَّاتِ وَهَذِهِ اللَّطَائِفَ وَالْمَعْنَوِيَّاتِ؛ لِاحْسَاسِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ نِعَمِهِ،
وَلِإِذَاقَةِ أَكْثَرِ تَجَلِّيَّاتِ

#508

أَسْمَائِهِ بِجَلِيلِ أُلُوهِيَّتِهِ وَجَمِيلِ رَحْمَتِهِ وَبِكَبِيرِ رُبُوبِيَّتِهِ وَكَرِيمِ رَأْفَتِهِ وَبِعَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَأَطِيفِ حِكْمَتِهِ.
الْتُّكْنَةُ الْخَامِسَةُ

لَا بُدَّ لِي وَلِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَقُولَ حَالًا وَقَالَ وَمُتَشَكِّرًا وَمُفْتَحِرًا: حَسْبِي مَنْ خَلَقَنِي، وَأَخْرَجَنِي مِنْ ظُلْمَةِ الْعَدَمِ،
وَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِنُورِ الْوُجُودِ.

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِي حَيًّا فَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِنِعْمَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي تُعْطِي لِصَاحِبِهَا كُلِّ شَيْءٍ وَتُمِدُّ يَدَ صَاحِبِهَا إِلَى كُلِّ شَيْءٍ.
وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِي إِنْسَانًا فَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِنِعْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي صَيَّرَتِ الْإِنْسَانَ عَالَمًا صَغِيرًا أَكْبَرُ مَعْنَى مِنَ الْعَالَمِ
الْكَبِيرِ.

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِي مُؤْمِنًا فَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ الَّتِي يُصَيِّرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ كَسَفَرَيْنِ مَمْلُوءَتَيْنِ مِنَ النِّعَمِ
يَقْدُمُهُمَا إِلَى الْمُؤْمِنِ بِيَدِ الْإِيمَانِ.

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِي مِنْ أُمَّةٍ حَبِيبَةٍ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِمَا فِي الْإِيمَانِ مِنَ الْمَحَبَّةِ
وَالْمَحْبُوبِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ الْبَشَرِيَّةِ.. وَبِتِلْكَ الْمَحَبَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ تَمْتَدُّ أَيَادِي اسْتِفَادَةِ
الْمُؤْمِنِ إِلَى مَا لَا يَنْتَاهِي مِنْ مُشْتَمَلَاتِ دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ وَالْوُجُوبِ.

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ فَضَّلَنِي جِنْسًا وَنَوْعًا وَدِينًا وَإِيمَانًا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَامِدًا وَلَا حَيَوَانًا وَلَا
صَالًا. فَلَهُ الْحَمْدُ وَلَهُ الشُّكْرُ.

#509

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِي مَظْهَرًا جَامِعًا لِتَجَلِّيَّاتِ أَسْمَائِهِ، وَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِنِعْمَةٍ لَا تَسْعَاهَا الْكَائِنَاتُ بِسِرِّ حَدِيثِ (لَا
يَسْعُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي وَيَسْعُنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ) ¹ يَعْنِي أَنَّ الْمَاهِيَّةَ الْإِنْسَانِيَّةَ مَظْهَرٌ جَامِعٌ لِجَمِيعِ تَجَلِّيَّاتِ
الْأَسْمَاءِ الْمُتَجَلِّيَّةِ فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ.

وَكَذَا حَسْبِي مَنِ اشْتَرَى مُلْكَهُ الَّذِي عِنْدِي مَنِّي لِيَحْفَظَهُ لِي، ثُمَّ يُعِيدُهُ إِلَيَّ، وَأَعْطَانَا ثَمَنَهُ الْجَنَّةَ. فَلَهُ الشُّكْرُ
وَالَهُ الْحَمْدُ بَعْدَ ضَرْبِ ذَرَاتِ وُجُودِي فِي ذَرَاتِ الْكَائِنَاتِ.

حَسْبِي رَبِّي جَلَّ اللَّهُ نُورُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

حَسْبِي رَبِّي جَلَّ اللَّهُ سِرُّ قَلْبِي ذِكْرُ اللَّهِ

ذِكْرُ أَحْمَدَ صَلَّى اللَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

الحديث (ما وسعني سمائي ولا ارضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن). ذكره في الاحياء بلفظ مقارب. قال العراقي في تخرجه: لم ار له أصلاً (كشف الحفاء للعجلوني 195/2 باختصار). وقال السيوطي في الدرر المنتثرة: قلت اخرج الامام احمد في الزهد عن وهب بن منبه: ان الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر الى العرش فقال حزقيل: سبحانك ما اعظمك يارب! فقال الله: ان السموات والارض ضعفن ان يسعني ووسعني قلب المؤمن الوداع اللين "اه. قال ابن حجر الهيثمي في الفتاوى الحديثية: وذكر جماعة له من الصوفية لا يريدون حقيقة ظاهره من الاتحاد والحلول لأن كلاً منها كفر، وصالحو الصوفية اعرف الناس بالله وما يجب له وما يستحيل عليه، وانما يريدون بذلك ان قلب المؤمن يسع الايمان بالله ومحبته ومعرفته. اه. . المترجم.

#510

الباب السادس

في "لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ" ¹

وهذه الكلمة الطيبة المباركة خامسة من الخمس الباقيات الصالحات المشهورات التي هي: "سبحان الله. والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَالِكِي! لِي فَقَرَّ بِلَا نِهَائِيَّةٍ، مَعَ أَنَّ حَاجَاتِي وَمَطَالِبِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَتَقْصُرُ يَدِي عَنْ أَدْنَى مَطَالِبِي. فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ يَا رَبِّي الرَّحِيمِ! وَيَا خَالِقِي الْكَرِيمِ! يَا حَسِيدُ يَا وَكِيلُ يَا كَافِي.
إِلَهِي! إِخْتِيَارِي كَشَعْرَةَ ضَعِيفَةٍ، وَأَمَالِي لِأُحْصَى. فَأَعْجُزُ دَائِمًا عَمَّا لَا اسْتَعْنِي عَنْهَا أَبَدًا. فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ يَا غَنِيَّ يَا كَرِيمُ يَا كَفِيلُ يَا وَكِيلُ يَا حَسِيدُ يَا كَافِي.

¹ لقد اوضحنا في رسائل كثيرة؛ بأن في فطرة الانسان عجزاً بلا حدود وفقراً بلا نهاية، مع أن له عداءً لاحد لها ومطالب

لانتهي. والانسان من اجل هذا العجز والفقير محتاج فطرةً الى الالتجاء الى قدير رحيم. فكما أن الجملة الاولى من آية: (حسبنا الله ونعم الوكيل) ترشد الى مرهم للعجز وملجأً تجاه كل اعدائه؛ وان الجملة الثانية (نعم الوكيل)، دواء لفقره ووسيلة الى تحقيق جميع مطالبه؛ وكذلك جملة (لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) دواء للعجز والفقير البشريين كجملة (حسبنا الله) تماماً، ولكنه في صورة اخرى، فكلمة «لاحول» تفيد ان نقطة استناده تجاه اعدائه، بتبرؤه من قوته ملتجأً الى القدرة الإلهية وتفيد كلمة (لا قوة) ان الوسيلة لقضاء مطالبه وحاجاته هي التوكل مع الاعتماد على القدرة الإلهية. ولقد احسست بمراتب كثيرة لجملة (لاحول ولا قوة..) هذه في نفسي بتجارب كثيرة. فوضعت كلمات مختصرة اشارة الى تلك المراتب فألاحظ تلك المراتب بوساطة تلك الاشارات. وسوف يذكر في هذا الباب من الكلمات التي ترمز الى قسم من تلك المراتب بعينها. - المؤلف.

#511

إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَالِكِي! إِقْتِدَارِي كَذَرَّةٍ ضَعِيفَةٍ، مَعَ أَنَّ الْأَعْدَاءَ وَالْعِلَلَ وَالْأَوْهَامَ وَالْأَهْوَالَ وَالْأَلَامَ وَالْأَسْقَامَ وَالظُّلُمَاتِ وَالضَّلَالَ وَالْأَسْفَارَ الطَّوَالَ مَا لَا تُحْصَى. فَلَا حَوْلَ عِنْدَهَا، وَلَا قُوَّةَ عَلَى مُقَابَلَتِهَا إِلَّا بِكَ يَا قَوِيُّ يَا قَدِيرُ يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبُ يَا حَفِيزُ يَا وَكِيلُ.

إِلَهِي! حَيَاتِي كَشُعْلَةٍ تَنْطَفِئُ كَأَمْثَالِي. وَأَمَالِي لَا تُحْصَى. فَلَا حَوْلَ عَنِّ تِلْكَ الْأَمَالِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى تَحْصِيلِهَا إِلَّا بِكَ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا حَسِيبُ يَا كَافِي يَا وَكِيلُ يَا وَافِي.

إِلَهِي! عُمُرِي كَدَقِيقَةٍ تَنْقُضِي كَأَقْرَانِي؛ مَعَ أَنَّ مَقَاصِدِي وَمَطَالِبِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى. فَلَا حَوْلَ عِنْدَهَا وَلَا قُوَّةَ عَلَيْهَا إِلَّا بِكَ يَا أَرْزُلِي يَا أَبْدِيُّ يَا حَسِيبُ يَا كَافِي يَا وَكِيلُ يَا وَافِي.

إِلَهِي! شُعُورِي كَلَمْعَةٍ تَزُولُ؛ مَعَ أَنَّ مَا يَلْزَمُ مُحَافَظَتَهُ مِنْ أَنْوَارِ مَعْرِفَتِكَ، وَمَا يَلْزَمُ التَّحْفُظَ مِنْهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَالضَّلَالَاتِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى. فَلَا حَوْلَ عَنِّ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَالضَّلَالَاتِ وَلَا قُوَّةَ عَلَى هَاتِيكَ الْأَنْوَارِ وَالْهُدَايَاتِ إِلَّا بِكَ يَا عَلِيمُ يَا خَيْرُ يَا حَسِيبُ يَا كَافِي يَا حَفِيزُ يَا وَكِيلُ.

إِلَهِي! لِي نَفْسٌ هَلُوعٌ وَقَلْبٌ جَزُوعٌ وَصَبْرٌ ضَعِيفٌ وَجِسْمٌ نَحِيفٌ وَبَدَنٌ عَلِيلٌ ذَلِيلٌ، مَعَ أَنَّ الْمَحْمُولَ عَلَيَّ مِنَ الْأَحْمَالِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ تَقِيلُ تَقِيلُ. فَلَا حَوْلَ عَنِّ تِلْكَ الْأَحْمَالِ وَلَا قُوَّةَ عَلَى حَمَلِهَا إِلَّا بِكَ يَا رَبِّي الرَّحِيمُ يَا خَالِقِي الْكَرِيمُ يَا حَسِيبُ يَا كَافِي يَا وَكِيلُ يَا وَافِي.

إِلَهِي! لِي مِنَ الزَّمَانِ أَنْ يَسِيلَ فِي سَبِيلِ وَاسِعٍ سَرِيعِ الْجَرَيَانِ؛ وَلِي مِنَ الْمَكَانِ مِقْدَارُ الْقَبْرِ مَعَ عِلَاقَتِي بِسَائِرِ الْأَمَكِنَةِ وَالْأَزْمَنَةِ. فَلَا حَوْلَ عَنِّ الْعِلَاقَةَ بِهَا، وَلَا قُوَّةَ

#512

عَلَى الْوُصُولِ إِلَى مَا فِيهَا إِلَّا بِكَ يَا رَبَّ الْأَمَكِنَةِ وَالْأَكْوَانِ، وَيَا رَبَّ الدُّهُورِ وَالْأَزْمَانِ يَا حَسِيبُ يَا كَافِي يَا كَفِيلُ يَا وَافِي.

إِلَهِي! لِي عَجْزٌ بِلَا نِهَايَةٍ وَضَعْفٌ بِلَا غَايَةٍ، مَعَ أَنَّ أَعْدَائِي وَمَا يُؤَلِّمُنِي وَمَا أَحَافُ مِنْهُ وَمَا يُهَيِّدُنِي مِنَ الْبَلَايَا

وَإِلْفَاتٍ مَا لَا تُحْصَى. فَلَا حَوْلَ عَنْ هَجْمَاتِهَا وَلَا قُوَّةَ عَلَى دَفْعِهَا إِلَّا بِكَ يَا قَوِيَّ يَا قَدِيرُ يَا قَرِيبُ يَا رَقِيبُ يَا كَفِيلُ
يَا وَكِيلُ يَا حَفِيزُ يَا كَافِي.

إِلَهِي! لِي فَتْرٌ بِلا غَايَةٍ وَفَاقَةٌ بِلا نِهَائِيَّةٍ؛ مَعَ أَنَّ حَاجَاتِي وَمَطَالِبِي وَوِظَائِنِي مَا لَا تُحْصَى. فَلَا حَوْلَ عِنهَا وَلَا قُوَّةَ
عَلَيْهَا إِلَّا بِكَ يَا غَنِيَّ يَا كَرِيمُ يَا مُغْنِي يَا رَحِيمُ.

إِلَهِي تَبَرَّأْتُ إِلَيْكَ مِنْ حَوْلِي وَقُوَّتِي، وَالتَّجَأْتُ إِلَى حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ فَلَا تَكِلْنِي إِلَى حَوْلِي وَقُوَّتِي. وَارْحَمْ عَجْزِي
وَضَعْفِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي. فَقَدْ ضَاقَ صَدْرِي، وَضَاعَ عُمْرِي، وَفَنِي صَبْرِي، وَتَاهَ فِكْرِي، وَأَنْتَ الْعَالَمُ بِسِرِّي
وَجَهْرِي، وَأَنْتَ الْمَالِكُ لِتَفْعِي وَضَرِّي، وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى تَفْرِيحِ كَرْبِي وَتَيْسِيرِ عُسْرِي. فَفَرِّجْ كُلَّ كَرْبَتِي وَيَسِّرْ
عَلَيَّ وَعَلَى إِخْوَانِي كُلِّ عَسِيرٍ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الزَّمَانِ الْآتِي، وَعَنِ أَهْوَالِهِ مَعَ سَوْقِ إِلَيْهِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْمَاضِي وَلَدَائِدِهِ مَعَ عِلَاقَتِهِ بِهِ إِلَّا بِكَ
يَا أَرْزِيَّ يَا أَبْدِيَّ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الزَّوَالِ الَّذِي أَخَافُ وَلَا أَخْلُصُ مِنْهُ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى إِعَادَةِ مَا فَاتَ مِنْ حَيَاتِي الَّتِي اتَّحَسَّرْتُهَا،
وَلَا أَصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِكَ يَا سَرْمَدِيَّ يَا بَاقِي.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ ظُلْمَةِ الْعَدَمِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى نُورِ الْوُجُودِ إِلَّا بِكَ يَا مُوجِدُ يَا مُوجِدُ يَا قَدِيمُ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الْمَضَارِّ اللَّاحِقَةِ بِالْحَيَاةِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْمَسَارِّ اللَّازِمَةِ لِلْحَيَاةِ إِلَّا بِكَ يَا مُدِيرُ يَا حَكِيمُ.

#513

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الْأَلَامِ الْهَاجِمَةِ عَلَى ذِي الشُّعُورِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى اللَّذَائِدِ الْمَطْلُوبَةِ لِنَدِي الْحِسِّ إِلَّا بِكَ يَا مُرِيَّ
يَا كَرِيمُ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الْمَسَاوِي الْعَارِضَةِ لِنَدْوِي الْعُقُولِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْمَحَاسِنِ الْمُرِيَّةِ لِنَدْوِي الْهَمَمِ إِلَّا بِكَ يَا مُحْسِنُ
يَا كَرِيمُ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ النَّقَمِ لِأَهْلِ الْعِصْيَانِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى النَّعَمِ لِأَهْلِ الطَّاعَاتِ إِلَّا بِكَ يَا غَفُورُ يَا مُنْعِمُ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الْأَحْزَانِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْإِفْرَاحِ إِلَّا بِكَ. فَإِنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَضْحَكَ وَأَبْكَى يَا جَمِيلُ يَا جَلِيلُ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الْعِلَلِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْعَافِيَةِ إِلَّا بِكَ يَا شَافِي يَا مُعَافِي.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الْأَلَامِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْإِمَالِ إِلَّا بِكَ يَا مُنْجِي يَا مُغِيثُ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الظُّلُمَاتِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْأَنْوَارِ إِلَّا بِكَ يَا نُورُ يَا هَادِي.

إِلَهِي لَا حَوْلَ عَنِ الشُّرُورِ مُطْلَقًا؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْحَيْرَاتِ أَصْلًا إِلَّا بِكَ يَا مَنْ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،
وَبِعِبَادِهِ بَصِيرٌ، وَبِحَوَائِجِ مَخْلُوقَاتِهِ خَبِيرٌ.

إلهي! لا حولَ عَنِ الْمَعَاصِي إِلَّا بِعِصْمَتِكَ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الطَّاعَةِ إِلَّا بِتَوْفِيقِكَ يَا مُوَفِّقُ يَا مُعِينُ.

إلهي! لي علاقاتٌ شديدةٌ مَعَ نَوْعِي الْإِنْسَانِي، مَعَ أَنَّ آيَةَ (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) تَهْدِيَنِي وَتُطْفِئُ آمَالِي الْمُتَعَلِّقَةَ بِنَوْعِي وَجِنْسِي، وَتُنْعِي عَلَيَّ بِمَوْتِهِمَا. فَلَا حَوْلَ عَنِ ذَلِكَ الْحُزْنِ الْأَلِيمِ النَّاشِئِ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْتِ وَالنَّعْيِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى تَسَلُّ يَمَلَأُ مَحَلَّ مَا زَالَ عَنِ قَلْبِي وَرُوحِي إِلَّا بِكَ. فَانْتَ الَّذِي تَكْفِي عَنِ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَكْفِي عَنكَ كُلُّ شَيْءٍ.

#514

إلهي! لي علاقاتٌ شديدةٌ مَعَ دُنْيَايَ الَّتِي كَبَيْتِي وَمَنْزَلِي؛ مَعَ أَنَّ آيَةَ (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (الرحمن: 26) تُعَلِّنُ خَرَابِيئَةَ بَيْتِي هَذَا، وَرِوَالِ مَحْبُوبَاتِي اللَّاتِي سَاكَنْتُهُمْ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمُهْدِمِ؛ وَلَا حَوْلَ عَنِ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ الْهَائِلَةِ، وَعَنِ الْفِرَاقَاتِ مِنَ الْأَحْبَابِ الْآفِلَةِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى مَا يُسَلِّبُنِي عَنْهَا، وَيَقُومُ مَقَامَهَا إِلَّا بِكَ يَا مَنْ يَقُومُ جُلُوهً مِنْ تَجَلِّيَاتِ رَحْمَتِهِ مَقَامَ كُلِّ مَا فَارَقْتِي.

إلهي لي علاقاتٌ¹ بِجَامِعِيَّةِ مَا هَيْتِي، وَغَايَةِ كَثْرَةِ جَهَازَاتِي الَّتِي أَنْعَمْتَهَا عَلَيَّ، وَاحْتِيَاجَاتِ شَدِيدَةٍ إِلَى الْكَائِنَاتِ وَأَنْوَاعِهَا؛ مَعَ أَنَّ آيَةَ (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ((القصص: 88)) تَهْدِيَنِي وَتَقْطَعُ عِلَاقَاتِي الْكَثِيرَةَ مِنَ الْأَشْيَاءِ. وَبِانْقِطَاعِ كُلِّ عِلَاقَةٍ يَتَوَلَّدُ جَرْحٌ وَأَلَمٌ مَعْنَوِيٌّ فِي رُوحِي. وَلَا حَوْلَ عَنِ تِلْكَ الْجُرُوحَاتِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى أَدْوِيئِهَا إِلَّا بِكَ يَا مَنْ يَكْفِي لِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَكْفِي عَنِ شَيْءٍ وَاحِدٍ مِنْ تَوَجُّهِ رَحْمَتِهِ كُلُّ الْأَشْيَاءِ، وَيَا مَنْ إِذَا كَانَ لِشَيْءٍ كَانَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ لَا يَكُونُ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

إلهي! لي علاقاتٌ شديدةٌ وَابْتِلَاءٌ وَمَفْتُونِيَّةٌ مَعَ شَخْصِيَّاتِي الْجِسْمَانِيَّةِ، حَتَّى كَأَنَّ جِسْمِي عَمُودٌ فِي نَظَرِي الظَّاهِرِيِّ لِسَقْفِ جَمِيعِ آمَالِي وَمَطَالِبِي؛ وَفِي عِشْقٍ شَدِيدٍ لِلْبَقَاءِ؛ مَعَ أَنَّ جِسْمِي لَيْسَ مِنْ حَدِيدٍ وَلَا حَجَرٍ لِيَدُومَ فِي الْجُمْلَةِ، بَلْ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ وَعَظْمٍ عَلَى جَنَاحِ التَّفَرُّقِ فِي كُلِّ آنٍ؛ وَمَعَ أَنَّ حَيَاتِي كَجِسْمِي مَحْدُودَةٌ الطَّرْفَيْنِ، سَتُخْتَمُ بِخَاتَمِ الْمَوْتِ عَنِ قَرِيبٍ؛ مَعَ أَنِّي قَدْ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً مَيِّ، وَقَدْ صَرَبَ السَّقْمُ ظَهْرِي وَصَدْرِي، فَأَنَا فِي قَلْبِي وَضَجْرٍ وَاضْطِرَابٍ وَتَأَلَّمٍ وَتَحْزُنٍ شَدِيدٍ مِنْ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ. فَلَا حَوْلَ عَنِ هَذِهِ الْحَالَةِ الْهَائِلَةِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى مَا يُسَلِّبُنِي عَمَّا يَحْزُنُنِي، وَعَلَى

¹ لقد اشيرت الى مراتب (لا حول ولا قوة..) هذه والى حقائقها، باشارات فقط. أما البراهين والدلائل فلم تذكر، لأن المئات بل الآلاف من براهين الوحدانية ودلائل الربوبية المذكورة في الابواب السابقة هي دلائل على حقائق (لا حول ولا قوة...) بصفة عامة. فلذلك لم تذكر أدلة مستقلة اخرى. - المؤلف.

#515

مَا يُعَوِّضُنِي مَا يَضِيعُ مِنِّي، وَعَلَى مَا يَقُومُ مَقَامَ مَا يَفُوتُ مِنِّي إِلَّا بِكَ يَا رَبِّي الْبَاقِي، وَالْبَاقِي بَبَقَائِهِ وَإِبْقَائِهِ مَنْ تَمَسَّكَ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الْبَاقِيَّةِ.

إلهي! لي ولكلّ ذي حياة خوف شديد من الموت والزوال اللذين لا مفرّ منهما؛ ولي محبّة شديدة للحياة والعمر اللذين لا دوام لهما؛ مع أنّ تسارع الموت إلى أجسامنا بهجوم الآجال لا يُبقي لي ولا لأحدٍ أملاً من الآمال الدنيويّة إلاّ ويقطعها، ولا لذة إلاّ ويهدّمها. فلا حولَ عن تلك البليّة الهائلة ولا قوّة على ما يُسليتنا عنها إلاّ بك يا خالق الموت والحياة! ويا مَنْ له الحياة السرمديّة، الذي من تمسك به وتوجّه إليه ويعرفه ويحبّه؛ تدوم حياته ويكون الموت له تجدد حياة وتبديل مكان. فإذا فلا حزن له ولا ألم عليه بسير (ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (يونس: 62)

إلهي! لي لأجل نوعي وجنسي علاقات بتألمات وتمنّيات بالسّموات والأرض وبأحوالها. فلا قوّة لي بوجه من الوجوه على إسماع أمري لهما، وتبليغ أملي لتلك الأجرام، ولا حولَ عن هذا الإبتلاء والعلاقة إلاّ بك يا ربّ السّموات والأرض! ويا مَنْ سخّرهما لعباده الصّالحين.

إلهي! لي ولكلّ ذي عقلٍ علاقات مع الأزمنة الماضيّة والأوقات الإستقباليّة؛ مع أنّنا قد انحبسنا في زمانٍ حاضرٍ ضيق لا تصلُ أيدينا إلى أدنى زمانٍ ماضٍ ومستقبلٍ لجلبٍ من ذلك ما يُفرحنا، أو لدفعٍ من هذا ما يُحزنا. فلا حولَ عن هذه الحالة، ولا قوّة على تحويلها إلى أحسنِ الحالِ إلاّ بك يا ربّ الدهور والأزمان.

إلهي! لي في فطرتي ولكلّ أحدٍ في فطرتهم آمالٌ أبدية ومطالبٌ سرمديّة تمتدُّ إلى أبد الآباد. إذ قد أودعت في فطرتنا استعداداً عجيباً جامعاً، فيه احتياجٌ ومحبّة لا يُشبعها الدنيا وما فيها، ولا يرضى ذلك الاحتياج وتلك المحبّة إلاّ بالجنّة الباقيّة؛ ولا يطمئن ذلك الاستعداد إلاّ بدار السعادة الأبدية. يا ربّ الدنيا والآخرة ويا ربّ الجنّة ودار القرار.¹

¹ كان من المقرر أن تكتب عشرون مرتبة من مراتب (لا حول ولا قوّة..) في البداية. وقد أخرجتها على أمل كتابتها في الحتام. ولما بلغنا الحتام تأخّرت حالياً. لأن هذه الأدلة لو وضّحت لطالت كثيراً، وإن كتبت بإشارات تخصني فحسب لكنت الاستفادة منها قليلة. لذا أرجئت الى وقت آخر.. المؤلف.

#516
%

اللمعة الثلاثون

من المكتوب الحادي والثلاثين، وثمرة من ثمار سجن "اسكي شهر" وذيل الذيل للكلمة الثلاثين. وهي عبارة عن ست نكات.

هذا الدرس القيم ثمرّة من ثمار سجن "اسكي شهر" وحصيلة مدرستها اليوسفية، مثلما كانت رسالة "الثمرة" ثمرة أينعها سجن "دنيزلي" وكما كانت رسالة "الحجة الزهراء" درساً بليغاً أزهر في

سجن "آفيون".

تضم هذه الرسالة - وهي اللمعة الثلاثون - نكاتٍ دقيقة لستةٍ من الاسماء الحسنى التي هي الاسم الاعظم.

"في القسم الذي يخص اسم الله "الحي" و "القيوم" من الاسم الاعظم مسائل عميقة وواسعة جداً قد لا يستطيع كل أحد أن يستوعبها كلها ويتذوقها جميعاً، إلا أنه لا يبقى أحدٌ دون نصيب منها وفائدة يغنمها".

#517

النكتة الاولى

تخص احدى نكات اسم الله

القدوس

بسم الله الرحمن الرحيم

(والارضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ) (الذاريات: 48)

لقد تجلت لي نكتة من نكات هذه الآية الكريمة وتجلت من تجليات اسم الله "القدوس" وهو الاسم الاعظم أو أحد انوراه الستة، وانا نزيل سجن "اسكي شهر" أوآخر شهر شعبان المبارك. فبين لي: الوجود الإلهي بوضوح تام، وكشف لي: الوجدانية الربانية بجلاء، كما يأتي:

لقد تراءى لي هذا الكون وهذه الكرة الارضية كعمل عظيم دائب الحركة، وشبيهة بفندق واسع، او دار ضيافة ثملاً وتُحلى بلا انقطاع علماً ان دار ضيافة هذه السعة وهذه الكثرة الكاثرة من الغادين والرائحين، تمتلئ بالنفايات والانتقاض، ويصيب كل شئ بالتلوث، وتضيق فيها اسباب الحياة. فان لم تعمل يد التنظيف والتنسيق فيها عملاً دائماً أدت تلك الاوساخ الى اختناق الانسان واستحالة عيشه...

بيد اننا لا نكاد نرى في معمل الكون العظيم هذا، وفي دار ضيافة الكرة الارضية هذه أثراً للنفايات، كما انه لا توجد في أية زاوية من زاواياها مادة غير نافعة، أو غير ضرورية، أو ألقيت عبثاً، حتى ان ظهرت مادة كهذه سرعان ما تُرمى في مكائن تحويل بمجرد ظهورها، تُحيلها الى مادة نظيفة...

فهذا الامر الدائب يدلنا على: ان الذي يراقب هذا المعمل انما يراقبه بكل عناية واتقان، وان مالكة يأمر بتنظيفه وتنسيقه وتزيينه على الدوام حتى لا يُرى فيه - رغم ضخامته - أثر للقاذورات والنفايات التي تكون متناسبة مع كُبر المعمل وضخامته. فالمرعاة بالتطهير اذن مستمرة، والعناية بالتنظيف دائمة ومتناسبة مع ضخامة المعمل

#518

وسعته، لأن الانسان الفرد إن لم يستحم ولم يقيم بتنظيف غرفته خلال شهر، لصاقت عليه الحياة.. فكيف بنظافة قصر العالم العظيم!؟

اذن فالطهر والنقاء والصفاء والبهاء المشاهد في قصر العالم البديع هذا ما هو الأنايع من تنظيف حكيم مستمر، ومن تطهير دقيق دائم.. فلولا هذه المراقبة المستديمة للنظافة، والعناية المستمرة بالطهر، لكانت تحتق على سطح الارض - باجوائها الموبوءة - مئآت الآلاف من الاحياء خلال سنة.. ولولا تلك المراقبة الدقيقة والعناية الفائقة في أرجاء الفضاء الزاخرة بالكواكب والنجوم والتوابع المعرّضة للموت والانذار، لكانت انقاصها المتطائرة في الفضاء تحطم رؤوسنا ورؤوس الاحياء الاخرى، بل رأس الدنيا! ولكانت تمطر علينا كتلاً هائلة بحجم الجبال، وثرغماً على الفرار من وطننا الدنيوي! بينما لم تسقط منذ دهور سحيقة من الفضاء الخارجي - نتيجة الانذار - سوى بضعة نيازك، ولم تُصب احداً من الناس، بل كانت عبرة لمن يعتبر! ولولا التنظيف الدائب والتطهير الدائم في سطح الارض، لكانت الانقاض والاوساخ والاشلاء الناتجة من تعاقب الموت والحياة اللذين يصيبان مئآت الالوف من أمم الاحياء، تملأ البر والبحر معاً، ولكانت القذارة تصل الى حد ينفر كل من له شعور ان ينظر الى وجه الارض الدميم، بل كان يسوقه الى الفرار منها الى الموت والعدم ناهيك عن حبه وعشقه.

نعم، مثلما ينظف الطيرُ اجنحته بسهولة تامة أو يطهر الكاتب صحائف كتابه بيسر كامل، فان اجنحة هذه الارض الطائرة - مع الطيور السماوية في الفضاء - وصحائف هذا الكتاب العظيم - أعني الكون - ينظفان ويطهران ويجملان ويزيئنان بمثل تلك السهولة واليسر، بل ان تطهير سطح الارض هذا وتنظيفه وتنسيقه وتزيينه هو من كمال الاتقان ما يجعل الذين لا يرون - بايمانهم - جمال الآخرة يعشقون هذا الجمال وهذه النظافة لهذا العالم الدنيوي بل قد يعبدونه!

اذن فقصر العالم الباذخ هذا، ومعمل الكون الهائل هذا، قد حَظيا بتجلٍ من تجليات اسم الله "القدوس" عليهما، حتى انه عندما تصدر الاوامر الإلهية المقدسة الخاصة بالتطهير والتنظيف لا تصدر للحيوانات البحرية الكبيرة المفترسة، المؤدية وظيفة التنظيف والصقور البرية الجارحة وحدها، بل يستمع لها ايضاً أنواع الديدان

#519

والنمل التي تجمع الجناز وتقوم بمهمة موظفي الصحة العامة الراعين لها في هذا العالم، بل تستمع لهذه الاوامر التنظيفية حتى الكريات الحمراء والبيضاء الجارية في الدم فتقوم بمهمة التنظيف والتنقية في حجيرات البدن كما يقوم التنفس بتصفية الدم، بل حتى الاجفان الرقيقة تستمع لها فتطهر العين باستمرار، بل حتى الذباب يستمع لها فيقوم بتنظيف اجنحته دائماً..

ومثلما يستمع كل ما ذكرناه لتلك الاوامر القدسية بالتنظيف، تستمع لها ايضاً الرياح الهوج والسحاب الثقيل، فتلك تطهر وجه الارض من النفايات، والاخرى ترش روضتها بالماء الطاهر فتسكن الغبار والتراب، ثم تنسحب بسرعة ونظام حاملة ادواتها ليعود الجمال الساطع الى وجه السماء صافياً متلاًئلاً.

ومثلما تستمع لتلك الاوامر الصادرة بالتطهير والتنظيف النجوم، والعناصر، والمعادن، والنباتات باشكالها وانواعها، تستمع لها الذرات جميعاً، حتى انها تراعي النقاوة والصفاء في دوامات تحولاتها المحيرة للالباب، فلا تجتمع في زاوية دون فائدة، ولا تزدحم في ركن دون نفع، بل لو تلوثت تُنظف فوراً وتُساق سوقاً من لدن قدرة حكيمة الى أخذ أظهر الاوضاع وانظفها وأسطعها واصفها، وأخذ أجمل الصور وانقاها وألطفها. وهكذا فان فعلَ التطهير هذا الذي هو فعلٌ واحد، ويعبر عن حقيقة واحدة هو تجلٍ اعظم من تجليات اسم "القدوس" الاعظم، يرى ذلك التجلي الاعظم حتى في أعظم دوائر الكون واوسعها، بحيث يبين الوجود الرباني، ويظهر الوحدانية الإلهية مع اسمائها الحسنى ظهوراً جلياً كالشمس المنيرة، فتبصره العيون النافذة النظر.

وقد ثبت ببراهين دامغة في أغلب اجزاء (رسائل النور): ان فعل التنظيم والنظام الذي هو تجلٍ من تجليات اسم الحَكَم والحكيم، وان فعل الوزن والميزان الذي هو تجلٍ من تجليات اسم العدل والعاقل، وان فعل التزيين والاحسان الذي هو تجلٍ من تجليات اسم الجميل والكريم، وان فعل التربية والإنعام الذي هو تجلٍ من تجليات اسم الرب الرحيم.. كل فعل من هذه الافعال، هو فعلٌ واحد، وحقيقة واحدة، تشاهد بوضوح

#520

في آفاق الكون كله، فكل منها يشير الى وجوب وجودٍ واحدٍ أحدٍ، ويبين وحدانيته بجلاء. كذلك فعلُ التنظيف والتطهير الذي هو تجلٍ من تجليات اسم "القدوس" يدل على وجود ذلك الواجب، كالشمس، ويبين وحدانيته كالنهار..

وكما ان الافعال المذكورة من تنظيم وتقدير وتزيين وتنظيف وامثالها من الافعال الحكيمة تبين خالقاً واحداً أحداً، بوحدتها النوعية، وبظهورها في اوسع الآفاق الكونية، كذلك أكثر الاسماء الحسنى، بل كل اسم من الف اسم واسم من الاسماء الحسنى له تجلٍ أعظم في اوسع دائرة من دوائر الكون كهذا. فيظهر الفعل الناتج من ذلك التجلي الواحد الاحد ظهوراً جلياً يناسب سعة ذلك الفعل ووضوحه.

نعم، ان الحكمة العامة التي تُخضع كل شئ الى قانونها ونظامها، والعناية الشاملة التي تجمل كل شئ وتزيّنه، والرحمة الواسعة التي تُدخل السرور والبهجة على كل شئ وتجعله في حمدٍ دائمٍ، والرزق العام الذي يعتاش عليه كل ذي حياة ويتمتع بلذائده، والحياة والإحياء التي تربط كل شئ بالاشياء الأخرى، وتجعل الشئ ينتفع من كل شئ كأنه مالك للاشياء..

هذه الحقائق وامثالها، المشهودة بالبداهة، والمتسمة بالوحدة، والجامعة وجه الكون يشرق بهاءً، ويستهل بشراً وسروراً، تدل بداهةً على: الحكيم، الكريم، الرحيم، الرزاق، الحي المحيي، كما يدل الضوء على الشمس. والله المثل الاعلى.

فكل فعل من هذه الافعال الواسعة التي تربو على المئات، دليل باهر الوضوح على الوحدانية، إن لم يُسند الى (الواحد الاحد) سبحانه لنتجت اذاً مئات المحالات بمئات من الأوجه.

فمثلاً: انه ليست الافعال كلها كالحكمة والعناية والرحمة والاعاشة والإحياء والاماتة التي هي من الحقائق البديهية ومن دلائل التوحيد، بل حتى فعلٌ واحد فقط منها وهو فعل التطهير لو لم يُسند الى رب العالمين للزم - في طريق الكفر والضلالة -

#521

ان يكون كلُّ شئٍ له علاقةٌ بالتنظيف ابتداءً من الذرات، الى الحشرات، الى العناصر، الى النجوم، على علمٍ ومعرفةٍ بتنظيف هذا الكون العظيم وتزيينه وتجميله وموازنة ما فيه!! وأن يلاحظ الامور وفقها، ويقدر على التحرك.

أو يلزم ان يتصف كلُّ منها بالصفات القدسية الجليلة لرب العالمين!! أو يلزم ان يكون هناك مجلس شورى واسع سعة الكون كله لتنظيم جميع تزيينات الكون وتطهيره وتقدير كل ما يلج فيه وما يخرج منه وموازنته، وان يشكّل هذا المجلس ما لا يحد من الذرات والحشرات والنجوم!!.. وهكذا يصل سالك طريق الكفر الى مئات من أمثال هذه الخرافات السخيفة والمحالات السوفسطائية كي يظهر التزيين المحيط والتنظيف الشامل الظاهر في الارحاء كافة. اي لا ينشأ محال واحد بل مئات الالوف من المحالات.

نعم، ان لم يسند ضوء النهار والشُميسات المتألقة المثالية في كل شئٍ على سطح الارض، الى الشمس الواحدة، ولم تُفسّر على انها انعكاساتٌ لتجلي تلك الشمس الواحدة، للزم وجود شميسٍ حقيقية في كل قطرة ماء لماعة، وفي كل قطعة زجاج شفافة، وفي كل بلورة ثلج مشعة، حتى في كل ذرة من ذرات الهواء، كي يظهر ذلك الضوء الذي يعم الوجود!!

وهكذا؛

فالحكمة ضياءً، والرحمة الواسعة ضياءً، والتزيين والموازنة والتنظيم والتنظيف كلُّ منها ضياءً شامل محيط وشعاع من اشعة ذلك النور الازلي سبحانه.

فانظر الآن بنور هذا الايمان لترى كيف يسقط أهل الكفر والضلالة في مستنقع آسن لا يمكنهم الخروج منه. وشاهد مدى حماقة أهل الضلالة وجهالتهم! واحمد الله قائلاً:

الحمد لله على دين الاسلام وكمال الايمان.

#522

نعم، ان هذا التنظيف السامي الشامل المشاهد الذي يجعل قصر العالم طاهراً نقياً نظيفاً لهو تجلٍ من تجليات

اسم "القدوس" ومقتضى من مقتضياته.

وكما تتوجه تسييحات المخلوقات جميعها الى اسم "القدوس" وترنو اليه، كذلك يستدعي اسم "القدوس" نظافة تلك المخلوقات وطهارتها¹ حتى عدّ الحديث الشريف "النظافة من الايمان" الطهور نوراً من انواره² لارتباطه القدسي هذا، وظهرت الآية الكريمة ان الطهر مدعاة الى المحبة الإلهية ومدار لها، في قوله تعالى:
(انّ الله يحبّ التوابين ويحبّ المتطهرين) (البقرة:222).

¹ يجب الأ نسي: ان الخصال القبيحة، والاعتقادات الباطلة، والذنوب والآثام، والبدع، كلها من الاوساخ المعنوية. - المؤلف.

² وردت في هذا المعنى احاديث كثيرة منها: «الطهور شرط الايمان والحمد لله تملأ الميزان..» رواه مسلم واحمد والترمذي عن ابي مالك الأشعري، (عن كشف الخفاء للعجلوني). - المترجم.

#523

النكته الثانية

تخص احدى نكات اسم الله

العدل

(وانّ من شيءٍ إلاّ عندنا خزائنه وما ننزله الاّ بقدر معلوم) (الحجر:21)

لقد تراءت لي نكته لطيفة من لطائف هذه الآية الكريمة، ونور من انوار تجليات اسم الله: "العدل" الذي هو اسم الله الاعظم، أو هو نور من أنواره الستة.

تراءى لي ذلك النور من بعيد - كما هو الحال في النكته الاولى - وانا نزيل سجن "اسكي شهر" ولأجل تقريبه الى الافهام نسلك أيضاً طريق ضرب الامثال. فنقول:

هذا الكون قصر بديع يضم مدينة واسعة تتداولها عوامل التخريب والتعمير، وفي تلك المدينة مملكة واسعة تغلي باستمرار من شدة مظاهر الحرب والهجرة، وبين جوانح تلك المملكة عالم عظيم يسبح كل حين في خضم الموت والحياة.. ولكن على الرغم من كل مظاهر الاضطراب، فان موازنه عامة وميزاناً حساساً، وعملية وزن دقيق تسيطر في كل جوانب القصر ونواحي المدينة وتسود في كل ارجاء المملكة واطراف العالم، وتبين عليها هيمنة، بحيث تدل بداهة:

ان ما يحدث ضمن هذه الموجودات التي لا يحصرها العدّ من تحولات، وما يلج فيها وما يخرج منها لا يمكن أن يكون الا بعملية وزن وكَيْلٍ، وميزان من يرى انحاء الوجود كلها في آن واحد، ومن تجري الموجودات جميعها

أمامَ نظر مراقبته في كل حين... ذلكم الواحد الأحد سبحانه.

والآ فلو كانت الاسباب الساعية الى اختلال التوازن، سائبة أو مفوضة الى المصادفة العشواء أو القوة العمياء أو الطبيعة المظلمة البلهاء، لكانت بويضات سمكة واحدة التي تزيد على الالوف تخل بتلك الموازنة، بل بذيرات زهرة واحدة - كالخشخاش - التي تزيد على العشرين ألف تخل بها، ناهيك عن تدفق العناصر

#524

الجارية كالسيل، والانتقالات الهائلة والتحويلات الضخمة التي تحدث في ارجاء الكون.. كل منها لو كان سائباً لكان قميناً أن يخل بتلك الموازنة الدقيقة المنصوبة بين الموجودات، ويفسد التوازن الكامل بين اجزاء الكائنات خلال سنة واحدة، بل خلال يوم واحد. ولكن ترى العالم وقد حلّ فيه الهرج والمرج وتعرض للاضطرابات والفساد..

فالبهار تمتلئ بالانقاض والجثث، وتتعضن.

والهواء يتسمم بالغازات المضرة الخائفة، ويفسد.

والارض تصبح مزبلة ومسلخة، وتغدو مستنقعا آسناً لا تطاق فيه الحياة.

فان شئت فأنعم النظر، في الموجودات كلها، ابتداء من حجيرات الجسم الى الكريات الحمراء والبيضاء في الدم، ومن تحولات الذرات الى التناسب والانسجام بين اجهزة الجسم، ومن واردات البحار ومصاريقها الى موارد المياه الجوفية وصرفياتها، ومن تولدات الحيوانات والنباتات ووفياتها الى تخريبات الخريف وتعميرات الربيع، ومن وظائف العناصر وحركات النجوم الى تبدل الموت والحياة، ومن تصادم النور والظلام الى تعارض الحرارة والبرودة.. وما شابهها من أمور، كي ترى ان الكل: يوزن ويُقدّر بميزان خارق الحساسية، وان الجميع يُكتال بمكيال غاية في الدقة، بحيث يعجز عقل الانسان ان يرى اسرافاً حقيقياً في مكان وعبثاً في جزء.. بل يلمس علم الانسان ويشاهد اكمل نظام واتقنه في كل شئ فيحاول أن يُريه، ويرى اروع توازنٍ وابدعه في كل موجود فيسعى لإبرازه.

فما العلوم التي توصل اليها الانسان الا ترجمة لذلك النظام البديع وتعبير عن ذلك التوازن الرائع.

فتأمل في الموازنة الرائعة بين الشمس والكواكب السيارة الاثنتي عشرة التي كل منها مختلفة عن الاخرى، الا تدل هذه الموازنة دلالة واضحة وضوح الشمس نفسها على الله سبحانه الذي هو "العدل القدير"؟

ثم تأمل في الارض - وهي احدى الكواكب السيارة - هذه السفينة الجارية السابحة في الفضاء التي تجول في سنة واحدة مسافة يقدر طولها باربع وعشرين الف

#525

سنة. ومع هذه السرعة المذهلة لا تبعثر المواد المنسقة على سطحها ولا تضطرب بها ولا تطلقها الى الفضاء..

فلو زيد شئٌ قليل في سرعتها أو أنقص منها لكانت تقذف بقاطينها الى الفضاء، ولو أخذت بموازنتها لدقيقة - بل لثانية واحدة - لتعثرت في سيرها واضطربت، ولربما اصطدمت بغيرها من السيارات ولقامت القيامة.

ثم تأمل في تولدات ووفيات النباتات والحيوانات واعاشتها وحياتها على الارض والتي يزيد عدد انواعها على الاربعمائة الف نوع، ترى موازنة رائعة ذات رحمة، تدلك دلالة قاطعة على "الخالق العادل الرحيم" جلّ جلاله، كدلالة الضياء على الشمس.

ثم تأمل في اعضاء كائن حي من الاحياء التي لاتعد ولا تحصى، ودقق في اجهزته وفي حواسه.. ترّ فيها من الانسجام التام والتناسق الكامل والموازنة الدقيقة ما يدلّك بداهة على الصانع الذي هو "العدل الحكيم".

ثم تأمل في حجيرات جسم كائن حي وفي اوعية الدم، وفي الكريات السابجة في الدم، وفي ذرات تلك الكريات، تجد من الموازنة الخارقة البديعة ما يثبت لك اثباتاً قاطعاً انه لا تحصل هذه الموازنة الرائعة ولا ادارتها الشاملة، ولا تربيتها الحكيمة الا بميزان حساسٍ وبقانونٍ نافذ وبنظام صارم للخالق الواحد الاحد "العدل الحكيم" الذي بيده ناصية كل شئ، وعنده مفاتيح كل شئ. لا يحجب عنه شئ ولا يعزب، ويدير كل شئ بسهولة ادارة شئ واحد.

ان الذي لا يعتقد ان اعمال الجن والانس يوم الحشر الاكبر توزن بميزان العدل الإلهي، ويستغرب منها ويستبعدها ولا يؤمن بها، أقول لو تمكّن ان يتأمل فيما هو ظاهر مشاهد من انواع الموازنة الكبرى امامه في هذه الدنيا لزال استبعاده واستنكاره حتماً.

ايها الانسان المسرف الظالم الوسخ!

اعلم، ان الاقتصاد والطهر والعدالة سنن الهية جارية في الكون، ودساتير الهية شاملة تدور رحى الموجودات عليها لا يفلت منها شئ الا انت ايها الشقي، وانت بمخالفتك الموجودات كلها في سيرها وفق هذه السنن الشاملة تلقى النفرة منها والغضب عليك وانت تستحقها..

#526

فعلام تستند وتثير غضب الموجودات كلها عليك فتتقترف الظلم والاسراف ولا تتكثرت للموازنة والنظافة؟

نعم، ان الحكمة العامة المهيمنة في الكون والتي هي تجلٍ أعظم لاسم "الحكيم" انما تدور حول محور الاقتصاد وعدم الاسراف، بل تأمر بالاقتصاد.

وان العدالة العامة الجارية في الكون النابعة من التجلي الاعظم لاسم "العدل" انما تدير موازنة عموم الاشياء، وتأمّر البشرية باقامة العدل.

وان ذكر الميزان اربع مرات في "سورة الرحمن" اشارة الى اربعة انواع من الموازين في اربع مراتب وبيان لأهمية

الميزان البالغة ولقيته العظمى في الكون. وذلك في قوله تعالى: (والسما رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ - أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ - وَاقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) (الرحمن: 7-9).

نعم، فكما لا اسراف في شئ، فلا ظلم كذلك ظلماً حقيقياً في شئ، ولا بخس في الميزان قط، بل ان التطهير والطهر الصادر من التجلي الاعظم لاسم "القدوس" يعرض الموجودات بأبهى صورتها وابدع زينتها، فلا ترى ثمة قذارة في موجود، ولا تجد قبلاً اصيلاً في شئ ما لم تمسه يد البشر الوسخة.

فاعلم من هذا ان "العدالة والاقتصاد والطهر" التي هي من حقائق القرآن ودرساتير الاسلام، ما أشدها ايغالاً في اعماق الحياة الاجتماعية، وما أشدها عراقة واصالة. وأدرك من هذا مدى قوة ارتباط احكام القرآن بالكون، وكيف انها مدّت جذوراً عميقة في اغوار الكون فأحاطته بعري وثيقة لا انفصام لها. ثم افهم منها ان افساد تلك الحقائق ممتنع كامتناع افساد نظام الكون والاخلال به وتشويه صورته.

ومثلما تستلزم هذه الحقائق المحيطة بالكون، وهذه الانوار العظيمة الثلاثة (العدالة والاقتصاد والطهر) الحشر والآخرة فهناك حقائق محيطة معها: كالرحمة والعناية والرقابة، وامثالها مئات من الحقائق المحيطة والانوار العظيمة تستلزم الحشر وتقتضي الحياة الآخرة، اذ هل يمكن ان تنقلب مثل هذه الحقائق المهمة على الموجودات والمحيطة بالكون الى اضدادها بعدم مجئ الحشر وبعدم اقامة الآخرة، أي ان تنقلب الرحمة الى ضدها وهو الظلم، وتنقلب الحكمة او الاقتصاد الى ضدهما وهو العبث والاسراف، وينقلب الطهر الى ضده وهو العبث والفساد. حاش لله..

#527

ان الرحمة الإلهية، والحكمة الربانية اللتين تحافظان على حق حياة بعوضةٍ ضعيفةٍ محافظةً تتسم بالرحمة الواسعة، لا يمكن ان تضيعا - بعدم اقامة الحشر - حقوق جميع ذوي الشعور غير المحدودين وتهضماً حقوقاً غير متناهية لموجودات غير محصورة..

وان عظمة الربوبية التي تُظهر دقة متناهية وحساسية فائقة - اذا جاز التعبير - في الرحمة والشفقة والعدالة والحكمة، وكذا الالهوية الباسطة سلطانها على الوجود كله والتي تريد اظهار كمالها وتعريف نفسها وتجببها بتزييناتها الكائنات ببدايع صنائعها وبما أسبغت عليها من نعم هل يمكن ان تسمح - هذه الربوبية العظيمة والالهوية الجليلة - بعدم اقامة الحشر الذي يسبب الحط من قيمة جميع كمالها ومن قيمة مخلوقاتنا قاطبة؟. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فمثل هذا الجمال المطلق لا يرضى - بالبداهة - بمثل هذا القبح المطلق.

فالذي يريد ان ينكر الآخرة عليه ان ينكر وجود هذا الكون اولاً بجميع ما فيه من حقائق. والأفالكائنات مع حقائقها المتأصلة فيها تكذبه بالوف من الألسنة، وتثبت له انه الكذاب الأشهر.

وقد أثبتت "رسالة الحشر" بدلائل قاطعة: ان وجود الآخرة ثابت وقاطع لا ريب فيه كوجود هذه الدنيا.

النكتة الثالثة

تشير الى النور الثالث من الانوار الستة للاسم الاعظم :

الحكم

(ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة) (النحل:125)

لقد تراءت لي نكتة من النكات الدقيقة لهذه الآية الكريمة، ونور من أنوار تجليات اسم الله "الحكم" الذي هو اسم الله الاعظم، أو أحد أنواره. في شهر رمضان المبارك. فكتبت هذه النكتة المشتملة على خمس نقاط على عجل، فأثبتتها على حالها في المسودة دون تنقيح أو تغيير.

النقطة الاولى:

مثلاً ذكرنا في "الكلمة العاشرة" ان التجلي الاعظم لاسم "الحكم" جعل هذا الكون بمثابة كتاب عظيم كتبت في كل صحيفة من صحائفه مئات الكتب، وأدرجت في كل سطر منه مئات الصفحات، وحُطَّت في كل كلمة منه مئات الاسطر، وتقرأ تحت كل حرف فيه مئات الكلمات، وحُفِظَ في كل نقطة من نقاطه فهرسٌ مختصر صغير يلخص محتويات الكتاب كله.. فهذا الكتاب بصفحاته وأسطره بل بنقاطه يدل دلالة واضحة ساطعة - بمئات الأوجه - على مصوره وكتبه، حتى أن مشاهدة الكتاب الكوني العظيم هذا وحدها كافية للدلالة على وجود كتبه، بل تسوقنا الى معرفة وجوده ووحدانيته بما يفوق دلالة الكتاب على نفسه اضعافاً مضاعفة. اذ بينما يدل الحرف الواحد على وجوده ويعبر عن نفسه بمقدار حرف فإنه يعبر عن أوصاف كتبه بمقدار سطر.. نعم! ان سطح الارض "صحيفة" من هذا الكتاب الكبير، هذه الصحيفة تضم كتباً بعدد طوائف النباتات والحيوانات، وهي تُكتب أمام أنظارنا في موسم الربيع في غاية الكمال والاتقان من دون خطأ، كتابةً متداخلة، جنباً الى جنب، في آن واحد.

#529

والبستان "سطر" من هذه الصحيفة، نشاهد فيه قصائد منظومة وهي تُكتب أمام أعيننا بعدد الازهار والاشجار والنباتات، كتابةً متداخلة، جنباً الى جنب، من دون خطأ.

والشجرة النامية الزاهية أوراقها، المفتحة أزهارها، وقد أوشكت أن تخرج أثمارها من أكمامها، هذه الشجرة "كلمة" من ذلك السطر، فهذه الكلمة تمثل فقرةً كاملة ذات مغزى تعبر تعبيراً بليغاً عن ثنائها وحمدها ودلالاتها على "الحكم" ذي الجمال، بعدد أوراقها المنتظمة وأزهارها المزينة وأثمارها الموزونة، حتى لكان تلك الشجرة المفتحة الازهار قصيدةً عصماء تتغنى بالمدح والثناء على آلاء بارئها المصور الجليل.

وكان "الحكيم" ذا الجلال يريد أن ينظر عباده الى ما عَرَضَهُ من بدائع آثاره ومعجائب مخلوقاته في معرض الارض البديع بألوف من العيون.

وكان تلك الهدايا الثمينة والأوسمة الغالية والشارات اللطيفة التي منحها الله تعالى لتلك الشجرة قد أعطتها من الشكل الجميل المزيّن، والهيئة الموزونة المنتظمة، والابانة الحكيمة البليغة ما يهيؤها للعرض أمام أنظار الملك العظيم في يوم عيده البهيج وعرضه العام للمخلوقات.. في الربيع الزاهي.. فتنتطق بالشهادة على وجود البارئ المصور، والدلالة على أسمائه الحسنی السنّة عديدة ووجوه كثيرة متداخلة؛ من كل زهرة من أزهار الشجرة، ومن كل ثمرة من ثمارها.

فمثلاً: ان كل ما في الزهرة والثمرة موزونٌ بميزان دقيق، وذلك الميزان مقدّر وفق تناسق بديع، وذلك التناسق يسير منسجماً مع تنظيم وموازنة يتجددان، وذلك التنظيم والموازنة يجريان في ثنايا زينة فاخرة وصنعة متقنة، وتلك الزينة والاتقان يظهران بروائح ذات مغزى ومذاقات ذات حكمة.. وهكذا تشير كل زهرة الى "الحكم" ذي الجلال اشاراتٍ، وتدل عليه دلالات، بعدد أزهار تلك الشجرة.

والشجرة التي هي بمثابة كلمة، وثمارها التي هي بحكم حروف تلك الكلمة، وبدور الثمر كأنها نقاط تلك الحروف التي تضم فهرس الشجرة كاملاً وتحمل خطة اعمالها. هذه الشجرة اذا اخذناها مثلاً وقسنا عليها كتاب الكون الكبير، نرى سطورَه وصحائفه قد صارت بتجلى انوار اسم "الحكيم الحكّم" معجزة باهرة، بل

#530

غدت كل صحيفة منه، وكل سطر منه، وكل كلمة، وكل حرف، وكل نقطة معجزة تبلغ من العظمة ما لو اجتمعت الاسباب المادية كلها على أن تأتي بمثل تلك النقطة - أي البذرة - أو بنظيرها لا تأتي بمثلها. بل تعجز الاسباب جميعها عجزاً مطلقاً عن معارضتها.

نعم، ان كل آية كونية من آيات قرآن الكون العظيم المنظور تُعرض للانظار معجزاتٍ نيرات هي بعدد نقاطها وحروفها، فلا جرم أن المصادفة العشواء والقوة العمياء، والطبيعة الصماء البلهاء التي لا هدف لها ولا ميزان، لا يمكنها ان تتدخل - في آية جمّة كانت - في هذا الميزان المتقن الخاص، وفي هذا الانتظام الدقيق البديع المتّسمين بالحكمة والبصيرة. فلو افترض تدخلها - جدلاً - لظهر أثر التدخل، بينما لا يشاهد في أي مكان تفاوتاً ولا خللاً قط.

النقطة الثانية:

وهي مسألتان:

المسألة الاولى: مثلاً وضح في "الكلمة العاشرة" أنه من القواعد الاساسية الرصينة:

ان الجمال الذي هو في منتهى الكمال لا بد أن يشهد ويُشهد جماله.

وان الكمال الذي هو في منتهى الجمال لا بد أن يشهد ويُشهد كماله.

فبناء على هذا الدستور العام فان البارئ المصور سبحانه الذي أبدع كتاب الكون العظيم هذا يعرّف جمال كماله ويحبّبه بالسنة مخلوقاته - ابتداءً من أصغر جزئي الى أكبر كلي - فيعرّف سبحانه ذاته المقدسة، ويفهم كماله السامي، ويظهر جماله البديع: بهذا الكون الرائع، وبكل صحيفة فيه، وبكل سطر فيه، وبكل كلمة فيه، بل حتى بكل حرف وبكل نقطة من كتابه العظيم هذا.

فيا أيها الغافل! ان هذا "الحكيم الحكّم الحاكم" ذا الجلال والجمال، اذ يعرّف نفسه لك ويحبّبها اليك بكل مخلوق من مخلوقاته، وبهذه الصورة الرائعة وبهذه الكثرة الكثيرة من الوسائل البديعة، ان لم تقابل تعريفه هذا بالايمان به ولم تعرفه، وإن

#531

لم تقابل تحببته هذا بالعبادة له ولم تحبّب نفسك اليه، فما أعظم جهلك اذن، وما أفدح خسارتك!. أخطر!. أنتبه!.. وأفّق من غفلتك!.

المسألة الثانية: انه لا مكان للشرك قط في هذا الكون الشاسع العظيم الذي أبدعه الصانع القدير الحكيم بقدرته وحكمته؛ لأن وجود منتهى النظام في كل شئ لن يسمح بالشرك ابداً، فلو تدخلت أيدي متعددة في خلق شئ ما لبان التفاوت والاختلال في ذلك الشئ، مثلما تختلط الامور اذا ما وجد سلطانان في بلاد، ومسؤولان في مدينة، ومديران في قسبة، ومثلما يرفض أبسط موظف تدخل أحد في شأن من شؤونه التي تخص وظيفته..

كل ذلك دلالة على ان الخاصة الاساسية للحاكمية انما هي: "الاستقلال" و"الانفراد" فالانتظام يقتضي الوحدة كما ان الحاكمية تقتضي الانفراد.

فاذا كان ظلّ باهت زائل للحاكمية لدى هذا الانسان العاجز الفقير يردّ المداخلة بقوة، فكيف بالحاكمية الحقيقية التي هي في مرتبة الربوبية المطلقة لدى التقدير المطلق سبحانه؟ ألا تردّ الشرك وترفضه رفضاً باتاً؟.

فلو افترض التدخل - ولو بمقدار ذرة - لاختلط الانتظام والتناسق واختل النظام والميزان!. مع العلم ان هذا الكون قد أبدع ابداعاً رائعاً الى حد يلزم لخلق بذرة واحدة قدرة قادرة على خلق شجرة كاملة، ويلزم لخلق شجرة واحدة قدرة قادرة لإبداع الكون كله. واذا ما افترض وجود شريك في الكون كله وجب أن يظهر نصيبه في التدخل لخلق أصغر بذرة مثلاً - اذ البذرة نموذج الكائنات - وعندئذ يلزم استقرار ربوبيتين - لا يسعها الكون العظيم - في بذرة صغيرة، بل في ذرة!! وهذا من أسخف المحالات والخيالات الباطلة وأبعدها عن المنطق والعقل. فاعلم من هذا! ما أتفه الشرك والكفر من خرافة! وما أكذبها من كلمة! وما أفضعها من افتراء! اذ يقتضيان عجز

القدير المطلق الذي يمسك السموات والارض أن تزولا ، والذي بيده مقاليد السموات والارض يديرهما بميزان عدله ونظام حكمته.. يقتضيان عجزه سبحانه حتى في بذرة صغيرة!!
واعلم! ما أصوب التوحيد من حق وحقيقة! وما أعدل من صدق وصواب! ادرك هذا وذاك وقل: الحمد لله على الايمان.

#532

النقطة الثالثة: ان الصانع القدير باسمه "الحكم والحكيم" قد أدرج في هذا العالم ألوف العوالم المنتظمة البديعة، وبوأ الانسان - الذي هو أكثر من يمثل الحكم المقصودة في الكون وأفضل من يظهرها - موقع الصدارة، وجعله بمثابة مركز تلك العوالم ومحورها؛ اذ يتطلع ما فيها من حكم ومصالح الى الانسان. وجعل الرزق بمثابة المركز في دائرة حياة الانسان؛ فتجد ان معظم الحكم والغايات وأغلب المصالح والفوائد - ضمن عالم الانسان - تتوجه الى ذلك الرزق وتتضح به؛ لذا فان تجليات اسم "الحكيم" تبدو واضحة بأبهر صورها واسطعها من خلال مشاعر الانسان، ومن تضاعيف مذاقات الرزق، حتى غدا كل علم - من مئات العلوم التي توصل الانسان الى كشفها بما يملك من شعور - يعرّف تجلياً واحداً من تجليات اسم "الحكم" في نوع من الأنواع.
فمثلاً:

لو سُئل علم الطب: ما هذه الكائنات؟

لأجاب: انها صيدلية كبرى أحضرت فيها باتقان جميع الادوية وأدّخرت.

واذا ما سُئل علم الكيمياء: ما هذه الكرة الارضية؟

لأجاب: انها مختبر كيمياء منتظم بديع كامل.

على حين يجيب علم المكنائ: انها معمل منسق كامل لا ترى فيه نقصاً.

كما يجيب علم الزراعة: انها حديقة غنّاء ومزرعة معطاء، تستنبت فيها انواع المحاصيل، كل في أوانه.

ولأجاب علم التجارة: انها معرض تجاري فخم، وسوق في غاية الروعة والنظام، ومحل تجاري يحوي أنفس البضائع المصنوعة وأجودها.

ولأجاب علم الاعاشة: انها مستودع ضخم يضم الأرزاق كلها بأنواعها وأصنافها.

ولأجاب علم التغذية: انها مطبخ رباني تطبخ فيه مئات الالوف من الاطعمة الشهية اللذيذة جنباً الى جنب بنظام في غاية الاتقان والكمال.

#533

ولو سُئل علم العسكرية عن الارض!

لأجاب: انها معسكر مهيب يُساق اليه في كل ربيع جنودٌ مسلحون جُدد يؤلفون أمماً مختلفة من النباتات والحيوانات يبلغ تعدادها أكثر من اربعمائة ألف أمة، فتنصب خيمهم في ارجاء سطح الارض. وعلى الرغم من أن ارزاق كل أمة تختلف عن الاخرى، وملابسها متغايرة واسلحتها متباينة، وتعليماتها مختلفة، ورخصها متفاوتة، الا ان أمور الجميع تسير بانتظام رائع، ولوازم الجميع تُبَيأ دون نسيان ولا التباس، وذلك بأمر من الله تعالى وبفضل رحمته السابغة صادراً من خزينته الواسعة.

وإذا ما سئل علم الكهرباء!

لأجاب: ان سقف قصر الكون البديع هذا قد زُين بمصابيح متلائة لا حدّ لكثرتها ولا منتهى لروعها وتناسقها، حتى ان النظام البديع والتناسق الرائع الذي فيه يحولان دون انفجار تلك المصابيح السماوية المتوهجة دوماً - وهي تكبر الارض الف مرة وفي مقدمتها الشمس - ودون انتقاص توازنها او نشوب حريق فيما بينها.. تُرى من أي مصدرٍ تُغذى تلك المصابيح التي لا يجد ولا ينفد استهلاكها؟. ولم لا يختل توازن الاحتراق؟ علماً ان مصباحاً زيتياً صغيراً إن لم يُراعَ ويُعتنَ به باستمرار ينطفئ نوره ويخبُ.. فسبحانه من قدير حكيم ذي جلال كيف أوقد الشمس - التي هي أضخم من الارض بمليون مرة ومضى على عمرها أكثر من مليون سنة - حسب ما توصل اليه علم الفلك - دون ان تنطفئ ومن دون وقود أو زيت ..¹

تأمل في هذا وسبِّح باسم ربك العظيم وقل: ما شاء الله، تبارك الله، لا اله الا الله.. قلها بعدد الثواني التي مرت على عمر الشمس.. فلاشك ان نظاماً بديعاً صارماً هو الذي يهيمن على هذه المصابيح السماوية المتلائة ولا بد أن رعايتها،

¹ اذا ما حسب ما يلزم مدفأة قصر الكون ومصباحه - وهو الشمس - كم تحتاج يومياً من الوقود ومن الزيت للاضاءة، نرى أنها - بحساب الفلكيين - بحاجة الى مليون ضعف حجم الكرة الارضية من الوقود والوف الاضعاف من حجم البحار من الزيوت!!

فتأمل في عظمة الخالق القدير ذي الجلال الذي يوقد تلك المدفأة ويشعل ذلك السراج الوهاج من دون وقود ولازيت، ويشعلها بلا انقطاع. تدبّر في سعة حكمته وطلاقة قدرته، وقل: سبحان الله.. ماشاء الله.. تبارك الله.. بعدد ذرات الشمس.. المؤلف.

#534

ومراقبتها دقيقة، حتى كأن مصدر الحرارة - والمرجل البخاري - لتلك الكتل النارية التي هي في منتهى الضخامة وفي غاية الكثرة، انما هي جهنم لا تنفذ حرارتها وترسلها الى الكل مظلمة قائمة بلا نور. وكأن ماكنة تلك المصابيح المنورة والقناديل المضئية التي لاتعد ولا تحصى هي جنة دائمة ترسل اليها النور والضياء فيستمر اشتعالها المنتظم

بالتجلي الاعظم لاسم "الحكم والحكيم".

وهكذا قياساً على هذه الامثلة، فان كل علمٍ من مئات العلوم يشهد قطعاً: ان هذا الكون قد زُين بحِكمٍ ومصالح شتى ضمن انتظام كامل لا نقص فيه، وان تلك الانظمة البديعة والحِكم السامية النابعة من تلك الحكمة المعجزة المحيطة بالكون قد أدرجت بمقياس اصغر، حتى في اصغر كائن حي وفي اصغر بذرة..

ومن المعلوم بدهاة ان تتبع الغايات واداف الحِكم والفوائد بانتظام لا يحصل الا بالارادة والاختيار والقصد والمشئنة، والأ فلا. فكما ان هذا العمل البديع ليس هو من شأن الاسباب والطبيعة - اللتين لا تملكان ارادة ولا اختياراً ولا قصداً ولا شعوراً - فلن يكون لهما تدخلٌ فيه كذلك؛ لذا فما أحمل من لا يعرف أو لا يؤمن بالفاعل المختار وبالصانع الحكيم الذي تدل عليه هذه الانظمة البديعة والحِكم الرفيعة التي لاحد لها وهي مبثوثة في موجودات الكون قاطبة.

نعم! ان كان هناك شئٌ يُستغرب منه ويثير عند الانسان العجب في هذه الدنيا انما هو: انكار وجوده سبحانه؛ لأن الانتظام بأنواعه البديعة التي لا تعد والحِكم بأشكالها السامية التي لا تحصى والمندرجة في كل موجود في الكون شواهد صادقة على وجوب وجوده سبحانه وعلى وحدانيته.. فبعداً لعمى ما بعده عمى! وسحقاً لجهل ما بعده جهل لمن لا يرى هذا "الرب الحكيم" سبحانه! حتى يمكنني القول: أن السوفسطائيين الذين يُعدّون حمقى لأنكارهم وجود الكون، هم أَعقلُ أهل الكفر؛ لأن الاعتقاد بوجود الكون ومن بعده انكار خالقه - وهو الله سبحانه - غير ممكن قطعاً، ولا يقبل اصلاً، لذا بدأوا بانكار الكون وأنكروا وجودهم أيضاً، وقالوا لاشئ موجود على الاطلاق. فأبطلوا عقولهم، وانقدوا أنفسهم بأقترابهم شيئاً الى العقل من متاهة الحماقة المتناهية للمنكرين الجاحدين الحمقى المستترين تحت ستار العقل!

#535

النقطة الرابعة:

مثلاً أشير في "الكلمة العاشرة" الى أنه: اذا ما شيّد معماري بارع حكيم قصراً منيفاً، وأودع في كل حجر من احجاره مئات الحِكم والمصالح والفوائد، فلا يتصور من له شعور ان لا يبني له سقفاً يحفظه من البلى والفساد؛ لان هذا يعني تعريض البناء الى العدم والتلف وضياع تلك الفوائد والحِكم التي كان يرعاها ويتولاها، وهذا ما لا يرضى به ذو شعور. أو أن حكماً مطلقاً يُنشئ من درهم من البذور مئات الاطنان من الفوائد والحِكم والغايات، ويتعقبا ويديرها، لا يمكن ان يتصور من له عقل صدور العبث والاسراف المنافيين كلياً للحكمة المطلقة من ذلك "الحكيم المطلق" فيقلّد الشجرة الضخمة فائدة جزئية، وغاية تافهة وثمره قليلة، علماً أنه ينفق لإنشائها وثمارها الكثير!..

نعم، فكما لا يمكن ان يتصور هذا أو ذاك عاقلٌ قط، كذلك لا يمكن ان يتصور من له مسكة عقل أن يصدر

من "الصانع الحكيم" العبثُ والاسراف بعدم اتيان الآخرة وبعدم اقامته الحشر والقيامة بعد أن قلّد كل موجود في قصر الكون هذا مئات من الحكم والمصالح وجهزه بمئات الوظائف - حتى انه قلّد كل شجرة حكماً بعدد ثمارها ووظائف بعدد ازهارها - فلا يمكن ان يتوارد على خاطر عاقل ان يضيّع هذا "الحكيم الجليل" جميع هذه الحكم والمقاصد وجميع هذه الوظائف بعدم اقامته القيامة والآخرة.

اذ يعني هذا اسناد العجز التام الى قدرة التقدير المطلق، وتنسب العبث والضياع الى الحكمة البالغة للحكيم المطلق، وارجاع القبح المطلق الى جمال رحمة الرحيم المطلق، واسناد الظلم المطلق الى العدالة التامة للعاقل المطلق، أي انكار كل من الحكمة والرحمة والعدالة الظاهرة المشاهدة، انكارها كلياً من الوجود! وهذا من أعجب المحالات واشدها سخفاً وأكثرها بطلاناً!

فليات أهل الضلالة، ولينظروا الى ضلالتهم كيف انها مظلمة مليئة بالعقارب والحيات كقبورهم التي سيصيرون اليها! وليدركوا ان طريق الايمان بالآخرة منوّر جميل كالجنة فليسلكوه ولينعموا بالايمان.

#536

النقطة الخامسة:

وهي مسألتان:

المسألة الاولى: ان تعقب الصانع الجليل - بمقتضى اسم "الحكيم" لألطف صورة في كل شئ واقصر طريق، وأسهل طراز، وأنفع شكل.. يدل دلالة واضحة على ان الفطرة لا إسراف فيها قط ولا عبث، فما من شئ الآ وفيه نفعه وجدواه، وإن الاسراف مثلما ينافي اسم "الحكيم" فالاقتصاد لازمه ومقتضاه ودستوره الاساس.

فيا ايها المسرف المبذر! اعلم مدى مجانبتك الحقيقة بقعودك عن تطبيق أعظم دستور للكون المبني على الاقتصاد. وتدبر الآية الكريمة (وكُلُوا واشربوا ولا تُسرفوا) (الاعراف: 31) لتعلم مدى رسوخ الدستور الواسع الشامل الذي ترشد اليه.

المسألة الثانية: يصح ان يقال: ان اسم الله "الحكم" و"الحكيم" يقتضيان بدهة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته، ويدلان عليها ويستلزمانها.

نعم! مادام الكتاب البليغ بمعانيه ومرامييه، يقتضي بالضرورة معلماً بارعاً لتدريسه.. والجمال الفائق يقتضي مرآة يتراءى فيها، ويُرِي بها جماله وحُسنه.. والصنعة البديعة تستدعي منادياً داعياً اليها..

فلا بد ان يوجد بين بني البشر الذي هو موضع خطاب كتاب الكون الكبير المتضمن مئات المعاني البليغة والحكم الدقيقة في كل حرف من حروفه، اقول:

لا بد ان يوجد رائدٌ اكمل، ومعلمٌ اكبر، ليرشد الناس الى ما في ذلك الكتاب الكبير من حكم مقدسة حقيقية..

وليعلم وجود الحِكم المبتوثة في ارجائه ويدل عليها.. وليكون مبعث ظهور المقاصد الربانية في خلق الكون، بل السبب في حصولها.. ويرشد الى ما يريد الخالق اظهاره من كمال صنعته البديعة، وجمال اسمائه الحسنی، فيكون كالمراة الصافية لذلك الكمال البديع والجمال الفائق.. ولينهض بعبودية واسعة - باسم المخلوقات قاطبة - تجاه مظاهر الربوبية الواسعة، مثيراً الشوق وناشراً الوجد في الآفاق براً وبحراً ملفتاً انظار الجميع الى الصانع الجليل بدعوة ودعاء، وتهليل وتسييح وتقديس، ترنّ به ارجاء السماوات والارض.. وليقرع اسماع

#537

جميع ارباب العقول بما يلقنه من دروس مقدسة سامية وارشادات حكيمة من القرآن الحكيم.. وليبين بأجمل صورة واجلاها بالقرآن العظيم المقاصد الإلهية لذلك الصانع "الحكم الحكيم".. وليستقبل بأكل مقابلة وأتمها مظاهر الحكمة البالغة والجمال والجلال المتجلية في الآفاق. فانسانٌ هذه مهمته، انسان ضروري وجوده، بل يستلزمه هذا الكون، كضرورة الشمس ولزومها له.

فالذي يؤدي هذه المهمات، وينجز هذه الوظائف على اتم صورة ليس الا الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم كما هو مشاهد؛ لذا فكما تستلزم الشمس الضوء، ويستلزم الضوء النهار، فالحِكم المبتوثة في آفاق الكون وجنباة تستلزم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته.

نعم! مثلما يقتضي التجلي الاعظم لاسم "الحكم والحكيم" - في اوسع مداه - الرسالة الاحمدية، فان اغلب الاسماء الحسنی؛ "الله، الرحمن، الرحيم، الودود، المنعم، الكريم، الجميل، الرب" وامثالها، تستلزم الرسالة الاحمدية في اعظم تجلياتها واحاطتها بالكون كله، استلزماً قاطعاً لا ريب فيه.

فمثلاً:

ان الرحمة الواسعة التي هي تجلي اسم "الرحيم" تظهر بوضوح بمن هو "رحمة للعالمين".. وان التجبب الإلهي، والتعرف الرباني - اللذين هما من تجليات اسم "الودود" - يفضيان الى نتيجهما ويجدان المقابلة بـ "حبيب رب العالمين"..

وان جميع انواع الجمال: من جمال الذات الى جمال الاسماء، وجمال الصنعة والاتقان، وجمال المصنوعات، والمخلوقات، كل انواع الجمال - التي هي تجلٍ من تجليات اسم "الجميل" - تشاهد في تلك المراة الاحمدية، وتُشهد بها..

بل حتى تجليات عظمة الربوبية، وهيمنة سلطنة الالهية انما تُعرف برسالة هذا الداعية العظيم الى سلطان الربوبية وتبين بها، وثُفهم عنها، وتؤخذ منها وتُصدّق بها..

وهكذا فأغلب الاسماء الحسنی انما هي برهان باهر على الرسالة الاحمدية كما مر آنفاً..

#538

نحصل مما سبق:

ما دام الكون موجوداً بالفعل ولا يمكن انكاره، فلا يمكن ان يُنكر كذلك ما هو بمثابة ألوانه وزينته، وضيائه واتقانه، وانواع حياته، واشكال روابطه من الحقائق المشهودة، كالحكمة، والعناية، والرحمة، والجمال، والنظام، والميزان، والزينة، وامثالها من الحقائق..

فما دام لا يمكن انكار هذه الصفات والافعال، فلا يمكن انكار موصوف تلك الصفات، ولا يمكن انكار فاعل تلك الافعال ونور شمس تلك الاضواء، اعني ذات "الله" الاقدس جلّ جلاله "الواجب الوجود"، الذي هو الحكيم، الرحيم، الجميل، الحكم، العدل..

وكذا لا يمكن انكار من هو مدارّ لظهور تلك الصفات والافعال، بل من هو مدارّ لعرض كمالاتها، بل تحقق تجلياتها، ذلكم الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، الرائد الاكبر، والمعلم الاكمل، والداعية الاعظم، وكشاف طلسم الكائنات، والمرآة الصمدانية، وحيب الرحمن.. فلا يمكن انكار رسالته قطعاً، لأنها اسطع نور في هذا الكون كسطوع ضياء عالم الحقيقة ونور حقيقة الكائنات .

عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام بعدد عشرات الايام وذرات الأنام.

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

#539

النكتة الرابعة

تخص اسم الله

الفرد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قل هو الله أحد)

بينما انا نزيل سجن "اسكي شهر" في شهر شوال اذ تراءت لي نكتة دقيقة من النكات اللطيفة لهذه الآية الجليلة، ولاح لي قبس من انوار اسم الله الاعظم: "الفرد" - او هو أحد انواره الستة - الذي يتضمن اسمي "الواحد والأحد" من الاسماء الإلهية الحسنى.

سنين هنا باختصار شديد التوحيد الحقيقي الذي يُظهره ذلك التجلي الاعظم. وذلك في سبع اشارات موجزة. الاشارة الاولى:

لقد وضع اسم الله الاعظم: "الفرد" بتجليه الاعظم على الكون كله بصمات التوحيد المميز، واختام الوحدانية الواضحة، على مجموع الكون، وعلى كل نوع فيه، وعلى كل فرد فيه.

ولما كانت "الكلمة الثانية والعشرون" و"المكتوب الثالث والثلاثون" قد تناولا بيان ذلك التجلي بشئ من التفصيل، نكتفي بالإشارة فقط الى ثلاث بصماتٍ واختامٍ منها دالةً على التوحيد:

الختم الأول

ان التجلي الاعظم للفردية قد طبع على وجه "الكون" كله طابعاً مميزاً للتوحيد، وختماً واضحاً للوحدانية وضوحاً حول الكون كله بحكم "الكل" الذي لا يقبل التجزئة مطلقاً بحيث:

#540

ان من لا يقدر على أن يتصرف في الكون كله لا يمكن أن يكون مالكاً مُلكاً حقيقياً لأي جزء منه. ولنوضح هذا الختم المميز:

ان موجودات الكون، بانواعها المختلفة، تتعاون فيما بينها تعاوناً وثيقاً، ويسعى كلُّ جزءٍ منها لتكملة مهمة الآخر وكأنها تمثل مجموعها واجزائها تروس معمل بديع ودواليبه - الذي يشاهد فيه هذا التعاون بوضوح - فهذا التساند، وهذا التعاون بين الأجزاء، وهذه الاستجابة في اسعاف كلِّ منها لطلب الآخر، وامداد كلِّ جزء للجزء الآخر، بل هذا التعانق والاندماج بين الأجزاء، يجعل من اجزاء الكون كله وحدةً متحدة تتعصى على الانقسام والانفكاك. يشبه في هذا وحدة أجزاء جسم الانسان الذي لا يمكن فكُّ بعضها عن البعض الآخر. نفهم من هذا ان الذي يمسك زمام عنصر واحد في الوجود، ان لم يكن زمام جميع العناصر بيده لا يستطيع أن يسيطر على ذلك العنصر الواحد أيضاً.

إذا ف "التعاون" و"التساند" و"التجاوب" و"التعانق" الواضحة على وجه الكون، انما هي أختام كبرى وبصمات ساطعة للتوحيد.

الختم الثاني:

ان التجلي الباهر لاسم الله "الفرد" يجعلنا نُشاهد - على وجه الارض ولا سيما في الربيع - ختماً لامعاً للأحادية، وآية جلية للوحدانية بحيث:

ان من لا يدير جميع الأحياء على وجه الارض كلها بافراها واحوالها وشؤونها كافة، والذي لا يرى ولا يخلق ولا يعلم جميعها معاً، لا يمكن أن يكون له تدخل في أي شئ من حيث الابدان.

فلنوضح هذا الختم:

تأمل في هذه البُسُط المفروشة على الارض التي لحتها وسداها متناً ألف طائفة ونوع من أنواع الحيوانات وطوائف النباتات بأفرادها المتنوعة التي لا تعد ولا تحصى والتي تضيف الزينة وتنثر البهجة على نسيج الحياة على سطح الارض - وبخاصة في

#541

الربيع - تأملها جيداً وأدم النظر فيها، فانها مع اختلاف اشكالها، وتباين وظائفها، واختلاف ارزاقها وتنوع اجهزتها، وامتزاجها بعضها مع البعض الآخر تشاهد: ان رزق كل ذي حياة يأتيه رغداً من كل مكان ومن حيث لا يحتسب، بلاسهو ولا نسيان، بلا انشغال ولا ارتباك، بلا خطأ ولا التباس.. فيعطى بميزان دقيق حساس كل ما يحتاجه الفرد، في وقته المناسب، من دون تكلف ولا تكليف، مع تمييز لكل منها، وهو يموج في هذا الامتزاج الهائل وفي هذا الخضم من الموجودات المتداخلة، فضلاً عما يُحْبَى باطنُ الارض من آيات التوحيد الرائعة المتلمعة من انتظام المعادن والعناصر الجامدة.

لذا فان هذا "التدبير والادارة" المشاهد في هذا الأمر الدائب على وجه الارض وباطنها انما هو آيةٌ ساطعة للأحادية، وختمٌ واضحٌ للوحدانية، بحيث:

ان مَنْ لم يكن خالقاً لجميع تلك الموجودات من العدم، ومدبراً لجميع شؤونها في آن واحد، لا يقدر على التدخل - من حيث الربوبية والايجاد - في شئ منها، لأنه لو تدخل لأفسد تلك الادارة المتوازنة الواسعة. إلا ما يؤديه الانسان من وظيفة ظاهرية - ياذن إلهي ايضاً - لكشف تلك القوانين الربانية وحسن سيرها.

الحتم الثالث: في وجه الانسان

ان شعار التوحيد وختمه واضح وضوحاً بيناً لكل مَنْ يتأمل وجه أي أنسان كان، وذلك:

ان لكل انسان علامة فارقة في وجهه تُميّزه عن غيره. فالذي لا يستطيع ان يضع تلك العلامات في كل وجه، ولا يكون مطلعاً على جميع الوجوه السابقة واللاحقة منذ آدم عليه السلام الى يوم القيامة، لا يمكنه ان يمد يده من حيث الخلق والايجاد ليضع تلك الفوارق المميزة الهائلة في ذلك الوجه الصغير لإنسان واحد.

نعم، ان الذي وضع في وجه الانسان ذلك الطابع المميز وتلك الآية الجليلة بتلك العلامات الفارقة، لابد أن أفراد البشر كافة هم تحت نظره وشهوده، وضمن دائرة علمه حتى يضع ذلك الحتم للتوحيد في ذلك الوجه. بحيث إنه مع التشابه الظاهر بين الاعضاء الاساس - كالعيون والانوف وغيرها من الاعضاء - لا تتشابه تشابهاً تاماً، بسبب علامات فارقة في كل منها.

#542

وكما أن تشابه الأعضاء - من عيون وأنوف - في وجوه البشر كافة دليل قاطع على وحدانية خالق البشر سبحانه وتعالى، كذلك فان العلامات الفارقة الموضوعية على كل وجه - لصيانة حقوق كل فرد في المجتمع، ولمنع الالتباس، وللمتيز، ولحِكم أخرى كثيرة - هي الأخرى دليل واضح على الارادة المطلقة والمشئنة الكاملة لذلك الخالق الواحد سبحانه وتعالى، وآية بديعة جليلة ايضاً للأحادية، بحيث:

ان الذي لا يقدر على خلق جميع البشر والحيوانات والنباتات بل جميع الكون لا يمكنه ان يضع تلك السمة المميزة في أحد.

الإشارة الثانية:

ان عوالم الكائنات المختلفة وانواعها المتنوعة وعناصرها المتباينة قد اندمجت اندماجاً كلياً وتداخل بعضها مع البعض الآخر، بحيث:

ان مَنْ لم يكن مالكاً لجميع الكون لا يمكنه ان يتصرف بنوعٍ منه أو عنصر فيه تصرفاً حقيقياً، لأن تجلي نور التوحيد لاسم الله "الفرد" قد اضاء ارجاء الكون كله، فضمّ اجزاءها كافة في وحدة متحدة، وجعل كل جزء منه يعلن تلك الوجدانية.

فمثلاً: كما ان كون الشمس مصباحاً واحداً لهذه الكائنات يشير الى أن الكائنات بأجمعها ملكٌ لواحد، فان كون الهواء هواءً واحداً يسعى لخدمة الأحياء كلها.. وكون النار ناراً واحدة توقد بها الحاجات كلها.. وكون السحاب واحداً يسقي الارض.. وكون الامطار واحدة تأتي لأغاثة الاحياء كافة.. وانتشار أغلب الاحياء من نباتات وحيوانات انتشاراً طليقاً في ارجاء الارض كافة مع وحدة نوعيتها، ووحدة مسكنها.. كل ذلك اشارات قاطعة وشهادات صادقة أن: تلك الموجودات ومسكنها ومواضعها انما هي ملكٌ لملكٍ واحدٍ أحد.

ففي ضوء هذا وقياساً عليه نرى: ان تداخل الأنواع المختلفة للكائنات واندماجها الشديد ببعضها قد جعل مجموعها بمثابة "كلٍ" واحد لا يقبل التجزئة قطعاً من حيث اليجاد. فالذي لا يستطيع ان يُنقذ حكمه على جميع الكون لا يمكنه - من حيث الخلق والربوبية - أن يُخضع لربوبيته أي شئ فيه، حتى لو كان ذلك الشئ ذرة أو أصغر منها.

#543

الإشارة الثالثة:

لقد تحول الكون كله - بالتجلي الاعظم لاسم الله "الفرد" - الى ما يشبه رسائل صمدانية ومكاتيب ربانية متداخلة بعضها في البعض الآخر، تزر كل رسالة منها بآيات الوجدانية واختام التوحيد، وتحمل كل رسالة بصمات الأحذية بعدد كلماتها، بل ان كل كلمة فيها تُفصح عن وحدانية كاتبها؛ اذ كما يدل الختم أو التوقيع في الرسالة على كاتبها، فان كل زهرة وكل ثمرة، وكل عشب، وكل حيوان، وكل شجر، انما يمثل ختم الأحذية وطغراء الصمدانية وكأنها أختام لمواضعها التي تتخذ هيئة الرسائل فتبين كاتبها.

فزهرة صفراء - مثلاً - في حديقة ما. هذه الزهرة هي بمثابة ختم يدل بوضوح على مصور الحديقة، فمن كان مالكاً لذلك الختم - الزهرة - فهو مالكٌ لجميع أنواع تلك الزهرة ومثيلاتها المبنوثة على الارض كافة، ويدل ايضاً على ان تلك الحديقة كتابته.

اي ان كل شئ يُسند جميع الاشياء الى خالقها ويشير الى تجلٍ باهر عظيم لوحدانته سبحانه.

الإشارة الرابعة:

لقد أوضحت رسائل النور في أجزاءها الكثيرة براهين متعددة أن التجلي الأعظم لاسم الله "الفرد" مع أنه واضح وضوح الشمس، فهو مقبول في الأعماق إلى حد السهولة المطلقة، وهو مستساغ عقلاً ومنطقاً إلى حد الوجوب والبداهة. وبعكسه "الشرك" المنافي لذلك التجلي، فهو معقد إلى أقصى حدود التعقيد، وغير منطقي إطلاقاً، وهو بعيد جداً عن المعقول إلى حد المحال والامتناع. سنين هنا "ثلاث نقاط" من تلك الأدلة فقط، ونحيل تفاصيلها إلى الرسائل الأخرى.

النقطة الأولى:

لقد أثبتنا براهين قاطعة في ختام "الكلمة العاشرة" وفي "الكلمة التاسعة والعشرين" اثباتاً مجملًا، وفي ختام "المكتوب العشرين" مفصلاً أنه:

#544

من السهولة واليسر على قدرة "الأحد الفرد" سبحانه، خلق أعظم جرم، وخلق أصغر شيء على حدّ سواء، فهو سبحانه يخلق الربيع الشاسع ييسر خلق زهرة واحدة، ويحدث في كل ربيع بسهولة بالغة آلافاً من نماذج الحشر والنشور - كما هو مشاهد - ويراعي شجرة ضخمة باسقة ييسر مراعاته فاكهة صغيرة.

فلو أسند أيّ من ذلك إلى الأسباب المتعددة، لأصبح خلق كل زهرة فيه من المشكلات ما للربيع الشاسع، وخلق كل ثمرة فيه من الصعوبات ما للشجرة الباسقة.

نعم، ان كان تجهيز الجيش بأكمله بالمؤن والعتاد بأمر صادر من قائد واحد، من مصدر واحد، سهلاً وبسيطاً كتجهيز جندي واحد، يكون صعباً بل ممتنعاً ان كان كل جندي يتجهز من معامل متفرقة ويتلقى الأوامر من ادارات متعددة كثيرة، اذ عندئذٍ يحتاج كل جندي إلى معامل بقدر افراد الجيش بأكمله!!

فكما ان الأمر يسهل بالوحدة ويصعب بالكثرة هكذا، كذلك اذا أسند الخلق والايجاد إلى "الفرد الأحد" جل وعلا، فان خلق افراد غير محدودة لنوع واحد يكون سهلاً كخلق فرد واحد، بينما لو أسند إلى الأسباب، فان خلق كل فرد يكون مُعصلاً وصعباً كخلق النوع الواسع الكثير.

اجل! ان الوجدانية والتفرد تجعل كل شيء منتسباً ومستنداً إلى الذات الإلهية الواحدة، ويصبح هذا الانتساب والاستناد قوة لا حد لها لذلك الشيء، حتى يمكنه ان يُنجز من الاعمال الجسمية، ويولد من النتائج العظيمة ما يفوق قوته الذاتية الوفاء المرات معتمداً على سر ذلك الاستناد والانتساب.

أما الذي لا يستند ولا ينتسب إلى صاحب تلك القوة العظمى ومالكها "الفرد الأحد" فسينجز من الاعمال ما تتحمله قوته الذاتية المحدودة جداً، وتنحسر نتائجها تبعاً لذلك.

فمثلاً:

ان الذي انتسب الى قائد عظيم واستند اليه بصفة الجندية، يصبح له هذا الانتساب والاستناد بمثابة قوة ممدّة لا تنفذ، فلا يضطر الى حمل ذخيرته وعتاده معه،

#545

لذا قد يُقدّم على أسر قائد جيش العدو المغلوب مع آلاف ممن معه، بينما السائب الذي لم ينخرط في الجندية، مضطر الى حمل ذخيرته وعتاده معه، ومهما بلغ من الشجاعة فلا يستطيع ان يقاوم بتلك القوة الأربعة افراد من العدو، وقد لا يثبت امامهم الا لفترة قليلة.

ومن هنا نرى أن قوة الاستناد والانتساب - التي في الفردية والوحدانية - تجعل النملة الصغيرة تقدم على اهلاك فرعون عنيد، وتجعل البعوضة الرقيقة تجهز على نمrod طاغية، وتجعل الميكروب البسيط يدمر باغياً اثياً.. كما تمدّ البذرة الصغيرة لتحمل على ظهرها شجرة صنوبر باسقة شاهقة.. كل ذلك باسم ذلك الانتساب ويسر ذلك الاستناد.

نعم، ان قائداً عظيماً شهماً يستطيع ان يستنفر جميع جنوده ويحشدهم لانقاذ جندي واحد وامداده، والجندي بدوره يستشعر كأن جيشاً جراراً يسنده ويمدّه بقوة معنوية عالية حتى تمكّنه من ان ينهض باعمال جسام باسم القائد.

فالله سبحانه وتعالى (وله المثل الاعلى) لانه فرد واحد أحد، فلا حاجة في اية جمّة الى أحدٍ غيره، واذا افترضت الحاجة في جمّة ما، فانه يستنفر الموجودات كلها لأمداد ذلك الشئ واسناده، فيحشر سبحانه الكون كله لأجله.

وهكذا يستند كلُّ شئ الى قوة عظيمة هائلة تملك مقاليد الكون بأسره.. وهكذا يستمد كل شئ في الوجود قوته من تلك القوة الإلهية العظيمة المطلقة.. من ذلك "الفرد الأحد" جلّ وعلا.

فلولا الفردية.. لفقد كل شئ هذه القوة الجبارة، ولسقط الى العدم وتلاشت نتائجه.

فما تراه من ظهور نتائج عظيمة هائلة من اشياء بسيطة تافهة، ترشدنا بالبداهة الى "الفردية" و "الأحدية". ولولاها لبقيت نتائج كل شئ وثماره منحصرة في قوته ومادته الضئيلة، وتصغر عندئذٍ النتائج بل تزول. الا ترى الاشياء الثمينة النفيسة كالفواكه والخضر وغيرها مبدولة ومتوافرة اماناً. ما ذلك الا بسر الوحدانية والانتساب وحشر جميع القوى، فلولا الفردية لما كنا نحصل بالآف الدراهم ما نحصله اليوم من بطيخ او رمان بدراهم معدودة. فكل ما نشاهده من بساطة الامور

#546

والاشياء وسهولتها ورخصها وتوفرها انما هي من نتائج الوحدانية وتشهد بالفردية.

النقطة الثانية:

ان الموجودات تُخلق وتظهر الى الوجود بوجهين:

الاول: الخلق من العدم، وهو ما يعبر عنه بـ "الابداع والاختراع".

الثاني: انشاؤها من عناصر موجودة، وتركيبها ومنح الوجود لها من أشياء حاضرة، أي بـ "التركيب والانشاء".
فاذا نظرنا الى الموجودات من زاوية سر الاحدية وتجلي الفردية، نرى ان خلقها وايجادها يكون سهلاً وهيناً الى حد الوجوب والبداهة، بينما ان لم يُفَوَّض امر الخلق والايجاد الى الفردية والوحدانية، فستعقد الامور وتتشابك، وتظهر امورٌ غير معقولة وغير منطقية الى حد المحال والامتناع. وحيث اننا نرى الموجودات قاطبة تظهر الى الوجود من دون صعوبة وتكلف، ومن غير عناء، وعلى اتم صورة وكيفية، يثبت لنا بداهة اذا تجلي الفردية، ويتبين لنا: أن كل شئ في الوجود انما هو من ابداع الاحد الفرد ذي الجلال والاکرام.

نعم، ان اسند أمر الخلق الى "الفرد الواحد الاحد" يخلق كل شئ من العدم في لمح البصر وبكل سهولة ويسر، ويقدرته المطلقة العظيمة بآثارها المشهودة. ويقدر لكل شئ بعلمه المحيط المطلق ما يشبه قوالب معنوية وتصاميم غيبية.. فكل شئ عنده بمقدار.

فكما ان الجنود المطيعين في الجيش المنظم يساقون لأخذ مواضعهم بامر من القائد وحسب خطته الموضوعة في علمه، كذلك الذرات المطيعة للاوامر الربانية فانها تساق بالقدرة الربانية - بكل سهولة ويسر - لتأخذ مواقعها وتحافظ عليها حسب تصميم موجود، وصورة موجودة، في مرآة العلم الإلهي الازلي. حتى لو لزم جمع الذرات من الانحاء المختلفة، فان جميع الذرات المرتبطة بقانون العلم الإلهي المحيط، والموثوقة الصلة بدساتير القدرة الإلهية، تصبح بمثابة الجنود المنقادين في الجيش المنظم، فتأتي مسرعة بذلك القانون ويسوق القدرة لأخذ مواقعها في ذلك القالب العلمي والمقدار القدري المحيطين بوجود ذلك الشئ.

#547

بل كما تظهر الصورة المثالية المتمثلة في المرآة على الورقة الحساسة في آله التصوير وتلبس وجوداً محسوساً خارجياً، وكما تظهر وتشاهد الكتابة المخفية السرية بامرار مادة كيميائية عليها، كذلك الأمر في صورة جميع الموجودات، وماهية جميع الاشياء الموجودة في مرآة العلم الإلهي الفرد الاحد، فان القدرة الإلهية المطلقة تلبسها - بكل سهولة ويسر - وجوداً خارجياً محسوساً، فتظهر للعيان في عالم الشهادة، بعد ان كانت في عالم المعنى والغيب.

ولكن ان لم يُسند أمر الخلق الى "الفرد الاحد" فعندئذٍ يلزم لخلق ذبابة واحدة مسح وتفتيش سطح الارض وغرابة عناصرها جميعاً وذراتها المعينة لوجود معين ثم وزنها بميزان دقيق حساس، لوضع كل ذرة في موضعها المخصص لها، حسب قوالب مادية بعدد اجهزتها واعضاءها المتقنة، وذلك لكي يأخذ كل شئ مكانه اللائق به،

فضلاً عن جلب المشاعر والاحاسيس الروحية الدقيقة واللطائف المعنوية من العوالم المعنوية والروحية بعد وزنها ايضاً بميزان دقيق حسب حاجة الذبابة!!

ألا يكون - بهذا الاعتبار - خلق ذبابة واحدة صعباً ممتنعاً كايجاد جميع الكائنات؟! أليس فيه الصعوبات تلو الصعوبات والمحالات ضمن المحالات؟!!

لذا اتفق جميع اهل الايمان والعلم: انه لا يخلق من العدم الا الخالق "الفرد" سبحانه وتعالى.ولهذا لوفوض الأمر الى الاسباب والطبيعة يستلزم لوجود شئ واحد الجمع من أكثر الاشياء.

النقطة الثالثة:

لقد اوردنا امثلة كثيرة في رسائل شتى تشير الى: ان اسناد الخلق الى الفرد الواحد الاحد يجعل خلق جميع الاشياء سهلاً كالشئ الواحد، وبعبكسه اذا أسند الى الطبيعة والاسباب فخلق الشئ الواحد يكون صعباً ممتنعاً كخلق جميع الاشياء..

نقتصر منها هنا على ثلاثة أمثلة فقط:

المثال الاول:

اذا أحييت ادارة الف جندي الى ضابط واحد، وأحيلت ادارة جندي واحد الى عشرة ضباط، فان ادارة هذا الجندي تكون ذات مشكلات وصعوبات بمقدار عشرة اضعاف ادارة تلك الفرقة من الجنود وذلك:

#548

لأن الأمراء العديدين سيعادي بعضهم بعضاً، وستتعارض اوامرهم حتماً، فلا يجد ذلك الجندي راحة بين منازعة امرائه. بعبكسه تماماً ذلك الضابط الذي يدير باوامره فرقة كاملة من الجنود وكأنه يدير جندياً واحداً، وينقذ خطته وما يريده من الفرقة بتدبيره كل شئ بسهولة ويسر، علماً انه يتعذر الوصول الى هذه النتيجة اذا ترك الامر الى جنود سائبين.

المثال الثاني:

اذا سلم أمر بناء قبة جامع "أيا صوفياً" الى بئاء ماهر، فانه يقوم به بكل سهولة ويسر، بينما اذا سلم بناؤها الى احجارها، للزم ان يكون كل حجر حاكماً مطلقاً على سائر الاحجار، ومحكوماً لها في الوقت نفسه كي تأخذ القبة المعلقة الشامخة شكلها! فبينما كان البئاء الماهر يصرف جهداً قليلاً - لسهولة الأمر لديه - تصرف الآن مئات من البئائين - الاحجار - اضعاف اضعاف ذلك الجهد من دون الحصول على نتيجة!!.

المثال الثالث:

ان الكرة الارضية مأمورة وموظفة من لدن "الفرد الواحد" سبحانه، وهي كالجندي المطيع لله الواحد الأحد،

فحينما تستلم الأمر الواحد، الصادر من أمرها الأحد، تهبّ منتشية بأمر مولاهما وتنغمر في جذبات وظيفتها في شوق عارم، وتدور كالمريد المولوي العاشق - عند قيامه للسماع - فتكون وسيلة لحصول المواسم الاربعه، واختلاف الليل والنهار وظهور الحركات الرفيعة العظيمة، والكشف عن مناظر خلافة لقبة السماء المهيبه وتبديلها باستمرار كتبدل المشاهد السينمائية.. ويكون سبباً لحصول امثال هذه النتائج الجليلة، حتى لكأن الارض هي القائد لتلك المناورة العسكرية المهيبه بين نجوم الكون.

ولكن ان لم يُسند الأمر الى "الفرد الأحد" الذي احاط بحاكمية ألوهيته وسلطان ربوبيته الكون كله، والذي ينفذ حكمه وأمره في كل صغيرة وكبيرة في الوجود،

#549

فعندئذ يلزم وجود ملايين النجوم التي تكبر الارض بالوف المرات، ولا بد من ان تسير هذه النجوم في مدار أكبر واوسع بملايين المرات من مدار الارض كي تظهر تلك المناورة السماوية والارضية وتلك النتائج نفسها التي تتولد من حركتي الارض السنوية واليومية بكل سهولة ويسر.

وهكذا فان حصول هذه النتائج الجليلة الناشئة من حركتي الارض حول محورها ومدارها - حركة تشبه حركات المولوي العاشق - يظهر لنا مدى السهولة والفطرية والبساطة في الأحدية والفردية، ويبين لنا في الوقت نفسه كم هي مملوءة طريق الشرك والكفر بالمحالات التي لا حد لها وبالامور الباطلة غير المعقولة. وبعد..

فلاحظ الآن بمنظار هذا المثال الآتي جمل المتشدقين بالطبيعة وعباد الاسباب، لتعلم في أي درك من وحل الحماقة يتمرغون وفي اي بيداء وهم يتيهون، وقس عليه مدى بُعدهم كل البعد عن ميدان المنطق والعقل السليم: معمل عظيم.. كتاب رائع.. قصر مشيد.. ساعة دقيقة.. لاشك ان الذي صنع كلاً من هذه قد نظمه ونسقه بدقة وعناية، ويجيد ادارته ويرعاه، ولاشك انه أراد في صنع كل منها اظهار محاسن صنعته وابرار بدائع عمله.

فان احال احدُهم ادارة المعمل العظيم الى دواليب المعمل نفسه، وفوض بناء القصر المنيق الى احجار القصر نفسه، واسند معاني الكتاب الجميلة الى الحروف نفسها، فكأنه قد جعل كل جزء من أجزاء المعمل ذا قدرة عظيمة لتنظيم نفسه وغيره! وجعل كل حرف من حروف الكتاب بل الورق والقلم شيئاً خارقاً بيدع الكتاب نفسه! اي انه يحيل روعة الانتظام في المعمل الى دواليب المعمل، ويسند جمال المعنى في الكتاب الى توافق الحروف من تلقاء نفسها!!

اي هذر هذا! وايّ وهم! أليس الذي يتفوه به بعيداً كل البعد عن سلامة العقل؟ فالذين يحيلون أمر الخلق والايجاد في هذا الكون البديع الى الاسباب والى الطبيعة يهونون في جمل مركب سحيق كهذا. وذلك لأن مظاهر الابداع واضحة على الاسباب والطبيعة نفسها، فهي مخلوقة كسائر المخلوقات. فالذي خلقها - على هذه

الصورة البديعة - هو الذي يخلق آثارها ونتائجها ايضاً، ويظهرها معاً.. فالذي خلق

#550

البذرة هو الذي أنشأ عليها شجرتها، وهو الذي يخرج اثمارها وازهارها من اكمامها..

بينما ان لم يُسند خلق الاسباب والطبيعة مع اثارها الى الواحد الأحد، يلزم لوجود انواع الاسباب وانماط الطبيعة المختلفة، انواع من الاسباب والطبيعة المنتظمة المنسقة المختلفة . وهكذا تستمر سلسلة موهومة ممتعة لا معنى لها ولا نهاية!

وهذا من أعجب عجائب الجهل واتعسه!!

الإشارة الخامسة:

لقد أثبتنا في مواضع متعددة من الرسائل وبراهين دامغة: ان الاستقلال والانفراد من أخص خصائص الحاكمية، حتى ان هذا الانسان الذي هو عاجز عجزاً شديداً، ولا يملك من الحاكمية سوى ظل باهت، نراه يردّ بكل قوة اي فضول كان من الآخرين، ويرفض بكل شدة اي تدخل كان منهم في شؤونه، صوناً منه لاستقلاله وانفراده في الأمر. بل ذُكر في التاريخ ان كثيراً من السلاطين قد سفكوا دماءً زكية لأبنائهم الأبرياء واخوانهم الطبيعيين حينما شعروا بتدخل منهم في شؤونهم.

اذن فالاستقلال والانفراد ورفض مداخلة الآخرين هو من أخص خصائص الحاكمية الحقّة، لا فكاك لها عنه. بل هو لازمها ومقتضاها الدائم.

فالحاكمية الإلهية التي هي في ربوبية مطلقة تردّ بكل شدة الشرك والاشترك مهما كان نوعه، ولا تقبل تدخلاً ما من سواها قط، ومن هنا نرى القرآن الكريم يفيض في بيان التوحيد الخالص ويردّ الشرك والمشاركة باسلوب شديد وبتهديد مروع..

فكما اقتضت الحاكمية الإلهية - التي هي في الربوبية المطلقة - التوحيد والوحدانية بقطعية تامة، وظهرت مقتضى شديداً وداعياً قوياً لها، كذلك النظام المتقن والانسجام البديع المشاهدان في الكون - ابتداء من النجوم والنباتات والحيوانات والأرض والمعادن وانتهاء بالجزئيات والافراد والذرات - كل منها شاهدٌ عدلٍ، وبرهان باهر على تلك الوحدانية والفردية، فلا يسمح قط لريبة أو لشبهة، إذ لو كان هناك تدخل مما سوى الواحد الأحد، لفسد هذا النظام البديع الرصين، واختل

#551

هذا التوازن المحكم المشاهد في جميع اجزاء الكون، فصدق الله العظيم الذي قال:

(لو كانَ فيهما آلهةٌ إلاّ اللهُ لَفَسَدَتَا) (الانبياء: 22)

نعم، لو كان هناك اي تدخل مهما كان لظهرت آثاره باديةً، إلا أن الدعوة الصريحة في الآية الكريمة: (فارجع البصرَ

هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) (المالك:3) تريك هذا النظام البديع بكل وضوح وجلاء حتى لا ترى ثغرة ولا لبساً ولا نقصاً في جهة من الجهات ابتداءً من الذرات الى المجرات.

إذا فالنظام الرصين في الكون، والانتظام الرائع في المخلوقات كافة، والموازنة الدقيقة بين الموجودات.. يظهر لنا التجلي الاعظم لاسم "الفرد" ويشهد شهادة واضحة على الوحدانية.

ثم ان اي مخلوق مهما كان صغيراً، انما هو مثال مصغر للكون كله ونموذجه، وفهرسه المختصر، بمقتضى تجلي الأحدية. فلا يكون مالكاً لذلك المخلوق الحي الصغير الا مَنْ كان بيده زمام الكون كله وله الأمر جميعاً. وحيث ان كل بذرة متناهية في الصغر ليست بأقل ابداعاً في الخلق من شجرة ضخمة، وأن كل شجرة باسقة تضاهي في خلقها خلق الكائنات، وكل كائن حي صغير انما هو بحكم عالم مصغر، وكون صغير فان تجلي الأحدية هذا يجعل الشرك والاشترك محالاً ممنوعاً.

ثم ان في هذا الكون في ضوء هذا السر - سر الأحدية - ليس كلاً يستعصي على التجزئة وحدها بل ايضاً هو كلي من حيث الماهية، لا يقبل الانقسام والاشترك والتجزئة وتدخل الايدي المتعددة قط، فإن كل جزء فيه بحكم جزئي وفرد منه وكل الكون هو بحكم الكلي، فليس فيه موضع للاشتراك في أية جهة كانت.

فهذا التجلي الاعظم لأسم "الفرد" يثبت حقيقة التوحيد بهذا السر للأحدية، بدرجة البدهة.

نعم، ان اندماج انواع الكائنات واندغامها فيما بينها، وتوجه وظيفة كل منها الى عموم الكائنات مثلما يجعل الكون كلاً واحداً يستعصي على التجزئة قطعاً - من

#552

حيث الخلق والربوبية - كذلك الافعال العمومية المحيطة بالكائنات والتي تظهر أثارها وفعاليتها في الكائنات عموماً تجعل الكون ايضاً كلاً واحداً - من حيث تداخلها ببعضها - حتى يرفض التجزئة ويردّها ردّاً قوياً. ولتوضيح ذلك نسوق المثال الآتي:

حالما توهب الحياة للكائن يظهر فعل الاعاشة والإرزاق فيه مباشرة. وضمن افعال الاعاشة والإحياء هذه، يشاهد مباشرة فعل تنظيم جسد ذلك الكائن وتنسيق اعضائه، وتجهيزه بما يحتاج ويلزم. وحينما تظهر افعال الاعاشة والإحياء والتنظيم والتجهيز يفعل التصوير والتربية والتدبير فعلاً في الوقت نفسه.. وهكذا.

فتداخل امثال هذه الافعال المحيطة العامة بعضها ببعض الآخر، واتحادها ببعضها، وامتزاجها كامتزاج الالوان السبعة في الطيف الشمسي، ثم احاطة كل فعل من تلك الافعال وشموله - مع وحدته من حيث الماهية - للموجودات كلها في وحدة واحدة، وكون كل فعلٍ منها فعلاً وحدانياً.. يدل دلالة واضحة على أن فاعله واحدٌ أحد فرد..

وكما أن استيلاء كل فعل - من تلك الافعال - وهيمته على الكائنات قاطبة، واتحاده مع سائر الافعال في

تعاون وثيق، يجعل الكون كلاً غير قابل للتجزئة.. كذلك فان كل مخلوق حي من حيث كونه بمثابة بذرة الكون وفهرسه ونموذجه يجعل الكون كلياً غير قابل للانقسام والتجزئة - من حيث الربوبية - بل يجعل انقسامه محالاً وخارجاً عن الامكان، أي أن الكون بهذا هو كل لا يتجزأ، فلا يكون اذاً ربُّ الجزء الا من كان رباً للكل. وهو كلي ايضاً بحيث يكون كل جزء منه بحكم فرد، فلا يكون رباً للفرد الواحد الا من كان زمام ذلك الكلي بيده. الاشارة السادسة:

كما ان انفراد الله سبحانه وتعالى بالربوبية، وتوحيده بالالوهية هو اساس جميع الكمالات¹ ومنشأ المقاصد السامية، ومنبع الحكم المودعة في خلق الكون، كذلك

¹ حتى ان التوحيد هو نفسه اوضح برهان، وأسطع دليل على الكمال والجمال الإلهي، لأنه: اذا عُرِف ان صانع الكون واحد أحد، فسيُعرف جميع انواع الكمال والجمال المشاهدة في الوجود، بأنها: ظلال وتجليات وعلامات لانواع الكمال المقدس وانماط الجمال المنزه لذلك الصانع الواحد الأحد لذلك الكمال المقدس والجمال المنزه، بينما اذا لم يُعرف الصانع الواحد، فستحال تلك الكمالات وانواع الجمال الى الاسباب التي لاشعور لها والى مخلوقات عاجزة، وعندها يحار العقل البشري امام خزائن الكمال والجمال السرمديين، لانه فقد مفتاح تلك الكنوز الخالدة. - المؤلف.

#553

هو الغاية القصوى، والبلسم الشافي، لتطمين رغبات كل ذي شعور وذي عقل ولاسيما الانسان، فلولا الفردية لانطفأت شعلة رغباته ومطالبه كلها وتمحي جميع الحكم المودعة في خلق الكون، وتتلاشى أكثر الكمالات الموجودة والثابتة وتنعدم.

فمثلاً: ان رغبة "حب البقاء" بل عشقه، عميقة في الانسان.. هذه الرغبة العريقة لا يحققها ولا يسكنها ويطمئنُها الا من هو مالك لمقاليده الكون، الذي يفتح باب البقاء السرمدي أمام الانسان بالآخرة، بعد أن ينهي هذه الدنيا الفانية ويغلق ابوابها كسهولة غلق غرفة وفتح اخرى.

وهناك رغبات اخرى كثيرة جداً للانسان امثال هذه الرغبة، كلها ممتدة الى غير نهاية معلومة ومتشعبة في ثنايا الكائنات جميعاً.. فهذه الرغبات جميعها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحقيقة التوحيد، ومشدودة مع سر الفردية. فلولا ذلك السر لبقيت هذه الرغبات عقيمة دون نتائج، قاصرة عن بلوغ مداها، مبتورة منكشنة. ولولا تصرف الواحد الأحد في الكون كله لما اطمأنت ولا حصلت تلك الرغبات ولو حصلت حصلت مبتورة.

فالايان بالوحدانية، وبقدرة "الفرد الواحد الأحد" المطلقة اذاً هو وحده الكفيل باحلال الطمأنينة والسكون في

تلك الرغبات المتأججة لدى الانسان.

من اجل هذا السر العظيم نرى القرآن الكريم يذكر التوحيد والوحدانية بكل حرارة وشوق، ويكررها بكل حلاوة وذوق، وان الانبياء - عليهم السلام - والاصفياء والعلماء والاولياء الصالحين يجدون بغيتهم وذوقهم السامي، بل منتهى سعادتهم في افضل ما قالوه: "لا إله إلا هو".

الإشارة السابعة:

ان هذا التوحيد الحقيقي، بجميع مراتبه، وبأتم صورته الكاملة، قد أثبتته واعلنه وفهمه وبلغه محمد صلى الله عليه وسلم، فلا بد ان رسالته ثابتة وقاطعة كقطعية ثبوت التوحيد نفسه؛ لانه: لما كان التوحيد هو اعظم حقيقة في عالم الوجود، وان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم هو الذي تولى تبليغه وتعليمه بجميع حقائقه، فلا بد ان جميع البراهين التي تثبت التوحيد، تكون بدورها براهين لاثبات رسالته وادلة على صدق نبوته واحقية دعوته صلى الله عليه وسلم، فرسالة كهذه الرسالة العظمى التي تضم الوفاً من امثال هذه الحقائق السامية

#554

وتكشف عن حقيقة التوحيد وترشد اليه وتلقنه، لا شك انها رسالة يقتضيها ذلك التوحيد وتلك الفردية. فمن ذا غير محمد صلى الله عليه وسلم الذي أدى الأمانة على افضل وجه وبلغ الرسالة على اجمل صورة؟. سنذكر ثلاثة نماذج، مثلاً لتلك الادلة الكثيرة والاسباب العديدة التي تشهد بعظمة الشخصية المعنوية لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وتدل على علو منزلته الرفيعة، وتبين انه السراج المنير لهذه الكائنات وشمسها الساطعة.

الدليل الاول:

ان ثواب جميع الحسنات التي ينالها جميع افراد الامة، وعلى مدى جميع العصور مكتوبٌ مثله في صحيفة حسناته صلى الله عليه وسلم، اذ هو السبب في نيل كل ثواب تناله امته الى يوم القيامة، حيث "السبب كالفاعل"..

تأمل في هذا ثم فكّر في المقام المعظم اللائق الذي يقتضيه مجموع الادعية غير المحدودة من الصلوات المقبولة المرفوعة يومياً من الأمة كافة.. تدرك عندئذٍ، درجته العالية الرفيعة وتفهم ان شخصيته المعنوية شمس الكائنات والسراج المنير للخلق اجمعين.

الدليل الثاني:

ان بذرة الشجرة الوارفة للاسلام، ومنشأها، وحياتها، ومنبعها انما هي حقيقة الماهية المحمدية، بما تملك من فطرة سامية، وخلقة كاملة. فتذكر هذا ثم فكّر في الرقي الروحي لهذا الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم النابع من

استشعاره الكامل الأتم لجميع معاني ومراتب عبادته، وذاكاره، وكلماته الشريفة، والذي يمثل بمجموعه روح الاسلام وحقيقته. لتعلم مدى علو مرتبة ولاية عبوديته صلى الله عليه وسلم الى الدرجة الرفيعة، درجة الحببية. وافهم مبلغ سموها.

#555

ولقد فتح الله عليّ يوماً في سجدةٍ في صلاةٍ، بعض المعاني والانوار المشعة من كلمة (سبحان ربي الاعلى) بما يقرب من فهم الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من هذه الكلمة المقدسة. فتبين لي يقيناً انها خير من عبادة شهر، فادركتُ بها المنزلة العظيمة والدرجة العالية التي يحظى بها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم اجمعين. نعم، ان الانوار التي تشعها الكلمات المقدسة، وفيوضاتها في بدء الاسلام لها مزايا خاصة، وذلك لجدتها، ولها من اللطافة والطراوة واللذة ما تتناقض بمرور الزمن وتتستر تحت ستار الغفلة.

والآن، وفي ضوء ما سبق تأمل مكانة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي تناول الكلام المقدس، ورشّفه من المنبع الأقدس، واستوعب انواره بالوحي الإلهي بكامل جدته وطراوته ولطافته. مع ما فُطر عليه من استعداد كامل.. فالانوار والفيوضات الكامنة في تسبيحة واحدة منه صلى الله عليه وسلم هي خيرٌ وأعم من جميع الانوار التي تملأ أرجاء عبادة سنة كاملة عند غيره.!

قس على هذا المنوال، كي تعلم كم بلغ رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم من درجات الكمال التي لا حد لها ولا نهاية.

الدليل الثالث:

ان الانسان يمثل اعظم مقصد من المقاصد الإلهية في الكون، وهو المؤهل لإدراك الخطاب الرباني. وقد اختاره سبحانه من بين مخلوقاته، واصطفى من بين الانسان المكرّم من هو اكمل وأفضل واعظم انسان بأعماله وآثاره الكاملة، ليكون موضع خطابه الجليل باسم النوع الانساني كافة، بل باسم الكائنات جميعاً.

فلا ريب ان الله سبحانه الفرد الجليل الذي هياً رسوله الحبيب صلى الله عليه وسلم لهذه المرتبة اللائقة به قد منحه من الانوار والكمالات ما لا يجد بحدود.

وهكذا وبمثل هذه الدلائل الثلاثة ودلائل اخرى كثيرة يتثبت لدينا يقيناً:

#556

ان الشخصية المعنوية للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، شمس معنوية ساطعة للكائنات. وسراج منير لامع لها، كما انها الآية العظمى من قرآن الكون، والاسم الاعظم للفرقان الاعظم، ومراة صافية للتجلي الاعظم لانوار اسم "الفرد" عزّوجل.

فاللهم يا أحد، يا فرد، يا صمد، أنزل من بركات خزينة رحمتك التي لا تنفذ صلواتٍ وسلاماً على تلك الذات

النبوية الشريفة، بعدد ذرات الكون مضروباً بعدد عاشرات جميع ازمنة الكون.
(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

#557

النكتة الخامسة

اسم الله الاعظم

الحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(فانظر الى اثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الروم:50)

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ... (البقرة: 255)

لقد تراءت في افق عقلي نكتة من النكات الدقيقة للآيتين المذكورتين، وتجل من تجليات نور الاسم الاعظم "الحي" أو أحد نوريه، أو أحد انواره الستة، وذلك في شهر شوال عندما كنت في سجن "اسكي شهر". فلم اتمكن ان اثبتها في حينه، ولم استطع ان اقتنص ذلك الطائر السامي، ولكن بعدما تباعد ذلك القبس الوضئ اضطررت الى الاشارة اليه بوضع رموز ترمز الى اشعة تلك الحقيقة الكبرى، وذلك النور الاعظم.

وسأشير اليها هنا باختصار:

الرمز الأول:

ما "الحياة" التي هي تجل اعظم لأسم الله "الحي المحيي"؟

وما ماهيتها؟

وما مهمتها؟

جواب هذا السؤال ندرجه على صورة فهرس، على النحو الآتي:

#558

الحياة هي لهذه الكائنات:

أهم غاية..

وأعظم نتيجة..

وأسطع نور..

وألطف خميرة..

وأصنئ خلاصة..

وأكملُ ثمرة..

وأسمى كمال..

وأزهى جمال..

وأهسى زينة..

وهى سرٌ وحدتها..

ورابطة اتحادها..

ومنشأ كمالها..

وهى أبداع ذاتِ روحٍ فيها، من حيث الاتقان والماهية..

وهى حقيقة المعجزة؛ تُصير أصغر مخلوقٍ عالماً بجدِّ ذاته..

وهى ارواح معجزات القدرة الإلهية؛ يجعلها الكائن الحي بمثابة كونٍ مصغر، فكأنها - اي الحياة - وسيلةً لأنطواء الكائنات في ذلك الكائن الحي الصغير؛ بما تُظهر فيه ما يشبه فهرس الكون العظيم، كما تجعله في رباط وثيق مع معظم الموجودات..

وهى صنعةُ الهية خارقة؛ تكبرُ الجزء الضئيل الى أكبر كلِّ، حتى انها تجعل الفردَ بحكم العالم وكأنه كلي. وتعرض الكونَ - من حيث الربوبية - في حكم الكلِّ والكلي الذي لا يقبل التجزئة والاشترك والانقسام..

وهى أسطع برهانٍ ضمن ماهيات الكائنات، واثبتُه وأكمله، يشهد على وجوب وجوده سبحانه، وعلى أنه "الحي القيوم" ويدل على وحدته وأحديته جل وعلا..

وهى أبلغ صورة لصناعة ربانية حكيمة - ضمن المصنوعات الإلهية - واخفاها وأظهرها وأثمنها وازهدا وأنزهها وألعبها.

#559

وهى ألطف تجلٍ للرحمة الإلهية وأرقها وأدقها؛ تجعل الموجودات خادمة لها..

وهى أجمع مرآة تعكس الشؤون الإلهية للانظار..

وهى اعجوبة الخلق الربانية؛ اذ تجمع تجليات اسم "الرحمن، الرزاق، الرحيم، الكريم، الحكيم وأمثالها من الاسماء الحسنى" وتجعل الحقائق الكثيرة والمشاهدة كالرزق والحكمة والعناية والرحمة تابعة لها، فتقودها، مثلما هي منشأ جميع المشاعر ومعدن الحواس العامة كالبصر والسمع والشعور..

وهى ماكنة تنظيفٍ عظيمة، وجهاز استحالةٍ عجيبة في مصنع الكائنات حيث تقوم بالتنقية والتطهير في كل

نواحيه؛ فتطهر الشيء وتمنحه الرقي وتنوره، وكأن الجسد الذي هو عَشَّ الحياة - دارُ ضيافةٍ لقوافل الذرات ومدرستها ومعسكرها؛ تتعلم فيه وظائفها، وتتدرب على اعمالها، فتتنور وتضيء .

وهي وسيلة ينور بها الحيُّ المحيي سبحانه عالم الدنيا المظلم الفاني السافل ويمنحه نوعاً من البقاء، ويجعله بماكنة الحياة لطيفاً مهيئاً للمضي الى العالم الباقي ..

ثم ان وجهي الحياة، اي الملك والملكوت، صافيان طاهران لا نقص فيهما، ساميان وهي - أي الحياة- مخلوق خاص متميز عن كل خلق آخر لم توضع لها الاسباب الظاهرة حُجَباً بينها وبين تصرفات القدرة الإلهية - كما هي في سائر الاشياء - وذلك ليكون أمر صدورها من يد القدرة الربانية مباشرة دون حُجب أو وسائط..

. وحقيقة الحياة نورانية تتطلع الى الازكان الايمانية الستة وتثبتها معنى ورمزاً، اي:

انها تثبت وجود واجب الوجود سبحانه وحياته السرمدية..

والدار الآخرة وحياتها الدائمة..

ووجود الملائكة.. وتتوجه توجهاً كاملاً الى اثبات سائر الازكان الايمانية وتقتضيها.

وهي أصفى خلاصة مترشحة من الكائنات كلها كما أنها أعظم سرّ يولد الشكر والعبادة والحمد والمحبة التي هي أهم المقاصد الإلهية في الكون واهم نتيجة لخلق العالم هذا.

تأمل هذه الخصائص المهمة القيمة للحياة والبالغة تسعاً وعشرين خاصية، ودقق النظر في مهماتها السامية الشاملة، ثم انظر من وراء اسم المحيي الى عظمة اسم

#560

"الحي" وادرك كيف ان اسم "الحي" هو اسم الله الاعظم من حيث هذه الخصائص العظيمة للحياة، ومن حيث ثمارها ونتائجها، وافهم ايضاً ان للحياة غاية كبرى كبر الكون ونتيجة عظمى بعظمتها ما دامت هي اعظم نتيجة لهذه الكائنات واعظم غاية واثمن ثمرة؟ لأن الثمرة مثلما هي نتيجة الشجرة، فنتيجة الثمرة شجرة قادمة بوساطة بذرتها.

نعم، ان غاية هذه الحياة ونتيجتها هي الحياة الابدية، كما ان ثمرة من ثمارها هي الشكر والعبادة والحمد والمحبة تجاه واهب الحياة "الحي المحيي" وان هذا الشكر والمحبة والحمد والعبادة هي ثمرة الحياة كما انها غاية الكائنات.

فاعلم من هذا: ان الذين يحصرون غاية هذه الحياة في: "عيش برفاه، وتمتع بغفلة، وتنعم بهوى" انما يستخفون - بجهل مستهجن قبيح - بهذه النعمة الغالية الكبرى، نعمة الحياة، وهدية الشعور، واحسان العقل، ويحقرونها وينكرونها بل يكفرون بها فيرتكبون كفراناً عظيماً واثماً ميبئاً.

الرمز الثاني:

الحياة التي هي أعظم تجلٍ لِاسم الله "الحي" وألطف تجلٍ لاسم الله "المحيي" يحتاج في بيان مراتبها وصفاتها ووظائفها - المذكور فهرستها في الرمز الاول - الى كتابة رسائل عدة بعدد تلك المزايا والخصائص. لذا سنشير إشارة مختصرة الى بضع منها محيلين تفاصيلها الى اجزاء رسائل النور، حيث بيّنت قسماً من تلك الخصائص والمراتب والمهمات.

فلقد ذكر في الخاصية الثالثة والعشرين من الخصائص التسعة والعشرين للحياة:
أن وجهي الحياة صافيان، شفافان، رائقان. فلم تضع القدرة الربانية اسباباً ظاهرية لتصرفاتها فيها.
وسرّ هذه الخاصية هو ما يأتي:

ان كل شئ في الكون ينطوي على خير، وفيه جمالٌ وحُسن، أما الشر والقبح فهما جزئيان جداً، وهما بحكم وحدتين قياسيتين، أي انهما وُجدا لإظهار ما في الخير وما في الجمال من مراتب كثيرة وحقائق عديدة؛ لذا يُعدُّ الشر خيراً والقبح حُسنًا من هذه الزاوية. اي من زاوية كونها وسائل لإبراز المراتب والحقائق.

#561

ولكن ما يبدو لذوي الشعور من مظاهر القبح والشر والبلاء والمصائب قد تدفعهم الى السخط والشكوى والامتعاض. فوضعت الاسباب الظاهرية ستاراً لتصرف القدرة الإلهية، لئلا تتوجه تلك الشكاوى الظالمة والسخط الباطل الى "الحي القيوم" جلّ وعلا.

زد على ذلك فان العقل ايضاً بنظره الظاهري القاصر، قد يرى منافاة بين امور يراها خسيئةً، خبيثةً، قبيحة، وبين مباشرة يد القدرة المنزهة المقدسة لها. فوضعت الاسباب الظاهرية ستاراً لتصرف القدرة الربانية لتتزه عزة القدرة الإلهية عن تلك المنافاة الظاهرية.

هذا علماً ان الاسباب نفسها لا يمكنها ان توجد شيئاً بجد ذاتها قط. بل هي موضوعة لصيانة عزة القدرة الإلهية وتنزيهاها، ولتظل هي هدفاً مباشراً للشكاوى الظالمة والاعتراضات الباطلة.

ولقد ذكرنا في "مقدمة المقام الثاني من الكلمة الثانية والعشرين" أن ملك الموت (عزرائيل) عليه السلام وجد أن مهمة قبض الارواح التي اوكلت اليه مهمةٌ بغیضة لبني آدم، وسيكون من جرائها موضع سخطهم ومثار امتعاضهم، فناجى رب العزة بشأن مهمته قائلاً:

- يارب ان عبادك سيسخطون علي!

وجاءه الجواب:

- سأضع ستار الامراض وحجاب المصائب بين مهمتك وبينهم، فلا تُصوّب سهام الشكاوى والاعتراضات اليك، بل الى الحُجُب.

فحسب مضمون هذه المناجاة نقول:

ان الذين لا يرون الوجه الصبوح الحقيقي للموت - المظل على أهل الايمان - ولا يدركون ما فيه من رحمةٍ مدخرة، يبدون اعتراضات وشكاوى، فتبرز أمامهم مهمة عزرائيل - عليه السلام - حجاباً وستاراً، فلا تتوجه تلك الشكاوى الباطلة والاعتراضات المجحفة الى الذات المقدسة "للحي القيوم". ومثلما ان مهمة عزرائيل ستار، فان الاسباب الظاهرية الاخرى هي ايضاً حُجُب وأستار.

#562

نعم، ان "العزة والعظمة" تقتضيان ان تكون الاسباب حُجُباً بين يدي القدرة الإلهية أمام نظر العقل، إلا ان "الجلال والوحدانية" يقتضيان ان تسحب الاسباب ايديها وترفعها عن التأثير الحقيقي.

أما وجه الحياة الظاهر والباطن، الملك والملكوت، فهما صافيان كاملان مبرّان من النقص والتقصير، فمثلما لا يوجد فيها ما يستدعي الشكوى أو الاعتراض، فليس فيها كذلك ما ينافي عزة القدرة ونزاهتها من دَسّ مستهجن أو قبح ظاهر؛ لذا فقد سُلم وجهها مباشرةً الى اسم "المحيي" لذات الله الحي القيوم من دون إسدال أستار الاسباب وحُجُبها.

ومثل الحياة؛ النور، وكذلك الوجود والايجاد.. وعليه نرى أن الايجاد والخلق يتوجهان مباشرةً من دون حُجُب واستار الى قدرة الخالق سبحانه، بل حتى المطر - وهو نوع من الحياة ورحمة مهداة منه سبحانه - فلا يحكمه قانون مطّرد يحدد وقت نزوله؛ وذلك لئلا تُحرَم أكف الضراعة امام باب الرحمة من الرجاء والاسترحام وقت الحاجة؛ اذ لو كان المطر ينزل حسب قانون مطّرد - بمثل شروق الشمس وغروبها - لَمَا كان الخلق يتوسلون ويستغيثون كل حين استنزالاً لنعمة الحياة تلك.

الرمز الثالث:

لقد ذكر في الخاصية التاسعة والعشرين أن:

الحياة هي نتيجة الكائنات مثلما أن نتيجة الحياة هي:

الشكر والعبادة، فهما سبب خلق الكائنات وعلّة غايتها، ونتيجتها المقصودة.

نعم، ان خالق الكون سبحانه "الحي القيوم" اذ يعرّف نفسه لذوي الحياة ويحببها اليهم بنعمه التي لاتعد ولا تحصى، يطلب منهم شكرهم تجاه تلك النعم، ومحبتهم ازاء تلك المحبة، وثناءهم واستحسانهم مقابل بدائع صنعه، وطاعتهم وعبوديتهم تجاه اوامره الربانية.

فيكون الشكر والعبادة - حسب سرّ الربوبية هذا - اعظم غاية لجميع انواع الحياة، وبدورها يكون غاية الكون بأسره.. ومن هنا نرى ان القرآن الكريم يحث بجرارة ويسوق برفق وعذوبة الى الشكر والعبادة؛ فيكرر كثيراً

ويبين ويوضح:

#563

أن العبادة خاصة لله وحده، وأن الشكر والحمد لا يليقان حقاً إلا به سبحانه، وإن ما في الحياة من شؤون وأمور هي في قبضة تصرفه وحده، فينفي بهذا وبصراحة تامة الوسائط والأسباب، مسلماً الحياة بما فيها إلى يد القدرة "للحي القيوم" فيقول مثلاً:

(وهو الذي يُحيي ويميتُ وله اختلافُ الليل والنهار) (المؤمنون: 80)

(وهو الذي يُحيي ويميتُ فاذا قضى أمراً فإنما يقولُ له كُنْ فيكون) (المؤمن: 68)

(فيُحيي به الارضَ بعد موتها) (الروم: 24)

نعم! إن الذي يدعو إلى الشكر والحمد والامتنان، والذي يثير الشعور إلى المحبة والثناء - بعد نعمة الحياة - إنما هو الرزق والشفاء والغيث، وامثالها من دواعي الشكر والحمد.

وهذه الوسائل أيضاً محصورة كلياً بيد "الرزاق الشافي" سبحانه، فليست الأسباب الأستار وحجب ووسائط فحسب؛ إذ إن علامة الحصر والتخصيص - حسب قواعد اللغة العربية - هو الرزاق، هو الذي، واضحة في الآيات الكريمة الآتية:

(هو الرزاقُ ذو القوة المتينُ) (الذريات: 58)

(وإذا مَرَضْتُ فهو يَشْفِينِ) (الشعراء: 80)

(وهو الذي يُنزلُ الغيثَ من بعد ما قنطوا) (الشورى: 28)

فهذه الآيات الكريمة وامثالها تبين:

إن الرزق والشفاء والغيث خاصةً به سبحانه وتعالى، وتنحصر كلياً بيد قدرة "الحي القيوم". فالذي وهب خواص الأدوية والعلاج هو ذلك الشافي الحقيقي سبحانه الذي خلقها وليس غيره.

الرمز الرابع:

لقد بُنيت في الخاصة الثامنة والعشرين من الحياة:

إن الحياة تثبت أركان الإيمان الستة وتنظر إليها وتتوجه نحوها، وتشير إلى تحقيقها.

#564

نعم! فما دامت (الحياة) هي حكمة خلق الكائنات، وأهم نتيجتها وخميرتها، فلا تنحصر تلك الحقيقة السامية في هذه الحياة الدنيا الفانية القصيرة الناقصة المؤلمة، بل إن غاية شجرة الحياة ونتيجتها وثمرتها - والتي فهم عظمتها وماهيتها بالخواص التسع والعشرين - ما هي إلا الحياة الأبدية والآخرة والحياة الحية بحجرها وتراها وشجرها في

دار السعادة الخالدة. والأ يلزم ان تظل شجرة الحياة المجهزة بهذه الأجهزة الغزيرة المتنوعة في ذوي الشعور - ولا سيما الانسان - دون ثمر ولا فائدة، ولا حقيقة. وظل الانسان تعساً وشقيماً وذليلاً وأحط من العصفور بعشرين درجة - بالنسبة لسعادة الحياة - مع أنه أسمى مخلوق، وأكرم ذوي الحياة وارفغ من العصفور بعشرين درجة، من حيث الاجهزة ورأس مال الحياة.

بل يصبح العقل الذي هو أثن نعمه بلاءً ومصيبة على الانسان بتفكره في أحزان الزمان الغابر ومخاوف المستقبل فيعذب قلب الانسان دائماً معكراً صفو لذة واحدة بتسعة آلام!. ولا شك أن هذا باطل مائة في المائة.

فهذه الحياة الدنيا اذن تثبت ركن "الايان بالآخرة" اثباتاً قاطعاً بما تظهر لنا في كل ربيع أكثر من ثلاثمائة الف نموذج من نماذج الحشر.

فيا ترى هل يمكن لربِّ قدير، يهئ ما يلزم حياتك من الحاجات المتعلقة بها جميعاً ويوفّر لك أجهزتها كلها سواءً في جسمك أو في حديقتك، أو في بلدك، ويرسله في وقته المناسب بحكمة وعناية ورحمة، حتى أنه يعلم رغبة معدتك فيما يكفل لك العيش والبقاء، ويسمع ما تهتف به من الدعاء الخاص الجزئي للرزق مُبدياً قبله لذلك الدعاء بما بثّ من الاطعمة اللذيذة غير المحدودة ليُطْمِئِن تلك المعدة! فهل يمكن لهذا المتصرف القدير ان لا يعرفك؟ ولا يراك؟ ولا يهئ الاسباب الضرورية لأعظم غاية للانسان وهي الحياة الأبدية؟؟ ولا يستجيب لأعظم دعاءٍ وأهمّه وأعمّه، وهو دعاء البقاء والخلود؟ ولا يقبله بعدم انشائه الحياة الآخرة وايجاد الجنة؟ ولا يسمع دعاء هذا الانسان - وهو أسمى مخلوق في الكون بل هو سلطان الارض ونتيجتها - ذلك الدعاء العام القوي الصادر من الاعماق، والذي يهز العرش والفرش! فهل يمكن ان لا يهتم به اهتمامه بدعاء المعدة الصغيرة ولا يُرضي هذا الانسان؟ ويعرّض حكمته الكاملة ورحمته المطلقة للانكار؟؟ كلا.. ثم كلا ألف مرة كلا.

#565

وهل يعقل ان يسمع اخفت صوت لأدنى جزء من الحياة فيستمع لشكواه ويسعفه، ويحلم عليه ويربيه بعناية كاملة ورعاية تامة وباهتمام بالغ مسخراً له أكبر مخلوقاته في الكون، ثم لا يسمع صوتاً عالياً كهزيم الرعد لأعظم حياة وأسماها وأطفها وأدومها؟ وهل يعقل: ألا يهتم بدعائه المهم جداً - وهو دعاء البقاء - وألا ينظر الى تضرعه ورجائه وتوسله؟ ويكون كمن يجَهِّز - بعناية كاملة - جندياً واحداً بالعتاد، ولا يرعى الجيش الجرار الموالي له!! وكمن يرى الذرة ولا يرى الشمس! أو كمن يسمع طنين البعوضة ولا يسمع رعود السماء! حاش لله مائة ألف مرة حاش لله.

وهل يقبل العقل - بوجه من الاوجه - ان التقدير الحكيم ذا الرحمة الواسعة وذا المحبة الفائقة وذا الرأفة الشاملة والذي يحب صنعته كثيراً، ويجبب نفسه بها الى مخلوقاته وهو أشدّ حباً لمن يحبونه، فهل يعقل أن يُفني حياة

مَنْ هو أَكْثَرُ حَباً له، وهو المحبوب، وأهلُّ للحب، والذي يعبد خالقه فِطْرَةً؟ ويُفني كذلك لبَّ الحياة وجوهرها وهو الروح، بالموت الأبدي!! ويسبب جفوةً بينه وبين محبه ومحبوبه ويؤلمه أشد الايلام! فيجعل سر رحمته ونور محبته معرّضاً للإنكار! حاش لله الف مرة حاش لله...

فالجمال المطلق الذي زِين بتجليه هذا الكون وجمّله، والرحمة المطلقة التي أهبجت المخلوقات قاطبة وزيّنتها، لا بد أنهما منزّهتان ومقدستان بلا نهاية ولا حدّ عن هذه القساوة وعن هذا القبح المطلق والظلم المطلق.
النتيجة:

مادامت في الدنيا حياة، فلا بد أن الذين يفهمون سر الحياة من البشر، ولا يسيؤون استعمال حياتهم، يكونون أهلاً لحياة باقية، في دار باقية وفي جنة باقية.. آمناً.

ثم، ان تَلألؤُ المواد اللماعة على سطح الارض بانعكاسات ضوء الشمس، وتلَمَع الفقاعات والحباب والزبد على سطح البحر، ثم انطفاء ذلك التلألؤُ والبريق بزوالها ولمعان الفقاعات التي تعقبها - كأنها مرايا لشُمسياتٍ خيالية - يُظهر لنا بدهة ان تلك اللمعات ما هي الاّ تجلي انعكاس شمسي واحدة عالية. وتذكّر بمختلف الالسنه

#566

وجود الشمس، وتشير اليها بأصابع من نور... وكذلك الامر في تَلألؤُ ذوي الحياة على سطح الارض، وفي البحر، بالقدرة الإلهية وبالتجلي الاعظم لإسم "المحيي" للحَي القيوم جلّ جلاله، واختفائها وراء ستار الغيب لفسح المجال للذي يخلفها - بعد أن رددت "ياحي" - ما هي إلاّ شهادات واشارات للحياة السرمديّة ولوجوب وجود "الحَي القيوم" سبحانه وتعالى.

وكذا، فان جميع الدلائل التي تشهد على العلم الإلهي الذي تُشاهد آثاره من تنظيم الموجودات، وجميع البراهين التي تثبت القدرة المصروفة في الكون، وجميع الحجج التي تثبت الارادة والمشية المهيمنة على ادارة الكون وتنظيمه، وجميع العلامات والمعجزات التي تثبت الرسالات التي هي مدار الكلام الرباني والوحي الإلهي.. وهكذا جميع الدلائل التي تشهد وتدلّ على الصفات الإلهية السبع الجليلة، تدل - وتشهد أيضاً - بالاتفاق على حياة "الحَي القيوم" سبحانه، لأنه: لو وجدت الرؤية في شئ فلا بد أن له حياة ايضاً، ولو كان له سمع فذلك علامة الحياة، ولو وجد الكلام فهو اشارة على وجود الحياة، ولو كان هناك الاختيار والارادة فتلك مظاهر الحياة، كذلك فان جميع دلائل الصفات الجليلة التي تُشاهد آثارها ويُعلم بدهة وجودها الحقيقي، أمثال القدرة المطلقة، والارادة الشاملة، والعلم المحيط، تدل على حياة "الحَي القيوم" ووجوب وجوده، وتشهد على حياته السرمديّة التي نورٌ َث - بشعاعٍ منها - جميع الكون وأحييت - بتجلٍ منها - الدار الآخرة كلها بذراتها معاً.

والحياة كذلك تنظر وتدل على الركن الايماني (الايمان بالملائكة) وتثبته رمزاً. لأن:

الحياة ما دامت هي أهم نتيجة للكون، وان ذوي الحياة - لنفاستهم - هم أكثر انتشاراً وتكاثراً، وهم الذين يتتابعون الى دار ضيافة الارض قافلة إثر قافلة، فتعمر بهم وتبتهج.. وما دامت الكرة الارضية هي محط هذا السيل من انواع ذوي الحياة، فتملاً وتُخلى بحكمة التجديد والتكاثر باستمرار، ويُخلق في أحس الاشياء والعفونات ذوو حياةٍ بغزارة، حتى اصبحت الكرة الارضية معرضاً عاماً للاحياء.. وما دام يُخلق بكثرة هائلة على الأرض أصفى خلاصة لترشح الحياة وهو الشعور والعقل والروح

#567

اللطيفة ذات الجوهر الثابت، فكأن الأرض تحيا وتتجمل بالحياة والعقل والشعور والارواح.. فلا يمكن ان تكون الاجرام السماوية التي هي أكثر لطافةً وأكثر نوراً وأعظم أهميةً من الارض جامدةً ودون حياة وبلا شعور.

اذن فالذين سيعبرون السماوات ويهبجون الشمس والنجوم، ويهبون لها الحيوية، ويمثلون نتيجة خلق السماوات وثمرتها، والذين سيتشرفون بالخطابات السبحانية، هم ذوو شعور وذوو حياة من سكان السماوات وأهاليها المتلائمين معها حيث يوجدون هناك بسرّ الحياة.. وهم الملائكة.

وكذلك ينظر سر ماهية الحياة ويتوجه الى "الايان بالرسل" ويثبته رمزاً.

نعم! فما دام الكون قد خُلق لأجل الحياة وان الحياة هي اعظم تجلٍ وأكمل نقش وأجمل صنعة "للحي القيوم" جلّ جلاله، وما دامت حياته السرمدية الخالدة تظهر وتكشف عن نفسها برسال الرسل وانزال الكتب، اذ لو لم يكن هناك "رسل" ولا "كتب" لما عُرفت تلك الحياة الازلية، فكما ان تكلم الفرد يبين حيويته وحياته كذلك الانبياء والرسل عليهم السلام والكتب المنزلة عليهم، يبينون ويدلّون على ذلك المتكلم الحي الذي يأمر وينهي بكلماته وخطاباته من وراء الغيب المحجوب وراء ستار الكون. فلا بد ان الحياة التي في الكون كما انها تدل - بصورة قاطعة - على "الحي الازلي" سبحانه وتعالى وعلى وجوب وجوده، تدل كذلك على شعاعات تلك الحياة الازلية وتجلياتها وارتباطاتها وعلاقتها باركان الايمان مثل (ارسال الرسل) و (انزال الكتب) وثبتهما رمزاً. ولا سيما "الرسالة المحمدية" و "الوحي القرآني". اذ يصح القول، انها ثابتان قاطعان كقطعية ثبوت تلك الحياة، حيث انها بمثابة روح الحياة وعقلها.

نعم، كما ان الحياة هي خلاصة مترشحة من هذا الكون، والشعور والحس مترشحان من الحياة، فهما خلاصتها، والعقل مترشح من الشعور والحس، فهو خلاصة الشعور، والروح هي الجوهر الخالص الصافي للحياة، فهي ذاتها الثابتة المستقلة.. كذلك الحياة المحمدية - المادية والمعنوية - مترشحة من الحياة ومن روح الكون فهي خلاصة زبدتها، والرسالة المحمدية كذلك مترشحة من حس الكون وشعوره وعقله،

فهي اصفى خلاصته، بل ان حياة محمد صلى الله عليه وسلم - المادية والمعنوية - بشهادة آثارها حياة حياة الكون، والرسالة المحمدية شعور لشعور الكون ونور له. والوحي القرآني - بشهادة حقائقه الحيوية - روح حياة الكون وعقل لشعوره.. أجل.. أجل.. أجل.

فاذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره مات الكون وتوفيت الكائنات، واذا ما غاب القرآن وفارق الكون، جَنَّ جنونه وفقدت الكرة الارضية صوابها، وزال عقلها، وظلت دون شعور، واصطدمت باحدى سيارات الفضاء، وقامت القيامة.

والحياة - كذلك - تنظر الى الركن الايماني "القدر" وتدلل عليه وتثبتهُ رمزاً، اذ: ما دامت الحياة ضياءً لعالم الشهادة وقد استولت عليه وأحاطت به، وهي نتيجة الوجود وغايته، واوسع مرآة لتجليات خالق الكون، وأتم فهرس ونموذج للفعالية الربانية حتى كأنها بمثابة نوع من خطتها ومنهجها - اذا جاز التشبيه - فلا بد أن سر الحياة يقتضي ان يكون عالم الغيب أيضاً - وهو بمعنى الماضي والمستقبل - أي المخلوقات الماضية والقابلة في حياة معنوية أي في نظام وانتظام وان يكون معلوماً ومشهوداً ومتعيناً ومتبهاً لأمثال الأوامر التكوينية. مثلها كمثل تلك البذرة الاصلية للشجرة وأصولها، والنوى والاثمار التي في منتهائها، التي تتميز بمزايا نوع من الحياة كالشجرة نفسها، بل قد تحمل تلك البذور قوانين حياتية أدق من قوانين حياة الشجرة.

وكما ان البذور والأصول التي خلفها الخريف الماضي، وما سيخلفه هذا الربيع - بعد إداره - من البذور والأصول، تحمل نور الحياة، وتسير وفق قوانين حياتية، مثل ما يحمله هذا الربيع من الحياة، فكذلك شجرة الكائنات، وكلُّ غصن منها وكلُّ فرع، له ماضيه ومستقبله، وله سلسلة مؤلفة من الاطوار والاضاع، القابلة والماضية، ولكل نوع ولكل جزء منه وجودٌ متعدد بأطوار مختلفة في العلم الألهي، مشكلاً بذلك سلسلة وجود علمي. والوجود العلمي هذا، الشبيه بالوجود الخارجي هو مظهرٌ لتجلٍ معنوي للحياة العامة، حيث تُؤخذ المقدرات الحياتية من تلك الالواح القدرية الحية ذات المغزى العظيم.

نعم، ان امتلاء عالم الارواح - الذي هو نوع من عالم الغيب - بالارواح التي هي عين الحياة، ومادتها، وجوهرها، وذواتها، يستلزم ان يكون الماضي والمستقبل - اللذان هما نوع من عالم الغيب وقسم ثان منه - متجلية فيهما الحياة. وكذا فان الانتظام التام والتناسق الكامل في الوجود العلمي الإلهي لأوضاع ذات معانٍ لطيفة لشيء ما ونتائجها واطواره الحيوية ليبين ان له اهلية لنوع من الحياة المعنوية.

نعم، ان مثل هذا التجلي - تجلي الحياة - الذي هو ضياء شمس الحياة الازلية لن ينحصر في عالم الشهادة هذا

فقط، ولا في هذا الزمان الحاضر، وفي هذا الوجود الخارجي، بل لا بد أن لكل عالم من العوالم مظهراً من مظاهر تجلي ذلك الضياء حسب قابليته.

فالكونُ اذن - بجميع عوالمه - حيٌّ ومشعٌّ مضئٌ بذلك التجلي والالأصبح كلُّ من العوالم - كما تراه عين الضلالة - جنازة هائلة مخيفة تحت هذه الحياة الموقته الظاهرة، وعالماً خراباً مظلماً.

وهكذا يفهم وجهٌ واسع من أوجه الايمان بالقضاء والقدر من سر الحياة ويثبت به ويتضح. أي كما تظهر حيوية عالم الشهادة والموجودات الحاضرة بانتظامها وبنائها، كذلك المخلوقات الماضية والآتية التي تعدّ من عالم الغيب لها وجودٌ معنوي، ذو حياة معنوي، ولها ثبوتٌ علمي ذو روح، بحيث يظهر - باسم المقدرات - اثر تلك الحياة المعنوية بوساطة لوح القضاء والقدر.

الرمز الخامس:

لقد ذكر في الخاصة السادسة عشرة من خصائص الحياة أنه:

ما ان تنفذ الحياة في شئ تصيرهُ عالماً بحدّ ذاته؛ اذ تمنحه من الجامعية ما يجعله كلاً ان كان جزءاً، وما يجعله كلياً إن كان جزئياً؛ فالحياة لها من الجامعية بحيث تعرض في نفسها أغلب الاسماء الحسنی المتجلية على الكائنات كلها، وكأنها مرآة جامعة تعكس تجليات الاحدية. فحالمًا تدخل الحياة في جسم تعمل على تحويله الى عالم مصغر، لكأنها تحيله بمثابة بذرة حاملة لفهرس شجرة الكائنات، وكما لا يمكن ان تكون البذرة الا اثر قدرة خالق شجرتها كذلك الذي خلق اصغر كائن حي لا بد انه هو خالق الكون كله.

#570

فهذه الحياة بجامعيتها هذه تُظهر في نفسها أخفى اسرار الاحدية وأدقّها. أي: كما ان الشمس العظيمة توجد بضياءها وألوانها السبعة وانعكاساتها في ما يقابلها من قطرة ماء أو قطعة زجاج، كذلك الامر في كل ذي حياة الذي تتجلى فيه جميع تجليات الاسماء الحسنی وانوار الصفات الإلهية المحيطة بالكون. فالحياة - من هذه الزاوية - تجعل الكون من حيث الربوبية والايجاد بحكم الكلّ الذي لا يقبل الانقسام والتجزئة، وتجعله بحكم الكلّي الذي تمتنع عليه التجزئة والاشترك.

نعم! ان الحتم الذي وَصَّعه الخالق سبحانه على وجهك يدل بالبداهة على أن الذي خلقك هو خالق بني جنسك كلهم؛ ذلك لأن الماهية الانسانية واحدة، فانقسامها غير ممكن. وكذلك الامر في أجزاء الكائنات! اذ تتحول بوساطة الحياة كأنها افراد الكائنات، والكائنات كأنها نوع لتلك الافراد.

فكما تُظهر الحياة ختم الاحدية على مجموع الكون فانها تردّ الشرك والاشترك وترفضه رفضاً باتاً باظهارها ختم الاحدية نفسه وختم الصمدية على كل جزء من أجزاء الكون.

ثم ان في الحياة من خوارق الصنعة الربانية ومعجزات الابداع الباهر بحيث انه من لم يكن قادراً على خلق الكون يعجز كلياً عن خلق أصغر كائن حي فيه.

نعم، ان القلم الذي كتب فهرس شجرة الصنوبر الضخمة ومقدراتها في بذرتها الصغيرة - ككتابة القرآن مثلاً على حبة حمص - هو ذلك القلم نفسه الذي رصع صفحات السماء بلآلئ النجوم، وان الذي ادرج في رأس النحل الصغير استعداداً يمكنها من معرفة ازهار حدائق العالم كله، وتقدر على الارتباط مع اغلبها بوشائج، ويجعلها قادرة على تقديم اللد هدية من هدايا الرحمة الإلهية - وهي العسل - ويدفعها الى معرفة شرائط حياتها منذ أول قدومها الى الحياة لا شك انه هو خالق الكون كله وهو الذي اودع هذا الاستعداد الواسع والقابلية العظيمة والاهمزة الدقيقة فيها

الخلاصة:

ان الحياة آية توحيد ساطعة تسطع على وجه الكائنات، وان كل ذي روح - من جهة حياته - آية للأحادية، وان الصنعة المتقنة الموجودة على كل فرد من الاحياء ختم

#571

للصمدية، وبهذا جميع ذوي الحياة يصدّقون ببصمات حياتهم رسالة الكون هذه ويعلنون أنها من "الحي القيوم" الواحد الأحد.. فكل منها ختم للوحدانية في تلك الرسالة فضلاً عن انها ختم للأحادية وعلامة الصمدية. فكما ان الأمر هكذا في الحياة، فكل كائن حي ايضاً ختم للوحدانية في كتاب الكون؛ كما قد وُضع على وجهه وسماه ختم الأحادية.

نعم! ان الحياة بعدد جزئياتها وبعدد أفرادها الحية أختامٌ وبصماتٌ حية تشهد على وحدانية "الحي القيوم" مثلما ان فعل البعث - الإحياء - ايضاً يختم باختام التصديق على التوحيد بعدد الأفراد من الاحياء.

فإحياء الارض الذي هو مثال واحد على البعث هو شاهدٌ صدقٍ ساطع على التوحيد كالشمس، لأن بعث الأرض في الربيع واحياءها يعني بعث افرادٍ لا تعد ولا تحصى لأنواع الاحياء التي تربو على ثلاثائة الف نوع، فنبعث جميعاً معاً من دون نقص ولا قصور بعثاً متداخلاً متكاملأً منتظماً. فالذي يفعل بهذا الفعل أفعالاً منتظمة لا حدود لها فانه هو خالق المخلوقات جميعها، وأنه "الحي القيوم" الذي يحيي ذوي الحياة قاطبة، وأنه الواحد الأحد الذي لا شريك له في ربوبيته قط.

اكتفينا بهذا القدر القليل المختصر من بسط خواص الحياة محيلين بيان الخواص الاخرى وتفصيلاتها الى أجزاء رسائل النور وفي وقت آخر.

الخاتمة

ان الاسم الاعظم ليس واحداً لكل أحد، بل يختلف ويتباين، فمثلاً: لدى الامام علي رضي الله عنه هو ستة اسماء حسنى هي: فردٌ، حيٌّ، قيومٌ، حكْمٌ، عدلٌ، قدوسٌ.. ولدى أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه اسمان هما: حَكْمٌ عدلٌ.. ولدى الشيخ الكيلاني قُدس سره هو اسم واحد: يا حيّ.. ولدى الامام الرباني (احمد الفاروقي السرهندي) رضي الله عنه هو: القيومٌ.. وهكذا، فلدى الكثيرين من العطاء الافذاذ اسماء اخرى هي الأسم الاعظم عندهم.

#572

ولما كانت هذه "النكتة الخامسة" تخص اسم الله "الحي" وقد أظهر الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم في مناجاته الرفيعة المسماة بـ"الجوشن الكبير" معرفته الجامعة السامية لله اظهراً يليق به وحده؛ لذا نذكر من تلك المناجاة شاهداً ودليلاً وحجةً وتبركاً ودعاءً مقبولاً وخاتمة حسنة لهذه الرسالة، فنذهب خيالاً الى ذلك الزمان ونقول: آمين.. آمين على ما يقوله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فنردد المناجاة نفسها على أصداء ذلك القول النبوي الكريم:

يا حيُّ قبلَ كلِّ حيِّ * يا حيُّ بعد كلِّ حيِّ
يا حيُّ الذي لا يُشبههُ شئٌ * يا حيُّ الذي ليسَ كمثلِهِ حيِّ.
يا حيُّ الذي لا يُشاركهُ حيِّ * يا حيُّ الذي لا يحتاج الى حيِّ.
يا حيُّ الذي يُميت كلَّ حيِّ * يا حيُّ الذي يرزُق كلَّ حيِّ.
يا حيُّ الذي يحيي الموتى * يا حيُّ الذي لا يموت.
سُبْحانَكَ يا لا إله إلا أنتَ الأمانُ الأمانُ نَجِّنا من النار.
آمين.

(سُبْحانَكَ لا عِلمَ لنا إلا ما عَلَّمْتنا إِنَّكَ أَنْتَ العَليمُ الحَكِيمُ)

#573

النكتة السادسة

تتطلع الى اسم الله الاعظم:

القيوم

لقد اصبحت الخلاصة المتضمنة لاسم الله "الحي" ذليلاً لمنبع النور، كما أرثي ان تكون هذه النكتة التي تخص اسم الله "القيوم" ذليلاً للكلمة الثلاثين.

اعتذار:

ان هذه المسائل البالغة الخطورة والاهمية، والتجلي الاعظم لإسم الله "القيوم" الطاف على وجه الحياة والغاص في أعماق الوجود، لم تتوارد الى القلب توارداً متعاقباً منتظماً، الواحدة تلو الأخرى. بل سَطَعَتْ دفعةً واحدة في سماء القلب كالبروق الخاطفة، وانقذ زناد القلب، فاستنار الوجدانُ بها فدوتها كما خطرْتُ لي ولم أجرِ عليها أي تعديل أو تغيير أو تشذيب. فلا جرم أن يعثورها شئ من الخلل في الأداء البياني، والسبك البلاغي. فارجو ان تتكرموا بالصفح عما تشاهدونه من قصور في الشكل لأجل جمال المضمون وحسن محتواه.

تنبيه:

ان المسائل اللطيفة والنكات الدقيقة التي تخص "الاسم الاعظم" هي عظيمة السعة، عميقة الاغوار، ولاسيما المسائل التي تخص اسم "الحي القيوم". وبخاصة "الشعاع الاول" منها، الذي ورد وروداً أعمق من غيره لتوجهه مباشرة الى الماديين. ¹لذا فليس الجميعُ سواءً في إدراكهم لمسائله كلها، وربما صَعُبَ على البعض الاحاطة ببعضِ منها، وفاته إدراك جزءٍ هنا، وجزءٍ هناك، إلا أننا مطمئنون الى ان أحداً لن يخرجَ من النظر فيها، من غير أن يستفيد شيئاً، بل سينال - بلا شك - حظّه المقسوم له من كل مسألة منها، "فما لا يُدرك كُله، لا يُترك كُله" كما تقول

¹ إن لم يكن قارئ هذه الرسالة على اطلاع واسع على العلوم، فعليه الأقرأ هذا الشعاع، او يقرأه في الختام، وليشرح من الشعاع الثاني.- المؤلف.

#574

القاعدة السارية؛ فليس صواباً ان يدع أحدٌ هذه الروضة المعنوية المليئة بالثمرات بحجة عجزه عن جني جميع ثمراتها! وما قطفه منها وحصل عليه فهو كسب ومغرم.

ومثلما ان من المسائل التي تخص "الاسم الاعظم" ما هو واسع جداً لدرجة تتعذر معها الأحاطة الكلية به، فان فيها أيضاً مسائل لها من الدقة ما تندُّ بها عن بصر العقل؛ ولاسيما رموز الحياة الشاملة لأركان الايمان التي هي في اسم الله "الحي"، واشارات الحياة فيه الى الايمان بالقضاء والقدر، والشعاع الاول لاسم الله "القيوم".

ولكن مع هذا لا يبقى أحد دون الأخذ بحظِّ منها. بل تشدُّ ايمانه وتزيدُه سعةً ومدىً على أقل تقدير، ولا غرو فان زيادة الايمان الذي هو مفتاح السعادة الأبدية انما هي على جانب عظيم من الأهمية، فزيادته ولو بمقدار ذرة كثرٌ عظيم، كما يقول الأمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي:

"ان انكشاف مسألة صغيرة من مسائل الايمان لهو أفضل في نظري من مئاتٍ من الاذواق والكرامات".

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(بِیْدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) (یس: 83)

(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (الزمر: 63)

(وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ) (الحجر: 21)

(مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا) (هود: 56)

لقد تراءى لعقلي في شهر ذي القعدة وانا نزيل سجن "اسكي شهر" تجلٍ عظيمٍ من أنوار اسم الله الأعظم "القيوم" الذي هو الاسم الأعظم، أو السادس من الأنوار الستة للاسم الأعظم. كما تراءت نكتة من نكات هذه الآيات الكريمة المشيرة الى القيومية الإلهية.

#575

يبد أن ظروف السجن المحيطة بي تحول دون أن أوفي حق هذه الانوار من البيان. وحيث ان الأمام علياً رضي الله عنه قد أبرز الاسم الأعظم في قصيدته المسماة بـ"أرجوزة السكينة" لدى بيانه لسائر الاسماء الجليلة من قصيدته "البديعة". يولي أهمية خاصة لتلك الاسماء الستة، فضلاً عما يمنحه لنا - بكرامة من الله - السلوان والعزاء اثناء بحثه لتلك الأسماء، لذا سنشير باشارات مختصرة الى بيان هذا النور الأعظم لإسم الله "القيوم" - كما فعلنا مع الاسماء الخمسة الأخرى - وسنجعل تلك الاشارات في خمسة أشعة.

الشعاع الأول:

ان خالق هذا الكون ذا الجلال "قيوم". أي: أنه قائم بذاته، دائم بذاته، باقٍ بذاته، وجميع الأشياء والموجودات قائمة به، تدوم به، تبقى في الوجود به، وتجذب البقاء به. فلو انقطع هذا الانتساب للقيومية من الكون بأقل من طرفه عينٍ يُمحي الكون كله.

ثم ان ذلك الجليل مع قيوميته (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) كما وصفه القرآن الكريم. أي لا نظير له ولا مثل ولا شبيه ولا شريك: في ذاته.. في صفاته.. وفي أفعاله.

نعم، ان الذي يمسك الكون كله أن يزول في قبضة ربوبيته ويدير جميع شؤونه ويدبر جميع أحواله وكيفيةه بكمال الإنتظام ومنتهى التدبير وغاية الرعاية، وفي سهولة مطلقة كادارة قصر أو بيت محالٍ ان يكون له مثلٌ او مثيلٌ أو شريك أو شبيه.

نعم، ان من كان خلق النجوم سهلاً عليه وهيناً كخلق الذرات.. ويسخر أعظم شئ في الوجود كأصغره ضمن قدرته المطلقة.. ولا يمنع شئ شيئاً عنه، ولا فعلٌ فعلاً، فالأفراد غير المحدودين نصب نظره كالفرد الواحد، والأصوات جميعها يسمعها معاً، ويوفي حاجات الكل في آن واحد ودفعة واحدة، ولا يخرج شئ مهما كان، ولا حالةٌ مهما كانت من دائرة مشيئته ونطاق ارادته - بشهادة الأنظمة والموازن الجارية في الكون - وكما انه لا يحده مكانٌ فهو بقدرته وبعلمه حاضرٌ في كل مكان، وكما ان كل شئ بعيدٌ عنه بُعداً مطلقاً، فهو أقرب اليه من أيّ

شئ.. فهذا "الحي القيوم" ذو الجلال، لا بد أنه (ليس كمثل شئ) فلا نظير له ولا شريك ولا وزير ولا ضد

#576

ولاند. بل محال في حقه كل ذلك. اما شؤونه المنزهة الحكيمة، فيمكن ان يُنظر اليها بمنظار المثل والتمثيل (وجميع أنواع الأمثال والتمثيلات والتشبيهات الواردة في رسائل النور انما هي من هذا النوع من المثل والتمثيل).
فهذا الذات الأقدس الذي لا مثيل له، وهو الواجب الوجود، والمجرد عن المادة المنزهة عن المكان، المحال عليه التجزؤ والانقسام، والممتنع عليه التغير والتبدل، والذي لا يمكن أن يُتصور عجزه واحتياجه ابدأ، هذا الذات الأقدس قد أعطى قسم من أهل الضلالة احكام ألوهيته العظيمة الى بعض مخلوقاته، وذلك بتوهمهم ان تجلياته سبحانه المتجلية في صفحات الكون وطبقات الموجودات هي الذات الأقدس نفسه، ففوض قسم من هؤلاء بعض آثار تجلياته سبحانه الى الطبيعة والاسباب، والحال انه قد ثبت ببراہين متعددة ناصعة وفي عديد من رسائل النور:

أن الطبيعة: ما هي الا صنعة الهية ولا تكون صناعاً، وهي كتاب رباني ولا تكون كاتباً، وهي نقش بديع ومحال ان تكون نقاشاً مُبدعاً، وهي كرائس ولا تكون واضعة القوانين وصاحبة الكراس، وهي قانون ولا تكون قدرة، وهي مسطر ولا تكون مصدرًا للوجود، وهي شئ منفعل ولا تكون الفاعل، وهي نظام ومحال ان تكون ناظماً، وهي شريعة فطرية وممتنع ان تكون شارعاً مشرعاً.

ولو افترض محالاً وأحيل خلق أصغر كائن حي الى الطبيعة، وقيل لها - فرضاً -: هيا أوجدي هذا الكائن - مثلاً - فينبغي للطبيعة عندئذ ان تهى قوالب مادية ومكائن - بعدد أعضاء ذلك الكائن لكي تستطيع ان تؤدي ذلك العمل!! وقد أثبتنا محالية هذا الفرض في مواضع كثيرة من رسائل النور.

ثم ان قسماً من أهل الضلالة الذين يطلق عليهم "الماديون" يشعرون بالتجلي الأعظم للخلافة الإلهية والقدرة الربانية في تحولات الذرات المنتظمة، ولكنهم يجهلون مصدر ذلك التجلي، ويعجزون عن ان يدركوا من أين تُدار تلك القوة العامة النابعة من تجلي القدرة الصمدانية.. فلأنهم يجهلون كل ذلك فقد شرعوا باسناد اثار الألوهية الى الذرات نفسها والى حركاتها عينها، فتوهموا أزلية المادة

#577

والقوة. فسبحان الله!! أفيمكن لإنسان ان يتردى الى هذا الدرك السحيق من الجهالة والخرافة المحضة، فيسند الآثار البديعة للخالق البديع والأفعال الحكيمة للعليم البصير - وهو المتعال عن المكان والزمان - الى ذرات مضطربة بتيارات المصادفات، جامدة عمياء غير شاعرة، لاحول لها ولا قوة، والى حركاتها!.. أفيمكن ان يقتر بهذا أحد؟. فمن كان له مسكة من عقل لا بد ان يحكم بان هذا جهل ما بعده جهل، وخرافة ما بعدها خرافة.
ان هؤلاء التعساء قد وقعوا في عبادة الهة كثيرة لأنهم أعرضوا عن الوحدانية المطلقة. أي لأنهم لم يؤمنوا باله

واحد، أصبحوا مضطرين الى قبول ما لا نهاية له من الآلهة!... أي لأنهم لم يستوعبوا بعقولهم القاصرة أزلية الذات الأقدس وخلّاقته - وهما صفتان لازمتان ذاتيتان له سبحانه - فقد أصبحوا - بحكم مسلكهم الضال - مضطرين الى قبول أزلية ذرات جامدة لا حدّ لها ولا نهاية، بل الى قبول ألوهية الذرات!

فتأمل مبلغ الحضيض الذي سقطوا فيه، وسحق الدرك الاسفل من الجهل الذي تردّوا فيه!

نعم! ان التجلي الظاهر "للحي القيوم" في الذرات قد حوّلها الى ما يشبه الجيش المهيب المنظم بحول الله وقوته وأمره، فلو سُحب أمر القائد الأعظم لأقل من طرفة عين من تلك التي لا تحد من الذرات الجامدة والتي لا شعور لها ولا عقل، لظلت سائبة، بل تمحى نهائياً من الوجود.

ثم ان هناك من يتظاهرون ببعد النظر، فيسوقون فكراً أجهل من السابق وأوغل في الخرافة منه حيث يتوهمون ان مادة الأثير هي المصدر وهي الفاعل، لقيامها بمهمة المرآة العاكسة لتجليات ربوبية الخالق سبحانه! علماً انها ألطف وأرق وأطوع صحيفة من صحائف اجراءات الصانع الجليل وأكثرها تسخيراً وانقياداً، وهي وسيلة لنقل أوامره الجليلة. وهي المداد اللطيف لكتاباته، والحلّة القشبية الشفيفة لايجاداته، والخميرة الاساس لمصنوعاته، والارض الخصبة لحبّاته.

فلا شك ان هذا الجهل العجيب المرعب يستلزم محالات لاحد لها ولا نهاية، وذلك لأن مادة الأثير هي ألطف من مادة الذرات التي غرق بها الماديون في مستنقع

#578

الضلالة، وهي اكتف من الهولي¹ التي ضلّ فيها الفلاسفة القدماء وتاهوا. وهي مادة جامدة لأرادة لها ولأختيار ولا شعور، فإسناد الافعال والآثار الى هذه المادة القابلة للأقسام والتجزؤ والمجهّزة للقيام بوظيفة النقل وخاصة الإنفعال، والى ذراتها التي هي اصغر من الذرات لا شك انه جريمة وخطأ فاحش بعدد ذرات الأثير؛ لأن تلك الافعال والآثار الربانية لا يمكن ان تحدث الا بارادة من يقدر على رؤية كل شئ في أي شئ كان ومن يملك علماً محيطاً بكل شئ.

نعم! ان فعل اليجاد المشهود في الموجودات يتسم بكيفية معينة واسلوب منفرد بحيث يدل دلالة واضحة على ان الموجد هو صاحب قدرة قادرة واختيار طليق، يرى أكثر الاشياء، بل الكون كله لدى ايجاده أي شئ كان، ولا سيما الكائن الحي ويعلم كل ما يرتبط به من الأشياء، ثم يضع ذلك الشئ في موضعه الملائم له، ويضمن له البقاء في ذلك الموقع، أي ان الاسباب المادية الجاهلة لا يمكن ان تكون بحال من الأحوال فاعلاً لها.

نعم، ان فعلاً ايجادياً - مهما كان جزئياً - يدل دلالة عظيمة - بسر القيومية - على انه فعل خالق الكون فعلاً مباشراً. فالفعل المتوجه الى ايجاد نحلة - مثلاً - يدلنا بجهتين على أنه يخص خالق الكون ورب العالمين.

الجهة الاولى

ان قيام تلك النحل مع أمثالها في جميع الأرض بالفعل نفسه في الوقت نفسه يدلنا على ان هذا الفعل الجزئي الذي نشاهده في نحلة واحدة انما هو طرفٌ لفعلٍ يحيط بسطح الارض كله. أي ان من كان فاعلاً لذلك الفعل العظيم الواسع ومالكاً له فهو صاحب ذلك الفعل الجزئي.

الجهة الثانية

لأجل ان يكون أحد فاعلاً لهذا الفعل الجزئي المتوجه الى خلق هذه النحلة الماثلة أمامنا، ينبغي ان يكون - الفاعل - عالماً بشروط حياة تلك النحلة وأجهزتها

¹ الهولي: لفظ يوناني معناه عند الفلاسفة: المادة الاولى المجردة عن الصورة من حجم وامتداد ولون وماشبه ذلك. - المترجم.

#579

وعلاقتها مع الكائنات الاخرى وكيفية ضمان حياتها ومعيشتها، فيلزم اذن ان يكون ذا حكم نافذ على الكون كله ليجعل ذلك الفعل كاملاً. أي ان أصغر فعلٍ جزئي يدل من جهتين على أنه يخص خالق كل شيء. ولكن أكثر ما يجير الانسان ويجلب انتباهه هو: ان الأزلية والسرمدية التي هي من أخص خصائص الألوهية وألزم صفة للذات الأقدس المالك لأقوى مرتبة في الوجود وهو "الوجوب" وأثبت درجة في الوجود وهو "التجرد من المادة" وأبعد طور عن الزوال وهو "التزه عن المكان" واسلم صفة من صفات الوجود وأقدسها عن التغير والعدم وهو "الوحدة".

أقول: ان الذي يجير الانسان ويثير قلقه، ويجلب انتباهه انما هو: منح صفة الأزلية والسرمدية الى الأثير والذرات وما شابهها من المواد المادية التي لها أضعف مرتبة من مراتب الوجود، وأدق درجة فيه، وأكثر أطواره تغيراً وتحولاً، وأعمها انتشاراً في المكان، ولها الكثرة التي لا تحد.. فإسناد الأزلية الى هذه المواد وتصورها أزليةً، وتوهم نشوء قسم من الآثار الألهية منها، ما هو الأ مجافاة وأي مجافاة للحقيقة وأمرٌ منافٍ أي منافاة للواقع، وبعيد كل البعد عن منطق العقل وباطل واضح البطلان وقد أثبتنا هذا في كثير من الرسائل براهين رصينة.

الشعاع الثاني: وهو مسألتان:

المسألة الاولى: قال تعالى:

(لا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ) (البقرة: 255)

(ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا) (هود: 56)

(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (الزمر: 63)

وأمثالها من الآيات التي تتضمن حقيقة عظمى تشير الى التجلي الأعظم لاسم الله "القيوم" .. سنورد وجهاً واحداً من تلك الحقيقة، وهو الآتي:

ان قيام الأجرام السماوية في هذا الكون ودوامها وبقائها انما هو مشدود بسر القيومية، فلو صرف سر القيومية وتجليه وجهه - ولو لأقل من دقيقة - لتبعثرت تلك الأجرام التي تفوق ضخامة بعضها ضخامة الكرة الأرضية بألوف المرات ولانتثرت ملايين الأجرام في فضاء غير متناهٍ ولإصطدم بعضها ببعض ولهوت الى سحيق العدم.

#580

لنوضح ذلك بمثال:

اننا مثلاً نفهم قدرة قيومية من يُسير ألوف قصور ضخمة في السماء بدل الطائرات بمقدار ثبات تلك الكتل الهائلة التي في السماء ودوامها، ومدى انتظام دورانها وانقيادها في جريها. نفهم أيضاً: تجلي الأسم الأعظم: "القيوم" من منح القيوم ذي الجلال قياماً وبقاءً ودواماً - بسر القيومية - لأجرام سماوية لا حد لها في أثير الفضاء الواسع، وجريانها في منتهى الانقياد والنظام والتقدير، واسنادها وادامتها وبقائها دون عمد ولا سند، مع ان قسماً منها أكبر من الأرض ألوف المرات وقسماً منها ملايين المرات، فضلاً عن تسخير كل منها وتوظيفها في مهمة خاصة، وجعلها جميعاً كالجيش المهيب، منقادة خاضعة خضوعاً تاماً للأوامر الصادرة ممن يملك أمر "كن فيكون". فكما ان ذلك يمكن ان يكون مثلاً قياسياً للتجلي الأعظم لاسم "القيوم" كذلك ذرات كل موجود - التي هي كالنجوم السابحة في الفضاء - فانها قائمة ايضاً بسر القيومية، وتجد دوامها وبقائها بذلك السر.

نعم! ان بقاء ذرات جسم كل كائن حي دون ان تتبعثر وتجمّعها على هيئة معينة وتركيب معين وشكل معين حسب ما يناسب كل عضو من اعضائه، علاوة على احتفاظها بكيانها وهيئتها أمام سيل العناصر الجارفة دون ان تتشتت، واستمرارها على نظامها المنتقن.. كل ذلك لا ينشأ - كما هو معلوم بداهة - من الذرات نفسها، بل هو من سر القيومية الإلهية التي ينقاد لها كل فرد حي انقياد الطابور في الجيش، ويخضع لها كل نوع من أنواع الأحياء خضوع الجيش المنظم.

فمثلاً يعلن بقاء الأحياء والمركبات ودوامها على سطح الأرض وسياحة النجوم وتجوّلها في الفضاء "سرّ القيومية" تعلنه هذه الذرات ايضاً باللسنة غير معدودة.

المسألة الثانية:

هذا المقام يقتضي الاشارة الى قسم من فوائد الأشياء وحكمها المرتبطة بسر القيومية. ان حكمة وجود كل شيء، وغاية فطرته، وفائدة خلقه، ونتيجة حياته - كلاً منها - انما هي على أنواع ثلاثة.

النوع الاول: وهو المتوجه الى نفسه والى الانسان ومصالحه.

النوع الثاني: (وهو الأهم من الأول): هو ان كل شئ في الوجود بمثابة آية جلية،

#581

ومكتوب رباني، وكتاب بليغ، وقصيدة رائعة، يستطيع كل ذي شعور ان يطالعها ويتعرف من خلالها على تجلّي اسماء الفاطر الجليل. أي ان كل شئ يعبر عن معانيه الغزيرة لقرائه الذين لا يحصيهم العد. أما النوع الثالث: فهو يخص الصانع الجليل، وهو المتوجه اليه سبحانه، فلو كانت فائدة خلق الشئ في نفسه واحدة فالتى يتطلع منها الى الباري الجليل هي مئات من الفوائد، حيث أنه سبحانه يجعله موضع نظره الى بدائع صنعه، ومحطّ مشاهدة تجلي أسمائه الحسنى فيه، فضمن هذا النوع الثالث العظيم من حكمة الوجود يكفي العيش لثانية واحدة.

هذا وسيوضح في "الشعاع الثالث" سرّ من أسرار القيومية الذي يقتضي وجود كل شئ.

تأملت ذات يوم في فوائد الموجودات وحكمها من زاوية انكشاف "طلسم الكائنات" و "لغز الخلق" فقلت - في نفسي -: "لماذا يا ترى، تعرض هذه الأشياء نفسها وتُظهرها ثم لاتلبث أن تختفي وترحل مسرعة؟" .. انظر الى أجسامها وشخصها فاذا كل منها منظم منسق قد ألبس وجوداً على قدّه وقدره بحكمة واضحة وزُين بأجمل زينة وألطفها، وأرسل بشخصية ذات حكمة وجسم منسق ليُعرض أمام المشاهدين في هذا المعرض الواسع.. ولكن ما أن تمر بضعة أيام - أو بضع دقائق - الأ وتراه يتلاشى ويختفي من دون أن يترك فائدة أو نفعاً!! فقلت: تُرى ما الحكمة من وراء هذا الظهور لنا لفترة قصيرة كهذه؟..

كنت في لهفة شديدة للوصول الى معرفة السر.. فادركني لطّف الرب الجليل سبحانه.. فوجدت - في ذلك الوقت - حكمة مهمة من حِكَم مجي الموجودات - ولا سيما الأحياء - الى مدرسة الأرض، والحكمة هي: ان كل شئ - ولا سيما الأحياء - انما هي كلمة إلهية ورسالة ربانية وقصيدة عصماء، واعلان صريح في منتهى البلاغة والحكمة. فبعد ان يصبح ذلك الشئ موضع مطالعة جميع ذوي الشعور، وفي جميع معانيه لهم ويستنفذ أغراضه، تتلاشى صورته الجسدية وتختفي مادته تلك التي هي: بحكم لفظ الكلمة وحروفها، تاركة معانيها في الوجود. لقد كفتني معرفة هذه الحكمة طوال سنة.. ولكن بعد مضيا انكشفت أمامي المعجزات الدقيقة في المصنوعات والاتقان البديع فيها ولا سيما الأحياء. فتبين لي:

#582

ان هذا الاتقان البديع جداً والدقيق جداً في جميع المصنوعات ليس مجرد افادة المعنى أمام أنظار ذوي الشعور؛ اذ رغم ان ما لا يجد من ذوي الشعور يطالعون كل موجود الأ ان مطالعتهم - مهما كانت - فهي محدودة، فضلاً عن أنه لا يستطيع كل ذي شعور ان ينفذ الى دقائق الصنعة وابداعها في الكائن الحي ولا يقدر على اكتناه جميع أسرارها.

فأهم نتيجة إذاً في خلق الأحياء وأعظم غاية لفطرتها انما هي: عرض بدائع صنع "القيوم الأزلي" أمام نظره سبحانه، وإبراز هدايا رحمته وآلائه العميمة التي وهبها للأحياء، أمام شهوده جل وعلا.. لقد منحني هذه الغاية اطمئناناً كافياً وقناعة تامة لزمن مديد. وأدرت منها:

ان وجود دقائق الصنع وبدائع الخلق في كل موجود - ولا سيما الأحياء - بما يفوق الحد، انما هو لعرضها أمام "القيوم الأزلي" أي ان حكمة الخلق هي:

مشاهدة "القيوم الأزلي" لبدائع خلقه بنفسه.. وهذه المشاهدة تستحق هذا البذل العميم وهذه الوفرة الهائلة في المخلوقات.

ولكن بعد مضي مدة.. رأيت أن دقائق الصنع والانتقان البديع في شخوص الموجودات وفي صورتها الظاهرة لاتدوم ولا تبقى، بل تتجدد بسرعة مذهلة، وتتبدل آنأ بعد آن، وتتحول ضمن خلق مستمر متجدد وفعالية مطلقة.. فأخذت أوغل في التفكير مدة من الزمن.

وقلت: لابد ان حكمة هذه الخلاقية والفعالية عظيمةٌ عظم تلك الفعالية نفسها.. وعندها بدت الحكمتان السابقتان ناقصتين وقاصرتين عن الايفاء بالعرض. وبدأت أتحرى حكمة أخرى بلهفة عارمة، وابحث عنها باهتمام بالغ.. وبعد مدة - والله الحمد والمنة - تراءت لي حكمةٌ عظيمة لاحد لعظمتها وغاية جليلة لامنتهى لجلالها، تراءت لي من خلال فيض نور القرآن الكريم ونبعت من سر القيومية..

فأدرت بها سرأ إلهياً عظيماً في الخلق، ذلك الذي يطلق عليه "طلسم الكائنات" و "غز المخلوقات"! سنذكر في "الشعاع الثالث" هنا بضع نقاط من هذا السر ذكراً مجملاً حيث انه قد فصل تفصيلاً كافياً في "المكتوب الرابع والعشرين" من المكتوبات.

#583

نعم! انظروا الى تجلي سر القيومية من هذه الزاوية وهي :

ان الله أخرج الموجودات من ظلمات العدم ووهب لها الوجود، ومنحها القيام والبقاء في هذا الفضاء الواسع، وبوأ الموجودات موقعاً لائقاً لتنال تجلياً من تجليات سر القيومية كما بينته الآية الكريمة: (الله الذي رفع السموات بغير عمدٍ ترؤنهن) (الرعد:2). فلولا هذه الركيزة العظيمة وهذا المستند الرصين للموجودات، فلا بقاء لشيء بل لتدحرج كل شيء في خضم فراغ لا حد له، ولهوى الى العدم.

وكما تستند جميع الموجودات الى "القيوم الأزلي" ذي الجلال في وجودها وفي قيامها وبقائها، وان قيام كل شيء به سبحانه.. كذلك جميع أحوال الموجودات قاطبة وأوضاعها كافة وكيفياتها المتسلسلة كلها مرتبطةٌ بداياتها ارتباطاً مباشراً بسر القيومية، كما توضحها الآية الكريمة (واليه يرجع الأمر كله) (هود: 123) اذ لولا استناد كل شيء الى تلك النقطة النورانية، لنتج ما هو محال لدى أرباب العقل من ألوف الدور والتسلسل، بل بعدد

الموجودات. ولنوضح ذلك بمثال:

أن الحفظ، أو النور، أو الوجود، أو الرزق أو ما شابهه من أي شيء كان، انما يستند - من جهة - الى شيء آخر، وهذا يستند الى آخر، وهذا الى آخر وهكذا.. فلا بد من نهاية له، اذ لا يعقل الاّ ينتهي بشيء. فنتهي امثال هذه السلاسل كلها انما هو في "سر القيومية".

وبعد أدراك هذا السر "سر القيومية" لا يبقى معنى لأستناد أفراد تلك السلاسل الموهومة بعضها البعض الآخر، بل تُرفع نهائياً وتزال. فيكون كل شيء متوجهاً توجهاً مباشراً الى "سر القيومية".

الشعاع الثالث:

سنشير في مقدمة أو مقدمتين الى طرفٍ من انكشاف "سر القيومية" الذي تتضمنه الخلاقية الإلهية والفعالية الربانية كما تشير اليها امثال هذه الآيات الكريمة:

(كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) (الرحمن: 29)

#584

(فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ) (البروج: 16)

(يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) (الروم: 54)

(بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) (يس: 83)

(فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) (الروم: 50)

حينما ننظر الى الكائنات بعين التأمل، نرى: ان المخلوقات تضطرب في خضم سيل الزمان وتتعاقب قافلة إثر قافلة. فقسّم منها لا يلبث ثانية ثم يغيب، وطائفة منها تأتي لدقيقة واحدة ثم تمضي الى شأنها. ونوع منها يمر الى عالم الشهادة مر الكرام ثم يلج في عالم الغيب بعد ساعة. وقسم منها يحط رحلّه في يومٍ ثم يغادر، وقسم منها يمكث سنة ثم يمضي، وقسم يمضي عصراً ثم يرحل، وآخر يقضي عصوراً ثم يترك هذا العالم.. وهكذا فكلُّ يأتي ثم يغادر بعد اداء مهمته الموكولة اليه.

فهذه السياحة المذهلة للعقول، وذلك السيل الجاري للموجودات والسفر الدائب للمخلوقات، انما تتم بنظام متنقن وميزان دقيق وحكمة تامة، والذي يقود هذه الرحلة المستمرة ويمسك بزمامها، يقودها ببصيرة ويسيرها بحكمة، ويسوقها بتدبير بحيث لو اتحدت جميع العقول واصبحت عقلاً واحداً لما بلغ معرفة كنه هذه الرحلة ولا يصل الى ادراك حكمتها، ناهيك عن ان يجد فيها نقصاً او قصوراً.

وهكذا ضمن هذه الخلاقية الربانية يسوق الخالق تلك المصنوعات اللطيفة المحبوبة اليه - ولاسيما الاحياء - الى عالم الغيب دون ان يمهلهما لتتفسح في هذا العالم. ويعفيها من مهماتها في حياتها الدنيوية دون ان يدعها تنشرح

وتنسط، فيملاً دار ضيافته هذه بالضيوف ويخليها منهم باستمرار دون رضاهم، جاعلاً من الكرة الارضية ما يشبه لوحة كتابة - كالسبورة - يكتب فيها باستمرار قلم القضاء والقدر كتاباته ويجدها، ويبدلها، بتجليات من (يُحيي ويُميت).

وهكذا، فان سرّاً من اسرار هذه الفعالية الربانية وهذه الخلاقية الالهية، ومقتضياً اساساً من مقتضياتها وسبباً من الاسباب الداعية لها انما هو حكمة عظيمة لا حد لها ولا نهاية، هذه الحكمة تتشعب الى ثلاث شعب مهمة:

#585

فالشعبة الاولى من تلك الحكمة:

هي أن كل نوع من انواع الفعالية - جزئياً كان ام كلياً - يورث لذة، بل ان في كل فعالية لذة، بل الفعالية نفسها هي عين اللذة، بل الفعالية هي تظاهر الوجود الذي هو عين اللذة، وهو انتفاضة بالتباعد عن العدم الذي هو عين الالم.

وحيث ان صاحب كل قابلية يرقب بلهفة ولذة ما ينكشف عن قابلياته بفعالية ما، وان تظاهر كل استعداد بفعالية انما هو ناشئ من لذة مثلما يولد لذة، وان صاحب كل كمال ايضاً يتابع بلهفة ولذة تظاهر كماله بالفعالية، فاذا كان في كل فعالية لذة كامنة مطلوبة كهذه وكمال محبوب كهذا، والفعالية نفسها كمال، وتشاهد في عالم الاحياء تجليات أزلية لرحمة واسعة ومجبة لا نهاية لها نابعة من حياة سرمدية.. فلا شك ان تلك التجليات تدل على:

ان الذي يحب نفسه الى مخلوقاته، ويحبهم ويرحمهم باسباب نعمه وأطافه عليهم على هذه الصورة المطلقة، تقتضي حياته السرمدية عشقاً مطلقاً (لاهوتياً اذا جاز التعبير) ومجبة مقدسة مطلقة، ولذة - منه - منزّهة سامية.. وأمثالها من الشؤون الالهية المقدسة اللاتئة بقديسته والمناسبة لوجوب وجوده. فتلك الشؤون الالهية تمثل هذه الفعالية التي لا حد لها، ويمثل هذه الخلاقية التي لا نهاية لها، تجدد العالم وتبدله وتخصه خضاً. الشعبة الثانية من حكمة الفعالية الالهية المطلقة المتوجهة الى سر القيومية:

هذه الحكمة تطل على الاسماء الالهية الحسنى.

من المعلوم ان صاحب كل جمال يرغب ان يرى جماله ويُرّيه الآخرين، ويودّ صاحب المهارة ان يلفت الانظار اليه بعرض مهاراته واعلانه عنها. فالحقيقة الجميلة الكامنة، والمعنى الجميل المحبوء يتطلعان اذاً الى الانطلاق واستقطاب الانظار.

ولما كانت هذه القواعد الرصينة سارية في كل شئ، كل حسب درجته. فلا بد ان كل مرتبة من مراتب كل اسم من ألف اسم واسم من الاسماء الحسنى للجميل المطلق وللقيوم ذي الجلال، ينطوي على حُسن حقيقي، وكمال حقيقي، وجمال حقيقي، وحقيقة جميلة باهرة بشهادة الكائنات كلها، وتجليات تلك الاسماء الظاهرة

عليها، وإشارات نقوشها البديعة فيها، بل إن كل مرتبة من مراتب كل اسم من الأسماء الحسنى فيها من الحسن والجمال والحقائق الجميلة ما لا يحصره حدّ.

وحيث إن هذه الموجودات وهذه الكائنات هي مرايا عاكسة لتجليات جمال هذه الأسماء المقدسة.. وهي لوحات بديعة تُعرض فيها نقوش تلك الأسماء الجميلة.. وهي صحائفها التي تعبر عن حقائقها الجميلة. فلا بد إن تلك الأسماء الدائمة الخالدة ستعرض تجلياتها غير المحدودة، وتبرز نقوشها الحكيمة غير المعدودة، وتشهر صحائف كتبها أمام نظر مستمّاه الحق وهو (القيوم) ذو الجلال، فضلاً عن عرضها أمام انظار ما لا يعد من ذوي الأرواح وذوي الشعور لمطالعتها والتأمل فيها.

ولا بد إنها تجدد الكائنات عامة وعلى الدوام بتجلياتها وتبدّلها إستناداً إلى ذلك العشق الإلهي المقدس، وبناءً على سر القيومية الإلهية، وذلك لاجل إبراز لوحاتٍ لا نهاية لها من شئٍ محدود، وعرض شخصٍ لا حدّ لها من شخص واحد، وإظهار حقائق كثيرة جداً من حقيقة واحدة.

الشعاع الرابع:

الشعبة الثالثة من حكمة الفعالية الدائمة المحيية في الكون:

هي إن كل ذي رحمة يُسرّ بإرضاء الآخرين، وكل ذي رافة ينشرح إذا ما أدخل السرور إلى قلوب الآخرين، وهكذا يبتهج ذو المحبة بإبهاج مخلوقاته الجديرة بالبهجة، كما يسعد كل ذي همة عالية وصاحب غيرة وشهامة بإسعاده الآخرين، ومثلما يفرح كل عادل يجعل أصحاب الحقوق ينالون حقهم ويشكرونه لوضع الحق في نصابه وانزال العقاب على المقصرين، يزهو كلُّ صانع ماهر ويفتخر بعرض صنعه وأشهار مهارته لدى قيام مصنوعاته بإنتاج ما كان يتوقعه على أتم وجه يتصوره.

فكلُّ من هذه الدساتير المذكورة آنفاً، قاعدة أساسية عميقة راسخة جارية في الكون كله مثلما تجري في عالم الإنسان.

ولقد وضّحنا في (الموقف الثاني من الكلمة الثانية والثلاثين) أمثلة ثلاثة تبين

جريان هذه القواعد الأساسية في تجليات الأسماء الحسنى، نرى من المناسب اختصارها هنا فنقول: إن الذي يملك رحمة فائقة وهمة عالية مع منتهى الكرم والسخاء، يسعده جداً إن يغدق على فقراء مدقعين ومحابج مضطرين ويتفضل عليهم بكرمه وجوده، فيعدّ لهم موائد ولأتم فاخرة ومأكولات نفيسة على متن سفينة عامرة تجري بهم في بحار الأرض ليدخل البهجة والسرور في قلوبهم ضمن سياحة جميلة ونزهة لطيفة.. فهذا الشخص يستمتع من مظاهر الشكر المنبعثة من أولئك الفقراء، وينشرح صدره انشراحاً عظيماً وهو يشاهد

تتمتعهم بمباهج النعم والآلاء، ويفتخر بسرورهم ويزهو بفرحهم.. كل ذلك بمقتضى ما أودع الله في فطرته من سجايا سامية وصفات رفيعة.

فاذا كان الانسان الذي هو بمثابة أمين على ودائع الخالق الكريم وموظف للتوزيع ليس الآ، اذا كان يستمتع وينشرح ويتلذذ الى هذا القدر لدى اكرامه الآخرين في ضيافة جزئية، فكيف اذن ياترى بالحي القيوم - والله المثل الاعلى - الذي تنطلق اليه آيات الحمد والشكر وتُرفع اليه اكف الثناء والرضى بالدعاء والتضرع من مخلوقات لا حد لهم من الاحياء الى الانسان والملائكة والجن والارواح، الذين حملهم في سفينة الرحمن - الارض - واسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة بانواع مطعوماته المنسجمة تماماً مع ما غرز فيهم من اذواق وارزاق، وتفضّل عليهم بهذه السياحة الربانية في أرجاء الكون. فضلاً عن جعله كلّ جنّة من جنانه في دار الخلود، دار ضيافة دائمة معدّة فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الاعين... فجميع آيات الشكر والحمد والرضى المنطلقة من جميع المخلوقات قاطبة والمنبعثة من سرورهم وفرحهم وابتهاجمهم بالنعم والآلاء العميمة عليهم والمتوجهة كلها الى الحي القيوم تولد من الشؤون الالهية، المقدسة التي تقتضي هذه الفعالية الدائمة والخلاقية المستمرة، تلك الشؤون التي يُعجز التعبير عنها ولم يؤذن لنا بالافصاح عنها، بل ربما يشار اليها باسماء: "الرضى المقدس" و"الافتخار المقدس" و"اللذة المقدسة" وما شابهها من الاسماء التي تُعبّر بها - نحن البشر - عن معاني الربوبية المتزهة.

#588

ومثال آخر:

اذا قام صنّاع ماهر، بصنع حاكٍ - بلا اسطوانة - يعبّر عما يريد منه ويعمل على افضل صورة يرغبها هو، كم يكون ذلك الصناع مفتخراً، وم يكون متلذذاً من رؤية صنعته على هذه الصورة وم يكون مسروراً حتى يردد في نفسه: ما شاء الله..

فاذا كانت صنعة صغيرة صورية - من دون ايجاد حقيقي - تثير في روح صانعها الى هذه الدرجة من مشاعر الافتخار والرضى. فكيف بالصانع الحكيم الذي أوجد هذه الموجودات كلها وجعلها موسيقى إلهية تعبّر عن شكرها وتسديحها وتقديسها بأنواع من النغمات وانواع من الكلام، كما جعلها مصنعاً عجيباً فضلاً عما أسبغ على كل نوع من أنواع الكائنات، وكل عالم من عوالم الكون من صنعة متقنة بديعة متباينة معجزة بخوارقها، أضف الى ذلك المكائن الكثيرة التي اودعها في رؤوس ذوي الحياة الشبيهة بالحاكي وآلات التصوير وأجهزة البث والاستقبال، بل أودع أعجب من هذه الاجهزة المعجزة حتى في رأس أصغر حيوان! بل لم يودع في رأس الانسان مجرد حاكٍ بلا اسطوانة، ولا آلة تصوير بلا عدسة، ولا هاتفاً بلا سلك بل مكائن اعجب بكثير وخوارق أعظم وأعظم مما ذكر بكثير.

فما يُنشئه عمل هذه المكائن العاملة وفق ارادته والمودعة في رأس الانسان المخلوق في احسن تقويم من معاني

الافتخار المقدس والرضى المقدس، وأمثالها من المعاني الجليلة والشؤون المقدسة للربوبية - التي هي من هذا النوع - يستلزم حتماً هذه الفعالية الدائمة المشاهدة.
ومثلاً:

ان الحاكم العادل يجد لذة ومنتعة ورضىً عندما يأخذ حقَّ المظلوم من الظالم ويجعل الحق يأخذ نصابه، ويفتخر لدى صيانتته الضعفاء من شرور الاقوياء، ويسر لدى منحه كل فرد ما يستحقه من حقوق.. كل ذلك من مقتضيات الحاكمية والعدالة وقواعدهما الاساس.

فلا بد ان الحاكم الحكيم العادل الذي هو "الحي القيوم" منحه شرائط الحياة في صورة حقوق الحياة للمخلوقات كافة ولاسيما الاحياء.. وباحسانه اليهم باجهزة

#589

تحافظ على حياتهم.. وبجمايته الضعفاء من شرور الاقوياء بكل رحمة ورأفة.. وبتوليه اظهار سر العدالة في الكون باعطاء كل ذي حق من الاحياء حقه كاملاً، وبانزال شئ من العقوبة بالظالمين - في هذه الدنيا - وبخاصة ما يحصل من التجلي الكامل للعدالة العظمى في المحكمة الكبرى ليوم الحشر الاعظم.. يحصل من كل هذا ما نعجز عن التعبير عنه من شؤون ربانية ومعاني قدسية جليلة هي التي تقتضي هذه الفعالية الدائمة في الكون.

وهكذا في ضوء هذه الامثلة الثلاثة:

فان الاسماء الالهية عامة، وكل اسم منها خاصة، يقتضي هذه الخلاقية الدائمة، حيث يكون محوراً لقسم من هذه الشؤون الالهية المقدسة وأمثالها ضمن هذه الفعالية الدائمة.

وحيث ان كل قابلية وكل استعداد يورث فرحاً وانشراحاً ولذةً، بمنحها الثمار والفوائد لدى انبساطها وانكشافها.. وان كل موظف يشعر - عند اتمام الوظيفة وانهاؤها على الوجه المطلوب - براحة وأي راحة.. وان جني ثمرات كثيرة من بذرة واحدة، واغتنام ربح مئات الدراهم من درهم واحد هي حالات مفرحة جداً لأصحابها وتعد تجارة رابحة لهم..

فلا بد ان يفهم مدى أهمية المعاني المقدسة وشؤون الربوبية الالهية الناشئة من الفعالية الدائمة والخلاقية الربانية التي تكشف عن جميع الاستعدادات التي لا تحد، وجميع القابليات التي لا تعد، لجميع المخلوقات غير المحدودة.. والتي تُتهيء وظيفة جميع المخلوقات بعد ان تستخدمها في وظائف جسمية وترقيتها بهذا التسريح الى مراتب أسمي وأعلى - كأن ترقى العناصر الى مرتبة المعادن، والمعادن الى حياة النباتات، والنباتات الى درجة حياة الحيوانات بما تمدها من رزق، والحيوانات الى مرتبة الانسان الشاعرة والعالية بالشكر والحمد - والتي تجعل كل كائن يخلف انواعاً من الوجود كروحه وماهيته وهويته وصورته بعد زوال ظاهر وجوده لتؤدي المهمة نفسها "كما

وضح في المکتوب الرابع والعشرين".

#590

جوابُ قاطع عن سؤال مهم

يقول قسم من أهل الضلالة:

ان الذي يغيّر الكائنات بفعالية دائمة ويبدلها، يلزم ان يكون هو متغيراً ومنتحولاً أيضاً.

الجواب:

كلا ثم كلا. حاش لله ألف ألف مرة حاش لله!

ان تغيّر اوجه المرايا في الارض، لا يدل على تغيّر الشمس في السماء، بل يدل على اظهار تجدد تجليات الشمس. فكيف بالذي هو أزلي وأبدي وسرمدي وفي كمال مطلق وفي استغناء مطلق (عن الخلق) وهو الكبير المتعال المقدس عن المادة والمكان والحدود، والمنزّه عن الامكان والحدوث، فتغيّر هذا الذات الاقدس محال بالمرة.

ثم ان تغيّر الكائنات، ليس دليلاً على تغيّره هو، بل هو دليل على عدم تغيّره، وعدم تحوّل سببانه وتعالى. لان الذي يحرك اشياء عديدة بانتظام دقيق ويغيّرها، لا بد الا يكون متغيراً والاّ يتحرك.. مثال ذلك: انك اذا كنت تحرك كرات كبيرة وصغيرة مرتبطة بعدة خيوط؛ حركة منتظمة ودائمة، وتضعها في اوضاع منتظمة، ينبغي ان تكون أنت ثابتاً في مكانك دون ان تتحول عنه والاّ اختل الانتظام.

ومن القواعد المشهورة: ان الذي يحرك بانتظام ينبغي الا يتحرك، والذي يغيّر باستمرار ينبغي الا يكون متغيراً. كي يستمر ذلك العمل في انتظامه.

ثانياً: ان التغير والتبدل ناشئ من الحدوث، ومن التجدد بقصد الوصول الى الكمال، ومن الحاجة، ومن المادية، ومن الامكان.

أما الذات الاقدس؛ فهو قديم أزلي، وفي كمال مطلق، وفي استغناء مطلق، منزّه عن المادة، وهو الواجب الوجود، فلا بد ان التبدل والتغير محال في حقه وغير ممكن أصلاً.

#591

الشعاع الخامس:

المسألة الاولى:

اذا اردنا ان نرى التجلي الاعظم لاسم الله (القيوم) فما علينا الا ان نجعل خيالنا واسعاً جداً بحيث يمكنه ان يشاهد الكون بأسره، فنجعل منه نظارتين احدهما ترى أبعد المسافات كالمِرصد والاخرى تشاهد اصغر

الذرات .

فاذا ما نظرنا بالمنظار الاول نرى:

ان ملايين الكرات الضخمة والكتل الهائلة التي منها ما هو أكبر من الارض بألوف المرات، قد رُفعت بتجلي اسم (القيوم) بغير عمد نراها، وهي تجري ضمن أثير لطيف ألطف من الهواء، وتسخر لاجل القيام بمهام عظيمة في حركاتها وفي ثباتها الظاهر.

لنرجع الآن الى المنظار الاخر.. لنرى أصغر الاشياء، فاذا بنا امام ذرات متناهية في الصغر تشكل اجسام الاحياء - بسرّ القيومية - وهي تأخذ اوضاعاً منتظمة جداً كالنجوم، وتتحرك وفق نظام معين وتناسق مخصص منجزة بها وظائف جمّة، فان شئت فانظر الى الكريات الحمر والبيض تراهما تتحركان حركات خاصة شبيهة بحركات المولوية لأنجاز مهمات جسمية في الجسم وهما تجريان في السيل الدافق للدم.

1 خلاصة الخلاصة:

لقد ارتأينا ان ندرج هنا خلاصة تبين الضياء المقدس الحاصل من امتزاج أنوار الاسماء الستة للاسم الأعظم، كامتزاج الألوان السبعة لضوء الشمس - ولله المثل الاعلى - ولأجل مشاهدة هذا النور المقدس نسوق هذه الخلاصة:

تأمل في موجودات الكون كله وانظر اليها من وراء هذا التجلي الاعظم لاسم (القيوم) الذي منح البقاء والدوام والقيام لها تر: ان التجلي الاعظم لاسم (الحي) قد جعل تلك الموجودات الحية ساطعةً منورة بتجليه الباهر، وجعل الكائنات كلها منورة بنوره الزاهر، حتى يمكن مشاهدة لمعان نور الحياة على الاحياء كافة.

¹ هذه الخلاصة هي الاساس الذي تستند اليها الرسائل الصغيرة للمعة الثلاثين، وهي زبدة موضوعاتها التي تحمل أسرار الأسماء الستة الحسنی " للاسم الأعظم. المؤلف.

#592

والآن انظر؛ الى التجلي الاعظم لاسم (الفرد) من وراء اسم (الحي) تره قد ضمّ جميع الكائنات بأنواعها وأجزائها واستوعبها ضمن وحدة واحدة، فهو يطبع على جبهة كل شيء ختم الوحدانية، ويضع على وجه كل شيء ختم الاحدية، فيجعل كل شيء يعلن تجليّه باللسنة لا حد لها ولا نهاية.

ثم انظر من خلف اسم (الفرد) الى التجلي الاعظم لاسم (الحكم) تر: انه قد ضم الموجودات كلها من أعظم دائرة فيها الى أصغرها كلياً كان أم جزئياً - ابتداءً من النجوم وانهاء الى الذرات - منح كل موجود ما يستحق من نظام مثمر وما يلائمه من انتظام حكيم وما يوافق من انسجام مفيد. فلقد زين اسم (الحكم) الاعظم الموجودات

كلها ورصعها بتجليه الساطع.

ثم انظر من خلف التجلي الأعظم لأسم (الحكم) الى التجلي الاعظم لاسم (العدل) - كما اوضحناه في النكتة الثانية - تزه يدير جميع الكائنات بموجوداتها ضمن فعالية دائمة بموازينه الدقيقة ومقاييسه الحساسة ومكاييله العادلة بحيث يجعل العقول في حيرة واعجاب، فلو فقد نجمٌ من الأجرام السماوية توازنه لثانية واحدة. أي اذا انفلت من تجلي اسم (العدل) لحلِّ الهرجُ والمرج في النجوم كلها ولأدّى - لامحالة - الى حدوث القيامة.

وهكذا فكل دائرة من دوائر الوجود وكل موجود من موجوداتها ابتداءً من الدوائر العظيمة - المسماة بدرب التبانة - الى حركات أصغر الموجودات في الجسم من كريات حمر وبيض، كلٌّ منها قد فُصل تفصيلاً خاصاً وقُدِّر تقديرًا دقيقاً وقيس بمقاييس حساسة، ومُنح شكلاً معيناً ووضعاً مخصوصاً بحيث يُظهر - كل منها - الطاعة التامة والانتقاد المطلق ودينونة كاملة للأوامر الصادرة من الذي يملك أمر "كن فيكون" ابتداءً من جيوش النجوم الهائلة المتلائة في الفضاء الى جيوش الذرات المتناهية في الصغر.

فانظر الآن من خلف التجلي الاعظم لاسم الله (العدل) ومن خلاله، وشاهد التجلي الاعظم لاسم الله (القدوس) - الذي وضحناه في النكتة الاولى - تر: ان هذا التجلي الاعظم لاسم (القدوس) قد جعل موجودات الكائنات نظيفة، نقية

#593

طاهرة، براقية، صافية، زكية، مزينة، وجميلة وحولها الى ما يشبه مرايا جميلة مجلوة لائقة لظهار الجمال البديع المطلق، وتناسب عرض تجليات اسمائه الحسنى.

نحصل مما تقدم:

ان هذه الاسماء والانوار الستة للاسم الاعظم، قد عمّت الكون كله وغطت الموجودات قاطبة ولَفَعَتْهَا باستار مزركشة ملونة بازهى الالوان المتنوعة وابدع النقوش المختلفة وأروع الزينات المتباينة.

المسألة الثانية من الشعاع الخامس:

ان جلوة من تجليات القيومية على الكون، وشعاعاً من نورها مثلما يعمّ الكون بمظاهر "الواحدية والجلال"، فانه يبرز على هذا الانسان - الذي يمثل محور الكون وقطبه وثمرته الشاعرة - مظاهر "الاحدية والجمال". وهذا يعني:

ان الكائنات التي هي قائمة بسر القيومية فهي تقوم ايضاً - من جهة - بالإنسان؛ الذي يمثل اكمل مظهر من مظاهر تجلي اسم (القيوم). أي: ان القيومية تتجلى في الانسان تجلياً يجعل منه عموداً سانداً للكائنات جميعاً، بمعنى ان معظم الحِكم الظاهرة في الكائنات وأغلب مصالحها وغاياتها تتوجه الى الانسان.

نعم ، يصح ان يقال: ان (الحي القيوم) سبحانه قد أراد وجود الانسان في هذا الكون، فخلق الكون لاجله، وذلك لان الانسان يمكنه ان يدرك جميع الاسماء الالهية الحسنى ويتذوقها بما اودع الله فيه من مزايا وخصائص جامعة. فهو يدرك - مثلاً - كثيراً من معاني تلك الاسماء بما يتذوق من لذائد الارزاق المنهمة عليه، بينما لا يبلغ الملائكة الى ادراك تلك الاسماء بتلك الاذواق الرزقية.

فلاجل جامعية الانسان المهمة يُشعر "الحي القيوم" الانسان بجميع اسمائه الحسنى، ويعرفه بجميع انواع احسانه، ويذوقه طعوم آلائه، فَمَنَحَهُ مَعْدَةً مَادِيَةً يستطيع بها ان يتذوق ما أُعِدَّ لَهُ من نعمٍ لذيدة قد بسطها في سُفرة واسعة سعة الارض. ثم وهب له حياة، وجعل هذه الحياة كتلك المعدة المادية تستطيع ان تتنعم بأنواع من النعم المُعدَّة على سُفرة واسعة مفروشة أمامها وتتلاذذ بها بما زودها -

#594

سبحانه - من مشاعر وحواس لها القدرة ان تمتد - كالايدي - الى كل نعمة من تلك النعم، فتؤدي عند ذلك حقها من انواع الشكر والحمد.

ثم وهب له - فوق معدة الحياة هذه - معدة الانسانية، وهذه المعدة تطلب رزقاً ونعماً ايضاً. فجعل العقل والفكر والخيال بمثابة أيدي تلك المعدة، لها القدرة على بلوغ آفاق أوسع من ميادين الحياة المشهودة، وعندها تستطيع الحياة الانسانية ان تؤدي ما عليها من شكر وحمد تجاه بارئها حيث تمتد أمامها سُفرة النعم العامرة التي تسع السماوات والارض.

ثم لأجل ان يمدّ امام الانسان سفرة نعمٍ أخرى عظيمة جعل عقائد الاسلام والايمان بمثابة معدة معنوية تطلب ارزاقاً معنوية كثيرة فمدّ سفرة مليئة بالرزق المعنوي لهذه المعدة الايمانية وبسّطها خارج الممكنات المشاهدة. فضم الاسماء الالهية في تلك السفرة العظيمة.. ولهذا يستشعر الانسان - بتلك المعدة المعنوية - ويتمتع بأذواق رفيعة لا منتهى لها، نابعة من تجليات اسم "الرحمن" واسم "الحكيم" حتى يردد (الحمد لله على واسع رحمته وجليل حكمته).. وهكذا - مكن الخالق المنعم الانسان - بهذه المعدة المعنوية العظيمة - ليستفيد ويغنم نعماً الهية لا حد لها، ولا سيما أذواق محبته الالهية، في تلك المعدة فان لها آفاقاً لا تحد وميادين لا تحصر.

وهكذا جعل (الحي القيوم) سبحانه الانسان مركزاً للكون، ومحوراً له، بل سخر الكون له فمدّ أمامه سفرة عظيمة عظم الكون لتتلاذذ انواع معداته المادية والمعنوية.

اما حكمة قيام الكون بسر القيومية على الانسان - من جهة - فهي للوظائف المهمة الثلاث التي انيطت بالانسان:

الاولى:

تنظيم جميع انواع النعم المبتوثة في الكائنات بالانسان وربطها بأواصر المنافع التي تخص الانسان، كما تنظّم خرز

المسبحة بالخيط، فتربط رؤوس خيوط النعم بالانسان ومصالحه ومنافعه. فيكون الانسان بما يشبه فهرساً لأنواع ما في خزائن الرحمة الالهية ونموذجاً لمحتوياتها.

#595

الوظيفة الثانية:

كون الانسان موضع خطابه سبحانه بما أودع فيه من خصائص جامعة أهّلت له ليكون موضع خطابه سبحانه وتعالى، ومقدراً لبدائع صنائعه ومعجباتها، ونهوضه بتقديم آلاء الشكر والثناء والحمد الشعوري التام. على ما بسط أمامه من أنواع النعم والآلاء العظيمة.

الوظيفة الثالثة:

قيام الانسان بحياته بمهمة مرآة عاكسة لشؤون (الحي القيوم) ولصفاته الجليلة المحيطة، وذلك بثلاثة وجوه:

الوجه الاول:

هو شعور الانسان بقدرة خالقه سبحانه المطلقة ودرجاتها غير المحدودة بما هو عليه من عجز مطلق. فيدرك مراتب تلك القدرة المطلقة بما يحمل من درجات العجز. ويدرك كذلك رحمة خالقه الواسعة ودرجاتها بما لديه من فقر، ويفهم أيضاً قوة خالقه العظيمة بما يمكن فيه من ضعف... وهكذا.

وبذلك يكون الانسان مؤدياً مهمة مرآة قياسية صغيرة لأدراك صفات خالقه الكاملة، وذلك بما يملك من صفات قاصرة ناقصة؛ اذ كما ان الظلام كلما اشتد سطع النور أكثر، فيؤدي هذا الظلام مهمة اراءة المصايح، فالانسان ايضاً يؤدي مهمة اراءة كمالات صفات بارئه سبحانه بما لديه من صفات ناقصة مظلمة.

الوجه الثاني:

ان ما لدى الانسان من ارادة جزئية وعلم قليل وقدرة ضئيلة وتملك في ظاهر الحال وقابلية على إعمار بيته بنفسه، يجعله يدرك بهذه الصفات الجزئية خالق الكون العظيم ويفهم مدى مالكيته الواسعة وعظيم اتقانه وسعة ارادته وهيمنة قدرته واحاطة علمه. فيدرك ان كلاً من تلك الصفات انما هي صفات مطلقة وعظيمة لا حد لها ولا نهاية. وبهذا يكون الانسان مؤدياً مهمة مرآة صغيرة لأظهار تلك الصفات وادراكها.

#596

أما الوجه الثالث:

من قيام الانسان بمهمة مرآة عاكسة لكمالات الصفات الالهية فله وجهان:

اظهاره بدائع الاسماء الالهية الحسنی المتنوعة وتجلياتها المختلفة في ذاته. لأن الانسان بمثابة فهرس مصغر للكون كله - بما يملك من صفات جامعة - وكأنه مثاله المصغر، لذا فتجليات الاسماء الالهية في الكون عامة نراها تتجلى في الانسان بمقياس مصغر.

الوجه الثاني:

اداءه مهمة المرآة العاكسة للشؤون الالهية، أي ان الانسان كما يشير بحياته الى حياة (الحي القيوم) فانه بوساطة ما ينكشف في حياته الذاتية من حواس كالسمع والبصر وامثالها يفهم - ويبيّن للآخرين - صفات السمع والبصر وغيرها من الصفات الجليلة المطلقة (للحي القيوم) ثم ان الانسان الذي يملك مشاعر دقيقة جداً وكثيرة جداً - وقد لا تنكشف ضمن حياته وانما عندما يحفز او يثار - فتظهر تلك المشاعر بأشكال متنوعة وانفعالات مختلفة، فانه بوساطة هذه المشاعر الدقيقة والمعاني العميقة يؤدي مهمة عرض الشؤون الذاتية (للحي القيوم). فمثلاً: الحب والافتخار والرضى والانسراح والسرور وما شابهها من المعاني التي تتفجر لدى الانسان في ظروف خاصة، يؤدي الانسان بها مهمة الاشارة الى هذه الانواع من الشؤون الالهية بما يناسب قدسية الذات الالهية وغناه المطلق وبما يليق به سبحانه وتعالى.

وكما ان الانسان وحدة قياس - بما يملك من جامعية حياته - لمعرفة صفات الله الجليلة، وشؤونه الحكيمية، وفهرس لتجلي اسمائه الحسنى، ومرآة ذات شعور بجهات عدة لذات (الحي القيوم).. كذلك - الانسان - هو وحدة قياس ايضاً لمعرفة حقائق الكون هذا، وفهرس له ومقياس وميزان. فمثلاً: ان الدليل القاطع على وجود اللوح المحفوظ في الكون يتمثل في نموذج المصغر وهو "القوة الحافظة" لدى الانسان. والدليل القاطع على وجود عالم المثال

#597

نلمسه في نموذج المصغر وهو "قوة الخيال" لدى الانسان¹، والدليل القاطع على وجود الروحانيات في الكون ندركه ضمن نموذج المصغر وهو "لطائف الانسان وقواه".. وهكذا يكون الانسان مقياساً مصغراً يُظهر عياناً الحقائق الايمانية في الكون بدرجة الشهود.

وهناك مهمات ووظائف وخدمات كثيرة اخرى للانسان فضلاً عما ذكرناه؛ اذ هو: مرآة لتجلي الجمال الباقي، وداع الى الكمال السرمدي ودالّ عليه. ومحتاج شاكراً لأنعم الرحمة الواسعة الابدية.

فما دام الجمال باقياً والكمال سرمدياً والرحمة أبدية، فلا بد ان الانسان الذي هو المرآة المشتاقة لذلك الجمال الباقي والداعي العاشق لذلك الكمال السرمدي والمحتاج الشاكر لتلك الرحمة الابدية سيُبعث الى دار بقاء أبدية ليخلد فيها دائماً، ولا بد انه سيذهب الى الابد ليرافق الباقيين الخالدين هناك ويرافق ذلك الجمال الباقي وذلك الكمال السرمدي وتلك الرحمة الابدية في ابد الابد. بل يلزم ذلك قطعاً لأن: الجمال الابدى لا يرضى بمشتاق فانٍ ومحجٍ زائلٍ. اذ الجمال يطلب محبة تجاهه مثلما يجب نفسه. بينما الزوال والفناء يحولان دون تلك المحبة ويبدلانها الى عداء.

فلو لم يرحل الانسان الى الابد، ولم يبق هناك خالداً مخلداً فسيجد في فطرته عداً شديداً لما يحمل من سر مغروز فيه وهو المحبة العميقة نحو الجمال السرمدي. مثلما بينا ذلك في حاشية في الكلمة العاشرة (رسالة الحشر): ان حسناء بارعة الجمال عندما طردت - ذات يوم - احد عشاقها من مجلسها، انقلب عشقُ الجمال لدى العاشق المطرود قبحاً وكرهاً حتى بدأ يسلى نفسه بقوله: تبا لها ما أقبحها! فانكر الجمال وسخط عليه.

¹ نعم! ان عناصر الانسان مثلما تشير الى عناصر الكون وعظامه تنبئ عن أشجاره وصخوره، وأشعاره توحى الى نباتاته وأشجاره، والدم الجاري في جسمه والسوائل المختلفة المترشحة من عيونه وانفه وفمه تخبر عن عيون الارض ونباتاتها ومياهها المعدنية، كذلك تخبر روح الانسان عن عالم الارواح وحافظته عن اللوح المحفوظ وقوة خياله عن عالم المثال. وهكذا يخبر عن كل جهاز عن عالم ويشهد على وجوده شهادة قاطعة. - المؤلف.

#598

نعم فكما ان الانسان يعادي ما يجمله، فانه يتحرى النقص والقصور فيما تقصر يده عنه، ويعجز عن الاحتفاظ به ومسكه.. بل تراه يتحرى فيه عن القصور بشئ من عدا وحقده يضره، بل يتخذ ما يشبه العدا له. فما دام الكون يشهد بان المحبوب الحقيقي والجميل المطلق سبحانه يحب نفسه الى الانسان بجميع اسمائه الحسنى، ويطلب منه مقابل ذلك حباً عظيماً له، فلا بد انه سبحانه لا يدع هذا الانسان الذي هو محبوبه وحببه يسخط عليه، فلا يودع في فطرته ما يثير عداً نحوه - أي بعدم احداث الاخرة - ولا يغرز في فطرة هذا المخلوق المكرم الممتاز، المحبوب لدى الرب الرحيم والمخلوق اصلاً للقيام بعبادته، ما هو منافٍ كلياً لفطرته من عدا خفي، ولا يمكن ان يحتمل روحه سخطاً عليه سبحانه قط؛ لأن الانسان لا يمكنه ان يداوى جرحه الغائر الناشئ من فراقه الابدى عن جمال مطلق يحبه ويقدره الا بالعداء نحوه، أو السخط عليه، أو انكاره؛ وكون الكفار اعداء الله نابع من هذه الزاوية.. لأجل هذا فسيجعل ذلك الجمال الازلي حتماً هذا الانسان الذي هو مرآة مشتاقة اليه مبعوثاً الى طريق ابد الآباد، ليرافق ذلك الجمال المطلق والبقاء والخلود، ولا ريب ان سيجعله ينال حياة باقية في دار باقية خالدة.

وما دام الانسان مشتاقاً فطرةً لجمال باقٍ وقد خُلق محباً لذلك الجمال.. وان الجمال الباقي لا يرضى بمشتاق زائل.. وان الانسان يسكن آلامه وأحزانه الناجمة عما لا تصل اليه يده او يعجز عن الاحتفاظ به او يجمله، بتحري القصور فيه بل يسكنها بعداء خفي نحوه، مسلياً نفسه بهذا العدا.. وما دام الكون قد خُلق لاجل هذا الانسان، والانسان مخلوق للمعرفة الالهية ومحبتة سبحانه وتعالى.. وخالق الكون سرمدىً باسمائه الحسنى وتجلياته باقية دائماً.. فلا بد ان هذا الانسان سيُبعث الى دار البقاء والخلود، ولا بد ان ينال حياة باقية دائماً. هذا وان الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم وهو الانسان الاكمل والدليل الاعظم على الله قد أظهر جميع

ما بيناه من كمالات الانسان وقيمته ومهمته ومثله، فأظهر تلك الكمالات

#599

في نفسه، وفي دينه، بأوضح صورة وأكملها، مما يدلنا على: ان الكائنات مثلما خلقت لأجل الانسان، أي انه المقصود الاعظم من خلقها والمنتخب منها، فان اجل مقصود من خلق الانسان ايضاً وافضل مصطفى منه، بل أروع واسطع مرآة للأحد الصمد انما هو محمد عليه وعلى آله وأصحابه الصلاة والسلام بعدد حسنات أمته...

فيا الله يارحمن يارحيم يا فرد يا حيُّ يا قيوم يا حكم يا عدل يا قدوس.

نسألك بحق فرقائك الحكيم وبجرمة حبيبك الاكرم صلى الله عليه وسلم

وبحق اسمائك الحسنى وبجرمة إسمك الاعظم

ان تحفظنا من شر النفس والشيطان ومن شر الجن والانسان. آمين

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

#600

%

اللمعة الحادية والثلاثون

انقسمت هذه اللمعة الى "الشعاعات" وستنشر في مجلد مستقل ان شاء الله.

%

اللمعة الثانية والثلاثون

وهي "اللوامع" التي هي آخر ما ألفه "سعيد القديم" في غضون عشرين يوماً من شهر رمضان وجاءت منظومة نظماً عفويّاً. نشرت ملحقةً بمجموعة "الكلمات".

%

اللمعة الثالثة والثلاثون

هي الحقائق التي ظهرت على قلب "سعيد الجديد" بدرجة الشهود، وسطرها باللغة العربية في رسائل موسومة بـ "قطرة من بحر التوحيد، حبة من جنان القرآن، شمة من نسيم هداية القرآن، ذرة من شعاعات هداية القرآن، حباب من عمان القرآن، زهرة من رياض، القرآن شعلة من انوار القرآن" مع ذيول هذه الرسائل وقد ضمت كلها تحت عنوان "المثنوي العربي النوري" سينشر في مجلد مستقل ان شاء الله.

#601

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا الله، يا رحمن، يا رحيم،

يا فرد، يا حي، يا قيوم، يا حكم، يا عدل. يا قدوس

بحق الاسم الاعظم وبجربة القرآن المعجز البيان وبكرامة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم، ادخل الذين قاموا بطبع هذه المجموعة ومعاونتهم الميامين جنة الفردوس والسعادة الابدية.. آمين.

ووقفهم في خدمة الايمان والقرآن دوماً وابدأ.. آمين .

واكتب في صحيفة حسناتهم ألف حسنة لكل حرف من حروف كتاب "اللمعات" .. آمين.

وأحسن اليهم الثبات والدوام والاخلاص في نشر "رسائل النور". آمين

يا ارحم الراحمين! آت جميع طلاب النور في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة.. آمين .

واحفظهم من شر شياطين الجن والانس.. آمين.

واعف عن ذنوب هذا العبد العاجز الضعيف سعيد.. آمين

ياسم جميع طلاب النور

سعيد النورسي
